سيرة النبيين والمرسلين

صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

لفضيلة الشيخ العالم العلامة
العارف بالله تعالى المربي الكامل
محمد عيد عبد الله يعقوب الحسيني

دار الفارابي
للمعارف

سيرة

النبيين والمرسلين

صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

سيرة النبيين والمرسلين

صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

الجزء الخامس

لفضيلة الشيخ العالم العلامة
العارف بالله تعالى المربي الكامل
محمد عيد عبد الله يعقوب الحسيني

دار الفارابي
للمعارف

العنوان : سيرة النبيين و المرسلين
صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

التأليف : الشيخ محمد عيد يعقوب الحسيني

عدد الصفحات : ٥٩٢

القياس : ١٧ × ٢٤

الطبعة الأولى
١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل الطرق الطبع و التصوير و النقل و الترجمة و التسجيل المرئي و المسموع و الحاسوب و غيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من الناشر.

دار الفارابي للمعارف
طباعة - نشر - توزيع

أسسست عام ١٩٦٧ م

سورية . دمشق . حلبوني . شارع مسلم البارودي .

ص.ب: ٢٣٨٢ هاتف: ٢٢٢٦٧٨٦ فاكس: ٢٤٥٤٩٧٨

www.daralfarabi.com

الوكيل المعتمد في
الإمارات العربية المتحدة
مكتبة دار الفارابي
الشارقة - دوار الساعة
هاتف ٥٦٣١١٣٠ - ٦ - ٠٠٩٧١
darfarab@emirates.net.ae

الوكيل المعتمد
في المملكة العربية السعودية

مركز الراية للتنمية الفكرية

جدة - شارع الستين
هاتف: ٦٦٨٦٨٢٠
فاكس: ٦٦٨٦٨١٠
ص.ب : ٤١٥٤٧
الرمز البريدي : ٢١٥٢٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ [غافر: ٧٨]

٢٣- غزوة خيبر

[جمادى الأولى ٧هـ]

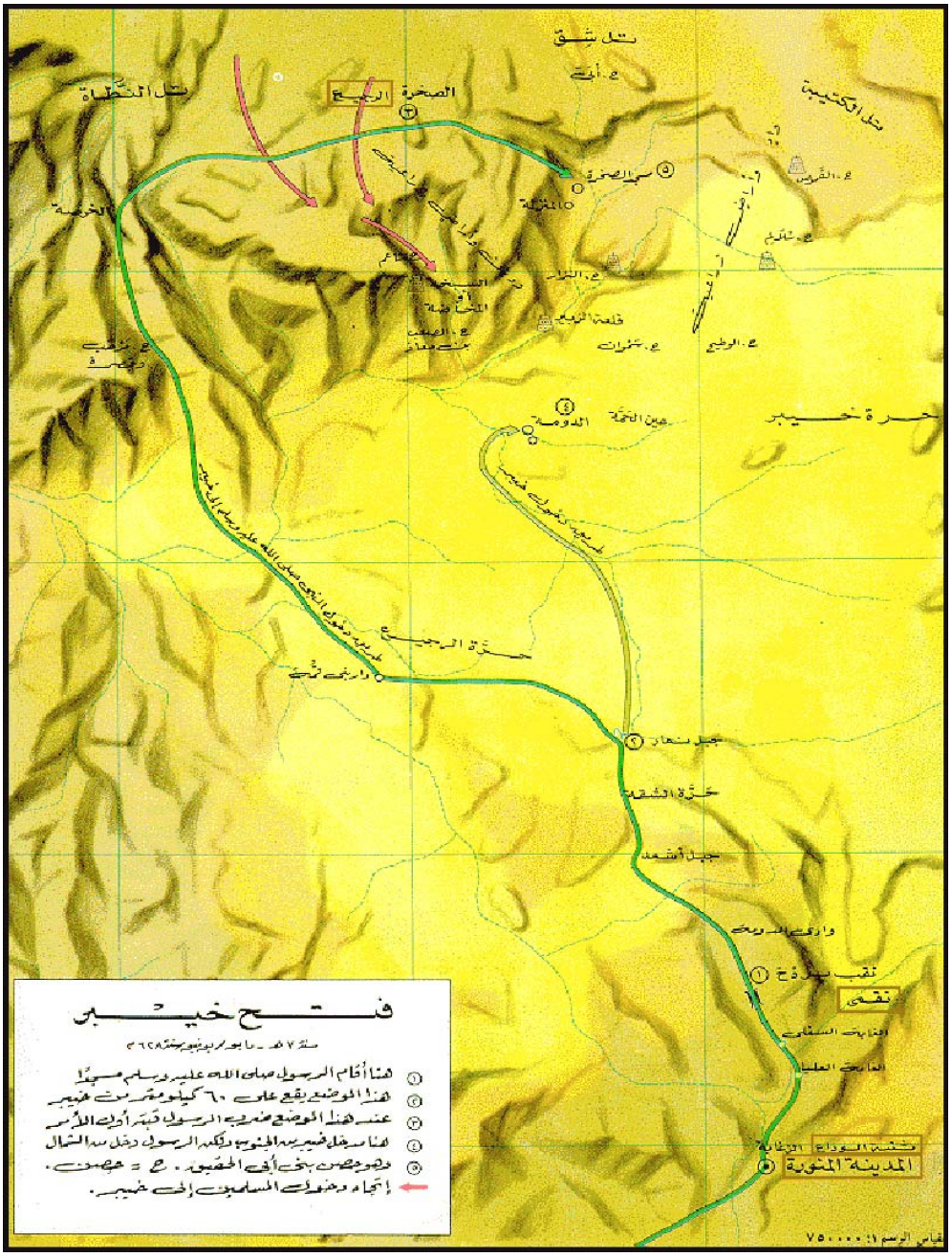

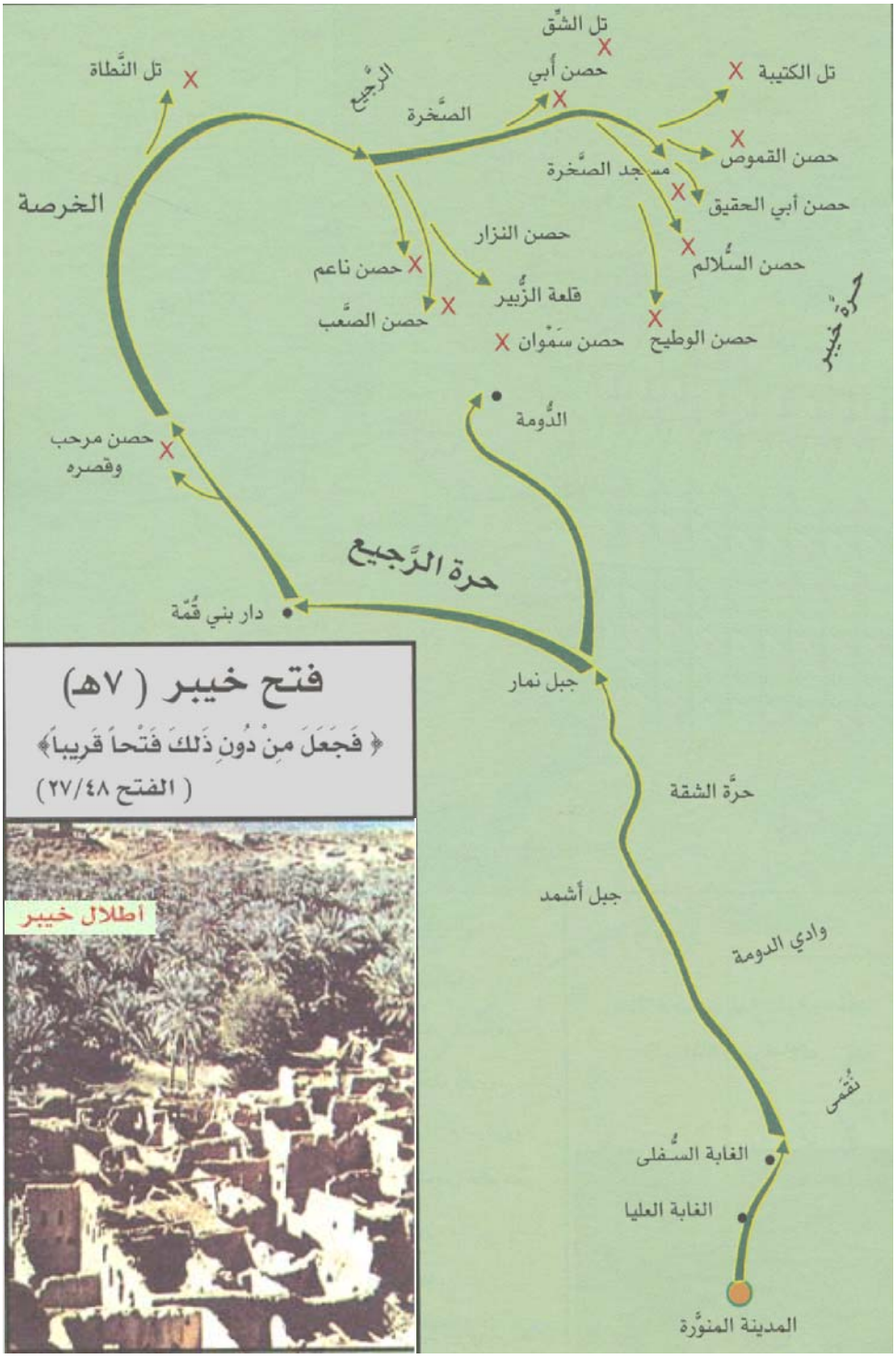
تل الشِّق
حصن أبي
تل الكتيبة
تل النَّطاة
الرَّجيع
الصَّخرة
حصن القموص
مسجد الصَّخرة
حصن أبي الحقيق
الخرصة
حصن النزار
حصن السُّلالم
حصن ناعم
قلعة الزُّبير
حصن الصَّعب
حصن الوطيح
حصن سَمْوان
حرة خيبر
الدُّومة
حصن مرحب وقصره
حرة الرَّجيع
دار بني قُمّة
جبل نمار
حرَّة الشقة
جبل أشمد
وادي الدومة
نقمى
الغابة السُّفلى
الغابة العليا
المدينة المنوَّرة
فتح خيبر (٧هـ)
﴿ فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً﴾
(الفتح ٢٧/٤٨)
أطلال خيبر

منطقة (قصير النبي) وتقع جنوب خيبر، ويقال: إنها الموقع الذي عسكر فيه جيش المسلمين لدى وصوله إلىٰ خيبر في الصهباء قبل أن يغير الجيش موقعه إلىٰ الشمال من خيبر

سوق خيبر القديمة

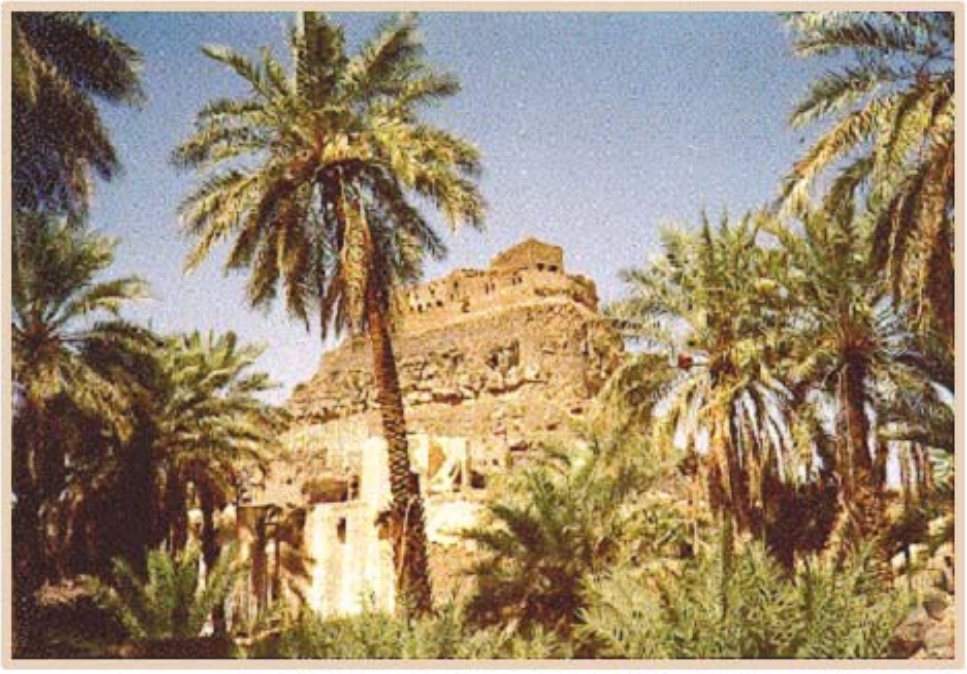

قلعة خيبر (قصر مرحب اليهودي)

حصن ناعم

حصن الصعب بن معاذ

حصن النزار

حصن أُبَيّ

حصن القموص (حصن أبي الحُقَيق)

حصن الوطيح

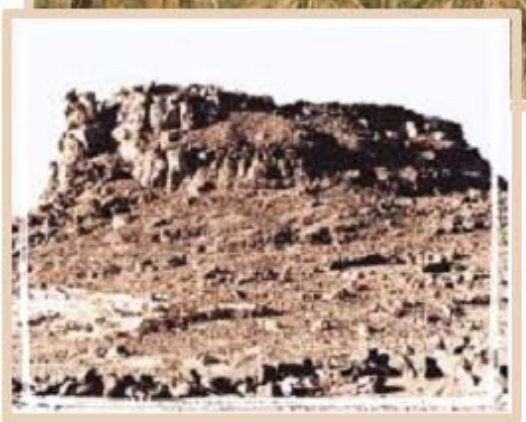

حصن سُلالم

ساحة شهداء خيبر

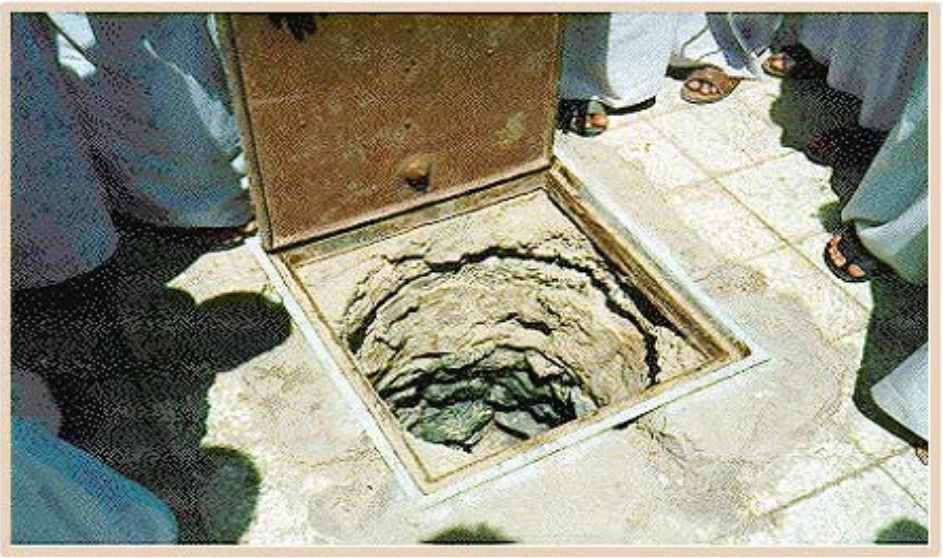

إحدى الآبار الموجودة في فدك

قال ابن سعد: غزاها رسول الله ﷺ في جمادى الأولىٰ سنة سبع من مِهاجَره.

وقال ابن إسحاق وأبو بكر البيهقي: في المحرم من السنة السابعة.

۞ الخروج إلىٰ خيبر[١]:

كان أهل خيبر يهوداً أهل مكر وغدر، يُضرب المثل فيهم في ذلك. وكانوا يُظاهرون دائماً علىٰ الرسول ﷺ ويحاربون الإسلام، ويدفعون أموالهم في سبيل ذلك، ولم يتركوا وسيلة إلاّ طرقوها لمحاربة وإيذاء الله والرسول ﷺ. فعند ذلك كان لا بد مِن مُنازلتهم وقتالهم، هم وأهل تَيْماء[٢].

فأمر رسول الله ﷺ أصحابه بالتهيؤ لغزو خيبر، وأَجْلَبَ[٣] مَن حوله يريدون الغزاة معه، وقال يومها: لا يخرجن معنا إلاّ راغب في الجهاد في سبيل الله، وشقّ ذلك علىٰ مَن بقي بالمدينة من اليهود.

قال ابن سعد والبيهقي: واستخلف يومها ﷺ علىٰ المدينة سِباع بن عُرْفطة الغفاري.

وقال ابن إسحاق: استخلف نُمَيْلة بن عبدالله الليثي.

وأخرج معه ﷺ مِن أزواجه أم سلمة رضي الله عنها.

۞ ارتجاز عامر بن الأكوع ودعاء الرسول ﷺ له واستشهاده:

قال ابن إسحاق: ولَمّا سار رسول الله ﷺ إلىٰ خيبر، قال في مسيره لعامر ابن الأكوع[٤] وهو عم سلمة بن عمرو بن الأكوع: انزل يا ابن الأكوع فَخُذْ لنا مِن

---

(١) هي علىٰ ثمانية بُرُد من المدينة، وكانت قلعة الحجاز ومزرعتها، أراضيها شاسعة وواسعة، ومنها تأتي التمور والبُرّ والشعير والزراعات، فيعيش أهل مكة والمدينة وما بينهما من خيراتها.

(٢) هي قرية من قرى الحجاز يسكنها اليهود، قريبة من الكدر إنما هي علىٰ رمل.

(٣) يقال: أَجْلَبَ القومُ إذا صاحوا واختلطت أصواتهم.

(٤) واسم الأكوع سنان.

هَناتك[١]. فنزل يرتجز برسول الله ﷺ فقال:

والله لـــولا الله مـــا اهتدينـــا ولا تَصَدَّقْنـــا ولا صَلَّيْنـــا

إنّـــا إذا قـــومٌ بَغَـــوْا علينـــا وإنْ أرادوا فتنـــة أَبَيْنـــا

فـــأَنْزِلَـــنْ ســـكينة علينـــا وثَبِّـــت الأقـــدام إنْ لاقينـــا

فقال رسول الله ﷺ: يرحمك ربك[٢]، قال: وما خصّ بها رسول الله ﷺ أحداً قط إلاّ استُشْهِدَ.

قال ابن إسحاق: فقال عمر بن الخطاب: وَجَبَتْ والله يا رسول الله، لو متّعتَنا بعامر.

فقُتِلَ يوم خيبر شهيداً، رَجَعَ سيفه عليه وهو يقاتل، فكَلَمه كَلْماً شديداً، فمات منه. فكان المسلمون قد شكّوا فيه وقالوا: إنما قتله سلاحه، حتىٰ سأل ابنُ أخيه سلمةُ بن عمرو بن الأكوع رسول الله ﷺ عن ذلك، وأخبره بقول الناس، فقال رسول الله ﷺ: إنه لَشهيد، وصلّىٰ عليه، فصلّىٰ عليه المسلمون.

❁ منازل رسول الله ﷺ في طريقه إلىٰ خيبر ومحاولة غطفان معونة خيبر:

قال ابن إسحاق: ولَمّا خرج رسول الله ﷺ من المدينة، سلك علىٰ عِصْر[٣]، فبُنِي له فيه مسجد.

ثم علىٰ الصهباء[٤]، ثم أقبل رسول الله ﷺ بجيشه حتىٰ نزل بوادٍ يقال له: الرجيع، فنزل بينهم وبين غطفان؛ لِيَحُولَ بينهم وبين أن يُمِدُّوا أهل خيبر، وكانوا لهم مظاهرين علىٰ رسول الله ﷺ.

---

(١) أي أخبارك وأمورك وأشعارك، وهي جمع هَنة، ويُكَنّىٰ بها عن كل شيء لا تعرف اسمه، أو تعرفه فتكني عنه. وأراد رسول الله ﷺ أن يَحْدو بهم، والإبل تُسْتَحَثّ بالحداء، ولا يكون الحداء إلاّ بشعر أو رجز.

(٢) وفي رواية البيهقي: غفر لك ربك.

(٣) بالكسر ويروى بالتحريك، والأول أشهر وأكثر، وهو جبل بين المدينة ووادي الفرع.

(٤) موضع بينه وبين خيبر رَوْحة.

قال ابن إسحاق: فلما سمعت غطفان بمنزل رسول الله ﷺ من خيبر جمعوا له، ثم خرجوا لِيُظاهروا[١] يهود عليه، حتىٰ إذا ساروا منقلة[٢] سمعوا خلفهم في أموالهم وأهليهم حِسّاً، وظنوا أن القوم قد خالفوا إليهم، فرجعوا علىٰ أعقابهم، فأقاموا في أهليهم وأموالهم، وخلّوا بين رسول الله ﷺ وبين خيبر.

۞ دعاء الرسول ﷺ لَمّا أشرف علىٰ خيبر وفرار أهلها:

قال ابن إسحاق: ولَمّا أشرف رسول الله ﷺ علىٰ خيبر قال لأصحابه: قِفُوا، فوقفوا ثم قال: اللهم رب السماوات وما أَظْلَلْنَ، ورب الأَرَضين وما أَقْلَلْنَ، ورب الشياطين وما أَضْلَلْنَ، ورب الرياح وما ذَرَيْن، فإنّا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها، ونعوذ بك مِن شرها وشر أهلها وشر ما فيها، أَقْدِموا باسم الله.

قال: وكان يقولها عليه الصلاة والسلام لكل قرية دخلها.

وقال ابن إسحاق في سنده إلىٰ أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا غزا قوماً لم يُغِرْ عليهم حتىٰ يصبح، فإنْ سمع أذاناً أَمْسَكَ، وإن لم يسمع أذاناً أغار. فنزلنا خيبر ليلاً، فبات رسول الله ﷺ حتىٰ إذا أصبح لم يسمع أذاناً، فركب وركبنا معه، فركبتُ خلف أبي طلحة وإنَّ قدمي لَتَمَسُّ قدم رسول الله ﷺ، واستقبلنا عمّالَ خيبر غادين قد خرجوا بمساحيهم[٣] ومَكاتلهم[٤]، فلما رأوا رسول الله ﷺ والجيش قالوا: محمد والخميس[٥] معه! فأدبروا هُرّاباً، فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر، خَرِبَتْ خيبر، إنّا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباحُ المُنْذَرين.

---

(١) أي ليعاونوا.

(٢) المنقلة هي المرحلة من مراحل السفر.

(٣) المساحي جمع مسحاة، وهي المجرفة من الحديد.

(٤) المكاتل جمع مكتل، وهي قفة كبيرة. ويقال: المكاتل الزنابيل.

(٥) هو الجيش، وسمي خميساً لأنه خمسة أقسام: المقدمة، والساقة، والميمنة، والميسرة، والقلب.

وقال ابن إسحاق في رواية أخرى: ولَمّا نزلﷺ بساحتهم لم يتحركوا تلك الليلة، ولم يَصِحْ لهم ديك حتىٰ طلعت الشمس، وأصبحوا وأفئدتهم تخفق، وفتحوا حصونهم، وغَدَوْا إلىٰ أعمالهم معهم المساحي والكرازن[١] والمكاتل. فلما نظروا إلىٰ رسول اللهﷺ قالوا: محمد والخميس! يعنون الجيش، فوَلَّوْا هاربين إلىٰ حصونهم، وجعل رسول اللهﷺ يُكَبِّر: الله أكبر خَرِبت خيبر، إنّا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذَرين.

ووعظ رسول اللهﷺ الناس، وفرّق فيهم الرايات، ولم تكن الرايات إلاّ يوم خيبر، وإنما كانت الألوية[٢].

فكانت راية رسول اللهﷺ السوداء مِن بُرْد عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها تُدْعىٰ العُقاب، ولواؤه أبيض دفعه إلىٰ علي بن أبي طالب، وراية إلىٰ الحباب بن المنذر، وراية إلىٰ سعد بن عبادة.

وكان شعار المسلمين يومئذ: (يا منصور، أَمِتْ أَمِتْ).

۞ ذِكْرُ حصون خيبر ومقتل مرحب اليهودي وأخيه ياسر:

كانت حصون خيبر حصوناً ذوات عدد، منها: النَّطاة، وحصن الصَّعْب بن معاذ، وحصن ناعم، وحصن قلعة الزبير، وهذه حصون النَّطاة. وحصن الشِّقّ، وبه حصون منها: حصن أُبَيّ، وحصن النِّزار. وحصن الكَتِيبة منها: القَموص، والوَطيح، وسُلالم[٣].

قال ابن إسحاق بسنده: وخرج مرحب اليهودي من حصنهم، قد جَمَعَ سلاحه وهو يقول:

---

(١) هي الفؤوس.

(٢) قال في المصباح: لواء الجيش عَلَمه، وهو دون الراية.

(٣) في معجم البكري ج٤ ص١٣١٢: النَّطاة بفتح أوله وبهاء التأنيث في آخره: وادٍ بخيبر، وفي معجم البلدان قال الزمخشري: نَطاة حصن بخيبر، وقيل: عَيْن بها تسقي بعض نخيل قراها. والشِّقّ في معجم البكري ج٣ ص٨٠٥ بكسر أوله وتشديد ثانيه: وادٍ بخيبر، وكان في سهم النبيﷺ. والكَتِيبة في معجم البكري ج٤ ص١١١٥ بفتح أوله وكسر ثانيه: حصن من حصون خيبر.

قــد عَلِمَــتْ خيــبرُ أنــي مَرْحَــبُ شــاكي الســلاح بطــلٌ مُجَــرَّبُ
أَطعــن أحيانــاً وحِينــاً أَضْــرِبُ إذا الليــوث أقبلــت تَحَــرَّبُ[١]
إنَّ حِمايَ لَلْحِمىٰ لا يُقْرَبُ

ثم يقول: هل مَنْ يبارز؟ فأجابه كعب بن مالك وهو يقول:

قــد عَلِمَــتْ خيــبر أنــي كعــب مُفَــرِّج الغُمَّــىٰ[٢] جــريءٌ صُلْــبُ
إذ شَــبَّت الحــرب[٣] تليــها الحــرب معــي حســام كــالعقيق[٤] عَضْــبُ[٥]
نَطَؤُكــم حتــىٰ يَــذِلّ الصَّعْــب نعطــي الجــزاء أو يَفِــيءَ النــهب[٦]
بكفِّ ماضٍ ليس فيه عَتْبُ[٧]

قال ابن إسحاق بسنده عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: فقال رسول الله ﷺ: مَن لهذا؟ فقال محمد بن مسلمة: أنا له يا رسول الله، أنا والله المَوْتور الثائر، قَتَلَ أخي بالأمس. قال: فقُمْ إليه، اللهم أَعِنْهُ عليه. فخرج إليه حتىٰ دنا منه، فحمل مرحبُ عليه فضربه، فاتّقاه بالدَّرقة فأمسكتْ سيفه، وضربه محمد بن مسلمة فقتله.

وقيل: إن الذي قتل مرحب علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما سنذكر إن شاء الله تعالىٰ.

---

(١) أي تغضب.

(٢) أي الكرب والشدة.

(٣) أي أُثيرت.

(٤) قال أبو ذر الخُشَني: العقيق هنا جمع عقيقة، وهي شعاع البرق، شبّه السيف به.

(٥) أي قاطع.

(٦) ما انْتُهب من الأموال.

(٧) أي ليس فيه ما يُلام عليه.

۞ شأن علي رضي الله عنه يوم خيبر:

يروى أن رسول الله ﷺ أعطىٰ اللواء يوم خيبر عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه ، ونهض مَن نهض معه مِن الناس فلقوا أهل خيبر، فانكشف عمر وأصحابه، فرجعوا إلىٰ رسول الله ﷺ يُجَبِّنُه أصحابه ويُجَبِّنُهم، وكان رسول الله ﷺ قد أَخَذَتْهُ الشقيقة[1] فلم يخرج إلىٰ الناس، فأخذ أبو بكر رضي الله عنه راية رسول الله ﷺ، ثم نهض فقاتل قتالاً شديداً، ثم رجع فأخذها عمر رضي الله عنه، فقاتل قتالاً شديداً أشد من القتال الأول، ثم رجع فأخبر رسول الله ﷺ ذلك فقال: أما والله لأُعْطِيَنّ الراية غداً رجلاً يحب اللهَ ورسولَه، ويحبه اللهُ ورسولُه، يأخذها عنوة.

وفي رواية قال: يفتح الله علىٰ يديه.

فبات الناس يَدُوكون ليلتهم: أيهم يُعطاها؟ فيقول عمر: ما أحببتُ الإمارة إلاّ يوم ذاك، كنت أقف علىٰ رؤوس أصابعي بين الرجال ليراني رسول الله ﷺ.

فلما أصبحوا غَدَوْا علىٰ رسول الله ﷺ، كلهم يرجو أن يُعطاها، فقال رسول الله ﷺ: أين علي بن أبي طالب؟ فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه. قال: فأرسل رسول الله ﷺ إليه سلمة بن الأكوع، فدعاه فجاء علىٰ بعير له حتىٰ أناخ قريباً من رسول الله ﷺ، وهو أرمد قد عصب عينيه بشقّة بُرد قَطَريّ[2].

قال سلمة: فجئتُ به أقوده إلىٰ رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: ما لك؟ قال: رمدتُ، فقال: ادْنُ مني، فدنا منه، فتفل في عينيه ودعا له، فبَرِئَ حتىٰ كأنْ لم يكن به وجع، وما وَجِعَهما حتىٰ مضىٰ لسبيله. ثم أعطاه الراية وقال له: امْضِ حتىٰ يفتح الله عليك، فقال: يا رسول الله، أُقاتلهم حتىٰ يكونوا مِثْلنا؟ قال: انْفُذْ علىٰ رِسْلك حتىٰ تنزل بساحتهم، ثم ادْعُهُم إلىٰ الإسلام وأَخْبِرْهم بما يجب عليهم من حق الله، فوالله لأَنْ يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك مِن حُمْر النَّعَم.

---

(١) نوع من صداع يعرض في مقدم الرأس وإلىٰ أحد جانبيه.

(٢) هو نوع من البرود يُنسب إلىٰ قرية يقال لها: قطر، وهي بين عُمان والعقير.

ومن رواية ابن إسحاق عن سلمة بن الأكوع قال: فنهض علي بالراية وعليه حُلّة أرجوان حمراء، وقد أخرج خَمْلها[١]. فأتىٰ مدينة خيبر، وخرج مرحبُ صاحب الحصن وعليه مِغْفَرٌ مُعَصْفَر، وحجرٌ قد ثَقَبَه مِثْل البيضة علىٰ رأسه، وهو يرتجز ويقول:

قد عَلِمَتْ خيبر أني مَرْحَب شاكي السلاح بطلٌ مُجَرَّبُ
أَطعن أحياناً وحيناً أَضرب إذا الحروب أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ
كان حِماي كالحمىٰ لا يُقْرَبُ

فبرز له علي بن أبي طالب فقال:

أنا الذي سَمَّتْني أُمي حَيْدَرَهْ[٢] كليثِ غابات شديد قَسْوَرَهْ[٣]
أَكِيلُكُم بالسيف كَيْل السَّنْدَرَهْ[٤]

فاختلفا ضربتين، فبَدَرَه عليرضي الله عنه فضربه، فقدّ الحجر والمغفر، وفلق رأسه حتىٰ أخذ السيفُ في الأضراس.

ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر، وهو يرتجز ويقول:

قد عَلِمَتْ خيبر أني ياسر شاكي السلاح بطلٌ مُغامِرُ[٥]
إذا الليوث أقبلتْ تُبادر إنَّ حِماي فيه موتٌ حاضِرُ

وهو يقول: هل مِن مبارز؟ فخرج إليه الزبير بن العوام وهو يقول:

---

(١) الخَمل: هدب القطيفة ونحوها مِمّا يُنسج وتفضل له فضول.

(٢) الحَيْدَرة: الأسد، وقال ابن الأعرابي: الحيدرة في الأسد مِثْل المَلِك في الناس. وكان مرحب قد رأى في منامه أن الأسد أكله.

(٣) القَسْوَرة: العزيز يقتسر غيره، أي يَقْهره.

(٤) السَّنْدرة: مكيال كبير.

(٥) أي مقاتل كثير الغارات.

قــد عَلِمَــتْ خيــبر أنــي زَبّــارْ قَــرْمٌ[١] لقــوم غــير نِكْــسٍ[٢] فــرّار
أيــن حُمــاة المجــد أيــن الأخيــار[٣] ياســر لا يَغْــرُرْك جمــع الكفــار
فجَمْعُهم مِثْل السرابي الخَتّار[٤]

فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب: أَيُقْتَل ابني يا رسول الله؟ قال: بل ابنك يَقْتُله إن شاء الله. ثم التقيا، فقَتَله الزبير.

ومِن رواية أخرى عن سلمة قال: فخرج عليرضي الله عنه يهرول هرولة وإنّا لَخلفه نتبع أَثَره، حتىٰ ركز رايته في رضْمٍ مِن حجارة تحت الحصن، فاطّلع إليه يهودي من رأس الحصن فقال: مَنْ أنت؟ قال: أنا علي بن أبي طالب، فقال اليهودي: عَلَوْتُم وما أُنزل علىٰ موسىٰ.

وقال ابن إسحاق أيضاً والطبري في تاريخه من رواية أبي رافع مولىٰ رسول اللهﷺ قال: خرجنا مع عليرضي الله عنه حين بعثه رسول اللهﷺ برايته، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم، فضربه رجل من يهود فطرح تُرْسَه مِن يده، فتناول علي باباً كان عند الحصن فتَرَّسَ به عن نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتىٰ فتح الله عليه، ثم ألقاه مِن يده حين فرغ. فلقد رأيتُني في نفر معي سبعة أنا ثامنهم نَجْهَدُ علىٰ أن نقلب ذلك الباب فما نَقْلِبُه.

وروى الحاكم والبيهقي وابن أبي شيبة في مصنفه عن جابررضي الله عنه: أن علياً حمل الباب يوم خيبر حتىٰ صعد المسلمون ففتحوها، وأنه جرّب بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلاً.

وفي رواية للبيهقي: فاجتمع عليه بعده سبعون رجلاً، فكان جَهْدُهم أنْ أعادوا الباب[٥].

---

(١) القرم هنا هو السيد.

(٢) النِّكْس: الضعيف.

(٣) وفي الطبري: (أين حُماة المجد وأين الأخيار).

(٤) أي الخدّاع.

(٥) ذكرها ابن حجر في فتح الباري.

۞ خبر أبي اليَسَر كعب بن عمرو:

قال ابن إسحاق في سنده يرفعه إلىٰ أبي اليَسَر كعب بن عمرو قال: إني لَمَعَ رسول الله ﷺ بخيبر ذات عَشِيّة، إذ أقبلتْ غنم لرجل من يهود تُريد حصنهم ونحن محاصروهم، فقال رسول الله ﷺ: مَنْ رجل يطعمنا مِن هذه الغنم؟ قال أبو اليَسَر: فقلت: أنا يا رسول الله، قال: فافعل.

قال: فخرجتُ أشتد مِثْل الظَّليم[1]، فلما نظر إليّ رسول الله ﷺ مُوَلِّياً قال: اللهم أَمْتِعْنا به. قال: فأدركتُ الغنم وقد دخلتْ أَوَّلُها الحصن، فأخذتُ شاتين مِن آخرها، فاحْتَضَنْتُهما تحت يدي، ثم جئت بهما أشتدّ كأنه ليس معي شيء حتىٰ ألقيتهما عند رسول الله ﷺ، فذبحوهما فأكلوهما.

۞ شأن بني سَهْم الأسلميين:

قال محمد بن إسحاق وأبو بكر البيهقي وغيرهما: إن بني سهم مِن أسلم أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، جهدنا وما بأيدينا مِن شيء. فلم يجدوا عند رسول الله ﷺ شيئاً يُعطيهم إيّاه، فقال: اللهم إنك عرفتَ حالهم، وأنْ ليست بهم قوة، وأنَّ ليس بيدي شيء أُعطيهم إياه، فافتح عليهم أعظم حصونها غناء، وأكثرها طعاماً ووَدَكاً[2].

فغدا الناس، ففُتِحَ عليهم حصن الصَّعْب بن معاذ، وما بخيبر حصن كان أكثر منه طعاماً ووَدَكاً.

۞ افتتاح حصن النَّطاة:

قال البيهقي: وافتتح رسول الله ﷺ حصن ناعم، فانتقل مَن كان مِن يهود بحصن

---

(١) هو ذَكَر النعام.

(٢) الوَدَك: الدَّسم.

الصَّعْب بن معاذ وحصن ناعم إلىٰ قلعة الزبير.

ويقال: حصن ناعم أول ما افْتُتِحَ مِن حصونهم، وعنده قُتِلَ محمود بن مسلمة، أُلْقِيَتْ عليه رَحاً منه فمات.

قال ابن إسحاق: وحصن الزبير حصن منيع في رأس قُلّة[1]، فحاصرهم رسول الله ﷺ به ثلاثة أيام، فجاءه رجل من اليهود يقال له: غزال فقال: يا أبا القاسم، تُؤَمِّنُني علىٰ أنْ أَدُلَّك علىٰ ما تستريح به من أهل النَّطاة وتخرج إلىٰ أهل الشِّقّ؟ فإن أهل الشِّقّ قد هلكوا رُعباً منك. فأمّنه رسول الله ﷺ علىٰ أهله وماله، فقال اليهودي: إنك لو أقمتَ شهراً ما بالوا، لهم دُبول[2] تحت الأرض يخرجون بالليل فيشربون منه، ثم يرجعون إلىٰ قلعتهم فيمتنعون منك، فإذا قطعتَ مشربهم عليهم أَصْحَروا[3] لك.

فسار رسول الله ﷺ إلىٰ دُبولهم فقَطَعَها، فلما قطع عليهم مشاربهم خرجوا فقاتلوا أشد قتال، وقُتِلَ من المسلمين يومئذ نفر، وأُصيب من يهود في ذلك اليوم عشرة، وافتتحه رسول الله ﷺ، فكان آخر حصونهم النَّطاة.

۞ افتتاح حصن الشِّقّ:

فلما فرغ رسول الله ﷺ من النَّطاة، تحوّل إلىٰ أهل الشِّقّ وبه حصون، فكان أول حصن بدأ به ﷺ حصن أُبَيّ. فقام رسول الله ﷺ علىٰ قلعة يقال لها: سَمْوان، فقاتل عليها أهل الحصن قتالاً شديداً.

وخرج رجل من اليهود يقال له: غزول، فدعا إلىٰ البراز، فبرز له الحُباب بن المنذر، فاختلفا ضربات، ثم حمل عليه الحباب فقطع يده اليمنىٰ مِن نصف الذراع، فسقط السيف

---

(١) والتصويب من دلائل النبوة، وجاء في شرح المواهب اللدنية ج٢ ص٢٧٤ في هذا الحصن: وكان اسمه حصن قُلّة؛ لكونه كان علىٰ رأس جبل.

(٢) جمع دَبْل، وهو الجدول من الماء.

(٣) أي برزوا في الصحراء.

من يده وهرب إلىٰ الحصن، فتَبِعَه الحباب فقطع عُرْقوبَيْه فوقع، فذفّف عليه.

فخرج آخرُ فصاح: مَنْ يبارز؟ فبرز له رجل من المسلمين من آل جحش، فقُتل الجحشي وقام مكانه يدعو إلىٰ البراز، فبرز له أبو دجانة قد عصب رأسه بعصابة حمراء فوق المغفر، يختال في مشيته. فبدره أبو دجانة فضربه فقطع رجليه، ثم ذفّف عليه وأخذ سَلَبه: درعه وسيفه، فنفله رسول الله ﷺ ذلك.

وأحجموا عن البِراز، فكبّر المسلمون ثم تحاملوا علىٰ الحصن، فدخلوه يَقْدُمُهم أبو دجانة الأنصاري، فوجدوا فيه أثاثاً ومتاعاً وغنماً وطعاماً، وهرب مَن كان فيه مِن المقاتلة، وتَقَحّموا الجُدُر كأنهم الظِّباء إلىٰ حصن النِّزار، فغلّقوه وامتنعوا فيه.

وزحف رسول الله ﷺ في أصحابه فقاتلهم، فكانوا أشد أهل الشِّقّ رمياً بالنبال والحجارة، حتىٰ أصاب النَّبْلُ ثيابَ رسول الله ﷺ وعلقتْ به، فأخذ النَّبْل فجمعها، ثم أخذ كفاً مِن حصباء فحصب به حصنهم، فرجف الحصن بهم ثم ساخ في الأرض، حتىٰ جاء المسلمون فأخذوا أهله أخذاً.

۞ افتتاح حصن الكَتِيبة:

ثم تحوّل رسول الله ﷺ إلىٰ أهل الكَتِيبة فافْتَتَح القَموص حصن أَبي الحُقَيْق، وأُتِيَ رسول الله ﷺ منه بصفية بنت حيي بن أخطب، وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبي الحُقَيْق، فاصطفاها النبي ﷺ لنفسه.

ولَمّا افتتح رسول الله ﷺ مِن حصونهم ما افتتح وحاز من الأموال ما حاز، انتهىٰ بذلك إلىٰ حِصْنَيْهم الوَطيح وسُلالم، وكانا آخر حصون أهل خيبر افتتاحاً، وكانا مليئين بالأموال، وقد اجتمع فيهما اليهود كلهم الذين هربوا من الحصون الأخرى. فحاصرهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة، حتىٰ إذا أيقنوا بالهَلَكة سألوا رسول الله ﷺ أن يُسَيِّرهم، وأن يحقن دماءهم.

قال البيهقي: حاصرهم رسول الله ﷺ أربعة عشر يوماً وهم لا يطلعون من حصونهم، حتىٰ همّ رسول الله ﷺ أن ينصب عليهم المنجنيق، فأرسل زعيمهم كنانة بن الربيع بن

أبي الحُقَيْق يطلب أن يقابل النبيﷺ. فنزل كنانة فصالح رسول اللهﷺ علىٰ حقن دمائهم، وعلىٰ أن يُتْرَكوا بدون أن يُقاتَلوا، فيخرجوا من خيبر بنسائهم وذراريهم، وأن يُخَلّوا بين النبيﷺ وبين ما كان فيها من أموال وأرض، وعلىٰ الصفراء والبيضاء[١] والكُراع[٢] والحَلْقة[٣]، وعلىٰ البَزِّ إلاّ ثوباً علىٰ ظهر إنسان. فقَبِلَ النبيﷺ ذلك وقال له: وبَرِئَتْ منكم ذمة الله وذمة رسوله إنْ كَتَمْتُموني شيئاً، فصالحوه علىٰ ذلك.

قال محمد بن إسحاق: ولَمّا نزل أهل خيبر علىٰ الصلح سألوا رسول اللهﷺ أن يعاملهم في الأموال علىٰ النصف، علىٰ أنّا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم.

۞ خبر مقتل كنانة بن الربيع بن أبي الحُقَيْق:

قال ابن إسحاق: وأُتِيَ رسول اللهﷺ بكنانة بن الربيع وكان عنده كنز بني النضير، فسأله عنه فجحد أن يكون يعرف مكانه وقال: نفد في النفقة والحروب، فقال رسول اللهﷺ: كان أكثر من ذلك.

ثم جاء رجل من يهود إلىٰ رسول اللهﷺ فقال له: يا رسول الله، إني رأيتُ كنانة يُطيف بهذه الخَرِبة كل غداة. فقال رسول اللهﷺ لكنانة: أرأيتَ إنْ وجدناه عندك أأقتُلك؟ قال: نعم. فأمر رسول اللهﷺ بالخَرِبة فحُفِرَتْ، فأخرج منها بعض كنزهم، ثم سأل كنانة عمّا بقي فأبىٰ أن يُؤَدِّيَه، فأمر رسول اللهﷺ الزبير بن العوام به فقال: عَذِّبْه حتىٰ تستأصل ما عنده. فكان الزبير يقدح بزَنْد في صدره حتىٰ أشرف علىٰ نفسه ورفض أن يدلي بشيء، فدفعه رسول اللهﷺ إلىٰ محمد بن مسلمة، فضرب عنقه بأخيه محمود.

---

(١) أي الذهب والفضة.

(٢) هو الخيل.

(٣) هو السلاح كله.

۞ خبر زواج النبي ﷺ من صفية بنت حيي بن أخطب:

وكان من قصة صفية بنت حيي النضرية، أن رسول الله ﷺ لَمّا أَجْلىٰ يهود بني النضير من المدينة كما تقدّم[١]، فذهب عامتهم إلىٰ خيبر وفيهم حيي بن أخطب وبنو أبي الحُقَيْق، وكانوا ذوي أموال وشرف في قومهم، وكانت صفية إذ ذاك طفلة دون البلوغ. ثم لَمّا تأهّلت للتزويج تزوّجها بعض بني عمها، فلما زُفّت إليه وأُدخلت إليه بنىٰ بها. ومضىٰ علىٰ ذلك ليالي، فرأتْ في منامها كأنّ قمر السماء قد سقط في حِجْرها، فقصّت رؤياها علىٰ ابن عمها، فلطم وجهها وقال: أَتَتَمَنّين مَلِك يثرب أن يصير بَعْلَكِ؟

فما كان إلاّ مجيء رسول الله ﷺ وحصاره إياهم، فكانت صفية في جملة السبي، وكان زوجها في جملة القتلىٰ.

ولَمّا اصطفاها رسول الله ﷺ وصارت في حَوْزه ومُلْكه، وبنىٰ بها بعد استبرائها وحلّها، وجد أثر تلك اللطمة في خدها، فسألها: ما شأنها؟ فذكرتْ له ما كانت رأت من تلك الرؤيا.

قال البخاري في سنده إلىٰ أنس بن مالك رضي الله عنه: صلّىٰ النبي ﷺ الصبح قريباً من خيبر بغَلَسٍ، ثم قال: الله أكبر خَرِبَتْ خيبر، إنّا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذَرين. فخرجوا يسعون في السِّكَك، فقَتَلَ النبي ﷺ المقاتلة وسبىٰ الذرية، وكان في السبي صفية فصارت إلىٰ دحية الكلبي، ثم صارت إلىٰ النبي ﷺ، فجعل عِتْقَها صَداقها[٢].

وقال البخاري أيضاً في سنده إلىٰ أنس بن مالك رضي الله عنه: قدمنا خيبر، فلما فتح رسول الله ﷺ الحصن ذُكِرَ له جمال صفية بنت حيي بن أخطب، وقد قُتِلَ زوجها وكانت عروساً، فاصطفاها النبي ﷺ لنفسه، فخرج بها حتىٰ بلغنا سَدَّ الصهباء حَلَّتْ، فبنىٰ بها رسول الله ﷺ، ثم صنع حَيْساً في نِطَع[٣] صغير، ثم قال لي: آذِنْ مَنْ حَوْلَكَ، فكانت تلك وليمته

---

(١) انظر الجزء الرابع من الكتاب ص٣٥٤.

(٢) رواه مسلم كذلك.

(٣) يقال بفتح الطاء وسكونها، وهو بساط من الجلد توضع عليه الوليمة.

علىٰ صفية. ثم خرجنا إلىٰ المدينة، فرأيت النبيﷺ يُحَوِّي لها وراءه بعباءة، ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبته، وتضع صفية رجلها علىٰ ركبته حتىٰ تركب.

وفي رواية كذلك للبخاري عن أنسﷺ قال: أقام رسول اللهﷺ بين خيبر والمدينة ثلاث ليال يُبْنىٰ عليه بصفية، فدعوتُ المسلمين إلىٰ وليمته وما كان فيها من خبز ولا لحم، وما كان فيها إلاّ أنْ أَمَرَ بلالاً بالأنطاع فبُسِطَتْ، فألقىٰ عليها التمر والأَقِطَ والسَّمْن، فقال المسلمون: إحدى أمهات المؤمنين أو ما مَلَكَتْ يمينه؟ فقالوا: إنْ حَجَبَها فهي إحدى أمهات المؤمنين، وإنْ لم يحجبها فهي مِمّا ملكت يمينه. فلما ارتحل وَطَّأَ لها خلفه ومَدَّ الحجاب.

وفي رواية لأبي داود يرفع سندها إلىٰ أنس بن مالكﷺ قال: جُمِعَ السبي، فجاء دحية فقال: يا رسول الله، أَعْطِني جارية من السبي. قال: اذهب فخُذْ جارية، فأخذ صفية بنت حيي، فجاء رجل إلىٰ رسول اللهﷺ فقال: يا نبي الله، أَعْطَيْتَ دحية صفية بنت حيي سيدة قريظة والنضير؟! ما تصلح إلاّ لك. قال: ادْعُ بها، فلما نظر إليها النبيﷺ قال: خُذْ جارية من السبي غيرها، وإنّ رسول اللهﷺ أعتقها وتزوّجها.

وقال ابن إسحاق: فلما افتتح رسول اللهﷺ القَموص حصن بني أبي الحُقَيْق، أُتِيَ بصفية بنت حيي بن أخطب وأخرى معها، فمرّ بهما بلال - وهو الذي جاء بهما - علىٰ قتلىٰ مِن قتلىٰ يهود، فلما رأتهم التي مع صفية صاحت وصكّتْ وجهها، وحَثَتِ التراب علىٰ رأسها. فلما رآها رسول اللهﷺ قال: أَعْزِبوا عني هذه الشيطانة، وأمر بصفية فحِيزَتْ خلفه وألقىٰ عليها رداءه، فعرف المسلمون أن رسول اللهﷺ قد اصطفاها لنفسه. وقال رسول اللهﷺ لبلال حين رأى بتلك اليهودية ما رأى: أَنُزِعَتْ منك الرحمة يا بلال حتىٰ تمر بامرأتين علىٰ قتلىٰ رجالهما؟

قال ابن إسحاق: ولَمّا أَعْرَسَ رسول اللهﷺ بصفية بخيبر أو ببعض الطريق، وكانت التي جمّلتها لرسول اللهﷺ ومشّطتها وأصلحتْ مِن أمرها أم سليم بنت ملحان، أم أنس بن مالك. فبات بها رسول اللهﷺ في قبة له، وبات أبو أيوب خالد بن زيد أخو بني النجار متوشحاً سيفه، يحرس رسول اللهﷺ ويُطيف بالقبة حتىٰ أصبح رسول اللهﷺ، فلما رأى مكانه قال: ما لك يا أبا أيوب؟ قال: يا رسول الله، خِفْتُ عليك من هذه المرأة،

وكانت امرأة قد قَتَلْتَ أباها وزوجها وقومها، وكانت حديثة عهد بكفر، فخِفْتُها عليك. فزعموا أن رسول الله ﷺ قال: اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظني.

۞ ذكر ما نَهَىٰ عنه رسول الله ﷺ يوم خيبر:

ورد في الصحيحين أن رسول الله ﷺ نهىٰ عن نكاح المتعة يوم خيبر، وعن لحوم الحمر الأهلية.

وقد ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ أَذِنَ لهم في المتعة زمن الفتح، ثم لم يخرج من مكة حتىٰ نهىٰ عنها، وقال: إن الله قد حرّمها إلىٰ يوم القيامة.

فعلىٰ هذا يكون قد نهىٰ عنها، ثم أَذِنَ فيها، ثم حُرّمت. فيلزم النسخ مرتين وهو بعيد؛ لهذا قال الشافعي رحمه الله تعالىٰ: لا أعلم شيئاً أُبيح ثم حُرِّمَ، ثم أُبيح ثم حُرِّمَ، غير نكاح المتعة.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبدالله بن عمرو بن ضمرة الفزاري عن عبدالله بن أبي سليط عن أبيه قال: أتانا نهي رسول الله ﷺ عن أكل لحوم الحمر الإنسية والقدورُ تفور بها، فكَفَأْناها علىٰ وجوهها.

وقال ابن إسحاق: وحدثني عبدالله بن أبي نجيح عن مكحول أن رسول الله ﷺ نهاهم يومئذ عن أربع: عن إتيان الحبالىٰ من السبايا، وعن أكل الحمار الأهلي، وعن أكل كل ذي ناب من السباع، وعن بيع المغانم حتىٰ تُقْسَم.

وقال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن أبي حبيب عن أبي مرزوق مولىٰ تُجِيب عن حنش الصنعاني قال: غزونا مع رُويفع بن ثابت الأنصاري المغرب، فافتتح قرية من قرى المغرب يقال لها: جِربة، فقام فينا خطيباً فقال: يا أيها الناس، إني لا أقول فيكم إلاّ ما سمعتُ من رسول الله ﷺ يقوله فينا يوم خيبر، قام فينا رسول الله ﷺ فقال: لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يَسْقي ماؤه زرعَ غيره - يعني إتيان الحبالىٰ من السبايا -، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصيب امرأة من السبي حتىٰ يستبرئها، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيع مغنماً حتىٰ يُقْسَم، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله

واليوم الآخر أن يركب دابة مِنْ فَيْء المسلمين حتىٰ إذا أَعْجَفَها[١] ردّها فيه، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يلبس ثوباً مِن فَيْء المسلمين حتىٰ إذا أَخْلَقَه ردّه فيه.

وقال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن عبدالله بن قُسَيط أنه حدّث عن عبادة بن الصامت قال: نهانا رسول الله ﷺ يوم خيبر عن أن نَبيع أو نَبْتاع تِبْرَ الذهب بالذهب العين، وتِبْر الفضة بالوَرِق العين، وقال: ابتاعوا تِبْر الذهب بالوَرِق العين، وتِبْر الفضة بالذهب العين.

❁ قصة الشاة المسمومة:

قال الإمام أحمد يرفعه بسنده إلىٰ أبي هريرة رضي الله عنه قال: لَمّا فُتِحَتْ خيبر أُهْدِيَتْ إلىٰ النبي ﷺ شاة فيها سم، فقال رسول الله ﷺ: اجمعوا لي مَن كان ها هنا مِن يهود، فجُمِعوا له، فقال النبي ﷺ: إني سائلكم عن شيء، فهل أنتم صادقيّ عنه؟ قالوا: نعم يا أبا القاسم، فقال لهم رسول الله ﷺ: مَنْ أبوكم؟ قالوا: أبونا فلان، فقال رسول الله ﷺ: كذبتم، بل أبوكم فلان. قالوا: صدقتَ وبَرِرْتَ، فقال: هل أنتم صادقيّ عن شيء إذا سألتكم عنه؟ قالوا: نعم يا أبا القاسم، وإنْ كذبنا عرفتَ كذبنا كما عرفتَه في أَبِينا. فقال رسول الله ﷺ: مَنْ أهل النار؟ فقالوا: نكون فيها يسيراً ثم تخلفونا فيها، فقال لهم رسول الله ﷺ: والله لا نخلفكم فيها أبداً. ثم قال لهم: هل أنتم صادقيّ عن شيء إذا سألتكم؟ فقالوا: نعم يا أبا القاسم، فقال: هل جعلتم في هذه الشاة سُمّاً؟ فقالوا: نعم، قال: ما حملكم علىٰ ذلك؟ قالوا: أردنا إن كنتَ كاذباً أن نستريح منك، وإن كنت نبياً لم يضرك[٢].

وفي رواية عن البخاري يرفع سندها إلىٰ أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً أن امرأة من يهود أَهْدَتْ لرسول الله ﷺ شاة مسمومة، فقال لأصحابه: أَمْسِكوا فإنها مسمومة، وقال لها: ما حَمَلَكِ علىٰ ما صنعتِ؟ قالت: أردتُ أن أعلم إن كنتَ نبياً فسيطلعك الله عليه،

---

(١) أي أَهْزَلها وأضعفها.

(٢) وأورده البخاري مختصراً.

وإن كنتَ كاذباً أُريح الناس منك. قال: فما عرض لها رسول الله ﷺ[١].

وفي الصحيحين أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها، فجيء بها إلىٰ رسول الله ﷺ فسألها عن ذلك، قالت: أردتُ لأقتلك، فقال: ما كان الله لِيُسَلِّطَكِ عليّ - أو قال: علىٰ ذلك -. قالوا: ألاَ تقتلها؟ قال: لا. قال أنس: فما زلت أعرفها في لَهَوات رسول الله ﷺ.

وروى البيهقي بسند يرفعه إلىٰ عبد الرحمن بن كعب بن مالك أن امرأة يهودية أَهْدَتْ إلىٰ رسول الله ﷺ شاة مَصْلِيَّة[٢] بخيبر، فقال: ما هذه؟ قالت: هدية، وحَذِرَتْ أن تقول: صدقة فلا يأكل. قال: فأكل وأصحابُه ثم قال: أَمْسِكوا، ثم قال للمرأة: هل سَمَمْتِ؟ قالت: مَنْ أخبرك هذا؟ قال: هذا العَظْم، لِساقها وهو في يده. قالت: نعم، قال: لِمَ؟ قالت: أردتُ إنْ كنتَ كاذباً أن نستريح منك، وإنْ كنتَ نبياً لم يضرك. قال: فاحتجم رسول الله ﷺ علىٰ الكاهل، وأمر أصحابه فاحتجموا، ومات بعضهم[٣].

قال الزهري: فأسلمتْ، فتركها النبي ﷺ.

وقال الحافظ أبو بكر البزار في رواية يرفعها إلىٰ أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنَّ يهودية أَهْدَتْ إلىٰ رسول الله ﷺ شاة سميطاً، فلما بسط القومُ أيديهم قال رسول الله ﷺ: أمسكوا، فإنّ عُضْواً مِن أعضائها يخبرني أنها مسمومة. فأرسل إلىٰ صاحبتها: أَسَمَمْتِ طعامك؟ قالت: نعم، قال: ما حَمَلَكِ علىٰ ذلك؟ قالت: إنْ كنتَ كاذباً أن أُريح الناس منك، وإنْ كنتَ صادقاً علمتُ أن الله سيطلعك عليه. فبسط يده ﷺ وقال: كُلُوا باسم الله. قال: فأكلنا وذَكَرْنا اسم الله، فلم يضرّ أحداً منا.

وقال محمد بن إسحاق: فلما اطمأنّ رسول الله ﷺ أَهْدَتْ له زينب ابنة الحارث - امرأةُ سلاّم بن مِشْكم - شاة مَصْلِيّة، وقد سألت: أيّ عضو من الشاة أَحَبّ إلىٰ رسول الله ﷺ؟

---

(١) ورواه أيضاً أبو داود، وروى البيهقي عن جابر بن عبدالله نحواً من ذلك.

(٢) أي مشوية.

(٣) قال البيهقي: هذا حديث مرسل، ولعله قد يكون عبد الرحمن حَمَلَه عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه.

فقيل لها: الذراع، فأكثرتْ فيها من السم، ثم سمّت سائر الشاة، ثم جاءت بها. فلما وضعتْها بين يدي رسول الله ﷺ تناول الذراع، فلاك منها مُضْغة فلم يَسْتَسِغْها، ومعه بِشْر بن البراء بن معرور قد أخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ، فأما بِشْر فأساغها، وأما رسول الله ﷺ فلفظها ثم قال: إن هذا العظم يخبرني أنه مسموم. ثم دعا بها فاعترفت، فقال: ما حَمَلَكِ علىٰ ذلك؟ قالت: بَلَغْتَ من قومي ما لم يَخْفَ عليك، فقلت: إنْ كان مَلِكاً استرحتُ منه، وإن كان نبياً فسيُخْبَر. قال: فتجاوز عنها رسول الله ﷺ، ومات بِشْر مِن أَكْلَته التي أكل.

قال ابن إسحاق: وحدّثني مروان بن عثمان بن أبي سعيد بن المعلىٰ قال: كان رسول الله ﷺ قد قال في مرضه الذي توفي فيه، ودخلت أم بشر بنت البراء بن معرور تعوده: يا أم بشر، إن هذا الأوان وجدتُ فيه انقطاع أبهري مِنَ الأَكْلة التي أكلتُ مع أخيك بخيبر[1].

قال: فإن كان المسلمون لَيرَوْن أن رسول الله ﷺ مات شهيداً مع ما أكرمه الله به من النبوة.

❁ مصالحة رسول الله ﷺ أهل فَدَك:

قال ابن إسحاق: ولَمّا سمع أهل فَدَك أن رسول الله ﷺ افتتح حصون خيبر، بعثوا إلىٰ رسول الله ﷺ يسألونه أن يُسَيِّرَهم، وأن يحقن دماءهم، ويُخَلّوا له الأموال. وكان مِمّن مشىٰ بين رسول الله ﷺ وبينهم في ذلك مُحَيِّصة بن مسعود أخو بني حارثة.

ثم سألوا أن يعاملهم رسول الله ﷺ علىٰ النصف كما عامل أهل خيبر، فأجابهم إلىٰ ذلك علىٰ أنّا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم.

فكانت خيبر فيئاً بين المسلمين، وكانت فَدَك خالصة لرسول الله ﷺ؛ لأنهم لم يَجْلِبوا عليها بخيل ولا ركاب.

---

(١) كذا ذكرها ابن هشام في السيرة، وروى الحاكم في المستدرك وابن سعد في طبقاته والطبري في تاريخه أنها أم بشر بن البراء بن معرور، فيكون بِشْر ابنها وليس أخيها.

۞ قدوم جعفر بن أبي طالب من الحبشة وحديث المهاجرين:

قال ابن إسحاق: ولَمّا افتتح رسول الله ﷺ خيبر قدم عليه جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه مِن أرض الحبشة ومَنْ كان بقي بها مِن المسلمين، فقبّله رسول الله ﷺ بين عينيه والْتَزَمَهُ، وقال: ما أدري بأيّهما أنا أَسَرُّ، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر؟

قال البخاري في سنده إلىٰ أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه قال: بَلَغَنا مخرج النبي ﷺ ونحن باليمن، فخرجنا مهاجرين إليه أنا وإخوان لي أنا أصغرهم، أحدهم أبو بُردة والآخر أبو رُهْم، إمّا قال: في بضع، وإمّا قال: في ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلاً من قومي. فركبنا سفينة، فأَلْقَتْنا سفينتنا إلىٰ النجاشي في الحبشة، فوافَقْنا جعفر بن أبي طالب، فأقمنا معه حتىٰ قدمنا جميعاً، فوافقنا النبي ﷺ حين افتتح خيبر، فكان أُناس من الناس يقولون لنا - يعني لأهل السفينة -: سَبَقْناكم بالهجرة.

ودخلت أسماء بنت عُمَيْس - وهي مِمّن قَدِمَ معنا - علىٰ حفصة زوج النبي ﷺ زائرة، وقد كانت هاجرتْ إلىٰ النجاشي فيمن هاجر. فدخل عمر علىٰ حفصة وأسماءُ عندها، فقال حين رأى أسماء: مَنْ هذه؟ قالت: أسماء بنت عميس، قال عمر: آلحبشية هذه؟ آلبحرية هذه؟ قالت أسماء: نعم، قال: سبقناكم بالهجرة، فنحن أحقّ برسول الله ﷺ منكم. فغضبتْ وقالت: كلاّ والله، كنتم مع رسول الله ﷺ يُطْعِمُ جائعَكم ويَعِظُ جاهلَكم، وكنا في دار - أو قالت: في أرض - البعداء والبغضاء بالحبشة، وذلك في الله وفي رسول الله ﷺ، وَايْمُ الله لا أَطْعَم طعاماً ولا أشرب شراباً حتىٰ أذكر ما قلتَ للنبي ﷺ وأسأله، ووالله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه.

فلما جاءت النبي ﷺ قالت: يا نبي الله، إن عمر قال كذا وكذا. قالت: وقال: فما قلتِ له؟ قالت: قلت: كذا وكذا، قال ﷺ: ليس بأحق بي منكم وله ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان.

قالت: فلقد رأيت أبا موسىٰ وأهل السفينة يأتوني أرسالاً يسألوني عن هذا الحديث، ما مِنَ الدنيا شيء هُمْ به أَفْرَح ولا أعظم في أنفسهم مِمّا قال لهم النبي ﷺ.

قال أبو بردة: قالت أسماء: فلقد رأيتُ أبا موسىٰ وإنه ليستعيد هذا الحديث مني.

وقال أبو بردة عن أبي موسىٰ رضي الله عنه: قال النبي ﷺ: إني لأعرف أصوات رِفْقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل وإنْ كنتُ لم أَرَ منازلهم حين نزلوا بالنهار، ومنهم حكيم بن حزام، إذا لقي العدو - أو قال: الخيل - قال لهم: إن أصحابي يأمرونكم أن تنظروهم.

قال ابن إسحاق: وكان الذين تأخّروا مع جعفر من أهل مكة إلىٰ أنْ قَدِموا معه خيبر ستة عشر رجلاً، وسَرَدَ أسماءهم وأسماء نسائهم، وهم:

- جعفر بن أبي طالب الهاشمي، وامرأته أسماء بنت عُمَيْس، وابنه عبدالله وُلِدَ بالحبشة.
- وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، وامرأته أُمَيْنة بنت خلف بن أسعد، وابنه سعيد وابنته أَمَة وُلِدا بأرض الحبشة.
- وأخوه عمرو بن سعيد بن العاص، وهلكتْ بأرض الحبشة امرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية بن محرِّث الكنانية.
- ومُعَيْقِيب بن أبي فاطمة، وكان إلىٰ آل سعيد بن العاص.
- والأسود بن نوفل بن خويلد بن أسد الأسدي.
- وأبو موسىٰ الأشعري عبدالله بن قيس، حليف آل عتبة بن ربيعة[1].
- وجَهْم بن قيس بن عبد شرحبيل العَبْدَري، وابنه عمرو وابنته خزيمة ماتا في الحبشة، وهلكتْ بها امرأته أم حَرْملة بنت عبد الأسود.
- وعامر بن أبي وقاص الزهري.
- وعتبة بن مسعود، حليف لهم من هُذَيْل.
- والحارث بن خالد بن صخر التَّيْمي، وقد هلكتْ بها امرأته رِيطة بنت الحارث.

---

(١) لم يذكر ابن إسحاق أسماء الأشعريين الذين كانوا مع أبي موسىٰ الأشعري، وأخويه أبا بردة وأبا رُهْم، وعمه أبا عامر، بل لم يذكر من الأشعريين غير أبي موسىٰ، ولم يتعرّض لذكر أخويه وهما أسن منه كما في صحيح البخاري، وكأنّ ابن إسحاق لم يطّلع علىٰ حديث أبي موسىٰ في ذلك، والله أعلم.

- وعثمان بن ربيعة بن أُهْبان الجُمَحي.
- ومَحْمِيّة بن الجَزْء الزبيدي، حليف بني سهم.
- ومَعْمر بن عبدالله بن نضلة العدوي.
- وأبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس العامري.
- ومالك بن ربيعة بن قيس بن عبد شمس العامري، ومعه امرأته عمرة بنت السعدي.
- والحارث بن عبد قيس بن لقيط الفهري.

قال ابن إسحاق: وقد كان معهم في السفينة نساءٌ مِنْ نساء مَنْ هلك من المسلمين هنالك.

وأتىٰ يومها كذلك أبو هريرة مسلماً مع قبيلة دوس[١].

۞ رجوع الرسول ﷺ إلىٰ المدينة وحصار وادي القرى وخبر مقتل مِدْعَم غلام رفاعة الذي أهداه للرسول ﷺ:

قال ابن إسحاق: فلما فرغ رسول الله ﷺ من خيبر انصرف إلىٰ وادي القرى، فحاصر أهلها ليالي ثم انصرف راجعاً إلىٰ المدينة.

ثم ذكر ابن إسحاق مِن قصة مِدْعَم، وكيف جاءه سهم غريب[٢] فقتله، وقال الناس: هنيئاً له الشهادة، فقال رسول الله ﷺ: كلاّ والذي نفسي بيده، إن الشَّمْلة[٣] التي أخذها يوم خيبر مِن المغانم لم يُصِبْها المَقْسَم تشتعل عليه ناراً.

قيل: فنزل به مع غروب الشمس ومعه غلام له يقال له: مِدْعَم، أهداه إليه رفاعة بن زيد الجذامي. فبينما هو يضع رحل رسول الله ﷺ أتاه سهم غَرْب، فقال الناس: هنيئاً له

---

(١) انظر قدوم وفد دَوْس ص٣٨٧.

(٢) أي سهم لا يُدْرَى راميه.

(٣) هي كساء غليظ يُلتحف به.

الجنة، فقال رسول الله ﷺ: كلا والذي نفس محمد بيده، إن شَمْلته الآن لتحترق عليه في النار، كان غَلَّها مِن فيء المسلمين يوم خيبر. فسمعها رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أَصَبْتُ شِراكَيْن لنعلين لي. فقال: يُقَدُّ لك مِثْلهما من النار.

وقال أبو بكر أحمد البيهقي رحمه الله بسند يرفعه إلىٰ أبي هريرة رضي الله عنه، وساق نحو الحديث في قتل مِدْعَم ثم قال: وكانت يهود قد ثَوَى إليها ناس من العرب، فاستقبلونا بالرمي حيث نزلنا ولم نكن علىٰ تعبئة، وهم يصيحون من آطامهم. فعبّأ رسول الله ﷺ أصحابه وصفّهم للقتال، ودفع لواءه إلىٰ سعد بن عبادة، وراية إلىٰ الحباب بن المنذر، وراية إلىٰ سهل بن حنيف، وراية إلىٰ عبّاد بن بشر. ثم دعاهم إلىٰ الإسلام وأخبرهم أنهم إنْ أسلموا أحرزوا أموالهم، وحقنوا دماءهم، وحسابُهم علىٰ الله. فبرز رجل منهم، فبرز إليه الزبير بن العوام فقتَله، ثم برز آخر فبرز إليه علي بن أبي طالب فقتله، ثم برز آخر فبرز إليه أبو دجانة الأنصاري فقتله، حتىٰ قُتِلَ منهم اثنا عشر رجلاً، كلما قُتِلَ رجل منهم دُعِيَ مَنْ بَقِيَ إلىٰ الإسلام.

قال: ولقد كانت الصلاة تحضر يومئذ فيصلي بأصحابه، ثم يعود فيدعوهم إلىٰ الله ورسوله، فقاتلهم ﷺ حتىٰ أمسىٰ وغدا عليهم، فلم ترتفع الشمس قيد رمح حتىٰ أعطوا بأيديهم وفتحها عنوة، وغنم أموالهم، وأصابوا أثاثاً ومتاعاً كثيراً.

فأقام رسول الله ﷺ بوادي القرى أربعة أيام، وقسم ما أصاب علىٰ أصحابه، وترك الأرض والنخل بأرض يهود، وعاملهم عليها.

❁ مصالحة رسول الله ﷺ أهل تَيْماء:

فلما بلغ يهودَ تَيْماء ما كان مِن أمر خيبر وفَدَك ووادي القرى، صالحوا رسول الله ﷺ علىٰ الجزية، وأقاموا بأيديهم أموالهم، ثم انصرف رسول الله ﷺ راجعاً إلىٰ المدينة.

۞ تطوع بلال للحراسة وغَلَبة النوم عليه:

قالوا: لَمّا انصرف رسول الله ﷺ من خيبر فكان ببعض الطريق قال مِن آخر الليل: مَنْ رجل يحفظ علينا الفجر لعلّنا ننام؟[1]، فقال بلال: أنا يا رسول الله. فنزل رسول الله ﷺ ونزل الناس فناموا، وقام بلال يصلي، فصلّىٰ ما شاء الله عز وجل أن يصلي، ثم استند إلىٰ بعيره واستقبل الفجر يرمقه، فغَلَبَتْهُ عَيْنُه فنام، فلم يوقظهم إلاّ مَسُّ الشمس، وكان رسول الله ﷺ أول أصحابه استيقاظاً، فقال: ماذا صنعتَ بنا يا بلال؟ قال: يا رسول الله، أَخَذَ بنفسي الذي أخذ بنفسك. قال: صدقتَ، ثم اقتاد رسول الله ﷺ بعيره غير كثير، ثم أناخ فتوضّأ وتوضّأ الناس، ثم أمر بلالاً فأقام الصلاة، فصلّىٰ رسول الله ﷺ بالناس، فلما سلّم أقبل علىٰ الناس فقال: إذا نسيتم الصلاة فصَلُّوها إذا ذكرتموها، فإن الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ [طه].

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ حين استيقظ واستيقظ أصحابه، أمرهم أن يركبوا حتىٰ يخرجوا مِن ذلك الوادي، وقال: إن هذا وادٍ به شيطان. فركبوا حتىٰ خرجوا من ذلك الوادي، ثم أمرهم أن ينزلوا وأن يتوضؤوا.

۞ تسمية مَن استشهد مِن المسلمين يوم خيبر وعِدّة مَن قُتِلَ من اليهود:

وقد قُتِلَ يوم خيبر من اليهود ثلاث وأربعون.

واستشهد من المسلمين فيما ذكر ابن إسحاق وابن شهاب الزهري عشرون، وهم:

من قريش ثم من بني أمية بن عبد شمس، ثم من حلفائهم ثلاثة نفر:

- ربيعة بن أكثم بن سَخْبرة بن عمرو بن بكير بن عامر بن غنم بن دودان.
- وثَقِف بن عمرو.
- ورفاعة بن مسروح.

---

(١) وفي رواية: مَن رجل يكلأ لنا الليل؟

ومن بني أسد بن عبد العزى رجل، هو:

- عبدالله بن الهُبَيب[1] بن سُحَيم بن غِيَرة، من بني سعد بن ليث حليف لبني أسد وابن أختهم.

ومن بني زهرة رجل هو:

- مسعود بن ربيعة، حليف لهم من القارة.

ومن الأنصار ثم من بني سلمة رجلان:

- بشر بن البراء بن معرور، مات من الشاة التي سُمّ فيها رسول الله ﷺ.
- وفُضيل بن النعمان.

ومن بني زُرَيق رجل هو:

- مسعود بن سعد بن قيس بن خَلَدة بن عامر بن زُرَيْق.

ومن الأوس ثم من بني عبد الأشهل رجل هو:

- محمود بن مسلمة بن خالد بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث، حليف لهم من بني حارثة.

ومن بني عمرو بن عوف ثمانية نفر:

- أبو ضَيّاح النعمان بن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس.
- والحارث بن حاطب.
- وعروة بن مُرة بن سراقة.
- وأوس بن القائد.
- وأنيف بن حبيب.
- وثابت بن أَثْلة.
- وطلحة بن يحيىٰ بن مُلَيْل بن ضمرة.

---

(١) ويقال: الهَبيب.

- وأوس بن قتادة.

ومن بني غفار رجل هو:

- عُمارة بن عقبة، رُمِيَ بسهم.

ومِن أَسْلَم رجلان:

- عامر بن الأكوع.

- والأسود الراعي، وكان اسمه أسلم، وهو من أهل خيبر.

قال ابن إسحاق: وكان مِن حديث الأسود الراعي أنه أتىٰ رسولَ الله ﷺ وهو محاصر لبعض حصون خيبر ومعه غنم له، كان فيها أجيراً لرجل من يهود، فقال: يا رسول الله، اعرض عليّ الإسلام، فعَرَضَه عليه فأسلم، وكان رسول الله ﷺ لا يَحْقِر أحداً أن يدعوه إلىٰ الإسلام ويعرضه عليه. فلما أسلم قال: يا رسول الله، إني كنتُ أجيراً لصاحب هذه الغنم، وهي أمانة عندي فكيف أصنع بها؟ قال: اضرب في وجوهها فإنها سترجع إلىٰ ربها. فقام الأسود فأخذ حفنة من الحصىٰ، فرمىٰ بها في وجوهها وقال: ارجعي إلىٰ صاحبك، فوالله لا أَصْحَبُك أبداً. فخرجتْ مجتمعة كأن سائقاً يسوقها حتىٰ دخلت الحصن، ثم تقدّم إلىٰ ذلك الحصن ليقاتل مع المسلمين، فأصابه حجر فقتله، وما صلّىٰ لله صلاة قط، فأُتِيَ به رسول الله ﷺ، فوُضِعَ خلفه وسُجِّيَ بشَمْلة كانت عليه، فالتفت إليه رسول الله ﷺ ومعه نفر من أصحابه، ثم أعرض عنه فقالوا: يا رسول الله، لِمَ أَعْرَضْتَ عنه؟ قال: إنَّ معه الآن زوجتيه من الحور العين.

۞ خبر الحجاج بن عِلاط السُّلَمي[1]:

قال ابن إسحاق: ولَمّا فُتِحَتْ خيبر، كلّم رسولَ الله ﷺ الحجاجُ بن عِلاط السُّلمي فقال: يا رسول الله، إن لي بمكة مالاً عند صاحبتي أم شيبة بنت أبي طلحة، ومالاً متفرقاً في تجار أهل مكة، فائْذَنْ لي يا رسول الله. فأَذِنَ له، قال: إنه لا بد لي يا رسول الله مِنْ أَنْ أقول، قال: قُلْ.

(١) انظر إن شئتَ خبر إسلامه ووفوده علىٰ النبي ﷺ ص٣٧٢.

قال الحجاج: فخرجتُ حتىٰ إذا قدمتُ مكة وجدتُ بثنية البيضاء[١] رجالاً من قريش يتسمّعون الأخبار، ويسألون عن أمر رسول الله ﷺ وقد بلغهم أنه قد سار إلىٰ خيبر، وقد عرفوا أنها قرية الحجاز ريفاً ومَنَعة ورجالاً، فهم يتحسّسون الأخبار ويسألون الركبان. فلما رَأَوْني قالوا - ولم يكونوا عَلِموا بإسلامي -: الحجاج بن عِلاط عنده والله الخبر، أَخْبِرْنا يا أبا محمد فإنه قد بلغنا أن القاطع قد سار إلىٰ خيبر، وهي بلد يهود وريف الحجاز. قال: قلت: قد بلغني ذلك وعندي من الخبر ما يَسُرُّكم. قال: فالْتَبَطوا بجنبَيْ ناقتي[٢] يقولون: إيهِ يا حجاج. قال: قلت: هُزِمَ هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط، وقُتِلَ أصحابه قَتْلاً لم تسمعوا بمثله قط، وأُسِرَ محمد أَسْراً وقالوا: لا نقتله حتىٰ نبعث به إلىٰ أهل مكة فيقتلوه بين أظهرهم بمَن كان أصاب مِن رجالهم.

قال: فقاموا وصاحوا بمكة وقالوا: قد جاءكم الخبر، وهذا محمد إنما تنتظرون أن يُقْدَمَ به عليكم فيُقْتَلَ بين أظهركم. قال: قلت: أَعِينوني علىٰ جَمْع مالي بمكة وعلىٰ غرمائي، فإني أريد أن أقدم خيبر فأُصيب مِنْ فَلّ[٣] محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار إلىٰ ما هنالك.

قال: فقاموا فجمعوا لي مالي كأحثّ[٤] جَمْع سمعتُ به، وجئت صاحبتي - وقد كان لي عندها مال موضوع - فقلت: مالي، لَعَلّي ألحق بخيبر فأُصيب من فُرص البيع قبل أن يسبقني التجار.

قال: فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر وجاءه عني، أقبل حتىٰ وقف إلىٰ جنبي وأنا في خيمة من خيام التجار، فقال: يا حجاج، ما هذا الخبر الذي جئتَ به؟ فقلت: وهل عندك حِفْظ لِما وضعتُ عندك؟ قال: نعم، قلت: فاسْتَأْخِرْ عني حتىٰ ألقاك علىٰ خلاء، فإني في جَمْع مالي كما ترى، فانْصَرِفْ عني حتىٰ أفرُغ.

---

(١) قال ياقوت: والبيضاء ثَنِيّة التنعيم بمكة.

(٢) أي مشوا إلىٰ جنبها ملازمين لها مطيفين بها، كمشي العرجان لازدحامهم حولها.

(٣) الفَلّ: القوم المنهزمون، وفي رواية ابن هشام: مِنْ فَيْء محمد.

(٤) أي كأسرع.

قال: حتىٰ إذا فرغت من جمع كل شيء كان لي بمكة وأجمعتُ الخروج، لقيت العباس فقلت: احفظ عليّ حديثي يا أبا الفضل، فإني أخشىٰ الطلب ثلاثاً، ثم قُلْ ما شئتَ. قال: أفعل، قلت: فإني والله لقد تركت ابن أخيك عروساً علىٰ بنت ملكهم - يعني صفية بنت حيي -، ولقد افْتَتَحَ خيبر وانتثل[1] ما فيها، وصارت له ولأصحابه. فقال: ما تقول يا حجاج؟ قلت: إي واللهِ فاكتم عني، ولقد أسلمتُ وما جئتُ إلاّ لآخذ مالي فَرَقاً مِن أن أُغلب عليه، فإذا مضت ثلاثٌ فأَظْهِرْ أمرك، فهو والله علىٰ ما تحب.

قال: حتىٰ إذا كان اليوم الثالث لبس العباس حُلّة له وتخلّق[2]، وأخذ عصاه ثم خرج حتىٰ أتىٰ الكعبة فطاف بها، فلما رأوه قالوا: يا أبا الفضل، هذا والله التَّجَلُّد لِحرّ المصيبة. قال: كلا والله الذي حلفتم به، لقد افتتح محمد خيبر وتُرِكَ عروساً علىٰ بنت ملكهم، وأَحْرَزَ أموالهم وما فيها، فأصبحتْ له ولأصحابه. قالوا: مَنْ جاءك بهذا الخبر؟ قال: الذي جاءكم بما جاءكم به، ولقد دخل عليكم مسلماً فأخذ ماله، فانطلق ليلحق بمحمد وأصحابه فيكون معه. قالوا: يا لعباد الله؟ انفلت عدو الله، أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن.

قال: ولم يَنْشَبوا[3] أن جاءهم الخبر بذلك.

۞ ذكر مقاسم خيبر وأموالها:

قال ابن إسحاق: وكانت المقاسم علىٰ أموال خيبر علىٰ الشِّقّ والنَّطاة والكَتيبة، فكانت الشِّقّ والنَّطاة في سهمان المسلمين. وكانت الكَتيبة خُمس الله، وسهم النبيﷺ، وسهم ذوي القربىٰ واليتامىٰ والمساكين، وطُعْم أزواج النبيﷺ، وطُعْم رجالٍ مشوا بين رسول اللهﷺ وبين أهل فَدَك بالصلح، منهم مُحَيِّصة بن مسعود، أعطاه رسول اللهﷺ

(١) أي استخرج.

(٢) أي تطيّب بالخلوق، وهو ضرب من الطِّيب.

(٣) أي لم يلبثوا غير قليل.

ثلاثين وَسْقاً[١] مِن شعير، وثلاثين وَسْقاً من تمر.

وقُسِمَتْ خيبر علىٰ أهل الحديبية، مَنْ شهد خيبر ومَنْ غاب عنها، ولم يَغِبْ عنها إلاّ جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام، فقسم له رسول الله ﷺ كسهمِ مَنْ حَضَرَها. وكان وادياها: وادي السُّرَير ووادي خاص[٢]، وهما اللذان قُسِمَتْ عليهما خيبر.

وكانت النَّطاة والشِّقّ ثمانية عشر سهماً، النَّطاة مِن ذلك خمسة أسهم، والشِّق ثلاثة عشر سهماً. وقُسِمَت الشِّقّ والنَّطاة علىٰ ألف سهم، وثمانمائة سهم.

وكانت عِدّة الذين قُسِمَتْ عليهم خيبر من أصحاب رسول الله ﷺ ألف سهم وثمانمائة سهم برجالهم وخيلهم، الرجال أربع عشرة مائة، والخيل مائتا فرس، فكان لكل فرس سهمان، ولفارسه سهم، وكان لكل راجل سهم. فكان لكل سهم رأسٌ جُمِع إليه مائة رجل، فكانت ثمانية عشر سهماً.

قال ابن هشام: وفي يوم خيبر عرّب رسول الله ﷺ العربي مِن الخيل، وهجّن الهجين.

قال ابن إسحاق: فكان علي بن أبي طالب رأساً، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وعمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن عوف، وعاصم بن عدي أخو بني العجلان، وأُسَيد بن حضير، وسهم الحارث بن الخزرج، وسهم ناعم، وسهم بني بياضة، وسهم بني عبيد، وسهم بني حرام مِن بني سلمة، وعبيد السّهام[٣]، وسهم ساعدة، وسهم غِفار وأَسْلم، وسهم النجار، وسهم حارثة، وسهم أَوْس.

فكان أولَ سهمٍ خَرَجَ من خيبر بنَطاة سهمُ الزبير بن العوام وهو الخَوْع[٤] وتابعه السُّرَيْر، ثم كان الثاني سهم بياضة، ثم كان الثالث سهم أُسَيْد، ثم كان الرابع سهم بني

---

(١) الوسق بالفتح والكسر: ستون صاعاً أو حِمْل بعير.

(٢) كذا في الأصول ومعجم البلدان، وذهب السهيلي إلىٰ أنه تحريف وصوابه خلص.

(٣) قال ابن هشام: وإنما قيل له: عبيد السهام؛ لِما اشترى من السهام يوم خيبر، وهو عبيد بن أوس أحد بني حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس.

(٤) هو موضع قرب خيبر.

الحارث بن الخزرج، ثم كان الخامس سهم ناعم لبني عوف بن الخزرج ومزينة وشركائهم، وفيه قُتِلَ محمود بن مسلمة، فهذه نَطاة.

ثم هبطوا إلىٰ الشِّقّ، فكان أولَ سهمٍ خَرَجَ منه سهمُ عاصم بن عدي أخي بني العجلان، ومعه كان سهم رسول الله ﷺ، ثم سهم عبد الرحمن بن عوف، ثم سهم ساعدة، ثم سهم النجار، ثم سهم علي بن أبي طالب، ثم سهم طلحة بن عبيد الله، ثم سهم غفار وأَسْلم، ثم سهم عمر بن الخطاب، ثم سهما سلمة بن عبيد وبني حرام، ثم سهم حارثة، ثم سهم عبيد السهام، ثم سهم أوس وهو سهم اللفيف، جُمِعَتْ إليه جهينة ومَنْ حضر خيبر مِن سائر العرب، وكان حَذْوه سهم رسول الله ﷺ الذي كان أصابه في سهم عاصم بن عدي.

ثم قسم رسول الله ﷺ الكتيبة وهي وادي خاص بين قرابته وبين نسائه، وبين رجال المسلمين ونساءٍ أعطاهم منها. فقسم رسول الله ﷺ لفاطمة ابنته مائتي وَسْق، ولعلي بن أبي طالب مائة وسق، ولأسامة بن زيد مائتي وسق وخمسين وسقاً من نوى، ولعائشة أم المؤمنين مائتي وسق، ولأبي بكر بن أبي قحافة مائة وسق، ولعقيل بن أبي طالب مائة وسق وأربعين وسقاً، ولبني جعفر خمسين وسقاً، ولربيعة بن الحارث مائة وسق، وللصّلْت بن مَخْرمة وابنيه مائة وَسْق: للصلت منها أربعون وسقاً، ولأبي نَبِقة[1] خمسين وسقاً، ولركانة بن عبد يزيد خمسين وسقاً، ولقيس بن مَخْرمة ثلاثين وسقاً، ولأبي القاسم بن مخرمة أربعين وسقاً، ولبنات عبيدة بن الحارث وابنه الحُصَين بن الحارث مائة وسق، ولبني عبيد بن عبد يزيد ستين وسقاً، ولابن أوس بن مخرمة ثلاثين وسقاً، ولِمِسْطح بن أُثاثة وابن إلياس خمسين وسقاً، ولأم رُمَيثة أربعين وسقاً، ولنُعيم بن هند ثلاثين وسقاً، ولبُحَينة بنت الحارث ثلاثين وسقاً، ولعُجَير بن عبد يزيد ثلاثين وسقاً، ولأم حكيم بنت الزبير بن عبد المطلب ثلاثين وسقاً، ولجمانة بنت أبي طالب ثلاثين وسقاً، ولعبدالله بن الأرقم خمسين وسقاً، ولعبد الرحمن بن أبي بكر أربعين وسقاً، ولحَمْنة بنت

(١) هو علقمة بن المطلب، ويقال: عبدالله بن علقمة، وقيل: غير ذلك.

جحش ثلاثين وسقاً، ولأم الزبير أربعين وسقاً، ولضُباعة بنت الزبير أربعين وسقاً، ولابن أبي خُنيس ثلاثين وسقاً، ولأم طالب أربعين وسقاً، ولأبي بصْرة[١] عشرين وسقاً، ولنُمَيلة الكلبي خمسين وسقاً، ولعبدالله بن وهب وابنيه تسعين وسقاً: لابنيه منها أربعون وسقاً، ولأم حبيب بنت جحش ثلاثين وسقاً، ولِمَلْكُو بن عبدة ثلاثين وسقاً، ولنسائهﷺ سبعمائة وسق.

قال ابن هشام وابن إسحاق: قمح وشعير وتمر ونوى وغير ذلك قَسَمَه علىٰ قدر حاجتهم، وكانت الحاجة في بني عبد المطلب أكثر ولهذا أعطاهم أكثر.

قال ابن إسحاق: وقسم رسول اللهﷺ لنسائه من قمح خيبر[٢] مائة وَسْق وثمانين وسقاً، ولفاطمة بنت رسول اللهﷺ خمسة وثمانين وسقاً، ولأسامة بن زيد أربعين وسقاً، وللمقداد بن الأسود خمسة عشر وسقاً، ولأم رُمَيثة خمسة أوساق.

شهد عثمانُ بن عفان وعباسٌ وكتب.

قال ابن إسحاق: وشهد خيبر مع رسول اللهﷺ نساء من نساء المسلمين، فرضخ لهن[٣] رسول اللهﷺ من الفيء، ولم يضرب لهن بسهم.

وقال ابن إسحاق: وحدثني صالح بن كيسان عن ابن شهاب الزهري عن عبيد الله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود قال: لم يُوصِ رسول اللهﷺ عند موته إلاّ بثلاث: أَوْصىٰ للرَّهاويين[٤] بجادّ مائة وَسْق[٥] من خيبر، وللداريين[٦] بجادّ مائة وسق من خيبر، وللسبائيين وللأشعريين بجادّ مائة وسق من خيبر.

---

(١) وقيل: نضرة.

(٢) وفي رواية: فتح خيبر.

(٣) أي أعطاهنّ عطاء يسيراً لم يَصِلْ إلىٰ نصيب السهم.

(٤) نسبة إلىٰ رهاوة، وهي قبيلة باليمن.

(٥) أي ما يجدّ منه مائة وسق، أي يقطع.

(٦) نسبة إلىٰ الدار بن هانئ بن حبيب بن نُمارة، الذين ساروا إلىٰ رسول اللهﷺ من الشام، وهم: تميم بن أوس وأخوه نعيم، ويزيد بن قيس، وعرفة بن مالك سمّاه رسول اللهﷺ عبد الرحمن، وفاكه بن نعمان، وجَبَلة بن مالك، وأبو هند بن بَرّ وأخوه الطيّب فسمّاه رسول اللهﷺ عبدالله. ويقال: عزّة بن مالك وأخوه مُرّان - ويقال: مروان -.

۞ خَرْصُ ابن رواحة ثم جبّار علىٰ أهل خيبر ومقتل ابن سهل:

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ يبعث إلىٰ أهل خيبر عبدالله بن رواحة خارصاً بين المسلمين ويهود، فيخرص عليهم. فإذا قالوا: تَعَدَّيْتَ علينا، قال: إنْ شئتم فلكم، وإن شئتم فلنا. فتقول يهود: بهذا قامت السماوات والأرض.

وإنما خرص عليهم عبدالله بن رواحة عاماً واحداً ثم أُصيب بمؤتة.

وروى أبو داود رحمه الله بسنده عن جابر بن عبدالله من رواية ابن جريج عن أبي الزبير قال: خرصها ابن رواحة أربعين ألف وَسْق، وإنّ اليهود لَمّا خيّرهم ابن رواحة أخذوا التمر وعليهم عشرون ألف وَسْق.

ثم خرص عليهم بعده جبّار بن صخر بن أمية بن خنساء أخو بني سلمة، فأقامت يهود علىٰ ذلك لا يَرى بهم المسلمون بأساً في معاملتهم، حتىٰ عَدَوْا علىٰ عهد رسول الله ﷺ علىٰ عبدالله بن سهل أخي بني حارثة فقتلوه، وكان قد خرج إليها في أصحاب له يَمْتار منها تمراً، فوُجِدَ في عين قد كُسِرَتْ عنقه، فاتّهمهم رسول الله ﷺ والمسلمون بقتله.

وجاء أخوه عبد الرحمن بن سهل وابنا عمه حُوَيِّصة ومُحَيِّصة إلىٰ رسول الله ﷺ، فتكلّم عبد الرحمن وكان أصغرهم وهو صاحب الدم، فقال رسول الله ﷺ: كَبِّر كَبِّر[1]، فسكت وتكلّم حُوَيِّصة ومُحَيِّصة، ثم تكلّم بعدهما. فذكروا قَتْل صاحبهم، فقال رسول الله ﷺ: أَتُسَمّون قاتلكم ثم تحلفون عليه خمسين يميناً فنُسْلِمه إليكم؟ قالوا: يا رسول الله، ما كنا لنحلف علىٰ ما لا نعلم. قال: أيحلفون بالله خمسين يميناً ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلاً ثم يبرؤون مِن دمه؟ فقالوا: يا رسول الله، ما كنا لنقبل أيمان يهود، ما هم فيه من الكفر أعظم أن يحلفوا علىٰ إثم. قال: فَوَداه رسول الله ﷺ بمائة ناقة.

---

(١) ويروى: الكبير الكبير، أو الكُبْر الكُبْر، أي قَدِّموا الأكبر للكلام، إرشاداً إلىٰ الأدب في تقديم الأَسَنِّ.

۞ إجلاء اليهود عن خيبر أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

قال ابن إسحاق : واستقرّتْ خيبر بيد يهود علىٰ ما عاملهم عليها رسول الله ﷺ مدة حياته ، ثم أقرّها أبو بكر رضي الله عنه بعد رسول الله ﷺ بأيديهم علىٰ المعاملة ، ثم أقرّهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه صَدْراً من خلافته ، ثم بلغه أن رسول الله ﷺ قال في وجعه الذي قَبَضَه الله فيه : لا يجتمعنّ بجزيرة العرب دينان ، ففحص عمر رضي الله عنه عن ذلك حتىٰ بلغه الثَّبْت ، فأرسل إلىٰ يهود فقال : إن الله قد أَذِنَ في إجلائكم ، قد بلغني أن رسول الله ﷺ قال : لا يجتمعنّ بجزيرة العرب دينان ، فمَنْ كان عنده عهد من رسول الله ﷺ من اليهود فليأتني به أُنْفِذه له ، ومَنْ لم يكن له عهد فليتجهّز للجلاء.

فأجلىٰ عمر بن الخطاب مَنْ لم يكن عنده عهد مِن رسول الله ﷺ منهم.

هذا ما كان من أمر خيبر علىٰ سبيل الاختصار ، فكانت غزوة خيبر كذلك ضربة لقريش ، وبها أنهىٰ رسول الله ﷺ يهود المنطقة بأكملها ، ورجع إلىٰ المدينة مُعَرِّساً بصفية بنت حيي بن أخطب.

٢٤- عمرة القضاء

[ذو القعدة ٧هـ]

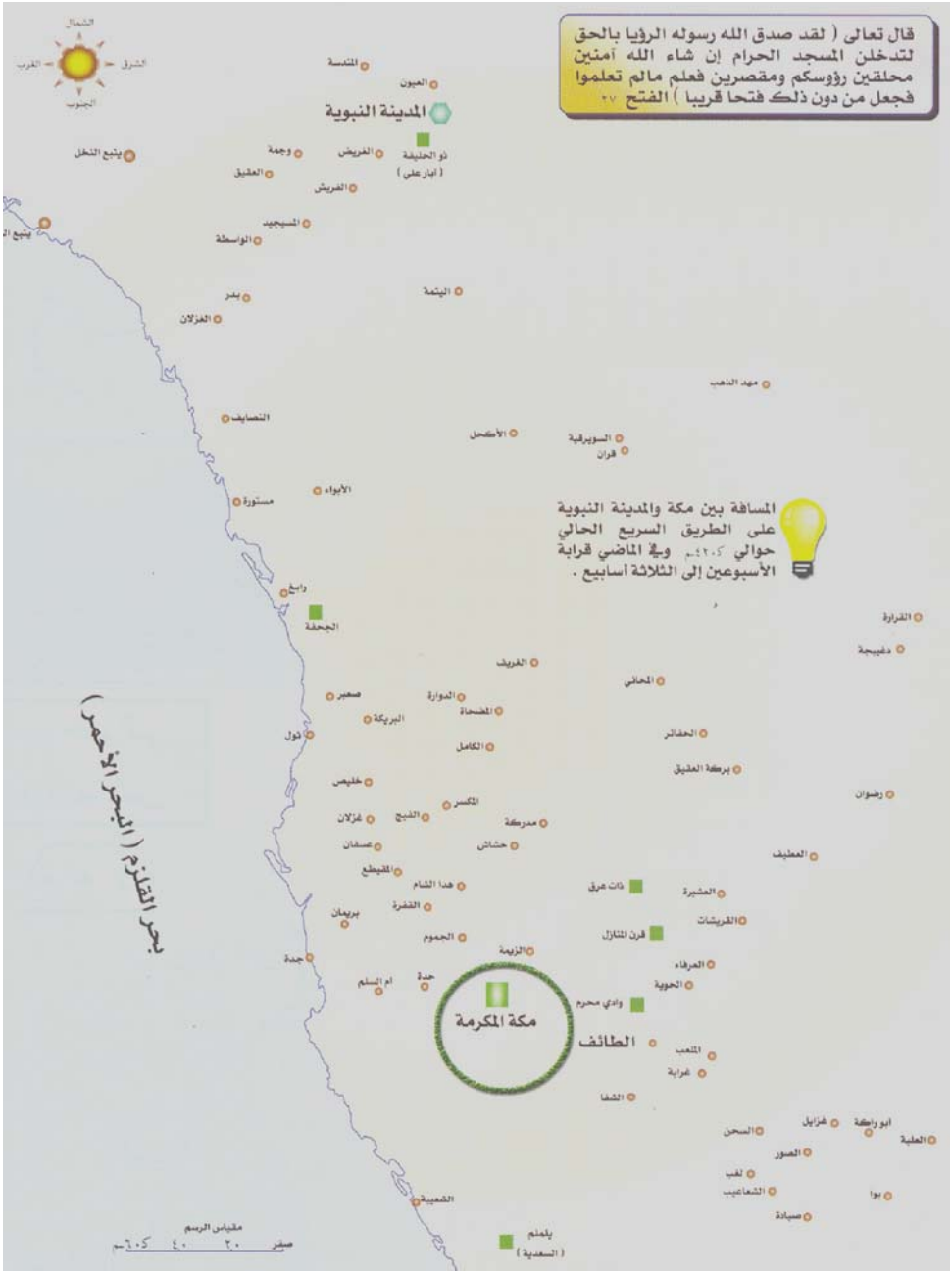

قال ابن إسحاق: فلما رجع رسول الله ﷺ إلىٰ المدينة مِن خيبر، أقام بها شهري ربيع وجمادَيَيْن ورجباً وشعبان ورمضان وشوالاً، يَبْعَثُ فيما بين ذلك مِن غزوه وسراياه ﷺ، ثم خرج في ذي القعدة في الشهر الذي صَدَّهُ فيه المشركون معتمراً عمرة القضاء، مكان عمرته التي صَدُّوه عنها[1].

قال الله عز وجل: ﴿ ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ ﴾ [البقرة: ١٩٤].

قال ابن هشام: واستعمل علىٰ المدينة عُويف بن الأضبط الدِّئلي.

وقال الواقدي: استعمل أبا رُهْم.

قال ابن إسحاق: وخرج معه المسلمون مِمَّنْ كان صُدَّ معه في عمرته تلك، فكانت عِدّة المسلمين ألفين سوى النساء والصبيان.

فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه، وتحدّثت قريش بينها أن محمداً وأصحابه في عُسْرة وجهد وشدة.

قال ابن إسحاق بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: صَفّوا لنا عند دار الندوة لينظروا إليه وإلىٰ أصحابه، فلما دخل رسول الله ﷺ المسجد اضْطَبَعَ بردائه وأخرج عَضُده اليمنىٰ، ثم قال: رَحِمَ الله امرأً أَراهُمُ اليومَ مِنْ نفسه قوة. ثم استلم الركن وخرج يهرول ويهرول أصحابه معه، حتىٰ إذا واراه البيت منهم واستلم الركن اليماني، مشىٰ حتىٰ يستلم الركن الأسود، ثم هرول كذلك ثلاثة أطواف ومشىٰ سائرها.

فكان ابن عباس يقول: كان الناس يظنون أنها ليست عليهم، وذلك أن رسول الله ﷺ إنما صنعها لهذا الحي من قريش لِلَّذي بلغه عنهم، حتىٰ إذا حجّ حجة الوداع فلزمها، فمضت السُّنة بها.

وروى الحافظ البيهقي من غير وجه عن عبد الرزاق عن مَعْمر عن الزهري عن أنس رضي الله عنه

---

(١) ويقال لها: عمرة القِصاص؛ لأنهم صدوا رسول الله ﷺ في ذي القعدة في الشهر الحرام مِن سنة ست، فاقتصّ رسول الله ﷺ منهم، فدخل مكة في ذي القعدة في الشهر الحرام الذي صَدُّوه فيه مِن سنة سبع. كما تسمىٰ أيضاً عمرة القَضِيّة، وعمرة الصُّلْح.

قال: لَمّا دخل النبيﷺ مكة في عمرة القضاء، مشىٰ عبدالله بن رواحة بين يديه وهو يقول[1]:

خَلُّوا بني الكُفّار عن سبيلهِ ... قد نَزَّلَ الرحمنُ في تَنْزيلهِ

بأنَّ خيرَ القَتْل في سبيلهِ ... نحن قتلناكم علىٰ تأويلهِ

۞ زواج النبيﷺ مِن أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث:

قال ابن إسحاق: حدّثني أبان بن صالح وعبدالله بن أبي نجيح عن عطاء ومجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول اللهﷺ تزوّج ميمونة بنت الحارث في سفره ذلك وهو حرام، وكان الذي زوّجه إيّاها العباس بن عبد المطلب.

قال ابن هشام: وكانت جَعَلَتْ أَمْرَها إلىٰ أختها، فجعلت أُمُّ الفضل أَمْرَها إلىٰ زوجها العباس، فزوّجها رسول اللهﷺ وأَصْدَقَها عنه أربعمائة درهم.

وذكر السهيلي أنه لَمّا انتهت إليها خطبة رسول اللهﷺ لها وهي راكبة بعيراً، قالت: الجمل وما عليه لرسول اللهﷺ.

قال ابن إسحاق: وفيها نزلت الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٠﴾ [الأحزاب].

وروى البخاري من طريق الأوزاعي، ومن طريق أيوب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول اللهﷺ تزوّج ميمونة وهو مُحْرِم، وبنىٰ بها وهو حلال، وماتت بسَرَف.

قال البيهقي: وروى الدارقطني من طريق أبي الأسود يتيم عروة، ومِن طريق مطر الوراق عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول اللهﷺ تزوّج ميمونة وهو حلال.

---

(١) وَرَدَتْ هذه الأبيات كذلك بروايات أخرى مختلفة.

قال: وتَأَوَّلوا رواية ابن عباس الأولىٰ أنه كان مُحْرِماً، أي في شهر حرام، كما قال الشاعر:

قَتَلوا ابنَ عفان الخليفةَ مُحْرِماً فدعا فلم أَرَ مِثْلَه مخذولاً

أي قَتَلوه في شهر حرام.

وقال سعيد بن المسيب: وَهِمَ ابن عباس وإنْ كانت خالَتَه، ما تَزَوَّجها إلاّ بعد ما أَحَلَّ.

وقال يونس عن ابن إسحاق: حدّثني بقية عن سعيد بن المسيب أنه قال: هذا عبدالله بن عباس يزعم أن رسول الله ﷺ نكح ميمونة وهو مُحْرِم... فذكر كلمته، إنما قَدِمَ رسول الله ﷺ مكة فكان الحِلّ والنكاح جميعاً، فشُبِّه ذلك علىٰ ابن عباس.

وروى مسلم وأهل السنن من طرق عن يزيد بن الأصم العامري عن خالته ميمونة بنت الحارث قالت: تَزَوَّجني رسول الله ﷺ ونحن حلالٌ بسَرَف.

قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاثاً، فأتاه حُوَيطب بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل في نفر من قريش في اليوم الثالث، وكانت قريش قد وكّلته بإخراج رسول الله ﷺ من مكة، فقالوا له: إنه قد انقضىٰ أَجَلُك فاخرج عنا، فقال النبي ﷺ: وما عليكم لو تركتموني فأَعْرَسْتُ بين أظهركم وصنعنا لكم طعاماً فحضرتموه؟ قالوا: لا حاجة لنا في طعامك فاخرج عنا.

فخرج رسول الله ﷺ وخلّف أبا رافع مولاه علىٰ ميمونة حتىٰ أتاه بسَرَف، فبنىٰ بها رسول الله ﷺ هنالك، ثم انصرف إلىٰ المدينة في ذي الحجة.

٢٥- فتح مكة

[رمضان ٨ هـ]

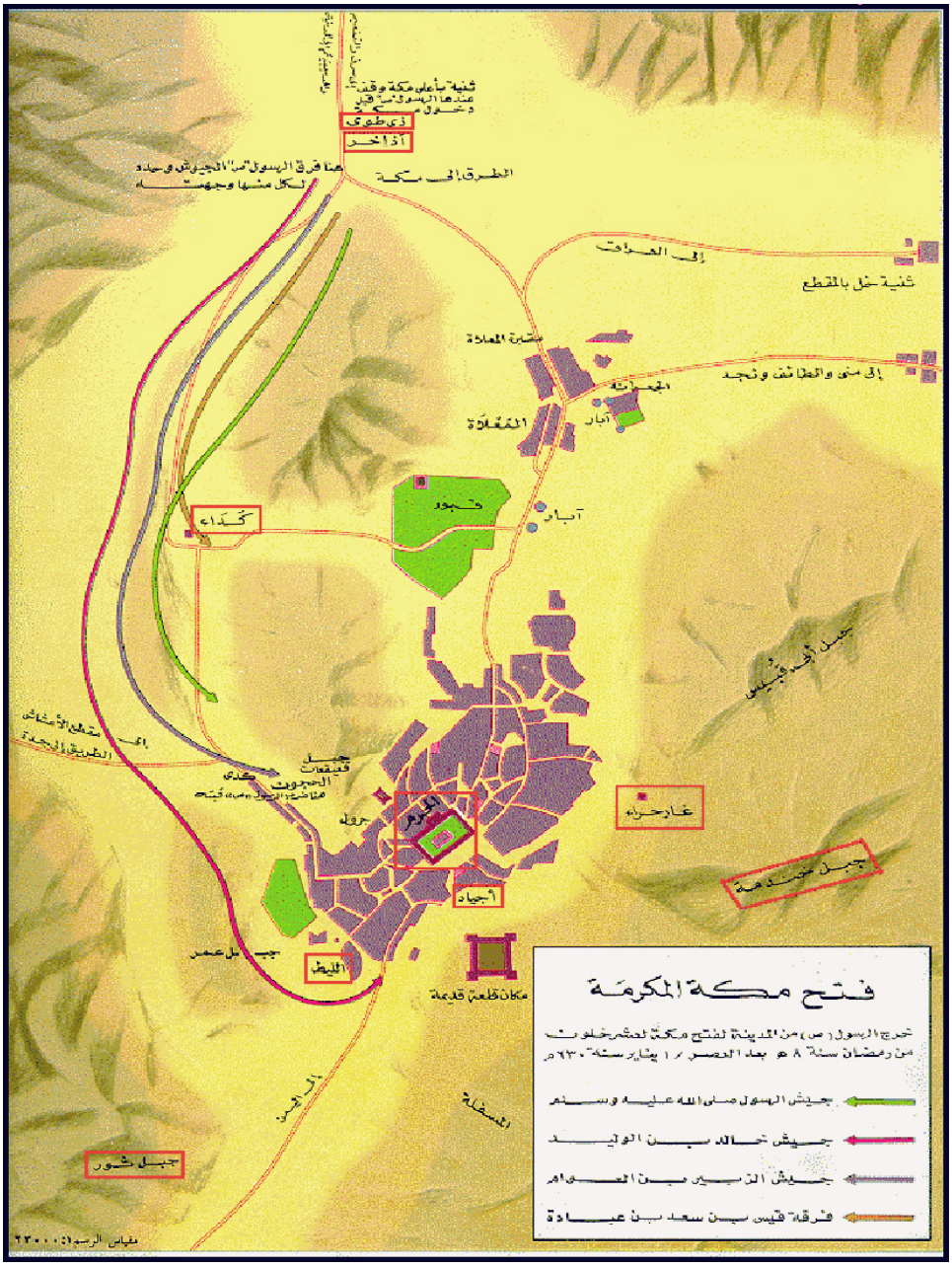

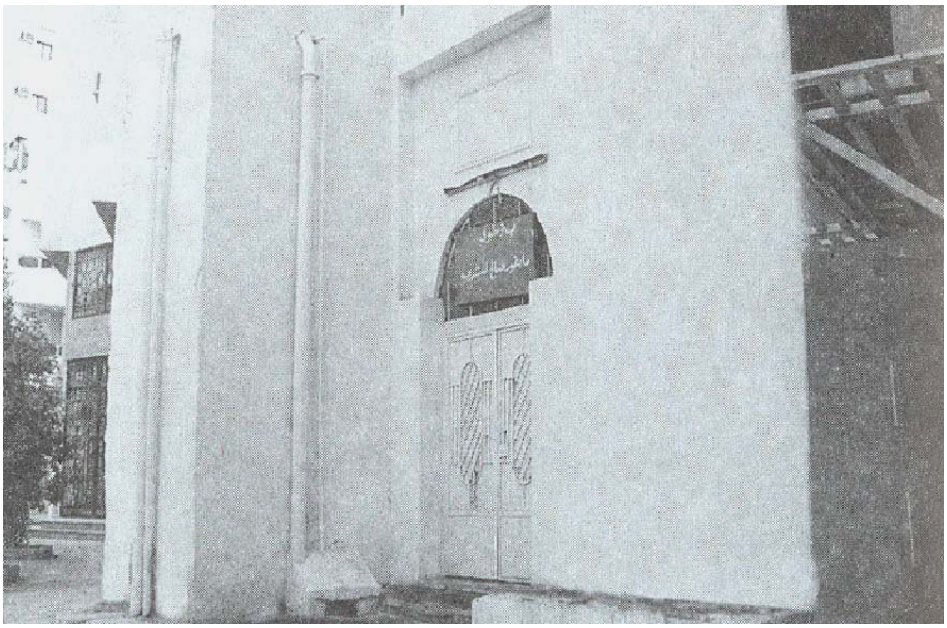

بئر ذي طوى، ويقال: إن النبيﷺ بات بذي طوى حتىٰ أصبح، ثم اغتسل من ماء بئره وصلىٰ، ثم دخل مكة نهاراً

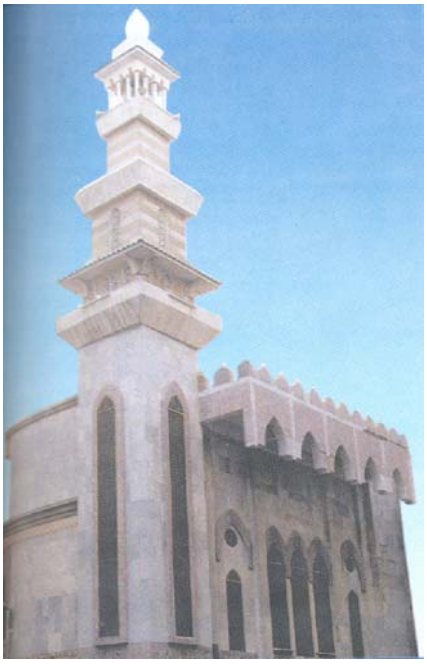

مسجد خالد بن الوليد، وقد بني في الموضع الذي غرز فيه رايته، حيث أمرهﷺ أن يدخل مكة من أسفلها، وأن يغرز رايته عند أدنىٰ البيوت

كان فتح مكة في العشرين من شهر رمضان صبيحة يوم الجمعة، وهذا هو الدخول الحسي.

أما الدخول المعنوي فإنه دخلهاﷺ يوم الحديبية، عندما أنزل الله تعالىٰ قوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢﴾ [الفتح].

وبفتوحها فُتِحَ باب العالم بأكمله أمام المسلمين.

۞ ذِكْر سبب الفتح:

وسبب ذلك أنه لَمّا دخل شعبان مِن سنة ثمان مِن مُهاجَر رسول اللهﷺ، كَلَّمَتْ بنو نُفاثة - وهم مِن بني بكر - أشراف قريش أن يُعِينوهم علىٰ خزاعة بالرجال والسلاح، وكانت خزاعة - كما قدّمنا - قد دخلت في عقد رسول اللهﷺ وعهده يوم الحديبية، ودخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدها[1].

قال ابن إسحاق: كان السبب الذي هاجهم أنّ رجلاً مِن بني الحضرمي اسمه مالك بن عباد من حلفاء الأسود بن رَزْن خَرَجَ تاجراً، فلما توسّط أرض خزاعة عَدَوْا عليه فقتلوه وأخذوا ماله، فَعَدَتْ بنو بكر علىٰ رجل من بني خزاعة فقتلوه، فَعَدَتْ خزاعة قبيل الإسلام علىٰ بني الأسود بن رَزْن الدِّئلي، وهم مَفْخر بني كنانة وأشرافهم: سلمىٰ وكلثوم وذُؤَيْب، فقتلوهم بعرفة عند أنصاب الحرم.

قال ابن إسحاق: وحدّثني رجل من بني الدِّئل قال: كان بنو الأسود بن رَزْن يُودَوْن في الجاهلية دِيَتَيْن دِيَتَيْن، ونُودى دية دية؛ لفضلهم فينا.

قال ابن إسحاق: فبينا بنو بكر وخزاعة علىٰ ذلك إذ حجز بينهم الإسلام، فلما كان يوم الحديبية ودخل بنو بكر في عقد قريش، ودخلت خزاعة في عقد رسول اللهﷺ، وكانت الهدنة، اغتنمها بنو الدئل من بني بكر وأرادوا أن يصيبوا من خزاعة ثأراً مِن أولئك النفر،

---

(١) انظر إن شئتَ صلح الحديبية في الجزء الرابع من الكتاب ص٤٥٣.

فخرج نوفل بن معاوية الدئلي في قومه وهو يومئذ سيدهم وقائدهم، وليس كل بني بكر تابعه[١]. فبيّت خزاعةَ علىٰ الوتير[٢] فأصابوا رجلاً منهم، وتحاوزوا واقتتلوا، ومدّت قريش بني بكر بالسلاح، وقاتل معهم مِن قريش مَن قاتل بالليل مستخفياً حتىٰ حازوا خزاعة إلىٰ الحرم، فلما انتهوا إليه قالت بنو بكر: يا نوفل، إنّا قد دخلنا الحرم، إلهَك إلهَك. فقال كلمة عظيمة: لا إله اليوم، يا بني بكر أَصِيبوا ثأركم، فَلَعَمْري إنكم لَتَسْرِقون في الحرم أفلا تصيبون ثأركم فيه؟ ولجأت خزاعة إلىٰ دار بديل بن ورقاء بمكة، وإلىٰ دار مولىٰ لهم يقال له: رافع.

قال ابن إسحاق: وقد أصابوا منهم ليلة بيّتوهم بالوتير رجلاً يقال له: منبه، وكان رجلاً مفؤوداً[٣]، خرج هو ورجلٌ مِن قومه يقال له: تميم بن أسد، فقال له منبه: يا تميم انْجُ بنفسك، فأما أنا فوالله إني لميت قتلوني أو تركوني، لقد انْبَتَّ[٤] فؤادي. وانطلق تميم فأفلت، وأدركوا منبهاً فقتلوه.

وقال النويري في تاريخه نقلاً عن ابن سعد: ولَمّا سألوهم عن ذلك وَعَدُوهم ووافوهم بالوتير متنكرين متنقبين، فيهم: صفوان بن أمية، وحُوَيْطب بن عبد العزى، ومكرز بن حفص بن الأخيف. فبيّتوا خزاعة ليلاً وهم غارّون[٥] آمنون، فقتلوا منهم عشرين رجلاً. ثم ندمت قريش علىٰ ما صنعت، وعلموا أن هذا نقض للمدة والعهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ.

هذه كانت بداية الفتح الحسي، علىٰ رأس السبعة عشر شهراً من الصلح، وقيل: الثمانية عشر شهراً، أي في السنة الثامنة من الهجرة الشريفة.

---

(١) وفي سائر الأصول: بايَعَتْهُ.

(٢) هو ماء لهم قريب من مكة.

(٣) أي ضعيف الفؤاد.

(٤) أي انقطع.

(٥) أي غافلون.

۞ عمرو بن سالم الخزاعي يستنصر الرسول ﷺ:

قال ابن إسحاق: وخرج عمرو بن سالم الخزاعي في أربعين راكباً حتىٰ قدم علىٰ رسول الله ﷺ المدينة، فوقف عليه وهو جالس في المسجد بين ظهراني الناس، فقال[١]:

يا ربِّ إني ناشدٌ[٢] محمدا ... حِلْفَ أبينا وأبيه الأَتْلَدا[٣]

قد كنتمُ وُلْداً وكنّا والدا[٤] ... ثُمَّتَ أَسْلَمنا فلم نَنْزِع يَدا

فَانْصُر هَداك الله نصراً أعتَدا ... وادْعُ عبادَ الله يَأْتوا مَدَدا

فيهم رسولُ الله قد تجرّدا[٥] ... إنْ سِيمَ خَسْفاً[٦] وجهُه تَرَبَّدا[٧]

في فَيْلَقٍ[٨] كالبحر يَجْري مُزْبِدا ... إنَّ قريشاً أَخْلَفوك المَوْعِدا

ونَقَضُوا ميثاقَك المُؤَكَّدا ... وجَعَلوا لي في كَداءٍ[٩] رُصَّدا[١٠]

وزَعَموا أنْ لستُ أَدْعُو أَحَدا ... وهُمْ أذلّ وأقلّ عَدَدا

هُمْ بَيَّتُونا بالوَتِير هُجَّدا[١١] ... وقَتّلونا رُكَّعاً وسُجَّدا

---

(١) وقد رُوِي الشعر هذا أيضاً علىٰ غير ذلك.

(٢) أي طالب.

(٣) الأَتْلَد: القديم.

(٤) يريد أن بني عبدمناف أمهم من خزاعة، وكذلك قصي أمه فاطمة بنت سعد الخزاعية.

(٥) أي شمّر وتهيّأ للحرب.

(٦) سِيمَ: طلب منه وكُلف، والخسف هو الذل.

(٧) أي تَغَيَّر إلىٰ السواد.

(٨) الفَيْلَق: العسكر الكثير.

(٩) هو موضع بأعلىٰ مكة.

(١٠) جمع راصد، وهو الطالب للشيء الذي يَرْقُبُه.

(١١) الهُجَّد: النيام، وقد يكون أيضاً المستيقظين، وهو من الأضداد.

فقال رسول الله ﷺ: نُصِرْتَ يا عمرو بن سالم[(١)].

ثم عَرَضَتْ له ﷺ سحاب فقال: إنَّ هذا السحاب لَيَسْتَهِلّ بنصر بني كعب.

قال ابن إسحاق: وقبل مجيء عمرو بن سالم سمعتْ زوجة رسول الله ﷺ[(٢)] النبي ﷺ عندما قام الصبح يقول: نُصِرْتَ يا عمرو بن سالم - ثلاثاً -. فلما أتىٰ عمرو بن سالم عرفوا بأن النبي ﷺ كان يعلم ذلك، وكانت هذه من معجزاته ﷺ.

❁ بُدَيْل بن وَرْقاء مَوْفود بني خزاعة ولقاؤه مع أبي سفيان:

قال ابن إسحاق: وقدم بُدَيْل بن وَرْقاء في نفر من خزاعة علىٰ رسول الله ﷺ، فأخبره بما أُصيب منهم، وبمظاهرة قريش بني بكر عليهم.

ثم انصرفوا راجعين إلىٰ مكة، وقد قال رسول الله ﷺ للناس: كأنّكم بأبي سفيان قد جاءكم لِيَشُدّ العقد ويزيد في المدة.

ومضىٰ بُدَيْل بن وَرْقاء وأصحابه حتىٰ لقوا أبا سفيان بن حرب بعُسفان، قد بَعَثَتْهُ قريش إلىٰ رسول الله ﷺ ليشدّ العقد ويزيد في المدة، وقد رهبوا الذي صنعوا. فلما لقي أبو سفيان بديل بن ورقاء قال: مِنْ أين أقبلتَ يا بديل؟ وظنّ أنه قد أتىٰ رسولَ الله ﷺ، قال: تَسَيَّرْتُ في خزاعة في هذا الساحل، وفي بطن هذا الوادي. قال: أَوَما جئتَ محمداً؟ قال: لا. فلما راح بديل إلىٰ مكة قال أبو سفيان: لئن جاء بُدَيل المدينة لقد علف بها النوى. فأتىٰ مَبْرَك راحلته، فأخذ مِن بَعْرها فَفَتَّهُ، فرأى فيه النوى فقال: أحلف بالله لقد جاء بديل محمداً، فشدّد السير وانطلق نحو المدينة.

---

(١) وفي الاستيعاب: (لا نَصَرَني الله إنْ لم أنصر بني كعب). وفي طبقات ابن سعد: (فقال رسول الله ﷺ وهو يجر رداءه: لا نُصِرْتُ إنْ لم أنصر بني كعب مِمّا أنصر منه نفسي).

(٢) أَلاَ وهي أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث. روى الطبراني في الكبير والصغير عن ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ بات عندها ليلة، فقام ليتوضأ إلىٰ الصلاة، فسَمِعَتْهُ يقول في مُتَوَضَّئه: لبيك لبيك لبيك - ثلاثاً -، نُصِرْتَ نُصِرْتَ نُصِرْتَ - ثلاثاً -. فلما خرج قلتُ: يا رسول الله، سمعتُك تقول في مُتَوَضَّئِك: (لبيك لبيك لبيك - ثلاثاً -، نُصِرْتَ نُصِرْتَ نُصِرْتَ - ثلاثاً -) كأنّك تُكَلِّم إنساناً، فهل كان معك أحد؟ قال: هذا راجز بني كعب يَسْتَصْرِخُني، ويزعم أن قريشاً أعانتْ عليهم بكرَ بن وائل. قالت ميمونة: فأقمنا ثلاثاً، ثم صلّىٰ رسول الله ﷺ الصبح بالناس، فسمعتُ الراجز ينشد.... وذكرت الأبيات المتقدمة ص٥٧.

۞ وصول أبي سفيان إلىٰ المدينة وإخفاقه في تجديد العهد:

قال ابن إسحاق: ثم خرج أبو سفيان حتىٰ قدم علىٰ رسول الله ﷺ المدينة، فدخل علىٰ ابنته أم حبيبة زوج رسول الله ﷺ، فلما ذهب ليجلس علىٰ فراش رسول الله ﷺ طَوَتْه عنه، فقال: يا بُنَيّة، ما أدري أَرَغِبْتِ بي عن هذا الفراش، أم رَغِبْتِ به عني؟ قالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ، وأنت رجل مشرك نجس، ولم أُحِبَّ أن تجلس علىٰ فراش رسول الله ﷺ. قال: والله لقد أصابك يا بُنَيّة بعدي شر[1].

قال ابن إسحاق: ثم خرج أبو سفيان حتىٰ أتىٰ رسول الله ﷺ فكلّمه، فلم يردّ عليه شيئاً.

ثم ذهب إلىٰ أبي بكر فكلّمه أن يُكَلِّمَ له رسول الله ﷺ، فقال: ما أنا بفاعل.

ثم أتىٰ عمرَ بن الخطاب فكلّمه، فقال: أأنا أشفع لكم إلىٰ رسول الله ﷺ؟ فوالله لو لم أجد إلاّ الذرّ لجاهدتُكم به.

ثم خرج فدخل علىٰ علي بن أبي طالب وعنده فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وعندها حسن بن علي غلام يَدِبُّ بين يديها، فقال: يا علي، إنك أمسّ القوم بي رحماً، وإني قد جئتُ في حاجة فلا أرجعنّ كما جئتُ خائباً، فاشفع لي إلىٰ رسول الله ﷺ. فقال: ويحك يا أبا سفيان، والله لقد عزم رسول الله ﷺ علىٰ أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه. فالتفت إلىٰ فاطمة فقال: يا ابنة محمد، هل لك أن تأمري بُنَيَّك هذا فيجير بين الناس؟ قالت: والله ما بلغ بُنَيَّ ذاك أن يجير بين الناس، وما يجير أحد علىٰ رسول الله ﷺ. قال: يا أبا الحسن، إني أرى الأمور قد اشتدتْ عليّ فانصحني. قال: والله ما أعلم لك شيئاً يُغني عنك شيئاً، ولكنك سيد بني كنانة فَقُمْ فأَجِرْ بين الناس ثم الْحَقْ بأرضك. قال: أَوَتَرَى ذلك مُغْنِياً عني شيئاً؟ قال: لا والله ما أظنه، ولكنْ لا أجد لك غير ذلك.

---

(١) ولو كنتُ حاضراً لأجبتُه: بل أصابها خير كبير، بل أصابها إيمان عريض.

وهذا إنْ دلّ فإنما يدل علىٰ قوة إيمان أم حبيبة، وحبها لرسول الله ﷺ، ومكانته في قلبها. فهي بحضوره كغيبته، وبغيبته كحضوره، فتأبىٰ أن يجلس مشرك علىٰ فراش رسول الله ﷺ، فالعقيدة فوق النسب وفوق النفس.

فقام أبو سفيان في المسجد فقال: أيها الناس، إني قد أَجَرْتُ بين الناس. ثم ركب بعيره فانطلق، فلما قدم علىٰ قريش قالوا: ما وراءك؟ قال: جئت محمداً فكلّمتُه، فوالله ما ردّ عليّ شيئاً، ثم جئتُ ابن أبي قحافة فلم أجد فيه خيراً، ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أعدى العدو[1]، ثم جئت علياً فوجدته أَلْيَنَ القوم وقد أشار عليَّ بشيء صَنَعْتُه، فوالله ما أدري هل يغني ذلك شيئاً أم لا. قالوا: وبِمَ أَمَرَكَ؟ قال: أمرني أن أُجير بين الناس ففعلتُ، قالوا: فهل أجاز ذلك محمد؟ قال: لا، قالوا: ويلك، والله إنْ زاد الرجل علىٰ أن لعب بك، فما يغني عنك ما قلتَ. قال: لا والله، ما وجدتُ غير ذلك.

۞ تجهز الرسول ﷺ والمسلمين لفتح مكة:

قال ابن إسحاق: وأمر رسول الله ﷺ بالجَهاز، وأمر أهله أن يجهزوه.

فدخل أبو بكر علىٰ ابنته عائشة رضي الله عنهما وهي تحرّك بعض جَهاز رسول الله ﷺ، فقال: أيْ بُنَيّة، أَأَمَرَكُمْ رسول الله ﷺ أن تجهزوه؟ قالت: نعم، فَتَجَهَّزْ. قال: فأين تَرينَه يريد؟ قالت: لا والله ما أدري.

ثم إن رسول الله ﷺ أعلم الناس أنه سائر إلىٰ مكة، وأمر بالجِدّ والتهيؤ، وقال: اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتىٰ نَبْغَتَها في بلادها، فَتَجَهَّزَ الناس.

فقال حسان بن ثابت يُحَرِّض الناس ويذكر مصاب رجال خزاعة:

عَناني[2] ولم أَشْهَدْ ببطحاء مكةٍ ... رجال بني كعب[3] تُحَزُّ رِقابُها

بأيدي رجالٍ لم يَسِلُّوا سيوفَهم ... وقَتْلىٰ كثيرٌ لم تُجَنَّ ثيابُها[4]

---

(١) وفي رواية: أدنىٰ العدو.

(٢) أي أَهَمَّني.

(٣) قال ابن هشام: يعني قريشاً.

(٤) أي لم تُسْتَر، يريد أنهم قُتِلوا ولم يُدْفَنوا.

ألا ليت شعري هل تنالنّ نُصْرتي ... سهيلَ بن عمرو وَخْزُها وعقابُها
وصفوانُ عَوْدٌ[١] حَنَّ مِنْ شُفْرِ إسته ... فهذا أوانُ الحرب شُدَّ عِصابُها
فلا تَأْمَنَنَّا يا ابن أُمِّ مُجالد[٢] ... إذا احْتُلِبَتْ صِرْفاً[٣] وأَعْصَلَ[٤] نابُها
ولا تَجْزعوا منها فإنّ سيوفَنا ... لها وقعةٌ بالموت يُفْتَحُ بابُها

كتاب حاطب بن أبي بَلْتَعة إلىٰ قريش:

قال ابن إسحاق: لَمّا أجمع رسول الله ﷺ المسير إلىٰ مكة، كتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلىٰ قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله ﷺ من الأمر في السير إليهم، ثم أعطاه امرأةً زَعَمَ محمد بن جعفر أنها من مزينة، وزعم غيره أنها سارة مولاةٌ لبعض بني عبد المطلب. وجعل لها جُعْلاً علىٰ أن تُبَلِّغَه قريشاً، فجعلته في رأسها ثم فَتَلَتْ عليه قرونها، ثم خرجت به.

وأتىٰ رسولَ الله ﷺ الخبرُ من السماء بما صنع حاطب، فبعث عليَّ بن أبي طالب والزبيرَ بن العوام رضي الله عنهما فقال: أَدْرِكا امرأة قد كَتَبَ معها حاطب بن أبي بلتعة بكتاب إلىٰ قريش يُحَذِّرُهم ما قد أجمعنا له في أَمْرِهم. فخرجا حتىٰ أَدْرَكاها بالخُليقة[٥] - خليقة بني أبي أحمد - فَاسْتَنْزَلاها، فَالْتَمَسا في رَحْلها فلم يجدا شيئاً، فقال لها علي بن أبي طالب: إني أحلف بالله ما كُذِبَ رسول الله ﷺ ولا كُذِبْنا، ولَتُخْرِجِنّ لنا هذا الكتاب أو لَنَكْشِفَنَّكِ. فلما رأت الجِدَّ منه قالت: أَعْرِضْ، فَأَعْرَضَ، فَحَلَّتْ قرون رأسها

(١) العَوْد: المُسِنّ من الإبل.
(٢) قال ابن هشام: يعني عكرمة بن أبي جهل.
(٣) الصِّرْف: اللبن الخالص.
(٤) أي اعْوَجّ، فالعَصَل اعوجاج الأسنان.
(٥) وفي كتاب ابن إسحاق: بذي الخُليفة بضم الخاء وبالفاء، وهو اسم موضع.

فاستخرجت الكتابَ منها، فدَفَعَتْهُ إليه، فأتىٰ به رسول الله ﷺ.

فدعا رسول الله ﷺ حاطباً فقال: يا حاطب، ما حملك علىٰ هذا؟ فقال: يا رسول الله، أما والله إني لمؤمن بالله ورسوله ما غَيَّرْتُ ولا بَدَّلْتُ، ولكني كنت امرأ ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة، وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل، فصانَعْتُهم عليهم. فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، دعني فلأضرب عنقه، فإن الرجل قد نافق. فقال رسول الله ﷺ: وما يُدريك يا عمر، لعل الله قد اطّلع إلىٰ أصحاب بدر يوم بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم.

وهذه المرأة لها شأن، فقد كانت مغنية في قريش، ويجلس إليها شباب قريش، فافتقرت، فجاءت إلىٰ النبي ﷺ تجمع مالاً وتطلب معونة منه، فقال لها رسول الله ﷺ: أما كفاك شباب قريش؟ قالت: والله منذ بدر حتىٰ الآن ما تعرّض إليّ أحد منهم. فجمع لها ﷺ شيئاً من المال وأَرْحَلَها بناقة، فاستغلّ حاطب وجودها ورجوعها، فأعطاها ثلاثة دنانير مقابل إيصال الكتاب.

قال ابن إسحاق: فأنزل الله تعالىٰ في حاطب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ۞عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ

﴿وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٩﴾ [الممتحنة] (١).

❁ خروج الرسول ﷺ وعِدّة المسلمين:

ثم خرج النبي ﷺ من المدينة بعد أن تَهَيَّأَ للغزو يوم الأربعاء لعشر ليال خلون من رمضان، وبعث إلىٰ مَنْ حوله مِنَ الأعراب كأسلم، وغفار، ومزينة، وجهينة، وأشجع، وسليم. فجمع يومها عشرة آلاف مقاتل من القبائل بالإضافة إلىٰ المهاجرين والأنصار، وهو عدد لم يجتمع قبل ذلك للنبي ﷺ مِثْلُه. فمنهم مَن حصّل النبي ﷺ في المدينة وانضم تحت لوائه، ومنهم مَنْ حصّله علىٰ طريق مكة، فلم يتخلّف عنه منهم أحد.

كان عدد المهاجرين سبعمائة، ومعهم ثلاثمائة فرس. و الأنصار أربعة آلاف، ومعهم خمسمائة فرس. وكانت مزينة ألفاً، ومعها مائة فرس. وكانت أسلم أربعمائة، ومعها ثلاثون فرساً. وكانت جهينة ألفاً، ومعها خمسون فرساً. وأَلَّفَتْ كذلك بنو سليم.

ولم يكن معه ﷺ يومها من زوجاته الطاهرات سوى أم سلمة وميمونة رضي الله تعالىٰ عنهن.

واستخلف علىٰ المدينة عبدالله بن أم مكتوم كما قال ابن سعد.

وقال ابن إسحاق: استخلف أبا رُهْم كلثومَ بن حصين بن عتبة بن خلف الغفاري.

فلما انتهىٰ ﷺ إلىٰ الصُّلْصُل (٢) قدّم أمامه الزبير بن العوام في مائة من المسلمين علىٰ الخيل؛ ليكشفوا له الطريق.

---

(١) فهذه الآيات تبيّن بأنه لا يجوز لمؤمن مسلم أن يتعاون مع أعداء الإسلام من المشركين وأهل الكتاب ضد الإسلام، مهما كانت نيته ومهما كان قصده، فمَنْ فعل ذلك فقد عصىٰ الله والرسول. ومِن هنا عَرَفْنا بأن كلَّ مَن يتآمر علىٰ الإسلام والمسلمين، وكلَّ مَن يصادق أعداء الإسلام ويعمل لصالحهم، فإنه عدو لله وللرسول، والقرآنُ نزل بذلك إلىٰ يوم القيامة. فلا يجوز لمسلم أن يكشف عورة المسلمين وأن يُسَلِّمَ أرضهم، أو أن يساعد الكفار علىٰ بلاد المسلمين، والبقية عندك أخي المسلم في شتىٰ أرجاء ما يدور معنا في حاضرنا.

(٢) موضع علىٰ سبعة أميال من المدينة.

وصام رسول الله ﷺ وصام الناس معه، حتىٰ إذا كان بالكُدَيد[1] أفطر ونادى مناديه: مَنْ أَحَبّ أن يُفطر فليفطر، ومَنْ أَحَبّ أن يصوم فليصم. ثم وقف ﷺ علىٰ ظهر ناقته القصواء وشرب أمام الناس.

ثم عقد ﷺ الألوية والرايات ودفعها للقبائل.

۞ هجرة العباس بن عبد المطلب:

قال ابن إسحاق: وقد كان العباس بن عبد المطلب لقي رسول الله ﷺ ببعض الطريق.

قال ابن هشام فيما ذَكَرَ ابن شهاب الزهري: لَقِيَه بالجحفة مهاجراً بعياله، وقد كان قبل ذلك مقيماً بمكة علىٰ سقايته، ورسول الله ﷺ عنه راض.

۞ إسلام أبي سفيان بن الحارث وعبدالله بن أبي أمية:

قال ابن إسحاق: وقد كان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة قد لقيا رسول الله ﷺ أيضاً بنِيق العُقاب فيما بين مكة والمدينة، فَالْتَمَسا الدخول عليه، فكلّمته أم سلمة فيهما فقالت: يا رسول الله، ابن عمك وابن عمتك وصهرك. قال: لا حاجة لي بهما، أما ابن عمي فهَتَكَ عرضي، وأما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال لي بمكة ما قال.

قال: فلما خرج الخبر إليهما بذلك ومع أبي سفيان بُنَيٌّ له، فقال: واللهِ لَيَأْذَنَنَّ لي أو لآخذنّ بِيَدِي بُنَيَّ هذا، ثم لنذهبنّ في الأرض حتىٰ نموت عطشاً وجوعاً. فلما بلغ ذلك رسولَ الله ﷺ رقّ لهما، ثم أَذِنَ لهما فدخلا عليه فأسلما.

وأنشد أبو سفيان بن الحارث قولَه في إسلامه، واعتذر إليه مِمّا كان مضىٰ منه فقال:

لَعَمْرُكَ إني يومَ أَحْمِلُ رايةً ... لِتَغْلِبَ خيلُ اللاّت خيلَ محمدِ

---

(١) هي بين عُسْفان وأَمَج.

لَكَـالمُدْلِجِ[١] الحَـيْرانِ أَظلَـمَ لَيْلُـه فـهذا أَوانـي حـين أُهْـدَى وأَهْتَـدي
هَدانِـيَ هـادٍ غـيرُ نفسـي ودلّـني علىٰ الحق[٢] مَنْ طَـرَّدْتُ كـلَّ مُطَـرَّدِ
أَصُـدُّ وأَنْـأَى جـاهداً عـن محمـد وأُدْعَـىٰ وإنْ لم أَنْتَسِـبْ مِـن محمـدِ
هُـمُ مـا هُـمُ مَـن لم يَقُـلْ بِـهَواهمُ وإنْ كـان ذا رأيٍ يُلَـمْ ويُفَنَّـدِ[٣]
أُرِيـدُ لأُرْضِيـهِم ولسـتُ بلائـطٍ[٤] مـع القـوم مـا لم أُهْـدَ في كـلِّ مَقْعَـدِ
فَقُـلْ لِثَقيـف لا أُريـد قِتالَـها وقُلْ لثقيـفٍ تلـك غَـيريَ أَوْعِـدِي[٥]
فما كنـت في الجيش الـذي نـال عـامراً ومـا كـان عـن جرًّا[٦] لسـاني ولا يـدي
قبـائلُ جـاءتْ مِـن بـلاد بَعيـدة نزائعُ[٧] جـاءت مِـن سَـهام وسُـرْدَدِ[٨]

قال ابن إسحاق: ولَمّا بلغ إنشادُه قولَه: (مَنْ طَرَّدْتُ كُلَّ مُطَرَّدِ)، ضَرَبَ رسول الله ﷺ في صدره وقال: أنت طَرَّدْتَني كُلَّ مُطَرَّد !

۞ نزول المسلمين مرّ الظهران وتَحَسُّس قريش أخبار الرسول ﷺ:

ثم مضىٰ ﷺ حتىٰ نزل بمر الظهران في ليلة العشرين من رمضان.

---

(١) المُدْلِج: الذي يسير بالليل.

(٢) وفي سيرة ابن هشام والنهاية لابن كثير: (ونالني مع الله) بدل (ودلّني علىٰ الحق).

(٣) أي يُكَذَّب.

(٤) أي ملصق، يقال: لاط حبه بقلبي أي لصق به.

(٥) أي هَدِّدي.

(٦) أي مِنْ جَراء.

(٧) النزائع: الغرباء.

(٨) هما موضعان من أرض عَكّ.

قال ابن إسحاق: ولَمّا نزل رسول الله ﷺ مرّ الظهران نزلها عَشِيّاً، وأمر أصحابه فأَوْقَدوا عشرة آلاف نار، وقد عُمِّيَت الأخبار عن قريش، فلا يأتيهم خبر عن رسول الله ﷺ، ولا يدرون ما هو فاعل. فقال العباس بن عبدالمطلب: فقلت: واصباحَ قريش! والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه إنه لَهلاك قريش إلىٰ آخر الدهر.

۞ مجيء العباس بأبي سفيان بن حرب إلىٰ رسول الله ﷺ وإسلام أبي سفيان:

قال العباس: فجلستُ علىٰ بغلة رسول الله ﷺ البيضاء، فخرجت عليها حتىٰ جئت الأراك[1] فقلت: لَعَلّي أجد بعض الحطّابة، أو صاحبَ لبن، أو ذا حاجة، يأتي مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ؛ ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عنوة. وكان أبو سفيان بن حرب، وحكيم بن حزام، وبديل بن ورقاء، قد خرجوا تلك الليالي يتحسّسون الأخبار، وينظرون هل يجدون خبراً أو يسمعون به.

قال: فوالله إني لأَسِيرُ علىٰ بغلة رسول الله ﷺ ألتمس ما خرجتُ له، إذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان، وأبو سفيان يقول: ما رأيتُ كالليلة نيراناً قط ولا عسكراً! فيقول له بديل: هذه والله خزاعة قد حَمستها[2] الحرب، فيقول أبو سفيان: خزاعة أذل وأقل أن تكون هذه نيرانها وعسكرها. قال العباس: فعرفت صوته فقلت: يا أبا حنظلة؟ فعرف صوتي فقال: يا أبا الفضل؟ قلت: نعم، قال: ما لك فداك أبي وأمي؟ فقلت: ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله ﷺ في الناس، واصباح قريش والله! قال: فما الحيلة فداك أبي وأمي؟ قلت: والله لئن ظفر بك لَيَضْرِبَنّ عنقَك، فاركب في عَجُز هذه البغلة حتىٰ آتي بك رسول الله ﷺ فَأَسْتَأْمِنه لك. قال: فركب خلفي ورجع صاحباه.

قال العباس: فجئت به، كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا: مَنْ هذا؟ فإذا رأوا

---

(١) هو وادٍ قرب مكة.

(٢) بمعنىٰ اشتدّت عليها، وهو مأخوذ من الحماسة وهي الشدة والشجاعة.
وفي بعض الروايات: حَمشتها، بمعنىٰ أَحْرَقَتها.

بغلة رسول الله ﷺ وأنا عليها قالوا: عم رسول الله ﷺ علىٰ بغلته، حتىٰ مررت بنار عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

قال ابن سعد: وكان رسول الله ﷺ قد استعمل عمر تلك الليلة علىٰ الحرس.

قال العباس: فقال عمر: مَن هذا؟ وأقام إليّ، فلما رأى أبا سفيان علىٰ عَجُز الدابة قال: أبو سفيان عدو الله! الحمد لله الذي أَمْكَنَ منك بغير عقد ولا عهد. ثم خرج يشتد نحو رسول الله ﷺ، ورَكَضْتُ البغلةَ فَسَبَقَتْه، فاقتحمتُ عن البغلة ودخلت علىٰ رسول الله ﷺ، ودخل عمر فقال: يا رسول الله، هذا أبو سفيان وقد أُمْكِنَ منه بغير عقد ولا عهد، فَدَعْني أَضْرِبْ عنقه. قال العباس: قلت: يا رسول الله، قد أَجَرْتُه. ثم جلست إلىٰ رسول الله ﷺ وأخذت برأسه وقلت: واللهِ لا يناجيه الليلة دوني رجل، فلما أكثر عمر في شأنه قلت: مهلاً يا عمر، فوالله أنْ لو كان مِن رجال بني عدي بن كعب ما قلتَ هذا، ولكنك قد عرفتَ أنه من رجال بني عبد مناف. فقال عمر: مهلاً يا عباس، فوالله لإسلامك يوم أسلمتَ كان أَحَبَّ إليَّ مِن إسلام الخطاب لو أسلم، وما بي إلاّ أني قد عرفتُ أنَّ إسلامك كان أَحَبَّ إلىٰ رسول الله ﷺ مِن إسلام الخطاب لو أسلم. فقال رسول الله ﷺ: اذهب به يا عباس إلىٰ رحلك، فإذا أصبحتَ فائتني به.

قال: فذهبت به إلىٰ رحلي فبات عندي، فلما أصبح غدوت به إلىٰ رسول الله ﷺ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: ويحك يا أبا سفيان، أَلَمْ يَأْنِ[1] لك أن تعلم أنه لا إله إلاّ الله؟ قال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأَوْصَلك! واللهِ لقد ظننتُ أنْ لو كان مع الله إله غيره لقد أغنىٰ عني شيئاً بعد. قال: ويحك يا أبا سفيان، أَلَمْ يَأْنِ لك أن تعلم أني رسول الله؟ قال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! أما هذه والله فإنَّ في النفس منها حتىٰ الآن شيئاً. فقال له العباس: ويحك، أَسْلِمْ واشْهَدْ أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله قبل أن تُضرب عنقك.

---

(١) بمعنىٰ: أَلَمْ يَحِنْ؟

قال: فشهد شهادة الحق، فقلت: يا رسول الله، إن أبا سفيان يحب هذا الفخر، فاجعل له شيئاً. قال: نعم، مَنْ دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومَنْ أغلق عليه بابه فهو آمن، ومَنْ دخل المسجد فهو آمن.

۞ عرض جيوش المسلمين أمام أبي سفيان:

فلما ذهب لينصرف قال رسول الله ﷺ: يا عباس، احبسه بمضيق الوادي عند خَطْم الجبل[1] حتىٰ تمر به جنود الله فيراها. قال: فخرجت به حتىٰ حبسته حيث أمرني رسول الله ﷺ أن أحبسه.

قال: ومَرَّت القبائل علىٰ راياتها، كلما مرّت قبيلة قال: يا عباس، مَنْ هذه؟ فأقول: سُليم، فيقول: ما لي ولسليم؟ ثم تمر القبيلة فيقول: مَنْ هذه؟ فأقول: مُزينة، فيقول: ما لي ولمزينة؟ حتىٰ مرّت القبائل، فما تمر قبيلة إلاّ سألني عنها، فإذا أخبرتُه بهم قال: ما لي ولبني فلان؟ حتىٰ مرّ رسول الله ﷺ في كتيبته الخضراء[2]، فيها المهاجرون والأنصار، وهم لا يُرَى منهم إلاّ الحَدَقُ من الحديد، فقال: سبحان الله يا عباس، مَنْ هؤلاء؟ قلت: هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار، قال: ما لأحد بهؤلاء قِبَلٌ ولا طاقة، والله يا أبا الفضل لقد أصبح مُلْك ابن أخيك الغداة عظيماً. قال: قلت: ويحك إنها النبوة، قال: فنعم إذن.

۞ رجوع أبي سفيان إلىٰ قريش يُحَذِّرهم:

قال العباس: ثم قلت: النجاءَ[3] إلىٰ قومك، فسار حتىٰ إذا جاءهم صرخ بأعلىٰ صوته: يا معشر قريش، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قِبَل لكم به، فمَنْ دخل داري فهو

---

(١) الخَطْم: أنف الجبل، وهو شيء يخرج منه يضيق به الطريق. ووقع في البخاري فيه رواية أخرى لبعض الرواة، وهي: (عند حطم الخيل) بالحاء المهملة، وهو موضع ضيق تتزاحم فيه الخيل حتىٰ يحطم بعضُها بعضَها.

(٢) قال ابن هشام: وإنما قيل لها: الخضراء؛ لكثرة الحديد وظهوره فيها.

(٣) بمعنىٰ السرعة.

آمن. فقامت إليه هند بنت عتبة، فأخذت بشاربه فقالت: اقتلوا هذا الحَمِيتَ الدَّسِمَ الأَحْمَسَ[١]، قُبِّحَ مِن طليعة قوم. قال: ويلكم لا تَغُرَّنَّكم هذه من أنفسكم، فإنه قد جاءكم ما لا قِبَل لكم به، فمَنْ دخل داري فهو آمن. قالوا: قاتلك الله، وما تُغني عنا دارك؟ قال: ومَنْ أغلق عليه بابه فهو آمن، ومَنْ دخل المسجد فهو آمن. فتفرّق الناس إلىٰ دورهم وإلىٰ المسجد، والله يُؤَيِّد بنصره مَنْ يشاء.

❁ دخول رسول الله ﷺ وأصحابه مكة صلحاً، ودخول خالد بن الوليد[٢] ومَنْ معه مِن القبائل عنوة:

قال ابن سعد: ولَمّا انتهىٰ رسول الله ﷺ إلىٰ ذي طُوى[٣]، وقف علىٰ راحلته مُعْتَجِراً بشُقّة بُرْد حِبَرة حمراء، وإنه ليضع رأسه تواضعاً لله تعالىٰ حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح، حتىٰ إنَّ عُثْنونه ليكاد يمسّ واسطة الرَّحْل.

وفي رواية: دخل رسول الله ﷺ يومئذ وعليه عمامة سوداء، ورايته سوداء، ولواؤه أسود، حتىٰ وقف بذي طوى وتوسّط الناس.

قال: ثم فرّق رسول الله ﷺ الجيش من ذي طُوى، فأمر رسول الله ﷺ الزبير بن العوام - وكان علىٰ المجنبة اليسرى - أن يدخل ببعض الناس مِن كُدى[٤]، وأمر سعد بن عبادة أن يدخل ببعض الناس مِن كَداء[٥].

وكانت راية رسول الله ﷺ يومئذ مع سعد بن عبادة رضي الله عنه.

---

(١) الحَمِيتُ في الأصل زقّ السمن. والدَّسِمُ: الكثير الوَدَك. والأَحْمَس: الذي لا خير عنده، مِن قولهم: (عام أحمس) إذا لم يكن فيه مطر.

(٢) علماً أنه أسلم قبل فتح مكة.

(٣) هو موضع قرب مكة.

(٤) هي جبل بأسفل مكة.

(٥) هي جبل بأعلىٰ مكة، وهي الثنية التي عند المقبرة، وتسمىٰ تلك الناحية المعلاة.

قال ابن إسحاق: فلما وُجِّـهَ سعد للدخول قال: اليومَ يوم الملحمة، اليوم تُسْتَحَلُّ الحُرْمة[١]. فسمعها عمر بن الخطابﷺ فقال: يا رسول الله، اسمع ما قال سعد بن عبادة، ما نَأْمَن أن يكون له في قريش صَوْلة. فقال رسول اللهﷺ لعلي بن أبي طالب: أَدْرِكْهُ فخذ الراية منه، فَادْخُلْ أنت بها.

وقال محمد بن سعد: إن رسول اللهﷺ أخذ الراية من سعد، ودفعها لابنه قيس بن سعد.

وذكر يحيىٰ بن سعيد الأموي في السِّيَر أنَّ سعد بن عبادة لَمّا أخذ الراية مرّ علىٰ أبي سفيان، فقال سعد إذ نظر إليه: يا أبا سفيان، اليوم تُسْتَحَلّ الحُرْمة، اليوم أذلّ الله قريشاً. فأقبل رسول اللهﷺ في كتيبة الأنصار، حتىٰ إذا حاذى أبا سفيان ناداه: يا رسول الله، أُمِرْتَ بقَتْلِ قومك؟ فإنه زعم سعد ومَنْ معه حين مرّ بنا أنه قاتلنا، وقال: (اليوم يوم الملحمة، اليوم تُستحلّ الحرمة، اليوم أذلّ الله قريشاً)، وإني أنشدك الله في قومك، فأنت أَبَرّ الناس وأَوْصلهم وأرحمهم. وقال عثمان وعبد الرحمن بن عوف: يا رسول الله، واللهِ ما نَأْمَنُ سعداً أن تكون منه في قريش صَوْلة. فقال رسول اللهﷺ: يا أبا سفيان، اليوم يوم المرحمة، اليوم أعزّ اللهُ فيه قريشاً - أي باعتناقها الإسلام -.

قال ابن سعد: وأمر رسول اللهﷺ خالد بن الوليد - وكان علىٰ المجنبة اليمنىٰ - أن يدخل ببعض الناس مِنَ اللِّيط أسفل مكة، وكان معه أسلم، وسُليم، وغفار، ومزينة، وجهينة، وقبائل من العرب.

وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين يَنْصَبُّ لمكة بين يدي رسول اللهﷺ. ودخل رسول اللهﷺ من أذاخر[٢] حتىٰ نزل بأعلىٰ مكة، وضُرِبَتْ له هناك قبة، ونهىٰ عن القتال.

وعَبَرَ أصحاب رسول اللهﷺ من الأماكن التي أمرهمﷺ أن يدخلوا منها ولم يلقوا كيداً، إلاّ خالد بن الوليد فإن صفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو،

---

(١) وفي رواية غيرها: اليوم تُسْتَحَلّ الكعبة.

(٢) هي ثنية بين مكة والمدينة.

جمعوا جمعاً من قريش ووقفوا بالخَنْدَمة[١] ؛ ليقاتلوا خالد بن الوليد ويمنعوه من الدخول، وأَشْهَروا السلاح ورَمَوْا بالنَّبْل، فصاح خالد في أصحابه وقاتلهم. فقُتِلَ أربعة وعشرون رجلاً من قريش، وأربعة نفر مِن هُذَيْل، وانهزموا أقبح هزيمة.

فلما ظهر رسول الله ﷺ علىٰ ثنية أذاخر، رأى بارقة السيوف فقال: أَلَمْ أَنْهَ عن القتال؟ فقيل: يا رسول الله، إن خالد بن الوليد قوتل فقاتل. فقال النبي ﷺ: قضاء الله خير.

وقُتِلَ يومها من المسلمين رجلان كانا سلكا طريقاً غير طريق خالد فقُتِلا، وهما: كُرز بن جابر الفهري، وحُبَيش[٢] بن خالد الخزاعي، وقيل: خالد الأشقر الخزاعي.

وقال ابن إسحاق: قُتِلَ مِن المشركين يومئذ اثنا عشر أو ثلاثة عشر رجلاً.

۞ ذكر خبر حِماس بن قيس ويوم الخَنْدَمة:

قال ابن إسحاق: وقد كان حِماس بن قيس بن خالد أخو بني بكر يُعِدّ سلاحاً ويُصْلح منه قبل دخول رسول الله ﷺ، فقالت له امرأته: لماذا تُعِدّ ما أرى؟ قال: لمحمد وأصحابه، قالت: والله ما أراه يقوم لمحمد وأصحابه شيء، قال: والله إني لأرجو أن أُخْدِمَكِ بعضَهم، ثم قال:

إنْ يُقْبِلوا اليوم فما لي عِلَّهْ ... هذا سلاحٌ كاملٌ وأَلَّهْ[٣]

وذو غِرارَين سريعُ السَّلَّهْ

ثم شهد يوم الخَنْدَمة، فلما انهزم القوم دخل علىٰ امرأته وقال: أغلقي عليّ بابي، قالت: فأين الذي كنتَ تقول؟ فقال:

إنّكِ لو شهدتِ يوم الخَنْدَمَهْ ... إذ فرّ صفوان وفرّ عكرمَهْ

---

(١) اسم جبل بمكة له يوم معروف.

(٢) وفي السيرة لابن هشام: خنيس.

(٣) الأَلّة: جميع أدوات الحرب.

وأبـــو يزيـــدَ قـــائم كالـمُوتِمَـــهْ[١] واســـتقبلتهم بالســـيوف المُسْـــلِمَهْ
يقطعـــنَ كـــل ســـاعد وجُمجمَـــهْ ضَرْبـــاً فـــلا تَسْـــمَعُ إلاّ غَمْغَمَـــهْ[٢]
لهـــمْ نَـــهِيتٌ[٣] خَلْفَنـــا وهَمْهَمَـــهْ[٤] لم تنطقـــي في اللـــوم أدنـــىٰ كلمَـــهْ

۞ خبر هبيرة بن أبي وهب وفراره يوم الفتح:

وكان مِمّن فرّ يومئذ هُبَيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، وهو زوج أم هانئ بنت أبي طالب أخت عليٍّ لأبويه، فأسلمتْ وهرب هبيرة إلىٰ نجران، وقال معتذراً من فراره:

لَعَمْـرُك مـا وَلَّيْـتُ ظـهري محمـداً وأصحابَـه جُبنـاً ولا خِيفـة القَتْـلِ
ولكنـني قَلَّبْـتُ أمـري فلـم أجـد لسـيفي غَنـاءً إنْ ضربـتُ ولا نَبْـلِ
وقفـتُ فلمـا خِفْـتُ ضَيْعـة موقفـي رجعـتُ لِعَـوْدٍ كـالهِزَبْر[٥] إلىٰ الشـبلِ

۞ شعار المسلمين يوم الفتح:

قال ابن هشام في السيرة: وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وحنين والطائف، شعار المهاجرين: (يا بني عبد الرحمن)، وشعار الخزرج: (يا بني عبد الله)، وشعار الأوس: (يا بني عبيد الله).

---

(١) هي الثكلىٰ.

(٢) هي أصوات غير مفهومة لاختلاطها.

(٣) هو زئير الأسد.

(٤) هو تردد الزئير في الصدر.

(٥) الهِزَبْر هو الأسد.

۞ أَمْر الرسولﷺ بقتل نفر سمّاهم:

وقد أَمَرَ رسول اللهﷺ يوم فتح مكة بقتل أُناس، وهم ستة نفر وأربع نسوة، وإنْ وُجِدوا تحت أستار الكعبة، وهم: عكرمة بن أبي جهل، وهَبّار بن الأسود، وعبدالله بن سعد بن أبي سَرْح، ومِقْيَس بن صُبابة الليثي، والحُوَيْرث بن نُقَيْذ بن وهب، وعبدالله بن هلال بن خَطَل الأدرمي، وهند بنت عتبة، وسارة مولاة عمرو بن هشام، وفَرْتَنَىٰ، وقُرَيبة.

فمنهم مَنْ قُتِلَ، ومنهم مَنْ أجاره بعض أهله ثم أسلم وعفا عنه النبيﷺ.

- فأما عكرمة بن أبي جهل:

فإنه هرب إلىٰ اليمن، وأَسْلَمَت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام، فَاسْتَأْمَنَتْ له رسول اللهﷺ فأمّنه. فخرجت في طلبه إلىٰ اليمن حتىٰ أتت به رسول اللهﷺ، فأسلم وحَسُن إسلامه.

وحكىٰ الزبير بن بكّار قال: لَمّا أسلم عكرمة قال: يا رسول الله، عَلِّمْني خير شيء تَعْلَمُه أقوله. فقال له النبيﷺ: شهادة أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله. فقال عكرمة: أنا أَشْهَدُ بهذا، وأُشْهِدُ بذلك مَنْ حَضَرَني، وأسألك يا رسول الله أن تستغفر لي. فاستغفر له رسول اللهﷺ، فقال عكرمة: والله لا أَدَعُ نفقة كنت أنفقها في صدٍّ عن سبيل الله إلاّ أنفقت ضعفها في سبيل الله، ولا قتالاً قاتلته إلاّ قاتلت ضعفه. ثم اجتهد في الجهاد والعبادة حتىٰ استُشهد رحمه الله تعالىٰ في خلافة عمر بن الخطابرضي الله عنه في الشام.

وقيل: استُشهد في آخر خلافة أبي بكررضي الله عنه، قيل: في يوم اليرموك، وقيل: في يوم مرج الصُّفَّر، وقيل: في يوم أجنادين، والله أعلم.

وقيل: هو الذي قَتَلَ مسيلمة الكذاب[1].

وروى الحاكم في المستدرك عن عروة بن الزبير قال: قال عكرمة بن أبي جهل: لَمّا انتهيتُ إلىٰ رسول اللهﷺ قلت: يا محمد، إنَّ هذه أَخْبَرَتْني أنك أَمَّنْتَني. فقال رسول اللهﷺ: أنت آمن، فقلت: أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأنت عبد الله ورسوله، وأنت

---

(١) فلقد اخْتُلِفَ فيمن قَتَلَ مسيلمةَ الكذاب، قيل: عكرمة، وقيل: غيره.

أَبَرّ الناس وأصدق الناس وأَوْفىٰ الناس. قال عكرمة: أقول ذلك وإني لَمُطَأْطِئٌ رأسي استحياءً منه، ثم قلت: يا رسول الله، اسْتَغْفِرْ لي كلَّ عداوة عادَيْتُكَها، أو موكب أُوضِعْتُ فيه أريد فيه إظهار الشرك. فقال رسول الله ﷺ: اللهم اغفر لعكرمة كلَّ عداوة عادانِيها، أو موكب أُوضِعَ فيه يريد أن يَصُدَّ عن سبيلك. قلت: يا رسول الله، مُرْني بخيرِ ما تعلم فَأَعْلَمُه. قال: قل: أشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً عبده ورسوله، وتُجاهد في سبيله. ثم قال عكرمة: أما والله يا رسول الله لا أَدَعُ نفقة كنت أَنْفَقْتُها في الصد عن سبيل الله إلاّ أنفقت ضعفها في سبيل الله، ولا قاتلت قتالاً في الصد عن سبيل الله إلاّ أَبْلَيْتُ ضعفه في سبيل الله.

ثم اجتهد في القتال حتىٰ قُتِلَ يوم أجنادين شهيداً في خلافة أبي بكر رضي الله عنه.

وفي رواية للبيهقي قال: وأما عكرمة فركب البحر فأصابتْهم قاصف، فقال أهل السفينة لأهل السفينة: أَخْلِصوا، فإنّ آلهتكم لا تُغني عنكم شيئاً ها هنا. فقال عكرمة: واللهِ لئن لم يُنْجِ في البحر إلاّ الإخلاص فإنه لا يُنْجي في البَرِّ غيره، اللهم إنَّ لك عليّ عهداً إنْ أنت عافيتني مِمّا أنا فيه أن آتي محمداً حتىٰ أضع يدي في يده، فلأَجدنّه عفواً كريماً. فجاء فأسلم.

- وأما عبد الله بن سعد بن أبي سرح:

فقد كان مسلماً يكتب لرسول الله ﷺ الوحي، ثم ارتدّ ورجع إلىٰ قريش.

فلما كان يوم الفتح، فرّ إلىٰ عثمان بن عفان وهو أخوه من الرضاعة، فغيّبه حتىٰ أتىٰ به رسول الله ﷺ، فاسْتَأْمَنَ له بعد أن اطمأن الناس. فزعموا أن رسول الله ﷺ صمت طويلاً ثم قال: نعم، فلما انصرف عنه عثمان، قال ﷺ لِمَنْ حوله مِن أصحابه: لقد صمتُّ ليقوم إليه بعضكم فيضربَ عنقه، فقال رجل من الأنصار: فهلاّ أَوْمَأْتَ إليّ يا رسول الله؟ فقال: إنَّ النبي لا يقتل بالإشارة. ثم أسلم عبدالله بن سعد بعد ذلك.

وفي رواية للبيهقي قال: وأما عبدالله بن سعد بن أبي سرح، فإنه اختبأ عند عثمان بن عفان، فلما دعا رسول الله ﷺ الناس إلىٰ البيعة، جاء به حتىٰ أَوْقَفَهُ علىٰ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، بايِعْ عبدالله. فرفع رأسه، فنظر إليه ثلاثاً، كل ذلك يأبىٰ، فبايعه بعد الثلاث، ثم أقبل علىٰ أصحابه فقال: أمَا كان فيكم رجل يقوم إلىٰ هذا حين رآني كَفَفْتُ يدي عن بيعته فيقتله؟ فقالوا: ما يُدرينا يا رسول الله ما في نفسك، هلاّ أَوْمَأْتَ إلينا

بعينك؟ فقال: إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين[١].

- وأما مِقْيس بن صُبابة الليثي:

فإن أخاه هشام بن صُبابة كان قد صحب رسول الله ﷺ في غزوة بني المصطلق بالمُرَيْسيع، فأصابه رجل من الأنصار مِن رهط عبادة بن الصامت وهو يرى أنه من العدو، فقتله خطأً. فقدم مِقْيَس هذا على رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة وأَظْهَرَ الإسلام، وقال: يا رسول الله، جئتك مسلماً، وجئتك أطلب دية أخي. فَأَمَرَ له رسول الله ﷺ بدية أخيه.

فأقام غير كثير، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله، ثم خرج إلى مكة مرتداً، فنذر رسول الله ﷺ قَتْلَه لذلك، فقتله نميلة بن عبدالله، رجل من قومه.

- وأما الحُوَيْرث بن نُقَيْذ بن وهب:

فقتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ لأنه كان يؤذي رسول الله ﷺ. ومنها أنَّ العباس بن عبد المطلب كان قد حمل بنتي رسول الله ﷺ: فاطمة وأم كلثوم من مكة يريد بهما المدينة، فرمى بهما الحُوَيْرث الأرض.

- وأما عبد الله بن هلال بن خَطَل الأدرمي:

فقد كان مسلماً، وكان قد بعثه رسول الله ﷺ مُصَدِّقاً[٢]، وبعث معه رجلاً من الأنصار، وكان معه مولى له يخدمه وهو مسلم. فنزل منزلاً، وأمر المولى أن يذبح له تيساً فيصنع له طعاماً. فنام واستيقظ ولم يَصنع له شيئاً، فقتله ثم ارتدّ.

فقَتَلَ ابنَ خَطَل سعيدُ بن حويرث المخزومي وأبو برزة الأسلمي، اشتركا في دمه.

- وكانت فَرْتَنَى وقريبة قَيْنَتاه تُغَنِّيان بهجاء رسول الله ﷺ.

فقُتِلَتْ إحداهما، وهربت الأخرى حتى اسْتُؤْمِنَ لها رسول الله ﷺ فأمّنها.

- وأما هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان:

فأسلمت، ولَمّا أخذ رسول الله ﷺ البيعة على النساء، ومِنَ الشرط فيها: ألاّ يسرقن

---

(١) رواه كذلك أبو داود والنسائي.

(٢) أي جامعاً للصدقات وهي الزكاة.

ولا يزنين، قالت: وهل تزني الحرة أو تسرق يا رسول الله؟ فلما قال: ولا تقتلن أولادكن، قالت: قد ربّيناهم صغاراً وقتلتَهم أنت ببدر كباراً. وشَكَتْ إلىٰ رسول الله ﷺ أنّ زوجها أبا سفيان شحيح، لا يعطيها من الطعام ما يكفيها وولدَها، فقال: خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك أنت وولدك.

- وأما سارة مولاة عمرو بن هشام:

فكانت مِمّن آذى النبي ﷺ في مكة، فاسْتُؤْمِنَ لها فأمّنها رسول الله ﷺ.

- وأما هبّار بن الأسود:

فإنه هرب فلم يوجد، ثم أسلم بعد الفتح وحسن إسلامه.

۞ ذكر إسلام أبي قحافة:

هو عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مرة بن كعب.

روى محمد بن إسحاق بسنده إلىٰ أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها قالت: لَمّا وقف رسول الله ﷺ بذي طُوى، قال أبو قحافة لابنة له من أصغر ولده: أي بُنَيّة، اظْهَري بي علىٰ جبل أبي قبيس. قالت: وكان قد كُفَّ بصره، فأشرفتُ به عليه، فقال لها: أيْ بُنَيّة، ماذا ترين؟ قالت: أرى سواداً مجتمعاً، قال: تلك الخيل، قالت: وأرى رجلاً يسعىٰ بين يدي ذلك السواد مقبلاً ومدبراً. قال: أيْ بُنَيّة، ذلك الوازع[1]. ثم قالت: قد والله انتشر السواد، فقال: قد والله إذن دُفِعَتِ الخيل، فأسرعي بي إلىٰ بيتي. قالت: فانحطت به، وتلقّاه الخيلُ قبل أن يصل إلىٰ بيته. قالت: وفي عنق الجارية طوق من وَرِق[2]، فتلقّاها رجل فاقْتَطَعَه مِن عنقها.

فلما دخل رسول الله ﷺ إلىٰ المسجد، أتىٰ أبو بكر بأبيه يقوده، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: هلاّ تركتَ الشيخ في بيته حتىٰ أكون أنا آتيه فيه؟ قال أبو بكر: يا رسول الله، هو أحق

(١) الوازع: الذي يُرَتِّب الجيش ويُسَوِّيه ويَصُفُّه، فكأنه يَكُفُّه عن التفرق والانتشار.

(٢) هو الفضة، وقيل: الذهب والفضة كما في لسان العرب.

أن يمشي إليك مِن أن تمشي إليه أنت. فأجلسه بين يديه، ثم مسح صدره ثم قال له: أَسْلِمْ. قالت: فأَسْلَمَ. قالت: فدخل به أبو بكر وكأنّ رأسه ثَغامة[١]، فقال رسول الله ﷺ: غَيِّروا هذا مِن شعره.

ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته وقال: أنشد الله والإسلام طوقَ أختي، فلم يجبه أحد. قالت: فقال: أيْ أُخَيّة، احتسبي طوقك، فوالله إن الأمانة في الناس اليوم لقليل.

۞ إسلام عبدالله بن الزِّبَعْرى وما قال مِنْ شعر:

وأسلم كذلك عبدالله بن الزِّبَعْرَى عام الفتح وحَسُنَ إسلامه، وكان مِمّن يؤذي رسول الله ﷺ أشد الأذى في الجاهلية، فأسلم واعتذر إلىٰ رسول الله ﷺ، فقَبِل عذره، فقال يمدح رسول الله ﷺ.

وله في مدحه أشعار كثيرة، ينسخ بها ما قد مضىٰ في كفره، منها:

مَنَعَ الرقادَ بلابلٌ[٢] وهمومُ ... والليلُ مُعْتَلِجُ الرِّواق[٣] بَهيمُ
مِمّا أتاني أنَّ أحمد لامني ... فيه فِتٌّ كأنني مَحمومُ
يا خير مَن حَمَلَتْ علىٰ أوصالها ... عَيْرانةٌ[٤] سُرُحُ اليدين[٥] غَشومُ[٦]
إني لَمعتذرٌ إليك مِنَ الذي ... أَسْدَيْتُ إذ أنا في الضلال أَهِيمُ[٧]

---

(١) هي نبت أبيض الزهر والثمر، يَشَبَّه بياض الشيب به.

(٢) البلابل هي الوساوس المختلطة والأحزان.

(٣) أي مضطرب يركب بعضه بعضاً، ورواق الليل: مقدمه وجانبه.

(٤) هي الراحلة التي تُشْبِهُ العير في شدته ونشاطه.

(٥) أي خفيفة اليدين.

(٦) أي شجاع لا يُثْنِيه أَمْرٌ عن عزمه.

(٧) أي أذهب علىٰ وجهي مُتَحَيِّراً، وفي نسخة غيرها: مقيم.

أيـامَ تَـأْمُرُنـي بـأَغْـوَى خُطّـةٍ سَـهْمٌ وتَـأْمُرُنـي بـها مخـزومُ
وأَمُـدُّ أسـباب الـرَّدَى ويَقُودُنـي أَمْـرُ الغُـواةِ وأَمْرُهـم مشـؤومُ
فـاليومَ آمَـنَ بـالنبيِّ محمـدٍ قلـبي ومُخطِـئُ هـذه مَحْـرومُ
مَضَـتِ العـداوةُ وانْقَضَـتْ أسـبابُها ودَعَـتْ[1] أواصـرُ بيننـا وحُلُـومُ
فـاغْفِرْ فِـدىً لـك والـداي كلاهمـا زَلَلـي فـإنك راحـمٌ مرحـومُ[2]
وعليـك مِـن عِلْـم[3] المليـك علامـة نـورٌ أَغَـرُّ وخـاتمٌ مختـومُ
أعطـاكَ بعـد محبـةٍ برهانَـه شَـرَفاً وبرهـان الإلـه عظيـمُ
ولقـد شَـهِدْتُ بـأنّ دينـك صـادقٌ حـقٌ وأنـك في العبـاد جسـيمُ
واللهُ يشـهد أن أحمـد مصطفـىً مُسْـتقبل في الصـالحين كريـمُ
قَـرْم عـلا بُنيانـه مِـن هاشـم فَـرْع تمكـن في الـذُّرا وأُرُومُ[4]

فقد كان عبدالله بن الزِّبَعْرَى من أكبر أعداء الإسلام، ومن الشعراء الذين استعملوا قواهم في هجاء المسلمين. ثم لَمّا مَنَّ الله عليه بالإسلام والتوبة الصحيحة والإنابة، كان من أكبر الشعراء مناصرة لله ورسوله، وهكذا يفعل الإيمان إذا دخل قلب صاحبه.

۞ دخول رسول الله ﷺ المسجد وطوافه بالبيت وتكسيره الأصنام:

وبعد ذلك اغتسل النبي ﷺ في خيمته، وجاءته أم هانئ وهو يغتسل وفاطمة تستره

(١) وفي نسخة: وأَتَتْ.

(٢) وفي نسخة: وارْحَمْ فإنك راحم مرحوم.

(٣) وفي نسخة: سِمَة.

(٤) جمع أرومة بفتح أوله وضمه، وهو الأصل.

بالإزار، فأغلقت الباب وقالت: يا رسول الله، إنَّ علياً يريد أن يقتل مَنْ أَجَرْتُ. فقال لها: لقد أَجَرْنا مَنْ أَجَرْتِ يا أم هانئ[١].

قال ابن إسحاق: ولَمّا نزل رسول الله ﷺ مكة واطمأن الناس، خرج حتىٰ جاء البيت فطاف به سبعاً علىٰ راحلته، يستلم الركن بمحجن[٢] في يده.

فلما قضىٰ طوافه دعا عثمانَ بن طلحة، فأخذ منه مفتاح الكعبة، ففُتِحَتْ له فدخلها، فوجد فيها حمامة من عيدان، فكسرها بيده ثم طرحها، ثم وقف علىٰ باب الكعبة وقد استكفّ له الناس[٣] في المسجد، فقال: لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألاَ كل مَأْثُرة أو دم أو مال يُدَّعىٰ فهو تحت قَدَمَيَّ هاتين، إلاّ سَدانة البيت وسِقاية الحاجّ. ألاَ وقتيل الخطأ شِبْه العمد بالسَّوْط والعصا، ففيه الدية مغلظة، مائة من الإبل، أربعون منها في بطونها أولادها. يا معشر قريش، إنَّ الله قد أَذْهَبَ عنكم نخوة الجاهلية وتَعَظُّمَها بالآباء، الناس من آدم، وآدم من تراب. ثم تلا قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحجرات]. ثم قال: يا معشر قريش، ماذا ترون أني فاعل فيكم؟ قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

وزاد الواقدي في المغازي: أَلاَ إنَّ الله حَرَّمَ مكة يوم خَلَقَ السماوات والأرض، فهي حرام بحُرْمة الله، لم تَحِلَّ لأحد قبلي، ولا تَحِلّ لأحد كائنٍ بعدي، ولم تَحِلَّ لي إلاّ ساعة مِنَ النهار - يُقصّرها رسول الله ﷺ بيده هكذا -، لا يُنَفَّر صَيْدها، ولا يُعْضَد[٤] عِضاهُها، ولا تَحِلُّ لُقَطَتُها إلاّ لِمُنْشِدٍ، ولا يُخْتَلىٰ خَلاها[٥]. فقال العباس وكان شيخاً مُجَرِّباً:

---

(١) مِن هنا نعلم أن إجارة المرأة مقبولة إذا كانت علىٰ حق.

(٢) هي عصا منعطفة الرأس.

(٣) أي استداروا فصاروا كالحلقة حوله.

(٤) أي لا يُقْطَع.

(٥) أي لا يُقْطَع، والخَلا: النبات الرقيق ما دام رطباً.

إلاّ الإذْخِر[١] يا رسول الله، فإنه لا بد منه، إنه للقبور وطُهور البيت. قال: فسكت رسول الله ﷺ ساعة ثم قال: إلاّ الإذْخِر فإنه حلال. ولا وصيّة لوارث، وإنَّ الولد للفراش وللعاهر الحَجَر. ولا يَحِلُّ لامرأةٍ تُعْطِي مِنْ مالها إلاّ بإذن زوجها. والمسلم أخو المسلم، والمسلمون إخوة، والمسلمون يدٌ واحدة علىٰ مَنْ سِواهم، تَتَكافأُ دماؤُهم، يردّ عليهم أَقصاهم، ويَعْقِد عليهم أَدناهم، ومُشِدُّهم علىٰ مُضْعِفهم، ومَيْسَرتهم علىٰ قاعدهم. ولا يُقْتَلُ مسلمٌ بكافرٍ، ولا ذو عهد في عهده. ولا يَتَوارث أهل مِلَّتَيْن مُخْتَلِفَتَيْن، ولا جَلَبَ ولا جنَب، ولا تُؤْخَذ صدقات المسلمين إلاّ في بيوتهم وبأَفنيتهم. ولا تُنْكَح المرأة علىٰ عمتها وخالتها. والبَيِّنة علىٰ مَن ادّعَىٰ، واليمين علىٰ مَنْ أنكر. ولا تُسافر امرأةٌ مسيرة ثلاثٍ إلاّ مع ذي مَحْرَم، ولا صلاة بعد العصر وبعد الصبح. وأنهاكم عن صيام يومين: يوم الأضحىٰ ويوم الفطر، وعن لبْسَتَيْن: لا يَحْتَبِ[٢] أحدكم في ثوبٍ واحد يُفْضِي بعَوْرته إلىٰ السماء، ولا يشتمل الصَّمّاء[٣]، ولا أخالكم إلاّ وقد عرفتموها.

قال ابن إسحاق: ثم جلس رسول الله ﷺ في المسجد، فقام إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومفتاح الكعبة في يده، فقال: يا رسول الله، اجمع لنا الحجابة مع السقاية. فقال ﷺ: أين عثمان بن طلحة؟ فدُعِيَ له فقال: هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم بِرٍّ ووفاء.

وقال محمد بن سعد: دفع إليه رسول الله ﷺ المفتاح وقال: خذوها يا بني طلحة تالدة خالدة، لا ينزعها منكم إلاّ ظالم. ودفع السقاية إلىٰ العباس بن عبد المطلب.

وقال عبد الملك بن هشام: حدّثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ دخل البيت يوم الفتح فرأى فيه صُوَر الملائكة وغيرهم، فرأى إبراهيم عليه السلام مُصَوَّراً في يده الأزلام يَسْتَقْسِمُ

---

(١) هو حشيش طَيِّب الريح.

(٢) احْتَبَىٰ بالثوب أي اشتمل، أو جَمَعَ بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها.

(٣) قال الفقهاء: هو أن يتغطىٰ بثوب واحد ليس عليه غيره، ثم يرفعه مِن أحد جانبيه فيضعه علىٰ منكبيه، فتنكشف عورته. وإنما قيل له: صَمّاء؛ لأنه يسد علىٰ يديه ورجليه المنافذ كلها كالصخرة الصَّمّاء التي ليس فيها خرق ولا صدع.

بها، فقال: قاتَلَهم الله، جعلوا شيخنا يَسْتَقْسِم بالأزلام! ما شأن إبراهيم والأزلام! ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران]. ثم أَمَرَ بتلك الصور كلها فطُمِسَتْ.

قال ابن هشام: وحدّثني أنّ رسول الله ﷺ دخل الكعبة ومعه بلال بن رباح، فأمره أنْ يُؤَذِّنَ فأذّن، وأبو سفيان بن حرب وعتّاب بن أَسِيد والحارث بن هشام جلوس بفِناء الكعبة، فقال عتّاب بن أسيد: أكرم الله أَسِيداً ألاّ يكون سمع هذا فيسمع ما يُغيظه، فقال الحارث: أما والله لو أعلم أنه مُحِقٌّ لاتَّبَعْتُه، فقال أبو سفيان: لا أقول شيئاً، لو تكلّمتُ لأَخْبَرَتْ عني هذه الحصىٰ. فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال: قد علمتُ الذي قلتم، ثم ذكر ذلك لهم، فقال الحارث وعتّاب: نشهد أنك رسول الله، واللهِ ما اطّلع علىٰ هذا أحد كان معنا فنقول: أَخْبَرَك.

وقال أبو محمد بن هشام بسند يرفعه إلىٰ ابن عباس رضي الله عنهما قال: دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح علىٰ راحلته، فطاف عليها وحول البيت أصنام مشدودة بالرصاص، فجعل النبي ﷺ يشير بقضيب في يده إلىٰ الأصنام ويقول: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء]. فما أشار ﷺ إلىٰ صنم منها في وجهه إلاّ وَقَعَ لِقَفاه، ولا أشار إلىٰ قفاه إلاّ وقع لوجهه، حتىٰ ما بقي منها صنم إلاّ وقع.

قال محمد بن سعد: كان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً، وكان أعظمها هُبَل.

وقال تميم بن أسد الخزاعي في ذلك:

وفي الأصنام مُعْتَبَرٌ وعِلْمٌ ... لِمَنْ يرجو الثوابَ أو العقابا

ويومها وقف الزبير بن العوام بقرب أبي سفيان وقال: يا أبا سفيان، أتذكر يوم أُحُد عندما انْتَصَرْتُم ووقفتَ وقلتَ: اعْلُ هُبَل، هذا هُبَل قد كُسِّرَ أمامك، فقال: دَعْ عنك ذلك يا ابن العوام، فوالله لو علمنا أن غير الله ينفع لَما وصلتم إلىٰ ها هنا.

قال محمد بن سعد: ولَمّا كان من الغد من يوم الفتح خطب رسول الله ﷺ بعد الظهر فقال: إنَّ الله قد حرَّم مكة يوم خلق السماوات والأرض، فهي حرام إلىٰ يوم القيامة،

ولم تَحِلَّ لي إلاّ ساعة من نـهار ثـم رجعـتْ لِحُرْمتها بـالأمس، فليبلـغ شـاهدُكم غـائبَكم، ولا يَحِلُّ لنا من غنائمها شيء.

قال ابن سعد: وقد فَتَحَ رسول الله ﷺ مكة يوم الجمعة لعشر بقـين مـن شـهر رمضـان، وأقام بها ﷺ خمس عشرة ليلة يصلي ركعتين، وبثّ السرايا، ثم خرج إلىٰ حُنَـين واسـتعمل علىٰ مكة عتّاب بن أَسِيد يُصَلِّي بهم، ومعاذ بن جبل يُعَلِّمهم السنن والفقه.

❁ إرسال الرسول ﷺ السرايا بعد الفتح لهدم الأصنام ودعوة الناس إلىٰ الإسلام:

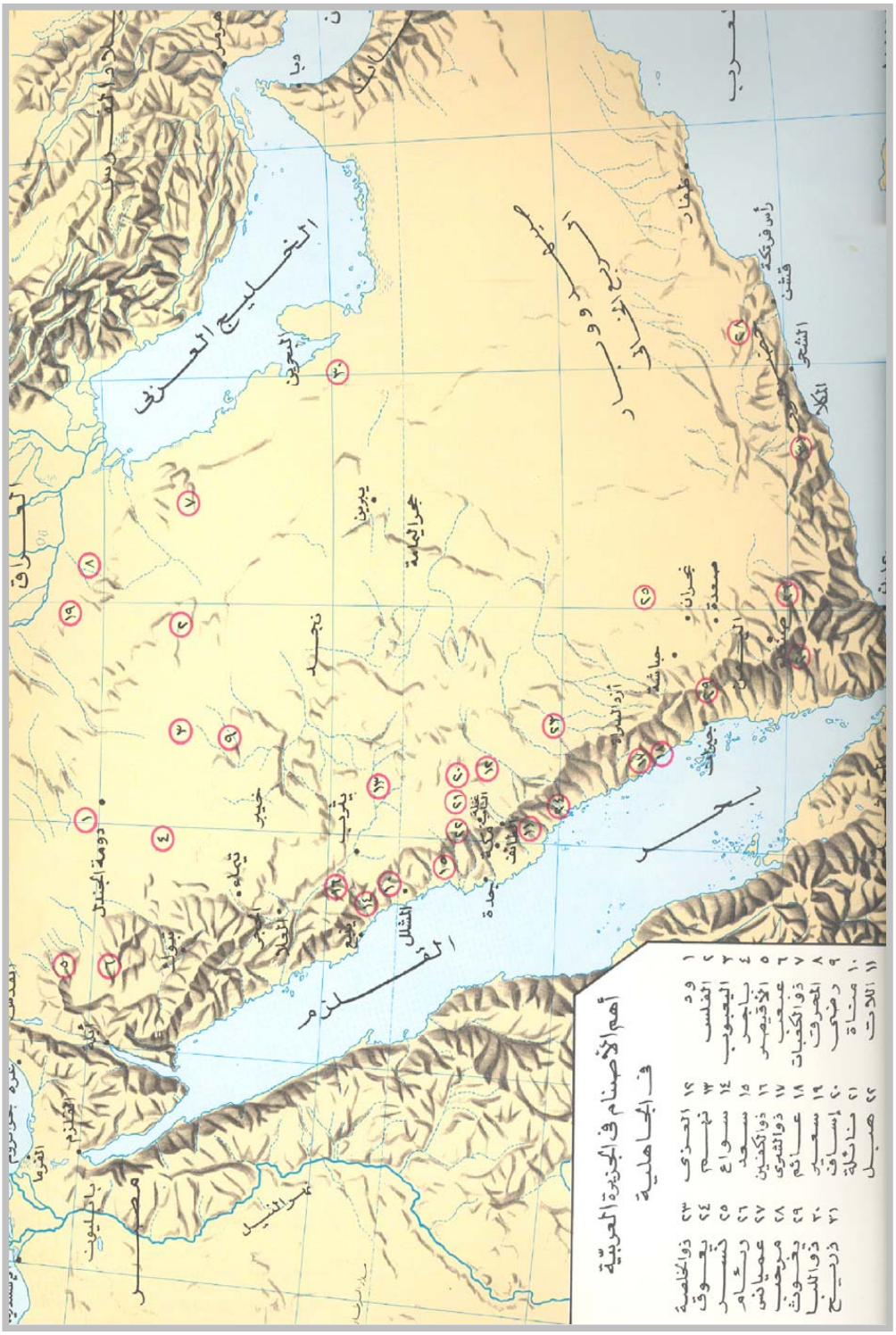
أهم الأصنام في الجزيرة العربية في الجاهلية
١ ود
٢ الفلس
٣ نسر
٤ اليعبوب
٥ سواع
٦ يغوث
٧ يعوق
٨ نسر
٩ رئام
١٠ عميانس
١١ اللات
١٢ العزى
١٣ مناة
١٤ سعد
١٥ سعير
١٦ إساف
١٧ نائلة
١٨ ذو الخلصة
١٩ ذو الشرى
٢٠ ذو الكفين
٢١ ذو الكعبات
٢٢ هبل
٢٣ ذو الخلصة
٢٤ يغوث
٢٥ نسر
٢٦ رئام
٢٧ عميانس
٢٨ مرحب
٢٩ ذو الشرى
٣٠ ذو اللب
٣١ ذريح
البحر الأحمر
الخليج العربي
البحرين
نجد
خيبر
تبوك
تيماء
دومة الجندل
المدينة
مكة
الطائف
جدة
الشحر
المكلا
ظفار
حضرموت
صنعاء
نجران
جيزان
أبها
أرض الدوسر
ربع الخالي
عمان
مصر
العراق
الشام
فلسطين
بحر الروم
بحر النيل

وبعد الفتح أرسل ﷺ سراياه حول مكة لهدم الأصنام ودعوة الناس إلىٰ الإسلام.

فأرسل خالد بن الوليد علىٰ رأس ثلاثين فارساً ليهدم العزى وكانت خارج مكة، لخمس ليال بقين من رمضان.

قال الواقدي: فخرج خالد حتىٰ انتهىٰ إليها وهدمها، ثم رجع إلىٰ النبي ﷺ فقال: هُدِمَتْ؟ قال: نعم يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: هل رأيتَ شيئاً ما؟ قال: لا، قال: فإنك لم تهدمها، فارجع إليها فاهْدِمْها.

فخرج خالد وهو مُتَغَيِّظ، فلما انتهىٰ إليها جرّد سيفه، فخرجت إليه امرأةٌ سوداء عُريانة، ناشرة الرأس، فجعل السادن يصيح بها، فضربها بالسيف فجزّلها باثنين. ثم رجع إلىٰ رسول الله ﷺ فأخبره، فقال: نعم، تلك العُزّى وقد يَئِسَتْ أن تُعبد ببلادكم أبداً[1].

وأرسل أيضاً عمرو بن العاص في سرية إلىٰ سواع، فكسره وأسلم سادنه[2].

وأرسل سعد بن زيد الأشهلي إلىٰ مَناة ومعه عشرون فارساً، حتىٰ انتهىٰ إليها فخرجت منها امرأة سوداء، فضربها بالسيف فقتلها، ثم هدم الصنم ورجع وقد حقق الأمل[3].

ثم أرسل خالد بن الوليد كذلك بعد أن عاد من هدم العزى إلىٰ بني جَذِيمة بن عامر ليدعوهم إلىٰ الإسلام، فوضع السيف فيهم، ثم أتىٰ عليٌّ بن أبي طالب بأَمْرِ رسول الله ﷺ وفداهم بالمال فأسلموا[4].

أجل، جلس النبي ﷺ بمكة خمسة عشر يوماً يتلقّىٰ مَنْ يريد أن يُسْلِمَ مِنَ الوفود التي تأتي من خارج ضواحي مكة، ولم يدخل بيتاً. فقيل له: هلاّ دخلتَ بيتاً؟ فقال: وهل ترك لنا عقيل بيتاً؟ فنُصِبَتْ له خيمة، وكان حولها الصحابة الكرام كما عُهِدوا.

وهكذا دخل النبي ﷺ مكة عنوة بعشرة آلاف، وخرج باثني عشر ألفاً، أضف إلىٰ ذلك النساء والشباب الذين لم يبلغوا الحلم ولم يُؤْذَنْ لهم بالقتال، والعناية من الله سبحانه.

(١، ٢، ٣، ٤) وسيأتي معنا تفصيل ذلك إن شاء الله تعالىٰ في باب السرايا والبعوث ص٢٦٢-٢٦٧.

٢٦- غزوة حُنَيْن إلى هوازن وثقيف

[شوال ٨ هـ]

حُنين : واد من أودية مكة ، يقع شرقها بقرابة ثلاثين كيلا ، ويسمى اليوم بوادي الشرائع ، وأعلاه الصدر الذي يصب ماؤه في سيل عرنة وأسفله الشرائع . وهو المكان الذي ذكره الله في كتابه الحكيم بقوله تعالى (ويوم حُنين) . ويبعد عن حدود الحرم من علمي طريق نجد أحد عشر كيلا شرقا .

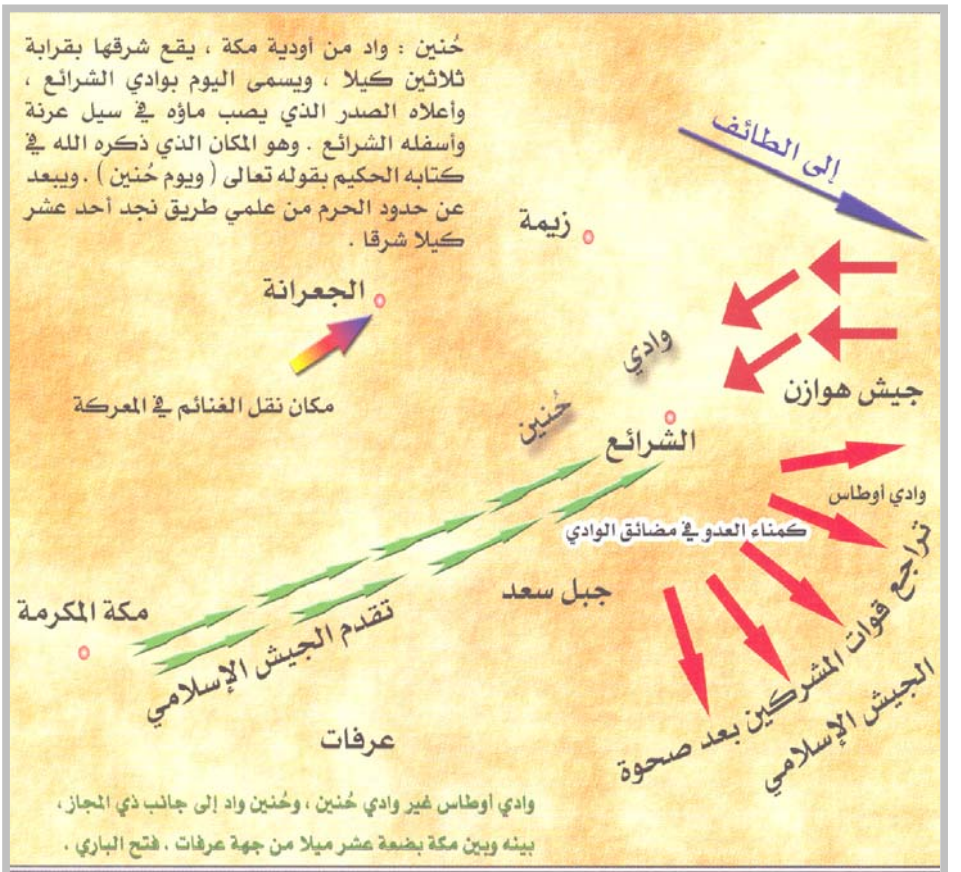

وادي أوطاس غير وادي حُنين ، وحُنين واد إلى جانب ذي المجاز ، بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا من جهة عرفات . فتح الباري .

قال تعالى في سورة التوبة

لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾

خريطة تبين موقع مكة المكرمة بالنسبة لكل من الطائف وجدة وتحديد موقع حُنين.

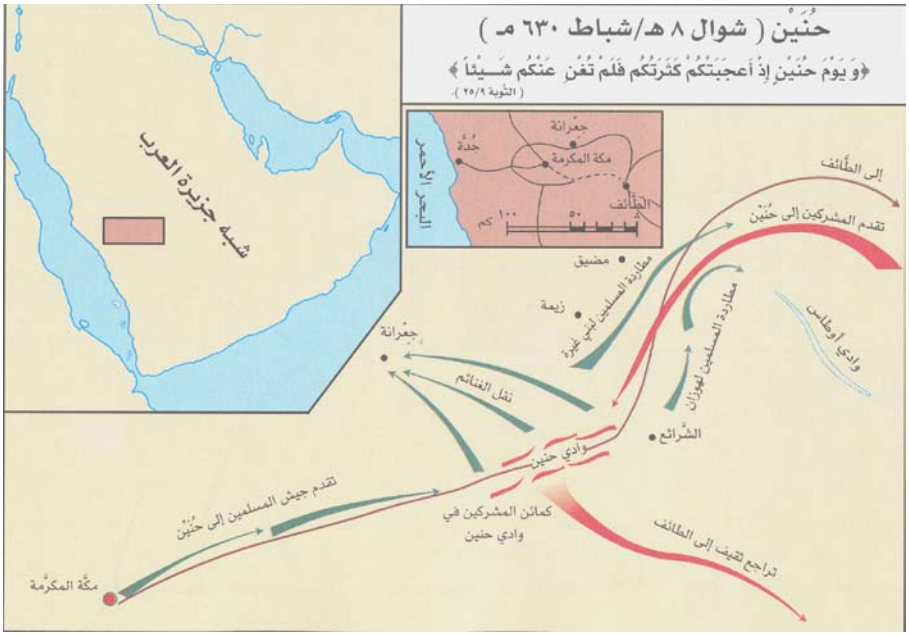

قال ابن سعد: كان الخروج من مكة إلىٰ هوازن في يوم السبت لست ليال خَلَوْن من شوال سنة ثمان من مهاجَره ﷺ.

وذكر ابن إسحاق أن خروج رسول الله ﷺ إلىٰ هوازن بعد الفتح في خامس شوال سنة ثمان، وقال: إن الفتح كان لعشر بقين من شهر رمضان قبل خروجه إليهم بخمس عشرة ليلة.

وروى ذلك عن ابن مسعود، وبه قال عروة بن الزبير.

وقال الواقدي: خرج رسول الله ﷺ إلىٰ هوازن لست خَلَوْن من شوال، فانتهىٰ إلىٰ حنين في عاشره.

❁ اجتماع هوازن وقبائل العرب لقتال المسلمين:

وسبب الغزوة أن رسول الله ﷺ لَمّا فتح مكة وأيّده الله بالنصر، مشت أشراف هوازن إلىٰ ثقيف بالطائف والتقىٰ زعماؤهم، واتّفقوا برأيهم علىٰ محاربة النبي ﷺ. وكان قد جمع أمرهم زعيم من هوازن اسمه مالك بن عوف النصري، وكان يومها بلغ الثلاثين من عمره. فأمرهم فجاءوا معه، وساق النساء والذراري والأموال والدواب إلىٰ وادي حنين، وقصد بذلك أن يَرى الرجلُ مالَه وذريتَه وزوجَه فيقاتل عنهم.

قال ابن إسحاق: فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها، واجتمعت نَصْر وجُشَم كلها، وسعد بن بكر، وناس من بني هلال وهم قليل. ولم يشهدها من قيس عَيْلان إلاّ هؤلاء، وغابت عنها فلم يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب، ولم يشهدها منهم أحد له اسم. وفي بني جُشَم دُرَيد بن الصِّمة[١] شيخ كبير، ليس فيه شيء إلاّ التَّيَمُّن برأيه ومعرفته بالحرب، وكان شيخاً مجرباً. وفي ثقيف سيدان لهم، وفي الأحلاف قارب بن الأسود بن مسعود بن مُعَتِّب، وفي بني مالك ذو الخِمار سُبَيعُ بن الحارث بن مالك وأخوه أحمر بن الحارث.

وقال أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي: كان علىٰ ثقيف كنانة بن عبد يَليل بن عمرو بن عمير الثقفي.

قال: وكان المشركون أربعة آلاف من هوازن وثقيف.

قال ابن إسحاق: وجِماع أمر الناس إلىٰ مالك بن عوف النصري.

قال: ولَمّا نزل مالك بأَوْطاس، اجتمع إليه الناس وفيهم دريد بن الصِّمة في شِجار[٢] له يُقاد به، فلما نزل دريد قال: بأيِّ وادٍ أنتم؟ قالوا: بأوطاس، قال: نِعْمَ مجال الخيل، لا حَزْنٌ ضِرْس[٣]، ولا سَهْلٌ دَهْس[٤]. ثم قال: ما لي أسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير، وبكاء الصغير، ويُعار الشاء؟ قالوا: ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم، قال: أين مالك؟ قيل: هذا مالك، فقال: يا مالك، إنك قد أصبحتَ رئيس قومك، وإنَّ هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام، ما لي أسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير، وبكاء الصغير، ويُعار الشاء؟ قال: سُقْتُ مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم، قال: ولِمَ ذاك؟ قال: أردت أن أجعل خلف كل رجل منهم أهله وماله ليقاتل عنهم. قال:

---

(١) كان بطلاً جاهلياً مشهوراً يحاذي عنتر بالفروسية والبطولة، والصِّمّة هو معاوية الأصغر بن بكر بن علقة - وقيل: علقمة - بن خزاعة بن غزية بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن.

(٢) هو الهودج.

(٣) الحَزْن: المرتفع من الأرض، والضِّرْس: الذي فيه حجارة محددة.

(٤) الدَّهْس: اللَّيِّن الكثير التراب.

فأَنْقَضَ به[١] ثم قال: راعِيَ ضأن والله، وهل يَرُدّ المنهزمَ شيءٌ؟ إنها إنْ كانت لك لم ينفعك إلاّ رجل بسيفه ورمحه، وإنْ كانت عليك فُضِحْتَ في أهلك ومالك. ثم قال: ما فَعَلَتْ كعب وكلاب؟ قالوا: لم يشهدها منهم أحد، قال: غاب الحَدُّ والجِد، ولو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب ولا كلاب، ولَوَدِدْتُ أنكم فعلتم ما فعلتْ كعب وكلاب، فمَنْ شهدها منكم؟ قالوا: عمرو بن عامر، وعوف بن عامر. قال: ذانك الجَذَعان[٢] مِن عامر لا ينفعان ولا يضران، يا مالك، إنك لم تصنع بتقديم البَيْضة - بيضة هوازن - إلىٰ نحور الخيل شيئاً، ادْفَعْهُم إلىٰ مُتَمَنَّع بلادهم وعُلْيا قومهم، ثم الْقَ الصُّبّاء[٣] علىٰ متون الخيل، فإنْ كانت لك لَحِقَ بك مَنْ وراءك، وإنْ كانت عليك أَلْفاك ذلك قد أَحْرَزْتَ أهلك ومالك. قال: والله لا أفعل ذلك، إنك قد كَبِرْتَ وكَبِرَ عقلك، والله لَتُطيعُنَّني يا معشر هوازن أو لأَتَّكِئَنَّ علىٰ هذا السيف حتىٰ يخرج من ظهري. وكَرِهَ أن يكون لدريد بن الصِّمّة فيها ذِكْر أو رأي، فقالوا: أطعناك، فقال دريد بن الصِّمّة: هذا يوم لم أَشْهَدْه ولم يَفُتْني.

يا ليتني فيها جَذَعْ ... أخُبّ فيها وأَضَعْ[٤]

أقود وَطْفاء الزَّمَعْ[٥] ... كأنها شاة صَدَعْ[٦]

وعنىٰ بذلك بأنه لو كان قوياً لقطع الرؤوس، ولَجال في المعركة وأثبت وجوده.

ثم قال مالك بن عوف: إذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم، ثم شدّوا شدّة رجل واحد.

---

(١) أي صاح به.

(٢) الجَذَع: الشاب الحَدَث.

(٣) جمع صابئ، وهو مَنْ خرج من دين إلىٰ دين، وكان المشركون يُسَمُّون المسلمين بهذا.

(٤) الخبب والوضع ضربان من السير.

(٥) الوَطْفاء: الطويلة الشعر، والزَّمَع: الشعر الذي فوق مربط قيد الدابة. يريد فرساً صفتها هكذا، وهو محمود في وصف الخيل.

(٦) الشاة هنا الوعل، وصدع: أي وعل بين الوعلين ليس بالعظيم ولا بالحقير.

قال ابن إسحاق: وبعث مالك بن عوف عيوناً من رجاله، فأتوه وقد تفرّقت أوصالهم، فقال: ويلكم، ما شأنكم؟ فقالوا: رأينا رجالاً بيضاً علىٰ خيل بُلْق، فوالله ما تماسكنا أنْ أصابنا ما ترى. فوالله ما ردّه ذلك عن وجهه أنْ مضىٰ علىٰ ما يريد.

۞ خروج الرسول ﷺ بجيشه إلىٰ هوازن:

قال ابن إسحاق: ولَمّا سمع رسول الله ﷺ بخبرهم، بعث إليهم عبدالله بن أبي حَدْرد الأسلمي، وأمره أن يدخل في الناس فيقيم فيهم حتىٰ يعلم عِلْمَهم ثم يأتيه بخبرهم، ففعل ثم أقبل علىٰ رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، فأجمع رسول الله ﷺ المسير إلىٰ هوازن لقتالهم.

فلما أجمع رسول الله ﷺ السير إلىٰ هوازن لِيَلْقاهم، وذُكِرَ له أن عند صفوان بن أمية أدراعاً له وسلاحاً، فأرسل إليه وهو يومئذ مشرك، فقال: أَعِرْنا سلاحك نَلْقَ به عدونا، فقال: أَغَصْباً يا محمد؟ فقال: بل عارية مضمونة حتىٰ نؤديها إليك، قال: ليس بهذا بأس، فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح.

قال: ثم خرج رسول الله ﷺ من مكة يوم السبت لست ليال خلون من شوال باثني عشر ألفاً من المسلمين: عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ففتح بهم مكة، وألفان من أهل مكة.

وقال مقاتل: كانوا أحد عشر ألفاً وخمسمائة، كما ذكر ذلك الثعلبي.

وقال الكلبي: كانوا عشرة آلاف، وكانوا يومئذ أكثر ما كانوا قط.

قال ابن سعد: وخرج مع رسول الله ﷺ ناس من المشركين كثير، منهم صفوان بن أمية.

قال ابن إسحاق: واستعمل رسول الله ﷺ عتّاب بن أَسِيد بن أبي العِيص بن أمية بن عبد شمس علىٰ مكة، أميراً علىٰ مَنْ تَخَلَّفَ عنه مِنَ الناس.

قال الثعلبي: وقال رجل من المسلمين يقال له: سلمة بن سلامة: لن نُغْلَبَ اليوم مِن قِلّة.

وقال ابن سعد وابن إسحاق: إنَّ الذي قال: (لن نُغْلَبَ اليوم مِن قِلّة) رسول الله ﷺ وأبو بكر.

ولن نُسَلِّمَ لذلك، فهذا قول يرفضه الحس والمعنىٰ والروح، بل الذي قال ذلك أُناس من المسلمين قد كان إسلامهم حديثاً، وإنَّ مِثْلَ ذلك لا يكون من صاحب الرسالة، ولا من صاحبه أبي بكر الصديق.

وهذا ما يلقىٰ كاتب هذه السطور عليه رَبَّه.

قال محمد بن إسحاق بسند يرفعه إلىٰ الحارث بن مالك قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلىٰ حنين ونحن حديثو عهد بالجاهلية، وكان لكفار قريش ومَنْ سِواهم من العرب سدرة عظيمة خضراء يقال لها: ذات أَنْواط، يأتونها كل سنة يُعَلِّقون أسلحتهم عليها، ويذبحون عندها، ويعكفون عليها يوماً. قال: فرأينا ونحن نسير مع رسول الله ﷺ سدرة خضراء عظيمة، فتَنادَيْنا مِن جنبات الطريق: يا رسول الله، اجْعَلْ لنا ذاتَ أنواط كما لهم ذاتُ أنواط. فقال: الله أكبر، قلتم والذي نفس محمد بيده كما قال قوم موسىٰ لموسىٰ، ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨﴾ [الأعراف]، إنها السّنَن، لَتَرْكَبُنَّ سنن مَن كان قبلكم.

❁ تعبئة الجيوش للقتال:

قالوا: وانتهىٰ رسول الله ﷺ إلىٰ حنين مساء ليلة الثلاثاء لعشر خلون من شوال.

فلما كان من الليل عمد مالك بن عوف إلىٰ أصحابه فعبّأهم في وادي حنين، وأَوْعَزَ إليهم أن يحملوا علىٰ رسول الله ﷺ وأصحابه حملة واحدة.

وعبّأ رسول الله ﷺ أصحابه في السَّحَر، وصفّهم صفوفاً، ووضع الألوية والرايات في أهلها. مع المهاجرين لواء يحمله علي بن أبي طالب، وراية يحملها سعد بن أبي وقاص، وراية يحملها عمر بن الخطاب. ولواء الخزرج يحمله حباب بن المنذر - ويقال: سعد بن عبادة -، ولواء الأوس مع أُسَيْد بن حُضَيْر، وفي كل بطن من الأوس والخزرج لواء وراية يحملها رجل منهم مُسَمَّىٰ، وكذلك قبائل العرب فيها الألوية والرايات يحملها قوم منهم مُسَمَّوْن.

وكان رسول الله ﷺ قد قدّم سُليماً مِن يوم خرج من مكة، واستعمل عليهم خالد بن الوليد، فلم يزل علىٰ المقدمة حتىٰ قدم الجعرانة.

۞ هزيمة المسلمين في بداية المعركة وما كان من أمرهم:

قال: وانحدر رسول الله ﷺ في وادي حنين علىٰ تعبئته، وركب بغلته البيضاء دُلْدُل، ولبس درعين والمغفر والبيضة، واستقبل الصفوف وطاف عليها، بعضُها خلف بعض ينحدرون في الوادي، فحضّهم علىٰ القتال وبشّرهم بالفتح إنْ صدقوا وصبروا.

فبينما هم علىٰ ذلك إذ استقبلهم من هوازن شيء لم يَرَوْا مِثْله قط من السواد والكثرة، وذلك في غبش الصبح[1]، وخرجت الكتائب من مضيق الوادي وسعته، فحملوا حملة وانكشفت خيل بني سليم مُوَلِّية، وتبعهم الناس منهزمين.

وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين، وجعل يقول: يا أنصار الله وأنصار رسوله، أنا عبد الله ورسوله.

وثبت معه يومئذ أبو بكر، وعمر، والعباس بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، والفضل بن العباس، وأبو سفيان المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب، وأخوه ربيعة بن الحارث، وأسامة بن زيد، وأيمن بن أم أيمن بن عبيد، في ناس من أهل بيته وأصحابه.

قال الكلبي: كان حول رسول الله ﷺ يومئذ ثلاثمائة من المسلمين، وانهزم سائر الناس عنه.

وجعل رسول الله ﷺ يقول للعباس: نادِ: يا معشر الأنصار، يا أصحاب السَّمُرة[2]، يا أصحاب سورة البقرة. فنادى وكان صَيِّتاً، فأقبلوا كأنهم الإبل إذا حنّت إلىٰ أولادها، يقولون: يا لبيك، يا لبيك. فحملوا علىٰ المشركين.

فأشرف رسول الله ﷺ فنظر إلىٰ قتالهم فقال: الآن حَمِيَ الوطيس[3]، أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب. ثم قال للعباس: ناولني حصيات، فناوله حصيات من الأرض، ثم قال: شاهت الوجوه، ورمىٰ بها وجوه المشركين وقال: انهزموا ورب الكعبة.

---

(١) أي ظلمة آخر الليل، وفي سيرة ابن هشام: عماية الصبح.

(٢) وهي التي كانت عندها بيعة الرضوان عام الحديبية.

(٣) هو التنور يُخبز فيه، وقيل: هو حجارة تُوقِدُ العرب تحتها النار ويَشْوُون فيها اللحم، وقيل غير ذلك - انظر الحاشية ص٢٣٦.

فقذف الله في قلوبهم الرعب، وانهزموا لا يلوي أحد منهم علىٰ أحد.

قال محمد بن إسحاق: فلَمّا انهزم الناس، ورأى مَنْ كان مع رسول الله ﷺ مِن جُفاة أهل مكة الهزيمة، تكلّم رجال بما في أنفسهم من الضِّغْن.

فقال أبو سفيان بن حرب: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر، وإنَّ الأزلام لَمَعَهُ في كنانته.

وصرخ جَبَلة بن الحنبل وهو مع أخيه صفوان بن أمية مشرك في المدة التي جعل له رسول الله ﷺ: ألاَ بطل السحر اليوم، فقال له صفوان: اسكت فضّ الله فاك، فوالله لأن يَرُبَّني[1] رجل مِن قريش أحبّ إليّ مِن أن يَرُبَّني رجل من هوازن.

وقال شيبة بن عثمان بن أبي طلحة: اليومَ أُدْرِكُ ثأري من محمد[2]، اليوم أَقتل محمداً. قال: فبادرتُ لأقتله، فأقبل شيء حتىٰ غَشَّىٰ فؤادي، فلم أُطِقْ ذاك، فعلمتُ أنه ممنوع مني.

وفي رواية أخرى قال شيبة بن عثمان: استدبرتُ رسول الله ﷺ يوم حنين وأنا أُريد أن أقتله بطلحة بن عثمان وعثمان بن طلحة، فأَطْلَعَ اللهُ رسولَه علىٰ ما في نفسي، فالتفت إليّ وضرب في صدري، وقال: أُعيذك بالله يا شيبة، فأُرْعِدَتْ فرائصي، فنظرت إليه وهو أحبّ إليَّ مِن سمعي وبصري، فقلت: أشهد أنك رسول الله، وأن الله أَطْلَعَكَ علىٰ ما في نفسي.

وروى محمد بن إسحاق بسنده إلىٰ العباس قال: إني لَمَعَ رسول الله ﷺ آخذ بحَكَمة[3] بغلته البيضاء قد شَجَرْتُها بها[4]، وكنت امرأ جسيماً شديد الصوت، ورسول الله ﷺ يقول حين رأى ما رأى من الناس: أين أيها الناس؟ فلم أَرَ الناس يَلْوُون علىٰ شيء، فقال: يا عباس، اصرخ: يا معشر الأنصار، يا معشر أصحاب السمرة. قال: فأجابوا: لبيك لبيك. قال: فيذهب الرجل لِيُثْنِيَ بعيره فلا يقدر علىٰ ذلك، ويأخذ درعه فيقذفها في عنقه، ويأخذ سيفه وترسه ويقتحم عن بعيره، ويُخَلِّي سبيله، فيَؤُمُّ الصوتَ حتىٰ ينتهي إلىٰ

---

(١) أي يكون رَبّاً لي، أي مالكاً عليَّ.

(٢) وكان أبوه قُتِلَ يوم أُحد.

(٣) الحَكَمة مُحَرَّكة: ما أحاط بحنكي الفرس من لجامه.

(٤) أي وضعتها في شجرها، وهو مجتمع اللّحْيَيْن.

رسول الله ﷺ. حتىٰ إذا اجتمع إليه منهم مائة استقبلوا الناس فاقتتلوا، فأشرف رسول الله ﷺ في ركائبه، فنظر إلىٰ مُجْتَلَد القوم[١] فقال: الآن حمي الوطيس.

قال جابر بن عبدالله: فوالله ما رجعتْ راجعة الناس من هزيمتهم حتىٰ وجدوا الأسارى مُكَتَّفِين عند رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: والتفت رسول الله ﷺ فرأى أم سليم ابنة ملحان، وكانت مع زوجها أبي طلحة وهي حازمة وسطها ببُرْدٍ لها، وإنها لحامل بعبدالله بن أبي طلحة، ومعها جمل أبي طلحة، وقد خَشِيَتْ أن يَعُزَّها الجمل، فأَدْنَتْ رأسه منها، فأَدْخَلَتْ يدها في خِزامته مع الخِطام. فقال لها رسول الله ﷺ: أم سليم؟ قالت: نعم بأبي وأمي يا رسول الله، اقْتُلْ هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك، فإنهم لذلك أَهْلٌ. فقال رسول الله ﷺ: أَوَ يكفي الله يا أم سليم؟ قال: ومعها خِنجر، فقال لها أبو طلحة: ما هذا الخنجر معك يا أم سليم؟ قالت: خنجر أخذتُه إنْ دنا مني أحد من المشركين بَعَجْته[٢] به، فقال أبو طلحة: ألاَ تسمع يا رسول الله ما تقول أم سليم الرُّمَيْصاء؟

۞ نزول الملائكة يوم حنين وقتالهم:

قال محمد بن إسحاق: حدثني أبي إسحاق بن يسار أنه حُدِّث عن جبير بن مطعم قال: لقد رأيت قبل هزيمة القوم والناسُ يقتتلون مِثْلَ البِجاد[٣] الأسود أقبل من السماء حتىٰ سقط بيننا وبين القوم، فنظرت فإذا نمل أسود مَبْثوث قد ملأ الوادي، لم أشكّ أنها الملائكة، ولم تكن إلاّ هزيمة القوم.

قال الثعلبي: قال سعيد بن جبير: أمدّ الله تعالىٰ نبيه ﷺ بخمسة آلاف من الملائكة مُسَوّمين.

---

(١) أي مكان جلادهم بالسيوف، وهو حيث تكون المعركة.

(٢) بَعَجَ بطنَه أي شقّه.

(٣) أي الكساء، وجمعه بُجُد.

وقال الحسن ومجاهد: كانوا ثمانية آلاف.

وقال الحسن: كانوا ستة عشر ألفاً.

قال سعيد بن جبير: حدّثني رجل كان في المشركين يوم حنين قال: لَمّا التقينا نحن وأصحاب رسول الله ﷺ لم يَقِفوا لنا حَلْبة شاة، فلما كشفناهم جعلنا نسوقهم حتىٰ إذا انتهينا إلىٰ صاحب البغلة الشهباء - يعني رسول الله ﷺ -، فتلقّانا رجالٌ بيض الثياب حِسان الوجوه، فقالوا لنا: شاهت الوجوه، ارجعوا. فرجعنا وركبوا أكتافنا، فكانت إيّاها - يعني الملائكة -.

وقال الحسن: وفي الخبر أن رجلاً مِن بني نصر يقال له: شجرة، قال للمؤمنين بعد القتال: أين الخيل البُلْق والرجال عليهم ثياب بيض؟ ما كنا نراكم فيهم إلاّ كهيئة الشامة، وما كان قَتْلُنا إلاّ بأيديهم. فأخبروا النبي ﷺ بذلك فقال: تلك الملائكة.

قال محمد بن سعد في طبقاته: وكان سِيما الملائكة يوم حنين عمائمَ حُمْراً قد أَرْخَوْها بين أكتافهم.

۞ هزيمة المشركين ومقتل دريد بن الصِّمّة:

قال ابن إسحاق: ولَمّا انهزم المشركون أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف، وعسكر بعضهم بأوطاس، وتوجّه بعضهم نحو نخلة[1]، وتَبِعَتْ خيلُ رسول الله ﷺ مَنْ سلك في نخلة من الناس، ولم تتبع مَن سلك الثنايا.

فأدرك ربيعةُ بن رفيع بن أُهبان - وهو ابن الدُّغنة - دريدَ بن الصِّمّة وهو في شِجار له، فأخذ بخطام جمله وهو يظنّ أنه امرأة، فأناخ به فإذا هو شيخ كبير والغلام لا يعرفه، فقال له دريد: ما تريد بي؟ قال: أقتلك، قال: ومَنْ أنت؟ قال: أنا ربيعة بن رفيع السُّلَمي، ثم ضربه بسيفه فلم يُغْنِ فيه شيئاً، فقال: بئس ما سَلَّحَتْكَ أمُّك، خذ سيفي هذا مِن مؤخر الرَّحْل في الشِّجار، ثم اضرب به وارفع عن العظام، واخفض عن الدماغ، فإني كذلك كنت أضرب الرجال، ثم إذا أتيتَ أمك فأَخْبِرْها أنك قتلتَ دريد بن الصِّمّة، فرُبَّ واللهِ

(١) يريد نخلة اليمانية.

يوم قد مَنَعْتُ فيه نساءك. فقتله، ولَمّا رجع ربيعة إلىٰ أمه أخبرها بقَتْلِهِ إيّاه، فقالت: أما والله لقد أعتق أمهات لك ثلاثاً.

قال ابن هشام: ويقال: إن الذي قتل دريد بن الصِّمّة هو عبدالله بن قُنَيع بن أُهبان بن ثعلبة بن ربيعة.

قال ابن إسحاق: وكانت راية الأحلاف مع قارب بن الأسود، فلما انهزم الناس أسند رايته إلىٰ شجرة وهرب هو وبنو عمه وقومه من الأحلاف، فلم يُقتل من الأحلاف غيرُ رجلين: رجل من بني غِيَرة يقال له: وهب، وآخر مِن بني كُبّة يقال له: الجُلاح، فقال رسول الله ﷺ حين بَلَغَه قَتْلُ الجُلاح: قُتِلَ اليوم سيد شباب ثقيف.

۞ خبر مقتل أبي عامر الأشعري:

قال ابن إسحاق: وبعث رسول الله ﷺ في آثار مَنْ توجّه قِبَل أوطاس أبا عامر الأشعري، فأَدْرَكَ مِنَ الناس بعضَ مَن انهزم، فناوشوه القتال، فرُمِيَ أبو عامر بسهم فقُتِلَ، فأخذ الراية أبو موسىٰ الأشعري وهو ابن عمه فقاتلهم، ففتح الله علىٰ يديه وهزمهم.

فيزعمون أن سلمة بن دريد هو الذي رمىٰ أبا عامر الأشعري بسهم، فأصاب ركبته فقتله[1].

۞ وصية مالك بن عوف لقومه ولقاء الزبير لهم ونَهْي الرسول ﷺ عن قَتْل الضعفاء:

قال أبو الفرج: وخرج مالك بن عوف عند الهزيمة، فوقف في فوارس من قومه علىٰ ثنيّة من الطريق، وقال لأصحابه: قفوا حتىٰ تمضي ضعفاؤكم، وتلحق أُخْراكم. فوقف حتىٰ مضىٰ مَنْ كان لحق بهم مِن منهزمة الناس.

قال ابن هشام: وبلغني أن خيلاً طلعت ومالك وأصحابه علىٰ الثنية، فقال لأصحابه: ماذا تَرَوْن؟ فقالوا: نرى قوماً واضعي رماحهم بين آذان خيلهم، طويلةً

(١) وسيأتي معنا إن شاء الله تعالىٰ تفصيل ذلك في باب السرايا والبعوث ص٢٦٧.

بوادُّهم[١]. فقال: هؤلاء بنو سليم، ولا بأس عليكم منهم. فلما أقبلوا سلكوا بطن الوادي، ثم طلعتْ خيل أخرى تَتْبَعُها، فقال لأصحابه: ماذا تَرَوْن؟ قالوا: نرى قوماً عارضي رماحهم[٢]، أَغْفالاً[٣] علىٰ خيلهم. فقال: هؤلاء الأوس والخزرج، ولا بأس عليكم منهم. فلما انتهوا إلىٰ أصل الثنية سلكوا طريق بني سُلَيم، ثم طلع فارس فقال لأصحابه: ماذا تَرَوْن؟ قالوا: نرى فارساً طويل البادّ، واضعاً رمحه علىٰ عاتقه، عاصباً رأسه بمُلاءة حمراء. فقال: هذا الزبير بن العوام، وأَحْلِفُ باللات لَيُخالِطَنَّكم فاثبتوا له. فلما انتهىٰ الزبير إلىٰ أصل الثنية أَبْصَرَ القومَ فصَمَدَ لهم، فلم يزل يُطاعنهم حتىٰ أزاحهم عنها.

ولَمّا انهزم القوم أمر رسول الله ﷺ بقتل مَنْ قُدِرَ عليه، فحنق المسلمون عليهم، فقتلوا الذرية والنساء. فمرّ رسول الله ﷺ يومئذ بامرأة قد قتلها خالد بن الوليد، فقال: ما هذه؟ قالوا: امرأة قتلها خالد بن الوليد، فقال رسول الله ﷺ لبعضِ مَن معه: أَدْرِك خالد بن الوليد فقل له: إن رسول الله ينهاك أن تقتل وليداً، أو امرأة، أو عسيفاً[٤].

۞ خبر أبي قتادة وسَلَبه:

قال ابن إسحاق: حدّثني عبدالله بن أبي بكر أنه حُدِّث عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه قال: رأيتُ يوم حنين رجلين يقتتلان: مسلماً ومشركاً. قال: وإذا رجل من المشركين يريد أن يُعِين صاحبه المشرك علىٰ المسلم، فأتيته فضربت يده فقَطَعْتُها، واعتنقني بيده الأخرى، فواللهِ ما أرسلني حتىٰ وجدتُ ريح الدم[٥] وكاد يقتلني، فلولا أن الدم نَزَفَه لَقَتَلَني، فسقط فضربتُه فقتلتُه، وأَجْهَضَني عنه القتال، ومرّ به رجل مِن أهل مكة فسَلَبَه.

---

(١) البوادّ: جمع البادّ، وهو باطن الفخذ.

(٢) أي واضعيها بالعرض.

(٣) جمع غفل، وهو الذي لا علامة له، يريد أنهم لم يُعَلِّموا أنفسهم بشيء يُعْرَفون به.

(٤) العسيف هو الأجير والعبد المستعان به.

(٥) قال ابن هشام: ويُروى: ريح الموت.

قال: فلما وَضَعَتِ الحرب أَوْزارها وفرغنا من القوم، قال رسول الله ﷺ: مَنْ قتل قتيلاً فله سَلَبه، فقلت: يا رسول الله، والله لقد قتلتُ قتيلاً ذا سَلَب فأجهضني عنه القتال، فما أدري مَن اسْتَلَبَه؟ فقال رجل من أهل مكة: صَدَقَ يا رسول الله، وسَلَبُ ذلك القتيل عندي، فَأَرْضِهِ عني مِنْ سَلَبِه. فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: لا واللهِ لا يُرْضِيه منه، تَعْمِدُ إلىٰ أَسَدٍ مِن أُسُدِ الله يقاتل عن دين الله، تُقاسِمه سَلَبَه! ارْدُدْ عليه سَلَبَ قتيله. فقال رسول الله ﷺ: صَدَقَ، ارْدُدْ عليه سَلَبَه. فقال أبو قتادة: فأخذتُه منه فَبِعْتُه، فاشتريت بثمنه مَخْرَفاً[1]، فإنه لأَول مال اعْتَقَدْتُه.

قال ابن إسحاق: وحدّثني مَنْ لا أتهم عن أبي سلمة عن إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لقد اسْتَلَبَ أبو طلحة يوم حنين وحده عشرين رجلاً.

۞ ذِكْر ما نزل من القرآن يوم حنين:

وأنزل الله تعالىٰ يوم حنين قوله سبحانه: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [التوبة].

۞ تسمية مَن استُشهد مِنَ المسلمين يوم حنين:

قال ابن إسحاق: واستُشهد مِن المسلمين يوم حنين:

- من بني هاشم: أيمن بن عبيد.
- ومن بني أسد بن عبد العزى: يزيد بن زمعة بن الأسود.
- ومن الأنصار: سُراقة بن الحارث بن عدي من بني العجلان.

---

(١) المخْرَف: نخلة واحدة أو نخلات يسيرة إلىٰ عشر، فأما ما فوق ذلك فهو بستان أو حديقة - قاله السهيلي.

- ومن الأشعريين: أبو عامر الأشعري.

قال ابن سعد: واسْتَحَرّ القَتْل في بني نصر بن معاوية ثم في بني رئاب، فقال عبدالله بن قيس وكان مسلماً: هَلَكَتْ بنو رئاب، فقال رسول الله ﷺ: اللهم اجْبُرْ مصيبتهم.

۞ جمع الغنائم والسبايا وأَمْرُ النبي ﷺ بانطلاقها إلىٰ الجعرانة:

قال ابن سعد: وأمر رسول الله ﷺ بالسبايا والأموال فجُمِعَتْ، وحُدِرَت إلىٰ الجعرانة وعليها مسعود بن عمرو الغفاري، فوقف بها بالجعرانة حتىٰ انصرف رسول الله ﷺ من غزوة الطائف، وهم في حظائرهم يستظلون بها من الشمس، ثم قسمها ﷺ بعد ذلك علىٰ ما سنذكر إن شاء الله تعالىٰ ص١٠٤.

هذه كانت غزوة حنين، فلنحاول أن نعيش معها لنأخذ منها الدروس.

ففي بداية المعركة اعتمد بعض المسلمين علىٰ قوتهم، فنَصَرَ الله المشركين لِيُرِيَهم بأن القوة ليست في العَدد والعُدد، وأنّ النصر مِن عند الله وبيد الله. قال تعالىٰ: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ [آل عمران]، وقال أيضاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ [محمد].

فأراد الله عز وجل أن يجعلها درساً إلىٰ الأمة الإسلامية إلىٰ يوم القيامة، فنعتقد بأن الله ينصرنا بأدنىٰ سبب، ونتوكل عليه، إنما هذا لا يتنافىٰ مع الإعداد، قال تعالىٰ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال٦٠].

ووَرَدَ في الحديث الشريف عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: خير الصحابة أربعة، وخير السرايا أربعمائة، وخير الجيوش أربعة آلاف، ولن يُغلب اثنا عشر ألفاً مِنْ قِلّة[1].

---

(١) رواه أبو داود والترمذي وأحمد والحاكم وصحّحه وابن حبان والبيهقي وابن خزيمة وأبو يعلىٰ وغيرهم، وقال الترمذي: حديث حسن غريب جداً، وذكر أنه في أكثر الروايات عن الزهري عن النبي ﷺ مرسلاً. وروى =

إنما أقول: يُغْلَبون عن ضعف ومرض قلبي.

ففي يومنا هذا بلغ عدد المسلمين علىٰ ما يزيد علىٰ ثلث سكان الكرة الأرضية، ولكنهم غثاء كغثاء السيل؛ والسبب في ذلك بُعْدُهم عن القرآن والسنة، وعن الإسلام العملي.

فاللهَ نسأل أن يُعِيدنا إلىٰ رُشْدنا وبَيْضَتنا، وكتابنا وسنة نبينا؛ لنأخذ ما ينفعنا في حاضرنا ومستقبلنا، ولنُسَلِّم أبناءنا ما اسْتَلَمْنا مِن آبائنا.

بنحوه ابن ماجة والطبراني في الأوسط والخطيب عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

٢٧- غزوة الطائف

[شوال ٨ هـ]

مسجد عبد الله بن عباس المعروف في الطائف، ويقال: إنه أُقيم في المكان الذي أقام فيه رسول الله ﷺ عند حصار الطائف

۞ مسير النبي ﷺ إلىٰ الطائف:

لَمّا انهزمت هوازن وثقيف يوم حنين، وجُمِعَت السبايا والغنائم، سار رسول الله ﷺ من حنين يريد الطائف، وقدّم خالدَ بن الوليد علىٰ مقدمته.

وقد كانت ثقيف رَمُّوا حصنهم، فأَدْخَلوا فيه ما يُصلحهم لسنة. فلما انهزموا مِن أوطاس دخلوا حصنهم وأغلقوه عليهم، وتهيّئوا للقتال.

قال ابن إسحاق: وسار رسول الله ﷺ إليهم، وسلك علىٰ نخلة اليمانية، ثم علىٰ قَرْن، ثم علىٰ المُلَيْح، ثم علىٰ بُحْرة الرُّغاء مِن لِيّة [1]، فابتنىٰ بها مسجداً فصلّىٰ فيه.

وقد أَقادَ رسول الله ﷺ يومئذ ببُحرة الرُّغاء حين نزلها بدم، وهو أول دم أُقِيدَ به في الإسلام، رجلٌ مِن بني أسد قَتَلَ رجلاً من هُذَيْل، فقُتِلَ به.

قال: وأَمَرَ رسول الله ﷺ وهو بلِيّة بحصن مالك بن عوف فهُدِمَ، ثم سلك في طريق يقال لها: الضَّيْقة، فسأل عن اسمها فقال: ما اسم هذه الطريق؟ قالوا: الضَّيْقة، فقال: بل هي اليُسْرَى.

ثم خرج ﷺ منها علىٰ نَخْب [2]، حتىٰ نزل تحت سدرة يقال لها: الصادرة، قريباً من مال رجل من ثقيف، فأرسل إليه رسول الله ﷺ يقول: إما أن تخرُج، وإما أن نُخْرِبَ عليك حائطك. فأبىٰ أن يخرج، فأمر رسول الله ﷺ بإخرابه.

۞ وصول النبي ﷺ إلىٰ الطائف واستشهاد نفر من المسلمين:

ثم مضىٰ رسول الله ﷺ حتىٰ نزل قريباً من حصن الطائف وعسكر هناك، فرَمَوا المسلمين بالنَّبْل رمياً شديداً، حتىٰ أصيب ناس من المسلمين بجراحة، وقُتِلَ منهم اثنا عشر رجلاً.

---

(١) كلها أسماء لمواضع بالطائف.

(٢) قال ياقوت الحموي: هو وادٍ بالطائف.

قال ابن إسحاق: وهم:

- مِن بني أمية بن عبد شمس: سعيد بن سعيد بن العاص بن أمية، وعُرْفُطة بن جَنّاب حليف لهم من أسد بن الغَوْث.
- ومن بني تَيْم بن مرة: عبدالله بن أبي بكر الصديق، رُمِيَ فانْدَمَلَ جرحه، ثم انتقض بعد ذلك فمات منه في خلافة أبيه.
- ومن بني مخزوم: عبدالله بن أبي أمية بن المغيرة.
- ومن بني عدي بن كعب: عبدالله بن عامر بن ربيعة حليف لهم.
- ومن بني سهم بن عمرو: السائب بن الحارث بن قيس، وأخوه عبدالله بن الحارث.
- ومن بني سعد بن ليث: جُلَيْحة بن عبدالله.
- ومن الأنصار: ثابت بن الجذعي من بني سلمة، والحارث بن سهل بن أبي صعصعة من بني مازن بن النجار، والمنذر بن عبدالله من بني ساعدة، ورُقَيم بن ثابت بن ثعلبة الأوسي.

قال ابن إسحاق: فلما أُصِيبَ أولئك النفر من أصحابه بالنَّبْل، وَضَعَ عسكره عند مسجده الذي بالطائف اليوم.

وكان معه ﷺ من نسائه أم سلمة وزينب رضي الله عنهن، فضرب لهما قبتين.

۞ حصار أهل الطائف وخبر يوم الشَّدْخة[1]:

وحاصرهم رسول الله ﷺ ثمانية عشر يوماً، ويقال: خمسة عشر يوماً، ونصب عليهم المنجنيق، ورمىٰ عليهم به، فهم أول مَن رُمِيَ بالمنجنيق في الإسلام.

قال ابن إسحاق: حتىٰ إذا كان يومُ الشَّدْخة، دخل نفر من المسلمين تحت دبابة، ثم زحفوا بها إلىٰ جدار الطائف لِيَخْرِقوه، فأرسلتْ عليهم ثقيف سِكَكَ الحديد مُحْماة بالنار، فخرجوا مِن تحتها، فَرَمَتْهم ثقيف بالنَّبْل، فقُتِلَ منهم رجل، فأمر رسول الله ﷺ بقطع أعنابهم وتحريقها، فقطع المسلمون قطعاً ذريعاً، ثم سألوه أن يَدَعَها لله وللرَّحِم، فقال

(١) سُمِّيَ بذلك لِما شُدِخَ فيه من الناس، والشَّدْخ: كَسْرُ كل شيء أجوف كما قال صاحب المواهب.

رسول الله ﷺ: إني أَدَعُها لله وللرحم.

قال ابن سعد: ونادى منادي رسول الله ﷺ: أيّما عبدٍ نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حُرٌّ. فخرج منهم بضعة عشر رجلاً، منهم أبو بكرة نُفَيْع بن مسروح، فأعتقهم رسول الله ﷺ، ودفع كلَّ رجل منهم إلىٰ رجل من المسلمين يَمُونُه، فشقّ ذلك علىٰ أهل الطائف.

❁ ارتحال المسلمين عن الطائف وسبب ذلك:

قال ابن إسحاق: ولم يُؤْذَن لرسول الله ﷺ في فتح الطائف، فاستشار نوفلَ بن معاوية الدِّيلي فقال: ما ترى؟ فقال: ثعلب في جُحْر، إنْ أَقَمْتَ عليه أخذتَه، وإنْ تَرَكْتَهُ لم يَضُرَّك.

قال ابن إسحاق: وبلغني أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر رضي الله عنه: يا أبا بكر، إني رأيتُ أني أُهْدِيَتْ لي قَعْبَة[1] مملوءة زبداً، فنقرها ديك فهَراق ما فيها. فقال أبو بكر: ما أظن أنْ تُدْرِكَ منهم يومك هذا ما تريد، فقال رسول الله ﷺ: وأنا لا أرى ذلك.

قال ابن إسحاق: ثم إن خُوَيلة بنت حكيم بن أمية السُّلَمية - وهي امرأة عثمان بن مظعون - قالت: يا رسول الله، أعطني إنْ فتح الله عليك الطائف حُلِيّ بادية بنت غَيْلان بن سلمة، أو حُلِيَّ الفارعة بنت عقيل، وكانتا من أجمل نساء ثقيف.

قال: فذُكِرَ لي أنَّ رسول الله ﷺ قال لها: وإنْ كان لم يؤذن لي في ثقيف يا خُوَيلة؟ فخرجت خُوَيلة فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، فدخل علىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، ما حديثٌ حَدَّثَتْنِيهِ خُوَيلة فزعمتْ أنك قد قُلْتَه؟ قال: قد قُلْتُه، قال: أَوَما أُذِنَ فيهم يا رسول الله؟ قال: لا، قال: أفلا أُؤَذِّن بالرحيل؟ قال: بلىٰ.

قال ابن سعد: فأذَّن عمر في الناس بالرحيل، فضجّ الناس مِن ذلك وقالوا: نرحل ولم تُفْتَحْ علينا الطائف؟ فقال رسول الله ﷺ: فَاغْدُوا علىٰ القتال. فَغَدَوْا، فأصابت المسلمين جراحات، فقال رسول الله ﷺ: إنّا قافلون إن شاء الله.

---

(١) القَعْبة: القدح.

فَسُرُّوا بذلك وأَذْعَنوا، وجعلوا يرتحلون ورسول الله ﷺ يضحك، وقال لهم: قولوا: لا إله إلاّ الله وحده، صَدَقَ وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده. فلما ارتحلوا واستقلوا قال: قولوا: آيِبُون، تائبون، عابدون، لربنا حامدون.

وقيل لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، ادْعُ علىٰ ثقيف. فقال: اللهم اهْدِ ثقيفاً وائْتِ بهم.

قال ابن إسحاق: وأقام أهل الطائف علىٰ شركهم وامتناعهم في طائفهم ما بين ذي القعدة إذِ انصرف رسول الله ﷺ إلىٰ شهر رمضان من سنة تسع.

۞ خبر تقسيم أموال هوازن:

قال ابن إسحاق: لَمّا انصرف رسول الله ﷺ من الطائف إلىٰ الجعرانة، فانتهىٰ إليها ليلة الخميس لثلاث خَلَوْن من ذي القعدة، فأقام بها ثلاثة عشر يوماً وقسم الفَيْء.

قال ابن سعد: كان السبي ستة آلاف، والإبل أربعة وعشرين ألف بعير، والغنم أكثر من أربعين ألف شاة، والوَرِق أربع آلاف أوقية.

فاسْتَأْنىٰ[1] رسول الله ﷺ بالسبي أنْ يَقْدُمَ عليه وَفْدُهم، وبدأ بالأموال فقسمها، وأعطىٰ المؤلفة قلوبهم أول الناس.

قالوا: فأعطىٰ أبا سفيان بن حرب أربعين أوقية ومائة من الإبل، قال: وابني يزيد؟ قال: أعطوه أربعين أوقية ومائة من الإبل، قال: وابني معاوية؟ قال: أعطوه أربعين أوقية ومائة من الإبل. وأعطىٰ حكيم بن حزام مائة من الإبل، ثم سأله مائة أخرى فأعطاه إيّاها. وأعطىٰ النُّضَير بن الحارث بن علقمة بن كِلدة مائة من الإبل، وأعطىٰ أَسِيد بن جارية الثقفي مائة من الإبل، وأعطىٰ العلاء بن جارية الثقفي خمسين بعيراً، وأعطىٰ مَخْرَمة بن نوفل خمسين بعيراً، وأعطىٰ الحارث بن هشام مائة من الإبل، وأعطىٰ سعيد بن يربوع خمسين من الإبل، وأعطىٰ صفوان بن أمية مائة من الإبل، وأعطىٰ قيس بن عدي مائة من الإبل، وأعطىٰ عثمان بن وهب خمسين من الإبل، وأعطىٰ سهيل بن عمرو مائة من

---

(١) أي انْتَظَرَ.

الإبل، وأعطىٰ حُوَيطب بن عبد العزى مائة من الإبل، وأعطىٰ هشام بن عمرو العامري خمسين من الإبل، وأعطىٰ الأقرع بن حابس التميمي مائة من الإبل، وأعطىٰ عيينة بن حصن مائة من الإبل، وأعطىٰ مالك بن عوف مائة من الإبل[١]. وأعطىٰ العباس بن مرداس أربعين من الإبل وقيل: أربعة، فقال في ذلك:

كانت نِهاباً تَلافَيْتُها ... بِكَرِّي علىٰ المُهْرِ في الأَجْرَعِ[٢]
وإيقاظِيَ القومَ أنْ يَرْقُدُوا ... إذا هَجَعَ الناسُ لم أَهْجَعِ
فأصبح نَهْبي ونَهْبُ العُبَيْـ ... ـدِ[٣] بين عُيَيْنة والأَقْرَعِ
وقد كنتُ في الحرب ذا تُدْرَإٍ[٤] ... فلم أُعْطَ شيئاً ولم أُمْنَعِ
إلاّ أَفائلَ[٥] أُعْطِيتُها ... عديدَ قوائمِها الأَرْبَعِ
وما كان حِصْنٌ ولا حابسٌ ... يفوقان مِرْداس في المَجْمَعِ
وما كنتُ دون امرئ منهما ... ومَنْ تَضَعِ اليومَ لا يُرْفَعِ

فقال رسول الله ﷺ: فاقطعوا عني لسانَه، فأَعْطَوْه حتىٰ رَضِيَ.

قيل: أعطاه مائة من الإبل، فكان ذلك قَطْعَ لسانه الذي أَمَرَ به رسول الله ﷺ.

قال ابن سعد: أعطىٰ رسول الله ﷺ ذلك كلَّه من الخُمُس وهو أثبت الأقاويل عندنا.

ثم أَمَرَ رسول الله ﷺ زيدَ بن ثابت بإحصاء الناس والغنائم، ثم فضّها[٦] علىٰ الناس، فكانت سهامهم لكل رجل أربع من الإبل وأربعون شاة، فإنْ كان فارساً أخذ اثني عشر

---

(١) وذلك بعد إسلامه، راجع ص ١١٢.

(٢) هو المكان السهل.

(٣) العُبَيْد: اسم فرس عباس بن مرداس.

(٤) أي ذا دفع عن قومي.

(٥) الأفائل: هي الصغار من الإبل، واحدها أفيل.

(٦) يقال: فضّ الشيء علىٰ القوم إذا فرّقه وقسّمه.

من الإبل أو عشرين ومائة شاة، وإنْ كان معه أكثر مِن فرس لم يُسْهم للفرس الزائد.

وقال البخاري في سنده إلىٰ عبدالله بن مسعودﷺ قال: لَمّا قسم النبيﷺ قسمة حنين، قال رجل من الأنصار: ما أراد بها وجه الله. قال: فأتيتُ رسول اللهﷺ فأخبرتُه، فتَغَيَّرَ وجهه ثم قال: رحمة الله علىٰ موسىٰ، قد أُوذي بأكثر مِن هذا فصبر[1].

وفي رواية أخرى للبخاري قال: لَمّا كان يوم حنين آثر النبيﷺ ناساً، أعطىٰ الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطىٰ عيينة مِثْلَ ذلك، وأعطىٰ أناساً، فقال رجل: ما أُريد بهذه القسمة وجه الله، فقلت: لأُخْبِرَنّ النبيﷺ، فأخبرته فقال: رحم الله موسىٰ، قد أُوذِيَ بأكثر من هذا فصبر.

وفي رواية للبخاري كذلك: فقال رجل: والله إن هذه القسمة ما عُدِل فيها، وما أُريد فيها وجه الله. فقلت: واللهِ لأُخْبِرَنّ رسول اللهﷺ، فأتيته فأخبرته، فقالﷺ: مَن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله؟! رحم الله موسىٰ، قد أُوذِيَ بأكثر من هذا فصبر.

وقال محمد بن إسحاق: حدثني أبو عبيدة محمد بن عمار بن ياسر عن مَقْسَم أبي القاسم مولىٰ عبدالله بن الحارث بن نوفل، قال: خرجتُ أنا وتَيْلَد بن كلاب الليثي حتىٰ أتينا عبدالله بن عمرو بن العاص وهو يطوف بالبيت مُعَلِّقاً نعله بيده، فقلنا له: هل حضرتَ رسول اللهﷺ حين كلّمه التميمي يوم حنين؟ قال: نعم، جاء رجل من بني تميم يقال له: ذو الخُوَيْصرة، فوقف عليه وهو يعطي الناس، فقال له: يا محمد، قد رأيتُ ما صنعتَ في هذا اليوم. فقال رسول اللهﷺ: أجل، فكيف رأيتَ؟ قال: لم أَرَكَ عَدَلْتَ. قال: فغضب النبيﷺ فقال: ويحك، إذا لم يكن العدل عندي فعند مَنْ يكون؟ فقال عمر بن الخطاب: ألا نقتله؟ فقالﷺ: دَعُوه، فإنه سيكون له شيعة يتعمّقون في الدين حتىٰ يخرجوا منه كما يخرج السهم مِن الرِّمْية، يُنْظَرُ في النَّصْل[2] فلا يوجد شيء، ثم في القِدْح[3] فلا

(١) رواه مسلم أيضاً والإمام أحمد.

(٢) النَّصْل: حديد السهم.

(٣) القِدْح: السهم.

يوجد شيء، ثم في الفُوقِ[١] فلا يوجد شيء، سبق الفَرْثَ والدَّمَ.

وقال الليث بن سعد عن يحيىٰ بن سعيد عن أبي الزبير عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: أتىٰ رجل بالجعرانة النبيﷺ منصرفه من حنين، وفي ثوب بلال فضة، ورسول اللهﷺ يقبض منها ويعطي الناس، فقال: يا محمد، اعدل. قال: ويلك، ومَنْ يعدل إذا لم أكن أعدل؟ لقد خبتُ وخسرتُ إنْ لم أكن أعدل. فقال عمر بن الخطاب: دعني يا رسول الله فأقتل هذا المنافق، فقال: معاذ الله أن يتحدّث الناس أني أقتل أصحابي، إنَّ هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يتجاوز حناجرهم، يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية.

وفي صحيحي البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدريرضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول اللهﷺ وهو يقسم قَسْماً، أتاه ذو الخُوَيْصِرة وهو رجل من بني تميم، فقال: يا رسول الله، اعْدِلْ. فقال: ويلك، ومَنْ يَعْدِل إذا لم أعدل؟ قد خِبْتُ وخَسِرْتُ إنْ لم أَكُنْ أعدل. فقال عمر: يا رسول الله، ائْذَن لي فيه فأضرب عنقه. فقال: دَعْهُ، فإن له أصحاباً يَحْقِرُ أحدكم صلاتَه مع صلاتهم، وصيامَه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يُجاوز تَراقِيَهُم، يَمْرُقُون من الدِّين كما يَمْرُقُ السهم من الرمية، يُنْظَر إلىٰ نَصْلِه فلا يُوجد فيه شيء، ثم يُنْظَر إلىٰ رِصافه[٢] فلا يوجد فيه شيء، ثم يُنْظَرُ إلىٰ نَضِيِّه - وهو قِدْحُهُ - فلا يُوجَد فيه شيء، ثم يُنظر إلىٰ قُذَذِهِ فلا يوجد فيه شيء، قد سَبَقَ الفَرْثَ والدمَ، آيتُهم رجلٌ أسود إحدى عَضُدَيْه مِثْل ثدي المرأة، أو مِثْل البَضْعة تَدَرْدَرُ، ويَخرجون علىٰ حين فُرْقة من الناس.

قال أبو سعيد: فأَشهد أني سمعتُ هذا الحديث مِن رسول اللهﷺ، وأَشهد أنَّ علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه، فأَمَرَ بذلك الرجل فَالْتُمِسَ، فأُتِيَ به حتىٰ نظرت إليه علىٰ نَعْتِ النبيﷺ الذي نَعَتَه[٣].

---

(١) الفُوق: طرف السهم الذي يباشر الوتر.

(٢) الرِّصاف: مدخل النصل في السهم.

(٣) ورواه مسلم أيضاً من حديث القاسم بن الفضل عن أبي نضرة عن أبي سعيد بنحوه.

۞ قدوم وفد هوازن علىٰ رسول الله ﷺ وإسلامهم ورَدُّ السبايا إليهم:

قال ابن إسحاق: وقَدِمَ وفد هوازن علىٰ رسول الله ﷺ وهم أربعة عشر رجلاً، ورأسهم زُهَيْر بن صُرَد، وفيهم أبو بُرقان عم رسول الله ﷺ من الرضاعة، فسألوه أن يَمُنَّ عليهم بالسبي.

قال ابن إسحاق بسنده إلىٰ عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: إنَّ وفد هوازن وفدوا علىٰ رسول الله ﷺ وقد أسلموا، فقالوا: يا رسول الله، إنّا أهل وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لم يَخْفَ عليك، فامْنُنْ علينا.

قال ابن إسحاق: وقام رجل من هوازن أحد بني سعد بن بكر يقال له: زُهَير، يُكَنّىٰ بأبي صُرَد، فقال: يا رسول الله، إنما في الحظائر[1] عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كُنّ معك يكفلنك، ولو أنا مَلَحْنا[2] للحارث بن أبي شِمْر أو للنعمان بن المنذر ما نزل منا بِمِثْل الذي نزلتَ به، رَجَوْنا عَطْفَه وعائدته علينا، وأنت خير المكفولين.

ولقد حكىٰ أبو عمر بن عبد البر أن أبا صُرَد زهير بن صرد أنشد عند ذلك:

أُمْنُنْ علينا رسولَ الله في كَرَمٍ ... فإنك المرءُ نَرْجُوه وننتظرُ[3]
أُمْنُنْ علىٰ بَيْضة قد عاقها قَدَرٌ ... مُمَزِّقٌ شَمْلَها في دَهْرِها غِيَرُ
يا خير طفل ومولود ومُنْتَجَبٍ ... في العالمين إذا ما حصّل البشرُ
إنْ لم تَدارَكْهُم نَعْماءُ تَنْشُرُها ... يا أرجح الناس حِلماً حين يُخْتَبَرُ
أُمْنُنْ علىٰ نسوةٍ قد كنتَ تَرْضَعُها ... إذْ فُوكَ مملوءةٌ مِن مَحْضِها الدِّرَرُ
إذ كنتَ طفلاً صغيراً كنتَ تَرْضَعُها ... وإذ يَزينك ما تَأْتي وما تَذَرُ

---

(١) جمع حظيرة، وهي الزُّرُب الذي يُصنع للإبل والغنم لِيَكُفَّها عن المسير.

(٢) يقال: مَلَحْنا لفلان أي أرضعناه، كما قال صاحب لسان العرب.

(٣) وفي الاستيعاب: ونَدَّخِرُ.

لا تجعلنّا كَمَنْ شالتْ نعامتُه[١] واستبقِ مِنّا فإنّا معشرٌ زُهُرُ
يا خير مَنْ مَرِحَتْ كُمْتُ الجِياد به وعند الهياج إذا ما استوقد الشررُ
إنّا لَنَشْكُر آلاءً وإن كُفِرَتْ وعندنا بعد هذا اليوم مُدَّخَرُ
إنّا نُؤَمِّلُ عفواً منك تلبسه هذه البريّة إذ تعفو وتنتصرُ
فاغْفِرْ عفا الله عمّا أنت واهبه يوم القيامة إذ يُهْدَى لك الظَّفَرُ

قال ابن إسحاق: فقال رسول الله ﷺ: أبناؤكم ونساؤكم أحبّ إليكم أم أموالكم؟ فقالوا: يا رسول الله، خَيَّرْتَنا بين أموالنا وأحسابنا، فرُدَّ إلينا أبناءنا ونساءنا فهو أحبّ إلينا. فقال لهم: أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، وإذا أنا صَلَّيْتُ الظهر فقوموا فقولوا: إنّا نستشفع برسول الله إلىٰ المسلمين، وبالمسلمين إلىٰ رسول الله في أبنائنا ونسائنا، فسأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم. ففعلوا ما أمرهم به، فقال: أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، وقال المهاجرون: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ، وقالت الأنصار مِثْل ذلك، فقال الأقرع بن حابس: أما أنا وبنو تميم فلا، وقال عيينة بن حصن: أما أنا وبنو فزارة فلا، وقال عباس بن مرداس: أما أنا وبنو سُلَيم فلا، فقالت بنو سليم: بلىٰ، ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ. فقال عباس لبني سليم: وَهَّنْتُموني[٢]. فقال رسول الله ﷺ: إنَّ هؤلاء القوم جاءوا مسلمين، وقد كنتُ اسْتَأْنَيْتُ بسَبْيِهم، وخيّرتهم فلم يعدلوا بالأبناء والنساء شيئاً، فمَنْ كان عنده منهم شيء فطابت نفسه أن يَرُدَّه فسبيل ذلك، ومَنْ أبىٰ فليرد عليهم وليكن ذلك قرضاً علينا، فله بكل إنسان سِتُّ فرائض مِن أول ما يُفِيء الله علينا. قالوا: رَضِينا وسَلَّمْنا، فردّوا عليهم نساءهم وأبناءهم، ولم يتخلّف منهم أحد غير عيينة بن حصن، فإنه أبىٰ أن يرد عجوزاً صارت في يده منهم، ثم رَدَّها بعد ذلك.

---

(١) يقال: شالت نعامتهم إذا ماتوا وتفرّقوا، كأنهم لم يَبْقَ منهم إلاّ بقية. والنعامة الجماعة. انظر إنْ أردتَ لسان العرب في مادة شول.

(٢) أي أَضْعَفْتُموني.

وقد حكىٰ محمد بن إسحاق سبب تمسك عيينة بها ورَدِّها، قال: فقال حين أخذها: أرى عجوزاً إني لأَحْسِبُ لها في الحي نسباً، وعسىٰ أن يَعْظُمَ فداؤها. فلما ردّ الناسُ السبايا بست فرائض أبىٰ أن يَرُدّها، فقال زُهَير بن صُرَد: خذها عنك، فوالله ما فُوها ببارد، ولا ثديها بناهد، ولا بطنها بوالد، ولا زوجها بواجد، ولا دَرُّها بماكد[1]. فرَدّها بست فرائض حين قال له زُهَير ما قال.

وحكىٰ محمد بن سعد في طبقاته في ترجمة عيينة بن حصن عند ذِكْرِ هذه القصة قال: لَمّا قدم وفد هوازن علىٰ رسول الله ﷺ وردّ عليهم السبي، كان عيينة قد أخذ رأساً منه، فنظر إلىٰ عجوز كبيرة فقال: هذه أُمُّ الحي، لعلهم أن يَغْلُوا بفدائها، وعسىٰ أن يكون لها في الحي نسب. فجاء ابنها إلىٰ عيينة فقال: هل لك في مائة من الإبل؟ قال: لا، فرجع عنه فتركه ساعة، وجعلت العجوز تقول لابنها: ما أَرَبُكَ في نَقْد مائة ناقة؟ اتْرُكْه فما أسرع ما يتركني بغير فداء. فلما سمعها عيينة قال: ما رأيتُ كاليوم خدعة، واللهِ ما أنا مِن هذه إلاّ في غرور، ولا جَرَم والله لأُباعِدَنَّ أثركِ مني. قال: ثم مَرَّ به ابنها، فقال له عيينة: هل لك فيما دَعَوْتَني إليه؟ فقال: لا أزيدك علىٰ خمسين، فقال عيينة: لا أفعل. ثم لبث ساعة فمرّ به وهو معرض عنه، فقال له عيينة: هل لك في الذي بَذَلْتَ لي؟ قال له الفتىٰ: لا أزيدك علىٰ خمس وعشرين فريضة، قال عيينة: والله لا أفعل. فلما تخوّف عيينة أن يتفرّق الناس ويرتحلوا، قال: هل لك إلىٰ ما دعوتني إليه إنْ شئتَ؟ فقال الفتىٰ: هل لك في عشر فرائض؟ قال: لا أفعل. فلما رحل الناس ناداه عيينة: هل لك إلىٰ ما دعوتَني إليه إن شئتَ؟ قال الفتىٰ: أَرْسِلْها وأَحْمِلُك، قال: لا والله ما لي بحَمْلك حاجة. فأقبل عيينة علىٰ نفسه لائماً لها ويقول: ما رأيتُ كاليوم أمراً أنكد، قال الفتىٰ: أنت صنعتَ هذا بنفسك، عمدتَ إلىٰ عجوز كبيرة واللهِ ما ثديها بناهد، ولا بطنها بوالد، ولا فُوها ببارد، ولا صاحبها بواجد، فأخذتَها مِن بين مَنْ ترى. فقال له عيينة: خُذْها لا بارك الله لك فيها. قال: فيقول الفتىٰ: يا عيينة، إن رسول الله ﷺ قد كسا السبي فأَخطأها من بينهم الكسوة،

---

(١) الدَّرُّ: اللبن، والماكد: الغزير.

فهل أنت كاسيها ثوباً؟ قال: لا والله ما ذلك لها عندي، قال: لا تفعل، فما فارقه حتىٰ أخذ منه شمل ثوب، ثم وَلَّىٰ الفتىٰ وهو يقول: إنك لَغير بصير بالفُرَص.

قال ابن سعد: وكان رسول الله ﷺ قد كسا السبي قُبْطِيّة قبطية[١].

۞ مجيء أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة عليه بالجعرانة:

قال ابن إسحاق: يُروى أن رسول الله ﷺ قال يوم هوازن: إنْ قدرتم علىٰ بِجاد[٢] فلا يُفْلِتَنّكم، وكان قد أَحْدَثَ حَدَثاً. فلما ظفر به المسلمون ساقوه وأهلَه، وساقوا معه الشيماء بنت الحارث بن عبد العزى أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة.

قال ابن إسحاق: فعَنُفُوا عليها في السِّياق، فقالت للمسلمين: تعلمون والله إني لأخت صاحبكم من الرضاعة، فلم يُصَدِّقوها حتىٰ أَتَوْا بها رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: فحدّثني يزيد بن عبيد السعدي[٣] قال: فلما انْتُهِيَ بها إلىٰ رسول الله ﷺ قالت: يا رسول الله، إني أختك من الرضاعة. قال: وما علامة ذلك؟ قالت: عَضّة عَضَضْتَنِيها في ظهري وأنا مُتَوَرِّكَتُكَ، فعرف رسول الله ﷺ العلامة، فبسط لها رداءه فأَجْلَسَها عليه، وخيّرها وقال: إنْ أحببتِ فعندي مُحَبَّبة مُكْرَمة، وإنْ أحببتِ أن أُمَتِّعَكِ وترجعي إلىٰ قومكِ فعلتُ؟ قالت: بل تُمَتِّعُني وتَرُدّني إلىٰ قومي. فَمَتَّعَها رسول الله ﷺ وردّها إلىٰ قومها، فزعمت بنو سعد أنه أعطاها غلاماً يقال له: مكحول وجاريةً، فزَوَّجَتْ أحدهما الآخر، فلم يزل فيهم مِن نسلهما بقية.

وروى البيهقي من حديث الحكيم بن عبد الملك عن قتادة قال: لَمّا كان يوم فتح هوازن، جاءت جارية إلىٰ رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، أنا أختك، أنا شيماء بنت الحارث. فقال لها: إنْ تكوني صادقة فإنَّ بكِ مني أثراً لا يبلىٰ. قال: فكشفت عن

---

(١) القباطي: ثياب بيض تُتَّخذ مِن الكتان بمصر.

(٢) هو رجل من بني سعد بن بكر.

(٣) هو أبو وَجْزة.

عضدها، فقالت: نعم يا رسول الله، وأنت صغير عضضتني هذه العضة. قال: فبسط لها رسول الله ﷺ رداءه ثم قال: سَلِي تُعْطَيْ، واشْفَعِي تُشَفَّعِي.

۞ إسلام مالك بن عوف:

قال محمد بن إسحاق: وسأل رسول الله ﷺ وفد هوازن عن مالك بن عوف ما فعل، فقالوا: هو بالطائف مع ثقيف، فقال: أَخْبِرُوا مالكاً إنْ هو أتاني مسلماً رَدَدْتُ إليه أهله وماله، وأعطيتُه مائة من الإبل. فأُخبر بذلك، فخرج من الطائف فأدرك رسول الله ﷺ بالجعرانة أو بمكة، فردّ عليه أهله وماله، وأعطاه مائة من الإبل، وأسلم فحَسُنَ إسلامه.

وقال حين أسلم منشداً:

ما إنْ رأيتُ ولا سمعتُ بِمِثْلِه ... في الناس كُلِّهم بِمِثْلِ محمدِ
أَوْفَىٰ وأَعْطَىٰ للجزيل إذا اجْتُدي ... ومتىٰ تَشَأْ يُخْبِرك عمّا في غدِ
وإذا الكتيبةُ عَرَّدَتْ[1] أنيابها ... بالسَّمْهَرِيِّ[2] وضَرْبِ كل مُهَنَّدِ[3]
فكأنه ليثٌ علىٰ أشبالِهِ ... وَسْطَ الهَباءةِ[4] خادِرٌ[5] في مَرْصَدِ[6]

فاستعمله رسول الله ﷺ علىٰ مَنْ أسلم مِن قومه وتلك القبائل: ثُمالة وسلمة وفَهْم، فكان يقاتل بهم ثقيفاً، لا يَخرج لهم سَرْحٌ[7] إلاّ أغار عليه حتىٰ ضيّق عليهم، فقال أبو محجن بن حبيب بن عمرو الثقفي في ذلك:

---

(١) أي قويت واشتدّت.

(٢) هو الرمح.

(٣) هو السيف.

(٤) هو الغبار يثور عند اشتداد الحرب.

(٥) هو الأسد في عرينه، وهو حينئذ أشد ما يكون بأساً لخوفه علىٰ أشباله، فيصفه هنا بالقوة.

(٦) هو المكان يُرْقَبُ منه، فيصفه هنا باليقظة.

(٧) هو المال السائم.

هـــابَتِ الأعـــداءُ جانبَنـــا ثُـــمَّ تغزونـــا بنـــو سَـــلِمَهْ
وأتانـــا مـــالكٌ بِـــهِمِ ناقضـــاً للعَـــهْدِ والحُرُمَـــهْ
وأتَوْنـــا في منازلنـــا ولقـــد كنـــا أُولي نَقِمَـــهْ

۞ تسمية مَنْ بايع رسول الله ﷺ مِن قريش وغيرها عند قَسْم مغانم حنين:

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام رحمه الله: بايع رسولَ الله ﷺ مِنْ قريش وغيرهم فأعطاهم يوم الجعرانة من غنائم حنين: أبو سفيان بن حرب بن أمية، ومعاوية بن أبي سفيان، وطليق بن سفيان بن أمية، وخالد بن أَسِيد بن أبي العيص بن أمية، وشيبة بن عثمان بن أبي طلحة، وأبو السنابل بن بَعْكك بن الحارث، وعكرمة بن عامر بن هاشم، وزهير بن أبي أمية بن المغيرة، والحارث بن هشام بن المغيرة، وخالد بن هشام بن المغيرة، وهشام بن الوليد بن المغيرة، وسفيان بن عبد الأسد بن عبدالله، والسائب بن أبي السائب بن عائذ، ومطيع بن الأسود بن حارثة بن نَضْلة العدوي، وأبو جَهْم بن حذيفة بن غانم العدويّ، وصفوان بن أمية بن خلف الجُمَحي، وأُحَيْحة بن أمية بن خلف، وعمير بن وهب بن خلف، وعدي بن قيس بن حُذافة السهمي، وحُوَيْطب بن عبد العزى، وهشام بن عمرو بن ربيعة، ونوفل بن معاوية بن عروة بن صخر الدِّيلي، وعلقمة بن عُلاثة بن عوف، ولَبيد بن ربيعة بن مالك، وخالد بن هَوْذة بن ربيعة بن عمرو بن عامر، وحرملة بن هوذة بن ربيعة، ومالك بن عوف بن سعيد بن يربوع، وعباس بن مرداس السلمي، وعيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، والأقرع بن حابس بن عقال المجاشعي.

۞ مقالة الأنصار في أَمْر قَسْم الفَيْء وما أجابهم به رسول الله ﷺ ورضّاهم به:

قال ابن إسحاق بسند يرفعه إلىٰ أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: لَمّا أعطىٰ رسول الله ﷺ ما أعطىٰ من تلك العطايا في قريش وفي قبائل العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيء،

وَجَدُوا في أنفسهم حتىٰ كثرت بهم القالةُ، حتىٰ قال قائلهم: لَقِيَ واللهِ رسول الله ﷺ قومَه. فدخل عليه سعد بن عبادة فقال: يا رسول الله، إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لِما صنعت في هذا الفَيْء الذي أَصَبْتَ، قَسَمْتَ في قومك وأعطيتَ عطايا عظاماً في قبائل العرب، ولم يكن في هذا الحي من الأنصار منها شيء. قال: فأين أنت من ذلك يا سعد؟ قال: يا رسول الله، ما أنا إلاّ مِنْ قومي. قال: فاجْمَعْ لي قومك في هذه الحظيرة.

قال: فخرج سعد فجمعهم فيها، فأتاهم رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنىٰ عليه بما هو أهله، ثم قال: يا معشر الأنصار، ما قالةٌ بَلَغَتْني عنكم، وجِدَةٌ وَجَدْتُموها عليَّ في أنفسكم؟ أَلَمْ آتكم ضُلاّلاً فهداكم الله، وعالة فأغناكم الله، وأعداء فألّف الله بين قلوبكم؟ قالوا: بلىٰ، الله ورسوله أَمَنُّ وأفضل. ثم قال: ألاَ تُجيبونني يا معشر الأنصار؟ قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله؟ لله ولرسوله المِنّة والفضل. قال رسول الله ﷺ: أما والله لو شئتم لقلتم فلَصَدَقْتُم ولَصُدِّقْتُم: أَتَيْتَنا مُكَذَّباً فَصَدَّقْناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فآوَيْناك، وعائلاً فآسَيْناك. أَوَجَدْتُم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لُعاعَةٍ[1] من الدنيا تَأَلَّفْتُ بها قوماً لِيُسْلِموا، ووكلتكم إلىٰ إسلامكم؟ ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاء والبعير وترجعوا برسول الله إلىٰ رِحالكم؟ فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنتُ امرأ من الأنصار، ولو سلكت الناس شِعْباً[2] وسلكت الأنصار شعباً لسلكتُ شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار.

قال ابن إسحاق: فبكىٰ القوم حتىٰ أَخْضَلُوا لِحاهم[3] وقالوا: رضينا برسول الله قَسْماً وحظاً، ثم انصرف رسول الله ﷺ وتفرّقوا.

---

(١) اللُّعاعة: الجرعة من الماء، يريد هنا الشيء اليسير.

(٢) الشِّعْب: الطريق بين جبلين.

(٣) أي بَلُّوها بدموعهم.

۞ عمرة الرسولﷺ من الجعرانة واستخلافه لِعتّاب بن أَسِيد علىٰ مكة ورجوعه إلىٰ المدينة:

قال محمد بن إسحاق: ثم خرج رسول اللهﷺ من الجعرانة معتمراً، وذلك ليلة الأربعاء لثنتي عشرة ليلة مضت من ذي القعدة، فأَحْرَمَ بعمرة ودخل مكة، فطاف وسعىٰ وحلق رأسه، ورجع مِن ليلته.

قال ابن إسحاق: ولَمّا فرغ رسول اللهﷺ من عمرته استخلف عَتّاب بن أَسِيد علىٰ مكة، وخلّف معه معاذ بن جبل يُفَقِّهُ الناس في الدين، ويُعَلِّمُهم القرآن.

قال ابن هشام: ولَمّا استعمل النبيﷺ عَتّاب بن أَسِيد علىٰ مكة رَزَقَهُ كل يوم درهماً، فقام فخطب الناس فقال: أيها الناس، أجاع الله كَبِد مَنْ جاع علىٰ درهم، قد رزقني رسول اللهﷺ درهماً كل يوم، فليست بي حاجة إلىٰ أحد.

قال: وحجّ عَتّاب بالناس في سنة ثمان علىٰ ما كانت العرب تحجّ عليه.

قال ابن سعد: ولَمّا انصرف رسول اللهﷺ إلىٰ المدينة، سلك في وادي الجعرانة حتىٰ خرج علىٰ سَرَف[1]، ثم أخذ الطريق إلىٰ مرّ الظهران[2]، ثم إلىٰ المدينة، فقدمهاﷺ في بقية ذي القعدة، أو في أول ذي الحجة.

وقال ابن هشام: لست بقين من ذي القعدة، والله أعلم بالصواب.

۞ خبر إسلام كعب بن زهير وقصيدته المشهورة:

قال ابن الأثير في تاريخه الكامل: خرج كعب بن زهير بن أبي سُلمىٰ[3] ومعه أخوه بُجَيْر حتىٰ أتيا أَبْرق العَزّاف، فقال له بُجير: اثبت في غنمنا حتىٰ آتي هذا الرجل - يعني

---

(١) هو موضع علىٰ ستة أميال من مكة كما قال ياقوت الحموي.

(٢) هو موضع علىٰ مرحلة من مكة.

(٣) وأبو سلمىٰ هو ربيعة المزني.

رسول الله ﷺ - فأسمع منه.

فأقام كعب، وسار بُجير إلىٰ رسول الله ﷺ فأَسْلَمَ، وبلغ ذلك كعباً فقال:

ألاَ أَبْلِغا عني بُجَيْراً رسالةً ... فهل لكَ فيما قلتُ وَيْحَكَ هَلْ لَكا

فبَيِّنْ لنا إنْ كنتَ لستَ بفاعلٍ ... علىٰ أيِّ شيءٍ غيرِ ذلك دَلَّكا

علىٰ خُلُقٍ لم أُلْفِ يوماً أباً له ... عليه وما تُلْفِي عليه أباً لَكا

فإنْ أنت لم تفعلْ فلستُ بآسفٍ ... ولا قائل إمّا عَثَرْتَ: لَعاً لَكا[1]

سَقاكَ بها المأمونُ كأساً رَوِيَّةً ... فأَنْهَلَكَ المأمونُ منها وعَلَّكا

فلما بلغ رسولَ الله ﷺ قولُه، غضب وأَهْدَرَ دمه[2].

فكتب بذلك بُجير إلىٰ أخيه بعد عَوْد رسول الله ﷺ من الطائف، وقال: النجاءَ النجاءَ، وما أدري أنْ تَتَفَلَّت. ثم كتب إليه: إذا أتاك كتابي هذا فأَسْلِمْ وأَقْبِلْ إليه، فإنه لا يأخذ مع الإسلام بما كان قبله. فأَسْلَمَ كعب وجاء حتىٰ أناخ راحلته بباب المسجد، ورسول الله ﷺ مع أصحابه.

قال كعب: فعرفتُه بالصفة، فتَخَطَّيْتُ الناس إليه، فأسلمتُ وقلت: الأمان يا رسول الله، هذا مقام العائذ بك. قال: مَنْ أنت؟ فقلت: كعب بن زهير، قال: الذي يقول، ثم التفت إلىٰ أبي بكر فقال: كيف قال؟ فأنشده أبو بكر الأبيات التي قالها، فقال كعب: ما هكذا قلت يا رسول الله، إنما قلت:

سَقاكَ أبو بكر بكأسٍ رَوِيَّةٍ ... فَأَنْهَلَكَ المأمون منها وعَلَّكا

فقال رسول الله ﷺ: مأمون والله.

فتَهَجَّمَتْهُ الأنصار وأَغْلَظَتْ له، ولانت له قريش وأحبّت إسلامه، فأنشده قصيدته

---

(١) هي كلمة تُقال للعاثر، وهي دعاء له بالإقالة مِن عثرته.

(٢) وقيل: إنما أَمَرَ النبي ﷺ بقتله وقطع لسانه لأنه كان تشبّب بأم هانئ بنت أبي طالب.

التي أولها[١]:

بانَتْ[٢] سعادُ[٣] فقلبي اليومَ مَتْبولُ[٤] مُتَيَّمٌ إثْرَها[٥] لم يُفْدَ[٦] مَكْبولُ[٧]

فلما انتهىٰ إلىٰ قوله:

وقال كل خليل كنتُ آمُلُهُ لا أُلْهِيَنَّكَ إني عنه مشغولُ

نُبِّئْتُ أنَّ رسول الله أَوْعَدَني والعفوُ عند رسول الله مَأْمولُ

في فتية من قريش قال قائلهم ببطن مكة لَمّا أَسْلَموا زُولُوا

زُولوا فما زال أنكاسٌ[٨] ولا كُشُفٌ[٩] عند اللقاء ولا مِيلٌ[١٠] مَعازيلُ[١١]

لا يَقَع الطَّعْنُ إلاّ في نحورهمُ وما لهم عن حِياض الموت تَهْلِيلُ

نظر رسول الله ﷺ إلىٰ قريش فأَوْمَأَ إليهم أن اسمعوا، حتىٰ قال:

---

(١) مَنْ أراد القصيدة كاملة وشرحها فليرجع إلىٰ كتب السيرة.

(٢) أي فارقت فراقاً بعيداً.

(٣) هي اسم امرأة، وقيل: هي امرأته وبنت عمه، خصّها بالذكر لطول غَيْبته عنها؛ لهروبه من النبي ﷺ.

(٤) أي مُغْرم أَسْقَمَه الحب وأضناه.

(٥) أي ذليل مُسْتَعْبد عندها.

(٦) أيْ لم يخلص من الأسر.

(٧) أي مُقَيَّد.

(٨) الأنكاس: جمع نِكس بالكسر، وهو الرجل الضعيف.

(٩) الكُشُف بضم فسكون وحُرِّكَ للشعر: جمع أكشف وهو الذي لا ترس معه، أو هم الشجعان الذين لا ينكشفون في الحرب، أي لا ينهزمون.

(١٠) المِيل: جمع أَمْيَل وهو الذي لا سيف له، أو هو الذي لا يُحْسِنُ الركوب فيميل عن السرج.

(١١) المعازيل: واحدهم مِعزال بكسر الميم، وهم الذين لا سلاح معهم.

يمشون مَشْيَ الجِمال الزُّهْر[١] يَعْصِمُهم ضَـرْبٌ إذا عَـرَّدَ[٢] السُّـودُ التَّنـابيلُ[٣]

يُعَرِّضُ بالأنصـار لغلظتـهم الـتي كـانت عليـه، فـأنكرتْ قريـش قولـه وقـالوا: لم تمدحنـا إذ هَجَوْتَهم، ولم يَقْبَلوا ذلك منه. وعَظُمَ علىٰ الأنصار هَجْوه فَشَكَوْه، فقال يمدحهم في أبيات:

مَـن سَـرَّهُ كـرمُ الحيـاة فـلا يـزل في مِقْنَـبٍ[٤] مِـن صـالحي الأنصـارِ

البـاذلين نفوسـهم ودمـاءهم يـوم الهِيـاج وسـطوة الجبـارِ

يتطـهّرون كأنـه نُسْـك لهـم بدمـاء مَـنْ قتلـوا مِـنَ الكفـارِ

فكساه النبيﷺ بُردة كانت عليه. فلما كان زمن معاوية أرسل إلىٰ كعب: أنْ بِعْنا بردة رسول اللهﷺ، فقال: ما كنتُ لأُوثِرَ بثوب رسول اللهﷺ أحداً.

فلما مات كعب اشتراها معاوية من أولاده بعشرين ألف درهم، وهي البردة التي في متحف استنبول اليوم، حيث تبادلها الحكام إلىٰ زماننا هذا.

بردة النبيﷺ التي أهداها لكعب بن زهير والمحفوظة في متحف توبكابي باستنبول

(١) أي البيض، يصفهم بامتداد القامة، وعِظَم الخَلْق، والرفق في المشي، وبياض البشرة، وذلك دليل علىٰ الوقار والسُّؤْدد.

(٢) أي فرّ وأعرض عن قرنه وهرب عنه.

(٣) جمع تنبال وهو القصير.

(٤) المِقْنَب: الجماعة من الخيل، يريد به القوم علىٰ ظهور جيادهم.

٢٨- غزوة تبوك

[رجب ٩ هـ]

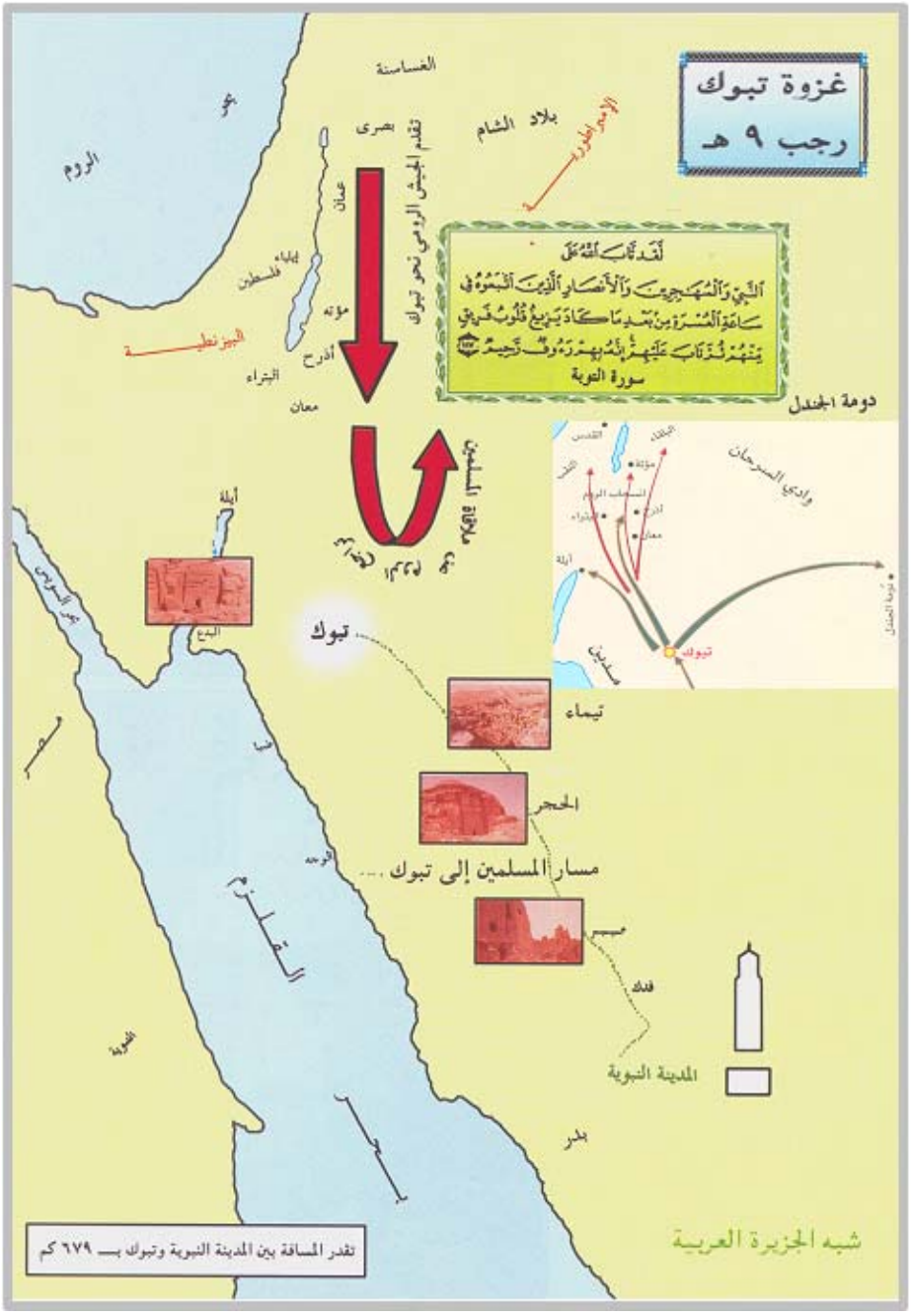

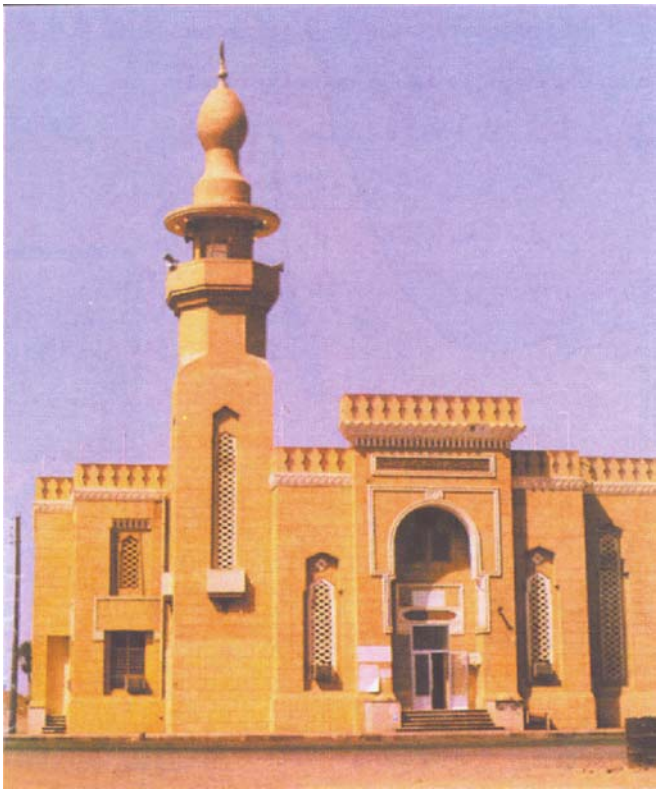

مسجد الرسول ﷺ
بتبوك

قال الله تبارك وتعالىٰ في محكم كتابه العزيز: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة].

غزاها رسول الله ﷺ في رجب سنة تسع مِن مهاجَره.

فيروى أنه لَمّا عاد رسول الله ﷺ إلىٰ المدينة، أقام بها بعد عَوْده من الطائف ما بين ذي الحجة إلىٰ رجب، ثم أَمَرَ الناس بالتجهز لغزو الروم، وأَعْلَمَهم مقصدهم؛ لِبُعْد الطريق، وشدة الحر، وقوة العدو، وكان قبل ذلك إذا أراد غزوة وَرّى بغيرها.

۞ سبب الغزوة وأَمْرُ الرسول ﷺ الناسَ بالتهيؤ لتبوك:

وكان سببها أنَّ النبي ﷺ بَلَغه أنَّ هرقل ملك الروم ومَنْ عنده مِنْ مُتَنَصِّرة العرب قد عزموا علىٰ قصده، وأنَّ هرقل قد رَزَقَ أصحابه لِسَنة، وأَجْلَبَتْ معه لَخْمٌ وجُذام وعامِلة وغسّان، وزحفوا وقدّموا مُقَدِّماتهم إلىٰ البلقاء، وعسكروا بها.

فندب رسول الله ﷺ الناس إلىٰ الخروج، وتجهّز هو والمسلمون وساروا إلىٰ الروم، وكان الحر شديداً، والبلاد مُجْدِبة، والناس في عُسْرة، وكانت الثمار قد طابت، فأحبّ الناس المُقام في ثمارهم، فتجهّزوا علىٰ كُرْهٍ، فكان ذلك الجيش يُسمىٰ جيش العُسرة.

وبعث رسول الله ﷺ إلىٰ مكة وإلىٰ قبائل العرب يَسْتَنْفِرُهم، وأَمَرَهم بالصدقة. فحملوا صدقات كثيرة، وقَوُّوا في سبيل الله.

قال ابن هشام: أنفق عثمان بن عفان في جيش العسرة في غزوة تبوك ألف دينار، فقال رسول الله ﷺ: اللهم ارْضَ عن عثمان فإني عنه راض.

۞ شأن البَكّائين:

قال ابن إسحاق: ثم إن رجالاً أَتَوْا رسول الله ﷺ وهم البكاءون، وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم من بني عمرو بن عوف: سالم بن عمير، وعُلْبَة بن زيد أخو بني حارثة، وأبو ليلىٰ عبد الرحمن بن كعب أخو بني مازن بن النجار، وعمرو بن حُمام بن الجموح أخو بني سلمة، وعبدالله بن المغفل المزني[1]، وهَرَميّ بن عبدالله أخو بني واقف، وعِرْباض بن سارية الفزاري. فَاسْتَحْمَلوا رسول الله ﷺ وكانوا أهل حاجة، فقال: لا أجد ما أحملكم عليه، فـ ﴿تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [التوبة].

قال ابن إسحاق: فبلغني أن ابنَ يامين بن عمير بن كعب النضري لَقِيَ أبا ليلىٰ عبد الرحمن بن كعب وعبدَالله بن مغفل وهما يبكيان، فقال: ما يُبْكِيكُما؟ قالا: جئنا

---

(١) ويقال: عبدالله بن عمرو المزني.

رسول الله ﷺ لِيَحْمِلَنا فلم نجد عنده ما يحملنا عليه، وليس عندنا ما نَتَقَوَّى به علىٰ الخروج معه. فأعطاهما ناضحاً له فارْتَحَلاه، وزَوَّدَهُما شيئاً من تمر، فخرجا مع رسول الله ﷺ.

۞ شأن الأشعريين:

روى البخاري في صحيحه عن أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه قال: أرسلني أصحابي إلىٰ رسول الله ﷺ أسأله الحُمْلان لهم إذ هم معه في جيش العسرة، وهي غزوة تبوك. فقلت: يا نبي الله، إن أصحابي أرسلوني إليك لِتَحْمِلَهم. فقال: والله لا أحملكم علىٰ شيء، ووافَقْتُه وهو غضبان ولا أشعر، ورجعتُ حزيناً مِن مَنْع النبي ﷺ، ومِن مخافة أن يكون النبي ﷺ وَجَدَ في نفسه عليَّ. فرجعت إلىٰ أصحابي فأخبرتُهم الذي قال النبي ﷺ، فلم ألبث إلاّ سُوَيْعة إذْ سمعت بلالاً ينادي: أيْ عبدالله بن قيس، فَأَجَبْتُه، فقال: أَجِبْ رسول الله ﷺ يَدْعُوك. فلما أَتَيْتُه قال: خُذْ هذين القَرينَيْن وهذين القَرينَيْن - لستة أبعرة ابتاعهنّ حينئذ من سعد -، فانْطَلِقْ بهنّ إلىٰ أصحابك فقل: إن الله - أو قال: إن رسول الله ﷺ - يحملكم علىٰ هؤلاء فاركبوهن. فانطلقتُ إليهم بهن، فقلت: إنَّ النبي ﷺ يحملكم علىٰ هؤلاء، ولكني واللهِ لا أَدَعُكم حتىٰ ينطلق معي بعضكم إلىٰ مَنْ سمع مقالة رسول الله ﷺ، لا تظنوا أني حدّثتكم شيئاً لم يَقُلْهُ رسول الله ﷺ. فقالوا لي: واللهِ إنك عندنا لَمُصَدَّقٌ، ولَنَفْعَلَنّ ما أَحْبَبْتَ. فانْطَلَقَ أبو موسىٰ بنفر منهم حتىٰ أَتَوُا الذين سمعوا قولَ رسول الله ﷺ مَنْعَهُ إيّاهم ثم إعطاءَهم بَعْدُ، فحدّثوهم بِمِثْل ما حَدَّثَهم به أبو موسىٰ.

۞ شأن المنافقين وتَخَلُّفهم:

قال ابن إسحاق: فقال رسول الله ﷺ ذات يوم وهو في جَهازه ذلك للجَدِّ بن قيس وكان من رؤساء المنافقين: يا جَدّ، هل لك في جلاد بني الأصفر؟ فقال: واللهِ لقد عرف قومي حبي للنساء، وأخشىٰ أن لا أصبر علىٰ نساء بني الأصفر، فإنْ رأيتَ أن تأذن لي ولا تَفْتِنِّي؟ فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال: قد أَذِنْتُ لك.

فأنزل الله تعالىٰ فيه قوله: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾[1] [التوبة].

وقال قوم من المنافقين بعضُهم لبعض: لا تَنْفِروا في الحَرِّ، زهادةً في الجهاد، وشَكّاً في الحق، وإرجافاً برسول الله ﷺ، فأنزل الله تبارك وتعالىٰ فيهم: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [التوبة].

قال ابن هشام: وبَلَغَ رسول الله ﷺ أنّ أناساً من المنافقين يجتمعون في بيت سُوَيْلِم اليهودي، وكان بيته عند جاسوم[2]، يُثَبِّطون الناس عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك. فبعث إليهم النبي ﷺ طلحة بن عبيد الله في نفر من أصحابه، وأمره أن يُحَرِّق عليهم بيت سويلم، ففعل طلحة. فاقتحم الضحاكُ بن خليفة مِن ظهر البيت فانكسرت رجله، واقتحم أصحابه فأفلتوا، فقال الضحاك في ذلك:

كادت وبيتِ الله نارُ محمدٍ ... يَشِيطُ بها الضَّحّاكُ وابنُ أُبَيْرِقِ
وظَلْتُ وقد طَبَّقْتُ كِبْسَ[3] سُوَيْلِمٍ ... أَنُوءُ علىٰ رِجْلي كَسِيراً ومِرْفَقي
سلامٌ عليكم لا أعودُ لِمِثْلِها ... أخاف ومن تَشْمل به النارُ يُحْرَقِ

۞ شأن المُعَذِّرين من الأعراب:

قال ابن إسحاق: وجاء المُعَذِّرون مِن الأعراب لِيُؤْذَنَ لهم، فاعتذروا إليه فلم يَعْذِرْهُم. وهم اثنان وثمانون رجلاً، ذُكِرَ أنهم نفر من بني غفار.

---

(١) أي إنْ كان إنما خَشِيَ الفتنة من نساء بني الأصفر وليس ذلك به، فما سقط فيه مِنَ الفتنة أكبر بتخلفه عن رسول الله ﷺ، والرغبة بنفسه عن نفسه.

(٢) هو اسم موضع.

(٣) أي عَلَوْتُ الكِبْس بكسر الكاف، والكِبْسُ هو البيت الصغير.

قال تعالىٰ: ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [التوبة].

۞ خروج الرسول ﷺ ومَنْ تَخَلَّفَ عنه:

قال ابن إسحاق: فلما خرج رسول الله ﷺ ضرب عسكره علىٰ ثنية الوداع. وكان عبدالله بن أُبَيّ بن سلول قد عسكر علىٰ ثنية الوداع في حلفائه من اليهود والمنافقين، فكان يقال: ليس عسكره بأقل العسكرين.

وكان رسول الله ﷺ يستخلف علىٰ عسكره أبا بكر الصديق رضي الله عنه يُصَلِّي بالناس.

واستخلف ﷺ علىٰ المدينة محمد بن مسلمة الأنصاري، وقيل: سِباع بن عرفطة.

فلما سار رسول الله ﷺ تخلّف عنه عبدالله بن أُبَيّ ومَنْ كان معه، وتخلّف نفر من المسلمين عن غير شك ولا ارتياب، منهم: كعب بن مالك بن أبي كعب، وهلال بن أمية، ومُرارة بن الربيع، وأبو خيثمة مالك بن قيس السالمي، وأبو ذر الغفاري. وكانوا نفر صِدْقٍ لا يُتَّهَمون في إسلامهم.

وأَمَرَ رسول الله ﷺ كلَّ بطن من الأنصار والقبائل من العرب أن يتّخذوا لواء أو راية.

وخَلَّفَ رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه علىٰ أهله، وأَمَرَهُ بالإقامة فيهم، فأَرْجَفَ به المنافقون وقالوا: ما خَلَّفَه إلاّ استثقالاً له وتَخَفُّفاً منه. فلما قال ذلك المنافقون أخذ علي بن أبي طالب سلاحه، ثم خرج حتىٰ أتىٰ رسول الله ﷺ وهو نازل بالجُرْف، فقال: يا نبي الله، زَعَمَ المنافقون أنك إنما خَلَّفْتَني أنك اسْتَثْقَلْتَني وتَخَفَّفْتَ مني، فقال: كَذَبُوا، ولكنني خَلَّفْتُكَ لِما تركتُ ورائي، فارْجعْ فاخْلُفْني في أهلي وأهلك، أفلا ترضىٰ

يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسىٰ إلاّ أنه لا نبي بعدي؟ فرجع علي إلىٰ المدينة، ومضىٰ رسول الله ﷺ علىٰ سفره.

ومضىٰ ﷺ لوجهه يسير بأصحابه، حتىٰ قدم تبوك في ثلاثين ألفاً من الناس، والخيل عشرة آلاف فرس. فأقام بها عشرين ليلة يُصَلِّي ركعتين ركعتين، ولَحِقَه بها أبو خيثمة وأبو ذر.

۞ شأن أبي خيثمة:

قال محمد بن إسحاق في سبب مسير أبي خيثمة إلىٰ رسول الله ﷺ أنه جاء يوماً إلىٰ أهله بعد أن سار رسول الله ﷺ أياماً في يوم حار، فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائطه، قد رَشَّتْ كلُّ واحدة منهما عريشها، وبَرَّدَتْ له فيه الماء، وهَيَّأَتْ له فيه طعاماً. فلما دخل قام علىٰ باب العريش، فنظر إلىٰ امرأتيه وما صَنَعَتا له، فقال: رسول الله ﷺ في الضِّحّ[1] والريح والحر وأبو خيثمة في ظلٍّ بارد، وطعام مُهَيَّأٍ، وامرأة حسناء، في ماله مقيم؟! ما هذا بالنَّصَف. ثم قال: والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتىٰ أَلْحَقَ برسول الله ﷺ، فَهَيِّئَا لي زاداً. ففعلتا، ثم قدّم ناضحه فارتحله، ثم خرج في طلب رسول الله ﷺ حتىٰ أدركه حين نزل تبوك.

وقد كان أدرك أبا خيثمة عُمَيْرُ بن وهب الجمحي في الطريق يطلب رسول الله ﷺ، فترافقا حتىٰ إذا دَنَوَا من تبوك، قال أبو خيثمة لِعُمَير بن وهب: إنَّ لي ذنباً، فلا عليك أن تَخَلَّفَ عني حتىٰ آتي رسول الله ﷺ. ففعل.

ولَمّا دنا من رسول الله ﷺ قال الناس: هذا راكب علىٰ الطريق مُقْبِلٌ، فقال رسول الله ﷺ: كُنْ أبا خيثمة، قالوا: يا رسول الله، هو والله أبو خيثمة. فلما أناخ أَقْبَلَ فَسَلَّمَ علىٰ رسول الله ﷺ، فقال له: أَوْلىٰ لك[2] يا أبا خيثمة. ثم أخبر رسول الله ﷺ الخبر، فقال له خيراً ودعا له.

قال ابن هشام: وقال أبو خيثمة في ذلك شعراً:

---

(١) الضِّح بكسر الضاد وتشديد الحاء: الشمس.

(٢) هي كلمة فيها معنىٰ التهديد، ومعناها فيما قال المفسرون: أي دَنَوْتَ من الهلاك.

لَمّـا رأيـتُ النـاس في الديـن نـافقوا أَتَيْـتُ الـتي كـانت أَعَـفَّ وأكْرَمـا
وبـايعتُ بـاليمنىٰ يـدي لمحمـد فلم أَكْتَسِبْ إثْمـاً ولم أغْـشَ مَحْرمـا
تركتُ خضيباً في العَريش وصِرمـة[١] صَفايا[٢] كِراماً بُسْرُها[٣] قـد تحمَّمـا[٤]
وكنـتُ إذا شـكَّ المنـافقُ أسمَحَـتْ[٥] إلىٰ الدين نفسـي شـطرَه حيث يَمَّمـا[٦]

۞ شأن أبي ذر الغفاري:

وأما أبو ذر فإنه أدرك رسول الله ﷺ في أثناء الطريق.

قال ابن إسحاق: ثم مضىٰ رسول الله ﷺ سائراً، فجعل يَتَخَلَّفُ عنه الرجلُ فيقولون: يا رسول الله، تَخَلَّفَ فلان. فيقول: دَعُوه، فإنْ يَكُ فيه خير فَسَيُلْحِقُهُ الله تعالىٰ بكم، وإنْ يَكُ غير ذلك فقد أراحكم الله منه. حتىٰ قيل: يا رسول الله، قد تَخَلَّفَ أبو ذر وأَبْطَأَ به بعيره، فقال: دَعُوه، فإنْ يَكُ فيه خير فَسَيُلْحِقُهُ الله بكم، وإنْ يَكُ غير ذلك فقد أراحكم الله منه.

قال: وتَلَوَّمَ[٧] أبو ذر علىٰ بعيره، فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فحمله علىٰ ظهره، ثم خرج يتبع أثر رسول الله ﷺ ماشياً. ونزل رسول الله ﷺ في بعض منازله، فنظر ناظر من المسلمين فقال: يا رسول الله، إن هذا الرجل يمشي علىٰ الطريق وحده، فقال رسول

---

(١) الصِّرمة: جماعة النخل.

(٢) هي كثيرة الحمل، وأصله في الإبل يقال: ناقة صَفَىٰ إذا كانت غزيرة الدر، وجمعها صفايا.

(٣) البُسْر: التمر قبل أن يَطِيبَ.

(٤) أي أخذ في الإرطاب فاسْوَدَّ.

(٥) أي انقادتْ.

(٦) أي نحوه وقصده.

(٧) أي تَمَكَّثَ وتَمَهَّلَ.

الله ﷺ: كُنْ أبا ذر، فلما تَأَمَّلَه القوم قالوا: يا رسول الله، هو والله أبو ذر. فقال رسول الله ﷺ: رَحِمَ الله أبا ذر، يمشي وحده، ويموت وحده، ويُبعث وحده. فكان ذلك.

روى ابن إسحاق بسنده إلىٰ عبدالله بن مسعود قال: لَمّا نفىٰ عثمان أبا ذر إلىٰ الرَّبَذة وأصابه بها قَدَرُهُ، لم يكن معه أحد إلاّ امرأتُه وغلامُه، فأَوْصاهما أنِ اغْسِلاني وكَفِّناني ثم ضعاني علىٰ قارعة الطريق، فأول ركب يمرّ بكم فقولوا: هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ، فأَعِينُونا علىٰ دفنه.

فلما مات فَعَلا ذلك به ثم وضعاه علىٰ قارعة الطريق، وأقبل عبدالله بن مسعود في رهط من أهل العراق عُمّار، فلم يَرُعْهم إلاّ بالجنازة علىٰ ظهر الطريق قد كادت الإبل تَطَؤُها، وقام إليهم الغلام فقال: هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ، فَأَعِينُونا علىٰ دفنه.

قال: فاستهلّ عبدالله بن مسعود يبكي ويقول: صَدَقَ رسول الله ﷺ، تمشي وحدك، وتموت وحدك، وتُبعث وحدك. ثم نزل هو وأصحابه فَوَارَوْه، ثم حدّثهم عبدالله بن مسعود حَدِيثَهُ، وما قال له رسول الله ﷺ في مسيره إلىٰ تبوك.

۞ نزول المسلمين الحِجْر وما حصل فيه من أمور:

قال ابن إسحاق: وقد كان رسول الله ﷺ حين مَرَّ بالحِجْر نَزَلَها، واسْتَقَىٰ الناسُ من بئرها، فلما راحوا قال رسول الله ﷺ: لا تشربوا من مائها شيئاً، ولا تتوضؤوا منه للصلاة، وما كان مِن عجين عَجَنْتُموه فَاعْلِفُوه الإبل، ولا تأكلوا منه شيئاً، ولا يَخْرُجَنَّ أحد منكم الليلة إلاّ ومعه صاحب له.

ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله ﷺ، إلاّ أن رجلين من بني ساعدة خرج أحدهما لحاجته، وخرج الآخر في طلب بعير له، فأما الذي ذهب لحاجته فإنه خُنِقَ علىٰ مَذْهَبِه، وأما الذي ذهب في طلب بعيره فاحْتَمَلَتْه الريح حتىٰ طَرَحَتْهُ بجبلي طَيِّء. فأُخْبِرَ بذلك رسول الله ﷺ فقال: أَلَمْ أَنْهَكُم أن يخرج منكم أحد إلاّ ومعه صاحبه؟ ثم دعا رسول الله ﷺ للذي أُصيب علىٰ مَذْهَبه فشُفِيَ، وأما الآخر الذي وقع بجبلي طَيِّء فإنَّ طَيِّئاً أَهْدَتْهُ لرسول الله ﷺ حين قدم المدينة.

قال ابن هشام: بلغني عن الزهري أنه قال: لَمّا مرّ رسول الله ﷺ بالحِجر سجّىٰ ثوبه علىٰ وجهه، واسْتَحَثّ راحلته[1]، ثم قال: لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلاّ وأنتم باكون، خوفاً أن يصيبكم مِثْل ما أصابهم.

قال ابن إسحاق: فلما أصبح الناس ولا ماء معهم شَكَوْا ذلك إلىٰ رسول الله ﷺ، فدعا رسول الله ﷺ، فأرسل الله سبحانه سحابة، فأمطرتْ حتىٰ ارْتَوَى الناس، واحتملوا حاجتهم من الماء.

۞ خبر ناقة رسول الله ﷺ التي ضلّت الطريق وحديث ابن اللُّصَيْت:

قال ابن إسحاق: ثم إن رسول الله ﷺ سار حتىٰ إذا كان ببعض الطريق ضَلَّتْ ناقته، فخرج أصحابه في طلبها وعند رسول الله ﷺ رجل من أصحابه يقال له: عُمارة بن حزم، وكان عَقَبِياً بدرياً، وهو عم بني عمرو بن حزم. وكان في رَحْله زيد بن اللُّصَيْت القينقاعي وكان منافقاً، فقال زيد بن اللُّصَيْت: أليس محمد يزعم أنه نبي ويخبركم عن خبر السماء، وهو لا يدري أين ناقته؟ فقال رسول الله ﷺ وعُمارة عنده: إن رجلاً قال: هذا محمد يخبركم أنه نبي، ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء وهو لا يدري أين ناقته، وإني والله ما أعلم إلاّ ما عَلَّمَني الله، وقد دَلَّني الله عليها وهي في هذا الوادي، في شِعْب كذا وكذا، قد حَبَسَتْها شجرة بزمامها، فانْطَلِقوا حتىٰ تَأْتُوني بها.

فذهبوا فجاءوا بها، فرجع عُمارة إلىٰ رَحْله فقال: واللهِ لعَجَبٌ مِن شيء حَدَّثَنَاه رسول الله ﷺ آنفاً، عن مقالة قائلٍ أخبره الله عنه بكذا وكذا، لِلَّذي قال زيد بن اللُّصَيْت. فقال رجل مِمَّنْ كان في رَحْل عُمارة ولم يحضر رسول الله ﷺ: زيدٌ واللهِ قال هذه المقالة قبل أن تأتي، فأقبل عُمارة علىٰ زيد يَجَأ في عنقه[2] ويقول: إليَّ عباد الله، إن في رحلي لَداهية وما أشعر، اخْرُجْ أيْ عدو الله من رَحْلي فلا تَصْحَبْني.

---

(١) أي اسْتَعْجَلَها.

(٢) أي يطعنه في عنقه.

قال ابن إسحاق: فزعم بعض الناس أن زيداً تاب بعد ذلك، وقال بعض الناس: لم يزل مُتَّهَماً بِشَرٍّ حتىٰ هلك.

۞ تخذيل المنافقين للمسلمين وما نزل فيهم:

قال ابن إسحاق: وقد كان رهط من المنافقين منهم وديعة بن ثابت أخو بني عمرو بن عوف، ومنهم رجل من أشجع يقال له: مُخَشِّن بن حُمَيِّر، يشيرون إلىٰ رسول الله ﷺ وهو منطلق إلىٰ تبوك، فقال بعضهم لبعض: أتحسبون جِلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضِهم بعضاً؟ والله لكأنّا بكم غداً مُقَرَّنِين في الحبال؛ إرجافاً وترهيباً للمؤمنين. فقال مُخَشِّن بن حُمَيِّر: واللهِ لَوَدِدْتُ أنّي أُقاضَىٰ علىٰ أن يُضرب كل رجل منا مائة جلدة، وأنّا نَنْفَلِتُ أو يَنْزِلَ فينا قرآن لِمقالتكم هذه.

وقال رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر: أَدْرِكِ القوم فإنهم قد احترقوا[1]، فَسَلْهُمْ عمّا قالوا، فإنْ أنكروا فَقُلْ: بلىٰ، قلتم كذا وكذا. فانْطَلَقَ إليهم عمار فقال ذلك لهم، فَأَتَوْا رسول الله ﷺ يعتذرون إليه، فقال وديعة بن ثابت ورسولُ الله ﷺ واقف علىٰ ناقته، فجعل يقول وهو آخذ بحَقَبها[2]: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب. فأنزل الله ﷻ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التوبة]. وقال مُخَشِّنُ بن حُمَيِّر: يا رسول الله، قعد بي اسمي واسم أبي.

وكان الذي عُفِيَ عنه في هذه الآية مُخَشِّن بن حُمَيِّر، فَتَسَمَّىٰ عبدَ الرحمن، وسأل الله تعالىٰ أن يقتله شهيداً لا يُعْلَم مكانه، فقُتِلَ يوم اليمامة فلم يوجد له أثر.

۞ إرسال خالد بن الوليد إلىٰ أُكَيْدِر دُومة:

قال ابن إسحاق: وقَدِمَ رسول الله ﷺ تبوك وهرقل يومئذ بحمص، فبعث رسول

---

(١) بمعنىٰ هلكوا.

(٢) الحَقَبُ هو حبل يُشَدُّ علىٰ بطن البعير سوى الحزام الذي يُشَدُّ فيه الرَّحْل.

الله ﷺ خالد بن الوليد إلىٰ أُكَيْدِر دُومة، وهو أُكَيْدِر بن عبد الملك رجل من كندة كان مَلِكاً عليها، وكان نصرانياً[١].

۞ الصلح بين رسول الله ﷺ ويُحَنَّة صاحب أَيْلة وكتابه إليه:

قال ابن إسحاق: ولَمّا انتهىٰ رسول الله ﷺ إلىٰ تبوك، أتاه يُحَنّة بن رُؤبة صاحب أيلة[٢]، فصالح رسول الله ﷺ وأعطاه الجزية.

وأتاه أهل جَرباء وأَذْرُح[٣] فأَعْطَوْه الجزية.

وكتب رسول الله ﷺ لِيُحَنّة كتاباً، وهو:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه أَمَنَةٌ من الله ومحمدٍ النبي رسول الله لِيُحَنّة بن رُؤْبة وأهل أَيْلة، سُفُنِهم وسيّارتهم في البر والبحر:

لهم ذمة الله، وذمة محمد النبي، ومَنْ كان معهم مِن أهل الشام، وأهل اليمن، وأهل البحر. فَمَنْ أَحْدَثَ منهم حَدَثاً فإنه لا يحول مالُه دون نفسه، وإنه طَيِّبٌ لِمَنْ أَخَذَه من الناس، وإنه لا يحل أن يُمْنَعوا ماءً يَرِدُونَهُ، ولا طريقاً يريدونه مِن بر أو بحر.

۞ الرجوع إلىٰ المدينة:

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ قد استعمل علىٰ حرسه بتبوك عباد بن بشر، ثم انصرف رسول الله ﷺ ولم يَلْقَ كيداً، وقدم المدينة في شهر رمضان من السنة نفسها.

---

(١) وقد مرّت معنا قصته في الجزء الرابع من الكتاب ص١٨٠ في باب معجزاته ﷺ، وسترد إن شاء الله كذلك في هذا الكتاب ص٢٧٧ في باب سراياه ﷺ وبعوثه.

(٢) هي مدينة علىٰ ساحل البحر الأحمر مِمّا يلي الشام، وتُسَمَّىٰ اليوم بالعقبة.

(٣) هي بلد من أعمال الشراة من نواحي البلقاء كما ذكر ياقوت الحموي.

وجاءه مَنْ كان قد تَخَلَّفَ عنه فحلفوا له، فعذرهم واستغفر لهم، وأَرْجَأَ أمر كعب بن مالك وصاحبيه حتىٰ نزلت توبتهم علىٰ ما سنذكر إن شاء الله في آخر هذه الغزوة.

قال ابن إسحاق: وجعل المسلمون يبيعون أسلحتهم ويقولون: قد انقطع الجهاد، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فنهاهم وقال: لا تزال عصابة من أمتي يجاهدون علىٰ الحق حتىٰ يخرج الدجال.

۞ خبر مسجد الضرار وهَدْمه:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا(١) وَكُفۡرٗا(٢) وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ(٣) وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ(٤) مِن قَبۡلُۚ(٥) وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ(٦) وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ(٧) ۞١٠٧ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ(٨) لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ

---

(١) قال أهل التأويل: ضراراً بالمسجد، وليس للمسجد ضرار إنما هو لأهله.
وقال بعض العلماء: الضرر الذي لك به منفعة وعلىٰ جارك فيه مضرة، والضرار الذي ليس لك فيه منفعة وعلىٰ جارك فيه المضرة. وقد قيل: هما بمعنىٰ واحد.

(٢) قال ابن العربي: لِما كان اعتقادهم أنه لا حرمة لمسجد قباء ولا لمسجد النبي ﷺ، فكفروا بهذا الاعتقاد.
وقال القشيري وغيره: أي كفراً بالنبي ﷺ ولِما جاء به.

(٣) أي يُفَرِّقون به جماعتهم لِيَتَخَلَّفَ أقوام عن النبي ﷺ.

(٤) يعني أبا عامر الراهب، وهو والد حنظلة غسيل الملائكة، وقد مات كافراً بقِنَّسْرين بدعوة النبي ﷺ. قال سعيد بن المسيب: وذلك أنه دخل علىٰ النبي ﷺ المدينة فقال: يا محمد، ما هذا الذي جئتَ به؟ قال: جئتُ بالحنيفية دين إبراهيم، قال: فإني عليها، فقال النبي ﷺ: لستَ عليها؛ لأنك أَدْخَلْتَ فيها ما ليس منها. فقال أبو عامر: أمات الله الكاذب منا طريداً وحيداً، فقال النبي ﷺ: نعم، أمات الله الكاذب منا كذلك. وإنما قال هذا يُعَرِّضُ برسول الله ﷺ حيث خرج من مكة. فخرج أبو عامر إلىٰ الشام ومرّ إلىٰ قيصر، وكتب إلىٰ المنافقين: استعدوا، فإني آتيكم مِن عند قيصر بجند لِنُخْرِجَ محمداً من المدينة. فمات بالشام وحيداً.

(٥) أي مِنْ قَبْل بناء مسجد الضرار.

(٦) أي ما أَرَدْنا ببنائه إلىٰ الفعلة الحسنىٰ، وهي الرفق بالمسلمين كما ذَكَرُوا لِذي العِلّة والحاجة علىٰ ما سيأتي معنا إن شاء الله تعالىٰ.

(٧) أي يعلم خُبْث ضمائرهم فيما يحلفون عليه.

(٨) يعني مسجد الضرار، أي لا تقم فيه للصلاة.
قال القرطبي: ويروى أن رسول الله ﷺ لَمّا نزلت هذه الآية كان لا يمر بالطريق التي فيها المسجد، وأنه أمر بموضعه أن يُتَّخَذَ كُناسة تُلْقَىٰ فيها الجِيَف والأقذار والقمامات.

رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ (١) ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ
ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ (٢) وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ
ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ (٣) إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ (٤) وَٱللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ [التوبة].

قال القرطبي في تفسيره: نزلت الآية فيما رُوِيَ في أبي عامر بن صيفي الراهب ؛ لأنه كان خرج إلىٰ قيصر وتنصّر، ووَعَدَهم قيصر أنه سيأتيهم، فبنوا مسجد الضرار يَرْصُدون

---

(١) اختلف العلماء في المسجد الذي أُسِّسَ علىٰ التقوى، فقال ابن عباس والضحاك والحسن: هو مسجد قباء، وتعلّقوا بقوله: مِنْ أول يوم، ومسجد قباء كان أُسِّسَ بالمدينة أول يوم، فإنه بُنِيَ قبل مسجد النبيﷺ. قاله ابن عمر وابن المسيب ومالك. وقيل: هو مسجد رسول اللهﷺ.
روى الترمذي بسند صحيح عن أبي سعيد الخدريﷺ قال: تَمارى رجلان في المسجد الذي أُسِّسَ علىٰ التقوى مِن أول يوم، فقال رجل: هو مسجد قباء، وقال آخر: هو مسجد النبيﷺ، فقال رسول اللهﷺ: هو مسجدي هذا. قال القرطبي: والقول الأول أَلْيَق بالقصة، والدليل علىٰ ذلك حديث أبي هريرةﷺ قال: نَزَلَتْ هذه الآية في أهل قباء.
وروى أبو داود عن قتادة قال: لَمّا نزلت هذه الآية قال رسول اللهﷺ لأهل قباء: إن الله سبحانه قد أحسن عليكم الثناء في التَّطَهُّر، فما تصنعون؟ قالوا: إنّا نغسل أثر الغائط والبول بالماء.

(٢) لقد اختلف العلماء في هذه الآية، هل ذلك حقيقة أو مجاز؟ علىٰ قولين: الأول: أن ذلك حقيقة: قال سعيد بن جبير: إنَّ النبيﷺ إذ أَرْسَلَ إليه فَهُدِمَ، رُؤِيَ الدخان يخرج منه. وقال بعضهم: كان الرجل يُدْخِلُ فيه سعفة من سعف النخل فيُخرجها سوداء محترقة. وذكر أهل التفسير أنه كان يُحفر ذلك الموضع الذي انهار فيخرج منه دخان. وروى عاصم بن أبي النجود عن زِرِّ بن حُبَيْش عن ابن مسعودﷺ قال: جهنم في الأرض، ثم تلا الآية. وقال جابر بن عبدالله: أنا رأيتُ الدخان يخرج منه علىٰ عهد رسول اللهﷺ.
والثاني: أن ذلك مجاز، والمعنىٰ صار البناء في نار جهنم، فكأنه انهار إليه وهوى فيه. والظاهر الأول إذ لا إحالة في ذلك، والله أعلم.
فتُبَيِّن هذه الآية أن بناء الكافر كبناء علىٰ جرف جهنم يتهوّر بأهله فيها. وهي دليل علىٰ أن كل شيء ابتدئ بنية تقوى الله تعالىٰ والقصد لوجه الكريم فهو الذي يبقىٰ ويسعد به صاحبه، ويصعد إلىٰ الله ويُرفع إليه.

(٣) قال ابن عباس وقتادة والضحاك: أي شَكّاً في قلوبهم ونفاقاً.
وقال الكلبي: حسرة وندامة ؛ لأنهم ندموا علىٰ بنيانه.
وقال السدي: أي حزازة وغيظاً.

(٤) قال ابن عباس وقتادة والضحاك ومجاهد: أي تنصدع قلوبهم فيموتوا.
وقال سفيان: إلاّ أن يتوبوا.
وقال عكرمة: إلاّ أن تقطع قلوبهم في قبورهم.
وقال الحسن: أي لا يزالون في شك منه إلىٰ أن يموتوا فيَسْتَيْقِنوا ويَتَبَيَّنوا.

مجيئه فيه - قاله ابن عباس ومجاهد ومقاتل غيرهم.

وقيل: إنه قال للنبيﷺ: لا أجد قوماً يقاتلونك إلاّ قاتلتُك معهم، فلم يزل يقاتله إلىٰ يوم حنين. فلما انهزمت هوازن خرج إلىٰ الروم يَسْتَنْصِرُ، وأرسل إلىٰ المنافقين وقال: استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح وابْنُوا مسجداً، فإني ذاهب إلىٰ قيصر فآتٍ بجند من الروم لأُخْرِجَ محمداً من المدينة. فَبَنَوْا مسجد الضرار.

وقال أهل التفسير: إن بني عمرو بن عوف اتخذوا مسجد قباء، وبعثوا للنبيﷺ أن يأتيهم، فأتاهم فصلّىٰ فيه، فحسدهم إخوانهم بنو غنم بن عوف وقالوا: نبني مسجداً ونبعث إلىٰ النبيﷺ يأتينا فيصلي لنا كما صلّىٰ في مسجد إخواننا، ويُصَلِّي فيه أبو عامر إذا قَدِمَ من الشام. فأتوا النبيﷺ وهو يتجهّز إلىٰ تبوك فقالوا: يا رسول الله، قد بنينا مسجداً لذي الحاجة والعِلّة، والليلة المطيرة، ونحب أن تصلي لنا فيه وتدعو بالبركة. فقال النبيﷺ: إني علىٰ سفر وحالِ شُغْلٍ، فلو قدمنا لأتيناكم وصَلَّيْنا لكم فيه. فلمّا انصرف النبيﷺ من تبوك، أتوه وقد فرغوا منه وصلّوا فيه الجمعة والسبت والأحد، فدعا بقميصه ليلبسه ويأتيهم، فنزل عليه القرآن بخبر مسجد الضرار، فدعا النبيُّﷺ مالكَ بن الدخشم، ومعن بن عدي، وعامر بن السكن، ووحشياً، فقال: انْطَلِقوا إلىٰ هذا المسجد الظالم أهله فاهْدِمُوه وأَحْرِقُوه. فخرجوا مسرعين، وأخرج مالك بن الدخشم من منزله شعلة نار، ونهضوا فأحرقوا المسجد وهدموه.

وفي رواية ابن إسحاق قال: ثم أقبل رسول اللهﷺ حتىٰ نزل بذي أوان، بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار، فأتاه خبر المسجد، فدعا مالك بن الدُّخشم، ومعن بن عدي أو أخاه عاصم بن عدي، فقال: انْطَلِقا إلىٰ هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحَرِّقاه. فخرجا سريعين حتىٰ أَتَيا بني سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم، فقال مالك لِمَعْن: أَنْظِرْني حتىٰ أخرج إليك بنار من أهلي، فدخل إلىٰ أهله فأخذ سعفاً من النخل، فأشعل فيه ناراً، ثم خرجا يشتدّان حتىٰ دخلاه وفيه أهله، فحرّقاه وهدّماه، وتفرّقوا عنه، ونزل فيهم من القرآن ما نزل.

قال الواقدي: وكان عاصم بن عدي يُخبر يقول: كنا نتجهّز إلىٰ تبوك مع النبيﷺ، فرأيتُ عبدالله بن نبتل وثعلبة بن حاطب قائِمَيْن علىٰ مسجد الضرار وهما يُصْلِحان ميزاباً

قد فرغا منه، فقالا: يا عاصم، إن رسول الله ﷺ قد وعدنا أن يصلي فيه إذا رجع. فقلت في نفسي: واللهِ ما بنىٰ هذا المسجد إلاّ منافق معروف بالنفاق، أَسَّسَه أبو حبيبة بن الأزعر، وأُخْرِجَ مِن دار خِذام بن خالد ووديعة بن ثابت في هؤلاء النفر، فواللهِ ما رجعنا من سفرنا حتىٰ نزل القرآن بِذَمِّه وذَمِّ أهله الذين جمعوا في بنائه وأعانوا فيه.

وقيل لعاصم بن عدي: ولِمَ أرادوا بناءه؟ قال: كانوا يجتمعون في مسجدنا، فإنما هم يَتَناجون فيما بينهم ويلتفت بعضُهم إلىٰ بعض فَيَلْحَظهم المسلمون بأبصارهم، فشَقَّ ذلك عليهم وأرادوا مسجداً يكونون فيه لا يَغْشاهم فيه إلاّ مَنْ يريدون مِمَّنْ هو علىٰ مِثْل رأيهم. فكان أبو عامر يقول: لا أقدر أن أدخل مِرْبَدَكم هذا، وذلك أن أصحاب محمد يَلْحَظونني وينالون مني ما أكره. قالوا: نحن نبني مسجداً نَتَحَدَّث فيه عندنا.

قال: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة عَرَضَ علىٰ عاصم بن عدي المسجد يتّخذه داراً، فقال: ما كنتُ لأتخذ مسجداً قد نزل فيه ما نزل داراً، وإنَّ بي عنه لَغِنىً يا رسول الله، ولكنْ أَعْطِهِ ثابت بن أقرم فإنه لا منزل له. فأعطاه ثابتاً.

وكان الذين بَنَوْا مسجد الضرار اثني عشر رجلاً:

- خذام بن خالد من بني عبيد بن زيد أحد بني عمرو بن عوف، ومِنْ داره أُخْرِجَ مسجد الضرار.
- ومُعَتِّب بن قُشَيْر من بني ضُبَيْعة بن زيد.
- وأبو حبيبة بن الأزعر من بني ضُبَيعة بن زيد.
- وعَبّاد بن حنيف أخو سهل بن حنيف من بني عمرو بن عوف.
- وجارية بن عامر، وابناه مُجَمّع وزيد ابنا جارية.

قال ابن سعد: وزيد بن جارية بن عامر هو الذي ثبت فيه مِن بينهم وأَبَىٰ أن يخرج فاحترقت إِلْيَتُه.

- ونَبْتَل بن الحارث من بني ضُبَيعة.
- وبَحْزَج من بني ضبيعة.

- وبَجاد بن عثمان من بني ضبيعة.
- ووديعة بن ثابت من بني أمية بن زيد رهط أبي لبابة بن عبد المنذر.
- وثعلبة بن حاطب من بني أمية بن زيد مذكورٌ فيهم، قال ابن عبد البر: وفيه نظر لأنه شهد بدراً.

قال الواقدي: وكان أبو لبابة بن عبد المنذر قد أعانهم فيه بخشب، وكان غير مغموص عليه في النفاق، ولكنه قد كان يفعل أموراً تُكْرَهُ له. فلما هُدِمَ المسجد أخذ أبو لبابة خشبه ذلك فبنىٰ به منزلاً، وكان بيته الذي بناه إلىٰ جنبه. قال: فلم يُولَد له في ذلك البيت مولود قط، ولم يقف فيه حمام قط، ولم تَحْضُن فيه دجاجة قط.

وقال عكرمة: سأل عمر بن الخطاب رجلاً منهم: بماذا أَعَنْتَ في هذا المسجد؟ فقال: أَعَنْتُ فيه بسارية، فقال: أَبْشِرْ بها، سارية في عنقك من نار جهنم.

ويروى أن بني عمرو بن عوف الذين بَنَوْا مسجد قباء سألوا عمر بن الخطاب في خلافته ليأذن لمُجَمّع بن جارية أن يُصَلّي بهم في مسجدهم، فقال: لا ولا نعْمَة عين، أليس بإمامِ مسجد الضرار؟ فقال له مُجَمّع: يا أمير المؤمنين لا تَعْجَلْ عليّ، فوالله لقد صَلَّيْتُ فيه وأنا لا أعلم ما قد أضمروا عليه، ولو علمتُ ما صَلَّيتُ بهم فيه، كنت غلاماً قارئاً للقرآن وكانوا شيوخاً قد عاشوا علىٰ جاهليتهم، وكانوا لا يقرؤون من القرآن شيئاً، فَصَلَّيتُ ولا أحسب ما صنعتُ إثماً، ولا أعلم بما في أنفسهم. فَعَذَرَهُ عمر بن الخطاب وصدّقه، وأَمَرَهُ بالصلاة في مسجد قباء.

قال علماؤنا: ولا يجوز أن يُبْنىٰ مسجد إلىٰ جنب مسجد، ويجب هدمه والمنع من بنائه؛ لئلا ينصرف أهل المسجد الأول فيبقىٰ شاغراً، إلاّ أن تكون المَحَلّة كبيرة فلا يكفي أهلَها مسجدٌ واحد، فيُبْنَىٰ حينئذ. وقد أحرق النبيﷺ مسجد الضرار وهدمه.

وأسند الطبري عن شقيق أنه جاء ليصلي في مسجد بني عامرة، فوجد الصلاة قد فاتته، فقيل له: إنَّ مسجد بني فلان لم يُصَلَّ فيه بعدُ، فقال: لا أُحِبُّ أنْ أُصَلّي فيه؛ لأنه بُنِيَ علىٰ ضرار.

قال علماؤنا: وكل مسجد بُنِيَ علىٰ ضرار أو رياء أو سمعة فهو في حُكْم مسجد الضرار، لا تجوز الصلاة فيه.

۞ أمر الثلاثة الذين خُلِّفوا وأمر المُعَذّرين:

وقدم رسول الله ﷺ المدينة وقد كان تَخَلَّفَ عنه رهط من المنافقين، وتخلّف أولئك الرهط الثلاثة من المسلمين مِنْ غير شك ولا نفاق: كعب بن مالك، ومُرارة بن الربيع، وهلال بن أمية. فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: لا تُكَلِّمُنَّ أحداً من هؤلاء الثلاثة، وأتاه مَن تخلّف عنه مِن المنافقين فجعلوا يحلفون له ويعتذرون، فصفح عنهم رسول الله ﷺ ولم يعذرهم الله ولا رسوله، واعتزل المسلمون كلام أولئك النفر الثلاثة.

وكان من خبرهم ما حَدَّثَنا به البخاري ومسلم عن عبد الرحمن بن عبدالله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب بن مالك - وكان قائدَ كعبٍ مِنْ بَنِيهِ حين عَمِيَ - قال: سمعتُ كعب بن مالك يُحَدِّث حين تخلّف عن قصة تبوك، قال كعب: لم أتخلّف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلاّ في غزوة تبوك، غير أني كنت تخلّفت في غزوة بدر، ولم يُعاتِب أحداً تخلّف عنها، إنما خرج رسول الله ﷺ يريد عِيرَ قريش حتىٰ جمع الله بينهم وبين عدوهم علىٰ غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تواثقنا علىٰ الإسلام، وما أُحِبُّ أنَّ لي بها مَشْهَدَ بدر وإنْ كانت بدر أَذْكَرَ في الناس منها. كان مِن خَبَري أني لم أكن قط أقوى ولا أَيْسَر حين تخلّفتُ عنه في تلك الغزاة، واللهِ ما اجتمعتْ عندي قبله راحلتان قط حتىٰ جَمَعْتُهما في تلك الغزوة، ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلاّ وَرّى بغيرها حتىٰ كانت تلك الغزوة، غزاها رسول الله ﷺ في حر شديد، واستقبل سفراً بعيداً، ومَفازاً وعدواً كثيراً، فجلّىٰ للمسلمين أَمْرَهم ليتأهّبوا أُهْبة غزوهم، فأخبرهم بوجهه الذي يريد، والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير، ولا يجمعهم كتاب حافظ - يريد الديوان -.

قال كعب: فما رجلٌ يريد أنْ يَتَغَيَّبَ إلاّ ظنّ أنْ سَيَخْفَىٰ له ما لم ينزل فيه وحي الله، وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال، وتجهّز رسول الله ﷺ والمسلمون معه، فطَفِقْتُ أغدو لكي أتجهز معهم فأرجع ولم أَقْضِ شيئاً، فأقول في نفسي: أنا قادر

عليه، فلم يزل يتمادى بي حتىٰ اشتد بالناس الجِدُّ، فأصبح رسول الله ﷺ والمسلمون معه ولم أَقْضِ مِنْ جَهازي شيئاً، فقلت: أَتَجَهَّزُ بعده بيوم أو يومين ثم أَلْحَقهم. فَغَدَوْتُ بعد أن فَصَلُوا لأتجهّز، فرجعتُ ولم أَقْضِ شيئاً، ثم غدوتُ ثم رجعتُ ولم أَقْضِ شيئاً، فلم يزل بي حتىٰ أسرعوا وتَفارَطَ الغزو، وهَمَمْتُ أن أَرْتَحِلَ فأُدْرِكَهم وليتني فعلتُ، فلم يُقَدَّر لي ذلك، فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ فطُفْتُ فيهم، أحزنني أني لا أرى إلاّ رجلاً مَغْموصاً عليه النفاق، أو رجلاً مِمَّنْ عَذَر الله مِنَ الضعفاء، ولم يَذْكُرْني رسول الله ﷺ حتىٰ بلغ تبوك، فقال وهو جالس في القوم بتبوك: ما فعل كعب؟ فقال رجل من بني سَلِمة: يا رسول الله، حَبَسَه بُرْداه ونَظَرُه في عِطْفَيْه. فقال معاذ بن جبل: بئس ما قلتَ، واللهِ يا رسول الله ما عَلِمْنا عليه إلاّ خيراً. فسكت رسول الله ﷺ.

قال كعب بن مالك: فلما بلغني أنه توجّه قافلاً حَضَرَني هَمّي، وطفقتُ أَتَذَكَّر الكذبَ وأقول: بماذا أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غداً؟ واسْتَعَنْتُ علىٰ ذلك بكل ذي رأي من أهلي، فلما قيل: إن رسول الله ﷺ قد أظل قادماً، زاح عني الباطل، وعرفتُ أني لن أَخْرُجَ منه أبداً بشيء فيه كذب، فأَجْمَعْتُ صِدْقَه. وأصبح رسول الله ﷺ قادماً، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فيركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس. فلما فعل ذلك جاءه المُخَلَّفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً، فقَبِلَ منهم رسول الله ﷺ علانيتهم، وبايعهم واستغفر لهم، ووَكَلَ سرائرهم إلىٰ الله. فجئته، فلما سلّمت عليه تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ المُغْضَبِ ثم قال: تعال، فجئت أمشي حتىٰ جلست بين يديه، فقال لي: ما خَلَّفَك، ألم تكن قد ابْتَعْتَ ظهرك؟ فقلت: بلىٰ، إني والله يا رسول الله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لَرأيتُ أنْ سأخرج من سَخَطِه بعُذْر، ولقد أُعْطِيتُ جَدَلاً، ولكني والله لقد علمت لئن حدّثتك اليوم حديثَ كَذِبٍ تَرْضَىٰ به عني لَيُوشِكَنّ الله أنْ يُسْخِطَكَ عليَّ، ولئن حَدَّثْتُك حديث صِدْق تَجِدُ عليّ فيه إني لأرجو فيه عفو الله، لا والله ما كان لي من عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلّفتُ عنك. فقال رسول الله ﷺ: أمّا هذا فقد صَدَقَ، فَقُمْ حتىٰ يقضي الله فيك. فقمتُ وثار رجالٌ من بني سَلِمة، فاتّبعوني فقالوا لي: واللهِ ما علمناك كنتَ أَذْنَبْتَ ذنباً قبل هذا، ولقد عَجَزْتَ أن لا تكون اعتذرتَ إلىٰ

رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المُتَخَلِّفون، قد كان كافِيكَ ذَنْبَكَ استغفارُ رسول الله ﷺ لك. فوالله ما زالوا يُؤَنِّبونني حتىٰ أردت أن أرجع فأُكَذِّبَ نفسي، ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي أحدٌ؟ قالوا: نعم، رجلان قالا مِثْلَ ما قلتَ، فقيل لهما مِثْلُ ما قيل لك. فقلت: مَنْ هما؟ قالوا: مُرارة بن الربيع العَمْري، وهلال بن أمية الواقفي. فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدراً، فيهما أسوة. فمضيت حين ذكروهما لي، ونهىٰ رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة مِنْ بين مَنْ تخلّف عنه، فاجْتَنَبَنا الناس وتغيّروا لنا حتىٰ تَنَكَّرَتْ في نفسي الأرض فما هي التي أعرف، فلبثنا علىٰ ذلك خمسين ليلة، فأمّا صاحباي فاسْتَكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أَشَبَّ القوم وأَجْلَدهم، فكنتُ أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف في الأسواق ولا يُكَلِّمُني أحد، وآتي رسول الله ﷺ فأُسَلِّم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي: هل حرّك شفتيه برد السلام عليّ أم لا؟ ثم أُصَلِّي قريباً منه فأُسارِقُه النظرَ، فإذا أَقْبَلْتُ علىٰ صلاتي أَقْبَلَ إليَّ، وإذا الْتَفَتُّ نحوه أَعْرَضَ عني. حتىٰ إذا طال عليّ ذلك مِن جَفْوَة الناس، مَشَيْتُ حتىٰ تَسَوَّرْتُ جدار حائط أبي قتادة، وهو ابن عمي وأَحَبُّ الناس إليّ، فسلّمت عليه فوالله ما رد عليّ السلام، فقلت: يا أبا قتادة، أَنْشُدُك بالله هل تَعْلَمُني أُحِبُّ اللهَ ورسولَه؟ فسكت، فعُدْتُ له فنَشَدْتُه فسكت، فَعُدْتُ له فَنَشَدْتُه فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيناي وتَوَلَّيْتُ حتىٰ تسوّرت الجدار.

قال: فبَيْنا أنا أمشي بسوق المدينة إذا نَبَطي من أنباط أهل الشام مِمَّنْ قَدِمَ بالطعام يَبِيعُه بالمدينة يقول: مَنْ يَدُلُّ علىٰ كعب بن مالك؟ فطفق الناس يُشِيرون له، حتىٰ إذا جاءني دفع إليّ كتاباً مِنْ مَلِك غسّان، فإذا فيه: أمّا بعد، فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مَضْيَعة، فالْحَقْ بنا نُواسِكَ. فقلت لَمّا قرأتُها: وهذا أيضاً من البلاء، فَتَيَمَّمْتُ بها التَّنُّور فسَجَرْتُه بها.

حتىٰ إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسولُ رسول الله ﷺ يأتيني، فقال: إنّ رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلت: أُطَلِّقُها أم ماذا أفعل؟ قال: لا، بل اعْتَزِلْها ولا تَقْرَبْها. وأرسل إلىٰ صاحِبَيَّ مِثْلَ ذلك، فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك، فتكوني عندهم حتىٰ يقضي الله في هذا الأمر.

قال كعب: فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم، فهل تكره أن أخدمه؟ قال: لا، ولكن لا يَقْرَبْكِ. قالت: إنه والله ما به حركة إلىٰ شيء، والله ما زال يبكي منذ كان مِن أمره ما كان إلىٰ يومه هذا. فقال لي بعض أهلي: لو استأذنتَ رسول الله ﷺ في امرأتك كما أَذِنَ لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه؟ فقلت: والله لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ، وما يُدْرِيني ما يقول رسول الله ﷺ إذا استأذنتُه فيها وأنا رجل شاب.

فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتىٰ كَمُلَتْ لنا خمسون ليلة مِن حين نهىٰ رسول الله ﷺ عن كلامنا، فلما صَلَّيْتُ صلاة الفجر صُبْحَ خمسين ليلة وأنا علىٰ ظهر بيت من بيوتنا، فبَيْنا أنا جالس علىٰ الحال التي ذَكَرَ الله قد ضاقت عليّ نفسي، وضاقت عليّ الأرض بما رَحُبَتْ، سمعت صوت صارخ أَوْفَىٰ علىٰ جبل سَلْع بأعلىٰ صوته: يا كعب بن مالك أَبْشِرْ. قال: فَخَرَرْتُ ساجداً وعرفت أنْ قد جاء فَرَجٌ، وآذَنَ رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلّىٰ صلاة الفجر، فذهب الناس يُبَشِّرُوننا، وذهب قِبَل صاحبيّ مُبَشِّرون، وركَضَ إليّ رجلٌ فَرَساً، وسعىٰ ساعٍ مِن أَسْلَم فَأَوْفَىٰ علىٰ الجبل، وكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعتُ صوته يُبَشِّرُني، نَزَعْتُ له ثَوْبَيَّ فكَسَوْتُهُ إياهما ببُشْراه، والله ما أملك غيرهما يومئذ، واسْتَعَرْتُ ثوبين فلبستهما وانطلقت إلىٰ رسول الله ﷺ، فَيَتَلَقّاني الناس فوجاً فوجاً يُهَنُّونَني بالتوبة يقولون: لِتَهْنِكَ توبةُ الله عليك.

قال كعب: حتىٰ دخلتُ المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالسٌ حوله الناسُ، فقام إليّ طلحة بن عبيد الله يُهَرْوِلُ حتىٰ صافحني وهَنّاني، واللهِ ما قام إليّ رجل من المهاجرين غيره، ولا أنساها لطلحة.

قال كعب: فلما سَلَّمْتُ علىٰ رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ وهو يَبْرُق وجهه من السرور: أَبْشِرْ بخيرِ يومٍ مَرَّ عليك منذ وَلَدَتْكَ أمك، قال: قلت: أَمِنْ عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ قال: لا، بل من عند الله. وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه حتىٰ كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه. فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله، إنَّ مِن توبتي أنْ أَنْخَلِعَ من مالي صدقةً إلىٰ الله وإلىٰ رسول الله. قال رسول الله ﷺ: أَمْسِكْ عليك

بعض مالك فهو خير لك، قلت: فإني أُمْسِكُ سهمي الذي بخيبر. فقلت: يا رسول الله، إنّ الله إنما نجّاني بالصدق، وإن من توبتي أنْ لا أُحَدِّث إلاّ صدقاً ما لَقِيتُ. فواللهِ ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله في صِدْق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحسن مِمّا أَبْلاني، ما تَعَمَّدْتُ منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلىٰ يومي هذا كذباً، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت. وأنزل الله علىٰ رسوله ﷺ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة]. فواللهِ ما أَنْعَمَ الله عليّ مِن نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظمَ في نفسي مِنْ صِدْقي لرسول الله ﷺ، أنْ لا أكون كَذَبْتُهُ فأَهْلِكَ كما هَلَكَ الذين كَذَبوا، فإن الله قال للذين كذبوا - حين أَنْزَلَ الوحيَ - شرَّ ما قال لأحد، فقال تبارك وتعالىٰ: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [التوبة].

قال كعب: وكنا تُخلِّفْنا أيها الثلاثة عن أَمْرِ أولئك الذين قَبِلَ منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له، فبايَعَهم واستغفر لهم، وأَرْجَأَ رسول الله ﷺ أَمْرَنا حتىٰ قضىٰ الله فيه، فبذلك قال الله: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾. وليس الذي ذَكَرَ اللهُ مِمّا خُلِّفْنا عن الغزو، إنما هو تَخْلِيفُهُ إيّانا وإرْجاؤه أَمْرَنا عَمَّنْ حَلَفَ له واعتذر إليه فقَبِلَ منه.

سراياه وبعوثه

عليه الصلاة والسلام

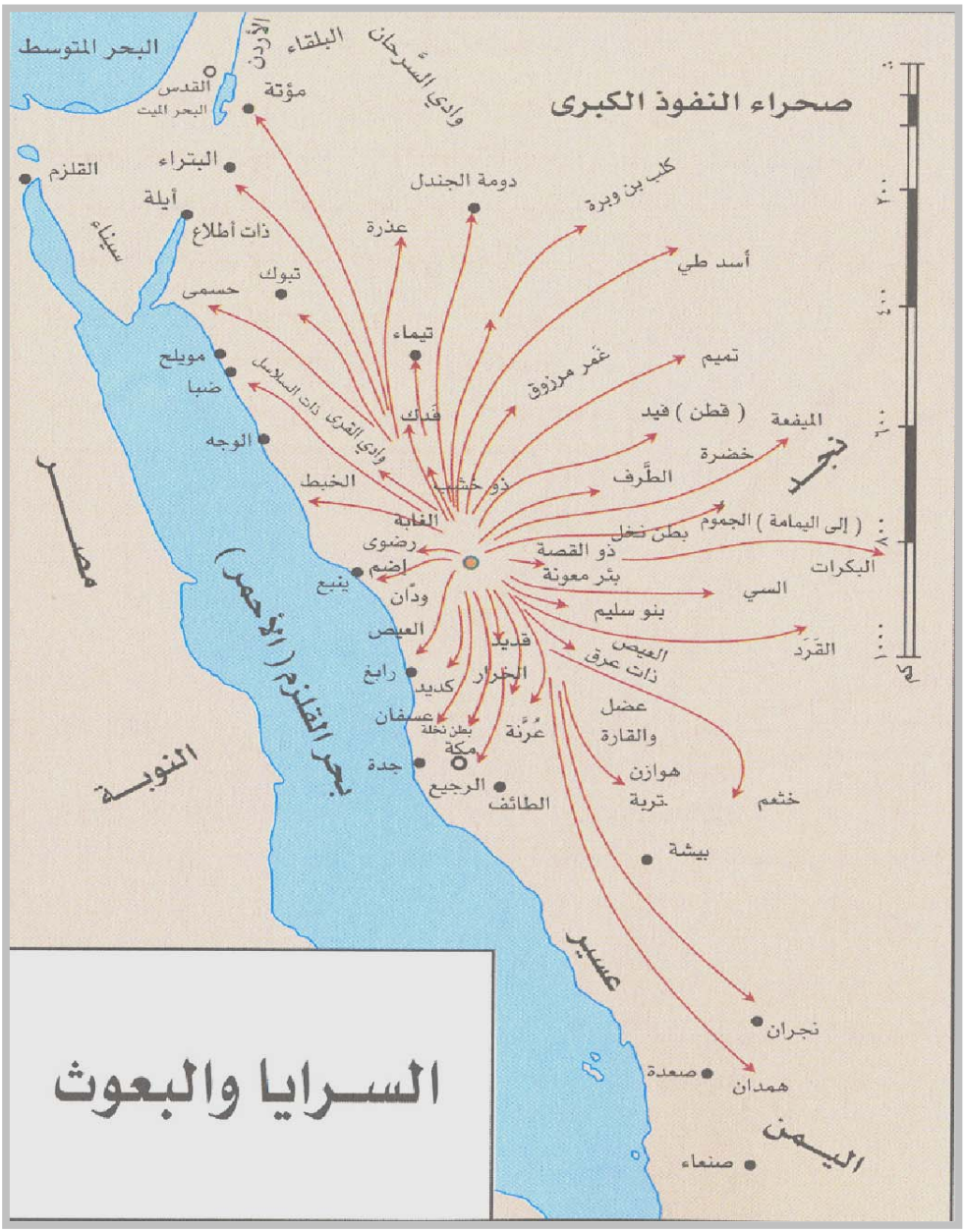

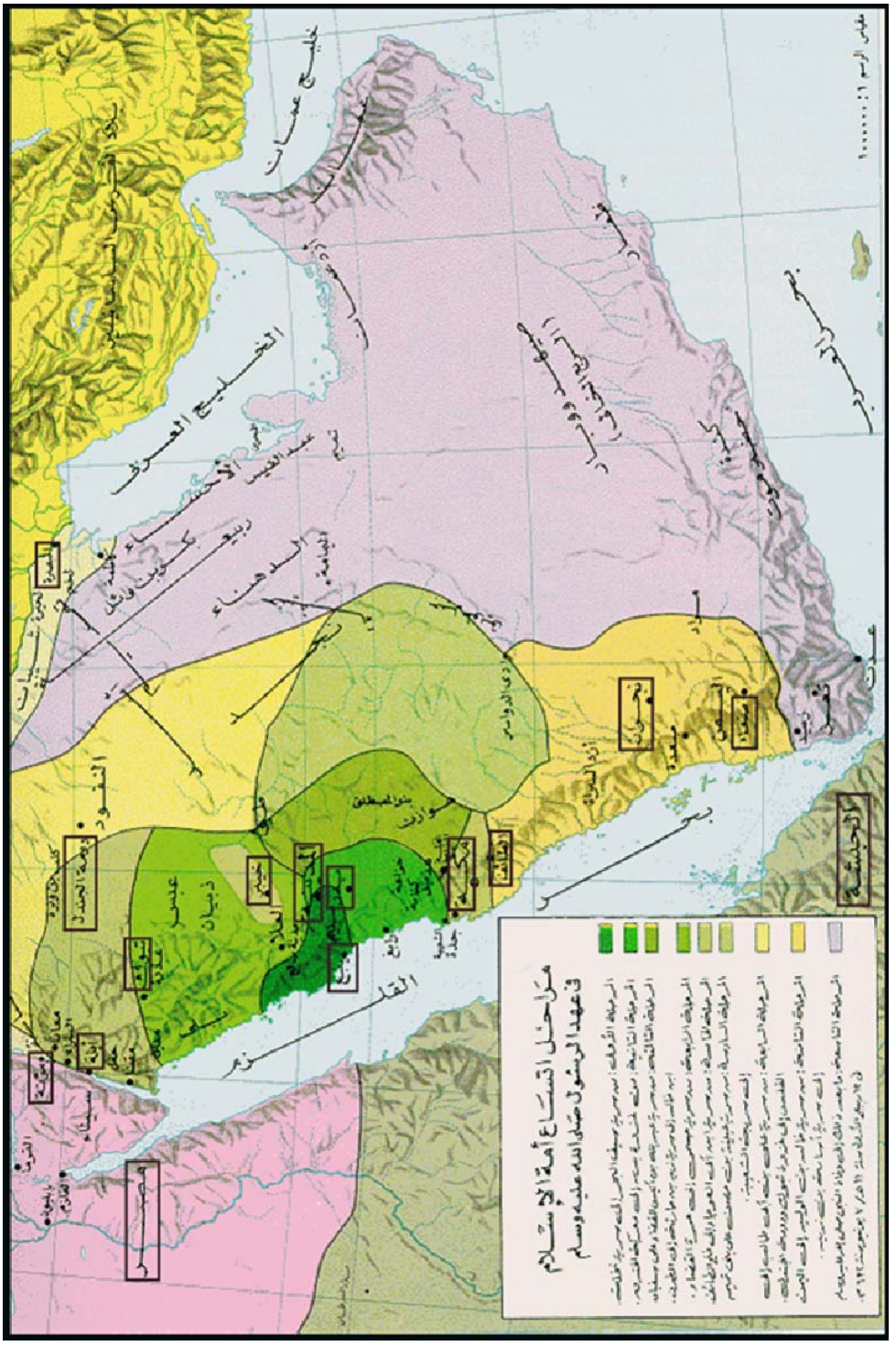
مراحل اتساع أمة الإسلام
في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم
الخليج العربي
الأحمر
الربع الخالي
الدهناء
النفود
عسير
تهامة
الحجاز
الجحفة
عدن
بحر العرب
خليج عمان

قال صاحب (سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد)، الإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي، في الجزء السادس منها:

عدد سراياه وبعوثه ﷺ: ذَكَرَ ابن إسحاق رحمه الله تعالىٰ السرايا والبعوث ثمانية وثلاثين كما في سيرة ابن هشام، وذكرها أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري شيخ علماء الأندلس وكبير محدثيها في وقته رحمه الله تعالىٰ: سبعاً وأربعين. وذكرها محمد بن عمر رحمه الله تعالىٰ ثمانياً وأربعين. وأبو الفضل ذكرها ستاً وخمسين. ونقل المسعودي عن بعضهم أنها ستون[1]. وعلىٰ ذلك جرى الحافظ أبو الفضل العراقي الشافعي في ألفية السير، وذَكَرَ فيها أن الإمام الحافظ محمد بن نصر أَوْصَلَها إلىٰ السبعين، وأن الحافظ أبا عبدالله الحاكم رحمه الله تعالىٰ قال: إنه ذكر في الإكليل أنها فوق المائة. قال العراقي: ولم أجد هذا القول لأحد سواه، وقال ابن حجر العسقلاني: لعلّ الحاكم أراد بضم المغازي إليها.

ثم قال صاحب السيرة الشامية محمد بن يوسف الصالحي الشامي: قلت: والذي وقفتُ عليه من السرايا والبعوث لغير الزكاة يزيد علىٰ السبعين[2].

---

(١) في مروج الذهب ما يُخالف هذا، فقال في عدة سراياه ﷺ وبعوثه: هي بين أن قدم المدينة وبين أن قبضه الله تعالىٰ خمس وثلاثون بعثاً وسرية. وذكر محمد بن سعد عن محمد بن عمر الواقدي أنها كانت ثمانياً وأربعين سرية، وقيل: إن سراياه ﷺ وبعوثه كانت ستاً وستين. وزاد المسعودي هذا الرقم في كتابه (التنبيه والإشراف)، فقد جاء فيه: وكانت سراياه وبعوثه علىٰ ما رَتَّبْنا في هذا الكتاب ثلاثاً وسبعين. ولقد تنازع مصنفو الكتب في التواريخ والسير في ذلك، فذهب قوم منهم إلىٰ أن سراياه ﷺ ست وستون، وقال آخرون: هي نَيِّف وخمسون.

(٢) وعلّل المسعودي في (التنبيه والإشراف) علىٰ ذلك الخلاف بعدد السرايا بقوله: وأرى أن السبب الذي أوجب هذا التنازع المتفاوت في أعداد هذه السرايا أنَّ مِن أصحاب المغازي مَن يَعْتَدُّ بسرايا لا يعتدّ بها آخرون، وذلك أنه كانت سرايا في جملة مغازٍ، فأفردها بعضهم واعْتَدَّ بها، وبعضهم جعلها في جملة تلك المغازي؛ لأن رسول الله ﷺ قد وجّه في كثير من غزواته سرايا إلىٰ ما يلي البلاد التي حَلّها بعد هزيمة المشركين بخيبر في الطلب، ووجّه بعد فتح مكة لهدم الأصنام التي حول مكة، فوقع التنازع لأجل ذلك. فجمعنا في كتابنا هذا جميع ذلك، ولم نَأْلُ جهداً في حصره وترتيبه، ولم نُخْلِهِ مِن ذكر خلاف أصحاب السِّيَر في ذلك ليكون أعم فائدة، وأجزل لعائدته. علىٰ أنّا لم نجد أحداً حصّل علىٰ ذلك تحصيلاً، ولا رتّبه ترتيباً، فمَنْ أراد عِلْم ذلك فليتصفح كتب مَن عَنِيَ بهذا الشأن من الأسلاف والأخلاف، يقف علىٰ حقيقة ما قلنا، وفضيلة ما أتينا، فَفَهْمُ ذلك بعد الكفاية يسير، ومطلبه بعد الكفاية عسير. وقد ذكرنا ذلك علىٰ الشرح والإيضاح، وما فيه من التنازع في كتاب (فنون المعارف وما جرى في الدهور والسوالف).

۞ معنىٰ السرية:

قال ابن الأثير في النهاية: السَّرِيّة: الطائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمائة، تُبْعَثُ إلىٰ العدو، وجمعها سرايا.

يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: خير الأصحاب أربعة، وخير السرايا أربعمائة، وخير الجيوش أربعة آلاف، وما هُزِمَ قوم بلغوا اثني عشر ألفاً مِنْ قِلّة إذا صدقوا وصبروا[١].

وسُمّوا بذلك لأنهم يكونون خلاصة العسكر وخِيارهم من الشيء، وقيل: لأنهم ينفذون سراً وخِفْية، وليس بالوجه لأن لام السِّرّ راء وهذه ياء.

وقال صاحب المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: السرية: قطعة من الجيش علىٰ وزن فعيلة بمعنىٰ فاعلة؛ لأنها تسري في خفية، والجمع سَرايا وسَرِيّات، مثل عَطِيّة وعَطايا وعَطِيّات.

۞ وقت بعوثه ﷺ وسراياه:

كان رسول الله ﷺ إذا بعث سرية بعثها أول النهار[٢].

روى الطبراني عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا بعث سريّة أَغْزاها أول النهار وقال: اللهم بارك لأمتي في بكورها.

۞ توديعه ﷺ لسراياه:

رُوِيَ أن رسول الله ﷺ مشىٰ مع الذين وجّههم لقتل كعب بن الأشرف إلىٰ بقيع الغرقد، ثم قال لهم: انطلقوا علىٰ اسم الله، اللهم أَعِنْهم. ثم رجع[٣].

---

(١) رواه أبو يعلىٰ وابن حبان وأبو داود، والترمذي دون قوله: (إذا صدقوا وصبروا).

(٢) روى ذلك الإمام أحمد، وحسّنه الترمذي.

(٣) رواه أحمد عن البراء بن عازب بإسناد صحيح، والإمام أحمد وأبو يعلىٰ بإسناد صحيح أيضاً عن ابن عباس.

وعن عبدالله بن زيدﷺ قال: كان رسول اللهﷺ إذا شيّع جيشاً فبلغ عقبة الوداع قال: أَسْتَوْدِعُ الله تعالىٰ دينكم وأمانتكم، وخواتيم أعمالكم[١].

❁ كانﷺ يمشي مع بعض أمراء سراياه وذلك البعضُ راكبٌ:

يُروى عن معاذ بن جبلﷺ أنّ رسول اللهﷺ لَمّا بعثه إلىٰ اليمن خرج معه يوصيه، ومعاذ راكب ورسول اللهﷺ يمشي تحت ظل راحلته، فلما فرغ قال: يا معاذ، إنك عسىٰ أن لا تلقاني بعد عامي هذا، ولعلك أن تمر بمسجدي وقبري. فبكىٰ معاذﷺ جَشِعاً[٢] لفراق رسول اللهﷺ[٣].

وروى ابن عساكر عن معاذ بن جبلﷺ أن رسول اللهﷺ مشىٰ معه ميلاً، ومعاذ راكب لأَمْرِهِﷺ بذلك.

❁ وصيتهﷺ لأُمراء السرايا:

يروى عن بريدةﷺ قال: كان رسول اللهﷺ إذا أمّر أميراً علىٰ جيش أو سَرِيّة أَوْصاه في خاصّته بتقوى الله، ومَن معه مِنَ المسلمين خيراً، ثم قال: اغْزُوا باسم الله في سبيل الله، وقاتلوا مَنْ كَفَرَ بالله، اغْزُوا ولا تَغُلُّوا، ولا تَغْدِروا، ولا تَمْثُلوا، ولا تقتلوا وليداً، وإذا لقيتَ عدوك مِنَ المشركين فَادْعُهُم إلىٰ ثلاث خصال أو خِلال، فأَيَّتهن ما أجابوك فاقْبَلْ منهم وكُفَّ عنهم: ادْعُهُم إلىٰ الإسلام، فإنْ أجابوك فاقْبَلْ منهم وكُفَّ عنهم، ثم ادْعُهُم إلىٰ التَّحَوُّل مِن دارهم إلىٰ دار المهاجرين، وأَخْبِرْهم أنهم إنْ فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما علىٰ المهاجرين، فإنْ أَبَوْا أن يتحوّلوا منها فأَخْبِرْهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حُكْم الله الذي يجري علىٰ المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفَيْء

---

(١) أخرجه أبو داود والترمذي، ورواه ابن أبي شيبة.

(٢) أي جزعاً.

(٣) هو قطعة من حديث، رواه الإمام أحمد وأبو يعلىٰ برجال ثقات.

شيء إلاّ أن يجاهدوا مع المسلمين. فإنْ هم أَبَوْا فَسَلْهُم الجزية، فإنْ هم أجابوك فاقبل منهم وكُفَّ عنهم. فإنْ هم أَبَوْا فَاسْتَعِنْ عليهم بالله وقاتِلْهُم. وإذا حاصرتَ أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك، فإنكم إنْ تُخْفِروا ذِمَمَكم وذِمَمَ أصحابكم أَهْوَن مِن أنْ تُخفروا ذمة الله وذمة رسوله. وإذا حاصرتَ أهل حصن فأرادوك أن تُنْزِلَهُم علىٰ حكم الله، فلا تُنْزِلْهم علىٰ حكم الله، ولكنْ أَنْزِلْهم علىٰ حُكْمك، فإنك لا تدري أَتُصِيب حُكْمَ الله فيهم أم لا، ثم اقضوا فيهم بعدُ ما شئتم[١].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث جيوشه قال: اخْرُجوا باسم الله، تُقاتلون في سبيل الله مَنْ كفر الله، لا تغدروا، ولا تَغُلُّوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع[٢].

وعن عبد الرحمن بن عائذ رحمه الله تعالىٰ قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث جيشاً قال: تَأَلَّفُوا الناسَ ولا تَأَتُّوهم، ولا تُغِيروا عليهم حتىٰ تَدْعُوهم إلىٰ الإسلام، فما علىٰ الأرض مِنْ أهل بيت مَدَر ولا وَبَر إلاّ تأتوني بهم مسلمين أَحَبّ إليَّ مِن أن تقتلوا رجالهم وتأتوني بنسائهم[٣].

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث جيشاً قال: انطلقوا باسم الله، لا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا طفلاً صغيراً، ولا امرأة، ولا تَغُلُّوا، وضُمّوا غنائمكم، وأَصْلِحوا وأَحْسِنوا إنّ الله يحب المحسنين[٤].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث جيشاً أو سَرِيّة يقول: إذا رأيتم مسجداً أو سمعتم مؤذناً فلا تقتلوا أحداً[٥].

---

(١) رواه مسلم واللفظ له، وأبو داود والترمذي. ورواه البزار أيضاً عن ابن عباس.

(٢) رواه الإمام أحمد والبيهقي وأبو يعلىٰ وابن أبي شيبة.

(٣) رواه مسدد والحارث بن أبي أسامة مرسلاً.

(٤) رواه أبو داود والترمذي.

(٥) رواه أبو داود والترمذي.

وعنه كذلك أن رسول الله ﷺ بعث معاذاً وأبا موسىٰ فقال: تَشاوَرا وتَطاوَعا، ويَسِّرا ولا تُعَسِّرا، وبَشِّرا ولا تُنَفِّرا[١].

۞ اعتذاره ﷺ عن تَخَلُّفِه عن صُحْبة السرايا وإعطاؤه سلاحه لِمَنْ يقاتل به:

يروى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده لولا أنْ أَشُقَّ علىٰ المسلمين ما قعدتُ خلاف سَرِيّة تغزو في سبيل الله أبداً، ولكن لا أجد سعة فأَحْمِلهم، ولا يجدون سعة فيَتْبَعوني، ويَشُقُّ عليهم أن يقعدوا بعدي[٢]. والذي نفسي بيده لَوَدِدْتُ أني أغزو في سبيل الله وأُقْتَلُ ثم أَحْيَىٰ، ثم أُقْتَلُ ثم أَحْيَىٰ... بتكريره ست مرات[٣].

وعن جَبَلة بن حارثة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا لم يَغْزُ أَعْطَىٰ سلاحه علياً أو أسامة بن زيد رضي الله عنهما[٤].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه والبزار.

(٢) وفي لفظ: لا تَطِيب أنفسهم أن يَتَخَلّفوا عني.

(٣) رواه الشيخان والإمامان مالك وأحمد والنسائي وابن حبان.

(٤) رواه أحمد وأبو يعلىٰ.

سرايا السنة الأولى من الهجرة
أرض
الحجاز
حمزة بن عبد المطلب
بواط
العُشيرة
بنو قينقاع
المدينة النبوية
الأوس والخزرج
بنو سُليم
غزوتان
بدر الكبرى
سفوان
مهد الذهب
قرقرة الكدر
الأبواء
عبيدة بن الحارث
سعد بن أبي وقاص
موازن
ثقيف
قريش
مكة المكرمة
جدة
ينبع
رابغ
بدر
الحمراء
خيبر
تيماء
الحجر (ثمود)
المطلع
العلا
جبل الطلما
حفيرة العيدا
قلعة زمرد
حنك
أم لج
جهينة
جبل رضوى
سوق سويق
الليث
مستورة
دهبان
عسفان
خليص
قديد
مستابة
السيل الكبير
عشيرة
حداء
منى
نخلة
الطائف
الخرمة
تربة
الروضة
رنية
الدفينة
ظلم
المويه
مهد الذهب
عنيف
مسكة
الجرداوية
جبل طامية
نقرة
عقلة الصقور
حليفة
السليمي
المكحول
غزالة
السبعان
أجا وسلمى
فنا
بقعاء
جبه
الشمال
الشرق
الغرب
الجنوب
بحر القلزم (البحر الأحمر)
مقياس الرسم
صفر ٥٠ ١٠٠ ١٥٠كم

١ - سرية حمزة بن عبد المطلب إلىٰ سِيف البحر من ناحية العِيص

[رمضان ١ هـ]

كانت في شهر رمضان علىٰ رأس سبعة أشهر من الهجرة[١]، في ثلاثين رجلاً من المهاجرين والأنصار.

قال ابن سعد في طبقاته: المُجْمَع عليه أنهم كانوا جميعاً من المهاجرين، ولم يبعث رسول الله ﷺ أحداً من الأنصار مَبْعَثاً حتىٰ غزا بهم بدراً، وذلك أنهم شَرَطُوا له أنهم يمنعونه في دارهم، وهذا هو الثَّبْتُ عندنا.

وعَقَدَ له ﷺ لواءً أبيض حَمَلَه أبو مَرْثَد كَنّاز بن الحصين الغنوي حليف حمزة بن عبد المطلب، وهو أول لواء عُقِدَ في الإسلام كما قال عروة، وابن عُقبة، ومحمد بن عمر، وابن سعد، وابن عائذ، والبيهقي، وابن الأثير[٢].

فخرج حمزة رضي الله عنه بمَنْ معه يعترض عِيرَ قريش حتىٰ جاءت من الشام تريد مكة، وفيها أبو جهل في ثلاثمائة رجل، وقيل: في مائة وثلاثين. فبلغ سِيف البحر ناحية العِيص من أرض جهينة[٣]، فلما تَصافّوا حجز بينهم مَجْديّ بن عمرو الجهني وكان حليفاً للفريقين جميعاً، فأطاعوه وانصرفوا ولم يَقْتَتِلوا، فتوجّه أبو جهل في أصحابه وعِيره إلىٰ مكة، وانصرف حمزة وأصحابه إلىٰ المدينة.

ولَمّا عاد حمزة بمَنْ معه إلىٰ رسول الله ﷺ، أخبره بما حجز بينهم مَجْدي بن عمرو، وأنهم رأوا منه نَصَفَة لهم.

---

(١) ذكر ابن سعد هذه السرية وسرية عبيدة بن الحارث إلىٰ بطن رابغ قبل غزوة الأبواء في السنة الأولىٰ، وذكرهما ابن إسحاق بعدها وقبل غزوة بُواط في السنة الثانية.

(٢) وذكر ابن إسحاق رحمه الله تعالىٰ أن أول لواء عَقَدَه رسول الله ﷺ لواء عبيدة بن الحارث، ثم قال: واختلف الناس في راية عبيدة وحمزة، فقال بعض الناس: كانت راية حمزة قبل راية عبيدة، وقال بعض الناس: راية عبيدة كانت قبل راية حمزة. وذلك أن رسول الله ﷺ شيّعهما جميعاً، فأُشْكِلَ ذلك علىٰ بعض الناس.

(٣) هي قريبة من الساحل الشرقي للبحر الأحمر، تقع شمالي جبل رضوى، وإلىٰ الشمال الغربي من المدينة، انظر خارطة توزيع القبائل العربية ص٣٢٦-٣٢٧.

وقدم رهط مَجْدي على رسول الله ﷺ فكساهم وصنع إليهم خيراً، وقال ﷺ فيما ذكره محمد بن عمر عن مجدي أيضاً: إنه ما علمت مَيمون النَّقيبة[١] مُبارك الأَمر، أو قال: رشيد الأمر.

٢- سرية عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف إلىٰ بطن رابغ [شوال ١هـ]

كانت في شوال علىٰ رأس ثمانية أشهر من الهجرة[٢]، في ستين أو ثمانين راكباً من المهاجرين ليس فيهم أنصاري.

وكان لواءُه ﷺ أبيض، حَمَله مسطح بن أُثاثة بن عبّاد بن المطلب بن عبد مناف. فخرج فلقي أبا سفيان بن حرب في أُناس من أصحابه علىٰ ماء يقال له: أحياء[٣]، وإنما نكبوا عن الطريق لِيَرْعَوْا رِكابهم، وأبو سفيان في مائتين، وعلىٰ المشركين أبو سفيان.

قال محمد بن عمر: وهو الثَّبْت عندنا.

وقيل: مِكْرَز بن حفص بن الأَخْيَف، وقيل: عكرمة بن أبي جهل.

فكان بينهم الرامي، ولم يَسلُّوا سيفاً، ولم يَصْطَفّوا للقتال، وإنما كانت بينهم المناوشة، إلاّ أنّ سعد بن أبي وقاص رمىٰ يومئذ بسهم، فكان أول سهم رُمِيَ به في الإسلام. نَثَر كِنانته، وتقدّم أمام أصحابه وقد تَتَرَّسُوا عنه، فرمىٰ بما في كنانته وكان فيها عشرون سهماً، ما فيها سهم إلاّ ويجرح إنساناً أو دابة، ولم يكن بينهم يومئذ إلاّ هذا.

ثم انصرف الفريقان علىٰ حاميتهم، وفرّ من الكفار إلىٰ المسلمين المقداد بن عمرو

---

(١) مُنْجِح الأفعال مُظَفَّر المطالب، والنَّقِيبة: النَّفْس والطبيعة أو الخليقة.

(٢) ذَكَرَ غير واحد من أهل السير أن هذه السرية كانت في السنة الأولىٰ، وذكر أبو الأسود في مغازيه ووصله ابن عائذ عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لَمّا وصل إلىٰ الأبواء بعث عبيدة بن الحارث في ستين رجلاً.... فذكر القصة، فتكون في السنة الثانية. وصرّح به بعض أهل السير، والله أعلم.

(٣) هو في بطن رابغ علىٰ عشرة أميال من الجُحفة وأنت تريد قُدَيْداً علىٰ يسار الطريق.

البَهْراني حليف بني زُهْرة، وعُتْبة بن غَزْوان بن جابر المازني حليف بني نوفل بن عبد مناف، وكانا مُسْلِمَيْن ولكنّهما خَرَجا لِيتوصّلا بالمشركين.

٣- سرية سعد بن أبي وقاص إلىٰ الخَرّار[١]

[ذو القعدة ١هـ]

كانت في ذي القعدة علىٰ رأس تسعة أشهر من الهجرة[٢]، في عشرين رجلاً من المهاجرين، وقيل: في ثمانية.

وعَقَدَ له ﷺ لواءً أبيض حمله المقداد بن عمرو البَهْراني، وعهد إليه رسول الله ﷺ ألاّ يجاوز الخَرّار، يَعترض عِيراً لقريش تمر بهم.

فخرجوا علىٰ أقدامهم يكمنون النهار ويسيرون الليل، حتىٰ صبّحوا صبح خمس الخَرّار من الجحفة قريباً من خُمّ[٣]، فوجدوا العِيرَ قد مرّت بالأمس، فانصرفوا إلىٰ المدينة ولم يَلْقَوْا كيداً.

(١) ضُبِطَ بالحاء وبالخاء، وعلّق الزرقاني في شرحه علىٰ المواهب ج١ ص٣٩٢ علىٰ هذا الضبط قائلاً: الخرّار، بخاء معجمة مفتوحة وراءين مهملتين الأولىٰ ثقيلة، كما ذكره الصنعاني في خرر. وهو ماء لبني زهير وبني بدر، وقيل: وادٍ بالحجاز يصب علىٰ الجحفة.

(٢) ذكرها محمد بن عمر وابن سعد في السنة الأولىٰ من الهجرة، وجعلها ابن إسحاق في السنة الثانية.

(٣) هو اسم غدير أو وادٍ بقرب الجحفة.

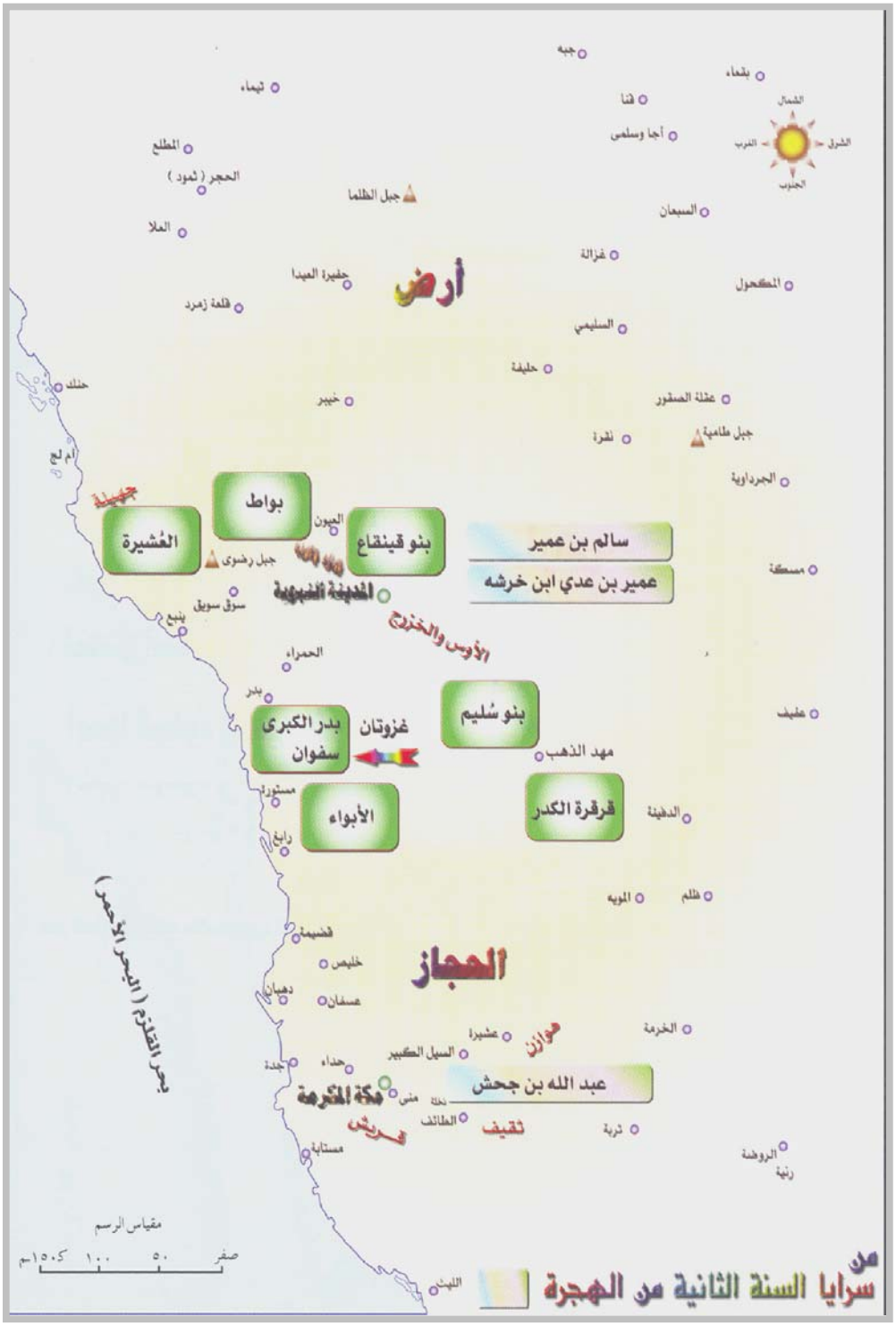
من سرايا السنة الثانية من الهجرة
أرض
الحجاز
بحر القلزم (البحر الأحمر)
بواط
العُشيرة
بنو قينقاع
سالم بن عمير
عمير بن عدي ابن خرشه
المدينة النبوية
الأوس والخزرج
بنو سُليم
غزوتان
بدر الكبرى
سفوان
الأبواء
قرقرة الكدر
عبد الله بن جحش
مكة المكرمة
قريش
ثقيف
الطائف
هوازن
جهينة
الشمال
الشرق
الغرب
الجنوب
مقياس الرسم
صفر ٥٠ ١٠٠ ١٥٠كم

٤- سرية سعد بن أبي وقاص إلىٰ حَيٍّ مِن كنانة[١]

[رجب ٢هـ]

روى الإمام أحمد قال: لَمّا قَدِمَ رسول الله ﷺ المدينة، جاءته جهينة فقالوا له: إنك نزلتَ بين أظهرنا فأَوْثِقْ لنا حتىٰ نأتيك وقومنا، فَأَوْثَقَ لهم فأَسْلَموا.

قال سعد بن أبي وقاص: فبَعَثَنا رسول الله ﷺ في رجب - أي من السنة الثانية - ولا نكون مائة، وأَخْبَرَنا أن نُغِير علىٰ حَيٍّ مِن كنانة إلىٰ جنب جهينة. فَأَغَرْنا عليهم فكانوا كثيراً، فلجأنا إلىٰ جهينة فمنعونا وقالوا: لِمَ تقاتلون في الشهر الحرام؟ فقال بعضنا لبعض: ما تَرَوْن؟ فقال بعضنا: نأتي رسول الله ﷺ فنخبره، وقال قوم: لا بل نقيم ها هنا، وقلت أنا في أُناس معي: لا بل نأتي عِيرَ قريش فَنَقْتَطِعَها. فانطلقنا إلىٰ العِير، وكان الفَيْء إذ ذاك مَنْ أَخَذَه فهو له، وانطلق أصحابنا إلىٰ رسول الله ﷺ فأخبروه الخبر، فقام غضبان محمراً وجهه وقال: أَذَهَبْتُمْ مِن عندي وجئتم مُتَفَرِّقين؟ وإنما أَهْلَكَ مَنْ كان قبلكم الفُرقة، لأَبْعَثَنّ عليكم رجلاً ليس بخيركم، أَصْبَركم علىٰ الجوع والعطش. فبعث علينا عبدالله بن جحش أميراً، فكان أول أمير في الإسلام.

وختم صاحب السيرة الحلبية أخبار هذه السرية فيما نقله عن الشامي بقوله: فأمّره علينا لنذهب إلىٰ جهة نَخْلة بين مكة والطائف.

---

(١) قال الأستاذ عبد العزيز عبد الحق حلمي: لم نجد ذكراً لهذه السرية في كتب السيرة والمغازي والتاريخ: كسيرة ابن هشام، ومغازي الواقدي، وطبقات ابن سعد، وتاريخ الطبري، وعيون الأثر، والبداية والنهاية..... إلىٰ غير ذلك، غير أن علي بن برهان الدين صاحب السيرة الحلبية ذكر سرية سعد بن أبي وقاص إلىٰ الخرّار، وفي السيرة الشامية: الباب السادس في سرية سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه إلىٰ الخرّار، وساق ما تقدّم. وقال بعده: الباب السابع في سرية سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه إلىٰ غير ذلك.

٥- سرية عبدالله بن جحش الأسدي إلىٰ نخلة

[رجب ٢هـ]

قال ابن سعد في طبقاته الكبرى: كانت في رجب علىٰ رأس سبعة عشر شهراً مِن مهاجَر رسول الله ﷺ.

بعثه ﷺ في اثني عشر رجلاً من المهاجرين، كلُّ اثنين يَعْتَقِبان بعيراً إلىٰ بطن نخلة، وهو بستان ابن عامر الذي قُرْب مكة. وأَمَرَه أن يرصد بها عِيرَ قريش.

فوردت عليه، فهابهم أهل العِير وأنكروا أمرهم، فحلق عُكّاشة بن محصن الأسدي رأسه، حَلَقَه عامر بن ربيعة؛ ليطمئن القوم، فأَمِنوا وقالوا: هم عُمّار لا بأس عليكم منهم، فسرّحوا ركابهم، وصنعوا طعاماً.

وشكّ أصحاب رسول الله ﷺ في ذلك اليوم أهو من الشهر الحرام أم لا؟ ثم تشجّعوا عليهم فقاتلوهم، فخرج واقد بن عبدالله التميمي يقدم المسلمين، فرمىٰ عمرَو بنَ الحضرمي فقتله. وشدّ المسلمون عليهم، فاسْتَأْسَرَ عثمانُ بن عبدالله بن المغيرة والحكمُ بن كَيْسان، وأعجزهم نوفل بن عبدالله بن المغيرة.

وساقوا العِير، وكان فيها خَمر وأَدَم وزبيب جاءوا به من الطائف، فقدموا بذلك كله علىٰ رسول الله ﷺ فوقّفه وحَبَسَ الأسيرين، وكان الذي أَسَرَ الحكمَ بن كيسان المقدادُ بن عمرو. فدعاه رسول الله ﷺ إلىٰ الإسلام، فأَسْلَمَ وقُتِلَ ببئر معونة شهيداً.

وكان سعد بن أبي وقاص زميل عتبة بن غزوان علىٰ بعير لعتبة في هذه السرية، فضلّ البعير بَحْران وهي ناحية معدن بني سُلَيْم، فأقاما عليه يومين يَبْغِيانه، ومضىٰ أصحابهم إلىٰ نخلة، فلم يشهدها سعد ولا عتبة، وقدما المدينة بعدهم بأيام.

ويقال: إن عبدالله بن جحش لَمّا رجع مِن نخلة خَمّس ما غنم، وقسم بين أصحابه سائر الغنائم، فكان أول خُمُس خُمِّس في الإسلام.

ويقال: إن رسول الله ﷺ وقّف غنائم نخلة حتىٰ رجع مِن بدر، فقسمها مع غنائم بدر، وأعطىٰ كل قوم حقه.

وفي هذه السرية سُمِّيَ عبدالله بن جحش أمير المؤمنين[١].

وقال ابن الأثير في تاريخه الكامل في خبر هذه السرية: أَمَرَ رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح أن يتجهّز للغزو، فتجهّز. فلما أراد المسير بكىٰ صبابة إلىٰ رسول الله ﷺ، فبعث مكانه عبدالله بن جحش في جمادى الآخرة، معه ثمانية رهط من المهاجرين، وقيل: اثنا عشر رجلاً. وكتب له كتاباً، وأَمَرَه أن لا ينظر فيه حتىٰ يسير يومين، ثم ينظر فيه فيمضي لِما أَمَرَه به، ولا يُكْرِهُ أحداً مِن أصحابه.

ففعل ذلك ثم قرأ الكتاب، وفيه يأمره بنزول نخلة بين مكة والطائف، فيرصد قريشاً ويَعْلَمَ أخبارها. فأَعْلَمَ أصحابه فساروا معه، وأَضَلَّ سعدُ بن أبي وقاص وعتبةُ بن غزوان بعيراً لهما يَعْتَقِبانه، فتخلّفا في طلبه.

ومضىٰ عبدالله ونزل بنخلة، فمرّت عِيرٌ لقريش تحمل زبيباً وغيره، فيها عمرو بن الحضرمي، وعثمان بن عبدالله بن المغيرة، وأخوه نوفل، والحكم بن كَيسان. فأشرف لهم عكاشة بن محصن وقد حلق رأسه، فلما رأوه قالوا: عُمّار لا بأس عليكم منهم، وذلك آخر يوم من رجب. فرمىٰ واقدُ بن عبدالله التميمي عمرَو بن الحضرمي بسهم فَقَتَلَهُ، واسْتَأْسَرَ عثمان والحكم، وضُرِبَ نوفل، وغَنِمَ المسلمون ما معهم، فقال عبدالله بن جحش: إنَّ لرسول الله ﷺ خُمس ما غَنِمْتُم، وذلك قبل أن يُفْرَضَ الخُمُس، وكانت أول غنيمة غنمها المسلمون، وأول خُمُس في الإسلام.

وأقبل عبدالله بن جحش وأصحابه بالعِير والأسرى إلىٰ المدينة، فلما قدموا قال لهم رسول الله ﷺ: ما أَمَرْتُكُم بقتال في الشهر الحرام، فوقّف العِير والأسيرين، فسُقِطَ في

---

(١) ويُسَمّىٰ كذلك بالمُجَدَّع في الله تعالىٰ، وفي سبب ذلك روى البغوي من طريق إسحاق بن سعد بن أبي وقاص قال: حدّثني أبي أنّ عبدالله بن جحش قال له يوم أُحُد: ألا تأتي فنَدْعُو؟ قال: فَخَلَوْنا في ناحية، فدعا سعد فقال: يا رب، إذا لقينا القوم غداً فلقّني رجلاً شديداً حَرده أُقاتله فيك، ثم ارزقني الظَّفَر عليه حتىٰ أقتله وآخذ سَلَبَه. قال: فأَمَّنَ عبدالله بن جحش ثم قال: اللهم ارزقني رجلاً شديداً حَرده أُقاتله فيك حتىٰ يأخذني فيجدع أنفي وأذني، فإذا لقيتُك قلتَ: ما هذا؟ قلتُ: هذا فيك وفي رسولك، فتقول: صدقتَ. قال سعد بن أبي وقاص: فكانت دعوة عبدالله بن جحش خيراً من دعوتي، فلقد رأيته آخر النهار وإنّ أنفه وأذنيه لَمُعَلَّق في خيط.

أيديهم وعنّفهم المسلمون، وقالت قريش: قد اسْتَحَلَّ محمد وأصحابه الشهر الحرام، وقالت اليهود تَفاءَلُ بذلك على رسول الله ﷺ: عمرو بن الحضرمي قَتَلَهُ واقد بن عبدالله، (عمرو) عمرت الحرب، و(الحضرمي) حضرت الحرب، و(واقد) وقدت الحرب. فأنزل الله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾ [البقرة].

فلمّا نزل القرآن وفرّج الله عن المسلمين، قَبَضَ رسول الله ﷺ العِير، وكانت أول غنيمة أصابوها. وأَفْدَى رسول الله ﷺ الأسيرين.

فأما الحكم بن كَيْسان فأَسْلَمَ فحَسُنَ إسلامه، وأقام مع رسول الله ﷺ حتى قُتِلَ يوم بئر معونة شهيداً.

وأما عثمان بن عبدالله فلَحِق بمكة، فمات بها كافراً.

٦- بعث عُمَيْر بن عدي الخَطْمي[1] إلى عَصْماء بنت مروان

[رمضان ٢هـ]

كان لخمس ليال بقين من رمضان من السنة الثانية إلى عَصْماء بنت مروان بن أمية بن زيد، زوج يزيد بن زيد بن حِصن الخَطْمي. وكانت تَعِيب الإسلام، وتؤذي رسول الله ﷺ، وتُحَرِّض عليه، وتقول الشعر، وكانت تطرح المحايض في مسجد بني خَطْمة، فأَهْدَرَ رسول الله ﷺ دمها، فنذر عُمَيْر بن عدي لئن رجع رسول الله ﷺ من بدر إلى المدينة ليقتلنّها.

---

(١) وهو الذي يُدْعى القارئ والبصير، والذي كان رسول الله ﷺ يزوره في بني واقف، ولم يشهد بدراً لضرارته. روى البيهقي عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: انْطَلِقوا بنا إلى البصير الذي في بني واقف نعوده. وقال البخاري: عُمَيْر بن عدي الأعمى هو قارئ بني خطمة وإمامهم. وأخرج البغوي عن هشام عن أبيه عن عبدالله بن عمير أنه كان إمام بني خطمة وهو أعمى على عهد النبي ﷺ، وجاهد معه وهو أعمى.

فلما رجع رسول الله ﷺ من بدر، جاء عُمَيْر ليلاً حتىٰ دخل عليها بيتها، وحولها نفر مِن ولدها نيام، منهم مَنْ ترضعه في صدرها، فجسّها بيده وكان ضرير البصر، فنحّىٰ الصبي عنها ووضع سيفه علىٰ صدرها حتىٰ أَنْفَذَه مِن ظهرها.

ثم أتىٰ المسجد فصلّىٰ الصبح مع رسول الله ﷺ، فلما انصرف نظر إليه رسول الله ﷺ وقال: أَقَتَلْتَ ابنة مروان؟ قال: نعم، بأبي أنت يا رسول الله، فهل عليّ في ذلك مِنْ شيء؟ فقال رسول الله ﷺ: لا يَنْتَطِحُ فيها اثنان عنزان[1]، فإنّ أول ما سُمِعَتْ هذه الكلمة مِن رسول الله ﷺ. والْتَفَتَ رسول الله ﷺ إلىٰ مَنْ حوله فقال: إذا أَحْبَبْتُم أن تنظروا إلىٰ رجلٍ نَصَرَ اللهَ عز وجل ورسولَه بالغيب فانظروا إلىٰ عُمَيْر بن عدي، فقال عمر بن الخطاب: انظروا إلىٰ هذا الأعمىٰ الذي تشدّد في طاعة الله تعالىٰ، فقال رسول الله ﷺ: لا تَقُلِ: الأعمىٰ، ولكنّه البصير. فسمّىٰ رسول الله ﷺ عُمَيْراً البصير.

فلما رجع عُمَيْر مِن عند رسول الله ﷺ وَجَدَ بَنِيها في جماعة يدفنونها، فَأَقْبَلوا إليه فقالوا: يا عُمَيْر، أنت قَتَلْتَها؟ فقال: نعم، ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾﴾ [هود]، فوالذي نفسي بيده لو قلتم بأجمعكم ما قالت لَضَرَبْتُكم بسيفي هذا حتىٰ أموتَ أو أَقْتُلَكم.

فيومئذ ظهر الإسلام في بني خَطْمة، وكان يَسْتَخْفِي بإسلامه فيهم مَنْ أَسْلَمَ، وكان أول مَنْ أسلم مِن بني خَطْمة عُمَيْر بن عدي، وعبدالله بن أوس، وخزيمة بن ثابت.

وروى ابن عساكر في ترجمة أحمد بن أحمد البلخي من تاريخه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ألا رجل يكفينا هذه؟ فقال رجل مِنْ قومها: أنا، فأتاها وكانت تمّارة، فقال لها: أعندك أَجْوَد مِن هذا التمر؟ قالت: نعم. قال: فدخلتُ إلىٰ بيتٍ لها، وانْكَبَّتْ لتأخذ شيئاً، فالتفتُّ يميناً وشمالاً فلم أَرَ أحداً، فضربتُ رأسها حتىٰ قَتَلْتُها.

---

(١) أي لا يلتقي فيها اثنان ضعيفان؛ لأن النطاح مِن شأن التيوس والكباش لا العنوز، وهي إشارة إلىٰ قضية مخصوصة لا يجري فيها خُلْفٌ ونزاع، أي لا يكون له تغيير ولا نكير، كما قال صاحب مجمع الأمثال. وفي المغازي للواقدي: معناه أنّ شأن قَتْلِها هَيِّنٌ لا يكون فيه طلب ثأر ولا اختلاف.

٧- سرية سالم بن عُمَيْر[١] إلىٰ أبي عَفَك اليهودي

[شوال ٢هـ]

ذكر ابن سعد في طبقاته أنها كانت في شوال علىٰ رأس عشرين شهراً مِن مهاجَره ﷺ.

وذكر ابن سعد أن رسول الله ﷺ أَرْسَلَ عُمَيْراً العمري إلىٰ أبي عَفَك اليهودي، وكان أبو عَفَك مِن بني عمرو بن عوف شيخاً كبيراً قد بلغ عشرين ومائة سنة، وكان يهودياً، وكان يُحَرِّضُ علىٰ رسول الله ﷺ ويقول الشعر[٢]، فقال سالم بن عُمَيْر: عليَّ نَذْرٌ أنْ أقتل أبا عَفَك أو أموت دونه.

فأَمْهَلَ يطلب له غِرّة حتىٰ كانت ليلة صائفة[٣]، فنام أبو عَفَك بالفناء[٤] وعَلِم به سالم بن عُمَيْر، فأَقْبَلَ فوضع السيف علىٰ كبده، ثم اعتمد عليه حتىٰ خشّ في الفراش وصاح عدو الله، فثاب[٥] إليه ناسٌ مِمَّنْ هم علىٰ قوله فأَدْخَلُوه منزله وقَبَرُوه، وقالوا: مَنْ قَتَلَه؟ واللهِ لو نعلم مَنْ قَتَلَه لقتلناه به.

زاد صاحب السيرة الشامية: فقالت أُمامة المُرَيْدِيّة في ذلك:

تُكَذِّبُ دينَ الله والمرءَ أحمدا ... لَعَمْرُ الذي أَمْناك أنْ بئس ما يُمْني

حَباك حَنِيفٌ آخِرَ الليلِ طَعْنَةً ... أبا عَفَكٍ خُذْها علىٰ كِبَر السِّنِّ

يلي ذلك في مغازي الواقدي بيت ثالث هو:

فإني وإنْ أعلمْ بقاتلك الذي ... أَباتَكَ حِلْسَ الليل مِنْ إنسٍ أو جنّي

---

(١) هو أحد البكائين، وكان مِمَّنْ شهد بدراً.

(٢) وزاد صاحب السيرة الشامية في روايته: وكان قد نَجَم نفاقه، أي ظهر وطلع.

(٣) أي حارة.

(٤) الفناء: ما امتد من جوانب المنزل.

(٥) أي اجتمع.

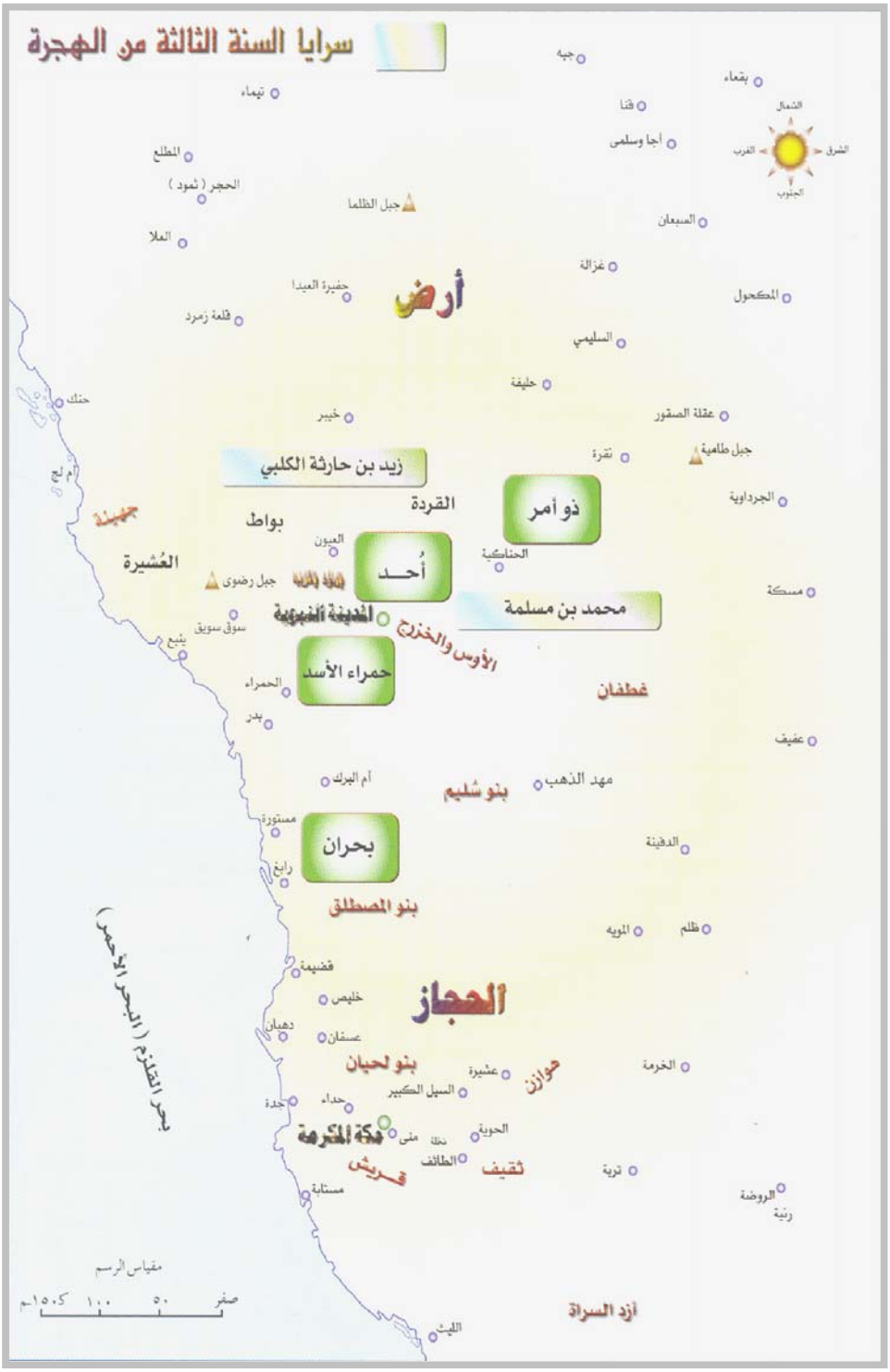
سرايا السنة الثالثة من الهجرة
جبه
بقعاء
تيماء
قنا
الشمال
أجا وسلمى
الشرق
الغرب
الجنوب
المطلع
الحجر (ثمود)
جبل الطلما
السبعان
العلا
غزالة
حضيرة العبدا
أرض
المكحول
قلعة زمرد
السليمي
حليفة
حنك
خيبر
عقلة الصقور
جبل طلعية
نقرة
زيد بن حارثة الكلبي
الجرداوية
ذو أمر
القردة
جهينة
بواط
العيون
العُشيرة
أُحـــد
الحناكية
جبل رضوى
بنو النضير
مسكة
المدينة المنورة
محمد بن مسلمة
سوق سويق
ينبع
الأوس والخزرج
حمراء الأسد
الحمراء
غطفان
بدر
عفيف
أم البرك
مهد الذهب
بنو سُليم
مستورة
بحران
الدفينة
رابغ
بنو المصطلق
ظلم
المويه
قضيمة
الحجاز
خليص
دهبان
عسفان
بنو لحيان
عشيرة
هوازن
الخرمة
السيل الكبير
جدة
حداء
الحوية
مكة المكرمة
منى
نخلة
الطائف
ثقيف
قريش
تربة
مستابة
الروضة
رنية
بحر القلزم (البحر الأحمر)
مقياس الرسم
صفر ٥٠ ١٠٠ ١٥٠كم
أزد السراة
الليث

٨- سرية قَتْل كعب بن الأشرف اليهودي

[ربيع الأول ٣هـ]

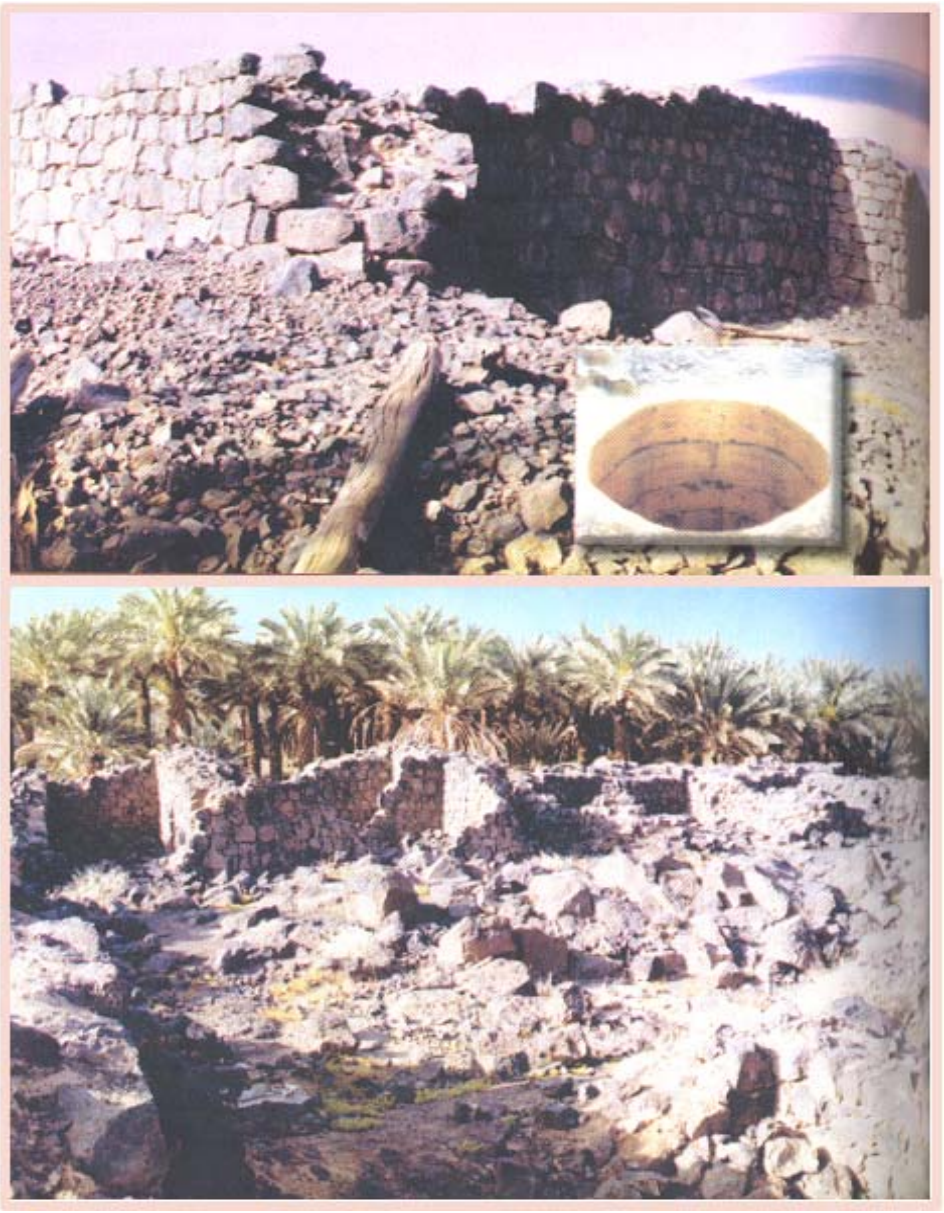

حصن كعب بن الأشرف اليهودي والبئر التابعة له

قال ابن إسحاق وابن سعد وابن هشام وقد دَخَلَ حديث بعضهم في حديث بعض: كانت سرية قَتْل كعب بن الأشرف[١] لأربع عشرة ليلة خَلَتْ مِن شهر ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين شهراً مِن هجرة رسول الله ﷺ، وذلك أنه كان رجلاً شاعراً يَهْجو النبي ﷺ وأصحابه، ويُحَرِّضُ عليهم ويُؤْذِيهم، وكان لَمّا بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة إلى أهل السافلة، وعبدالله بن رواحة إلى أهل العالية، بشيرين إلى مَنْ بالمدينة مِنَ المسلمين بخبر بدر، فقال كعب بن الأشرف: أَحَقٌّ هذا؟ أَتَرَوْن محمداً قَتَلَ هؤلاء الذين يُسَمِّي هؤلاء الرجلان؟ فهؤلاء أشرف العرب وملوك الناس، والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لَبَطْنُ الأرض خير مِن ظهرها.

فلما تيقّن الخبرَ خرج حتى قدم مكة، فنزل على المطلب بن أبي وداعة السهمي، وجعل يُحرّض على رسول الله ﷺ، ويُنشد الأشعار ويبكي أصحاب القَلِيب من قريش، ثم رجع إلى المدينة فشبّب بنساء المسلمين[٢] حتى آذاهم، فقال رسول الله ﷺ: اللهم اكْفِني ابن الأشرف بما شئتَ، وقال: مَنْ لي بابن الأشرف فقد آذاني؟ فقال محمد بن مسلمة أخو بني عبد الأشهل: أنا لك به يا رسول الله، أنا أقتله. قال: فافعل إنْ قَدَرْتَ على ذلك[٣].

فرجع محمد بن مسلمة فمكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب إلاّ ما يُمْسِكُ رَمَقه، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال له: لِمَ تركتَ الطعام والشراب؟ فقال: يا رسول الله، قلتُ لك قولاً لا أدري هل أَفِي لك به أو لا؟ قال: إنما عليك الجَهْد، قال: يا رسول الله، لا بد لنا مِنْ أن نقول[٤]. قال: قُولوا ما بدا لكم، فأنتم في حِلٍّ مِنْ ذلك.

---

(١) قال صاحب الأغاني ج١٩ ص١٦ من طبعة بولاق: كعب بن الأشرف مُخْتَلَفٌ في نسبه، فزعم ابن حبيب أنه مِن طَيِّء ثم أحد بني نَبْهان، وأمه من بني النضير، وأن أباه توفي وهو صغير فحملته أمه إلى أخواله، فنشأ فيهم وساد وكبر أمره. وقيل: بل هو من بني النضير، وكان شاعراً وفارساً.

(٢) يُروى أنه شبّب بأم الفضل لبابة بنت الحارث زوج العباس بن عبد المطلب.

(٣) قال السهيلي في الروض الأنف ج٢ ص١٢٣: في هذه من الفقه وجوب قَتْل مَنْ سبّ النبي ﷺ وإنْ كان ذا عهد، خلافاً لأبي حنيفة رحمه الله فإنه لا يرى قتل الذمي في مِثْل هذا.

(٤) وقد زيد في المواهب اللدنية في هذا الموضع: قولاً غير مطابق للواقع؛ لِتَتَوَصَّل به إلى التمكن مِن قتله.

فاجتمع علىٰ قتله محمد بن مسلمة، وأبو نائلة سِلْكان بن سلامة بن وقش وكان أخا كعب بن الأشرف من الرضاع، وعبّاد بن بشر بن وقش، والحارث بن أوس بن معاذ، وأبو عَبْس بن جَبْر أخو بني حارثة.

فقدّموا إليه سِلْكان بن سلامة، فجاءه فتحدّث معه ساعة وتناشدا شعراً، ثم قال أبو نائلة: ويحك يا ابن الأشرف، إني قد جئتُك لحاجة أريد ذِكْرها لك، فاكتم عني. قال: أفعل، قال: قد كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء، عادَتْنا العربُ ورَمَتْنا عن قوس واحدة، وقَطَعَتْ عنا السُّبُل حتىٰ ضاع العيال وجُهِدَت الأنفس، وأصبحنا قد جُهِدْنا وجُهِدَ عيالنا. فقال كعب: أنا ابن الأشرف، واللهِ لقد كنتُ أُخبرك يا ابن سلامة أنّ الأمر سيصير إلىٰ ما أقول. فقال له سِلْكان: إنّا نريد التَّنَحِّيَ منه، ومعي رجال من قومي علىٰ مِثْل رأيي، وقد أردتُ أنْ آتِيَك بهم فنبتاع منك طعاماً وتمراً، ونَرْهَنَك ما يكون لك فيه ثقة ووفاء. فقال: أترهنوني نساءكم؟ قال: كيف نرهنك نساءنا وأنت أشبّ أهل يثرب وأعطرهم؟! فقال: أترهنوني أبناءكم؟ قال: لقد أردتَ أن تفضحنا وأن يُعَيَّر أبناؤنا، ولكنّا نرهنك سلاحنا وقد علمتَ حاجتنا إلىٰ السلاح. فقال: نعم، إن في الحَلْقة[1] لوفاء. وإنما أراد سِلكان ألاّ يُنْكِرَ السلاحَ إذا جاءوا بها.

ثم رجع سِلْكان إلىٰ أصحابه وأخبرهم الخبر، وأمرهم أن يأخذوا السلاح ثم ينطلقوا فيجتمعوا إليه عند رسول الله ﷺ. ففعلوا، ومشىٰ معهم رسول الله ﷺ إلىٰ بقيع الغرقد، ثم وجّههم وقال: انطلقوا علىٰ اسم الله، اللهم أَعِنْهم. ورجع ﷺ إلىٰ بيته.

وتوجّهوا -وكانت ليلة مقمرة- حتىٰ انتهوا إلىٰ حصنه، فهتف به أبو نائلة، وكان ابن الأشرف حديث عَهْد بعرس، فوثب في مِلْحَفَته، فأخذت امرأته بناحيتها وقالت: إنك امرؤ مُحارَب، وإنَّ أصحاب الحرب لا ينزلون في هذه الساعة. قال: إنه أبو نائلة، لو وجدني نائماً ما أَيْقَظَني. فقالت: والله إني لأعرف مِن صوته الشر، فقال لها: لو يُدْعَىٰ الفتىٰ لِطَعْنة لأَجاب.

---

(١) يريد بالحَلْقة السلاح كله، وقيل: هي الدروع خاصة.

وفي حديث البخاري من رواية سفيان عن عمرو بن جابر بن عبدالله قالت: أسمع صوتاً كأنه يقطر منه الدم، فقال: إنما هو أخي محمد بن مسلمة ورضيعي أبو نائلة، إنّ الكريم لو دُعِيَ إلىٰ طعنة بِلَيْلٍ لأَجاب.

قالوا: ونزل إليهم فتحدّثوا معه ساعة، ثم قالوا: هل لك يا ابن الأشرف أن نَتَماشىٰ إلىٰ شِعْب العجوز[١] ونَتَحَدَّثَ به بقية ليلتنا؟ فقال: إنْ شئتم.

فخرجوا يتماشون، فمشوا ساعة ثم وضع أبو نائلة يده في فَوْد رأس ابن الأشرف، ثم شمّ يده فقال: ما رأيتُ كالليلة طِيباً أَعْطَرَ قط من هذا، فقال: هذا عطر أم فلان - يريد امرأته -. ثم مشىٰ قليلاً فعاد لِمِثْلها حتىٰ اطمأن، ثم عاد لِمِثْلها فأخذ بفَوْد رأسه وقال: اضربوا عدو الله، فضربوه، فاختلفت عليه أسيافهم فلم تُغْنِ شيئاً.

قال محمد بن مسلمة: فذكرتُ مِغْولاً[٢] في سيفي حين رأيتُ أسيافنا لم تُغْنِ شيئاً، فأخذتُه وقد صاح عدو الله صيحة لم يَبْقَ حولنا حصن إلاّ أُوقِدَ عليه نار. قال: فوضعتُه في ثُنَّته[٣]، ثم تحاملتُ عليه حتىٰ انتهىٰ إلىٰ عانته ووقع إلىٰ الأرض.

ثم حزُّوا رأسه وحملوه معهم، وأُصِيبَ الحارث بن أوس فجُرِحَ في رأسه أو رجله، أصابه بعض أسياف أصحابه.

قال محمد بن مسلمة: فخرجنا حتىٰ سلكنا علىٰ بني أمية بن زيد، ثم علىٰ بني قريظة، ثم علىٰ بُعاث[٤]، حتىٰ اسْتَنَدْنا[٥] في حَرّة العُرَيْض[٦]، وقد أبطأ علينا الحارث ونَزَفَه الدم، فوقفنا له ساعة حتىٰ أتانا، فاحتملناه وجئنا به.

---

(١) هو مكان بظاهر المدينة.

(٢) المِغْوَلُ: شِبْه سيف قصير يشتمل به الرجل تحت ثيابه.

(٣) الثُّنّة: ما بين السرة والعانة، وفي رواية غيرها: ثُنْدُؤَته.

(٤) وفي رواية أخرى: بُغاث، وهو موضع في نواحي المدينة كانت به وقائع بين الأوس والخزرج في الجاهلية.

(٥) بمعنىٰ ارتفعنا.

(٦) الحرّة هي الأرض الصلبة الغليظة التي ألبستها حجارة سود نخرة، والعُريض وادي المدينة.

قال ابن سعد: فلما بلغوا بقيع الغرقد كبّروا، وقد قام رسول الله ﷺ تلك الليلة يصلي، فلما سمع تكبيرهم كَبَّرَ وعرف أنْ قد قتلوه. ثم انتهوا إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: أفلحت الوجوه، قالوا: وجهك يا رسول الله[١]، ورَمَوْا برأسه بين يديه، فحمد الله علىٰ قَتْلِه.

قال ابن إسحاق: قال محمد بن مسلمة: وتفل رسول الله ﷺ علىٰ جرح صاحبنا فَبَرَأَ، فرجعنا إلىٰ أهلينا، فأصبحنا وقد خافتْ يهودُ لِوَقْعَتِنا بعدو الله، فليس بها يهودي إلاّ وهو خائف علىٰ نفسه.

٩- سرية زيد بن حارثة إلىٰ القَرْدة[٢]

[جمادى الآخرة ٣هـ]

كانت في أول جمادى الآخرة علىٰ رأس سبعة وعشرين شهراً من الهجرة، وهي أول سرية خرج فيها زيد أميراً.

وسببها أن قريشاً لَمّا كانت وقعة بدر، خافوا طريقهم الذي كانوا يسلكونه إلىٰ الشام، فسلكوا طريق العراق، فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان بن حرب ومعه فضة كثيرة، وهي عُظْم تجارتهم. وخرج صفوان بن أمية بمال كثير، نُقْر[٣] فضة وآنية فضة وَزْن ثلاثين ألف درهم. وأرسل معه أبو زمعة ثلاثمائة مثقال ذهب ونُقْر فضة، وبعث معه رجالٌ من قريش ببضائع. وخرج معه عبدالله بن أبي ربيعة، وحُوَيطب بن عبد العزى في رجال من قريش، واسْتَأْجَروا فُرات بن حيّان[٤] فَخَرَجَ بهم علىٰ طريق ذات عرق.

فبلغ رسولَ الله ﷺ أَمْرُهم، فأرسل زيد بن حارثة في مائة راكب، فاعْتَرَضوا لها

---

(١) وفي الطبقات: ووجهك يا رسول الله.

(٢) كسجدة بالقاف، ويقال: بالفاء فردة، وهي ماء من مياه نجد ناحية ذات عرق.

(٣) النُّقْر: القطعة المذابة من الذهب أو الفضة.

(٤) قال ابن إسحاق: مِن بني بكر بن وائل، وقال محمد بن عمر وابن سعد وابن هشام: مِن بني عجل، وزاد ابن هشام: حليف لبني سهم، والحليف هو المعاهد.

بالقَرْدة، فأصابوا العِير وأُفْلِتَ أعيان القوم، وأَسَروا رجلين أو ثلاثة. وقَدِموا بالعِير علىٰ رسول الله ﷺ فخمّسها، فبلغ الخُمُس قيمة عشرين ألف درهم، وقسّم الباقي علىٰ أهل السريّة.

وكان في الأسارى فُرات بن حيّان، وكان أُسِرَ يوم بدر فأَفْلَتَ علىٰ قدميه، فكان الناس عليه أَحْنَق شيء، وكان الذي بينه وبين أبي بكر حسناً، فقال له: أما آن لك أن تُقْصِر[1]؟ قال: إنْ أَفْلَتُّ مِنْ محمد هذه المرة لم أُفْلِتْ أبداً، فقال له أبو بكر: فأَسْلِمْ. فأَتَىٰ به رسول الله ﷺ فأَسْلَمَ، فَتَرَكَه ﷺ.

(١) مِنْ أَقْصَرَ عن الشيء إذا أمسك عنه مع القدرة عليه.

من سرايا السنة الرابعة من الهجرة
جبه
بقعاء
تيماء
قنا
الشمال
الشرق
الغرب
الجنوب
أجا وسلمى
المطلع
الحجر (ثمود)
جبل الطلما
السبعان
العلا
طيء
غزالة
أرض
حفيرة العيدا
المكحول
قلعة زمرد
السليمي
حليفة
حنك
خيبر
عقلة الصقور
جبل طامية
نقرة
زيد بن حارثة الكلبي
أبو سلمة بن عبد الله الأسدي
القردة
جهينة
بواط
العيون
بنو النضير
الحناكية
بنو أسد
الغُشيرة
جبل رضوى
مسكة
المدينة النبوية
سوق سويق
ينبع
الأوس والخزرج
الحمراء
غطفان
بدر
بدر الموعد
عفيف
مهد الذهب
نجد
بنو سُليم
أم البرك
المنذر بن عمرو الأنصاري
مستورة
بحران
الدفينة
رابغ
بئر معونة
بنو المصطلق
ظلم
المويه
الحجاز
قضيمة
خليص
مرثد بن أبي مرثد الغنوي
دهبان
عسفان
الخرمة
الرجيع
بنو لحيان
عشيرة
هوازن
السيل الكبير
جدة
حداء
الحوية
مكة المكرمة
منى
نخلة
الطائف
ثقيف
قريش
ثربة
مستابة
الروضة
رنية
عمرو بن أمية الضمري
بحر القلزم (البحر الأحمر)
مقياس الرسم
صفر ٥٠ ١٠٠ ١٥٠كم
ازد السراة
الليث

١٠ - سرية أبي سلمة عبدالله بن عبد الأسد[١] إلىٰ قَطَن[٢]

[المحرم ٤هـ]

كانت هذه السرية في أول المحرم علىٰ رأس خمسة وثلاثين شهراً من مهاجَره ﷺ.

وسببها أن رجلاً مِنْ طَيِّء اسمه الوليد بن زهير بن طريف، قَدِمَ المدينة زائراً ابنة أخيه زينب، وكانت تحت طُلَيْب بن عمير بن وهب، فَأَخْبَرَه أنَّ طُلَيْحة وسَلَمة ابني خويلد تركهما قد سارا في قومهما ومَنْ أطاعهما بِدَعْوَتهما إلىٰ حرب رسول الله ﷺ يُريدون أن يدنوا للمدينة، فنهاهم قيس بن الحارث بن عمير - رجل منهم - فقال: يا قوم، واللهِ ما هذا برأي، ما لنا قِبَلهم وِتْر[٣]، وما هم نُهْبة لِمُنْتَهِب، إنَّ دارنا لبعيدة من يثرب، وما لنا جَمْع كجمع قريش، مكثتْ قريش دهراً تسير في العرب تَسْتَنْصِرها ولهم وِتْر يطلبونه، ثم ساروا قد امتطوا الإبل وقادوا الخيل، وحملوا السلاح مع العدد الكثير، ثلاثة آلاف مقاتل سوى أتباعهم، وإنما جُهْدكم أن تخرجوا في ثلاثمائة رجل إنْ كَمُلوا، فتُغَرِّرون بأنفسكم وتخرجون من بلدكم، ولا آمَنُ أنْ تكون الدَّبْرة عليكم. فَعَصَوْه.

فلما بلغ ذلك رسولَ الله ﷺ، دعا أبا سلمة رضي الله عنه وقال: اخْرُجْ في هذه السرية فقد اسْتَعْمَلْتُك عليها، وعقد له لواء وقال: سِرْ حتىٰ تَرِدَ أرض بني أَسَد بن خزيمة، فأَغِرْ عليهم قبل أن تلاقىٰ عليكم جموعهم. وأَوْصاه بتقوى الله تعالىٰ، وبِمَنْ معه مِنَ المسلمين خيراً.

فخرج معه في تلك السرية خمسون ومائة رجل، ومعه الرجل الطائي دليلاً. فأَغَذَّ السير ونَكَّب بهم عن سَنَن الطريق، وسار بهم ليلاً ونهاراً، فسبقوا الأخبار وانتهوا إلىٰ أدنىٰ قَطَن، فأغاروا علىٰ سَرْح لهم فضمّوه، وأخذوا رِعاءً لهم مَماليكَ ثلاثة. وأفلت

---

(١) ابن هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي، وأمه بَرّة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، فهو ابن عمة النبي ﷺ.

(٢) هو جبل بنجد من بلاد بني أسد، علىٰ يمينك إذا فارقتَ الحجاز وأنت صادر من النقرة. وقال ابن إسحاق: ماء من مياه بني أسد بنجد، وهو الذي كان عليه جَمْعهم.

(٣) الوِتْر: الجناية التي يجنيها الرجل علىٰ غيره مِن قَتْلٍ أو نَهْبٍ أو سَبْيٍ.

سائرهم، فجاءوا جَمْعهم فأخبروهم الخبر، وحذّروهم جمع أبي سلمة، وكثّروه عندهم. فتفرّق الجمع في كل وجه، ووَرَدَ أبو سلمة الماء فَيَجِدُ الجمع قد تفرّق، فعسكر وفرّق أصحابه في طلب النَّعَم والشاء، فجعلهم ثلاث فِرَق: فرقة أقامت معه، وفرقتان أغارتا في ناحيتين شتّىٰ، وأَوْعَزَ إليهما ألاّ يُمْعِنوا في الطلب، وألاّ يُبَيِّتوا إلاّ عنده إنْ سَلِموا، وأَمَرَهم ألاّ يفترقوا. واستعمل علىٰ كل فرقة عاملاً منهم، فآبوا إليه جميعاً سالمين، قد أصابوا إبلاً وشاء، ولم يَلْقَوا أحداً. فانحدر أبو سلمة بذلك كله راجعاً إلىٰ المدينة، ورجع معه الطائي.

فلما ساروا ليلة قسم أبو سلمة الغنائم، وأخرج صفيّ رسول الله ﷺ عبداً، وأخرج الخُمُس، وأعطىٰ الطائي الدليل رضاه من الغنم، ثم قسم ما بقي بين أصحابه، فأصاب كل إنسان سبعة أبعرة، وقدم بذلك إلىٰ المدينة ولم يَلْقَ كيداً.

وذكر أبو عمر وأبو عبيدة أن مسعود بن عروة قُتِلَ في هذه السرية.

١١ - سرية عبدالله بن أُنَيس بن أسعد الجهني القضاعي الأنصاري السَّلَمي إلىٰ سفيان بن خالد بن نُبَيْح بعُرَنة[١]

[المحرم ٤هـ]

روى أبو داود بإسناد حسن والبيهقي وأبو نعيم عن عبدالله بن أُنَيْس رضي الله عنه، ومحمد بن عمر عن شيوخه، والبيهقي وأبو نعيم عن موسىٰ بن عقبة عن ابن شهاب وعن عروة، قال شيوخ محمد بن عمر: خرج عبدالله بن أُنَيْس من المدينة يوم الإثنين لخمس خَلَوْن من المحرم، علىٰ رأس خمسة وثلاثين شهراً[٢] مِن مهاجَره ﷺ.

قالوا - واللفظ لمحمد بن عمر -: بَلَغَ رسولَ الله ﷺ أن سفيان بن خالد بن نُبَيْح الهُذَلي ثم اللِّحْياني، وكان ينزل عُرَنة وما والاها في أُناس مِن قومه وغيرهم، يريد أن يجمع

---

(١) هو وادي عرفة، وفيه جزء مِن مقدمة مسجد عرفة.

(٢) وروى الواقدي في المغازي عن عبدالله بن أُنَيس قال: خرجت من المدينة يوم الإثنين لخمس خلون من المحرم علىٰ رأس أربعة وخمسين شهراً، أي في السنة السادسة.

الجموع إلىٰ رسول الله ﷺ، فضَوَى إليه بَشَرٌ كثير مِن أَفْناء الناس.

قال عبدالله بن أُنَيْس رضي الله عنه: دعاني رسول الله ﷺ فقال: إنه بلغني أن سفيان بن خالد بن نُبَيْح يجمع لي الناس ليغزوني وهو بنخلة - أو بعُرَنة -، فائْتِهِ فاقْتُلْهُ. فقلت: يا رسول الله، صِفْه لي حتىٰ أعرفه. فقال: آيةُ ما بينك وبينه أنك إذا رأيتَه هِبْتَه وفَرِقْتَ منه، ووجدتَ له قُشَعْرِيرة، وذَكَرْتَ الشيطان. قال عبدالله: وكنت لا أهاب الرجال، فقلت: يا رسول الله، ما فرقتُ مِن شيء قط. فقال ﷺ: بلىٰ، آيةُ ما بينك وبينه ذلك، أنْ تجد له قُشَعْرِيرة إذا رأيتَه. قال: واستأذنتُ رسول الله ﷺ أنْ أقول، فقال: قُلْ ما بدا لك، وقال: انْتَسِبْ لخزاعة.

فأخذتُ سيفي ولم أَزِدْ عليه، وخرجتُ أَعْتَزِي لِخزاعة، حتىٰ إذا كنتُ ببطن عُرَنة لَقِيتُهُ يمشي ووراءه الأحابيش[1]، فلما رأيتُه هِبْتُه، وعرفتُه بالنَّعت الذي نعت لي رسول الله ﷺ، فقلت: صدق الله ورسوله. وقد دخل وقتُ العصر حين رأيته، فصَلَّيْتُ وأنا أمشي أُومِئُ برأسي إيماءً، فلما دَنَوْتُ منه قال: مَن الرجل؟ فقلت: رجل من خزاعة، سمعتُ بجمعك لمحمد فجئتك لأكون معك عليه. قال: أجل، إني لَفِي جَمْعٍ له، فمشيتُ معه وحدّثتُه، فاسْتَحْلَىٰ حديثي، وأنشدته وقلت: عَجَباً لِما أَحْدَثَ محمد مِن هذا الدين المُحْدَث، فارق الآباء، وسفّه الأحلام. قال: لم أَلْقَ أحداً يُشْبِهُني ولا يُحسن قتالَه، وهو يتوكّأ علىٰ عصا يَهُدُّ الأرض، حتىٰ انتهىٰ إلىٰ خِبائه تفرّق عنه أصحابه إلىٰ منازل قريبة منه وهم يُطيفون به، فقال: هَلُمَّ يا أخا خزاعة، فدنوتُ منه، فقال: اجلس، فجلستُ معه حتىٰ إذا هدأ الناس ونام اغْتَرَرْتُه.

وفي أكثر الروايات أنه قال: فمشيتُ معه حتىٰ إذا أَمْكَنَني، حملتُ عليه السيف فقتلتُه وأخذتُ رأسه، ثم أقبلت فصعدت جبلاً، فدخلت غاراً، وأقبل الطلب مِنَ الخيل والرجال تَوَزَّعُ في كل وجه، وأنا مُكْتَمِنٌ في الغار، وضَرَبَتِ العنكبوت علىٰ الغار، وأقبل رجل معه إداوته ونعله في يده وكنتُ خائفاً، فوضع إداوته ونعله وجلس يبول قريباً من فم الغار،

---

(١) هم أحياء مِنَ القارّة انضموا إلىٰ بني ليث في مُحارَبَتِهم قريشاً، والتَّحَبُّش هو التَّجَمُّع. وقيل: حالفوا قريشاً تحت جبل يسمىٰ حُبَيْشاً. وفي ابن هشام: تحالفوا جميعاً بوادٍ يقال له: الأحابيش بأسفل مكة؛ فسُمُّوا الأحابيش.

ثم قال لأصحابه: ليس في الغار، فانْصَرَفوا راجعين. وخرجتُ إلىٰ الإداوة فشربتُ ما فيها، وأخذت النعلين فلبستهما، فكنت أسير الليل وأَكْمن النهار حتىٰ جئتُ المدينة، فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد، فلما رآني قال: أفلح الوجه، فقلت: وأفلح وجهك يا رسول الله. فوضعت الرأس بين يديه وأخبرته خبري، فدفع إليّ عصا وقال: تَخَصَّر بها في الجنة، فإن المُتَخَصِّرين في الجنة قليل.

فكانت العصا عند عبدالله بن أُنَيْس، حتىٰ إذا حَضَرَتْه الوفاة أَوْصَىٰ أهله أن يُدرجوا العصا في أكفانه، ففعلوا ذلك.

قال ابن عقبة: فيزعمون أن رسول الله ﷺ أخبر بقتل عبدالله بن أُنَيْس سفيانَ بن خالد قبل قدوم عبدالله بن أنيس رضي الله عنه.

١٢- سرية الرجيع

[صفر ٤هـ] (١)

ولقد اختُلف في سببها، وفي عدد رجالها.

فقال أبو هريرة رضي الله عنه كما في صحيح البخاري، وعروة بن عقبة كما في البيهقي: إن رسول الله ﷺ بعث عشرة عيوناً إلىٰ مكة ليأتوا بخبر قريش، فسلكوا علىٰ النجدية حتىٰ كانوا بالرجيع، فاعترضتْ لهم بنو لِحيان.

مكان ماء الرجيع

(١) وذكر ابن هشام في السيرة النبوية أنها كانت في السنة الثالثة من الهجرة.

وجزم ابن سعد في طبقاته بأنهم عشرة، وسَمّىٰ منهم سبعة وهم: عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، ومَرْثَد بن أبي مرثد الغَنَوي[١]، وعبدالله بن طارق حليف بني ظفر، وخُبيب بن عدي أحد بني جَحْجَبَىٰ بن كُلفة بن عمرو بن عوف، وزيد بن الدَّثِنّة بن معاوية أخو بني بياضة بن عمرو بن زُرَيق، وخالد بن البُكَير الليثي، ومُعَتِّب بن عُبيد ويقال: ابن عوف، وهو أخو عبدالله بن طارق لأمه.

وقال ابن عمر نقلاً عن شيوخه: مَشَتْ بنو لحيان مِن هُذَيل بعد قَتْل سفيان بن خالد بن نُبَيْح الهُذَلي إلىٰ عَضَل والقارة وهما حيّان من خزيمة، فجعلوا لهم فرائض علىٰ أن يَقْدَموا علىٰ رسول الله ﷺ فيُكلموه، فيُخْرِجُ إليهم نفراً من أصحابه يدعونهم إلىٰ الإسلام، قالوا: فنَقْتُلُ مَنْ أَرَدْنا، ونسير بهم إلىٰ قريش بمكة فنصيب بهم ثمناً، فإنه ليس شيء أحبّ إليهم مِنْ أن يُؤْتَوْا بأحد من أصحاب محمد، يُمَثِّلون به ويقتلونه بمَنْ قُتِلَ منهم ببدر.

فقدم سبعة نفر من عَضَل والقارة مُقِرِّين بالإسلام، فقالوا: يا رسول الله، إن فينا إسلاماً فاشياً، فابعث معنا نفراً من أصحابك يُقْرِئُوننا القرآن، ويُفَقِّهوننا في الإسلام. فبعث معهم رسول الله ﷺ سبعة نفر، وأَمَّرَ عليهم مَرْثَد بن أبي مَرْثد.

ويقال: عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، وهو الصحيح كما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فخرجوا مع القوم حتىٰ إذا كانوا بالهَدّة[٢] بين عُسفان ومكة، قال أبو هريرة وعروة بن عقبة: فغدروا بهم، فنفروا لهم.

وفي لفظ: فاسْتَصْرَخوا عليهم قريباً مِن مائة رامٍ.

وفي رواية في الصحيح في باب الجهاد: فنفروا لهم قريباً من مائتي رجل.

والجمع واضح بأن تكون المائة الأخرى غير رماة.

---

(١) أبو مرثد هنا هو كنّاز بن حصين بن يربوع بن طريف الغنوي.

(٢) وفي رواية: بالهَدْأة.

وذكر أبو معشر[١] في مغازيه أن الصحابةﷺ نزلوا بالرجيع سَحَراً، فأكلوا تمر عجوة، فسقط نواه في الأرض، وكانوا يسيرون الليل ويكمنون النهار. فجاءت امرأة مِن هُذَيل ترعىٰ غنماً فرأت النُّوِيَّ، فأنكرت صِغَرَهُنّ وقالت: هذا تمر يثرب، فصاحتْ في قومها قد أُوتِيتُم. فاقْتَصُّوا آثارَهم حتىٰ نزلوا منزلاً فوجدوا فيه نوى تمرٍ تَزَوَّدُوه من المدينة، فجاءوا في طلبهم فوجدوهم قد ركنوا في الجبل، فلم يُرَع القوم إلاّ بالرجال بأيديهم السيوف قد غَشوهم. فلما أحسّ بهم عاصم وأصحابه لجؤوا إلىٰ فَدْفَد[٢] من الأرض بوادٍ يقال له: غُران[٣]، وجاء القوم وأحاطوا بهم فقالوا: لكم العهد والميثاق إنْ نزلتم إلينا أن لا نقتل منكم رجلاً، إنّا والله لا نريد قَتْلَكم، إنما نريد أن نصيب منكم شيئاً من أهل مكة. فقال عاصم: أمّا أنا فلا أنزل في ذمة كافر، اللهم إني أَحْمِي لك اليوم دِينَك فاحْمِ لي لحمي، اللهم أَخْبِرْ عنا رسولك.

قال إبراهيم بن سعد كما رواه أبو داود الطيالسي: فاستجاب الله تعالىٰ لعاصم، فأُخْبِرَ رسول اللهﷺ خَبَرَه وخبر أصحابه يومَ أُصِيبوا.

وفي حديث أبي هريرةﷺ كما في الصحيح: وأُخْبِرَ رسول اللهﷺ يومَ أُصِيبوا خبرهم، فقاتلوهم فرَمَوْهم حتىٰ قَتَلوا عاصماً في سبعة نفر بالنَّبْل، وبقي خبيب وزيد وعبدالله بن طارق كما عند ابن إسحاق.

---

(١) هو أبو معشر نجيح بن عبد الرحمن السِّندي، ذكره ابن قتيبة في كتابه المعارف ص٢٢٠ قال: أبو معشر مِن بين أصحاب الحديث، كان مُكاتباً لامرأة من بني مخزوم، فأدّى وعُتِقَ، واشترتْ أم موسىٰ بنت منصور الحمرية ولاءه، ومات ببغداد سنة سبعين ومائة. وفي كتاب ميزان الاعتدال للذهبي ج٤ ص٢٤٦-٢٤٨: أنه ضعيف منكر الحديث، ولكنه مع ضعفه يُكتب حديثه. وقال الإمام أحمد: كان بصيراً بالمغازي. وفي الفهرست لابن النديم ص١٣٦: كان عارفاً بالأحداث والسِّيَر، وأحد المحدثين. وفي السيرة النبوية القديمة بقلم هوروفتز التي ترجمها نصّار بعنوان المغازي الأولىٰ (طبعة القاهرة ١٩٤٩م) قال: فَصْلٌ عن أبي معشر السندي، جاء فيه أنه توجد قطع من كتاب المغازي لأبي معشر في مغازي الواقدي، وأن ابن سعد ذكره في قائمة مَنْ روى له المغازي وتراجم الصحابة، وكذلك يظهر اسمه في الفصول الخاصة بأعوام النبيﷺ الأولىٰ عند ابن سعد والطبري.

(٢) وفي لفظ: فَرْدَد، وهو الموضع المرتفع من الأرض كأنهم تحصّنوا به، ويقال أيضاً للأرض المستوية.

(٣) هو موضع بناحية عسفان ينزله بنو سراقة بن معتمر، وقال ابن إسحاق: هو وادٍ بين أمج وعسفان، وهو منازل بني لِحيان.

قال ابن إسحاق وغيره: فلما قُتِلَ عاصم أرادت هُذَيل أَخْذَ رأسه ليبيعوه مِن سُلافة بنت سعد بن شُهَيْد[١]، وكانت قد نذرت حين قَتَلَ عاصمُ بن ثابت ابنيها مُسافع والجُلاس ابني طلحة بن أبي طلحة العبدري يوم أُحُد، لئن قدرتْ علىٰ رأس عاصم لتشربن الخمر في قِحْفه، وجعلتْ لِمَنْ جاء به مائة ناقة، فمَنَعَتْهُ الدَّبْر.

وفي حديث أبي هريرةﷺ في صحيح البخاري: وبعثت قريش إلىٰ عاصم ليُؤْتَوْا بشيء مِن جسده يعرفونه، وكان عاصم قَتَلَ عظيماً من عظمائهم يوم بدر.

قال الحافظ: لعله عقبة بن أبي مُعَيْط، فإن عاصماً قَتَلَه صبراً[٢] بإذن رسول اللهﷺ بعد أن انصرفوا من بدر، وكأنّ قريشاً لم تشعر بما جرى لهذيل من مَنْع الدَّبْر لها مِن أَخْذِ رأس عاصم، فأرسلتْ مَن يأخذه. أو عرفوا بذلك ورَجَوْا أن تكون الدَّبْر تَرَكَتْهُ، فيَتَمَكَّنوا مِنْ أَخْذِه.

فبعث الله عليه مِثْلَ الظُّلَّة من الدَّبْر يطير في وجوههم ويلدغهم، فحَمَته مِنْ رُسُلهم فلم يقدروا منه علىٰ شيء. فلما حالت بينهم وبينه قالوا: دَعُوه حتىٰ يُمْسي، فتذهب عنه فنأخذه. فبعث الله تبارك وتعالىٰ الوادي فاحتمله فذهب به. وكان عاصمﷺ قد أعطىٰ اللهَ عهداً ألاّ يمسَّ مشركاً ولا يمسَّه مشرك، فبَرَّ اللهﷻ قَسَمَه، فلم يَرَوْه ولا وصلوا منه إلىٰ شيء.

وكان عمر بن الخطابﷺ يقول حين بلغه خبره: يحفظ الله تبارك وتعالىٰ العبد المؤمن بعد وفاته كما يحفظه في حياته.

قال: وصعد خبيب وزيد وعبدالله الجبل فلم يقدروا عليهم، حتىٰ أعطوهم العهد والميثاق فنزلوا إليهم، فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قِسِيِّهم فربطوهم بها، فقال عبدالله بن طارق: هذا أول الغدر، والله لا أصحبكم، إنّ لي بهؤلاء القتلىٰ أُسْوة. فجرَّروه وعالجوه علىٰ أن يصحبهم، فلم يفعل فقتلوه[٣].

---

(١) وأسلمت بعد ذلك.

(٢) هذه رواية ابن إسحاق التي أوردها ابن هشام في ج٢ ص٢٨٧، ولكنّ ابن هشام أضاف قائلاً: ويقال: قَتَلَه علي بن أبي طالب فيما ذكر لي ابن شهاب الزهري وغيره من أهل العلم. انظر أيضاً إمتاع الإسماع للمقريزي ج١ ص٩٨.

(٣) كذا في صحيح البخاري ج٤ ص١٤٩٩.

وفي رواية ابن سعد: وخرجوا بالنفر الثلاثة حتىٰ إذا كانوا بمرّ الظهران، انتزع عبدالله بن طارق يده من القِران[١] وأخذ سيفه، واسْتَأْخَرَ عنه القومُ فرَمَوْه بالحجارة حتىٰ قتلوه، فقبره بمرّ الظهران.

وعند ابن إسحاق: وأما زيد بن الدَّثِنّة وخُبيب بن عدي وعبدالله بن طارق فلانوا ورقّوا، ورغبوا في الحياة، فأعطوا بأيديهم فأسروهم، ثم خرجوا بهم إلىٰ مكة ليبيعوهم بها، حتىٰ إذا كانوا بالظهران انتزع عبدُالله بن طارق يده من القِران، ثم أخذ سيفه واستأخر عنه القوم، فرموه بالحجارة حتىٰ قتلوه، فقبره بالظهران. وانطلقوا بزيد وخُبَيب فباعوهما بمكة.

قال ابن هشام: باعوهما بأَسِيرَيْن مِن هُذَيل كانا بمكة.

وقال محمد بن عمر الواقدي: بِيع الأول بمثقالٍ ذهباً[٢]، ويقال: بخمسين فريضة. وبِيعَ الثاني بخمسين فريضة، ويقال: اشترك فيه ناس من قريش.

ودخلوا بهما في شهر حرام في ذي القعدة، فحبسوهما حتىٰ خرجت الأشهر الحرم.

أما زيد بن الدثنة، فقال ابن إسحاق وابن سعد: فاشترى زيداً صفوان بن أمية[٣] ليقتله بأبيه أمية بن خلف، وحبسه عند ناس مِن بني جُمَح، ويقال: عند نِسْطاس غلامه. فلما انسلخت الأشهر الحرم بعثه صفوان مع غلامه نِسْطاس إلىٰ التنعيم، وأخرجه من الحرم ليقتله، واجتمع رهط من قريش منهم أبو سفيان بن حرب، فقال أبو سفيان حين قُدِّم ليُقْتَلَ: أنشدك الله يا زيد، أتحب أن محمداً عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك؟ قال: والله ما أُحِبُّ أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأني جالس في أهلي. فقال أبو سفيان: ما رأيتُ من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً، ثم قَتَلَه نِسْطاس.

---

(١) أي الرباط.

(٢) في النسخة المطبوعة من مغازي الواقدي في القاهرة سنة ١٩٤٨م ص٢٧٨: إنّ خبيباً ابتاعه حُجَيْر بن أبي إهاب بثمانين مثقالاً ذهباً. مع أن ما نقله صاحب السيرة الشامية عن الواقدي أورده الزرقاني في شرحه عن المواهب ج٢ ص٦٨.

(٣) وأسلم بعد ذلك.

وأما خبيب بن عدي، فروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرةرضي الله عنه قال: فاشترى خبيباً بنو الحارث بن عامر بن نوفل، وكان خبيب هو قَتَلَ الحارث يوم بدر. فمكث عندهم أسيراً حتىٰ إذا أَجْمَعوا قَتْلَه، اسْتَعار مُوسَىٰ مِنْ بعض بنات الحارث لِيَسْتَحِدَّ بها، فأَعارَتْهُ. قالت: فغَفَلْتُ عن صبي لي، فدرج إليه حتىٰ أتاه فوضعه علىٰ فخذه، فلما رأيتُه فزعتُ فزعة عَرَفَ ذاك مني وفي يده الموسىٰ، فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنتُ لأفعل ذلك إن شاء الله.

وكانت تقول: ما رأيتُ أسيراً قط خيراً من خُبَيب، لقد رأيتُه يأكل من قطف عنب وما بمكة يومئذ ثمرة، وإنه لَمُوثق في الحديد، وما كان إلاّ رِزْق رَزَقَه الله.

قال: فخرجوا به من الحرم ليقتلوه، فقال: دَعُوني أُصَلّي ركعتين، ثم انْصَرَفَ إليهم فقال: لولا أنْ تَرَوْا أنَّ ما بي جزع من الموت لَزِدْتُ، فكان أولَّ مَنْ سَنَّ الركعتين عند القتل هو. ثم قال: اللهم أَحْصِهم عدداً، ثم قال:

ولستُ أُبالي حين أُقْتَلُ مسلماً ... علىٰ أي شِقٍّ كان لله مَصْرَعي

وذلك في ذات الإله وإنْ يَشَأْ ... يُبارِكْ علىٰ أَوْصال شِلْوٍ مُمَزَّعِ

ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله.

وروى الإمام أحمد عن عمرو بن أمية بن خويلد الضمري[1] أن رسول الله ﷺ بعثه وحده عيناً إلىٰ قريش، قال: فجئت خشبة خبيب وأنا أتخوّف العيون، فرقيتُ فيها، فَحَلَلْتُ خبيباً فوقع إلىٰ الأرض، فانتبذتُ غير بعيد فسمعتُ وَجْبَةً خلفي، فالْتَفَتُّ فلم أَرَ خبيباً وكأنما ابتلعته الأرض، فلم أَرَ لخبيب أثراً حتىٰ الساعة.

وفي رواية في كتاب اللطائف عن الضحاك رحمه الله تعالىٰ أن المشركين تركوا خبيباً علىٰ الخشبة؛ لِيَراه الوارد والصادر فيذهب بخبره إلىٰ الأطراف. ولَمّا بلغ النبي ﷺ الخبر قال: أيّكم يختزل خبيباً عن خشبته وله الجنة؟ قال الزبير بن العوام: أنا يا رسول الله وصاحبي المقداد بن الأسود. فخرجا من المدينة يمشيان، يسيران بالليل ويكمنان بالنهار،

---

(١) قال ابن الأثير في ترجمته في أسد الغابة ج٤ ص٨٦: كان رسول الله ﷺ يبعثه في أموره، وكان مِن أنجاد العرب ورجالها نجدة وجراءة.

حتىٰ أتيا التنعيم ليلاً، وإذا حول الخشبة أربعون من المشركين نيام نشاوى، فأنزلاه فإذا هو رطب يَتَثَنَّىٰ، لم يتغيّر منه شيء بعد أربعين يوماً، ويده علىٰ جراحته وهي تَبُصُّ دماً، اللون لون الدم والريح ريح المسك. فحمله الزبير علىٰ فرسه وسار، فانتبه الكفار وقد فقدوا خبيباً، فأخبروا قريشاً فركب منهم سبعون رجلاً، فلما لحقوا بهما قذف الزبير خبيباً فابتلعته الأرض، فسُمِّيَ بليع الأرض.

وذكر القيرواني في (حُلىٰ العَلِيِّ) أن خبيباً لَمّا قُتِلَ جعلوا وجهه إلىٰ غير القبلة، فوجدوه مستقبلاً لها، فأداروه مراراً ثم عجزوا فتركوه.

وذكر ابن عقبة أن زيداً وخبيباً قُتِلا في يوم واحد، وأنَّ رسول الله ﷺ سُمعَ يوم قُتِلا وهو يقول: وعليكما السلام.

وكان مِمّا نزل من القرآن في تلك السرية كما قال ابن إسحاق بسنده إلىٰ ابن عباس رضي الله عنهما قال: لَمّا أُصِيبت السرية التي كان فيها مَرْثد وعاصم بالرجيع، قال رجال من المنافقين: يا ويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا، لا هم قعدوا في أهليهم، ولا هم أَدَّوْا رسالة صاحبهم! فأنزل الله تعالىٰ في ذلك من قول المنافقين، وما أصاب أولئك النفر من الخير بالذي أصابهم، فقال سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۚ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾ [البقرة].

١٣ - سرية المنذر بن عمرو الساعدي إلىٰ بئر معونة[1] (سرية القراء)

[صفر ٤هـ]

قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ بقية شوال وذا القعدة وذا الحجة والمحرم، ثم

(١) هي بين أرض بني عامر وحَرّة بني سُلَيْم، كِلا البلدين منها قريب، وهي إلىٰ حَرّة بني سُلَيم أقرب. وبعض العلماء يُقَدِّم هذه السرية علىٰ سرية الرجيع والله أعلم.

بعث أصحاب بئر معونة في صفر علىٰ رأس أربعة أشهر مِن أُحُد.

وكان مِنْ حديثهم كما قال أهل العلم: قَدِمَ أبو براء عامر بن مالك بن جعفر مُلاعب الأسنّة علىٰ رسول الله ﷺ المدينة، فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام ودعاه إليه، فلم يُسلم ولم يَبْعُد من الإسلام، وقال: يا محمد، لو بعثتَ رجالاً من أصحابك إلىٰ أهل نجد فدَعَوْهم إلىٰ أَمْرِكَ لَرَجَوْتُ أنْ يستجيبوا لك. فقال رسول الله ﷺ: إني أخشىٰ عليهم أهل نجد، قال أبو براء: أنا لهم جار، فابْعَثْهُم فليَدْعُوا الناس إلىٰ أَمْرِك.

فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو أخا بني ساعدة المُعْنِق لِيَموت[1] في أربعين رجلاً[2] من أصحابه من خيار المسلمين يُسَمَّوْن بالقُرّاء[3]، منهم: الحارث بن الصِّمة، وحرام بن مِلحان أخو بني عدي بن النجار، وعروة بن أسماء بن الصَّلت السُّلَمي، ونافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي، وعامر بن فهيرة مولىٰ أبي بكر الصديق، في رجال مُسَمَّيْن مِن خِيار المسلمين. فساروا حتىٰ نزلوا ببئر معونة.

وفي رواية: عسكروا بها وسرّحوا ظهرهم مع عمرو بن أمية الضمري والحارث بن الصمة، فيما ذكره أبو عمر.

وذكر ابن إسحاق وتبعه ابن هشام بدل الحارث: المنذرَ بن محمد بن عقبة بن أُحَيْحة.

قال ابن إسحاق: فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله ﷺ إلىٰ عدو الله عامر بن الطفيل، فلما أتاه لم ينظر في كتابه حتىٰ عدا علىٰ الرجل فقتله، ثم استصرخ

---

(١) قال صاحب أُسْد الغابة: شهد المنذر بن عمرو العقبة وبدراً وأُحُداً، وهو المعروف بالمُعْنِق لِيَموت، لَقَّبه به رسول الله ﷺ لَمّا بلغه ما فعله في بئر معونة حين قُتِلَ أصحابه ولم يَبْقَ غيره، فأمّنوه فأبىٰ أن يقبل أمانهم، وقاتلهم حتىٰ قُتِلَ، فقال رسول الله ﷺ: أَعْنَقَ لِيَموت، أي أَسْرَعَ إلىٰ مَنِيَّتِه.

(٢) الصحيح أنهم كانوا سبعين رجلاً، راجع البخاري ومسلم والروض وشرح المواهب.

(٣) كانوا من الأنصار، وكانوا إذا أَمْسَوْا أَتَوْا ناحيةً من المدينة إلىٰ مُعَلِّمٍ لهم، فتدارسوا القرآن وصلُّوا، حتىٰ إذا كان وجه الصبح استعذبوا من الماء، وحطبوا من الحطب، فجاءوا به إلىٰ حُجَر أصحاب رسول الله ﷺ. وفي رواية أخرى: ومَن كان عنده سعة اجتمعوا واشتروا الشاة فأصلحوها، فيصبح ذلك مُعَلّقاً بحُجَر أزواج رسول الله ﷺ، فكان أهلوهم يظنون أنهم في المسجد، وكان أهل المسجد يظنون أنهم في أهليهم. وقيل: كانوا يحتطبون فيبيعونه، ويشترون به الطعام لأهل الصفة وللفقراء.

عليهم بني عامر، فأَبَوْا أن يجيبوه إلىٰ ما دعاهم إليه وقالوا: لن نُخْفِر[١] أبا براء، وقد عقد لهم عقداً وجِواراً. فاستصرخ عليهم قبائل من بني سُلَيْم: عُصيّة ورِعْلاً وذَكْوان، فأجابوه إلىٰ ذلك، فخرجوا حتىٰ غَشُوا القومَ فأحاطوا بهم في رحالهم، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم ثم قاتلوهم حتىٰ قُتِلوا مِن عند آخرهم، إلاّ كعب بن زيد أخا دينار بن النجار، فإنهم تركوه وبه رمق، فارتُثّ[٢] من بين القتلىٰ، فعاش حتىٰ قُتِلَ يوم الخندق شهيداً.

وكان في سرح القوم كما قدّمنا عمرو بن أمية الضمري، ورجل من الأنصار أحد بني عمرو بن عوف.

قال ابن هشام: هو المنذر بن محمد بن عقبة بن أُحَيحة بن الجُلاح.

قال ابن إسحاق: فلم يُنْبِئْهُما بمُصاب أصحابهما إلاّ الطير تحوم علىٰ العسكر، فقالا: واللهِ إن لهذه الطير لَشأناً. فأَقْبَلا لِيَنْظُرا، فإذا القوم في دمائهم، وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة، فقال الأنصاري لعمرو بن أمية: ما ترى؟ قال: أرى أن نلحق برسول الله ﷺ فنخبره الخبر، فقال الأنصاري: لكني ما كنتُ لأرغب بنفسي عن موطن قُتِلَ فيه المنذر بن عمرو، وما كنتُ لِتُخبرني عنه الرجال. ثم قاتل القومَ حتىٰ قُتِلَ، وأخذوا عمرو بن أمية أسيراً، فلما أخبرهم أنه مِنْ مُضَر أَطْلَقَه عامر بن الطفيل وجزّ ناصيته، وأَعْتَقَه عن رقبة زعم أنها كانت علىٰ أمه.

فخرج عمرو بن أمية حتىٰ إذا كان بالقَرْقرة[٣] من صدر قناة[٤]، أَقْبَلَ رجلان من بني عامر حتىٰ نزلا معه في ظل هو فيه، وكان مع العامِرِيَّيْن عَقدٌ مِن رسول الله ﷺ وجِوارٌ لم يَعْلَمْ به عمرو بن أمية، وقد سألهما حين نزلا: مِمَّنْ أنتما؟ فقالا: مِن بني عامر، فأَمْهَلَهُما حتىٰ إذا ناما عَدَا عليهما، فقتلهما وهو يرى أنه قد أصاب بهما ثُؤرةً[٥] مِن بني عامر فيما

---

(١) أي ننقض العهد.

(٢) يقال: ارْتُثَّ الرجل من معركة الحرب، إذا رُفِعَ منها وبه بقية حياة.

(٣) هي قرقرة الكدر، موضع بناحية المعدن بينه وبين المدينة ثمانية برد كما في معجم البلدان.

(٤) هو وادٍ يأتي من الطائف ويصب في قرقرة الكدر كما قال صاحب معجم البلدان.

(٥) الثُّؤْرة بمعنىٰ الثأر.

أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ. فلما قدم عمرو بن أمية علىٰ رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، قال رسول الله ﷺ: لقد قَتَلْتَ قتيلين لأَدِيَنَّهما. ثم قال رسول الله ﷺ: هذا عمل أبي براء، قد كنت لهذا كارهاً مُتَخَوّفاً.

فبلغ ذلك أبا براء، فشقّ عليه إخفار عامر إيّاه، وما أصاب أصحاب رسول الله ﷺ بسببه وجواره.

وكان فيمن أُصِيبَ عامر بن فهيرة.

قال ابن إسحاق: فحدثني هشام بن عروة عن أبيه أن عامر بن الطفيل كان يقول: مَنْ رجل منهم لَمّا قُتِلَ رأيتُه رُفِعَ بين السماء والأرض حتىٰ رأيت السماء من دونه؟ قالوا: هو عامر بن فهيرة.

وقال ابن إسحاق: وقد حدثني بعض بني جَبّار بن سلمىٰ بن مالك بن جعفر قال: وكان جبّار فيمن حضرها يومئذ مع عامر ثم أَسْلَمَ، فكان يقول: إنَّ مِمّا دعاني إلىٰ الإسلام أني طعنت رجلاً منهم يومئذ بالرمح بين كتفيه، فنظرت إلىٰ سنان الرمح حين خرج من صدره، فسمعته يقول: فزتُ والله، فقلت في نفسي: ما فاز؟! ألستُ قد قتلتُ الرجل؟! قال: حتىٰ سألت بعد ذلك عن قوله فقالوا: للشهادة، فقلت: فاز لَعَمْرُ الله.

وفي رواية للبيهقي عن جبّار أنه قال لَمّا طَعَنْتُه: فزتُ ورب الكعبة، قلت في قلبي: ما معنىٰ قوله: فزتُ؟ أليس قد قتلتُه؟ قال: فأتيت الضحاك بن سفيان الكلابي[1]، فأخبرتُه بما كان وسألته عن قوله: (فزتُ)، فقال: بالجنة، فقلت: ففاز لَعَمْرُ الله. قال: وعرض عليَّ الإسلام فأسلمتُ، ودعاني إلىٰ الإسلام ما رأيتُ مِن مقتل عامر بن فهيرة مِن رفعه إلىٰ السماء علواً. وكتب الضحاك بن سفيان إلىٰ رسول الله ﷺ يخبره بإسلامي، وما رأيتُ مِن مقتل عامر بن فهيرة، فقال رسول الله ﷺ: إن الملائكة وارت جثته، وأُنزل مِنْ عِلِّيِّين[2].

---

(١) يُكَنّىٰ أبا سعيد، أَسْلَمَ وصَحِبَ النبي ﷺ، وولاّه رسول الله ﷺ علىٰ مَنْ أسلم مِن قومه، وكان من الشجعان الأبطال، يُعَدُّ وحده بمائة فارس كما ذكر ذلك صاحب أُسْد الغابة.

(٢) قال البيهقي: يُحتمل أنه رُفِعَ ثم وُضِعَ، ثم فُقِدَ بعد ذلك.

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت يُحَرِّض بني أبي براء علىٰ عامر بن الطفيل:

بَـــني أُمِّ البنـــين أَلَـــمْ يَرُعْكـــم وأنتـــمْ مِـــنْ ذَوائـــب أهـــل نجـــدِ
تَـــهَكُّمُ عـــامر بـــأبي بـــراءٍ لِيُخْفِـــرَه ومـــا خطـــأٌ كعَمْـــدِ
ألاَ أَبْلِـــغْ ربيعـــةَ ذا المســـاعي فمـــا أحدثـــتَ في الحَدَثـــان بَعْـــدي
أبـــوك أبـــو الحـــروب أبـــو بـــراء وخـــالُك مـــاجدٌ حَكَـــم بـــنُ سَـــعْدِ

قال ابن إسحاق: فحمل ربيعة بن عامر بن مالك علىٰ عامر بن الطفيل فطعنه بالرمح، فوقع في فخذه فأَشْواه[1]، ووقع عن فرسه فقال: هذا عمل أبي براء، إنْ أَمُتْ فدمي لعمي فلا يُتْبَعَنَّ به، وإنْ أَعِش فسأرى رأيي فيما أَتىٰ إليّ.

وروى البخاري ومسلم والإمام أحمد والبيهقي عن أنس، والبيهقي عن ابن مسعود، والبخاري عن عروة رضي الله عنه أن ناساً جاءوا إلىٰ رسول الله ﷺ فقالوا: ابعث معنا رجالاً يُعَلِّموننا القرآن والسنة، فبعث إليه سبعين رجلاً من الأنصار يقال لهم: القُرّاء، فتعرّضوا لهم وقتلوهم قبل أن يبلغوا المكان، قالوا: اللهم بَلِّغْ عنا نبينا[2] أنّا قد لَقيناك فَرَضينا عنك ورَضِيتَ عنا. فأَخْبَرَ جبريلُ رسول الله ﷺ بذلك، فقام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنىٰ عليه فقال: إنّ إخوانكم قد لقوا المشركين واقتطعوهم فلم يَبْقَ منهم أحد، وإنهم قالوا: ربنا بَلِّغْ قومنا أنّا قد رَضِينا ورُضِيَ عنا، وأنا رسولهم إليكم أنهم قد رَضُوا ورُضِيَ عنهم.

قال أنس: فكنا نقرأ: (أنْ بَلِّغوا قومنا عنا أنْ قد لَقِينا رَبَّنا فَرَضِيَ عنا وأَرْضانا)، ثم نُسِخَ بعد. فدعا رسول الله ﷺ أربعين صباحاً علىٰ رِعْل وذَكْوان وبني لِحيان وبني عُصَيّة، الذين عصوا الله ورسوله.

وفي رواية عن أنس في صحيح البخاري: فدعا عليهم رسول الله ﷺ شهراً في صلاة

---

(١) أي أخطأ مقتله.

(٢) وفي لفظ: إخواننا.

الغداة بعد القراءة[1]، وذلك بدل القنوت وما كنا نَقْنت.

وفي رواية الإمام أحمد قال أنسﷺ: فما رأيتُ رسول اللهﷺ وَجَدَ علىٰ شيء وَجْده عليهم، فلقد رأيت رسول اللهﷺ كلما صلّىٰ الغداة رفع يديه فدعا عليهم. فلما كان بعد ذلك، إذا أبو طلحة يقول: هل لك في قاتلِ حرام؟ قلت: ما له، فَعَلَ الله تعالىٰ به وفعل؟ قال: مهلاً فإنه قد أَسْلَم.

١٤- بعث عمرو بن أمية الضمري لقتل أبي سفيان بن حرب

قال ابن هشام: بعثه رسول اللهﷺ بعد مقتل خُبَيب بن عدي وأصحابه إلىٰ مكة، وأَمَرَه أن يقتل أبا سفيان بن حرب، وبعث معه جبّار بن صخر الأنصاري. فخرجا حتىٰ قدما مكة، وحَبَسا جَمَلَيْهما بشِعب مِن شعاب يَأْجَج، ثم دخلا مكة ليلاً، فقال جبّار لعمرو: لو أنّا طُفْنا بالبيت وصَلَّيْنا الركعتين؟ فقال عمرو: إنَّ القوم إذا تَعَشَّوْا جلسوا بأفنيتهم، وإنهم إنْ رَأَوْني عرفوني، فإني أُعرف بمكة مِن الفرس الأَبْلق. فقال: كلاّ إن شاء الله، فقال عمرو: فأَبَىٰ أن يطيعني.

قال عمرو: فطُفْنا بالبيت وصَلَّيْنا، ثم خرجنا نريد أبا سفيان، فوالله إنّا لنمشي بمكة إذ نظر إليّ رجل من أهل مكة فعرفني، فقال: عمرو بن أمية؟ واللهِ إنْ قَدِمها إلاّ لِشَرٍّ. فقلت لصاحبي: النَّجاء، فخَرَجْنا نشتدّ حتىٰ أَصْعَدْنا في جبل، وخرجوا في طلبنا. حتىٰ إذا عَلَوْنا الجبل يئسوا منا، فرجعنا فدخلنا كهفاً في الجبل، فبِتْنا فيه وقد أَخَذْنا حجارة فرَضَمْناها دوننا، فلما أصبحنا غدا رجل من قريش يقود فرساً له ويُخْلِي عليها، فغَشِيَنا ونحن في الغار فقلت: إنْ رآنا صاح بنا فأُخِذْنا فقُتِلْنا. قال: ومعي خنجر قد أَعْدَدْتُه لأبي سفيان، فأَخْرُجُ إليه فأَضْرِبُهُ علىٰ ثديه ضربة، وصاح صيحةً أَسْمَعَ أهلَ مكة، وأَرْجِعُ فأَدْخُلُ مكاني. وجاءه الناس يشتدّون وهو بآخر رمق، فقالوا: مَنْ ضربك؟ فقال: عمرو بن أمية، وغلبه الموت، فمات مكانه ولم يَدْلُلْ علىٰ مكاننا، فاحتملوه.

---

(١) وفي رواية: بعد الركوع.

قال: فقلت لصاحبي لَمّا أَمْسَيْنا: النَّجاء، فخرجنا ليلاً من مكة نريد المدينة، فمَرَرْنا بالحرس وهم يحرسون جِيفة خُبَيب بن عدي، فقال أحدهم: واللهِ ما رأيت كالليلة أشبه بمشية عمرو بن أمية، لولا أنه بالمدينة لقلت: هو عمرو بن أمية. قال: فلما حاذى الخشبة شدّ عليها، فأخذها فاحتملها، وخَرَجا شدّاً، وخرجوا وراءه حتىٰ أتىٰ جُرْفاً بمهبط مَسِيل يَأْجَج، فرمىٰ بالخشبة في الجُرف، فغَيَّبَه الله عنهم فلم يَقْدِروا عليه، وقلت لصاحبي: النَّجاء النَّجاء، حتىٰ تَأْتِيَ بعيرَك فتقعدَ عليه، فإني سأشغل عنك القوم. وكان الأنصاري لا رَجْلة له[١].

قال: ومضيتُ حتىٰ أَخْرُج علىٰ ضَجْنان[٢]، ثم أَوَيْتُ إلىٰ جبل فأَدْخُل كهفاً، فبَيْنا أنا فيه إذ دخل عليّ شيخ مِن بني الدِّيل أعور في غنيمة له، فقال: مَنِ الرجل؟ فقلت: مِنْ بني بكر، فمَنْ أنت؟ قال: مِنْ بني بكر، فقلت: مرحباً، فاضطجع ثم رفع عقيرته فقال:

ولستُ بمسلم ما دُمْتُ حَيّاً ... ولا دانٍ لِدِين المُسْلِمينا

فقلت في نفسي: سَتَعْلَمُ، فأَمْهَلْتُهُ حتىٰ إذا نام أخذتُ قوسي فجعلتُ سِيَتها[٣] في عينه الصحيحة، ثم تحاملتُ عليه حتىٰ بلغت العظم، ثم خرجتُ النجاءَ حتىٰ جئتُ العَرْج[٤]، ثم سلكتُ رَكُوبة[٥]، حتىٰ إذا هبطتُ النَّقِيع[٦] إذا رجلان من قريش من المشركين كانت قريش بَعَثَتْهُما عَيْناً إلىٰ المدينة ينظران ويتحسّسان، فقلت: اسْتَأْسِرا، فأَبَيا، فأَرْمي أحدَهما بسهم فأَقْتُله، واسْتَأْسَرَ الآخر فأُوثِقه رِباطاً، وقدمتُ به المدينة.

وجعل عمرو يخبر رسول الله ﷺ خبره، ورسول الله ﷺ يضحك، ثم دعا له بخير.

---

(١) أي ليس له قوة بالمشي علىٰ رجليه.

(٢) اسم جبل قرب مكة.

(٣) أي طرف القوس.

(٤) اسم منزل بطريق مكة، أو وادٍ بالحجاز.

(٥) هي ثَنِيّة بين الحرمين.

(٦) هو موضع ببلاد مزينة علىٰ ليلتين من المدينة. وفي معجم البلدان: النقيع موضع قرب المدينة كان رسول الله ﷺ حَماه لخيله، وله هناك مسجد.

البحر الكبير
(المتوسط)
إيلياء
فلسطين
الإمبراطورية البيزنطية
شمال
شرق
غرب
جنوب
دومة الجندل
دومة الجندل
أيلة
قضاعة
سيناء
مدين
بلي
تبوك
أرض
تيماء
بلاد طيء
ضبا
جذام
شبه الجزيرة العربية
الحجر
عذرة
الوجه
خيبر
عبد الله بن عتيك
أسد
الأحزاب
بنو قريظة
غطفان
النوبة
أملج
جهينة
نجد
ينبع
المدينة النبوية
بدر
خزاعة
مهد الذهب
بنوسُليم
الحجاز
رابغ
المريسيع
بنو المصطلق
هذيل
نخلة
غسفان
أرض السودان
جدة
مكة المكرمة
هوازن
قريش
الشعيبة
الطائف
ثقيف
مقياس الرسم
صفر
١٠٠
٢٠٠كم
سرايا السنة الخامسة من الهجرة

١٥- سرية عبدالله بن عتيك إلىٰ أبي رافع سلاّم بن أبي الحُقَيْق بخيبر[١]

[ذو الحجة ٥هـ]

قال ابن إسحاق: ولَمّا انقضىٰ شأن الخندق وأَمْر بني قريظة، وكان سلاّم بن أبي الحقيق فِيمَنْ حزّب الأحزاب علىٰ رسول الله ﷺ، وكانت الأوس قبل أُحُد قد قَتَلَتْ كعب بن الأشرف في عداوته لرسول الله ﷺ وتحريضه عليه، استأذنت الخزرج رسول الله ﷺ في قتل سلاّم بن أبي الحقيق وهو بخيبر، فأَذِنَ لهم.

وقال الواقدي في مغازيه: خرجوا ليلة الإثنين في السَّحَر لأربع خَلَوْن مِن ذي الحجة علىٰ رأس ستة وأربعين شهراً[٢]، وغابوا عشرة أيام.

قال ابن إسحاق: وحدّثني ابن شهاب الزهري عن عبدالله بن كعب بن مالك قال: وكان مِمّا صَنَعَ الله به لرسوله ﷺ أنّ هذين الحَيَّيْن مِنَ الأنصار (الأوس والخزرج) كانا يتصاولان مع رسول الله ﷺ تصاول الفَحْلين[٣]، لا تصنع الأوس شيئاً فيه عن رسول الله ﷺ غَناء[٤] إلاّ قالت الخزرج: واللهِ لا يذهبون بهذه فَضْلاً علينا عند رسول الله ﷺ وفي الإسلام. قال: فلا ينتهون حتىٰ يُوقِعُوا مِثْلَها، وإذا فعلت الخزرج شيئاً قالت الأوس مِثْلَ ذلك.

ولَمّا أصابت الأوس كعب بن الأشرف في عداوته لرسول الله ﷺ، قالت الخزرج: واللهِ لا يذهبون بهذا فضلاً علينا أبداً. قال: فتذاكروا: مَنْ رجل لرسول الله ﷺ في العداوة كابن الأشرف؟ فذكروا ابن أبي الحقيق وهو بخيبر، فاستأذنوا رسول الله ﷺ في قَتْلِهِ، فأَذِنَ لهم.

فخرج إليه من الخزرج من بني سلمة خمسة نفر: عبدالله بن عَتيك، ومسعود بن سنان، وعبدالله بن أُنَيْس، وأبو قتادة الحارث بن رِبْعي، وخزاعي بن أسود حليفٌ لهم مِنْ أَسْلَم.

---

(١) ويقال: بحصن له بأرض الحجاز، وهو الثابت بالصحيح عن البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٢) وفي رواية أخرى للواقدي قال: ويقال: كانت السرية في شهر رمضان سنة ست.

(٣) أي يتفاخران، إذا فعل أحدهما شيئاً فعل الآخر مِثْلَه.

(٤) أي منفعة.

فخرجوا وأمّر عليهم رسول اللهﷺ عبدالله بن عتيك، ونهاهم عن أن يقتلوا وليداً أو امرأة.

فخرجوا حتىٰ إذا قدموا خيبر أَتَوْا دار ابن أبي الحقيق ليلاً، فلم يَدَعوا بيتاً في الدار إلاّ أغلقوه علىٰ أهله. قال: وكان في عِلّية له إليها عجلة[١]، فأسندوا[٢] فيها حتىٰ قاموا علىٰ بابه، فاستأذنوا عليه، فخرجت إليهم امرأته فقالت: مَنْ أنتم؟ قالوا: ناس من العرب نلتمس الميرة، قالت: ذاكم صاحبكم فادْخُلُوا عليه. قال: فلما دخلنا عليه أغلقنا علينا وعليها الحجرة؛ تَخَوُّفاً أن تكون دونه مجاولة[٣] تحول بيننا وبينه. فصاحت امرأته فنوّهت بنا[٤]، وابْتَدَرْناه وهو علىٰ فراشه بأسيافنا، فوالله ما يَدُلُّنا عليه في سواد الليل إلاّ بياضه كأنه قُبطية ملقاة. قال: ولَمّا صاحت بنا امرأته، جعل الرجل منا يرفع عليها سيفه، ثم يذكر نهي رسول اللهﷺ فيكفّ يده، ولولا ذلك لفرغنا منها بليل. قال: فلما ضربناه بأسيافنا، تحامل عليه عبدالله بن أُنَيْس بسيفه في بطنه حتىٰ أنفذه وهو يقول: قَطْنِىْ قطنىْ، أي حسبي حسبي.

قال: وخرجنا، وكان عبدالله بن عتيك رجلاً سيئ البصر، فوقع من الدرجة فوُثِئت يده[٥] وَثْئاً شديداً، وحملناه حتىٰ نأتي به مَنْهَراً[٦] من عيونهم فندخل فيه. قال: فأَوْقَدوا النيران واشتدوا في كل وجه يطلبوننا، حتىٰ إذا يئسوا رجعوا إلىٰ صاحبهم، فاكْتَنَفوه وهو يَقْضي بينهم، فقلنا: كيف لنا بأنْ نعلم بأنّ عدو الله قد مات؟ فقال رجل منا: أنا أذهب فأنظر لكم، فانْطَلَقَ حتىٰ دخل في الناس.

قال: فوجدت امرأته ورجال يهود حوله، وفي يدها المصباح تنظر في وجهه، وتُحَدِّثُهم وتقول: أما والله لقد سمعتُ صوتَ ابن عتيك، ثم أَكْذَبْتُ نفسي وقلت: أنّىٰ ابن عتيك

---

(١) العجلة: جذع النخلة يُنْقَرُ في موضعٍ منه ويُجْعَلُ كالسلم، فَيُصْعَدُ عليه إلىٰ العلالي والغرف.

(٢) أي عَلَوْا.

(٣) المجاولة: حركة تكون بينهم وبينه.

(٤) ويُروى: فَوَّهت بنا، أي رَفَعَتْ صوتها تشهر بنا.

(٥) أي أصاب عَظْمَها شيءٌ ليس بكسر، وقيل: هو أن يصاب اللحم دون العظم.
وفي رواية ابن هشام: فوُثِئَتْ رِجْلُه.

(٦) المَنْهَرُ: مَدْخَل الماء من خارج الحصن إلىٰ داخله.

بهذه البلاد ! ثم أَقْبَلَتْ عليه تنظر في وجهه، ثم قالت: فاظ[١] وإلهِ يهود، فما سمعتُ مِنْ كلمة كانت أَلَذّ إلىٰ نفسي منها.

قال: ثم جاءنا فأَخْبَرَنا الخبر، فاحتملنا صاحبنا فقدمنا علىٰ رسول الله ﷺ، فأخبرناه بقتل عدو الله، واختلفنا عنده في قَتْلِهِ كُلُّنا يَدَّعِيه، فقال رسول الله ﷺ: هاتوا أسيافكم، فجئناه بها، فنظر إليها فقال لسيف عبدالله بن أُنَيْس: هذا قَتَلَه، أرى فيه أثر الطعام.

قال ابن إسحاق: فقال حسان بن ثابت وهو يذكر قَتْلَ كعب بن الاشرف، وقَتْلَ سلاّم بن أبي الحُقَيق:

لله دَرّ عِصابةٍ لاقَيْتَهم ... يا ابن الحُقَيْق وأنتَ يا ابن الأشرفِ

يَسْرون بالبِيض[٢] الخِفاف إليكم ... مَرَحاً[٣] كأُسْدٍ في عَرينٍ مُغْرفِ[٤]

حتىٰ أَتَوْكم في محلٍّ بلادكم ... فسَقَوْكم حَتْفاً ببيض ذُفَّفِ[٥]

مُسْتَبْصرين[٦] لِنَصْر دين نبيهم ... مُسْتَصغرين لكلِّ أَمْرٍ مُجْحِفِ[٧]

---

(١) بمعنىٰ مات.

(٢) البيض هي السيوف.

(٣) أي نشاطاً.

(٤) أي ملتف الأغصان.

(٥) أي سريعة القتل.

(٦) كذا في ديوان حسان وسيرة ابن هشام، وفي سائر الأصول: مستنصرين.

(٧) أي يذهب بالأموال والأنفس.

البحر الكبير (المتوسط)
إيلياء
فلسطين
الإمبراطورية البيزنطية
شمال
شرق
غرب
جنوب
دومة الجندل
قضاعة
أيلة
سيناء
مدين
تبوك
بلي
أرض
زيد بن حارثة الكلبي
أبو عبيدة عامر بن الجراح
كرز بن جابر الفهري
محمد بن مسلمة
عكاشة بن محصن
عبد الله بن رواحة
أبوبكر الصديق رضي الله عنه
عبد الرحمن بن عوف
علي بن ابي طالب رضي الله عنه
تيماء
ضبا
جذام
الحجر
الوجه
عذرة
أسد
خيبر
شبه الجزيرة العربية
غطفان
الحناكية
أملج
جهينة
النوبة
المدينة النبوية
نجد
ينبع البحر
بدر
خزاعة
مهد الذهب
الحجاز
بنوسُليم
رابغ
المريسيع
بنو لحيان
هذيل
غران
عُسفان
الحديبية
نخلة الشامية
أرض السودان
جدة
مكة المكرمة
هوازن
قريش
الشعيبة
الطائف
ثقيف
مقياس الرسم
صفر ١٠٠ ٢٠٠كم
سرايا السنة السادسة من الهجرة

١٦ - سرية محمد بن مسلمة إلىٰ القُرْطاء[١]

[المحرم ٦هـ]

روى محمد بن عمر الواقدي عن جعفر بن محمود قال: قال محمد بن مسلمة: خرجت لعشر ليال خَلَوْن من المحرم، فغبتُ عشرين ليلة إلاّ ليلة، وقدمت المدينة لليلة بَقِيَتْ من المحرم علىٰ رأس خمسة وخمسين شهراً مِن مهاجَره ﷺ.

وروى محمد بن عمر عن شيوخه، وابن عائذ عن عروة أن رسول الله ﷺ بعث محمد بن مسلمة إلىٰ بكر بن كلاب في ثلاثين رجلاً رُكْباناً، فيهم عبّاد بن بشر، وسلمة بن سلامة بن وَقَش، والحارث بن خزيمة. وأَمَرَه أن يسير الليل ويكمن النهار، وأن يَشُنَّ الغارة عليهم.

فكان محمد بن مسلمة يسير الليل ويكمن النهار، حتىٰ إذا كان بالشَرَبّة[٢] لَقِيَ ظُعُناً[٣]، فأرسل رجلاً من أصحابه يسأل: مَنْ هُمْ؟ فذهب الرجل ثم رجع إليه فقال: قوم من محارب. فنزلوا قريباً منه، وحلّوا وروّحوا ماشيتهم، فأَمْهَلَهم حتىٰ إذا عَطَّنوا[٤] أغار عليهم، فقتل نفراً منهم وهرب سائرهم، فلم يطلب مَنْ هرب، واسْتَاق نَعَماً وشاءً، ولم يتعرّض للظُعُن.

ثم انطلق حتىٰ إذا كان بموضع يُطْلِعُه علىٰ بني بكر، بعث عائذ بن بِشْر[٥] إليهم، فأَوْفَىٰ علىٰ الحاضر فأقام، وخرج محمد في أصحابه فشنّ عليهم الغارة، فقتل منهم عشرة، واسْتَاقوا النَّعَم والشاء، ثم انحدر إلىٰ المدينة فما أصبح إلاّ بضَرِيّة مسيرة ليلة أو ليلتين،

---

(١) هي بطن مِن بني بكر بن قيس عَيْلان، وكانوا ينزلون البكرات بناحية ضَرِيّة، وضَرِيّة كما في معجم البلدان هي قرية لبني كلاب علىٰ طريق البصرة وهي إلىٰ مكة أقرب.

(٢) ضَبَطَها ياقوت في معجم البلدان بفتح الشين والراء وتشديد الباء، وهي بين الرِّمّة والجَريب، والجَريب: وادٍ يَصُبُّ في الرِّمّة.

(٣) الظُّعُن: النساء.

(٤) أي بَرَّكوا الإبل حول الماء.

(٥) ذكر صاحب السيرة الحلبية ج٣ ص١٧٤ بأنه عابد بن بشير، ولم نعثر علىٰ هذين الاسمين في أُسْد الغابة ولا في الإصابة.

ثم صَدَرَ بالنَّعَم وخاف الطلب، فطرد الشاء أشد الطرد، فكانت تجري معهم كأنها الخيل حتىٰ بلغ العَدّاسة، فأبطأ عليهم الشاء بالرَّبَذة، فخلّفه مع نفر من أصحابه وطرد النَّعَم، فقدم المدينة علىٰ رسول الله ﷺ ووصل بعده الشاء، فخمّس رسول الله ﷺ ما جاء به، ثم فضّ[1] علىٰ أصحابه ما بقي، فعَدَلُوا الجزور بعشرٍ من الغنم.

وذكر البلاذري والحاكم أن ثُمامة بن أُثال الحنفي سيد أهل اليمامة أُخِذَ فيها، وذَكَرا حديث إسلامه.

وفي رواية للبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بَعَثَ النبي ﷺ خيلاً قِبَل نجد، فجاءتْ برجل من بني حنيفة يقال له: ثُمامة بن أُثال[2]، فربطوه بسارية مِن سواري المسجد، فخرج إليه النبي ﷺ فقال: ما عندك يا ثُمامة؟ فقال: عندي خيرٌ يا محمد، إنْ تَقْتُلْني تَقْتُلْ ذا دمٍ، وإنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ علىٰ شاكرٍ، وإنْ كنتَ تريد المال فَسَلْ منه ما شئتَ. فَتُرِكَ حتىٰ كان الغدُ ثم قال له: ما عندك يا ثُمامة؟ قال: ما قلتُ لك، إنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ علىٰ شاكرٍ. فَتَرَكَهُ حتىٰ كان بعد الغد فقال: ما عندك يا ثُمامة؟ فقال: عندي ما قلتُ لك، فقال: أَطْلِقُوا ثُمامة. فانْطَلَقَ إلىٰ نخلٍ قريب من المسجد، فاغتسل ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أنّ محمداً رسول الله، يا محمد والله ما كان علىٰ الأرض وَجْهٌ أَبْغَضَ إليَّ مِنْ وجهك فقد أصبح وجهك أحبّ الوجوه إليَّ، واللهِ ما كان مِن دِين أبغض إليَّ مِن دينك فأصبح دينك أحبّ الدين إليَّ، واللهِ ما كان مِن بلد أبغض إليَّ من بلدك فأصبح بلدك أحبّ البلاد إليَّ، وإنَّ خيلك أَخَذَتْني وأنا أُريد العمرة، فماذا ترى؟ فَبَشَّرَهُ رسول الله ﷺ وأَمَرَهُ أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: صَبَوْتَ؟ قال: لا، ولكنْ أسلمتُ مع محمد رسول الله ﷺ، ولا واللهِ لا يأتيكم مِنَ اليمامة حَبّةُ حِنْطة حتىٰ يأذن فيها النبي ﷺ.

---

(١) فَضَّ الشيءَ أي فَرَّقَهُ.

(٢) زاد ابن هشام في السيرة: ولا يشعرون مَنْ هو حتىٰ أَتَوْا به رسولَ الله ﷺ، فقال: أَتَدْرُون مَنْ أَخَذْتُم؟ هذا ثُمامة بن أُثال الحنفي، أَحْسِنوا إِسارَهُ. ورجع رسول الله ﷺ إلىٰ أهله فقال: اجْمَعوا ما كان عندكم من طعام فابعثوا به إليه، وأَمَرَ بِلِقْحَتِه أن يُغْدَى عليه بها ويُراح.

١٧ - سرية عُكّاشة بن مِحْصَن بن حُرْثان الأسدي إلىٰ غَمْر مرزوق[١]

[ربيع الأول ٦هـ]

روى محمد بن عمر الواقدي عن القاسم بن محمد رحمهما الله تعالىٰ قال: بعث رسول الله ﷺ عُكّاشة بن مِحْصَن في أربعين رجلاً، منهم ثابت بن أقرم[٢]، وشجاع بن وهب، ويزيد بن رُقَيْش بن رئاب بن يعمر[٣]، في شهر ربيع الأول سنة ست.

فخرج سريعاً، ونَذِر القوم بهم، فهربوا مِنْ مالهم فنزلوا عُلْيا بلادهم. فانتهىٰ إلىٰ الماء فوجد الدار خُلوفاً، فبعث الطلائع يطلبون خبراً أو يَرَوْن أثراً، فرجع إليه شجاع بن وهب فأخبره أنه رأى أَثَر نَعَمٍ قريباً. فتحمّلوا فخرجوا حتىٰ يصيبوا رَبيئة[٤] لهم قد نظر ليلتَه يسمع الصوت، فلما أصبح نام فأخذوه وهو نائم، فقالوا: أَتُخْبِرُ عن الناس؟ قال: وأين الناس؟ قد لحقوا بعُلْيا بلادهم. قالوا: فالنَّعَم؟ قال: معهم. فضربه أحدهم بسوط كان في يده، فقال: تُؤَمِّنُنِّي علىٰ دمي وأُطْلِعُكم علىٰ نَعَمٍ لبني عم لهم لم يعلموا بمسيركم إليهم؟ قالوا: نعم، فأمّنوه.

فانْطَلَقوا معه، فأمعن[٥] حتىٰ خافوا أن يكون ذلك غدراً منه لهم، فقالوا: واللهِ لَتُصْدِقَنّا أو لَنَضْرِبَنّ عنقك، فقال: تطلعون عليهم من هذا الظُّرَيْب[٦]. فَدَنَوْا فإذا نَعَم رواتع، فأغاروا عليها وأصابوها، وهربت الأعراب في كل وجه، ونهىٰ عُكّاشة عن

---

(١) ورد بلفظ الغَمْرة في كل من معجم البكري ومعجم البلدان لياقوت، وهو من أعمال المدينة علىٰ طريق نجد. وفي شرح المواهب: هو ماء لبني أسد.

(٢) ذكر ابن عائذ أنه كان الأمير.

(٣) وزاد ابن عائذ: ولقيط بن أعصم حليف بني عمرو بن عروة ثم من بني معاوية بن مالك من بَلِيّ.

(٤) قال في النهاية: الربيئة هو العين والطليعة الذي يَنْظُرُ القومَ لئلاّ يدهمهم عدو، ولا يكون إلاّ علىٰ جبل أو شَرَفٍ ينظر منه.

(٥) أي بالغ في الطلب.

(٦) تصغير ظرب، وهو الجبل المنبسط الصغير.

الطلب، واستاقوا مائتي بعير فَحَدَروها إلىٰ المدينة، وأَرْسَلوا الرجل وقدموا علىٰ رسول الله ﷺ، ولم يُصَبْ منهم أحد ولم يَلْقوا كيداً.

١٨- سرية محمد بن مسلمة إلىٰ بني ثعلبة وعُوال بذي القَصّة[١]

[ربيع الآخر ٦هـ]

روى محمد بن عمر الواقدي رحمه الله تعالىٰ عن شيوخه قالوا: بعث رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة في عشرة نفر، منهم: أبو نائلة، والحارث بن أوس، وأبو عبس بن جَبْر، ونعمان بن عَصْر، ومُحَيِّصة بن مسعود، وحُوَيِّصة أخوه، وأبو بردة بن نيار[٢]، ورجلان من مزينة، ورجل من غطفان.

فوردوا عليهم ليلاً، فكمن القوم لمحمد بن مسلمة وأصحابه حتىٰ ناموا، فأحدقوا بهم وهم مائة رجل، فما شعر المسلمون إلاّ بالنَّبْل قد خالطتهم، فوثب محمد بن مسلمة ومعه قوس، فصاح في أصحابه: السلاح، فوثبوا فَتَرامَوْا ساعة من الليل، ثم حملت الأعراب عليهم بالرماح فقتلوا مَنْ بَقِيَ، ووقع محمد بن مسلمة جريحاً يُضْرَب كعبه فلا يتحرّك[٣]، وجرّدوهم الثياب وانطلقوا. فمرّ رجل من المسلمين علىٰ القتلىٰ فاسترجع، فلما سمعه محمد بن مسلمة تحرّك له، فعرض عليه طعاماً وشراباً، وحمله حتىٰ ورد به المدينة.

فبعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح إلىٰ مصارعهم، فلم يجد أحداً ووجد نَعَماً وشاء، فساقه ورجع، فخمّسه وقسم أربعة أخماسه فيهم.

---

(١) هو موضع في طريق العراق من المدينة، سُمِّيَ بذلك لِقَصّة في أرضه، والقَصّة: الجَصُّ. وفي معجم البلدان هو موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلاً، وهو طريق الرَّبَذة.

(٢) اسمه هانئ بن نيار بن عمرو بن عبيد بن كلاب بن دُهمان بن غنم بن ذبيان.

(٣) قال الزرقاني: وإن قول الواقدي بِقَتْلِ هؤلاء جميعاً ما عدا محمد بن مسلمة فيه نظر؛ لأن أبا عبس بن جبر مات سنة أربع وثلاثين هجرية، وابن عصر استُشهد في الردة، وأنَّ حُوَيِّصة شهد المشاهد كلها، وأن أبا بردة بن نيار مات سنة إحدى وأربعين هجرية.

قال محمد بن مسلمة: فلما كانت غزوة خيبر، نظرتُ إلىٰ أحد النفر الذين كانوا وُلُّوا ضربي يوم ذي القصّة، فلما رآني قال: إني أَسْلَمْتُ وجهي لله، فقلت: أَوْلىٰ.

١٩- سرية أبي عبيدة بن الجراح إلىٰ ذي القَصّة أيضاً

[ربيع الآخر ٦هـ]

روى محمد بن عمر عن شيوخه رحمهم الله تعالىٰ قالوا: أَجْدَبَتْ بلاد بني ثعلبة وأَنْمار، ووقعت سحابة بالمَراض إلىٰ تَغْلَمَيْن[١]، فسارت بنو محارب وبنو ثعلبة وأنمار إلىٰ تلك السحابة، وكانوا قد أجمعوا أن يُغِيروا علىٰ سَرْحِ المدينة، وسَرْحُها يرعىٰ يومئذ ببطن هَيْقا[٢].

فبعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح في أربعين رجلاً، صلوا المغرب ليلة السبت لليلتين بقيتا من ربيع الآخر سنة ست، فباتوا ليلتهم يمشون حتىٰ وافوا ذا القَصّة مع عَماية الصبح، فأغار عليهم فأعجزهم هرباً في الجبال، وأخذ رجلاً واحداً، ووَجَدَ نَعَماً مِنْ نَعَمِهم فاستاقه، ورِثّة مِن متاع القوم فقدم به المدينة، وغاب ليلتين.

فأسلم الرجل فتركه رسول الله ﷺ، وخمّس ﷺ ما قدم به أبو عبيدة، وقسم ما بَقِيَ عليهم.

٢٠- سرية زيد بن حارثة إلىٰ بني سُلَيْم

[ربيع الآخر ٦هـ]

روى محمد بن عمر عن الزهري رحمهما الله تعالىٰ قال: بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة إلىٰ بني سُلَيْم في سَرِيّة حتىٰ وَرَدَ الجَموم[٣]، فأصابوا امرأةً مِنْ مُزَيْنة يقال لها: حليمة، فدلّتهم علىٰ محلة من محالّ بني سُلَيم، فأصابوا في تلك المحلّة نَعَماً وشاءً وأَسْرى،

---

(١) لم أجد له ذكراً فيما وقفتُ عليه مِن كتب الأماكن والجبال والمياه.

(٢) وفي لفظ: ببطن هَيْفاء.

(٣) هو موضع ما بين بطن نخلة والنقرة.

فكان فيهم زوج حليمة المزنية.

فأقبل زيد بن حارثة بما أصاب، ووهب رسول الله ﷺ للمزنية نفسها وزوجها.

٢١- سرية زيد بن حارثة إلىٰ العِيص[١]

[جمادى الأولىٰ ٦هـ]

قال ابن سعد في طبقاته: قالوا: بَلَغَ رسول الله ﷺ أنَّ عِيراً لقريش قد أقبلت من الشام، فبعث زيدَ بن حارثة في سبعين ومائة راكب يتعرّض لها، فأخذوها وما فيها، وأخذوا يومئذ فضة كثيرة لصفوان بن أمية، وأَسَروا ناساً مِمَّنْ كان في العِير وقدموا بهم المدينة، منهم أبو العاص بن الربيع، فاستجار أبو العاص بزينب بنت رسول الله ﷺ فأجارته، ونادت في الناس حين صلّىٰ رسول الله ﷺ الفجر: إني قد أَجَرْتُ أبا العاص، فقال رسول الله ﷺ: ما علمتُ بشيء مِنْ هذا، وقد أَجَرْنا مَنْ أَجَرْتِ. وردّ عليه ما أُخِذَ منه[٢].

وفي رواية ابن إسحاق قال: لَمّا كان قبل الفتح، خرج أبو العاص بن الربيع تاجراً بمال له، وأموال لرجال من قريش أَبْضَعوها معه. فلما فرغ من تجارته وأقبل قافلاً، لَقِيَتْهُ سرية لرسول الله ﷺ فأصابوا ما معه.

٢٢- سرية زيد بن حارثة إلىٰ الطَّرَف[٣]

[جمادى الآخرة ٦هـ]

روى محمد بن عمر قال: بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة إلىٰ الطَّرَف إلىٰ بني ثعلبة ابن سعد، فخرج في خمسة عشر رجلاً. حتىٰ إذا كان بالطَّرَف أصاب نَعَماً وشاءً، وهربت

---

(١) بينها وبين المدينة أربع ليال، وبينها وبين ذي المروة ليلة.

(٢) وكنا قدّمنا ذلك في خبر إسلام أبي العاص بن الربيع في الجزء الرابع من الكتاب ص٢٦٨، فارجع إليه إن شئتَ.

(٣) في الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ ص١٣٠: الطَّرَف ماء قريب من المَراض دون النخيل، علىٰ ستة وثلاثين ميلاً من المدينة.

الأعراب وخافوا أن يكون رسول الله ﷺ قد سار إليهم، فانحدر زيد بن حارثة بالنَّعَم حتىٰ أصبح في المدينة، وخرجوا في طلبه فأعجزهم.

فقَدِمَ بعشرين بعيراً، وغاب أربع ليال ولم يَلْقَ كيداً، وكان شعارهم: (أَمِتْ أَمِتْ).

٢٣- سرية زيد بن حارثة إلىٰ جُذام من أرض حِسْمىٰ وراء وادي القرى [جمادى الآخرة ٦هـ] (١)

روى ابن إسحاق عَمَّنْ لا يُتَّهَم مِن رجالٍ مِن جُذام كانوا علماء بها، ومحمد بن عمر عن شيوخه، وموسىٰ بن محمد بن إبراهيم التيمي عن شيخ مِن بني سعد هُذَيْم، كان قديماً يخبر عن أبيه. قال ابن إسحاق: إنَّ رفاعة بن زيد الجذامي لَمّا قدم علىٰ قومه من عند رسول الله ﷺ بكتابه يدعوهم إلىٰ الإسلام فاستجابوا له، لم يلبث أن قدم دحية بن خليفة الكلبي من عند قيصر صاحب الروم حين بعثه رسول الله ﷺ إليه، وقد أجازه وكساه. فلقيه الهُنَيْد بن عُوص وابنه عُوص بن الهُنَيْد (٢)، فأصابا كل شيء كان مع دحية، ولم يتركا عليه إلاّ سَمَل ثوب. فبلغ ذلك قوماً مِن بني الضُّبَيْب، رهط رفاعة بن زيد مِمَّنْ كان أسلم وأجاب، فنفروا إلىٰ الهُنَيْد وابنه فاقتتلوا، واستنقذوا لدحية متاعه.

وقَدِمَ دحية علىٰ رسول الله ﷺ فأخبره خبره، واسْتَسْقاه دم الهنيد وابنه، فبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة في خمسمائة رجل، وردّ معه دحية.

فكان زيد يسير الليل ويكمن النهار، ومعه دليلٌ له مِن بني عُذْرة. وقد اجتمعت بطون منهم: غطفان كلها، ووائل، ومَنْ كان مِن سلامان، وسعد بن هُذَيْم، حين جاءهم رفاعة بن زيد بكتاب رسول الله ﷺ حتىٰ نزلوا حَرّة الرَّجْلاء (٣)، ورفاعة بكُراع

---

(١) وقال صاحب زاد الميعاد: كانت هذه السرية بعد الحديبية بلا شك.

(٢) كما عند ابن إسحاق فيهما، وقال ابن سعد في طبقاته: الهُنَيْد بن عارِض وابنه عارِض بن الهُنَيْد الضُّلَعِيّان، نسبة إلىٰ ضُلَيْع وهو بطن من جذام.

(٣) هي بين المدينة والشام، سُمِّيَتْ بذلك لأنه يُتَرَجَّلُ فيها ويصعب المشي، وهي حرّة خشنة كثيرة الحجارة كما قال ذلك الزرقاني صاحب وفاء الوفاء.

رُؤَيّة[١] لم يُعْلَمْ. وأَقْبَلَ الدليل العُذري بزيد بن حارثة وأصحابه حتىٰ هجم بهم مع الصبح علىٰ الهُنَيْد وابنه، ومَنْ كان في محلّتهم، فأغاروا عليهم وقتلوا فيهم فأَوْجَعوا، وقتلوا الهُنَيْد وابنه، وأغاروا علىٰ ماشيتهم ونَعَمهم ونسائهم، فأصابوا مِنَ النَّعَم ألف بعير، ومن الشاء خمس آلاف شاة، ومن السبي مائةً من النساء والصبيان.

فلما سمع بنو الضُّبَيْب بما صنع زيد بن حارثة، ركبوا فيمن ركب، فلما وقفوا علىٰ زيد بن حارثة قال حسان بن مِلّة: إنّا قوم مسلمون، فقال زيد بن حارثة: فاقرؤوا أُمَّ الكتاب، فقرأها حسّان، فقال زيد: نادوا في الجيش أن يهبطوا إلىٰ ورائهم الذي جاءوا منه. فأَمْسَوْا في ناديهم، فلما أمسكوا ركبوا إلىٰ رفاعة بن زيد فصبّحوه، وقال له حسّان بن مِلّة:

إنك لَجالس تحلب المِعْزى ونساءُ جذام أُسارى قد غَرَّها كتابك الذي جئتَ به !

فدعا رفاعة بجمل فشدّ عليه رَحْله، وخرج معه أبو زيد بن عمرو[٢] وجماعة، فساروا ثلاث ليال. فلما دخلوا المدينة وانتهوا إلىٰ المسجد دخلوا علىٰ رسول الله ﷺ، فلما رآهم أَلاَحَ لهم بيده أنْ تَعالوا مِنْ وراء الناس، فاستفتح رفاعة بن زيد المنطق، فقام رجل من الناس فقال: يا رسول الله، إن هؤلاء قومٌ سَحَرة[٣]. فردّدوها مرتين، فقال رفاعة: رَحِمَ الله مَنْ لم يَحْذُنا في يومه هذا إلاّ خيراً. ثم دفع رفاعة بن زيد كتابه إلىٰ رسول الله ﷺ الذي كان كَتَبَهُ له، فقال: دونك يا رسول الله قديماً كتابُه، حديثاً غَدْرُه. فقال رسول الله ﷺ: اقْرَأْهُ يا غلام وأَعْلِنْ. فلما قرأ كتابه استخبرهم، فأخبروه بما صنع زيد بن حارثة، فقال رسول الله ﷺ: كيف أصنع بالقتلىٰ؟ ثلاث مرات، فقال رفاعة: أنت يا رسول الله أعلم، لا نُحَرِّم عليك حلالاً، ولا نُحِلُّ لك حراماً. فقال أبو زيد بن عمرو: أَطْلِقْ لنا يا رسول الله مَنْ كان حياً، ومَنْ قُتِلَ فهو تحت قدمي هذه. فقال رسول الله ﷺ: صَدَقَ أبو زيد، فقال القوم: فابعث معنا يا رسول الله رجلاً يُخَلّي بيننا وبين حُرَمِنا وأموالنا، فقال رسول

---

(١) الكُراع: الجانب المستطيل مِنَ الحَرّة، والرُّؤَيّة: موضع في ديار بني مازن. ولفظ ابن إسحاق: كُراع رَبّة.

(٢) وعند ابن سعد: أبو يزيد بن عمرو.

(٣) أي عندهم فصاحة لسان وبيان.

الله ﷺ: انطلق معهم يا علي، فقال علي: يا رسول الله، إن زيداً لا يطيعني. قال: فَخُذْ سيفي هذا، فأخذه فقال: ليس لي راحلة يا رسول الله، فحملوه علىٰ بعير لثعلبة بن عمرو يقال له: مِكْحال.

فخرجوا حتىٰ لقوا رافع بن مَكِيث الجُهَني بشير زيد بن حارثة يسير علىٰ ناقة من إبل القوم، فردّها عليٌّ علىٰ القوم، ورجع رافع بن مَكِيث مع عليٍّ رديفاً حتىٰ لقوا زيد بن حارثة بفَيْفاء الفَحْلَتَيْن[1]، فقال علي: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تَرُدَّ علىٰ هؤلاء القوم ما كان بيدك مِنْ أسير أو سبي أو مال، فقال زيد: علامةٌ مِنْ رسول الله ﷺ، فقال علي: هذا سيفه. فعرفه زيد، فنزل وصاح في الناس، فاجتمعوا فقال: مَنْ كان معه شيء مِنْ سبي أو مال فليَرُدّه، فهذا رسولُ رسول الله ﷺ. فردّ إلىٰ الناس كافة كل ما كان أُخِذَ منهم، حتىٰ كانوا ينزعون المرأة مِنْ تحت فخذ الرجل.

روى محمد بن عمر الواقدي رحمه الله تعالىٰ عن مِحْجَن الدَّيْلي قال: كنت في السريّة، فصار لكل رجل سبعة أبعرة أو سبعون شاة، وصار له مِنَ السبي المرأة والمرأتان، حتىٰ ردّ رسول الله ﷺ ذلك كله إلىٰ أهله.

٢٤- سرية زيد بن حارثة إلىٰ وادي القرى

[رجب ٦هـ]

قال ابن سعد: كانت في رجب سنة ست مِنْ مهاجَر رسول الله ﷺ.

قالوا: بعث رسول الله ﷺ زيداً أميراً سنة ست، وقد تجمّع بها قوم من مَذْحِج[2] وقضاعة، ويقال: بل تَجَمَّعَ بها قوم مِن أفناء مضر، فلم يَلْقَ كيداً.

---

(١) الفيفاء: كل أرض واسعة، والفَحْلَتَيْن بين المدينة وذي المروة كما قال ابن سعد.

(٢) هي قبيلة من اليمن.

٢٥- سرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه[١]

[٦هـ]

روى الإمام أحمد ومسلم وابن سعد والأربعة والطبراني عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: غَزَوْنا فزارة وعلينا أبو بكر، أَمَّرَهُ رسول الله ﷺ علينا. فلما كان بيننا وبين الماء ساعة أَمَرَنا أبو بكر فعَرَّسْنا[٢]، ثم شنّ الغارة فَوَرَدَ الماء، فقَتَلَ مَنْ قَتَلَ عليه وسَبَىٰ. فأَنْظُرُ إلىٰ عُنُق من الناس[٣] فيهم الذراري، فخشيت أن يسبقوني إلىٰ الجبل، فرميتُ بسهم بينهم وبين الجبل، فلما رأوا السهم وقفوا، فجئتُ بهم أَسُوقهم، وفيهم امرأة مِنْ بني فزارة عليها قِشْع[٤] مِنْ أَدَم، معها ابنة لها مِنْ أحسن العرب. فَسُقْتُهُم حتىٰ أَتَيْتُ بهم أبا بكر، فنفّلني أبو بكر ابنتها، فقدمنا المدينة وما كشفت لها ثوباً، فلقيني رسول الله ﷺ في السوق فقال: يا سلمة، هَبْ لي المرأة. فقلت: يا رسول الله، قد أعجبتني وما كشفت لها ثوباً. ثم لَقِيَني رسول الله ﷺ من الغد في السوق فقال لي: يا سلمة، هَبْ لي المرأة للهِ أبوك. فقلت: هي لك يا رسول الله، فواللهِ ما كشفت لها ثوباً. فبعث بها رسول الله ﷺ إلىٰ أهل مكة، ففدى بها ناساً من المسلمين كانوا أُسِروا بمكة.

وفي رواية عند أحمد وابن سعد: وكان شعارنا: (أَمِتْ أَمِتْ).

قال: فقتلتُ بيدي سبعة.

وفي رواية عند الطبراني: تسعة أهل أبيات من المشركين.

---

(١) ذكر ابن سيد الناس في عيون الأثر ج٢ ص١٤٦ هذه السرية تحت عنوان: (سرية أبي بكر الصديق إلىٰ بني كلاب بنجد)، وكذلك تحت هذا العنوان ذَكَرَها ابن سعد في الطبقات الكبرى ج٢ص١١٧. وقيل: هي سرية زيد بن حارثة إلىٰ بني فزارة بوادي القرى - انظر ص٢٠١ من الكتاب.

(٢) التعريس هو النزول آخر الليل للنوم والاستراحة.

(٣) أي الطائفة منهم.

(٤) ويقال: قَشْع بفتح القاف، وهو النطع.

٢٦- سرية عبد الرحمن بن عوف إلىٰ دُومة الجندل[١]

[شعبان ٦هـ]

روى ابن إسحاق ومحمد بن عمر الواقدي عن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ دعا عبد الرحمن بن عوف وقال له: تَجَهَّزْ فإني باعثك في سرية مِن يومك هذا أو من الغد إن شاء الله تعالىٰ. قال عبدالله: فقلتُ: لأَدْخُلَنَّ فلأُصَلِّيَنَّ مع رسول الله ﷺ الغداة، ولأَسْمَعَنَّ وَصِيَّتَه لعبد الرحمن بن عوف.

قال: كنت عاشر عشرة رهط من أصحاب رسول الله ﷺ في مسجده: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعبد الرحمن بن عوف، وابن مسعود، ومعاذ بن جبل، وحذيفة بن اليمان، وأبو سعيد الخدري رضي الله عنه. وأنا مع رسول الله ﷺ إذ أَقْبَلَ فتىٰ من الأنصار، فسلّم علىٰ رسول الله ﷺ ثم جلس فقال: يا رسول الله، أيّ المؤمنين أفضل؟ فقال: أَحْسَنهم خُلُقاً. قال: فأيّ المؤمنين أَكْيَس؟ قال: أكثرهم ذِكْراً للموت، وأحسنهم استعداداً له قبل أن ينزل بهم، أولئك الأكياس. ثم سكت الفتىٰ، وأقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: يا معشر المهاجرين، خمس خصال إذا نزلن بكم، وأعوذ بالله أن تُدْرِكوهُنَّ: إنه لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتىٰ يُعْلِنوا بها إلاّ ظَهَرَ فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا. ولم يَنْقُصوا المكيال والميزان إلاّ أُخِذوا بالسنين، وشدة المُؤْنة، وجور السلطان. ولم يمنعوا الزكاة من أموالهم إلاّ أمسك الله عنهم قَطْر السماء، ولولا البهائم لم يُسْقَوا. وما نقضوا عهد الله وعهد رسوله إلاّ سُلِّط عليهم عدو من غيرهم، فأخذ بعضَ ما كان في أيديهم. وما حكم قوم بغير كتاب الله إلاّ جعل بأسهم بينهم. وفي رواية: إلاّ أَلْبَسَهم شِيَعاً وأذاق بعضهم بأس بعض.

ثم قال: قد كان رسول الله ﷺ أَمَرَه أن يسير من الليل إلىٰ دُومة الجندل، وكان رجاله

---

(١) ويقال: دوماء، وهي حصن وقرى من طرف الشام، بينها وبين دمشق خمس ليال، وبينها وبين المدينة خمس عشرة أو ست عشرة ليلة.

معسكرين بالجُرْف[١] وكانوا سبعمائة. فقال عبد الرحمن: أُحِبُّ يا رسول الله أن يكون آخر عهدي بك وعليَّ ثياب سفري. قال: وعلىٰ عبد الرحمن بن عوف عِمامة قد لفّها علىٰ رأسه، فدعاه النبيﷺ فَأَقْعَدَهُ بين يديه، فنقض عمامته بيده ثم عمّمه بعمامة من كرابيس سوداء، فأرخىٰ بين كتفيه منها أربع أصابع أو نحو ذلك، ثم قال: هكذا يا ابن عوف فاعْتَمّ، فإنه أحسن وأعرف. ثم أَمَرَ بلالاً أن يدفع إليه اللواء، فدفعه إليه. فحمد الله تعالىٰ وصلّىٰ علىٰ نفسه، ثم قال: خُذْه يا ابن عوف، اغْزُوا[٢] باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا مَنْ كفر بالله، لا تَغُلّوا، ولا تغدِروا، ولا تنكثوا، ولا تُمَثِّلوا، ولا تقتلوا وليداً، فهذا عهد الله وسنة نبيكم فيكم.

فأخذ عبد الرحمن بن عوف اللواء، وخرج حتىٰ لحق بأصحابه، فسار حتىٰ قدم دُومة الجندل، فلما حلّ بها دعاهم إلىٰ الإسلام، فمكث ثلاثة أيام يدعوهم إلىٰ الإسلام، وقد كانوا أَبَوْا أول ما قَدِمَ ألاّ يُعْطُوا إلاّ السيف.

فلما كان اليوم الثالث، أسلم الأَصْبَغ بن عمرو الكلبي وكان نصرانياً، وكان رئيسهم. وأسلم معه ناس كثير مِن قومه، وأقام مَنْ أقام منهم علىٰ إعطاء الجزية، فكتب عبد الرحمن إلىٰ رسول اللهﷺ يخبره بذلك، وأنه أراد أن يتزوّج فيهم. وبعث الكتاب مع رافع بن مَكِيث الجهني، فكتب إليه رسول اللهﷺ أن يتزوّج بنت الأصبغ تُماضِر، فتزوّجها عبد الرحمن وبنىٰ بها[٣] ثم أقبل بها، وهي أم أبي سلمة بن عبد الرحمن.

---

(١) قال أبو عبيد البكري: هي علىٰ ثلاثة أميال من المدينة.

(٢) لقد ذكر ابن سعد في طبقاته (اغزوا) وما بعدها بلفظ الفرد.

(٣) أي دخل عليها. وقال ابن السِّكِّيت: زُفَّت إليه، وأَصْلُه أن الرجل كان إذا تزوّج بَنَىٰ للعروس خِباء جديداً، وعَمَرَه بما يحتاج إليه. وفي النهاية: الابتناء والبناء هو الدخول بالزوجة، والأصل فيه أن الرجل إذا تزوج امرأة بَنَىٰ عليها قبة ليدخل بها فيها، فيقال: بَنَىٰ الرجل علىٰ أهله، ثم كثر حتىٰ كُنِّيَ به عن الجِماع. وهو لغة قال ابن دريد: بنىٰ عليها وبنىٰ بها.

٢٧- سرية زيد بن حارثة إلىٰ مدين

[شعبان ٦هـ]

روى ابن إسحاق عن فاطمة بنت الحسن بن علي رضوان الله تعالىٰ عليهم أجمعين أنّ رسول الله ﷺ بعث زيد بن حارثة نحو مدين، ومعه ضُمَيْرة[١] مولىٰ علي بن أبي طالب وأخٌ له.

قالت: فأصاب سبياً من أهل ميناء وهي السواحل، وفيها جُمّاعٌ من الناس[٢]، فبيعوا ففُرِّقَ بينهم. فخرج رسول الله ﷺ وهم يبكون، فقال: ما لهم؟ فقيل: يا رسول الله، فُرِّقَ بينهم. فقال ﷺ: لا تبيعوهم إلاّ جميعاً.

قال ابن هشام: أراد الأمهات والأولاد.

٢٨- سرية علي بن أبي طالب إلىٰ بني سعد بن بكر بفَدَك[٣]

[شعبان ٦هـ]

روى محمد بن عمر الواقدي عن يعقوب بن عتبة قال: بعث رسول الله ﷺ علياً في مائة رجل إلىٰ حي بني سعد بن بكر بفَدَك، في شعبان سنة ست من مهاجَره ﷺ.

قال ابن سعد: قالوا: بلغ رسول الله ﷺ أنَّ جمعاً يريدون أن يُمِدّوا يهود خيبر، فسار علي بن أبي طالب الليل وكمن النهار حتىٰ انتهىٰ إلىٰ الهَمِج[٤]، فوجدوا به رجلاً فسألوه عن القوم، فقال: أُخْبِرُكم علىٰ أن تُؤَمِّنوني، فأَمَّنوه فدلّهم، فأغاروا عليهم، فأخذوا

---

(١) كذا في سيرة ابن هشام، ولم أَرَ له ذِكْراً فيما وقفتُ عليه من كتب الصحابة.

(٢) الجُمّاع من الأضداد، يكون تارة المجتمعين وتارة المفترقين. وأراد بها هنا جماعات من الناس مختلطين، وقيل: هم الفرق المختلفة من قبائل شتىٰ.

(٣) هي علىٰ يومين من المدينة، وقال القاضي عياض: علىٰ ثلاثة أيام، وقال ابن سعد: علىٰ ست ليال. وقال السيد علي بن عبدالله بن علي الملقب بنور الدين المعروف بالسَّمْهُوَدي - نسبة إلىٰ بلدة سمهود بصعيد مصر -: وأَظُنُّه الصواب، واستبعد صحته في النور وقال: إنه سأل بعض أهل المدينة عنها فقال: بينهما يومان.

(٤) هو ماء ما بين خيبر وفدك. وذكرها صاحب السيرة الشامية بالغين، وقال: الغمج من المياه ما لم يكن عذباً.

خمسمائة بعير وألفي شاة، وهربت بنو سعد بالظُّعُن ورأسُهم وَبْر بن عُلَيْم، فعزل عليٌّ صَفِيَّ النبيﷺ لَقوحاً[١] تُدْعىٰ الحَفِدة[٢]، ثم عزل الخُمس وقسم سائر الغنائم علىٰ أصحابه، وقدم المدينة ولم يَلْقَ كيداً.

وفي السيرة الشامية: فوجدوا به رجلاً، فقالوا: ما أنتَ؟ فقال: باغٍ، فقالوا: هل لك عِلْم بما وراءك مِنْ جَمْع بني سعد؟ قال: لا عِلْم لي به. فشدّوا عليه، فأَقَرّ أنه عين لهم بعثوه إلىٰ خيبر، يعرض علىٰ يهودها نصرهم علىٰ أن يجعلوا لهم مِنْ تمرهم كما جعلوا لغيرهم، ويَقْدَمون عليهم. فقالوا له: فأين القوم؟ قال: تركتُهم قد تَجَمَّع منهم مائتا رجل، ورأسُهم وَبْر بن عُلَيم. قالوا: فَسِرْ بنا حتىٰ تَدُلَّنا، قال: علىٰ أن تُؤَمِّنوني؟ قالوا: إنْ دَلَلْتَنا عليهم أو علىٰ سَرْحِهم أَمَّنّاك، وإلاّ فلا أمان لك. قال: فذاك.

فخرج بهم دليلاً حتىٰ ساء ظَنُّهُم به، وأَوْفَىٰ علىٰ فَدْفَد[٣] وآكام، ثم أَفْضَىٰ بهم إلىٰ أرض مستوية، فإذا نَعَم كثيرة وشاء، فقال: هذه نَعَمُهم وشاؤهم. فأغاروا عليها، فقال: أَرْسِلوني، فقالوا: حتىٰ نَأْمَنَ الطلب. ونَذِر بهم رِعاء النَّعَم والشاء، فهربوا إلىٰ جمعهم وتفرّقوا، فقال الدليل: علامَ تحبسني، قد تفرّقت الأعراب؟ قال علي: حتىٰ نبلغ معسكرهم. فانتهىٰ بهم إليه فلم يَرَ أحداً، فأَرْسَلوه وساقوا النَّعَم والشاء، وكانت النَّعَم خمسمائة بعير، والشاء ألفي شاة. وعزل عليٌّ صَفِيَّ رسول اللهﷺ لَقوحاً تدعىٰ الحَفِدة، ثم عزل الخُمس وقسم سائر الغنائم علىٰ أصحابه، وقدم عليٌّ ومَنْ معه المدينة.

٢٩- سرية زيد بن حارثة إلىٰ بني فَزارة بوادي القرى ومُصاب أم قِرْفة

[رمضان ٦هـ]

قال صاحب السيرة الشامية: قال محمد بن عمر الواقدي بسنده إلىٰ عبدالله بن جعفر عن عبدالله بن حسين بن حسن بن علي بن أبي طالب قال: خرج زيد بن حارثة في تجارة

---

(١) اللَّقوح هي الحلوب.

(٢) هي السريعة السير.

(٣) الفَدْفَدُ: المكان الصلب الغليظ المرتفع من الأرض، وقيل: الأرض مستوية.

إلىٰ الشام، وأَبْضَعَ معه جماعة من أصحاب النبيﷺ. فلما كان دون وادي القرى ومعه ناس من أصحابه، لَقِيَه ناس كثيرون مِن بني فزارة من بني بدر، فضربوه وضربوا أصحابه حتىٰ ظنّوا أنهم قد قُتِلوا، وأخذوا ما معهم.

قال ابن سعد: ثم اسْتَبَلّ[١] زيد وقدم علىٰ رسول اللهﷺ فأخبره، فبعثه رسول اللهﷺ إليهم، فكمنوا النهار وساروا الليل، ونَذِرت بهم بنو بدر، ثم صبّحهم زيد وأصحابه، فكبّروا وأحاطوا بالحاضر، وأخذوا أُمَّ قِرْفة وهي فاطمة بنت ربيعة بن بدر[٢]، وابنتَها جارية بنت مالك بن حذيفة بن بدر. فكان الذي أخذ جارية سلمةُ بن الأكوع فوهبها لرسول اللهﷺ، فوهبها رسول اللهﷺ بعد ذلك لحَزْن بن أبي وهب. وعمد قيس بن المُحَسِّر[٣] إلىٰ أم قرفة وهي عجوز كبيرة، فقتلها قَتْلاً عنيفاً، ربط بين رجليها حبلاً، ثم ربطها بين بعيرين، ثم زَجَرَهما فذهبا فقَطّعاها. وقَتَل كذلك النعمانَ وعبيدَ الله ابني مَسْعَدة بن حَكَمة بن مالك بن بدر.

قال محمد بن عمر وابن سعد: ولَمّا قَدِمَ زيد بن حارثة مِن وَجْهِهِ ذلك قرع باب النبيﷺ، فقام إليه عرياناً يجر ثوبه حتىٰ اعتنقه وقبّله، ثم سأله فأخبره بما ظفّره الله به.

وقدموا علىٰ رسول اللهﷺ بابنة أم قرفة وبعبدالله بن مَسْعَدة، فذُكِرَ ذلك لرسول اللهﷺ وذُكِرَ له جمالها، فقال: يا سلمة، هَبْ لي المرأة لله أبوك. فقال: يا رسول الله، جارية رَجَوْتُ أن أَفْتَدِيَ بها امرأة منا في بني فزارة. فأعاد رسول اللهﷺ الكلام مرتين أو ثلاثاً حتىٰ عرف سلمة أنه يريدها، فوهبها له، فوهبها النبيﷺ لخاله حَزْن[٤] بن

---

(١) يقال: بَلَّ من مرضه أي صحّ منه، وكذلك أَبَلَّ واسْتَبَلّ.

(٢) كانت عند حذيفة بن بدر، وهي عجوز كبيرة كانت في بيت شرف من قومها، وكانت العرب تقول: لو كنتَ أَعَزَّ مِنْ أم قرفة ما زِدْتَ؛ لأنها كانت تُعَلِّقُ في بيتها خمسين سيفاً كلهم لها ذو محرم، وكان لها اثنا عشر ولداً كما في كتاب (الزهر الباسم في سيرة أبي القاسم بقلم أبي عبدالله مِغْلَطاي). وقد كُنِّيَتْ بابنها قِرْفة قَتَلَه النبيﷺ، وسائر بَنِيها قُتِلوا مع طليحة في الردة، فلا خير فيها ولا في بَنِيها.

(٣) في الإصابة: قيس بن مالك بن المُسَحَّر بتقديم السين، وقيل: بإسقاط مالك، وقيل: ابن مِسْحَل.

(٤) لم يذكر ابن الأثير ولا ابن حجر أنه كان خالاً للنبيﷺ، وذكر ابن الأثير أنه كان من المهاجرين، وقد أنكر الزبير بن مصعب هجرته. وفي الإصابة أنَّه أَسْلَمَ يوم الفتح وشهد اليمامة.

أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، فَوَلَدَتْ له عبد الرحمن بن حَزْن.

وعند الإمام مسلم أن رسول الله ﷺ فدى بابنة أم قرفة أسيراً كان في قريش من المسلمين، وهو مخالف لِما حكيناه عن ابن سعد أنها صارت لِحَزْن بن أبي وهب.

وقال صاحب السيرة الشامية في رواية أخرى: فقدموا المدينة ونذر زيد بن حارثة أن لا يمسّ رأسَه غسل من جنابة حتىٰ يغزو بني فزارة، فلما استبلّ مِن جراحته بعثه رسول الله ﷺ في سرية وقال لهم: اكمنوا النهار وسيروا الليل.

فخرج بهم دليل من بني فزارة، ونَذِرت بهم بنو بدر، فكانوا يجعلون ناظوراً لهم حين يصبحون، فينظر علىٰ جبل مُشْرِف وجه الطريق الذي يَرَوْن أنهم يَأْتُون منه، فينظر قدر مسيرة يوم فيقول: اسرحوا فلا بأس عليكم، فإذا أمسوا وكان العِشاء أَوْفىٰ علىٰ منظره ذلك، فينظر مسيرة ليلة فيقول: ناموا فلا بأس عليكم هذه الليلة.

فلما كان زيد بن حارثة وأصحابه علىٰ مسيرة ليلة، أَخْطَأَ بهم الطريقَ دليلُهم، فأخذ بهم طريقاً أخرى حتىٰ أمسوا وهم علىٰ خطأ، ففَرَجُوا خُطاهم، ثم صمدوا لهم في الليل[1] حتىٰ صبّحوهم، فأحاطوا بالحاضرة، ثم كبّر وكبّر أصحابه، وخرج سلمة بن الأكوع يطلب رجلاً منهم حتىٰ قَتَلَه، وقد كان أَمْعَنَ في طلبه. وقَتَلَ قيسُ بن المُسَحَّر النعمانَ وعبيدَ الله ابني مَسْعَدة بن حَكَمة بن مالك بن بدر، وأُسِرَ عبدالله بن مَسْعَدة، وأُخِذَتْ جاريةُ بنت مالك بن حذيفة بن بدر، وأُمُّها أم قِرْفة واسمها فاطمة بنت ربيعة بن بدر. فأَمَرَ زيد بن حارثة بقتل أم قرفة[2]؛ لِسَبِّها رسول الله ﷺ، فقُتِلَتْ قتلاً عنيفاً.

---

(١) أي قصدوهم وانتظروا غفلتهم.

(٢) ذكر ابن إسحاق والواقدي وابن سعد وابن عائذ هذه السرية وأنّ أميرها زيد بن حارثة، وقد تقدّم في سرية أبي بكر الصديق أن رسول الله ﷺ بعث بها إلىٰ مكة ففدى بها أسرى كانوا في أيدي المشركين، ولم أَرَ مَنْ تعرّض لتحرير ذلك.

٣٠- سرية عبدالله بن رواحة إلىٰ الأُسَيْر بن رِزام[1] بخيبر

[شوال ٦هـ]

قال صاحب السيرة الشامية: لَمّا قُتِلَ أبو رافع سلام بن أبي الحُقَيْق، أَمَّرَتْ يهود عليهم أُسَيْر بن رِزام، فقام في يهود فقال: واللهِ ما سار محمد إلىٰ أحد من يهود، ولا بعث أحداً من أصحابه إلاّ أصاب منهم ما أراد، ولكني أصنع ما لم يصنع أصحابي. فقالوا: وما عَسَيْتَ أن تصنع؟ قال: أَسِيرُ في غطفان فأجمعهم، ونسير إلىٰ محمد في عُقْر داره، فإنه لم يُغْزَ أحد في عُقْر داره إلاّ أدرك منه عَدُوُّه بعضَ ما يريد. قالوا له: نِعْمَ ما رأيتَ.

فسار في غطفان وغيرهم يجمعهم إلىٰ حرب رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فوجّه عبدالله بن رواحة في شهر رمضان ومعه ثلاثة نفر سراً؛ ليكشف له الخبر. فأتىٰ ناحية خيبر فدخل في الحوائط، وفرّق أصحابه في النَّطاة والشِّقّ والكَتِيبة، فوَعوا ما سمعوا مِنْ أُسَيْر بن رِزام أو غيره، ثم خرجوا بعد مقامِ ثلاثة أيام، فرجع إلىٰ النبي ﷺ لليال بقين مِن شهر رمضان، فأخبره بكل ما رأى وسمع.

وقدم عليه أيضاً خارجة بن حُسَيْل الأشجعي، فاستخبره رسول الله ﷺ: ما وراءه؟ فقال: تركتُ أُسَيْر بن رِزام يسير إليك في كتائب يهود.

فندب النبي ﷺ الناس، فانتُدب له ثلاثون رجلاً.

وذكر ابن عائذ أن عبدالله بن عتيك كان فيهم.

وروى محمد بن عمر الواقدي عن عبدالله بن أُنَيْس قال: كنت فيهم، فاستعمل رسول الله ﷺ علينا عبدالله بن رواحة. قال: فخرجنا حتىٰ قدمنا خيبر، فأَرْسَلْنا إلىٰ أُسَيْر: إنّا آمِنُون حتىٰ نأتيك فنعرض عليك ما جئنا له، قال: نعم، ولي مِثْل ذلك منكم، قلنا: نعم. فدخلنا عليه فقلنا: إن رسول الله ﷺ بعثنا إليك لتخرج إليه فيستعملك علىٰ خيبر، ويُحْسِن إليك. فلم يزالوا به حتىٰ خرج معهم وطمع في ذلك، وشاور يهود فخالفوه في الخروج

---

(١) وقيل: اليُسَيْر بن رِزام كما ذكر ابن هشام في السيرة.

وقالوا: ما كان محمد ليستعمل رجلاً مِن بني إسرائيل ! قال: بلىٰ، قد مَلَلْنا الحرب. فخرج معه ثلاثون رجلاً من يهود، مع كل رجل رديف من المسلمين.

قال ابن إسحاق: وحمل عبدُالله بن أُنَيْس أُسَيْرَ بن رِزام علىٰ بعيره.

قال عبدالله بن أُنَيْس: فَسِرْنا حتىٰ إذا كنا بقَرْقَرة ثِبار[١]، نَدِمَ أُسَيْر حتىٰ عرفنا الندامة فيه، وأهوى بيده إلىٰ سيفي ففطنت له، فدفعت بعيري وقلت: غَدْراً أيْ عدو الله؟ فدنوت منه لأنظر ما يصنع، فتناول سيفي، فغمزتُ بعيري وقلت: هل مِنْ رجل ينزل فيسوق بنا؟ فلم ينزل أحد، فنزلت عن بعيري فَسُقْتُ بالقوم حتىٰ انفرد لي أُسَيْر، فضربته بالسيف فقطعت مؤخرة الرِّجْل، وأَنْدَرْتُ عامة فخذه وساقه، وسقط عن بعيره وفي يده مِخْرَش من شَوْحط، فضربني فشجّني مَأْمومة، ومِلْنا علىٰ أصحابه فقتلناهم كلهم، غير رجل واحد أَعْجَزَنا شَدّاً، ولم يُصَبْ مِنَ المسلمين أحد، ثم أقبلنا إلىٰ رسول الله ﷺ.

قال: فبَيْنا رسول الله ﷺ يُحَدِّثُ أصحابه إذ قال لهم: تَمَشَّوا بنا إلىٰ الثّنيّة نَتَحَسَّب مِنْ أصحابنا خبراً. فخرجوا معه، فلما أشرفوا علىٰ الثنية فإذا هم بسَرَعان[٢] أصحابنا، فجلس رسول الله ﷺ في أصحابه، وانْتَهَيْنا إليه فَحَدَّثْناه الحديث، فقال: قد نجّاكم الله من القوم الظالمين.

قال عبدالله بن أُنَيْس: فدنوتُ من النبي ﷺ فنَفَثَ في شجّتي، فلم تَقِحْ بعد ذلك اليوم ولم تُؤْذِني، وكان العظم قد نَغِل[٣]. ومسح وجهي ودعا لي، وقطع لي قطعة من عصاه فقال: أَمْسِكْ هذه معك علامةً بيني وبينك يوم القيامة أعرفك بها، فإنك تأتي يوم القيامة مُتَخَصِّراً[٤].

فلما دُفِنَ عبدالله بن أُنَيْس جُعِلَتْ معه علىٰ جلده دون ثيابه.

---

(١) هي موضع علىٰ ستة أميال من خيبر.

(٢) هم أوائل الناس الذين يتسارعون إلىٰ الشيء، ويُقْبِلون عليه بسرعة.

(٣) ضَبَطَها الزرقاني في شرح المواهب بنون مفتوحة ومعجمة مكسورة مِن باب تعب، وقد تُسَكَّن مِن باب التخفيف، وهي بمعنىٰ فسد.

(٤) اسم فاعل مِن اخْتَصَر العصا إذا أمسكها بيده واتّكأ عليها. وفي النهاية: المِخْصَرة ما يختصره الإنسان بيده فيمسكه من عصا أو عكازة أو مقرعة أو قضيب، وقد يتّكئ عليه.

٣١- سرية كُرْز بن جابر الفِهْري إلىٰ العُرَنِيِّين[١]

[شوال ٦هـ]

روى الإمام أحمد والشيخان وابن جرير وابن عوانة وأبو يعلىٰ والإسماعيلي عن أنس، والبيهقي عن جابر، والبخاري والبيهقي عن ابن عمر، وأبو جعفر الطبري عن جرير بن عبدالله، والطبراني عن صالح، ومحمد بن عمر الواقدي عن سلمة بن الأكوع وعن يزيد بن رومان، وابن إسحاق عن عثمان بن عبد الرحمن رحمهم الله تعالىٰ ورضي عنهم، قالوا: إن رسول الله ﷺ أصاب في غزوة بني محارب وبني ثعلبة عبداً يقال له: يسار، فرآه رسول الله ﷺ يُحْسِن الصلاة، فأَعْتَقَه وبَعَثَه في لِقاح له كانت ترعىٰ في ناحية الجماء[٢]، فقدم علىٰ رسول الله ﷺ نفر من قيس كُبّة من بجيلة.

وفي حديث أنس عند البخاري في الجهاد والدِّيات: أنَّ ثمانية مِن عُكْل وعُرَيْنة.

وعند ابن جرير وأبي عوانة: كانوا أربعةً مِن عُرَينة وثلاثةً مِنْ عُكْل، فكان الثامن ليس من القبيلتين فلم يُنسب.

قالوا: فقدموا علىٰ رسول الله ﷺ فبايعوه علىٰ الإسلام، وكان بهم سَقَم[٣] وعظمتْ بطونهم، فقالوا: يا رسول الله، آوِنا وأَطْعِمْنا. فكانوا في الصُّفّة، فلما صَحُّوا اجْتَوَوا[٤] وقالوا: هذا الوجع قد وقع، وإن المدينة وخمة، وإنّا كنا أهل ضَرْع ولم نكن أهل ريف،

---

(١) في عيون الأثر ج٢ ص٨٨: سرية سعيد بن زيد إلىٰ العُرَنِيِّين.

(٢) في طبقات ابن سعد ج٣ ص١٣٦: وكانت ترعىٰ بذي الجَدْر بناحية قباء قريباً من عَيْر علىٰ ستة أميال من المدينة. وذكرها ياقوت في معجم البلدان ج٣ ص٦٦ بأنه كان فيها لِقاح المصطفىٰ ﷺ. وفي كتاب عيون الأثر ج٢ ص٨٩: بفيفاء.

(٣) وعند أبي عوانة: كان بهم هزال شديد، وصفرة شديدة.

(٤) وفي لفظ: اسْتَوْخَموا المدينة، وعند ابن إسحاق: فاسْتَوْبَؤُوا وطُحِلوا. وفي رواية: ووقع بالمدينة المُوم، وهو في المعجم البرسام. وفي الألفاظ الفارسية المعربة للكلداني ص١٩: البرسام التهاب يَعْرِض للحجاب الذي بين القلب والكبد، فارسيته برسام، وهو مركب مِن (بر) وهو الصدر، و(سام) أي الالتهاب.

فابْغِنا رِسْلاً. قال: ما أجد لكم إلاّ أن تلحقوا بالذَّوْد[١]، فأُخْرِجوا فيها.

وفي رواية البخاري في كتاب الديات: قال رسول الله ﷺ: أفلا تخرجون مع راعينا في إبله، فتُصِيبون من ألبانها وأبوالها؟

وقال ابن شهاب: كان قدم علىٰ رسول الله ﷺ نفر من عُرَينة كانوا مضرورين مجهودين، فأَنْزَلَهم عنده، وسألوه أن يُنَحِّيَهم من المدينة، فأخرجهم إلىٰ لقاح له بفَيْف الخَبار[٢] وراء الحمىٰ.

وفي رواية: فأمر لهم رسول الله ﷺ بذَوْد.

وفي رواية: فرخّص لهم رسول الله ﷺ أن يأتوا إبل الصدقة فيشربوا مِنْ ألبانها وأبوالها.

قالوا: فخرجوا فشربوا من ألبانها وأبوالها، فلما صَحُّوا ورجعت إليهم أبدانهم وانْطَوَتْ بطونهم، كفروا بعد إسلامهم، وعَدَوْا علىٰ اللِّقاح فاسْتَاقُوها، فأَدْرَكَهم مولىٰ رسول الله ﷺ يسار ومعه نفر، فقاتلهم فقطعوا يديه ورجليه، وغرزوا الشوك في لسانه وعينيه حتىٰ مات.

وفي رواية عبد العزيز بن صهيب عن أنس عند مسلم بصيغة الجمع: ثم مالوا علىٰ الرِّعاء فقتلوهم.

ونحوه لابن حبان في رواية يحيىٰ بن سعيد عن أنس: وانطلقوا بالسَّرْح[٣] فَقَتَلوا الراعِيَيْن، وجاء الآخر فقال: قد قتلوا صاحبي، وذهبوا بالإبل.

وعند محمد بن عمر: فأقبلت امرأة من بني عمرو بن عوف علىٰ حمار لها، فمرّت بيسار تحت شجرة، فلما رأته ومَرَّتْ به وقد مات، رجعت إلىٰ قومها فأخبرتهم الخبر، فخرجوا حتىٰ جاءوا بيسار إلىٰ قباء ميتاً.

وعند مسلم: وكان عند رسول الله ﷺ شباب من الأنصار قريب من عشرين، فأَرْسَلَهم.

---

(١) وفي رواية: بنَعَم لنا.

(٢) ضبطها ياقوت في معجم البلدان ج٣ ص٣٩٥ بفتح أوله وآخره راء، وقال: هو فَيْف الخبار، ويقال: فيفاء الخبار.

(٣) وعند أبي عوانة: بالصريخ.

وفي رواية: فبعث رسول الله ﷺ في أثرهم عشرين فارساً سُمِّيَ منهم سلمة بن الأكوع - كما عند محمد بن عمر -، وأبو رُهْم وأبو ذر الغفاريان، وبُرَيدة بن الحُصَيب، ورافع بن مَكِيث وأخوه جندب، وبلال بن الحارث وعبدالله بن عمرو بن عوف المزنيان، وجُعال بن سراقة الثعلبي[١]، وسُوَيد بن صخر الجهني[٢]، واستعمل عليهم كُرْز بن جابر الفِهْري[٣].

وهؤلاء من المهاجرين، فيُحتمل أن يكون مَنْ لم يُسَمِّه محمد بن عمر مِنَ الأنصار، فَأَطْلَقَ في رواية: (الأنصار) تغليباً، أو قيل للجميع: أنصار بالمعنىٰ الأَعَمِّ.

قالوا: وبعث معهم قائفاً يقفو أثرهم، ودعا عليهم فقال: أَعْمِ عليهم الطريق، واجعله عليهم أَضْيَق مِن مَسْك جمل. فعَمَّىٰ الله عليهم السُّبُل، فأُدْركوا في ذلك اليوم فأُخِذوا، فلما ارتفع النهار جِيء بهم إلىٰ رسول الله ﷺ.

وقال محمد بن عمر: فخرج كُرْز وأصحابه في طلبهم حتىٰ أدركهم الليل، فباتوا بالحَرّة ثم أصبحوا لا يدرون أين سلكوا، فإذا بامرأة تحمل كتف بعير، فأخذوها فقالوا: ما هذا؟ قالت: مررتُ بقوم قد نحروا بعيراً، فأعطوني هذه الكتف وهم بتلك المفازة، إذا وافيتُم عليها رأيتُم دخانهم. فساروا حتىٰ أَتَوْهم حين فرغوا من طعامهم، فسألوهم أن يَسْتَأْسِروا، فاسْتَأْسَروا بأجمعهم، لم يُفلت منهم أحد، فربطوهم وأردفوهم علىٰ الخيل حتىٰ قدموا المدينة، فوجدوا رسول الله ﷺ بالرِّغابة[٤]، فخرجوا بهم نحو رسول الله ﷺ.

---

(١) وقيل: جُعَيْل بن سراقة الغفاري، وقيل: الضمري، وقيل: إنه في عديد بني سواد من بني سلمة، وهو أخو عوف من أهل الصفة.

(٢) وأضاف الواقدي في مغازيه: وصفوان بن مُعَطِّل، وأبو روعة مَعْبَد بن خالد الجهني، وعبدالله بن بدر، وأبو ضُبَيْس الجهني.

(٣) وروى الطبراني وغيره من حديث جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بعثه في آثارهم، وسنده ضعيف، والمعروف أن جريراً تأخّر قدومه عن هذا الوقت بنحو أربعة أعوام. ولقد اختُلف في وقت إسلامه، وأخرج ابن حجر عن الشعبي عن جرير قال: قال لنا رسول الله ﷺ: إن أخاكم النجاشي قد مات. والحديث أخرجه الطبراني، فهذا يدل علىٰ أن إسلام جرير كان قبل سنة عشر؛ لأن النجاشي مات قبل ذلك - راجع ترجمته في الإصابة ١١٣٢.

(٤) هي أرض متصلة بالجُرف كما قال أبو عبيد البكري والقاضي، وقال ابن جرير: بين الجرف والغابة، وما رواه أقرب إلىٰ الصواب. وجاءت بعض النسخ بلفظ: زغابة، وكِلا الاسمين مجهول.

قال أنس كما عند ابن عمر: فخرجتُ أسعىٰ في آثارهم مع الغلمان حتىٰ لقي بهم رسول الله ﷺ بالزَّغابة بمُجْتَمَع السيول، فأَمَرَ بمسامير فأُحْمِيَتْ، فكحّلهم بها.

قال أنس: وإنما سَمَل النبي ﷺ أعين هؤلاء؛ لأنهم سَمَلوا أعين الرِّعاء.

وفي رواية: فأَمَرَ بهم فَقُطِعَتْ أيديهم وأرجلهم، وسُمِلَتْ أعينُهم، وصُلِبوا هناك. قال أنس: إني لَواقِفٌ أنظر إليهم.

وفي رواية: وسُمِرَت أعينهم، وأُلقوا في الحرة يَسْتَسْقُون فلا يُسْقَون. قال أنس: فلقد رأيتُ أحدهم يَكْدم الأرض بفيه من العطش.

وفي رواية: لِيجد بردها، مما يجد من الحر والشدة حتىٰ ماتوا، ولم يَحْسِمْهم[1].

وعند ابن عوانة عن ابن عقيل عن أنس أنه صَلَب اثنين، وقَطع اثنين، وسَمَل اثنين.

قال الحافظ: كذا ذكر ستة فقط، فإنْ كان محفوظاً فعقوبتهم كانت مُوَزّعة.

قال أبو قلابة: فهؤلاء قَتَلوا وسَرَقوا وكَفَروا بعد إسلامهم، وحاربوا الله ورسوله.

قال ابن سيرين: كانت قصة العُرَنِيِّين هذه قبل أن تنزل الحدود.

فأنزل الله تبارك وتعالىٰ: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾ [المائدة].

فلم يسمل رسول الله ﷺ عَيْناً، ولم يقطع لساناً، ولم يزد علىٰ قطع اليد والرجل، ولم يبعث رسول الله ﷺ بَعْثاً بعد ذلك إلاّ نهاهم عن المُثلة. فكان ﷺ بعد ذلك يَحُثُّ علىٰ الصدقة، وينهىٰ عن المُثْلة.

قال ابن سعد في الطبقات: وكانت اللقاح خمس عشرة لِقْحة غِزاراً، فردّوها إلىٰ المدينة، فَفَقَدَ رسول الله ﷺ منها لِقْحة تُدْعىٰ الحِناء، فسأل عنها فقيل: نحروها.

---

(١) في شرح النووي علىٰ مسلم ج١١ ص١٥٦: أي ولم يَكْوِهم، والحسم في اللغة كَيُّ العِرْق بالنار لينقطع الدم.

جانب من وادي المُكَيْمن حيث كانت حادثة العُرَنيّين

البحر الكبير (المتوسط)
إيلياء
فلسطين
الإمبراطورية البيزنطية
شمال
شرق
غرب
جنوب
دومة الجندل
أيلة
قضاعة
بنو كلاب
أرض
سعد بن بشير الأنصاري رضي الله عنه
مدين
تبوك
بلي
تيماء
ضبا
جذام
الحجر
هتيم
أسد
بشير بن سعد رضي الله عنه
فدك
الوجه
عذرة
خيبر
خيبر
شبه الجزيرة العربية
غالب بن عبد الله الليثي
أملج
جهينة
النوبة
الحناكية
غطفان
ذات الرقاع
المدينة النبوية
الغابة
نجد
ينبع
بدر
خزاعة
مهد الذهب
حرب
أبوبكر الصديق رضي الله عنه
بنوسُليم
رابغ
المريسيع
الحجاز
ابن أبي العوجاء السلمي
هذيل
غسفان
أرض السودان
جدة
مكة المكرمة
عمرة القضاء
هوازن
قريش
الشعيبة
الطائف
تربة
ثقيف
عمر بن الخطاب رضي الله عنه
صفر ١٠٠ ٢٠٠كم
من سرايا السنة السابعة من الهجرة

٣٢- سرية أبان بن سعيد بن العاص بن أمية قِبَل نجد

[جمادى الآخرة ٧هـ]

روى أبو داود في سننه، وأبو نعيم في مستخرجه، وتمام الرازي في فوائده، عن أبي هريرةرضي الله عنه قال: بعث رسول اللهﷺ أبان بن سعيد علىٰ سرية من المدينة قِبَل نجد، فقدم أبان وأصحابه علىٰ النبيﷺ بخيبر بعد ما افْتَتَحَها وإنَّ حُزُمَ خيلهم لَلِيفٌ[١]. قال أبو هريرة: قلت: يا رسول الله، لا تَقْسِمْ لهم. قال أبان: وأنت بهذا[٢] يا وَبْر[٣] تحدَّر من رأس ضأن[٤]؟ فقال النبيﷺ: يا أبان اجلس، فلم يقسم له.

٣٣- سرية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلىٰ تُرَبة

[شعبان ٧هـ]

قال محمد بن عمر وابن سعد: بعث رسول اللهﷺ عمر بن الخطابرضي الله عنه في ثلاثين رجلاً إلىٰ عَجُز هوازن بتُرَبة[٥]، فخرج عمر معه دليلٌ مِنْ بني هلال، فكانوا يسيرون الليل ويكمنون

---

(١) وفي رواية: اللِّيف.

(٢) أي وأنت بهذا المكان والمنزلة مع رسول اللهﷺ، مع أنك لستَ من أهله، ولا مِنْ قومه، ولا مِنْ بلاده.

(٣) بفتح الواو وسكون الباء، دابة صغيرة كالسِّنَّوْر وحشية تُسَمَّىٰ غنم بني إسرائيل. ونقل أبو علي القالي عن أبي حاتم أن بعض العرب تُسَمِّي كلَّ دابة من حشرات الجبال وَبْراً. وفي النهاية: الوَبْر دويبة علىٰ قدر السِّنَّوْر، غبراء أو بيضاء، حسنة العينين، شديدة الحياء، حجازية، والأنثىٰ وَبْرة، وجمعها وبور ووبار، وإنما شبّهه بالوبر تحقيراً له. ورواه بعضهم بفتح الباء مِنْ وَبَر الإبل؛ تحقيراً له أيضاً، والصحيح الأول.

(٤) اسم جبل في أرض دَوْس قوم أبي هريرة، وقيل: هو رأس الجبل لأنه في الغالب مرعىٰ الغنم. وفي رواية: من رأس ضال. قال الخطابي: أراد تحقير أبي هريرة، وأنه ليس في قدر مَنْ يشير بعطاء ولا منع، وأنه قليل القدرة علىٰ القتال.

(٥) عَجُز الشيء: آخره. وتُرَبة، قال الحازمي: هو وادٍ بقرب مكة علىٰ يومين منها، يَصُبُّ في بستان ابن عامر. وزاد ياقوت: يسكنه بنو هلال، وحواليه مِنَ الجبال: السُّراة، وبَسوم، وفَرْقَد. وقال ابن سعد: وتُرَبة ناحية العبلاء علىٰ أربع ليال من مكة في طريق صنعاء ونجران، كما قال شارح المواهب وصاحب معجم البلدان.

النهار، فأتىٰ الخبرُ إلىٰ هوازن فهربوا، وجاء عمر مَحالّهم[١] فلم يَلْقَ منهم أحداً، فانصرف راجعاً إلىٰ المدينة حتىٰ سلك النجدية[٢]. فلما كان بذي الجَدْر[٣] قال الهلالي لعمر: هل لك في جَمْع آخر تركتَه مِنْ خَثْعَم، جاءوا سائرين قد أَجْدَبَتْ بلادهم؟ فقال عمر: لم يأمرني رسول الله ﷺ بهم، إنما أمرني أن أصمُد[٤] لقتال هوازن بتُرَبة. وانصرف عمر راجعاً إلىٰ المدينة.

٣٤- سرية أمير المؤمنين أبي بكر الصديق إلىٰ بني كلاب بنجد

[شعبان ٧هـ]

قال محمد بن عمر الواقدي رحمه الله تعالىٰ: حَدَّثني حمزة بن عبد الواحد، وقال ابن سعد: أخبرنا هاشم بن القاسم الكناني قال: حدّثنا عكرمة بن عمار قال: حدّثنا إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه قال: بعث رسول الله ﷺ أبا بكر وأمّره علينا. قال حمزة: فَبَيَّتْنا ناساً من هوازن[٥].

وقال هاشم بن القاسم: فسبىٰ ناساً من المشركين فقتلناهم، فكان شعارنا: (أَمِتْ أَمِتْ).

قال سلمة بن الأكوع: فقتلتُ بيدي سبعة أهل أبيات من المشركين.

ثم روى ابن سعد من الطريق السالفة عن سلمة القصة السابقة في السرية إلىٰ بني فزارة وقَتْل أم قِرْفة بناحية وادي القرى، مع ذِكْرِهِ لها أولاً. وتبعه علىٰ ذلك في عيون الأثر، واقتصر شيخه الواقدي علىٰ ما ذكرناه هنا عن سلمة، فسَلِمَ من الوَهْم. والمعروف أنّ أم قرفة إنما كانت في السرية المُخْتَلَف في أنَّ أميرها الصديق أو زيد بن حارثة، كما مرّ ذلك مبسوطاً معنا، لكنْ هما سريتان مختلفتان: سرية إلىٰ فزارة بوادي القرى وهي المختلَف في

---

(١) جمع مَحَلّة بتشديد اللام المفتوحة، وهي منزل القوم.

(٢) نسبة إلىٰ نجد، وهو اسم للأرض التي أعلاها تهامة واليمن، وأسفلها العراق والشام.

(٣) هي مسرح الغنم علىٰ ستة أميال من المدينة بناحية قباء.

(٤) بمعنىٰ أقصد.

(٥) هذه السرية لا علاقة لها بهوازن التي تسكن عند الطائف.

أميرها، وسرية إلىٰ ضريّة وهذه أميرها الصديق، وقد سبق لابن سعد في الطبقات ذِكْر ذلك في سرية زيد بن حارثة إلىٰ أم قرفة بوادي القرى، والله أعلم[١].

٣٥- سرية بشير بن سعد إلىٰ بني مُرّة بفَدَك

[شعبان ٧هـ]

قال محمد بن عمر وابن سعد في طبقاته رحمهما الله تعالىٰ: بعث رسول الله ﷺ بشير بن سعد في ثلاثين رجلاً إلىٰ بني مُرّة بفَدَك، فخرج يلقىٰ رِعاء الشاء، فسأل عن الناس فقالوا: هم في بواديهم، والناس يومئذ شاتون لا يحضرون الماء، فاستاق النَّعَم والشاء وانحدر إلىٰ المدينة، فخرج الصريخ فأخبرهم، فأَدْرَكَه الدُّهْم[٢] منهم عند الليل، فباتوا يُرامونهم بالنَّبْل حتىٰ فَنِيَتْ نَبْل أصحاب بشير وأصبحوا، فحمل المُرِّيُّون عليهم فأصابوا أصحاب بشير، وولَّىٰ منهم مَنْ وَلَّىٰ، وقاتل بشير قتالاً شديداً حتىٰ ارْتُثَّ وضُرِبَ كعبه، فقيل: قد مات، ورجعوا بنَعَمِهم وشائهم.

وكان أولَّ مَنْ قدم بخبر السرية ومصابها عُلْبَةُ بن زيد الحارثي.

واستمر بشير بن سعد في القتلىٰ، فلما أمسىٰ تحامل حتىٰ انتهىٰ إلىٰ فَدَك، فأقام عند يهود بها أياماً حتىٰ ارتفع من الجراح، ثم رجع إلىٰ المدينة.

٣٦- سرية غالب بن عبدالله الليثي إلىٰ الـمَيْفَعة[٣]

[رمضان ٧هـ]

قال ابن إسحاق عن يعقوب بن عتبة أن النبي ﷺ قال له مولاه يسار[٤]: يا نبي الله، إني قد

---

(١) انظر ص١٩٧، ٢٠١ إن شئتَ.

(٢) العدد الكثير، وجمعه الدُّهوم.

(٣) هي وراء بطن نخل إلىٰ النقرة بناحية نجد، بينها وبين المدينة ثمانية برد.

(٤) هذا غير يسار الذي قتله العرنيون كما ذكر ذلك ابن حجر في الإصابة عند ترجمة يسار الراعي.

علمتُ غِرّة من بني عبد بن ثعلبة، فأَرْسِلْ معي إليهم. فأَرْسَلَ معه غالباً في مائة وثلاثين رجلاً.

قال ابن سعد في طبقاته: قالوا: بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبدالله إلىٰ بني عُوال وبني عبد بن ثعلبة وهم بالمَيْفَعة، بعثه في مائة وثلاثين رجلاً، ودليلُهم يسار مولىٰ رسول الله ﷺ، فهجموا عليهم جميعاً ووقعوا في وسط مَحالّهم، فقَتَلوا مَنْ أَشْرَفَ لهم، واستاقوا نَعَماً وشاء فحدروه إلىٰ المدينة، ولم يأسروا أحداً.

وذكر ابن سعد وتَبِعَه صاحب عيون الأثر أنَّ في هذه السرية قَتَلَ أسامةُ بن زيد نَهِيكَ بن مرداس الذي قال: لا إله إلاّ الله، فقال النبي ﷺ: ألا شَقَقْتَ عن قلبه فتعلم أصادق هو أم كاذب؟..... إلخ، وسنذكر شرح ذلك إن شاء الله تعالىٰ في سرية أسامة إلىٰ الحُرُقات[1].

٣٧- سرية بشير بن سعد إلىٰ يَمْن وجَبار ناحية الجِناب

[شوال ٧هـ]

قال ابن سعد في الطبقات: قالوا: بَلَغَ رسولَ الله ﷺ أنَّ جمعاً من غطفان بالجِناب[2] قد واعدهم عُيَيْنة بن حصن الفزاري[3]؛ ليكون معهم ليزحفوا علىٰ رسول الله ﷺ. فدعا رسول الله ﷺ بشير بن سعد فعقد له لواءً، وبعث معه ثلاثمائة رجل، وخرج معه حُسَيْل بن نُوَيرة دليلاً.

فساروا الليل وكمنوا النهار حتىٰ أتوا يَمْن وجَبار وهما نحو الجِناب، والجِناب معارض سِلاح[4] وخيبر ووادي القرى. فنزلوا سلاح ثم دَنَوْا مِنَ القوم، فأصابوا نَعَماً كثيراً، ونفر الرِّعاء فحَذِروا الجَمْع، فتفرّقوا ولحقوا بعُليا بلادهم. وخرج بشير بن سعد في أصحابه حتىٰ أتىٰ مَحالّهم، فيجدها وليس بها أحد، فلَقوا عَيْناً لِعُيَيْنة فقَتَلُوه، ثم لَقوا جَمْع عُيَيْنة وهو

---

(١) انظر ص٢٦٠ من الكتاب.

(٢) هي من أرض غطفان.

(٣) أيْ قبل أن يُسْلِمَ.

(٤) يُروى بكسر السين وفتحها، وهو ماء لبني كلاب أسفل خيبر مَنْ شرب منه سلح.

لا يشعر بهم فناوشوهم، ثم انكشف جَمْعُ عُيَيْنة وتبعهم أصحاب رسول الله ﷺ، فأخذوا منهم رجلين فأسروهما، ورجع الصحابة بالنَّعَم والرجلين إلىٰ رسول الله ﷺ فأَسْلَما، فأَرْسَلَهُما رسول الله ﷺ.

٣٨- سرية الأقرم بن أبي العَوْجاء السُّلَمي إلىٰ بني سُلَيْم

[ذو الحجة ٧هـ]

قال ابن سعد وغيره: بعث رسول الله ﷺ ابن أبي العَوْجاء السُّلَمي في خمسين رجلاً إلىٰ بني سُلَيْم، فخرج إليهم وتَقَدَّمه عين لهم[1] كان معه. فلما فصل من المدينة خرج العين إلىٰ قومه فحَذّرهم، فجمعوا له جمعاً كثيراً، فأتاهم ابن أبي العوجاء وهم مُعِدّون له، فدعاهم إلىٰ الإسلام فقالوا: لا حاجة لنا إلىٰ ما دَعَوْتَنا. فَتَرامَوْا بالنَّبْل ساعة، وجعلت الأمداد تأتي حتىٰ أحدقوا بهم مِن كل ناحية، فقاتل القومُ قتالاً شديداً حتىٰ قُتِلَ عامّتهم، وأُصِيبَ ابن أبي العَوْجاء جريحاً مع القتلىٰ، فتحامل حتىٰ بلغ رسول الله ﷺ، ثم قدموا المدينة في أول يوم من صفر سنة ثمان.

(١) العَيْن هنا جاسوس لهم مِن بني سُلَيْم.

البحر الكبير (المتوسط)
إيلياء
فلسطين
مؤتة
زيد بن حارثة رضي الله عنه
جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه
عبد الله بن رواحة رضي الله عنه
شمال
شرق
غرب
جنوب
كعب بن عمير الغفاري
معان
أيلة
قضاعة
دومة الجندل
بنو كلاب
سيناء
مدين
تبوك
بلي
أرض
عمرو بن العاص
تيماء
ضبا
جذام
أبو قتادة ابن ربعي الأنصاري
قبائل طيء
الحجر
غالب بن عبد الله الليثي
فدك
الوجه
عذرة
أسد
خيبر
شبه الجزيرة العربية
غطفان
النوبة
أملج
جهينة
الحناكية
ابو قتادة ابن ربعي الأنصاري
أبو عبيدة عامر بن الجراح
المدينة النبوية
نجد
ينبع البحر
بدر
خزاعة
مهد الذهب
شجاع بن وهب الأسدي
الحجاز
بنوسُليم
رابغ
المريسيع
هذيل
غالب بن عبد الله الليثي
عسفان
نخلة الشامية
الحديبية
قريش
أرض السودان
جدة
حُنين
مكة المكرمة
فتح مكة
هوازن
الشعيبة
الطائف
الطائف
ثقيف
ملاحظة
هناك بعض السرايا من هذا العام
تذكر في سرايا تحطيم الأصنام
مقياس الرسم
صفر
١٠٠
٢٠٠كم
من سرايا السنة الثامنة من الهجرة

٣٩- سرية غالب بن عبدالله الليثي إلىٰ بني المُلَوَّح بالكَدِيد[١]

[صفر ٨ هـ]

روى ابن إسحاق والإمام أحمد وأبو داود من طريق محمد بن عمر الواقدي وابن سعد عن جندب بن مَكِيث الجُهَني رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبدالله الليثي أحد بني كلب بن عوف بن ليث في سَرِيّة كنتُ فيها، وأَمَرَهُ أن يشن الغارة[٢] علىٰ بني المُلَوَّح بالكَدِيد، وهم مِنْ بني ليث.

قال: فخرجنا حتىٰ إذا كنا بقُدَيْد، لقينا الحارث بن البَرْصاء الليثي[٣] فأخذناه، فقال: إني جئتُ أريد الإسلام، وإنما خرجت إلىٰ رسول الله ﷺ. فقلنا له: لن يَضُرَّك رِباط يوم وليلة إنْ كنتَ تريد الإسلام، وإنْ يَكُ غير ذلك فنَسْتَوْثِق منك. قال: فشددناه وَثاقاً وخلّفنا عليه رُوَيْجِلاً[٤] منا أسود يقال له: سُوَيْد بن صخر، وقلنا له: إنْ نازَعَكَ فاحْتَزَّ رأسَه.

قال: ثم سرنا حتىٰ أتينا الكَدِيد عند غروب الشمس، فكمنّا في ناحية الوادي، وبعثني أصحابي رَبيئة[٥] لهم، فخرجتُ حتىٰ أَتَيْتُ تلاً مشرفاً علىٰ الحاضر[٦] يُطْلِعُني عليهم، حتىٰ إذا أَسْنَدْتُ[٧] فيه وعَلَوْتُ علىٰ رأسه انبطحت[٨]. قال: فوالله إني لأنظر إذ خرج رجل

---

(١) قال في القاموس: الكَدِيد بفتح الكاف: ما بين الحرمين شرّفهما الله تعالىٰ. وزاد في شرح المواهب: لكنه أقرب إلىٰ مكة، فإنه علىٰ اثنين وأربعين ميلاً. وفي الصحيح: هو ماء بين عُسفان وقُدَيْد.

(٢) الغارة اسم مِنْ أغار، ثم أُطْلِقَتْ علىٰ الخيل.

(٣) اسم أبيه مالك، والبَرْصاء هي أمه، وقيل: أم أبيه. وهو صحابي سكن مكة ثم المدينة، وله حديث واحد، عاش إلىٰ أواخر خلافة معاوية - انظر ترجمته في أسد الغابة إن شئتَ.

(٤) تصغير رجل.

(٥) الربيئة: الطليعة.

(٦) هم الجماعة النازلون علىٰ الماء.

(٧) أي ارْتَقَيْتُ.

(٨) وفي رواية: فاضْطَجَعْتُ علىٰ بطني.

منهم مِن خِباء له[١]، فقال لامرأته: إني أرى علىٰ هذا التل سواداً ما رأيتُه عليه صدر يومي هذا، فانظري إلىٰ أوعيتك لا تكون الكلاب جَرَّتْ منها شيئاً. قال: فنظرتْ فقالت: واللهِ ما أفقد مِن أوعيتي شيئاً، فقال لامرأته: ناوليني قوسي ونَبْلي، فناولتْه قوسه وسهمين معه، فأَرْسَلَ سهماً، فواللهِ ما أخطأ به جنبي[٢]. قال: فانتزعتُه وثَبتُّ مكاني، ثم رمىٰ بالآخر فخالطني به[٣]، فانتزعتُه فوضعتُه وثَبتُّ مكاني، فقال لامرأته: واللهِ لو كان ربيئة لقد تحرّك بعدُ، لقد خالطه سهماي لا أبا لكِ[٤]، فإذا أصبحتِ فابتغيهما لا تَمْضُغهما الكلاب. قال: ثم دخل الخِباء.

وراحت ماشية الحي مِنْ إبلهم وأغنامهم، فلما احتلبوا وعَطَّنوا واطمأنوا فناموا، شَنَنّا عليهم الغارة فقَتَلْنا المقاتلة، وسَبَيْنا الذرية، واسْتَقْنا النَّعَم والشاء، فخرجنا نَحْدُرُها قِبَل المدينة حتىٰ مررنا بابن البَرْصاء، فاحتملناه واحتملنا صاحبنا. وخرج صريخُ القوم[٥] في قومهم، فجاءنا ما لا قِبَلَ لنا به، وجاءنا القوم حتىٰ نظروا إلينا، ما بيننا وبينهم إلاّ الوادي وهم مُوَجِّهون إلينا، إذ جاء الله تعالىٰ بالوادي مِنْ حيث شاء بماء يملأ جنبيه، وَايْمُ اللهِ ما رأينا قَبْل ذلك سحاباً ولا مطراً، فجاء بما لا يستطيع أحد أن يَجُوزه، فلقد رأيتُهم وُقوفاً ينظرون إلينا وقد أسندنا في المُشَلَّل[٦]، وفُتْناهم فَوْتاً لا يقدرون فيه علىٰ طلبنا، ثم قدمنا المدينة.

وروى محمد بن عمر عن حمزة بن عمر الأسلمي قال: كنت معهم، وكنا بضع عشرة رجلاً، وكان شعارنا: (أَمِتْ أَمِتْ).

---

(١) الخِباء بيت من بيوت العرب.

(٢) ولفظ ابن إسحاق وابن سعد: بين عينيّ.

(٣) ولفظ ابن إسحاق وابن سعد: فوضعه في منكبي.

(٤) يُذكر للحث علىٰ الفعل تارة، بمعنىٰ: جِدَّ في أمرك وشَمِّر؛ لأن مَنْ له أب اتّكل عليه في شأنه. وللمدح تارة، أي لا كافي لك غير نفسك. وقد يُذكر في معرض الذم كما يقال: لا أم لك، وقد يُذكر في معرض التعجب دفعاً للعين كقولهم: لله دَرُّك.

(٥) هو مستغيثهم.

(٦) هي ثَنِيّة مشرفة علىٰ قُدَيْد.

وقد نقل ابن كثير في البداية والنهاية هذه القصة عن الواقدي بإسناد آخر، وقال فيه: وكان معه من الصحابة مائة وثلاثون رجلاً[١].

٤٠- سرية غالب بن عبدالله الليثي إلىٰ مصاب أصحاب بشير بن سعد [صفر ٨ هـ]

قال محمد بن عمر الواقدي وابن إسحاق في رواية يونس ومحمد بن سلمة رحمهم الله تعالىٰ أن رسول الله ﷺ لَمّا بَلَغَه ما حصل لبشير بن سعد وأصحابه، هَيَّأَ الزبيرَ بن العوام وقال له: سِرْ حتىٰ تنتهي إلىٰ مُصاب أصحاب بشير بن سعد، فإنْ أَظْفَرَكَ الله بهم فلا تُبْقِ فيهم. وهيّأ معه مائتي رجل، وعقد له لواءً.

فقدم غالب بن عبدالله الليثي مِن الكَدِيد قد ظفّره الله عليهم، فقال ﷺ للزبير: اجلس، وبعث غالب بن عبدالله في مائتي رجل، فيهم أسامة بن زيد، وعُلْبة بن زيد الحارثي، وأبو مسعود عقبة بن عمرو[٢]، وكعب بن عُجْرة[٣]. فلما دنا غالب منهم بَعَثَ الطلائع، فبعث عُلْبة بن زيد في عشرة ينظرون إلىٰ مَحالِّهم، فأَوْفَىٰ علىٰ جماعة منهم، ثم رجع إلىٰ غالب فأخبره الخبر، فأَقْبَلَ غالب يسير حتىٰ إذا كان منهم بمنظر العين ليلاً وقد عَطَّنوا وهَدَؤُوا، قام غالب فحمد الله وأثنىٰ عليه بما هو أهله، ثم قال: أما بعد، فإني أُوصِيكم بتقوى الله وحده لا شريك له، وأن تُطِيعوني ولا تَعْصوني، ولا تُخالفوا لي أمراً، فإنه لا رأي لِمَنْ لا يُطاع. ثم أَلَّفَ بينهم فقال: يا فلان، أنت وفلان. يا فلان، أنت وفلان.....، لا يفارق رجلٌ منكم زميله، وإيّاكم أن يرجع إليّ رجل منكم فأقول: أين صاحبك؟ فيقول: لا أدري، فإذا كَبَّرْتُ فكَبِّروا وجَرِّدوا السيوف. فلما أحاطوا بالحاضر

---

(١) وقد ذكر الواقدي هذا العدد في سرية لغالب غير هذه.

(٢) ابن ثعلبة بن يسيرة بن عسيرة بن جِدارة بن عوف بن حارث الخزرج، وهو أبو مسعود البدري، وهو أصغر مَنْ شهد العقبة سِنّاً.

(٣) هو كعب بن عُجْرة البلوي، حليف الأنصار أو مِنْ أنفسهم - انظر أسد الغابة.

كَبَّرَ غالب، فكبّروا معه وجرّدوا السيوف، فخرج الرجال فقاتلوا ساعة، ووضع المسلمون فيهم السيف حيث شاءوا.

وروى ابن سعد عن إبراهيم بن حُوَيِّصة[١] بن مسعود عن أبيه قال: بَعَثَني رسول الله ﷺ في سرية مع غالب بن عبدالله إلىٰ بني مُرّة، فَأَغَرْنا عليهم مع الصبح، وقد أَوْعَزَ إلينا أميرنا أن لا نفترق، وواخىٰ بيننا فقال: لا تعصوني فإني رسولُ رسول الله ﷺ، وإن رسول الله ﷺ قال: (مَنْ أطاع أميري فقد أطاعني، ومَنْ عصىٰ أميري فقد عصاني)، وإنكم متىٰ عصيتموني فإنما تعصون نبيكم ﷺ. قال: فآخىٰ بيني وبين أبي سعيد الخدري.

قال: فأصبنا القوم، وكان شعارنا: (أَمِتْ أَمِتْ).

قال محمد بن عمر الواقدي: وفي هذه السرية[٢] خرج أسامة بن زيد في إِثْر رجل منهم يقال له: نَهِيك بن مِرْداس - أو مرداس بن نهيك وهو الصواب -، فأَبْعَدَ وحَوَى المسلمون علىٰ الحاضر، وقتلوا مَنْ قتلوا، واستاقوا نَعَماً وشاء. وتَفَقَّدَ غالب أسامةَ بن زيد، فجاء أسامة بعد ساعة من الليل، فلامه الأمير لائمة شديدة وقال: أَلَمْ تَرَ إلىٰ ما عهدتُ إليك؟ فقال: خرجت في إثر رجل منهم يقال له: نَهِيك جَعَلَ يَتَهَكَّم بي، حتىٰ إذا دَنَوْتُ منه قال: لا إله إلاّ الله. فقال الأمير: أأَغْمَدْتَ سيفك؟ فقال: لا والله ما فعلتُ حتىٰ أَوْرَدْتُهُ شَعوب[٣]، فقال: بئس ما فعلتَ وما جئتَ به، تَقْتُلُ امْرَءاً يقول: لا إله إلاّ الله؟! فندم أسامة وسُقِط في يديه.

وساق المسلمون النَّعَم والشاء والذرية، وكانت سهمانهم عشرة أبعرة لكل رجل أو عِدْلها من الغنم، وكانوا يحسبون الجزور بعشرة من الغنم.

---

(١) هو أبو إبراهيم حُوَيِّصة بن مسعود، أخو مُحَيِّصة لأبيه وأمه، شَهِدا أُحُداً والخندق وسائر المشاهد. ولَمّا قَتَل مُحَيِّصةُ ابنَ سنينة اليهودي، كان حُوَيِّصة إذ ذاك لم يُسْلِمْ، وكان أَسَنَّ مِنْ مُحَيِّصة، فلما قَتَلَه جعل حُوَيِّصة يضرب أخاه ويقول: أيْ عدو الله قَتَلْتَهُ؟ أَمَا واللهِ لَرُبَّ شحم في بطنك من ماله. فقال مُحَيِّصة: واللهِ لقد أَمَرَني بقَتْلِهِ مَنْ لو أمرني بقتلك لَقَتَلْتُكَ، فقال حُوَيِّصة: واللهِ إنَّ دِيناً بَلَغَ بك هذا لَعَجَبٌ، وأَسْلَمَ - انظر أسد الغابة إن شئتَ.

(٢) وذكر ابن سعد ذلك في سرية غالب إلىٰ المَيْفَعة، راجع ص٢١٥.

(٣) هو مِنْ أسماء المَنِيّة غير منصرف، وسُمِّيَتْ شَعوب لأنها تُفَرِّقُ.

٤١- سرية شُجاع بن وهب الأسدي إلىٰ بني عامر بن الـمُلَوَّح بالسِّيِّ[١]

[ربيع الأول ٨ هـ]

روى محمد بن عمر الواقدي رحمه الله تعالىٰ عن عمر بـن الحكـم السلمي قـال: بعـث رسول الله ﷺ شُجاع بن وهب في أربعة وعشرين رجلاً إلىٰ جَمْعٍ مِن هوازن بالسِّـيِّ، وأَمَرَهُ أنْ يُغِير عليهم. فكان يسير الليل ويكمن النهار حتىٰ صَبَّحَهُم وهـم غـارّون، وقـد أَوْعَـزَ إلىٰ أصحابه ألاّ يُمْعِنوا في الطلب، فأصابوا نَعَماً كثيراً وشاء، واستاقوا ذلك حتىٰ قدمـوا المدينة واقتسموا الغنيمة، فكانت سُهْمانهم خمسة عشر بعـيراً لكـل رجـل، وعدلـوا البعير بعشـرة من الغنم، وغابت السرية خمس عشرة ليلة.

٤٢- سرية كعب بن عمير الغِفاري إلىٰ ذات أَطْلاح

[ربيع الأول ٨ هـ]

قال محمد بن سعد: أخبرنا محمد بن عمر الواقدي قال: حدّثني محمـد بـن عبـدالله عـن الزهري قال: بعث رسول الله ﷺ كعبَ بن عُمَيْر الغفاري في خمسة عشر رجلاً حتىٰ انتـهوا إلىٰ ذات أَطْلاح مِنْ أرض الشام، فوجدوا جَمْعاً مِن جَمْعهم كثـيراً، فَدَعَوْهـم إلىٰ الإسـلام فلم يستجيبوا لهم، ورشقوهم بالنَّبْل. فلما رأى ذلك أصحاب رسول الله ﷺ قـاتلوهم أشـد القتال حتىٰ قُتِلوا، وأُفْلِتَ منهم رجل جريح في القتلىٰ، فلمـا بَـرَدَ عليه الليـلُ تَحـامَلَ حتـىٰ أتىٰ رسول الله ﷺ، فأخبره الخبر، فشقّ ذلك عليه وهَمَّ بالبعث إليهم، فبلغه أنهم قد ساروا إلىٰ موضع آخر، فتركهم.

---

(١) هي ناحية رُكْبة مِنْ وراء المَعْدن، وهي مِنَ المدينة علىٰ خمس ليال.

٤٣- سرية مؤتة[1]

[جمادى الأولى ٨ هـ]

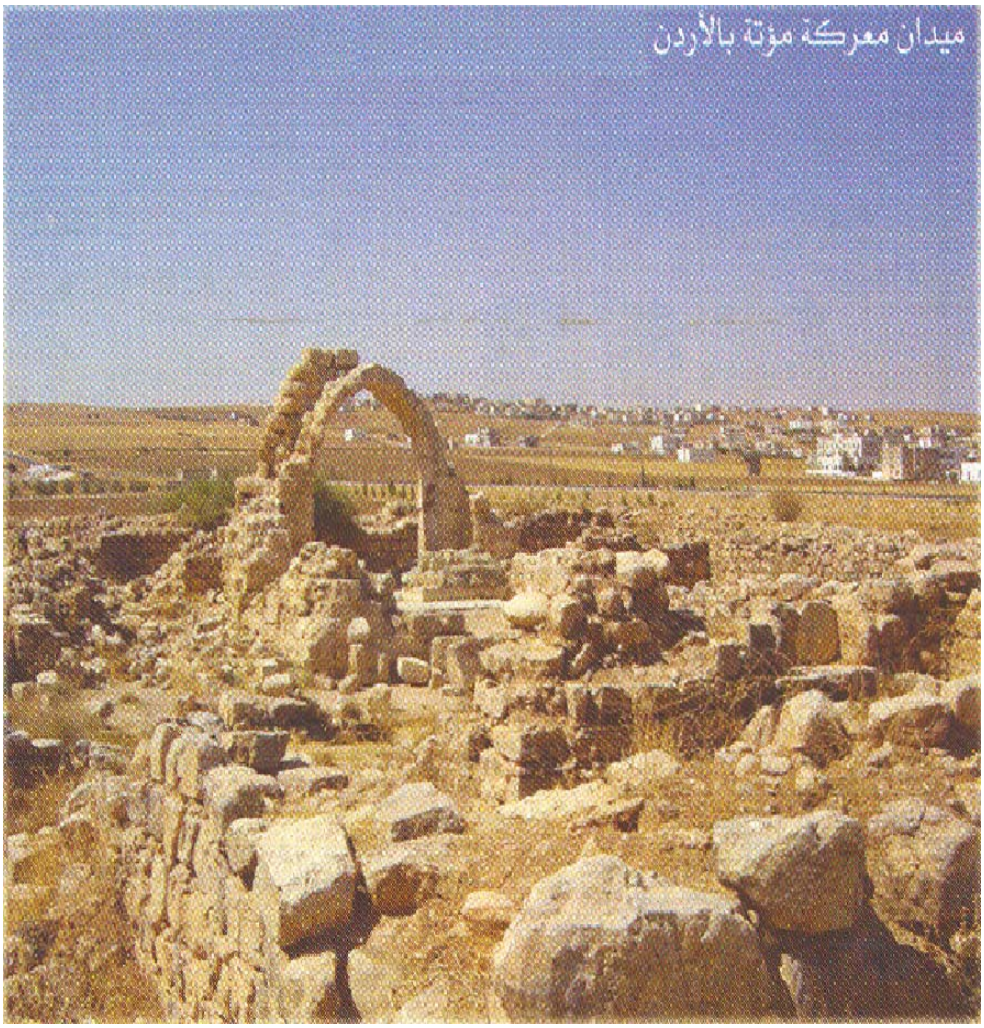

(١) وتُسَمّىٰ أيضاً بغزوة جيش الأمراء ؛ وذلك لكثرة جيش المسلمين فيها، وما لاقوه مِنَ الحرب الشديد مع الكفار.
ومؤتة: هي قرية من أرض البلقاء من الشام، وهي دون دمشق.

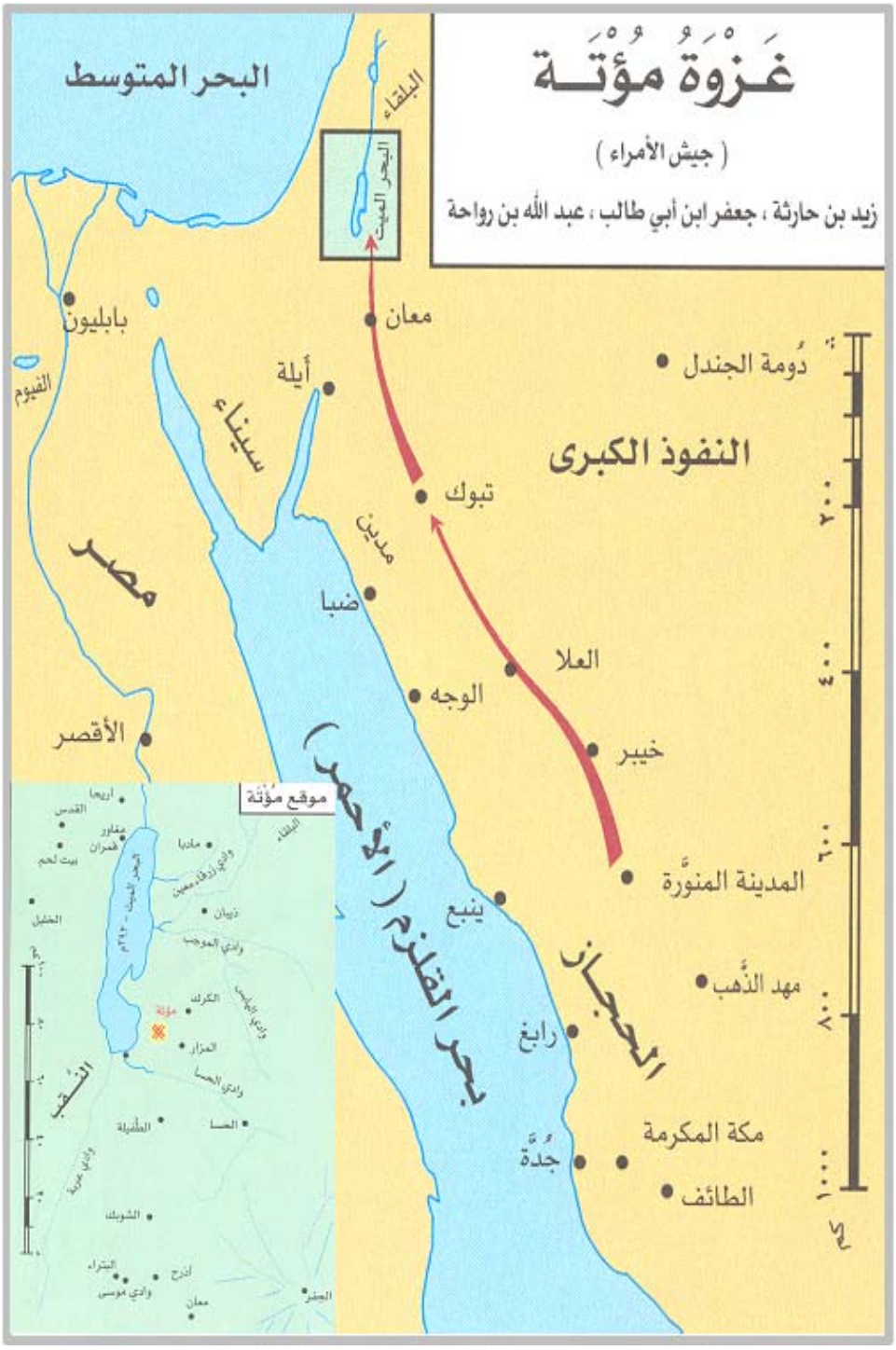
غَزْوَةُ مُؤْتَة
(جيش الأمراء)
زيد بن حارثة ، جعفر ابن أبي طالب ، عبد الله بن رواحة
البحر المتوسط
البلقاء
البحر الميت
معان
بابليون
الفيوم
أيلة
سيناء
دُومة الجندل
النفوذ الكبرى
تبوك
مدين
مصر
ضبا
العلا
الوجه
الأقصر
خيبر
موقع مؤتة
المدينة المنوَّرة
ينبع
بحر القلزم (الأحمر)
الحجاز
مهد الذَّهب
رابغ
مكة المكرمة
جُدَّة
الطائف
٢٠٠
٤٠٠
٦٠٠
٨٠٠
١٠٠٠
كم
أريحا
القدس
مغاور
قمران
بيت لحم
الخليل
مادبا
ذيبان
وادي الموجب
الكرك
مؤتة
المزار
وادي الحسا
الطفيلة
الحسا
الشوبك
البتراء
وادي موسى
أذرح
معان
العقبة

مقام جعفر بن أبي طالب

شهيد مؤتة

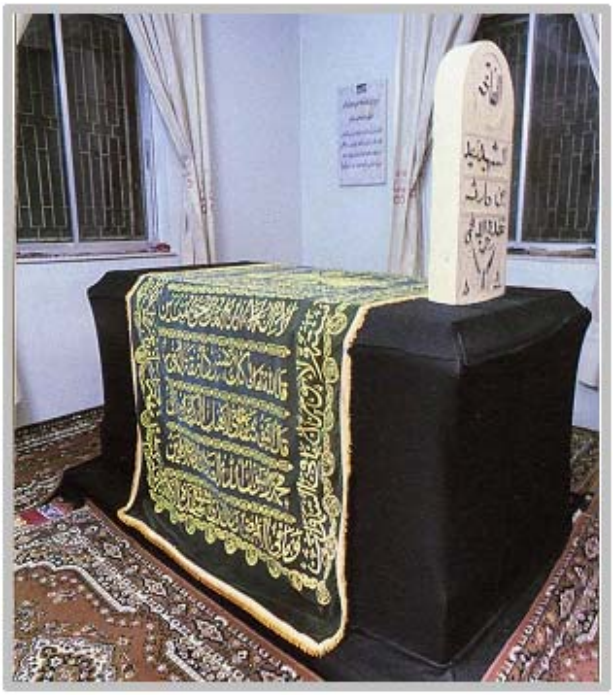

مقام زيد بن حارثة
شهيد مؤتة

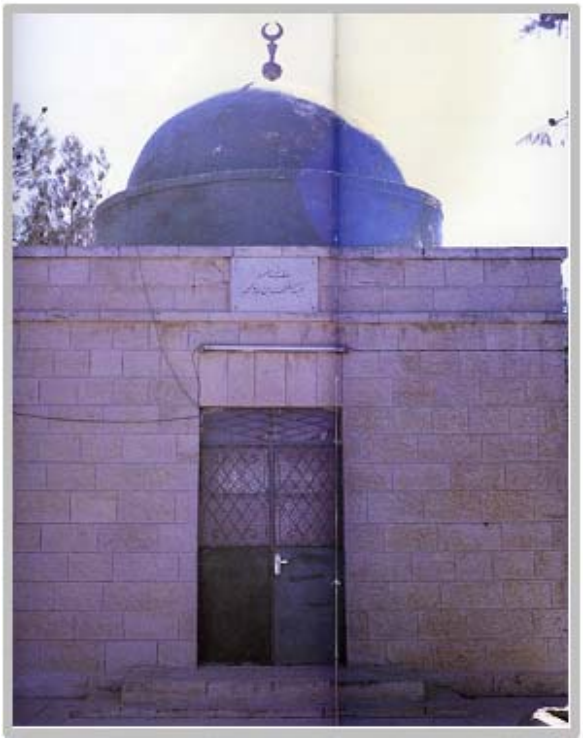

مقام عبد الله بن رواحة
شهيد مؤتة

۞ بَعْثُ الرسول ﷺ إلىٰ مؤتة واختياره الأمراء:

قال محمد بن عمر: حدّثني محمد بن عبدالله عن الزهري، وقال ابن إسحاق: حدّثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير قال: بَعَثَ رسول الله ﷺ بَعْثَهُ إلىٰ مؤتة في جمادى الأولىٰ سنة ثمان، واستعمل عليهم زيد بن حارثة وقال: إنْ أُصِيبَ زيد فجعفر بن أبي طالب علىٰ الناس، فإنْ أُصِيب جعفر فعبدالله بن رواحة علىٰ الناس، فإنْ قُتِلَ فَلْيَرْتَضِ المسلمون منهم رجلاً فَلْيَجعلوه عليهم.

وقال محمد بن عمر عن عمر بن الحكم عن أبيه أن رسول الله ﷺ لَمّا صَلَّىٰ الظهر، جلس وجلس أصحابه حوله، وجاء النعمان بن مَهَضّ اليهودي فوقف علىٰ رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: زيد بن حارثة أمير الناس، فإنْ قُتِلَ زيد فجعفر بن أبي طالب، فإنْ أُصيب جعفر فعبدالله بن رواحة، فإنْ أُصِيب عبدالله بن رواحة فليَرْتَضِ المسلمون رجلاً منهم فليجعلوه عليهم. فقال النعمان بن مهضّ: يا أبا القاسم، إنْ كنتَ نبياً فسَمَّيْتَ مَنْ سَمَّيْتَ قليلاً أو كثيراً أُصِيبوا جميعاً؛ لأن أنبياء بني إسرائيل كانوا إذا استعملوا الرجل علىٰ القوم ثم قالوا: إنْ أُصِيبَ فلان ففلان، فلو سَمَّىٰ مائة أُصِيبوا جميعاً. ثم إنَّ اليهودي جعل يقول لزيد بن حارثة: اعهد، فإنك لا ترجع إلىٰ محمد إنْ كان نبياً. قال زيد: فأشهد أنه رسول الله، صادقٌ بارٌّ.

وعقد لهم رسول الله ﷺ لواء أبيض، ودفعه إلىٰ زيد بن حارثة، وأوْصاهم أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير[1]، وأن يَدْعُوا مَنْ هناك إلىٰ الإسلام، فإنْ أجابوا وإلاّ استعينوا عليهم بالله تبارك وتعالىٰ وقاتِلوهم.

قال عروة بن الزبير: فتجهّز الناس ثم تهيّئوا للخروج وهم ثلاثة آلاف، فلما حضر خروجهم ودّع الناسُ أمراءَ رسول الله ﷺ وسلّموا عليهم. فلما وُدِّعَ عبدالله بن رواحة مع مَنْ وُدِّعَ مِنْ أمراء رسول الله ﷺ بكىٰ، فقالوا: ما يُبكيك يا ابن رواحة؟ فقال: أمَا واللهِ

---

(١) هو الحارث بن عمير الأزدي أحد بني لهب، بعثه رسول الله ﷺ بكتابه إلىٰ الشام إلىٰ ملك بصرى، فعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني وقَتَلَه صبراً، ولم يُقتل لرسول الله ﷺ رسولٌ غيره.

ما بي حُبُّ الدنيا ولا صبابة بكم، ولكني سمعتُ رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله عز وجل يذكر فيها النار: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ﴾ [مريم]، فلست أدري كيف لي بالصَّدْر بعد الورود؟ فقال المسلمون: صَحِبَكم الله ودفع عنكم، وردّكم إلينا صالحين. فقال عبدالله بن رواحة:

لكنّني أسأل الرحمن مغفرةً ... وضربةً ذات فَرْغٍ[1] تقذف الزَّبدا[2]

أو طعنةً بيَدَيْ حَرّانَ مُجْهِزةً ... بحَرْبة تُنْفِذ الأحشاءَ والكَبِدا

حتىٰ يُقال إذا مَرُّوا علىٰ جَدَثي[3] ... أرْشَدَهُ الله مِنْ غازٍ وقد رَشَدا

قال ابن إسحاق: ثم إن القوم تهيّئوا للخروج، فأتىٰ عبدُالله بن رواحة رسول الله ﷺ فودّعه ثم قال:

فثبّتَ اللهُ ما آتاك مِنْ حَسَنٍ ... تثبيت موسىٰ ونصراً كالذي نُصِروا

إني تَفَرَّسْتُ فيك الخيرَ نافلةً ... اللهُ يعلم أني ثابتُ البَصَر

أنت الرسولُ فمَنْ يُحْرَم نوافلَه[4] ... والوجهَ منك فقد أزْرَى به القَدرُ

قال ابن إسحاق: ثم خرج القوم وخرج رسول الله ﷺ، حتىٰ إذا ودّعهم وانصرف عنهم قال عبدالله بن رواحة:

خلَفَ السلامُ علىٰ امرئ ودّعتُه ... في النَّخْل خيرَ مُشَيِّع وخليلِ

---

(١) أي ذات سعة.

(٢) الزَّبَد هنا رغوة الدم.

(٣) الجَدَث: القبر.

(٤) النَّوافل: العطايا والمواهب.

۞ وصية الرسول ﷺ لجيش مؤتة:

روى محمد بن عمر عن خالد بن يزيد قال: خرج رسول الله ﷺ مُشَيِّعاً لأهل مؤتة حتىٰ بلغ ثنية الوداع، فوقف ووقفوا حوله فقال: اغْزُوا باسم الله، فقاتِلوا عدو الله وعدوكم بالشام، وستجدون رجالاً في الصوامع مُعْتَزِلين للناس فلا تَعَرَّضوا لهم، وستجدون آخرين للشيطان في رؤوسهم مَفاحص[1] فاقْلَعوها بالسيوف، ولا تَقْتُلُنَّ امرأة، ولا صغيراً مُرْضَعاً، ولا كبيراً فانياً. ولا تَقْرَبُنَّ نخلاً، ولا تَقْطَعُنَّ شجراً، ولا تَهْدِمُنَّ بيتاً.

وروى محمد بن عمر الواقدي عن زيد بن أرقم رفعه أن رسول الله ﷺ قال: أُوصِيكم بتقوى الله، وبِمَنْ معكم من المسلمين خيراً. اغْزُوا باسم الله في سبيل الله، فقاتِلوا مَنْ كفر بالله. لا تَغْدروا، ولا تَغُلّوا، ولا تقتلوا وليداً. وإذا لقيتم عدواً من المشركين فادْعُوهم إلىٰ إحدى ثلاث، فأيَّتهنّ ما أجابوكم إليها فاقبلوا منهم وكُفّوا عنهم الأذى، ثم ادعوهم إلىٰ التحول من دارهم إلىٰ دار المهاجرين، فإنْ فَعَلوا فأَخْبِروهم أنَّ لهم ما للمهاجرين وعليهم ما علىٰ المهاجرين، فإنْ أَبَوْا أن يتحوّلوا منها فأَخْبِروهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله الذي يجري علىٰ المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفَيْء شيء إلاّ أن يُجاهِدوا مع المسلمين، فإن هم أَبَوْا فَسَلُوهم الجزية، فإنْ فعلوا فاقْبَلُوا منهم وكفّوا عنهم، فإنْ هم أَبَوْا فاسْتَعينوا بالله عليهم وقاتلوهم. وإنْ حاصرتم أهل حصن أو مدينة فأرادوكم أن تجعلوا لهم ذمة الله وذمة رسوله، فلا تجعلوا لهم ذمة الله ولا ذمة رسوله، ولكن اجعلوا لهم ذمتكم وذمة آبائكم، فإنكم إنْ تُخْفِروا ذِمَمَكم وذِمَمَ أصحابكم أَهْوَن مِنْ أنْ تُخفروا ذمة الله وذمة رسوله.

وروى محمد بن عمر عن عطاء بن مسلم قال: لَمّا ودّع رسول الله ﷺ عبدالله بن رواحة، قال ابن رواحة: يا رسول الله، مُرْني بشيء أحفظه عنك. قال: إنك قادم غداً بلداً

---

(١) جمع مفحص، ومفحص القطاة موضعها الذي تَجْثُم فيه وتَبِيض. وفي النهاية: أي إن الشيطان قد استوطن رؤوسهم فجعلها مفاحص كما تستوطن القَطا مفاحصها، وهو من الاستعارات اللطيفة؛ لأن من كلامهم إذا وَصَفوا إنساناً بشدة الغي والانهماك في الشر قالوا: قد فرّخ الشيطان في رأسه وعشّش في قلبه.

السجودُ فيه قليل، فأَكْثِرِ السجود. قال عبدالله بن رواحة: زِدْني يا رسول الله، قال: اذْكُرِ الله فإنه عَوْنٌ لك على ما تَطْلُب. فقام مِنْ عنده حتى إذا مضى ذاهباً رجع فقال: يا رسول الله، إن الله وِتْر يحب الوِتْر. فقال: يا ابن رواحة، ما عَجَزْتَ فلا تَعْجِزَنَّ، إنْ أَسَأْتَ عشراً أن تُحسن واحدة. فقال ابن رواحة: لا أسألك عن شيء بعدها.

۞ رجوع عبدالله بن رواحة ليصلي الجمعة:

روى الإمام أحمد والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ بَعَثَ عبدالله بن رواحة في سرية، فوافق ذلك يوم جمعة. قال: فتَقَدَّمَ أصحابُه وقال: أَتَخَلَّفُ فأُصَلِّي مع النبي ﷺ الجمعة ثم ألحقهم. قال: فلَمّا صلّى رسول الله ﷺ رآه فقال: ما مَنَعَكَ أن تغدو مع أصحابك؟ فقال: أردتُ أنْ أُصَلِّي معك الجمعة ثم ألحقهم، فقال رسول الله ﷺ: لو أنفقتَ ما في الأرض جميعاً ما أدركتَ غدوتهم.

وفي لفظ لابن أبي شيبة: لَغَدْوة أو رَوْحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها.

۞ مسير المسلمين بعد وداع رسول الله ﷺ:

قال ابن إسحاق ومحمد بن عمر: ثم مضى الناس.

روى محمد بن عمر وابن إسحاق عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: كنتُ يتيماً في حِجْر عبدالله بن رواحة، فلم أرَ وَلِيَّ يتيمٍ كان خيراً منه. فخرجنا إلى مؤتة، فكان يُرْدِفُني خلفه على حقيبة رَحْله، فوالله إنه لَيَسِير ليلةً إذ سَمِعْتُه وهو ينشد أبياته هذه:

إذا أَدَّيْتِني وحَمَلْتِ رَحْلي ... مسيرةَ أربعٍ بعد الحِساءِ[1]

فشَأْنُكِ أَنْعُمٌ[2] وخَلاكِ ذمٌّ ... ولا أرجعْ[3] إلى أهلي ورائي

---

(١) جمع حسى، وهو ماء يغور في الرمل حتى يجد صخراً، وإذا بُحِثَ عنه وُجِد.

(٢) يريد أنه لا يُكَلِّفها سفراً بعد ذلك وإنما تنعم مطلقة؛ لِعَزْمِه على الموت في سبيل الله.

(٣) هو مجزوم على الدعاء، دعا على نفسه أن يستشهد ولا يرجع إلى أهله.

وجـــاء المســـلمون وغـــادَروني بـــأرض الشـــام مُشْـــتَهِيَ الثَّـــواءِ[١]
وردُّكِ كـــلُّ ذي نَســـب قريـــب إلىٰ الرحمـــن مُنْقَطِـــعَ الإخـــاءِ
هنـــالك لا أُبـــالي طَلْـــعَ بَعْـــلٍ[٢] ولا نَخْـــلٍ أســـافلُها رِواءِ

قال: فلما سمعتُهنّ منه بكيتُ، فخفقني بالدِّرّة قال: ما عليك يا لُكَع[٣] أن يرزقني الله شهادة فأستريح من الدنيا ونصبها وهمومها وأحزانها، وترجعَ بين شُعبتي الرَّحْل؟

زاد ابن إسحاق: قال: ثم قال عبدالله بن رواحة في بعض سفره ذلك وهو يرتجز:

يـا زيـدُ زيـد اليَعْمَـلات[٤] الذُّبَّـلِ[٥] تطـاول الليـلُ هُدِيـتَ فـانزلِ

قال محمد بن عمر: ثم نزل من الليل، ثم صلّىٰ ركعتين ودعا فيهما دعاء طويلاً، ثم قال: يا غلام، قلت: لبيك، قال: هي إن شاء الله الشهادة.

❁ تعبئة المشركين للقتال وتخوّف المسلمين وتشجيع ابن رواحة لهم:

قالوا: ولَمّا فصل المسلمون من المدينة، سمع العدو بمسيرهم فتجمّعوا لهم، وقام فيهم شرحبيل بن عمرو فجمع أكثر من مائة ألف، وقدّم الطلائع أمامه. فلما نزل المسلمون وادي القرى، بعث أخاه سَدوس بن عمرو في خمسين من المشركين فاقْتَتَلوا، وانكشف أصحاب سدوس وقد قُتِلَ، فشخص أخوه.

---

(١) أي لا أُريد رجوعاً، والثواء: الإقامة في المكان، وفعله ثَوَى يَثْوي. وفي روض الأنف: (منتهىٰ الثواء) من النهاية والانتهاء، أي حيث انتهىٰ مثواه.

(٢) البَعْل الذي يشرب بعروقه من الأرض، والعذري الذي يشرب من ماء السماء.

(٣) في النهاية: اللُّكَع العبد، ثم استُعْمِلَ في الحَمَق والذم، ويقال للرجل: لُكَع، وللمرأة: لُكاع. وأكثر ما يقع في النداء، وهو اللئيم.

(٤) جمع يعملة، وهي الناقة السريعة.

(٥) هي التي أَضْعَفَها السير فقَلَّ لحمها.

ومضىٰ المسلمون حتىٰ نزلوا مَعان[١] من أرض الشام، وبلغ الناسَ أنّ هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم، وانضم إليهم مائة ألف أخرى من لخم وجُذام وقبائل قضاعة مِن بَلْقَيْن[٢] وبَهْراء وبَلِيّ[٣]، عليهم رجل مِن بَليّ ثم أحد إراشة يقال له: مالك بن رافلة[٤].

فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا علىٰ مَعان ليلتين يُفَكِّرون في أمرهم، وقالوا: نكتب إلىٰ رسول الله ﷺ فنخبره بكثرة عدونا، فإمّا أن يُمِدَّنا بالرجال، وإما أن يأمرنا بأَمْرٍ فنمضي له. فشجّع الناسَ عبدُالله بن رواحة فقال: يا قوم، واللهِ إنَّ التي تكرهون لَلَّتي خرجتم تطلبون: الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، وما نقاتلهم إلاّ بهذا الدين الذي أَكْرَمَنا الله به، فانطلِقوا فإنما هي إحدى الحُسْنَيَيْن، إمّا ظهور وإمّا شهادة، وليست بِشَرِّ المنزلتين. فقال الناس: صَدَقَ والله ابن رواحة.

فمضىٰ الناس حتىٰ إذا كانوا بتخوم البلقاء لَقِيَتْهُم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية مِن قرى البلقاء يقال لها: مَشارف[٥]، ثم دنا العدو وانحاز المسلمون إلىٰ قرية يقال لها: مؤتة، فالتقىٰ الناس عندها، فتعبّأ لهم المسلمون.

وروى أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم، ومحمد بن القَرّاب في تاريخه عن بَرْذَع بن زيد رضي الله عنه[٦] قال: قَدِمَ علينا وفد رسول الله ﷺ إلىٰ مؤتة وعليهم زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبدالله بن رواحة. وخرج معهم منا عشرة إلىٰ مؤتة يقاتلون معهم. قد كان

---

(١) ويقال أيضاً: مُعان بالضم.

(٢) وفي جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص٤٢٤: بنو القَيْن، وهم مِنْ قضاعة.

(٣) وزاد ابن سعد في الطبقات ج٣ ص١٧٥: ووائل وبكر.

(٤) وفي نسخة بالزاي، والتصويب بالراء كما في الاشتقاق لابن دريد. وهو أمير أعراب النصارى.

(٥) في معجم البلدان: جمع مَشرف، وهي قرى قرب حوران، منها بُصرى من الشام ثم من أعمال دمشق، وإليها تُنْسَبُ السيوف المَشْرفيّة. وفي القاموس: مشارف الشام قرى من أرض العرب تدنو من الريف.

(٦) هو بَرْذَع بن زيد بن النعمان بن الأنصاري الأوسي، شهد أُحُداً وما بعدها - انظر أسد الغابة والإصابة ص٦٢٣ إن شئتَ.

رسول الله ﷺ نهاهم أن يأتوا مؤتة، فرَكِبَت القومَ ضبابةٌ، فلم يُبْصروا حتىٰ أصبحوا بمؤتة.

وروى محمد بن عمر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: شهدتُ مؤتة، فلما دنا العدو منا رأينا ما لا قِبَل لأحد به مِنَ العَدد، والعُدد، والسلاح، والكُراع، والديباج، والحرير، والذهب. فبَرِق بصري، فقال لي ثابت بن أقْرَم[1]: يا أبا هريرة، كأنك ترى جموعاً كثيرة؟ قلت: نعم، قال: إنك لم تشهد معنا بدراً، إنّا لم نُنصر بالكثرة.

قال ابن إسحاق: وتعبّأ المسلمون للمشركين، فجعلوا علىٰ ميمنتهم رجلاً مِن بني عُذرة يقال له: قُطْبة بن قتادة، وعلىٰ ميسرتهم رجلاً من الأنصار يقال له: عُباية بن مالك[2].

التحام القتال ومقتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب:

قال ابن عقبة وابن إسحاق ومحمد بن عمر: ثم التقىٰ الناس واقْتَتَلوا قتالاً شديداً، فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله ﷺ حتىٰ شاط[3] في رماح القوم.

ثم أخذها جعفر بن أبي طالب فقاتل بها، حتىٰ إذا أَلْحَمَه القتال اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها، ثم قاتل القومَ حتىٰ قُتِلَ. فكان جعفر أول رجل من المسلمين عَقَرَ فرساً في سبيل الله[4].

---

(١) هو ثابت بن أقرم بن ثعلبة بن عدي بن العجلان البلوي، شهد بدراً والمشاهد كلها، وقُتِلَ سنة إحدى عشرة من الهجرة في قتال أهل الردة.

(٢) قال ابن هشام: ويقال: عبادة بن مالك.

(٣) يقال: شاط الرجل إذا سال دمه فهلك.

(٤) عَقَرَها أي ضرب قوائمها وهي قائمة بالسيف. وفي رواية لابن عقبة والواقدي وابن إسحاق أيضاً: فَعَرْقَبَها، أي قطع عرقوبها، وهو الوتر الذي بين مفصل الساق والقدم. قال الحاكم في المستدرك: وسند الحديث قوي، وإنما عقره لئلاّ يظفر به العدو فيَتَقَوَّى به علىٰ قتال المسلمين. وقد اختلف العلماء في الفرس يعقره صاحبه لئلاّ يظفر به العدو، فرخّص فيه مالك، وكره ذلك الإمام الأوزاعي والشافعي، واحتجّ الشافعي بنهيه ﷺ عن قتل الحيوان إلاّ لِمَأْكَلة، وذلك للحديث الذي رواه النسائي في سننه الكبرى مرفوعاً عن النبي ﷺ قال: (مَنْ قَتَلَ عصفوراً فما فوقها بغير حقها سأل الله عز وجل عنها يوم القيامة. قيل: يا رسول الله، فما حقها؟ قال: حَقُّها أن تذبحها فتأكلها، ولا تقطع رأسها فترمي بها). وقال الشافعي كذلك: وأمّا مَنْ يعقر الفرس من المشركين فله ذلك؛ لأن ذلك أَمْرٌ يجد به السبيل إلىٰ قَتْلِ مَنْ أُمِرَ بِقَتْلِه.

وروى ابن إسحاق عن عبّاد بن عبدالله بن الزبير قال: حدّثني أبي الذي أرْضَعَني وكان أحد بني مُرّة بن عوف، وكان في غزوة مؤتة، قال: واللهِ لكأنّي أنظر إلىٰ جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء ثم عقرها، ثم قاتل حتىٰ قُتِلَ وهو يقول:

يا حَبَّذا الجنةُ واقْتِرابُها طَيِّبةً وبارداً شرابُها

والرومُ رومٌ قد دنا عذابُها كافرةٌ بعيدةٌ أنسابُها

عليّ إذا لاقيتُها ضِرابُها

وفي رواية ابن سعد أن جعفر رضي الله عنه لبس السلاح ثم حمل علىٰ القوم، حتىٰ إذا هَمَّ أنْ يخالطهم رجع فوحّش بالسلاح[1]، ثم حمل علىٰ العدو وطعن حتىٰ قُتِلَ.

قال ابن هشام: وحدّثني مَنْ أثق به من أهل العلم أن جعفر بن أبي طالب أخذ اللواء بيمينه فقُطِعَتْ، فأَخَذَه بشماله فقُطِعَتْ، فاحْتَضَنَه بعَضُدَيْه حتىٰ قُتِلَ رضي الله عنه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء.

ويقال: إن رجلاً من الروم ضربه يومئذ ضربة فقطعه نصفين.

وروى البيهقي والبخاري عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: كنت فيهم في تلك الغزوة، فالتمسنا جعفر بن أبي طالب فوجدناه في القتلىٰ، ووجدنا في جسده بضعاً وستين[2] من طعنة ورِمية.

وفي رواية أخرى عنه قال: وقفتُ علىٰ جعفر بن أبي طالب يومئذ وهو قتيل، فعَدَدْتُ به خمسين من طعنة وضربة، ليس منها شيء في دُبُره.

❁ مقتل عبدالله بن رواحة:

روى ابن إسحاق عن يحيىٰ بن عبّاد بن عبدالله بن الزبير عن أبيه قال: حدّثني أبي

---

(١) أي رمىٰ به.

(٢) وفي صحيح البخاري: بضعاً وتسعين.

الذي أَرْضَعَني قال: فلما قُتِلَ جعفر أخذ الراية عبدالله بن رواحة، ثم تقدّم بها وهو علىٰ فرسه فجعل يَسْتَنْزِل نفسه ويَتَرَدَّد بعض التَّرَدُّد، ثم قال:

أقسمتُ يا نفسُ لَتَنْزِلَنَّهْ ... طائعةً أو لَتُكْرَهِنَّهْ

إن أجْلَب الناسُ وشدّوا الرَّنَّهْ ... ما لي أراكِ تَكرهين الجَنَّهْ

قد طال ما قد كنتِ مطمئنَّهْ ... هل أنتِ إلاّ نُطْفَة في شَنَّهْ

وقال أيضاً:

يا نفس إلاّ تُقْتَلي تموتي ... هذا حِمام الموت قد صَلِيتِ

وما تَمَنَّيْتِ فقد أُعْطِيتِ ... إنْ تفعلي فِعْلَهما[1] هُدِيتِ

قال: ثم نزل فأتاه ابن عمر له بعَرْق من لحم[2] فقال: شُدَّ بهذا صُلْبك، فإنك قد لقيتَ في أيامك هذه ما لقيتَ. فأخذه مِنْ يده ثم انْتَهَسَ منه نَهْسة، ثم سمع الحَطْمة[3] في ناحية الناس فقال: وأنتِ في الدنيا! ثم ألقاه من يده، ثم أخذ سيفه فتقدّم، فقاتل حتىٰ قُتِلَ رضي الله عنه، ووقع اللواء من يده.

فاختلط المسلمون والمشركون، وانهزم بعض الناس، فجعل قطبة بن عامر يصيح: يا قوم، يُقْتَلُ الرجل مُقْبِلاً أحسن مِنْ أنْ يُقْتَلَ مُدْبِراً.

قال سعيد بن أبي هلال رحمه الله تعالىٰ: وبلغني أن زيداً وجعفراً وعبدالله بن رواحة دُفِنُوا في حفرة واحدة.

❁ تأمير المسلمين لخالد بن الوليد بعد مقتل الأمراء وهزيمة المشركين:

روى ابن سعد عن أبي عامر رضي الله عنه قال: لَمّا قُتِلَ عبدالله بن رواحة انهزم المسلمون أسوأ

---

(١) يريد صاحبيه: زيداً وجعفراً.

(٢) العَرْق هو العظم الذي عليه بعض اللحم.

(٣) هي زحام الناس وحَطْم بعضهم بعضاً.

هزيمة رأيتُها قط، حتىٰ لم أرَ اثنين جميعاً، ثم أخذ اللواء رجل من الأنصار، ثم سعىٰ به حتىٰ إذا كان أمام الناس ركزه ثم قال: إليّ أيها الناس، فاجتمع إليه الناس حتىٰ إذا كثروا مشىٰ باللواء إلىٰ خالد بن الوليد، فقال له خالد: لا آخذه منك، أنت أحَقُّ به. فقال الأنصاري: واللهِ ما أخذتُه إلاّ لك.

وفي رواية ابن إسحاق: ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم أخو بني العجلان، فقال: يا معشر المسلمين، اصْطَلِحُوا علىٰ رجل منكم. فقالوا: أنت، قال: ما أنا بفاعل، فاصْطَلَحَ الناس علىٰ خالد بن الوليد.

وروى الطبراني عن أبي اليسر الأنصاري ﷺ قال: أنا دفعتُ الراية إلىٰ ثابت بن أقرم لَمّا أُصِيبَ عبدالله بن رواحة، فدُفِعَتْ إلىٰ خالد، وقال له ثابت بن أقرم: أنت أعلم بالقتال مني.

وروى الطبراني برجال ثقات عن موسىٰ بن عقبة قال: ثم اصْطَلَحَ المسلمون بعد أمراء رسول اللهﷺ علىٰ خالد بن الوليد المخزومي، فهزم الله تعالىٰ العدو وأظْهَرَ المسلمين.

وروى محمد بن عمر الأسلمي عن عطاء بن خالد قال: لَمّا قُتِلَ ابن رواحة مساءً بات خالد بن الوليد، فلما أصبح غَدَا وقد جعل مقدمته ساقته، وساقته مقدمته، وميمنته ميسرته، وميسرته ميمنته. فأنكروا ما كانوا يعرفون من راياتهم وهيئتهم. قال: وقد جاءهم مدد فرُعِبُوا وانكشفوا منهزمين، قال: فقُتِلُوا مَقْتَلة لم يُقْتَلْها قوم[1].

وروى محمد بن عمر عن الحارث بن فضل قال: لَمّا أخذ خالد بن الوليد الراية، قال رسول اللهﷺ: الآن حَمِيَ الوطيس[2].

---

(١) وذكر ابن عائذ في مغازيه نحوه.

(٢) في النهاية: الوطيس شبه التنور، وقيل: الضراب في الحرب، وقيل: هو الوطء الذي يطسّ الناس أي يدقهم، وقال الأصمعي: هو حجارة مدورة إذا حميت لم يقدر أحد يطؤها. ولم يُسمع هذا الكلام مِنْ أحد قَبْل النبيﷺ، وهو مِن فصيح الكلام عبّر به عن اشتباك الحرب وقيامها علىٰ ساقها، ولقد قال النبيﷺ هذه الكلمة في غزوة حنين كما هو معروف - راجع ص٩١.

وروى القرّاب في تاريخه عن برذع بن زيدﷺ قال: اقْتَتَلَ المسلمون مع المشركين سبعة أيام.

وورد في حديث أنس كما أخرجه البخاري في صحيحه: حتىٰ أخذ الراية سيف من سيوف الله، حتىٰ فتح الله عليهم[1].

وروى الإمام أحمد برجال ثقات عن أبي قتادةﷺ مرفوعاً قال: ثم أخذ خالد بن الوليد اللواء، ولم يكن مِنَ الأمراء، هو أَمَّرَ نفسه، ثم رفع رسول اللهﷺ أُصْبُعَه ثم قال: اللهم إنه سيف من سيوفك فانصره، فمِنْ يومئذ سُمِّيَ خالد بن الوليد سيف الله.

قال ابن إسحاق: فلما أخذ خالد الراية دافع القوم وحاشىٰ بهم، ثم انحاز وانْحِيز عنه حتىٰ انصرف بالناس.

هكذا ذكر ابن إسحاق أنه لم يكن إلاّ المحاشاة والتخلص مِنْ أيدي الروم، الذين كانوا مع مَنْ انضم إليهم أكثر من مائتي ألف والمسلمون ثلاثة آلاف.

ووافق ابنَ إسحاق علىٰ ذلك شِرْذِمَةٌ، وعلىٰ هذا سُمِّيَ هذا نصراً وفتحاً، باعتبار ما كانوا فيه من إحاطة العدو وتراكمهم وتكاثرهم عليهم، وكان مقتضىٰ العادة أن يُقْتَلُوا بالكلية وهو محتمل، لكنه خلاف الظاهر مِن قولهﷺ: (حتىٰ فتح الله عليهم).

والأكثرون علىٰ أن خالداً ومَنْ معه قاتلوا المشركين حتىٰ هزموهم، ففي حديث أبي عامر عند ابن سعد أن خالداً لَمّا أخذ اللواء حَمَلَ علىٰ القوم فهزمهم الله أسوأ هزيمة، حتىٰ وضع المسلمون أسيافهم حيث شاءوا.

وروى البخاري عن خالد بن الوليدﷺ قال: لقد اندقّت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، وما ثبت في يدي إلاّ صحيفة يمانية[2].

وهذا يقتضي أنهم أَثْخَنوا فيهم قَتْلاً، ولو لم يكن كذلك لَمَا قدروا علىٰ التخلص منهم، إذ كان المسلمون ثلاثة آلاف والمشركون أكثر من مائتي ألف، وهذا وحده دليل مستقل والله أعلم.

---

(١) وفي رواية: ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله عليه.

(٢) هي السيف العريض.

وذكر ابن إسحاق أنَّ قُطْبة بن قتادة العُذري الذي كان علىٰ ميمنة المسلمين، حَمَلَ علىٰ مالك بن رافلة فقتله، فقال قُطْبة بن قتادة:

طَعَنْتُ ابنَ رافِلَةَ بن الإِراش ... برمحٍ مَضَىٰ فيه ثم انْحَطَمْ
ضربتُ علىٰ جِيده ضربةً ... فمالَ كما مال غصنُ السَّلَمْ
وسُقْنا نساء بني عَمِّهِ ... غداةَ رَقُوقَيْن سَوْقَ النَّعَمْ

وهذا يُؤَيِّد ما نحن فيه؛ لأن مِنْ عادة أمير الجيش إذا قُتِلَ أن يَفِرَّ أصحابه، ثم إنه صرّح في شعره أنهم سَبَوْا نساءهم، وهذا واضح فيما ذكرناه.

۞ ذِكْرُ بعض ما غَنِمَه المسلمون يوم مؤتة:

روى محمد بن عمر والحاكم في الإكليل عن جابر رضي الله عنه قال: أُصِيبَ بمؤتة ناس من المسلمين، وغَنِم المسلمون بعض أمتعة المشركين، وكان فيما غنموا خاتم جاء به رجل إلىٰ رسول الله ﷺ، فقال: قَتَلْتُ صاحبه يومئذ، فنَفَلَنِيه رسول الله ﷺ.

وروى محمد بن عمر عن خزيمة بن ثابت رضي الله عنه قال: حضرتُ مؤتة، فبارزني رجل منهم يومئذ، فأَصَبْتُه وعليه بيضة له فيها ياقوتة، فلم تكن هِمَّتي إلاّ الياقوتة فأخذتُها. فلما رجعنا إلىٰ المدينة أَتَيْتُ بها رسول الله ﷺ فنَفَلَنِيها، فَبِعْتُها زمن عثمان بمائة دينار، فاشتريتُ بها حديقة نخل.

۞ قصة خالد بن الوليد مع المدديّ وما أخذ من السَّلَب:

روى الإمام مسلم وأبو داود عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: خرجتُ مع مَنْ خرج مع زيد بن حارثة رضي الله عنه في غزوة مؤتة، ورافقني مَدَدِيٌّ[1] مِنَ المسلمين مِنَ اليمن، ليس معه غير سيفه. فنَحَرَ رجلٌ من المسلمين جزوراً، فسأله المدديُّ طائفةً مِنْ جلدٍ[2] فأعطاه

(١) أي رجل من المدد الذين جاءوا يمدّون جيش مؤتة ويساعدونهم كما في شرح النووي.

(٢) ولفظ ابن كثير في البداية والنهاية: طابقة من جلد.

إيّاه، فاتّخذه كهيئة الدَّرَقة ومَضَيْنا، ولَقِينا جموع الروم فيهم رجل علىٰ فرس له أشقر، عليه سَرْج مُذَهَّب وسلاح مُذَهَّب، فجعل الرومي يغزو المسلمين[1]، فقعد له المدديّ خلف صخرة، فمرّ به الرومي فعَرْقَبَ فرسه بسيفه وخرّ الرومي، فعلاه بسيفه فقتله، وحاز سلاحَه وفرسَه. فلما فتح الله تعالىٰ علىٰ المسلمين، بعث إليه خالد بن الوليد فأخذ منه بعض السَّلَب. قال عوف: فأتيتُ خالداً وقلت له: أمَا علمتَ أنَّ رسول الله ﷺ قضىٰ بالسَّلَب للقاتل؟ قال: بلىٰ، ولكني اسْتَكْثَرْتُه. فقلت: لَتَرُدَّنَّه أو لأَعَرِّفَنَّكَها عند رسول الله ﷺ، فأَبَىٰ أن يَرُدّ عليه. قال عوف: فاجتمعنا عند رسول الله ﷺ، فقَصَصْتُ عليه قصة المدديّ وما فعل خالد، فقال رسول الله ﷺ: ما صنعتَ؟ قال: استكثرتُه، قال: رُدَّ عليه ما أخذتَ منه، قال عوف: دونكها يا خالد، ألَمْ أفِ لك؟ فقال رسول الله ﷺ: وما ذاك؟ فأخبرته، فغضب رسول الله ﷺ وقال: يا خالد، لا تَرُدَّ عليه، هل أنتم تاركون أمرائي؟ لكم صفوةُ أمْرهم وعليهم كَدَرُه.

وفي رواية أخرى أخرجها مسلم في صحيحه قال: فمَرّ خالد بعوف، فجَرَّ بردائه ثم قال: هل أَنْجَزْتُ لك ما ذكرتُ لك مِنْ رسول الله ﷺ؟ فسمعه رسول الله ﷺ فاستغضب فقال: لا تُعْطِه يا خالد، لا تُعْطِه يا خالد، هل أنتم تاركون لي أمرائي؟ إنما مَثَلكم ومَثَلهم كمَثَلِ رجل استرعىٰ إبلاً أو غنماً فرعاها، فأَوْرَدَها حوضاً فشرعت فيه، فشربتْ صَفْوَه وتَرَكَتْ كَدَره، فصَفْوُه لكم وكَدَرُه عليكم.

قال النووي في شرحه علىٰ صحيح مسلم: وهذا الحديث قد يستشكل مِنْ حيث أنَّ القاتل قد استحق السَّلَب، فكيف مَنَعَهُ إيّاه؟ ويُجاب عنه بوجهين:

أحدهما: لَعَلّه أعطاه بعد ذلك للقاتل، وإنما أخَّرَه تعزيراً له ولعوف بن مالك؛ لكونهما أطْلَقا ألسنتهما في خالد، وانْتَهَكا حُرْمة الوالي ومَنْ وَلاّه.

والوجه الثاني: لَعَلّه اسْتَطاب قلبَ صاحبه، فتركه صاحبه باختياره وجعله للمسلمين. وكان المقصود بذلك استطابة قلب خالد للمصلحة في إكرام الأمراء.

---

(١) وفي نسخة: يغري بالمسلمين.

وأضاف النووي: فصفوه لكم يعني الرعية، وكَدَره عليهم يعني الأمراء.

۞ تنبؤ الرسول ﷺ بما حدث للمسلمين يوم مؤتة وحُزْنه على مصاب أصحابه وإخباره بأحوالهم:

روى البخاري والبيهقي عن أنس رضي الله عنه قال: نعى رسول الله ﷺ وهو على المنبر زيداً وجعفراً وابن رواحة للناس يوم أُصِيبوا قبل أن يأتيه خبرهم، فقال: أخَذَ الراية زيدٌ فأُصِيبَ، ثم أخذها جعفر فأُصِيب، ثم أخذها ابن رواحة فأُصِيب - وعيناه تذرفان -، حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله، ففتح الله عليهم.

وروى النسائي والبيهقي عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ جيش الأمراء فانطلقوا، فلبثوا ما شاء الله، فصعد رسول الله ﷺ المنبر، فنودي: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس إلى رسول الله ﷺ فقال: أُخْبِرُكم عن جيشكم هذا، إنهم انطلقوا فلَقُوا العدو، فقُتِلَ زيد شهيداً، فاستغفروا له، ثم أخَذَ اللواء جعفر فشدّ على القوم حتى قُتِلَ شهيداً، فاستغفر له، ثم أخذ اللواء عبدالله بن رواحة فأثبت قدميه حتى أُصيب، فاستغفروا له، ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ولم يكن من الأمراء، هو أمَّرَ نفسه. ثم قال رسول الله ﷺ: اللهم إنه سيف من سيوفك فأنت تنصره، فمِنْ يومئذ سُمِّيَ خالد سيف الله.

وروى البيهقي عن ابن عقبة رحمهما الله تعالى قال: قدم يعلى بن أمية على رسول الله ﷺ بخبر أهل مؤتة، فقال رسول الله ﷺ: إنْ شئتَ أخْبِرْني، وإنْ شئتَ أخْبَرْتُك بخبرهم؟ قال: بل أخْبِرْني يا رسول الله. قال: فأَخْبَرَه رسول الله ﷺ خبرهم كله، فقال: والذي بعثك بالحق ما تركتَ مِنْ حديثهم حرفاً واحداً لم تذكره، وإنَّ أمْرَهم لَكَما ذَكَرْتَ. فقال رسول الله ﷺ: إن الله عز وجل رفع لي الأرض حتى رأيتُ مُعْتَرَكَهم، ورأيتُهم في المنام على سُرُرٍ من ذهب، فرأيتُ في سرير عبدالله بن رواحة ازْوِراراً[1] عن سَرِيرَيْ صاحِبَيْه، فقلت: عَمَّ هذا؟ فقيل لي: مَضَيا وتَرَدَّدَ بعض التردد ثم مضى.

---

(١) أي مَيْلاً وعِوَجاً.

وفي رواية ابن إسحاق: ولَمّا أُصِيب القوم قال رسول الله ﷺ: أخَذَ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتىٰ قُتِلَ شهيداً، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتىٰ قُتِلَ شهيداً. قال: ثم صمت رسول الله ﷺ حتىٰ تغيّرت وجوه الأنصار، وظنوا أنه قد كان في عبدالله بن رواحة بعض ما يكرهون، ثم قال: ثم أخذها عبدالله بن رواحة فقاتل بها حتىٰ قُتِلَ شهيداً. ثم قال: لقد رُفِعُوا إليّ في الجنة فيما يرى النائم علىٰ سُرُرٍ مِن ذهب، فرأيتُ في سرير عبدالله بن رواحة ازْوِراراً عن سَرِيرَيْ صاحبيه، فقلت: عمّ هذا؟ فقيل لي: مضيا وتردّد عبدالله بعض التردد ثم مضىٰ.

وفي رواية من حديث مرسل عن ابن المسيب قال: قال رسول الله ﷺ: مَثُلَ جعفر وزيد وابن رواحة في خيمة مِنْ دُرٍّ، فرأيتُ زيداً وابن رواحة في أعناقهما صدوداً، ورأيت جعفراً مستقيماً ليس فيه صدود، فسألتُ أو قيل لي: إنهما حين غَشِيَهما الموت اعترضا، أو كأنهما صدّا بوَجْهَيْهِما، وأما جعفر فإنه لم يفعل، وإن الله تعالىٰ أبدله جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء.

وروى ابن سعد في طبقاته عن أبي عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لَمّا بلغه مُصاب أصحابه شقّ ذلك عليه، فصلىٰ الظهر ثم دخل، وكان إذا صلىٰ الظهر قام فركع ركعتين ثم أقبل بوجهه علىٰ القوم. فشقّ ذلك علىٰ الناس، ثم صلّىٰ العصر ففعل مِثْل ذلك، ثم صلّىٰ المغرب ففعل مِثْل ذلك، ثم صلّىٰ العَتَمة ففعل مِثْل ذلك، حتىٰ إذا كان صلاة الصبح دخل المسجد ثم تبسّم، وكان تلك الساعة لا يقوم إليه إنسان من ناحية المسجد حتىٰ يُصَلّي الغداة، فقال له القوم حين تبسّم: يا نبي الله بأنفسنا أنت، لا يعلم إلاّ الله ما كان بنا مِنَ الوَجْد منذ رأينا منك الذي رأينا. قال رسول الله ﷺ: كان الذي رأيتم مني أنه أحْزَنَني قَتْل أصحابي، حتىٰ رأيتُهم في الجنة إخواناً علىٰ سُرُرٍ متقابلين، ورأيت في بعضهم إعراضاً كأنه كَرِهَ السيف، ورأيتُ جعفراً مَلَكاً ذا جناحين، مضرّجاً بالدماء، مصبوغ القوادم.

وروى الإمام البخاري والنسائي عن عامر الشعبي قال: كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا حَيَّىٰ عبدالله بن جعفر قال: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين.

وروى الإمام أحمد وابن ماجة عن أسماء بنت عميس رضي الله عنها قالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ يوم أُصِيبَ جعفر وأصحابه وقد دَبَغْتُ أربعين مَنّاً[1]، وعجنتُ عجيني، وغسلت بَنِيَّ ودهنتهم ونظفتهم. فقال لي رسول الله ﷺ: ائْتِني ببَنِي جعفر، فأتيتُه بهم، فشمّهم وذرفتْ عيناه، فقلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي ما يبكيك؟ أَبَلَغَكَ عن جعفر وأصحابه شيء؟ قال: نعم، أُصِيبُوا هذا اليوم. قالت: فقمت أصيح واجتمع إليّ النساء، وخرج رسول الله ﷺ إلىٰ أهله فقال: لا تَغْفَلوا عن آل جعفر أن تصنعوا لهم طعاماً، فإنهم قد شُغِلوا بأَمْر صاحبهم.

۞ تسمية مَن استشهد يوم مؤتة من المسلمين:

واستُشهد مِنَ المسلمين رضي الله عنهم بمؤتة:

- جعفر بن أبي طالب.
- وزيد بن حارثة.
- وعبدالله بن رواحة.
- ومسعود بن الأسود بن حارثة بن نضلة.
- ووهب بن سعد بن أبي سَرْح.
- وعبّاد بن قيس.
- والحارث بن النعمان بن إِساف بن نضلة.
- وسُراقة بن عمرو بن عطية بن خنساء.
- وأبو كُلَيب أو كلاب بن عمرو بن زيد، وأخوه جابر بن عمرو بن زيد.
- وعمرو وعامر ابنا سعد بن الحارث بن عبّاد بن سعد.

وزاد الكلبي والبلاذري:

---

(١) هو الرطل الذي يُوزَن به، تعني أربعين رطلاً مِنْ دباغ.
وفي رواية غيرها: أربعين منيئة، وهي الجلد ما دام في الدباغ.

- هَوْبَجة بن بُجَير بن عامر الضَّبيّ[١].
- وزيد بن عُبَيْد بن المُعَلَّىٰ الأنصاري[٢].
- وعبدالله بن سعيد بن العاص بن أمية[٣].
- وهبّار بن سفيان بن عبدالله المخزومي[٤].
- وعبدالله بن الربيع الأنصاري[٥].
- ومعاذ بن ماعص[٦].

وقال في البداية والنهاية بعد أن ذكر جميع مَنْ قُتِلَ بمؤتة مِنَ المسلمين: فالمجموع علىٰ القولين اثنا عشر رجلاً، وهذا عظيم جداً أن يَتَقاتل جيشان متعاديان في الدين، أحدهما وهو الفئة التي تقاتل في سبيل الله عِدَّتها ثلاثة آلاف، وأخرى كافرة عِدَّتها مائتا ألف مقاتل من الروم وغيرهم، يتبارزون ويتصاولون، ثم مع هذا كله لا يُقْتَلُ مِنَ المسلمين سوى اثني عشر رجلاً؟!

أما المشركون فقُتِلَ منهم خَلْقٌ كثير، فهذا خالد وحده يقول: لقد اندقّت في يدي يومئذ تسعة أسياف، فماذا تُرى قد قَتَلَ بهذه الأسياف كلها؟ دَعْ غيره من الأبطال والشجعان مِن حملة القرآن.

---

(١) لم يذكره ابن حجر في الإصابة، ولكن ذكره ابن الأثير في أسد الغابة، وساق نَسَبه وقال: قدم علىٰ رسول الله ﷺ مهاجراً، قُتِلَ يوم مؤتة ويقال: إنَّ جسده فُقِدَ. ذَكَرَه البلاذري ولم يزد علىٰ هذا.

(٢) هو زيد بن عُبَيد بن المُعَلّىٰ بن لوذان، شهد بدراً، وقُتِلَ يوم مؤتة كما في أسد الغابة. وأضاف ابن الأثير: وأظنه ابن أخي رافع بن المُعَلّىٰ الأنصاري، ذَكَره الغساني عن العدوي.

(٣) قال ابن الأثير: قُتِلَ باليمامة في الأكثر. وقال الذهبي: الأصحّ ببدر.

(٤) قال ابن الأثير في ترجمته: قيل: إنه استشهد يوم مؤتة، وقيل: بل استشهد بأجنادين في خلافة أبي بكر. ولم يذكره ابن إسحاق وابن عقبة فِيمَنْ قُتِلَ يوم مؤتة.

(٥) هو عبدالله بن الربيع بن قيس بن عمرو المخزومي الأنصاري، لم يذكر صاحب الإصابة أنه استشهد بمؤتة.

(٦) قال ابن حجر: ووقع في مغازي موسىٰ بن عقبة أنه استشهد يوم مؤتة، وفي نسخة منها أن الذي استشهد فيها أخوه عبّاد.

وهـذا مِمّـا يدخـل في قولــه تعــالىٰ: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾ [آل عمران].

❁ رجوع أصحاب مؤتة إلىٰ المدينة وكيف تَلقّاهم المسلمون:

قال ابن عائذ رحمه الله تعالىٰ: وقفل المسلمون، فمَرُّوا في طريقهم بقرية لها حصن، كان أهلها قتلوا في ذهاب المسلمين رجلاً من المسلمين، فحاصروهم حتىٰ فتحه الله عليهم عنوة، وقَتَلَ خالد مقاتلتهم.

وروى ابن إسحاق عن عروة بن الزبير قال: لَمّا أقبل أصحاب مؤتة، تلقّاهم رسول الله ﷺ والمسلمون معه، ولَقِيَهم الصبيان يشتدّون، ورسول الله ﷺ مُقْبِلٌ مع القوم علىٰ دابة، فقال: خذوا الصبيان فاحملوهم، وأعطوني ابنَ جعفر. فأُتِيَ بعبدالله، فأخذه فحمله بين يديه.

قال: وجعل الناس يَحْثون علىٰ الجيش التراب ويقولون: يا فُرّار، فَرَرْتُم في سبيل الله[1]؟! فيقول رسول الله ﷺ: ليسوا بالفُرّار، ولكنهم الكُرّار إن شاء الله تعالىٰ.

وروى ابن إسحاق عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أنها قالت لامرأة سلمة بن هشام بن العاص بن المغيرة: ما لي لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله ﷺ ومع المسلمين؟ قالت: واللهِ ما يستطيع أن يخرج، كلما خرج صاح به الناس: يا فُرّار، فَرَرْتم من سبيل الله؟! حتىٰ قعد في بيته فما يخرج، وكان في غزوة مؤتة.

قال ابن كثير صاحب النهاية: لعلّ طائفة منهم فَرُّوا لَمّا عاينوا كثرة جموع العدو علىٰ ما ذكروه مائتي ألف، وكان المسلمون ثلاثة آلاف. ومِثْلُ هذا يُسَوِّغ الفرار، فلما فرّ هؤلاء ثبت باقيهم وفتح الله عليهم، وتخلّصوا من أيدي أولئك وقَتَلوا منهم مقتلة عظيمة، كما ذكره

---

(١) الأوْلىٰ أن يقال: فَرَرْتُم من سبيل الله، ففي التنزيل: ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذاً لا تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الأحزاب: ١٦].

الزهري، والواقدي، وموسىٰ بن عقبة، والعطّاف بن خالد، وابن عائذ. وحديث عوف بن مالك السابق[١] يقتضي أنهم غنموا منهم، وسلبوا مِن أشرافهم، وقَتَلوا مِن أمرائهم.

٤٤- سرية عمرو بن العاص إلىٰ ذات السلاسل[٢]

[جمادى الآخرة ٨ هـ][٣]

قال ابن عقبة وابن إسحاق وابن سعد ومحمد بن عمر رحمهم الله تعالىٰ: بَلَغَ رسول الله ﷺ أنَّ جمعاً من قضاعة تَجَمّعوا يريدون أن يدنوا إلىٰ أطراف مدينة رسول الله ﷺ، فدعا رسول الله ﷺ عمرو بن العاص بعد إسلامه بسنة كما هي عبارة ابن سعد في الطبقات.

وعند ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ بعث عَمْراً يستنفر العرب إلىٰ الشام[٤].

فعقد له ﷺ لواء أبيض، وجعل معه راية سوداء، وبعثه في ثلاثمائة مِن سَراة[٥] المهاجرين والأنصار، وأَمَرَه أنْ يستعين بمَنْ مَرَّ به من العرب مِن بَلِيّ، وعُذرة، وبَلْقَيْن. وذلك أنَّ عَمراً كان ذا رحم فيهم، كانت أم العاص بن وائل بلوية[٦]، فأراد رسول الله ﷺ أن يَتَأَلَّفَهم بعمرو.

---

(١) انظر ص٢٣٨.

(٢) السلاسل رمل يتعقّد بعضه علىٰ بعض وينقاد، وسرية ذي السلاسل هي وراء وادي القرى. وقال ابن إسحاق: ذات السلاسل هو ماء بأرض جذام، وبه سُمِّيَت السرية. وقال أبو عبيد البكري: ذات السلاسل رمل بالبادية.

(٣) وقيل: كانت سنة سبع، وبه جزم ابن أبي خالد في صحيح التاريخ. وذكر ابن عساكر أنها كانت بعد سرية مؤتة، إلاّ أن ابن إسحاق قال: قَبْلها.

(٤) وفي رواية: إلىٰ الإسلام.

(٥) السَّراة بفتح السين جمع سَرِيّ، وهو الشريف أو ذو المروءة والسخاء. وفي الصحاح: جمع السَّرِيّ سَراة، وهو جمع عزيز أنْ يُجْمَعَ فعيل علىٰ فعلة، ولا يُعرف غيره.

(٦) ذكر السهيلي في الروض الأنف أن أم أبي عمرو بن العاص كانت مِنْ بَلِيّ واسمها سلمىٰ، وأما أم عمرو فهي ليلىٰ وتُلَقَّب بالنابغة.

وفي حديث بريدة[١] عند إسحاق بن راهويه أن أبا بكر قال: إنَّ عَمراً لم يستعمله رسول الله ﷺ إلاّ لِعِلْمِهِ بالحرب[٢].

وروى البخاري عن أبي عثمان النهدي موقوفاً عليه، ومسلم والإسماعيلي والبيهقي عنه قال: سمعت عمرو بن العاص رضي الله عنه يقول: بعثني رسول الله ﷺ على جيش ذي السلاسل، وفي القوم أبو بكر وعمر، فحدّثتُ نفسي: إنه لم يبعثني على أبي بكر وعمر إلاّ لمنزلة عنده. قال: فأتيته حتىٰ قعدت بين يديه وقلت: يا رسول الله، مَنْ أحبّ الناس؟ قال: عائشة، قلت: إني لست أسألك عن أهلك، قال: فأبوها، قلت: ثم مَنْ؟ قال: عمر، قلت: ثم مَنْ؟ قال: .... حتىٰ عَدَّ رهطاً، قلت في نفسي: لا أعود أسأل عن هذا.

وفي رواية الشيخين: فسكتُّ مخافة أن يجعلني في آخرهم.

قالوا: وكان معه ثلاثون فرساً، فكان يكمن النهار ويسير الليل، حتىٰ إذا كان علىٰ ماء بأرض جُذام يقال له: السلاسل[٣]، بَلَغَه أنَّ لهم جمعاً كثيراً، فبعث عمرو رافع بن مَكِيث الجُهَني إلىٰ رسول الله ﷺ يخبره أن لهم جمعاً كثيراً ويستمدّه، فبعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، وعقد له لواء، وبعث معه سَراة المهاجرين كأبي بكر وعمر بن الخطاب، وعِدّة من الأنصار رضي الله عنهم. وأمَرَ رسول الله ﷺ أبا عبيدة أن يلحق بعمرو بن العاص، وأن يكونا جميعاً ولا يختلفا، وكان أبو عبيدة في مائتي رجل حتىٰ لَحِقَ بعمرو.

فلما قدموا أراد أبو عبيدة أن يَؤُمّ الناس، فقال عمرو: إنما قدمتَ عليّ مدداً لي، وليس لك أن تَؤُمَّني وأنا الأمير. فقال المهاجرون: كلاّ، بل أنت أمير أصحابك، وهو أمير أصحابه. فقال عمرو: لا، أنتم مَدَدٌ لنا. فلما رأى أبو عبيدة الاختلاف وكان رجلاً لَيِّناً،

---

(١) هو بُرَيْدة بن الحبيب الأسلمي، أَسْلَمَ حين مرّ به النبي ﷺ مهاجراً، ثم قدم عليه بعد أُحُد فشهد معه مشاهده، وشهد الحديبية وبيعة الرضوان، وكان مِن ساكني المدينة وتحوّل إلىٰ البصرة، ثم خرج منها غازياً إلىٰ خراسان، فأقام بمَرُو حتىٰ مات ودُفِنَ بها - أنظر أسد الغابة.

(٢) روى البيهقي عن أبي معشر عن بعض شيوخه أن رسول الله ﷺ قال: إني لأُؤَمِّرُ الرجل علىٰ القوم وفيهم مَنْ هو خير منه؛ لأنه أَيْقَظ عَيْناً وأَبْصَر بالحرب.

(٣) ويقال: السَّلْسل؛ وبذلك سُمِّيَت السرية كما قدّمنا.

حَسَن الخُلُق سهلاً، هَيِّناً عليه أمْر الدنيا، يسعىٰ لأمر رسول الله ﷺ وعهده، قال: يا عمرو، تَعْلَمَنَّ أنَّ آخر شيء عهد إليّ رسول الله ﷺ أنْ قال: (إذا قدمتَ علىٰ صاحبك فتَطاوَعا ولا تختلفا)، وإنك واللهِ إنْ عَصَيْتَني لأُطِيعَنّك. وأطاع أبو عبيدة عَمراً، فكان عمرو يصلي بالناس، وقال عمرو: إني الأمير عليكم وأنت مددي، فقال: دونك.

وروى الإمام أحمد عن الشعبي مرسلاً قال: انطلق المغيرة بن شعبة إلىٰ أبي عبيدة فقال: إن رسول الله ﷺ قد استعملك علينا، وإن ابن فلان قد اتّبع أمير القوم، وليس لك معه أمْر. فقال أبو عبيدة: إنّ رسول الله ﷺ قد أمَرَنا أن نَتَطاوع، فأنا أُطيع رسول الله ﷺ وإنْ عصاه عمرو.

فأطاع أبو عبيدة عَمْراً، فكان عمرو يصلي بالناس، وصار معه خمسمائة. فسار حتىٰ نزل قريباً منهم وهم شاقون، فجمع أصحابُه الحطب يريدون أنْ يوقدوا ناراً ليصطلوا عليها من البرد، فمَنَعَهُم، فشقّ عليهم ذلك حتىٰ كَلَّمَه في ذلك بعض المهاجرين، فغالظه عمرو في القول، فقال له عمرو: قد أُمِرْتَ أن تسمع لي؟ قال: نعم، قال: فَافْعَلْ.

وروى ابن حبان والطبراني برجال الصحيح عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بعثه في غزوة ذات السلاسل، فسأله أصحابه أن يُوقِدوا ناراً فمَنَعَهُم، فكلّموا أبا بكر رضي الله عنه فكلّمه، فقال: لا يُوقِدُ أحد منكم ناراً إلاّ قَذَفْتُه فيها.

وروى الحاكم عن بريدة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص في سرية، فيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فلما انتهوا إلىٰ مكان الحرب أمَرَهم عمرو ألاّ يُوقِدوا ناراً، فغضب عمر بن الخطاب وهَمَّ أنْ يَأْتِيَه، فنهاه أبو بكر وأخبره أن رسول الله ﷺ لم يستعمله إلاّ لِعِلْمِه بالحرب، فهدأ عنه.

فسار عمرو الليل وكمن النهار حتىٰ وطئ بلاد العدو[1]، ودَوَّخَها كلها حتىٰ انتهىٰ إلىٰ موضعٍ بَلَغَهُ أنه قد كان به جَمْعٌ، فلما سمعوا به تفرّقوا. فسار حتىٰ إذا انتهىٰ إلىٰ أقصىٰ بلادهم، ولَقِيَ في آخر ذلك جمعاً ليسوا بالكثير، فاقتتلوا ساعة وحمل المسلمون عليهم، فهزموهم وتفرّقوا.

---

(١) في طبقات ابن سعد: حتىٰ وَطِئَ بلاد بَلِيّ.

ودوّخ عمرو ما هنالك، وأقام أياماً لا يسمع لهم بجمع ولا مكان صاروا فيه إلاّ قاتلهم، وكان يبعث أصحاب الخيل فيأتون بالشاء والنَّعَم، فكانوا ينحرون ويأكلون. ولم يكن أكثر من ذلك، لم يكن في ذلك غنائم تُقَسَّم، كذا قال جماعة.

وقال البلاذري: فَلَقِيَ العدوَّ مِن قضاعة، وعاملة، ولَخْم، وجُذام. وكانوا مجتمعين فَفَضَّهُم، وقَتَلَ منهم مقتلة عظيمة وغَنِمَ.

وروى ابن حبان والطبراني عن عمرو أنهم لَقُوا العدوَّ، فأراد المسلمون أن يتبعوهم فمنعهم.

وبعث عمرٌو عوفَ بن مالك الأشجعي بشيراً إلىٰ رسول الله ﷺ بقفولهم وسلامتهم، وما كان في غزاتهم.

۞ وصية أبي بكر رضي الله عنه لرافع بن أبي رافع بن عمير الطائي:

روى ابن إسحاق ومحمد بن عمر عن رافع بن أبي رافع الطائي رضي الله عنه قال: كنتُ امرأ أنصارياً وسُمِّيتُ سَرْجِس، فكنتُ أَدَلَّ الناسِ وأَهْداهم بهذا الرمل، كنت أدفن الماء في بيض النعام بنواحي الرمل في الجاهلية ثم أُغِير علىٰ إبل الناس، فإذا أَدْخَلْتُها الرمل غَلَبْتُ عليها، فلم يستطع أحد أن يطلبني فيه، حتىٰ أَمُرَّ بذلك الماء الذي خبّأت في بيض النعام فأستخرجه فأشرب منه. فلما أسلمتُ خرجت في تلك الغزوة التي بعث فيها رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلىٰ ذات السلاسل، فقلت: واللهِ لأَخْتارَنّ لنفسي صاحباً. فصحبتُ أبا بكر رضي الله عنه، فكنتُ معه في رَحْلِه، وكانت عليه عباءة فَدَكِيّة، فكان إذا نَزَلْنا بَسَطَها، وإذا ركبنا لبسها، ثم شَكَّها عليه بخِلال له. قال: وذلك الذي له يقول أهل نجد حين ارْتَدّوا كفاراً: نحن نبايع ذا العباءة.

قال: فلما دَنَوْنا من المدينة قافلين قلت: يا أبا بكر رحمك الله، إنما صَحِبْتُكَ لينفعني الله بك، فانصحني وعَلِّمْني. قال: لو لم تسألني ذلك لفعلتُ، آمرك أن تُوَحِّدَ الله ولا تشرك به شيئاً، وأن تُقِيم الصلاة، وأن تُؤتي الزكاة، وتَصوم رمضان، وتَحج البيت، وتغتسل من الجنابة، ولا تَتَأَمَّرَنّ علىٰ رجلين من المسلمين أبداً. قلت: يا أبا بكر، أمّا ما أمرتني به من توحيد الله عز وجل فإني والله لا أُشْرِكُ به أحداً أبداً، وأمّا الصلاة فلن أتركها أبداً

إن شاء الله تعالىٰ، وأمّا الزكاة فإنْ يكن لي مال أُؤَدِّها إن شاء الله تعالىٰ، وأمّا رمضان فلن أتركه أبداً إن شاء الله تعالىٰ، وأمّا الحج فإنْ أَسْتَطِعْ أَحُجُّ إن شاء الله تعالىٰ، وأمّا الجنابة فسأغتسل منها إن شاء الله تعالىٰ، وأمّا الإمارة فإني رأيتُ الناس يا أبا بكر لا يصيبون هذا الشرف وهذه المنزلة عند الناس إلاّ بها، فلِمَ تنهاني عنها؟ قال: إنك اسْتَنْصَحْتَني فجَهَدْتُ لك نفسي، وسأخبرك عن ذلك إن شاء الله تعالىٰ: إن الله عز وجل بعث محمداً ﷺ بهذا الدين، فجاهد عليه حتىٰ دخل الناسُ فيه طَوْعاً وكَرْهاً، فلما دخلوا فيه أجارَهُم الله من الظلم، فهم عُوّاذ الله وجيرانه، وفي ذِمّته وأمانته، فإيّاك، لا تُخْفِر ذِمّة الله في جيرانه فَيَتْبَعَكَ الله تعالىٰ في خُفْرَتِه، فإنَّ أحدكم يُخْفَر في جاره فيظل ناتئاً عَضَلُه غضباً لجاره أنْ أُصِيبَتْ له شاة أو بعير، فالله تعالىٰ أشدّ غضباً لجاره[1].

قال: ففارقتُه علىٰ ذلك، فلما قُبِضَ رسول الله ﷺ واستُخلف أبو بكر علىٰ الناس، قدمت عليه فقلت له: يا أبا بكر، أَلَمْ تَكُ نَهَيْتَني عن أنْ أَتَأَمَّرَ علىٰ رجلين من المسلمين؟ قال: بلىٰ، وأنا الآن أنهاك عن ذلك. فقلت له: فما حملك علىٰ أنْ تَلِيَ أمْر الناس؟ قال: اخْتَلَفَ الناس وخَشيتُ عليهم الهلاك[2]، ودعوا إليّ فلم أجِدْ بُدّاً من ذلك.

۞ خبر احْتِلام عمرو بن العاص رضي الله عنه:

روى محمد بن عمر عن أبي بكر بن حزم قال: احْتَلَمَ عمرو بن العاص رضي الله عنه حين قفلوا في ليلة باردة كأشدّ ما يكون البرد، فقال لأصحابه: ما تَرَوْنَ، قد واللهِ احْتَلَمْتُ، فإن اغتسلتُ مُتُّ؟ فدعا بماء وتوضّأ، وغسل فرجه وتيمّم، ثم قام وصلّىٰ بالناس. فلما قدم عمرو علىٰ رسول الله ﷺ سأله عن صلاته، فأخبره وقال: والذي بعثك بالحق إني لو اغتسلتُ لَمُتُّ، لم أجد برداً قط مِثْله، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿١٩﴾﴾ [النساء]. فضحك رسول الله ﷺ، ولم يَبْلُغْنا أنه قال له شيئاً.

---

(١) وفي لفظ: فاللهُ مِنْ وراء جاره.

(٢) وفي رواية: الفُرْقة.

وروى أبو داود عن عمرو نحوه، وفيه: فقال رسول الله ﷺ: يا عمرو، صَلَّيْتَ بأصحابك وأنتَ جُنُب؟

۞ قصة عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه في الجزور:

روى البيهقي من طريق ابن إسحاق قال: حدّثني يزيد بن أبي حبيب[١] قال: حُدِّثْتُ عن عوف بن مالك، ومِنْ طريقين عن سعيد بن أبي أيوب وابن لُهَيْعة[٢] عن يزيد بن أبي حبيب عن ربيعة بن لقيط أخبره عن مالك بن هَرِم أظُنُّه عن عوف بن مالك رضي الله عنه، واللفظ لابن إسحاق قال: كنت في الغزاة التي بعث فيها رسول الله ﷺ عمرو بن العاص، وهي غزوة ذات السلاسل، فصحبت أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، فَمَرَرْتُ بقوم وهم علىٰ جزور قد نحروها وهم لا يقدرون علىٰ أن يُبَعِّضوها[٣]، وكنت امْرَأً لَبِقاً جازراً، فقلت لهم: أتُعْطوني منها عَشِيراً[٤] علىٰ أن أقْسِمَها بينكم؟ قالوا: نعم. فأخذتُ الشفرة فجزّأتها مكاني، وأخذتُ جزءاً فحملته إلىٰ أصحابي، فاطّبخناه وأكلناه، فقال لي أبو بكر وعمر رضي الله عنهما: أنّىٰ لك هذا اللحم يا عوف؟ فأخبرتهما خبره، فقالا: واللهِ ما أحْسَنْتَ حين أطْعَمْتَنا هذا، ثم قاما يتقيّآن ما في بطونهما منه[٥]. فلما قفل الناس من ذلك السفر، كنتُ أول قادم علىٰ رسول الله ﷺ.

---

(١) هو يزيد بن أبي حبيب المصري الفقيه، روى عن خَلْق كثير من التابعين، وهو أول مَنْ أَظْهَرَ العِلْمَ بمصر والمسائل والحلال والحرام، وقبل ذلك كانوا يتحدّثون في الترغيب والملاحم والفتن. وكان أسود نوبياً من أهل دَنْقَلة، توفي سنة ١٢٨هـ- انظر تذكرة الحفاظ للذهبي إن شئتَ.

(٢) هو أبو عبد الرحمن عبدالله بن لُهَيْعة الحضرمي، وَلِيَ القضاء بمصر سنة مائة وخمس وخمسين، وهو أول قاض وَلِيَ مصر من قِبَل الخليفة، ولاّه القضاء أبو جعفر المنصور. انظر كتاب الولاة والقضاء للكندي. وفي تهذيب الأسماء واللغات للنووي: إنَّ ابن لُهَيْعة لَقِيَ اثنين وسبعين تابعياً، وهو ثقة في الحديث، توفي بمصر سنة ١٧٤هـ.

(٣) بمعنىٰ يقسموها.

(٤) العَشِير النصيب؛ لأن الجزور كانت تقسم علىٰ عشرة أجزاء، فكل جزء منها عَشِير.

(٥) وليس في رواية مالك بن هَرِم أنهما أكلا، بل ذِكْر لأبي بكر فيها.

وفي رواية مالك بن هَرِم: ثم أبردوني في فَيْج لنا[١]، فقدمتُ علىٰ رسول الله ﷺ.

قال: فجئتُه وهو يصلي في بيته، فقلت: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فقال: أعوف بن مالك؟ قلت: نعم بأبي أنت وأمي، فقال: أصاحب الجزور؟ ولم يَزِدْني علىٰ ذلك شيئاً.

وزاد محمد بن عمر: ثم قال رسول الله ﷺ: أخْبِرْني، فأخبرتُه بما كان مِنْ سَيْرنا، وما كان بين أبي عبيدة بن الجراح وعمرو بن العاص ومطاوعة أبي عبيدة. فقال رسول الله ﷺ: يرحم الله أبا عبيدة بن الجراح.

وروى ابن حبان والطبراني عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن الجيش لَمّا رجعوا ذكروا لرسول الله ﷺ مَنْعِي لهم مِنْ إيقاد النار، ومِن اتباعهم العدو، فقلت: يا رسول الله، إني كرهتُ أن يوقدوا ناراً فيرى عَدُوُّهم قِلَّتَهم، وكرهتُ أن يتبعوهم فيكون لهم مدد فيَعْطفوا عليهم. فحمد رسول الله ﷺ أمْرَه.

٤٥- سرية أبي عبيدة بن الجراح إلىٰ سِيف البحر[٢] (سرية الخَبَط[٣])

[رجب ٨هـ]

قال جمهور أئمة المغازي: كانت في رجب سنة ثمان من مهاجَره ﷺ.

ذكر محمد بن عمر وابن سعد أن رسول الله ﷺ أرسل أبا عبيدة بن الجراح ومَنْ معه لحي من جهينة بالقَبْلِيّة مِمّا يلي ساحل البحر.

وروى البخاري من طرق عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، ومسلم مِن طرق أُخَر عنه، وابن إسحاق عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، قال جابر: بَعَثَنا رسول الله ﷺ في ثلاثمائة راكب.

---

(١) الفَيْج هو المُسْرِعُ في مِشْيَتِهِ الذي يحمل الأخبار من بلد، والجمع فيوج، وهو فارسي معرب.

(٢) هو جانب البحر وساحله.

(٣) هو ما سقط من ورق الشجر إذا خُبِطَ بالعصا لِتَعْلِفَهُ الإبل.

زاد محمد بن عمر وابن سعد: من المهاجرين والأنصار، فيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

قال جابر: وأمَّرَ علينا رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح، نرصد عِيراً لقريش، وزَوَّدَنا جِراباً[١] من تمر لم يجد لنا غيره. فكنا ببعض الطريق[٢] ففَنِيَ الزاد، فأمر أبو عبيدة بأزواد الجيش فجُمِعَ، فكان مِزْوَدَ تمر، وكان يَقُوتُنا كلَّ يوم قليلاً قليلاً[٣]، ثم صار يعطينا تمرة تمرة حتىٰ فَنِيَ. قيل: كيف كنتم تصنعون بها؟ قال: كنا نَمَصُّها كما يَمَصُّ الصبي الثدي، ثم نشرب عليها الماء فتكفينا يومنا إلىٰ الليل.

وفي رواية وهب بن كيسان: قلت لجابر: ما تُغني عنكم تمرة؟ قال: لقد وَجَدْنا فَقْدَها حين فَنِيَتْ.

وفي حديث عبادة بن الصامت: فقسمها يوماً بيننا فنقصت تمرة عن رجل، فوجدنا فَقْدَها ذلك اليوم، فأصابنا جوع شديد، وكنا نضرب بِعِصِيِّنا الخَبَط ثم نَبُلُّه بالماء.

وفي رواية عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت: وكان قُوت كلٍّ منا في كل يوم تمرة، فكان يَمَصُّها ثم يَصُرُّها في ثوبه، وكنا نخبط بقِسِيِّنا ونأكل حتىٰ تقرّحت أشداقنا، فأُقْسِمُ أَخْطَأَها رجلٌ منا يوماً فإن انقلب به تَنْعَشُه، فشهدنا له أنه لم يُعْطَها فأُعْطِيها، فقام فأخذها.

قال جابر: وانطلقنا علىٰ ساحل البحر، فألقىٰ إلينا البحر دابة يقال لها: العنبر[٤]، فأتيناه فأكلنا منه نصف شهر[٥] ونحن ثلاثمائة، حتىٰ سَمِنّا وادَّهَنّا مِنْ وَدَكه[٦]، حتىٰ ثابت منه أجسادنا وصَلُحت، ولقد رأيتنا نغترف مِن وَقْبِ عينيه[٧] بالقِلال الدهنَ، وأخرجنا من

---

(١) الجِراب: وعاء التمر مِن أَدَم.

(٢) وفي رواية: فأَقَمْنا بالساحل نصف شهر.

(٣) وفي رواية: فكان يعطينا قبضة قبضة.

(٤) العنبر حوت كبير بليغ طويل، طوله خمسون ذراعاً فأكثر. وجاءت بعض الروايات بلفظ: حوتاً لم نَرَ مِثْلَه كهيئة الكثيب الضخم، وفي رواية: مِثْل الضريب الضخم.

(٥) وفي رواية عند البخاري: ثماني عشرة ليلة، وعند مسلم: شهراً.

(٦) الوَدَك: الشحم.

(٧) الوَقْب: النقرة التي تكون فيها الحدقة من العين.

عينيه كذا وكذا قُلّة وَدَك، ونقطع منه القِدَر كالثور - أو كقِدَر الثور-. وأمر أبو عبيدة بضلع[١] من أضلاعه فنُصِبَ، ونظر إلىٰ أطول رجل في الجيش[٢] وأطول جمل فحمله عليه، ومُرَّ من تحته راكباً فلم يُصِبه - أو يُصِبْهُما -، وتَزَوَّدْنا من لحمه وَسائِقَ.

وفي رواية أبي حمزة الخولاني: وحملنا منه ما شئنا مِنْ قديد ووَدَك في الأسقية.

قال جابر: فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ، فذكرنا له ذلك فقال: رِزْقٌ أخْرَجَه الله تعالىٰ لكم، فهل معكم مِنْ لحمه شيء فتطعمونا؟ قال: فأرسلنا إلىٰ رسول الله ﷺ منه فأكله[٣].

وفي رواية أبي حمزة الخولاني أنَّ رسول الله ﷺ قال: لو نَعْلَمُ أنّا ندركه لم يُرْوِح لأَجَبْنا لو كان عندنا منه.

وفي مغازي محمد بن عمر والغيلانيات: فلما قدم قيس بن سعد بن عبادة لَقِيَه أبوه فقال: ما صنعتَ في مجاعة القوم حين أصابَتْهم؟ قال: نَحَرْتُ، قال: أصَبْتَ، ثم ماذا؟ قال: نَحَرْتُ، قال: أصَبْتَ، ثم ماذا؟ قال: نُهِيتُ.

وفي مسند الحميدي عن أبي صالح عن قيس قلت لأبي: كنت في الجيش فجاعوا، قال: أنَحَرْتَ؟ قال: نَحَرْتُ. قال: ثم جاعوا، قال: أنَحَرْتَ؟ قال: نُهِيتُ.

وفي مغازي محمد بن عمر قال: مَنْ نهاك؟ قال: أبو عبيدة بن الجراح، قال: ولِمَ؟ قال: زعم أنه لا مال لي وإنما المال لأبيك. قال: لك أربع حوائط، أدنىٰ حائط منها تجد منه خمسين وسقاً. وكتب بذلك كتاباً، وأشْهَدَ أبا عبيدة وغيره، وقَدِمَ الجُهَني مع قيس فأَوْفاه أوْسُقَه، وحمله وكساه.

وعند ابن خزيمة عن جابر رضي الله عنه قال: بلغ رسولَ الله ﷺ فِعْلُ قيس فقال: إنَّ الجُود لَمِنْ شِيمة أهل ذلك البيت.

---

(١) وفي رواية: بضلعين.

(٢) وهو قيس بن سعد بن عبادة فيما يظنه الحافظ.

(٣) وفي رواية: فأتاه بعضهم بعضو منه فأكله.

٤٦- سرية أبي قتادة الأنصاري[١] إلىٰ خَضِرة[٢] ووقعة ابن أبي حَدْرَد[٣]

[شعبان ٨ هـ]

روى ابن إسحاق والإمام أحمد ومسلم ومحمد بن عمر عن عبدالله بن أبي حدرد رضي الله عنه قال: تَزَوَّجْتُ ابنة سراقة بن حارثة النجاري[٤] وقد قُتِلَ ببدر، فلم أُصِبْ شيئاً من الدنيا كان أَحَبَّ إليَّ مِنْ نكاحها، وأَصْدَقْتُها مائتي درهم، فلم أجِدْ شيئاً أَسُوقه إليها، فقلت: علىٰ الله تعالىٰ ورسوله ﷺ المُعَوَّل. فجئتُ رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: كم سُقْتَ إليها، فقلت: مائتي درهم يا رسول الله، فقال: سبحان الله! واللهِ لو كنتم تغترفونه من ناحية بُطْحان[٥] ما زِدْتُم[٦]. فقلت: يا رسول الله، أَعِنِّي علىٰ صداقها. فقال رسول الله ﷺ: ما وافَقْتَ عندنا شيئاً أُعِينُكَ به، ولكنْ قد أَجْمَعْتُ أن أبعث أبا قتادة في أربعة عشر رجلاً في سَرِيّة، فهل لك أن تخرج فيها؟ فإني أرجو أن يُغْنِمَك الله مهر امرأتك. فقلت: نعم.

وعند ابن إسحاق قال: فلبثت أياماً، ثم أَقْبَلَ رجل مِنْ بني جُشَم بن معاوية يقال له: رفاعة بن قيس حتىٰ نزل بقومه وبِمَنْ معه الغابة، يريد أن يجمع قيساً علىٰ حرب رسول الله ﷺ، وكان ذا اسم وشرف في جُشَم. فدعاني رسول الله ﷺ ورجلين معي من المسلمين، فقال: اخرجوا إلىٰ هذا الرجل حتىٰ تأتوني منه بخبرٍ وعِلْمٍ، وقَدَّمَ لنا شارفاً عجفاء[٧] يُحْمَلُ عليها أَحَدُنا، فواللهِ ما قامت به ضعفاً حتىٰ دَعَمَها الرجال مِنْ خلفها بأيديهم[٨]، حتىٰ

---

(١) هو الحارث بن رِبْعِيّ، راجع ابن الأثير في أسد الغابة ج٥ ص٢٧٤ فإنك ستجد ترجمته هناك.

(٢) هكذا ضُبِطَتْ بفتح الخاء وكسر الضاد، وعند البرهان بضم الخاء وإسكان الضاد، وهي أرض محارب بنجد.

(٣) ولقد ذكر ابن سيد الناس في عيون الأثر أنّ سَرِيّة أبي قتادة إلىٰ خَضِرة غير سرية عبدالله بن أبي حدرد التي سأل فيها رسول الله ﷺ الإعانة علىٰ مهر امرأته. ولقد جعلها محمد بن عمر الواقدي سرية واحدة.

(٤) الصواب هو حارثة بن سراقة أحد بني عدي بن النجار.

(٥) بضم الباء وسكون الطاء، هو وادٍ بالمدينة.

(٦) وفي رواية: لو كنتم تغترفون الدراهم من واديكم هذا ما زِدْتم.

(٧) الشارف هو المُسِنُّ من الدواب، والعجفاء المهزولة.

(٨) أي قوّموها بأيديهم حتىٰ قامت.

استقلّت[١] وما كادت، ثم قال: تَبَلَّغوا عليها واعْتَقِبوها.

وفي حديث محمد بن عمر وأحمد واللفظ للأول: فخرجنا ومعنا سلاحنا من النَّبْل والسيوف، فكنا ستة عشر رجلاً بأبي قتادة، وهو أميرنا. فبَعَثَنا رسول الله ﷺ إلىٰ غطفان نحو نجد، فقال ﷺ: سيروا الليل واكمنوا النهار، وشُنُّوا الغارة[٢]، ولا تقتلوا النساء والصبيان.

قال: فخرجنا حتىٰ جئنا ناحية غطفان[٣]، وخَطَبَنا أبو قتادة وأَوْصانا بتقوى الله تعالىٰ، وألَّفَ بين كل رجلين وقال: لا يفارق كل رجل زميله[٤] حتىٰ يُقْتَل أو يرجع إليَّ فيخبرني خبره، ولا يَأْتِيَنَّ رجل فأَسْأَله عن صاحبه فيقول: لا عِلْمِ لي به، وإذا كَبَّرْتُ فكَبِّروا، وإذا حَمَلْتُ فاحْمِلوا، ولا تُمْعِنوا في الطلب. فأَحَطْنا بالحاضرة، فسمعتُ رجلاً يصرخ: يا خَضِرة، فتفاءلتُ وقلت: لأُصِيبَنّ خيراً ولأَجْمَعَنَّ إليَّ امرأتي، وقد أتيناهم ليلاً.

قال: فجَرَّدَ أبو قتادة سيفه وكَبَّرَ، وجَرَّدْنا سيوفنا وكَبَّرْنا معه، فشددنا علىٰ الحاضر وقاتلنا رجالاً، وإذا أنا برجل طويل قد جرّد سيفه وهو يمشي القهقري، مَرة يُقْبِلُ عليّ بوجهه، ومَرة يُدْبِرُ عني بوجهه، كأنّه يريد أنْ يستطردني فأَتْبَعه، ثم يقول: يا مسلم، هَلُمَّ إلىٰ الجنة. فأَتْبَعُه، ثم قال: إنَّ صاحبكم لذو مكيدة، أمره هذا الأمر وهو يقول: الجنة الجنة، يَتَهَكَّم بنا، فعرفتُ أنه مُسْتَقْتِل فخرجتُ في أثره، وناديت: أين صاحبي؟ لا تَبْعُد فقد نهانا أميرنا عن أن نُمْعن في الطلب. فأدركتُه ومِلْتُ عليه، فقتلتُه وأخذت سيفه، وقد جعل زميلي يناديني: أين تذهب؟ إني والله إنْ ذهبتُ إلىٰ أبي قتادة فسألني عنك أَخْبَرْتُه. قال: فلَقِيتُه قِبَل أبي قتادة، فقلت: أسَأَل الأمير عني؟ قال: نعم، وقد تَغَيَّظَ عليَّ وعليك. وأخبرني أنهم قد جمعوا الغنائم وقَتَلوا مِن أشرافهم، فجئت أبا قتادة فلامني، فقلت:

---

(١) أي نهضت.

(٢) أي فَرِّقُوها مِنْ كل وجه.

(٣) وفي حديث أحمد: فخرجنا حتىٰ جئنا الحاضرة مُمْسِين.

(٤) الزميل هو العديل الذي حِمْله مع حِمْلك علىٰ البعير، والزميل أيضاً الرفيق في السفر الذي يُعِينُك علىٰ أمورك، وهو الرديف أيضاً.

قتلتُ رجلاً كان مِنْ أمْرِهِ كذا وكذا، وأخبرتُه بقوله كله.

قال: ثم سُقْنا النَّعَم وحملنا النساء، وجفون السيوف مُعَلَّقة بالأقتاب. فأصبحتُ وبعيري مقطور بامرأة كأنها ظبي، فجَعَلَتْ تُكْثِرُ الالتفات خلفها وتبكي، فقلت: إلىٰ أيِّ شيء تنظرين؟ قالت: أنظر والله إلىٰ رجل لئن كان حياً لاسْتَنْقَذَنا منكم. فوقع في نفسي أنه هو الذي قَتَلْتُه، فقلت: قد واللهِ قتلتُه، وهذا والله سيفه مُعَلَّق بالقَتَب. قالت: فأَلْقِ إليّ غِمْدَه، فقلت: هذا غِمْدُ سيفه، قالت: فَشِمْه[1] إنْ كنتَ صادقاً، قال: فشِمْتُهُ فطَبَّق[2]، فبكتْ ويئستْ.

وفي حديث ابن إسحاق: قال عبدالله بن أبي حدرد: فخرجنا ومعنا سلاحنا مِنَ النَّبْل والسيوف، حتىٰ إذا جئنا قريباً من الحاضر عُشَيْشِية مع غروب الشمس كَمَنْتُ في ناحية، وأَمَرْتُ صاحِبَيَّ فكَمَنا في ناحية أخرى من حاضر القوم، وقلت لهما: إذا سمعتُماني قد كبّرت وشددت في ناحية العسكر فكبِّرا وشُدّا معي. قال: فوالله إنّا كذلك ننتظر غِرّة القوم أو أن نصيب منهم شيئاً، وقد غَشِيَنا الليل حتىٰ ذهبت فَحْمة العشاء[3]، وقد كان لهم راع قد سرّح في ذلك البلد، فأَبْطَأَ عليهم حتىٰ تخوّفوا عليه، فقام صاحبهم ذلك رفاعة بن قيس فأخذ سيفه، فجعله في عنقه ثم قال: والله لأَتْبَعَنَّ أثر راعينا هذا، ولقد أصابه شَرٌّ. فقال له نفر مِمَّنْ معه: والله لا تذهبْ، نحن نكفيك. قال: والله لا يذهب إلاّ أنا، قالوا: فنحن معك، قال: والله لا يتبعني أحد منكم.

قال: وخرج حتىٰ مَرَّ بي، فلما أَمْكَنَني نَفَحْتُه بسهم[4] فوضعتُه في فؤاده، فواللهِ ما تَكَلَّم، ووثبتُ إليه فاحْتَزَزْتُ رأسه، وشددت في ناحية العسكر وكبّرت، وشد صاحباي وكبّرا، فوالله ما كان إلاّ النجاءُ مِمَّنْ فيه: عِنْدَكَ عِنْدَكَ، بكل ما قدروا عليه مِن نسائهم وأبنائهم، وما خَفَّ معهم من أموالهم. واسْتَقْنا إبلاً عظيمة وغنماً كثيرة، فجئنا بها إلىٰ

---

(١) شام السيف أي سَلَّه وأَغْمَده.

(٢) بمعنىٰ ساوى.

(٣) هي الظلمة التي بين صلاتي العشاء.

(٤) أي رَمَيْتُه به.

رسول الله ﷺ، وجئتُ برأسه أحمله معي، فأعانني رسول الله ﷺ مِنْ تلك الإبل بثلاثة عشر بعيراً في صَداقي، فجمعتُ إليّ أهلي.

وفي رواية أخرى قال: ورزقني الله خيراً كثيراً.

وعند محمد بن عمر عن جعفر بن عمر: وقالوا: غابوا خمس عشرة ليلة، وجاءوا بمائتي بعير وألف شاة، وسَبَوْا شيئاً كثيراً، وجمعوا الغنائم، فأخرجوا الخُمس فعزلوه، وعُدِلَ البعير بعشرين من الغنم.

وروى الإمام أحمد والشيخان وأبو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: بعث رسول الله ﷺ سرية قِبَل نجد فخرجتُ فيها، فغنمنا إبلاً وغنماً كثيرة، فبَلَغَتْ سُهماننا اثني عشر بعيراً، فنَفَّلَنا أميرنا بعيراً بعيراً كلَّ إنسان، ثم قدمنا علىٰ رسول الله ﷺ فقسم علينا غنيمتنا، فأصاب كلَّ رجل منا اثنا عشر بعيراً بعد الخُمس، وما حاسَبَنا رسول الله ﷺ بالذي أعطانا صاحبنا، ولا عاب عليه ما صنع.

وروى محمد بن عمر عن عبدالله بن أبي حدرد قال: أصَبْنا في وجهنا أربع نسوة، فيهن فتاة كأنها ظبي، بها من الحداثة والحلاوة شيء عجيب، وأطفال وجَوارٍ. فاقتسمنا السبي، وصارت تلك الجارية الوضيئة لأبي قتادة، فجاء مَحْمِيَةُ بن جَزْء الزُّبَيْدي فقال: يا رسول الله، إن أبا قتادة قد أصاب في وجهه هذا جارية وضيئة، وقد كنتَ وَعَدْتَني جارية مِنْ أول فَيْء يَفِيءُ الله به عليك. فأرسل رسول الله ﷺ إلىٰ أبي قتادة فقال: هَبْ لي الجارية، فقال: نعم يا رسول الله، فأخذها رسول الله ﷺ فدفعها إلىٰ مَحْمِية بن جَزْء الزُّبَيْدي.

٤٧- سرية أبي قتادة إلىٰ بطن إضم[1] وقتل عامر بن الأضبط الأشجعي

[رمضان ٨ هـ]

قال صاحب السيرة الشامية: وكانت في أول شهر رمضان قبل فتح مكة.

---

(١) هي فيما بين ذي خَشَب وذي المروة، بينها وبين المدينة ثلاثة برد، ونقل الزرقاني قائلاً: وفي السبل إنَّ إضماً وادٍ أو جبل، ولكن في القاموس إضَم كعِنَب: جبل الوادي الذي به المدينة.

قال محمد بن عمر: لَمّا أراد رسول الله ﷺ التوجه إلىٰ مكة، بعث أبا قتادة الحارث بن رِبْعِيّ رضي الله عنه في ثمانية نفر إلىٰ بطن إِضَم؛ لِيَظُنَّ ظانٌّ أن رسول الله ﷺ توجّه إلىٰ تلك الناحية، ولأَنْ تذهب بذلك الأخبار.

وروى محمد بن إسحاق ومحمد بن عمر وابن سعد وابن أبي شيبة والإمام أحمد والترمذي وحسّنه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والخرائطي في مكارم الأخلاق والطبراني وأبو نعيم والبيهقي في الدلائل كلهم عن عبدالله بن أبي حدرد، والطبراني عن جندب البَجَلي، وابن جرير عن ابن عمر، وابن أبي حاتم عن الحسن[1]، وعبد الرزاق وابن جرير عن قتادة، قال ابن أبي حدرد: بَعَثَنا رسول الله ﷺ إلىٰ إِضَم في نفر من المسلمين أميرُنا أبو قتادة الحارث بن رِبْعِيّ، وفينا مُحَلِّم[2] بن جَثّامة بن قيس الليثي وأنا. فخرجنا حتىٰ إذا كنا ببطن إِضَم، مَرَّ بنا عامر بن الأضبط الأشجعي علىٰ قَعود له[3] ومعه مُتَيِّعٌ له[4] ووَطْبٌ مِن لبن[5]. قال: فلما مَرّ بنا سَلَّمَ علينا بتحية الإسلام فأَمْسَكْنا عنه، وحَمَل عليه مُحَلِّم بن جَثّامة فقَتَلَهُ لشيء كان بينه وبينه، وأخذ بعيرَه وأخذ مُتَيِّعَه. فلما قدمنا علىٰ رسول الله ﷺ وأخبرناه الخبر نزل فينا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ ﴾ [النساء].

---

(١) هو الإمام الكبير الحسن بن أبي الحسن البصري، المتوفىٰ سنة مائة وعشر هجرية، عَدَّه الذهبي رأس الطبقة الثالثة من التابعين.

(٢) قال ابن هشام: مُحَلِّم في هذا الحديث كله عن غير ابن إسحاق، وهو مُحَلّم بن جَثّامة بن قيس الليثي. وقال ابن إسحاق: مُلَجَّم فيما حدّثناه زياد عنه.

(٣) القَعود هو البعير يَقْتَعِدُه الراعي في كل حاجة.

(٤) تصغير متاع.

(٥) الوَطْب: وِعاء اللبن.

فانصرف القوم ولم يَلْقَوْا جَمْعاً حتىٰ انتهوا إلىٰ ذي خُشُب[١]، فبلغهم أنَّ رسول الله ﷺ قد توجّه إلىٰ مكة، فأخذوا علىٰ بِيَيْن[٢] حتىٰ لحقوا برسول الله ﷺ بالسُّقْيا[٣]، فقال النبي ﷺ لِمُحَلِّم: أَقَتَلْتَه بعد ما قال: آمنتُ بالله؟

وفي حديث ابن عمر والحسن: فجاء مُحَلِّم في بُرْدَين فجلس بين يدي رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: أَقَتَلْتَه بعد ما قال: إني مسلم؟ قال: يا رسول الله، إنما قالها مُتَعَوِّذاً. قال: أَفَلا شَقَقْتَ عن قلبه؟ قال: لِمَ يا رسول الله؟ قال: لِتَعْلَمَ أصادق هو أم كاذب، قال: وكنتُ عالماً بذلك يا رسول الله، وهل قلبه إلاّ مضغة من لحم؟ قال رسول الله ﷺ: إنما كان يُنْبِئُ عنه لسانه[٤]، فقال: اسْتَغْفِرْ لي يا رسول الله، فقال: لا غَفَرَ الله لك. فقام وهو يتلقّىٰ دموعه ببُرْدَيْه، فما مضت سابعة[٥] حتىٰ مات.

وفي حديث ابن إسحاق: فما لبث أن مات، فحفر له الصحابة، فأصبح وقد لَفَظَتْه الأرض، ثم عادوا وحفروا له، فأصبح وقد لفظته الأرض إلىٰ جنب قبره.

قال الحسن: فلا أدري كم قال أصحاب رسول الله ﷺ كم دفنّاه، مرتين أو ثلاثاً؟

وفي حديث جندب وقتادة: أمّا ذلك فوقع ثلاث مرات، كل ذلك لا تَقْبَلُهُ الأرض، فجاءوا رسول الله ﷺ فذكروا ذلك له، فقال: إن الأرض تَقْبَلُ مَنْ هو شر من صاحبكم، ولكن الله تعالىٰ يريد أن يَعِظَكم. فأخذوا برجليه فأَلْقَوْه في بعض الشعاب، وأَلْقَوْا عليه الحجارة.

وقال ابن إسحاق: حدّثني محمد بن جعفر بن الزبير قال: سمعت زياد بن ضُميرة بن سعد السلمي يُحَدِّث عن عروة بن الزبير عن أبيه عن جده - وكانا شهدا حنيناً مع رسول الله ﷺ -، قال: صَلّىٰ بنا رسول الله ﷺ الظهر، ثم عمد إلىٰ ظل شجرة فجلس تحتها وهو

---

(١) هو وادٍ علىٰ ليلة من المدينة.

(٢) هي قرية من قرى المدينة.

(٣) هي قرية جامعة في طريق مكة، بينها وبين المدينة، سُمِّيَتْ بذلك لِما سُقِيَتْ به مِنَ الماء العذب.

(٤) وفي رواية: فقال رسول الله ﷺ: لا ما في قلبه تَعْلَمُ، ولا لسانَه صَدَّقْتَ!

(٥) وفي رواية: فما مضت ساعة.

بحُنَيْن، فقام إليه الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر يختصمان في عامر بن الأضبط الأشجعي، عُيَيْنة يطلب بدم عامر وهو يومئذ رئيس غطفان، والأقرع بن حابس يدفع عن مُحَلِّم بن جَثّامة لمكانه من خِنْدف. فتداولا الخصومة عند رسول الله ﷺ ونحن نسمع، فسمعنا عُيَيْنة بن حصن وهو يقول: والله يا رسول الله لا أَدَعُهُ حتىٰ أُذِيقَ نساءه مِنَ الحُرْقة مِثْلَ ما أذاق نسائي، ورسول الله ﷺ يقول: بل تأخذون الدِّية خمسين في سفرنا هذا وخمسين إذا رجعنا، وهو يأبىٰ عليه. إذ قام رجل من بني ليث يقال له: مُكَيْثِر، قصير مَجْموع، فقال: والله يا رسول الله ما وجدتُ لهذا القتيل شَبَهاً في غُرّة الإسلام[1] إلاّ كغنم وَرَدَتْ فرُمِيَتْ أُولاها فنَفَرَتْ أُخْراها، اسْنُنِ اليوم وغَيِّرْ غداً[2]. قال: فرفع رسول الله ﷺ يده فقال: بل تأخذون الدية خمسين في سفرنا هذا وخمسين إذا رجعنا، فَقَبِلوا الدِّية ثم قالوا: أين صاحبكم هذا يستغفر له رسول الله ﷺ؟ فقام رجل آدم ضَرْب[3] طويل، عليه حُلّة له قد كان تَهَيَّأَ للقَتْلِ فيها، حتىٰ جلس بين يدي رسول الله ﷺ، فقال له: ما اسمك؟ قال: أنا مُحَلِّم بن جَثّامة، فرفع رسول الله ﷺ يده ثم قال: اللهم لا تغفر لِمُحَلِّم بن جَثّامة ثلاثاً، فقام وهو يتلقّىٰ دمعه بفَضْلِ ردائه. قال: فأما نحن فنقول فيما بيننا: إنّا لنرجو أن يكون رسول الله ﷺ قد استغفر له، وأمّا ما ظهر مِن رسول الله ﷺ فهذا.

٤٨- بَعْث أسامة بن زيد إلىٰ الحُرَقات[4]

روى الإمام أحمد وابن أبي شيبة والشيخان وأبو داود والنسائي عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما، وابن جرير عن السُّدّي، وابن سعد عن جعفر بن بُرْقان الحضرمي[5]

---

(١) أي في أول الإسلام.

(٢) أي احْكُمْ لنا اليوم بالدم في أَمْرِنا هذا، واحْكُمْ غداً بالدِّية لِمَنْ شئتَ.

(٣) أي خفيف اللحم.

(٤) هي مِنْ جُهَيْنة، وهم بنو حميس بن عمرو بن ثعلبة بن مَوْدوعة بن جهينة.

(٥) ويقال بِرقان بالكسر، روى عن ميمون بن مهران ويزيد بن الأصم، وكان حافظاً لحديثهما. قال أبو أحمد: هو ثقة، توفي سنة ١٥٤هـ.

رجل من أهل اليمامة، قال أسامة رضي الله عنه: بَعَثَنا رسول الله ﷺ إلىٰ الحُرَقة من جهينة، فصبّحناهم. وكان رجل منهم[١] إذا أَقْبَلَ القومُ كان مِنْ أشَدِّهم علينا، وإذا أَوْبَروا[٢] كان حاميتهم. فهزمناهم، فغَشِيتُه أنا ورجل من الأنصار.

قال السُّدّي: وكان مع مِرْداس غنيمة له وجمل أحمر، فلما رآهم آوى إلىٰ كهف جبل وتَبِعَهُ أسامة، فلما بلغ مِرْداس الكهف وضع غنمه ثم أقبل إليهم.

قال أسامة: فلما غَشِيَنا قال: السلام عليكم، فرفعت عليه السيف فقال: لا إله إلاّ الله[٣]. قال أسامة: فكفّ الأنصاري، وطَعَنْتُه برمحي حتىٰ قَتَلْتُه[٤].

قال السُّدّي: فشدّ عليه أسامة مِنْ أجْل جمله وغنيمته.

قال أسامة: فلما قدمنا بلغ ذلك رسول الله ﷺ، فوقع في نفسي من ذلك.

وعند محمد بن عمر: قال أسامة: فلما أَصْبَتُ الرجل وجدتُ في نفسي مِنْ ذلك مَوْجدة شديدة، حتىٰ رأيتُني ما أقدر علىٰ أكل الطعام، حتىٰ قدمتُ علىٰ رسول الله ﷺ فقبّلني واعتنقني.

قال السدي: وكان رسول الله ﷺ إذا بَعَثَ أسامة أَحَبَّ أن يُثْنِيَ عليه خيراً، ويسأل عنه أصحابَه. فلما رجعوا لم يسألهم عنه، فجعل القوم يُحَدِّثون رسول الله ﷺ ويقولون: يا رسول الله، لو رأيتَ أسامة، ولَقِيَه رجل فقال الرجل: لا إله إلاّ الله، فشَدَّ عليه وقَتَلَه. وهو يُعْرِضُ عنهم، فلما أَكْثَروا عليه رفع رأسه إلىٰ أسامة وقال: يا أسامة، أَقَتَلْتَه بعد أن قال: لا إله إلاّ الله؟[٥] قال أسامة: قلت: يا رسول الله، إنما قالها خوفاً من السلاح[٦]. قال: أفَلا شَقَقْتَ عن قلبه حتىٰ تعلم؟

---

(١) قال السُّدّي: يُدْعىٰ مِرْداس بن نَهِيك.

(٢) هكذا في الأصول، وفي النهاية: التَّوْبِير: التَّعْفِية ومَحْو الأثر.

(٣) زاد السُّدّي: محمد رسول الله.

(٤) أي رَفَعَ عليه السيف، فلما لم يتمكّن منه طعنه بالرمح.

(٥) وفي رواية: فكيف تصنع بلا إله إلاّ الله؟ ولفظ السُّدّي: كيف أنت ولا إله إلاّ الله؟

(٦) وفي رواية: إنما قالها مُتَعَوِّذاً من القتل.

٤٩- سرية خالد بن الوليد إلىٰ العُزّى[١]

[رمضان ٨هـ]

كانت لخمس ليال بقين من رمضان سنة ثمان من مهاجَره ﷺ بعد الفتح.

قال محمد بن عمر الواقدي وابن سعد: وبعث رسول الله ﷺ يوم فتح مكة خالد بن الوليد إلىٰ العُزّى ليهدمها، فخرج في ثلاثين فارساً من أصحابه.

قال ابن إسحاق: فلما سمع سادنُها السُّلَمي بِسَيْر خالد إليها، علّق عليها سيفه وأسْنَدَ في الجبل الذي هي فيه، وهو يقول:

يا عُزَّ شُدِّي شَدَّة لا شَوَى لها ... علىٰ خالدٍ ألْقِي القِناعَ وشَمِّري

يا عُزَّ إنْ لم تَقْتُلِي المَرْءَ خالداً ... فَبُوئي بإثمٍ عاجلٍ أو تُنْصَري

قال أبو الطفيل ومحمد بن عمر وابن سعد: فأتاها خالد فقطع السَّمُرات وهدمها، ثم رجع إلىٰ رسول الله ﷺ فأخبره، فقال: هل رأيتَ شيئاً؟ قال: لا، قال: فإنك لم تهدمها، فارجع إليها فاهدمها.

فرجع خالد وهو مُتَغَيِّظٌ، فلما رأت السدنةُ خالداً انبعثوا في الجبل وهم يقولون: يا عُزّى خَبِّليه، يا عُزّى عَوِّريه ولا تموتي برَغْمٍ. فخرجت إليه امرأة عجوز سوداء عُرْيانة ثائرة الرأس[٢]، فضربها خالد وهو يقول: يا عُزَّ كفرانكِ لا سبحانكِ، إني رأيتُ الله قد أهانكِ. فجزّها اثنتين، ثم رجع إلىٰ رسول الله ﷺ فأخبره، فقال: نعم، تلك العُزّى، قد يَئِسَتْ أن تُعْبَدَ ببلادكم أبداً.

---

(١) كانت العزى بيتاً بنخلة. قال ابن سعد وابن إسحاق: وكان سدنتها وحُجّابها بني شيبان من بني سُلَيْم حلفاء بني هاشم، وكانت أعظم أصنام قريش وجميع كنانة، وذلك أن عمرو بن لُحَيّ كان قد أخبرهم أن الرب يُشَتّي بالطائف عند اللاّت، ويُصَيِّف عند العُزّى، فعظّموها وبَنَوْا لها بيتاً، وكانوا يُهْدون إليها كما يُهدون للكعبة. وروى الإمام البيهقي عن أبي الطفيل ﷺ قال: وكانت بيتاً علىٰ ثلاث سَمُرات.

(٢) زاد أبو الطفيل: تحثو التراب علىٰ رأسها ووجهها.

٥٠- سرية عمرو بن العاص لهدم سُواع[١]

[رمضان ٨هـ]

كانت في شهر رمضان سنة ثمان من الهجرة، في غزوة الفتح.

قال محمد بن عمر الواقدي: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلىٰ سواع صنم هُذَيْل بن مُدْرِكة، وكان علىٰ صورة امرأة ليهدمه.

قال عمرو: فانتهيت إليه وعنده السادن، فقال: ما تريد؟ فقلت: أَمَرَني رسول الله ﷺ أن أهدمه، قال: لا تقدر علىٰ ذلك، قلت: لِمَ؟ قال: تُمْنَعُ، قلت: حتىٰ الآن أنت علىٰ الباطل، ويحك وهل يَسمع أو يُبْصر؟ قال: فدَنَوْتُ منه فكسرته، وأَمَرْتُ أصحابي فهدموا بيت خِزانته، فلم نجد فيه شيئاً، ثم قلت للسادن: كيف رأيتَ؟ قال: أَسْلَمْتُ لله تعالىٰ.

٥١- سرية سعد بن زيد الأشهلي إلىٰ مَناة بالمُشَلَّل[٢]

[رمضان ٨هـ]

كانت لست بقين من رمضان سنة ثمان من الهجرة، في فتح مكة.

قالوا: بعث رسول الله ﷺ حين فتح مكة سعد بن زيد الأَشْهلي إلىٰ مَناة لهدمها، وكانت بالمُشَلَّل للأوس والخزرج وغسّان. فخرج في عشرين فارساً حتىٰ انتهىٰ إليها وعليها سادن، فقال السادن: ما تريدون؟ قال: هَدْم مَناة، قال: أنتَ وذاك. فأقبل سعد يمشي إليها، وتخرج إليه امرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس، تدعو بالوَيْل وتضرب صدرها، فقال السادن: مَناة دونكِ بعض غَضْباتكِ، ويضربها سعد بن زيد الأشهلي فقتَلَها، ويُقْبِلُ إلىٰ الصنم معه أصحابه فَهَدَموه، ولم يجد في خِزانتها شيئاً، وانصرف راجعاً إلىٰ رسول الله ﷺ.

---

(١) قال الجوهري: هو اسم صنم كان لقوم نوح عليه السلام ثم صار لِهُذَيْل، وكان برُهاط - قرية جامعة علىٰ ثلاثة أميال من مكة - يحجون إليه. وسَمِيٌّ باسم سواع بن شيث بن آدم عليهما السلام.

(٢) هو من ناحية البحر، وهو الجبل الذي يُهْبَط منه إلىٰ قُدَيْد.

٥٢- سرية خالد بن الوليد إلىٰ بني جَذِيمة من كنانة[١] (يوم الغُمَيْصاء[٢])

[شوال ٨ هـ]

روى ابن إسحاق عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين، ومحمد بن عمر عن ابن سعد قال: بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد حين افْتَتَحَ مكة داعياً ولم يبعثه مقاتلاً، وبعث معه ثلاثمائة وخمسين رجلاً من المهاجرين والأنصار، ومعه قبائل من العرب: سُلَيْم بن منصور، ومُدْلِج بن مُرّة. فوَطِئوا بني جَذِيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة. فلما رآه القوم أخذوا السلاح، فقال خالد: ما أنتم؟ قالوا: مسلمون، قد صَلَّيْنا وصَدَّقْنا، وبَنَيْنا المساجد في ساحاتنا، وأذَّنّا فيها. قال: فما بال السلاح عليكم؟ قالوا: إنَّ بيننا وبين قوم من العرب عداوة، فخِفْنا أن تكونوا هم، فأخذنا السلاح. فقال خالد: ضعوا السلاح، فإن الناس قد أسلموا. فقال رجل من جَذِيمة يقال له: جَحْدَم: ويلكم يا بني جذيمة إنه خالد، والله ما بعد وضع السلاح إلاّ الإِسار، وما بعد الإسار إلاّ ضرب الأعناق، والله لا أضع سلاحي أبداً. فأخذه رجال من قومه فقالوا: يا جَحْدَم، أتريد أن تسفك دماءنا؟ إنَّ الناس قد أسلموا، ووضعت الحرب أوزارها[٣]، وأمِنَ الناس. فلم يزالوا به حتىٰ نزعوا سلاحَه، ووضع القومُ السلاح لقول خالد.

قال أبو جعفر محمد بن علي: فلما وضعوا السلاح أمَرَهم خالد عند ذلك فكُتِّفوا، ثم عرضهم علىٰ السيف فقتل من قتل منهم.

وروى الإمام أحمد والبخاري والنسائي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ بعث خالد بن الوليد إلىٰ بني جَذِيمة فدعاهم إلىٰ الإسلام، فلم يُحْسِنوا أن يقولوا: أسْلَمْنا، فجعلوا يقولون: صَبَأْنا صَبَأْنا، فجعل خالد يقتل منهم ويَأْسِر، ودفع إلىٰ كل

---

(١) وكانوا أسفل مكة علىٰ ليلة بناحية يَلَمْلَم.

(٢) هو موضع في بادية العرب قرب مكة، كان يسكنه بني جَذِيمة بن عامر.

(٣) كناية عن الانقضاء، والمعنىٰ علىٰ حذف مضاف والتقدير: حتىٰ تضع الحرب أثقالها.

رجل منا أسيره، حتىٰ إذا كان يومٌ أَمَرَ خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره. فقال ابن عمر: فقلت: والله لا أقتل أسيري، ولا يقتل أحد من أصحابي أسِيره.

وعند ابن سعد أنهم لَمّا وضعوا السلاح قال لهم: اسْتَأْسِروا، فاسْتَأْسَرَ القومُ، فأَمَرَ بعضَهم فكَتَّفَ بعضاً، وفرّقهم في أصحابه. فلما كان السحر نادى خالد: مَنْ كان معه أسير فليُدافِّه[1]، فأما بنو سُلَيْم فقَتَلوا مَنْ كان في أيديهم، وأما المهاجرون والأنصار فأَرْسَلوا أساراهم.

قال ابن هشام: حدّثني بعض أهل العلم أنه حُدِّث عن إبراهيم بن جعفر المحمودي قال: قال رسول الله ﷺ: رأيتُ كأني لَقِمْتُ لُقْمَةً مِنْ حَيْس[2] فالْتَذَذْتُ طَعْمَها، فاعترض في حلقي منها شيء حين ابتلعتُها، فأَدْخَلَ عليٌّ يده فنزعه. فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسولَ الله، هذه سَرِيّة مِنْ سراياك تَبْعَثُها، فيأتيك منها بعضُ ما تحب، ويكون في بعضها اعتراض، فتبعث علياً فيُسَهِّله.

قال ابن هشام: وحدّثني بعض أهل العلم أنه انفلت رجل من القوم فأتىٰ رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، فقال رسول الله ﷺ: هل أنكر عليه أحَدٌ؟ فقال: نعم، قد أنكر عليه رجل أبيض رَبْعة، فنَهَمَه خالد فسكت عنه. وأنكر عليه رجل آخر طويل مضطرب، فراجعه فاشتدّتْ مراجعتهما. فقال عمر بن الخطاب: أما الأول يا رسول الله فابني عبدالله، وأما الآخر فسالم مولىٰ أبي حذيفة.

قال ابن عمر: فلما قدمنا علىٰ رسول الله ﷺ ذكرنا ذلك له، فرفع يديه وقال: اللهم إني أَبْرَأُ إليك مِمّا صنع خالد - مرتين -.

وقال أبو جعفر محمد بن علي: فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب فقال: يا علي، اخرج إلىٰ هؤلاء القوم فانظر في أمْرهم، واجعل أَمْرَ الجاهلية تحت قدميك. فخرج عليٌّ

---

(١) المُدافّة: الإجهاز عليه بالسيف.

(٢) الحَيْس: خَلْط الأَقِط بالتمر والسمن، يُعْجَن حتىٰ يندر النوى منه، وربما يُجعل فيه السويق. والأَقِط: شيء يُعقد من اللبن، وقال في النهاية: هو لبن مجفف يابس مستحجر يُطْبَخ به.

حتىٰ جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله ﷺ، فوَدى لهم الدماء وما أُصِيب لهم من الأموال، حتىٰ إنه لَيَدِي لهم مِيلَغة الكلب[1]، حتىٰ إذا لم يَبْقَ شيء من دم ولا مال إلاّ وَداه بَقِيَتْ معه بقية من المال، فقال لهم علي حين فرغ منهم: هل بقي لكم بقية مِنْ دم أو مال لم يُودَ لكم؟ قالوا: لا، قال: فإني أُعطيكم من هذه البقية من هذا المال، احتياطاً لرسول الله ﷺ مِمّا لا يعلم ولا تعلمون. ففعل ثم رجع إلىٰ رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، فقال: أَصَبْتَ وأَحْسَنْتَ. ثم قام رسول الله ﷺ فاستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه حتىٰ إنه ليُرى ما تحت منكبيه، يقول: اللهم إني أَبْرَأُ إليك مِمّا صنع خالد بن الوليد - ثلاث مرات -.

قال محمد بن عمر وأبو سعد النيسابوري في الشرف والحاكم في الإكليل وابن عساكر عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: قدم خالد بن الوليد علىٰ النبي ﷺ بعد ما صنع ببني جَذِيمة ما صنع، وقد عاب عبد الرحمن بن عوف علىٰ خالد ما صنع، قال: يا خالد، أَخَذْتَ بأمر الجاهلية في الإسلام، قَتَلْتَهُم بعمك الفاكه؟ وأعانه عمر بن الخطاب علىٰ خالد، فقال خالد: أَخَذْتُهم بقَتْل أبيك[2]، فقال عبد الرحمن: كذبتَ والله، لقد قتلتُ قاتل أبي وأَشْهَدْتُ علىٰ قَتْلِهِ عثمانَ بن عفان. ثم التفت إلىٰ عثمان فقال: أنشدك الله هل علمتَ أني قتلتُ قاتل أبي؟ فقال عثمان: اللهم نعم. ثم قال عبد الرحمن: ويحك يا خالد، لو لم أَقْتُلْ قاتل أبي أَكُنْتَ تَقْتُل قوماً مسلمين بأبي في الجاهلية؟ قال خالد: ومَنْ أَخْبَرَكَ أنهم أسلموا؟ فقال: أهل السرية كلهم يخبرونا أنك قد وجدتَهم بَنَوا المساجد وأَقَرّوا بالإسلام، ثم حملتَهم علىٰ السيف. قال: جاءني رسول الله ﷺ أنْ أُغِيرَ عليهم، فقال عبد الرحمن: كذبتَ علىٰ رسول الله ﷺ، وغالظ عبد الرحمن.

وعند ابن إسحاق: وقد قال بعض مَنْ يَعْذر خالداً: إنه قال: ما قاتلتُ حتىٰ أَمَرَني بذلك عبدالله بن حذافة السهمي، وقال: إن رسول الله ﷺ قد أَمَرَكَ أن تقاتلهم لامتناعهم عن الإسلام.

---

(١) شيء يحفر من خشب ويجعل فيه الماء لِيَلغَ الكلب فيه أي يشرب، كما أشار ذلك صاحب القاموس.

(٢) وفي لفظ: فقال خالد: إنما ثأرت بأبيك.

قال ابن إسحاق: فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فأعرض عن خالد وغضب عليه وقال: يا خالد، ذَرْ لي أصحابي، متىٰ ينكأ المرء؟ لو كان لك أُحُد ذهباً تنفقه قيراطاً قيراطاً في سبيل الله لم تُدْرِكْ غَدْوة أو رَوْحة مِنْ غَدَوات أو رَوْحات عبد الرحمن.

وروى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء، فسَبَّه خالد، فقال رسول الله ﷺ: لا تَسُبّوا أصحابي، فإنَّ أحدكم لو أنفق مِثْل أُحُد ذهباً ما بلغ مُدّ أحدهم ولا نصيفه.

٥٣- سرية أبي عامر الأشعري إلىٰ أوْطاس

[شوال ٨ هـ]

كانت هذه السرية بين غزوة حنين والطائف.

روى الجماعة عن أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه وابن إسحاق عن رجاله عن سلمة بن الأكوع، وابن هشام عَمَّنْ يثق به من أهل العلم، ومحمد بن عمر وابن سعد عن رجالهم أنَّ هوازن لَمّا انهزموا يوم حنين، ذهبت فرقة منهم فيهم رئيسهم مالك بن عوف النصري، فلجؤوا إلىٰ الطائف فتحصّنوا. وصارت فرقة فعسكروا بمكان يقال له: أوْطاس، فبعث رسول الله ﷺ إلىٰ هذه سرية، وأمّر عليهم أبا عامر الأشعري رضي الله عنه، ثم سار رسول الله ﷺ بنفسه الكريمة إلىٰ الطائف فحاصرها، وقد تقدّم ذلك قبل في غزوة حنين[1].

قال أبو موسىٰ رضي الله عنه: بعث رسول الله ﷺ أبا عامر الأشعري علىٰ جيش إلىٰ أوْطاس، فلقي دُرَيْد بن الصِّمّة، فقُتِلَ دُرَيْد وهَزَمَ الله تعالىٰ أصحابه.

وفي رواية ابن إسحاق: وبعث رسول الله ﷺ في آثارِ مَنْ تَوَجَّهَ قِبَل أوْطاس أبا عامر الأشعري، فأَدْرَكَ بعضَ مَن انهزم، فناوشوه القتال، فقَتَلَ منهم أبو عامر تسعةً مبارزة، وهو يدعو كل واحد منهم إلىٰ الإسلام ويقول: اللهم اشهد، ثم بَرَزَ له العاشر مُعَلَّماً بعمامة صفراء، فضَرَبَ أبا عامر فقتله.

---

(١) انظر ص٩٤.

واستخلف أبو عامر أبا موسىٰ الأشعري، فقاتلهم حتىٰ فتح الله عليه وقَتَلَ قاتل أبي عامر، فقال رسول الله ﷺ: اللهم اغفر لأبي عامر واجعله مِنْ أعلىٰ أمتي في الجنة، ودعا لأبي موسىٰ.

وقال ابن هشام في سيرته في خبر أبي عامر أنه قَتَلَ تسعة مبارزة، يدعو كلٌّ واحد منهم إلىٰ الإسلام ويقول: اللهم اشهد عليه، فيقتله أبو عامر. وبقي العاشر، فحمل كل منهما علىٰ صاحبه، فدعاه أبو عامر إلىٰ الإسلام وقال: اللهم اشهد عليه، فقال الرجل: اللهم لا تشهد عليَّ، فكَفَّ عنه أبو عامر فأُفْلِتَ، ثم أَسْلَمَ بعدُ فحَسُنَ إسلامه. فكان رسول الله ﷺ إذا رآه قال: هذا شريد أبي عامر.

ورمىٰ أبا عامر أخوان: العلاءُ وأَوْفىٰ ابنا الحارث مِنْ بني جُشَم بن معاوية، فأصاب أحدُهما قلبَه والآخرُ ركبتَه، فَقَتَلاه، ووَلِيَ الناسَ أبو موسىٰ الأشعري، فحمل عليهما فقتلهما.

وقال أبو الفرج الأصفهاني: إنَّ الذي رمىٰ أبا عامر فأصاب ركبته هو سلمة بن دريد بن الصِّمّة، وإنه ارتجز فقال:

إنْ تَسْأَلوا عني فإني سَلَمَهْ ابن سَمادير[1] لِمَن تَوَسَّمَهْ

أضرب بالسيف رؤوس المُسْلِمَهْ

وفي حديث سلمة: وأَوْصىٰ أبو عامر إلىٰ أبي موسىٰ، ودفع إليه الراية وقال: ادفع فرسي وسلاحي إلىٰ رسول الله ﷺ. فقاتَلَهم أبو موسىٰ حتىٰ فتح الله تعالىٰ عليه، وانهزم المشركون بأَوْطاس، وظفر المسلمون بالغنائم والسبايا، وقَتَلَ قاتلَ أبي عامر، وجاء بسلاحه وتَرِكَتِه وفرسه إلىٰ رسول الله ﷺ، وقال: إن أبا عامر أمرني بذلك.

وفي حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه: فرجعتُ فدخلتُ علىٰ النبي ﷺ في بيته وهو علىٰ سرير مُرْمَلٍ وعليه فراش، قد أَثَّرَ رمالُ السرير بظهره وجنبيه، فأخبرتُه بخبرنا وخبر أبي عامر، وقال: قُلْ له: اسْتَغْفِرْ لي، فدعا رسول الله ﷺ بماء فتوضّأ، ثم رفع يديه فقال: اللهم اغفر لعُبَيْد أبي عامر. قال أبو موسىٰ: ورأيتُ بياض إبطيه، ثم قال: اللهم اجعله يوم القيامة

---

(١) هي امرأة دريد بن الصمة.

فوق كثير مِنْ خَلْقِك من الناس، فقلت: ولي فاستغفر، فقال: اللهم اغفر لعبدالله بن قيس ذنبه، وأَدْخِلْه يوم القيامة مدخلاً كريماً.

٥٤- سرية الطفيل بن عمرو الدَّوْسي إلىٰ ذي الكَفَّيْن

[شوال ٨ هـ]

قال ابن سعد: لَمّا أراد رسول الله ﷺ المسير إلىٰ الطائف، بعث الطفيل بن عمرو الدوسي إلىٰ ذي الكَفَّيْن[١] ليهدمه، وأَمَرَه أن يستمدّ قومه ويُوافيه بالطائف. فخرج سريعاً إلىٰ قريةٍ فهدم ذا الكفين، وجعل يَحُشُّ النار[٢] في وجهه ويحرقه ويقول:

يا ذا الكفين لستُ مِنْ عُبّادكا ... ميلادُنا أَقْدَمُ مِن ميلادكا

إني حَشَوْتُ النارَ في فؤادكا

وانحدر معه من قومه أربعمائة سراعاً، فوافوا رسول الله ﷺ بالطائف بعد مَقْدَمِهِ بأربعة أيام، وقدم الطفيل بدبابة[٣] ومنجنيق وقال: يا معشر الأَزْد، مَنْ يحمل رايتكم؟ فقال الطفيل: مَنْ كان يحملها في الجاهلية، النعمان بن الرّازية اللَّهَبي. قال: أَصَبْتُم.

٥٥- سرية قيس بن سعد بن عبادة لصُداء[٤] ناحية اليمن

[٨ هـ]

قال ابن إسحاق: لَمّا رجع رسول الله ﷺ من الجعرانة سنة ثمان، بعث قيس بن

---

(١) هو صنم من خشب كان لعمرو بن حُمَمة الدوسي. وفي كتاب الأصنام للكلبي: وكان لدوس ثم لبني مَنْهَب مِنْ دَوْس صنم يقال له: ذو الكفين.

(٢) أي يوقدها.

(٣) هي آلة تُتَّخَذ في الحرب يدخل في جوفها الرجال، ثم تُدْفَع في أصل الحصن فينقبونه وهم في جوفها.

(٤) قال ابن الأثير في أسد الغابة: صُداء حي من عرب اليمن.

سعد بن عبادة إلىٰ ناحية اليمن، وأَمَرَه أن يطأ صُداء. فعسكر بناحية قناة في أربعمائة من المسلمين، فقَدِمَ رجل من صُداء[١] فسأل عن ذلك البعث فأُخْبِرَ به، فجاء رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، جئتُك وافداً علىٰ مَنْ ورائي، فارْدُد الجيش فأنا لك بقومي. فردّهم من قناة، وخرج الصُدائي إلىٰ قومه، فقدم منهم بعد ذلك خمسة عشر رجلاً فأسلموا، فقال رسول الله ﷺ: إنك مطاع في قومك يا أخا صُداء، فقال: بل الله هداهم. ثم وافاه في حجة الوداع بمائة منهم[٢].

---

(١) هو زياد بن الحارث، وهو حليف بني الحارث بن كعب بن مذحج. وهو الذي أَمَرَه رسول الله ﷺ في سفر أن يُؤَذِّن في صلاة الفجر، ثم جاء بلال لِيُقِيمَ، فقال رسول الله ﷺ: إن أخا صُداء هذا أَذَّنَ، ومَنْ أَذَّنَ فهو يقيم - أخرجه الثلاثة عن زياد بن نعيم الحضرمي عن زياد بن الحارث الصُدائي.

(٢) انظر باب الوفود ص٤٠٤.

من سرايا السنة التاسعة من الهجرة
ملاحظة
هناك بعض السرايا من هذا العام تذكر في سرايا تحطيم الأصنام
البحر الكبير (المتوسط)
إيلياء
فلسطين
الضحاك ابن ابي سفيان الكلابي
دومة الجندل
بنو كلاب
أيلة
سيناء
تبوك
تبوك
بلي
عكاشة بن محصن الأسدي
الحجر
عذرة
ضبا
أرض
تيماء
الوجه
خيبر
بلاد طيء
علي بن أبي طالب
الحناكية
أملج
المدينة النبوية
شبه الجزيرة العربية
ينبع البحر
بدر
بنو تميم
النوبة
مهد الذهب
عيينة بن حصن الفزاري
رابغ
توجهت هذه السرية إلى بعض الجزر الصغيرة المتناثرة قبالة جدة لردع زعيم الأحباش فيها ، والذي فر من ملاقاة المسلمين .
نجد
علقمة بن مجزر المدلجي
جدة
مكة المكرمة
تربة
الطائف
الحجاز
الليث
بيشة
قطبة بن عامر بن حديدة
أرض السودان
تهامة عسير
نجران
حمير
أرض اليمن
الشمال
الشرق
الغرب
الجنوب
مقياس الرسم
صفر ١٠٠ ٢٠٠كم
ديار الأحباش

٥٦- سرية عيينة بن حصن الفزاري إلىٰ بني تميم

[المحرم ٩هـ]

وكانوا فيما بين السُّقْيا وأرض بني تميم.

وسبب ذلك أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً مِنْ بني سعد هُذَيْم علىٰ صدقاتهم، وأمره رسول الله ﷺ أن يأخذ العفو ويَتَوَقَّىٰ كرائمَ أموالهم. فخرج بشر بن سفيان الكعبي إلىٰ بني كعب، فأمر بجمع مواشي خزاعة ليأخذ منها الصدقة، فحشرت عليه خزاعة الصدقة في كل ناحية، فاسْتَكْثَرَتْ ذلك بنو تميم فقالوا: ما لِهذا يأخذ أموالكم منكم بالباطل؟ فَشَهَروا السيوف، فقال الخزاعيون: نحن قوم نَدِين بدين الإسلام، وهذا أَمْرُ ديننا. فقال التَّمِيمِيّون: لا يَصِلُ إلىٰ بعير منها أبداً، فهرب المُصَدِّق وقدم علىٰ رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، فوثبت خزاعة علىٰ التميميين فأَخْرَجوهم مِنْ مَحالِّهم، وقالوا: لولا قرابتكم ما وصلتُم إلىٰ بلادكم، لَيَدْخُلَنَّ علينا بلاء من محمد ﷺ حيث تعرضتم لرسوله تَرُدُّونه عن صدقات أموالنا. فخرجوا راجعين إلىٰ بلادهم، فقال ﷺ: مَنْ لِهؤلاء القوم؟ فانتدب أول الناس عُيَيْنة بن حصن الفزاري.

فبعثه رسول الله ﷺ في خمسين فارساً من العرب، ليس فيهم مهاجري ولا أنصاري. فكان يسير الليل ويكمن النهار، فهجم عليهم في صحراء قد حلّوا بها وسرّحوا مواشيهم، فلما رأوا الجمع وَلَّوْا، فأخذ منهم أحد عشر رجلاً، ووجد في المَحَلَّة إحدى وعشرين امرأة[١]. فجَلَبَهم إلىٰ المدينة، فأَمَرَ بهم رسول الله ﷺ فحُبسوا في دار رملة بنت الحارث[٢]، فقدم فيهم عدة مِنْ رؤسائهم[٣].

---

(١) كذا في عيون الأثر، وفي رواية: أحد وعشرين رجلاً، وقال محمد بن عمر وابن سعد: إحدى عشرة امرأة وثلاثين صبياً.

(٢) في الأصول وابن سعد: رملة بنت الحارث، وصوّبها ابن حجر في فتح الباري أنها رملة بنت الحَدَث بن ثعلبة بن الحارث، وكانت دارها دار الوفود. قال ابن سعد: وتُكَنّىٰ أم ثابت، وأمها كيشة بنت ثابت بن النعمان، وزوجها معاذ بن الحارث بن رفاعة. وجاء في ترجمة ابن الأثير لها في أسد الغابة ج٥ ص٤٥٧ أن ابن حبيب ذكرها فيمَنْ بايع رسولَ الله ﷺ من الأنصار.

(٣) انظر باب الوفود ص٣٤٦.

قال ابن إسحاق: فلما قُدِم بسَبْيِهِم علىٰ رسول الله ﷺ، ركب فيهم وفدٌ من بني تميم حتىٰ قدموا علىٰ رسول الله ﷺ، منهم: ربيعة بن رُفيع، وسَبْرة بن عمرو، والقعقاع بن معبد، ووَرْدان بن مُحْرِز، وقيس بن عاصم، ومالك بن عمرو، والأقرع بن حابس، وفراس بن حابس. فكلّموا رسول الله ﷺ فيهم، فأعتق بعضاً وأَفْدَى بعضاً.

يروى عن عاصم بن عمر بن قتادة أن عائشة رضي الله عنها قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، إن عليّ رقبة من ولد إسماعيل. قال: هذا سبي بني العنبر يَقْدم الآن، فنعطيك منهم إنساناً فتعتُقينه.

وكان مِمَّنْ قُتِلَ يومئذ من بني تميم: عبدالله وأخوان له بنو وهب، وشدّاد بن فراس، وحنظلة بن دارم.

وكان مِمَّنْ سُبي من نسائهم يومئذ: أسماء بنت مالك، وكاس بنت أَرِيّ، ونَجْوة بنت نَهد، وجُمَيْعة بنت قيس، وعَمْرة بنت مطر.

٥٧- سرية عبدالله بن عَوْسَجة إلىٰ بني حارثة بن عمرو

[صفر ٩هـ]

روى أبو سعد النيسابوري في الشرف وأبو نعيم في الدلائل من طريق محمد بن عمر عن شيوخه أن رسول الله ﷺ بعث عبدالله بن عَوْسَجة إلىٰ بني حارثة بن عمرو يدعوهم إلىٰ الإسلام، فأخذوا الصحيفة فغَسَلوها، ورَقَّعوا بها أسفل دَلْوِهم، وأَبَوْا أن يُجيبوا. فرُفِعَ ذلك إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: ما لهم، ذَهَبَ اللهُ بعقولهم؟ فهم إلىٰ اليوم أهل رِعْدة[1] وعَجَلة، وكلامٍ مُخْتَلَط، وأهل سَفَه.

قال محمد بن عمر: قد رأيتُ بعضَهم عَيِيّاً[2] لا يُحسن يُبِينُ الكلامَ.

---

(١) الرِّعْدة: الاضطراب.

(٢) العِيّ: عدم الإفصاح بالكلام.

٥٨- سرية قطبة بن عامر بن حديدة إلىٰ خَثْعَم بناحية بِيشة[١] قريباً من تُرَبَة

[صفر ٩هـ][٢]

قالوا: بعث رسول الله ﷺ قطبة بن عامر بن حديدة في عشرين رجلاً إلىٰ حَيٍّ مِن خَثْعَم، وأَمَرَه أن يَشُنَّ الغارة عليهم.

فخرجوا علىٰ عشرة أبعرة يتعقّبونها، فأخذوا رجلاً فسألوه، فاستعجم عليهم[٣] وجعل يصيح بالحاضر ويُحَذِّرهم، فضربوا عنقه. ثم أمهلوا حتىٰ نام الحاضر، فشَنّوا عليهم الغارة، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتىٰ كثر الجراح في الفريقين جميعاً، وقَتَلَ قطبةُ مَنْ قَتَلَ منهم، وساقوا النَّعَم والشاء والنساء إلىٰ المدينة، وجاء سيل أَتِيّ[٤] فحال بينهم وبينه، فما يجدون إليه سبيلاً.

وكانت سُهْمانهم أربعة أبعرة كما قال ابن سعد، والبعير يعْدل بعشر من الغنم بعد أن أُخْرِجَ الخُمس.

٥٩- سرية الضحاك بن سفيان الكلابي إلىٰ بني كلاب

[ربيع الأول ٩هـ][٥]

قالوا: بَعَثَ رسول الله ﷺ جيشاً إلىٰ القُرَطاء[٦]، عليهم الضَّحّاك بن سفيان الكلابي،

---

(١) قال محمد بن عمر: بناحية تَبالة، وقال ابن سعد: بناحية بيشة.

(٢) ونقل الزرقاني في شرح المواهب عن الطبري والإصابة أن هذه السرية كانت في مستهل ربيع الأول سنة تسع من الهجرة النبوية الشريفة، ارجع إن شئتَ إلىٰ شرح المواهب ج٣ ص٤٨.

(٣) أي سكت ولم يُعْلِمْهم بالأمر.

(٤) السيل الأَتِيّ الذي يأتي من بعيد.

(٥) قال محمد بن عمر وابن سعد: كانت سنة تسع، وقال الحاكم: في آخر سنة ثمان، وقال محمد بن عمر الأسلمي: في صفر، وقال ابن سعد: في ربيع الأول، وجرى عليه في المَوْرد والإشارة.

(٦) هو بطن مِن بني بكر، واسمه عُبَيد بن كلاب، وهم أخوة.

ومعه الأَصْيَد بن سَلَمة بن قُرْط. فلقَوْهم بالزُّجِّ - زُجّ لاوة - بنجد، فدعوهم إلىٰ الإسلام فأَبَوْا، فقاتلوهم فهزموهم. فلحق الأَصْيَد أباه سَلَمة، وسَلَمةُ علىٰ فرس له في غدير بالزُّجِّ، فدعا أباه إلىٰ الإسلام وأعطاه الأمان، فسَبَّه وسَبَّ دينه، فضرب الأَصْيد عُرقوبي فرس أبيه، فلما وقع الفرس علىٰ عرقوبيه ارتكز سَلَمة علىٰ رمحه في الماء، ثم استمسك به حتىٰ جاءه أحدهم فقَتَلَ سَلَمة، ولم يقتله ولده.

٦٠- سرية علقمة بن مُجَزِّز المُدْلِجي إلىٰ الحبشة

[ربيع الآخر ٩هـ] (١)

قال ابن سعد في طبقاته: بَلَغَ رسول الله ﷺ أن ناساً من الحبشة تراآهم أهل الشُّعَيْبة (٢) في ساحل جُدة بناحية مكة في مراكب، فبعث إليهم رسول الله ﷺ علقمة بن مُجَزِّز في ثلاثمائة، فانتهىٰ إلىٰ جزيرة في البحر وقد خاض إليهم في البحر فهربوا منه، فلما رجع تَعَجَّلَ بعض القوم إلىٰ أهليهم فأَذِنَ لهم.

وفي رواية ذكرها ابن هشام في السيرة أنه لَمّا قُتِلَ وقّاص بن مُجَزِّز المُدْلِجي يوم ذي قَرَد، سأل علقمةُ بن مُجَزِّز رسول الله ﷺ أن يبعثه في آثار القوم؛ ليدرك ثأره فيهم.

وروى ابن إسحاق عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ علقمة بن مُجَزِّز وأنا فيهم، حتىٰ إذا بَلَغْنا رأس غَزاتنا أو كنا ببعض الطريق، أَذِنَ لطائفة من الجيش واستعمل عليهم عبدَالله بن حذافة السهمي، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ وكانت فيه دُعابة. فلما كان ببعض الطريق أَوْقَدَ ناراً ثم قال للقوم: أليس لي عليكم السمع والطاعة؟ قالوا: بلىٰ، قال: أفما أنا آمركم بشيء إلاّ فعلتموه؟ قالوا: نعم، قال: فإني أعزم عليكم بحقي وطاعتي إلاّ تواثبتم في هذه النار، فقام بعض القوم يَحْتَجِزُ (٣) حتىٰ ظنّ أنهم واثبون

---

(١) قال ابن سعد: كانت في شهر ربيع الآخر سنة تسع، وقال محمد بن عمر الأسلمي والحاكم: في صفر.

(٢) هي قرية علىٰ شاطئ البحر الأحمر بطريق اليمن، انظر معجم البكري ج١ ص٢٩٢.

(٣) بمعنىٰ يَشُدّ ثوبه علىٰ خصره بمنزلة الحزام.

فيها، فقال لهم: اجلسوا، فإنما كنت أضحك معكم. فذُكِرَ ذلك لرسول الله ﷺ بعد أن قدموا عليه، فقال رسول الله ﷺ: مَنْ أَمَرَكم بمعصية منهم فلا تطيعوه.

وذكر محمد بن طلحة أن علقمة بن مُجَزِّز رجع هو وأصحابه ولم يَلْقَ كيداً.

٦١- سرية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلىٰ الفُلْس[١]

[ربيع الآخر ٩هـ]

قال صاحب السيرة الشامية: قالوا: بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب في خمسين ومائة رجل[٢] من الأنصار، علىٰ مائة بعير وخمسين فرساً، ومعه راية سوداء ولواء أبيض، إلىٰ الفُلْس ليهدمه. فأغاروا علىٰ أحياء من العرب، وشَنّوا الغارة علىٰ مَحَلّة آل حاتم مع الفجر، فهدموا الفُلْس وخَرَّبوه، وملؤوا أيديهم من السبي والنَّعَم والشاء، وكان في السبي سَفّانة أخت عدي بن حاتم[٣]، وهرب عدي إلىٰ الشام، ووُجِدَ في خِزانة الفُلْس ثلاثة أسياف: رَسوب، والمِخْذَم - كان الحارث بن أبي شِمْر قَلَّدَه إياهما -، وسيف يقال له: اليماني، وثلاثة أدرع. واستعمل عليٌّ علىٰ السبي أبا قتادة، واستعمل علىٰ الماشية والرِّقة عبدَالله بن عَتِيك.

فلما نزلوا رَكَك[٤] اقتسموا الغنائم، وعزلوا للنبي ﷺ صَفِيّاً رسوباً والمخذم، ثم صار له بعدُ السيف الآخر. وعُزِلَ الخُمس، وعُزِلَ كذلك آل حاتم، فلم يَقْسِمهم حتىٰ قدم بهم المدينة.

ومرّ النبي ﷺ بأخت عدي بن حاتم، فقامت إليه وكلّمته أن يَمُنَّ عليها، فَمَنَّ عليها فأَسْلَمَتْ، وخرجت إلىٰ أخيها فأشارت عليه بالقدوم علىٰ رسول الله ﷺ، فقدم عليه[٥].

---

(١) هو اسم صنم لطَيِّئ.

(٢) وقال ابن سعد في طبقاته: في مائتين.

(٣) وذكر ابن سعد في الوفود أن الذي أغار وسبىٰ ابنة حاتم خالد بن الوليد.

(٤) وفي عيون الأثر: فنزلوا رَكَكاً مصروفة. قال في المراصد: هي مَحَلّة مِن مَحال سلمىٰ أحد جبلي طَيِّئ، وقال الأصمعي: قلت لأعرابي: أين رَكَك؟ قال: لا أعرفه، ولكن هناك ماء يقال له: رَكّ.

(٥) انظر ص٤٢٨ في وفود عدي بن حاتم إلىٰ رسول الله ﷺ.

٦٢- سرية عُكّاشة بن مِحْصَن إلىٰ الجِباب أرض عُذْرة وبَلِيّ[١]

[ربيع الآخر ٩هـ]

كذا ذكر ابن سعد في طبقاته ولم يَزِدْ، وتَبِعَه في العيون والمورد.

وقد علّق الزرقاني علىٰ اقتضاب خبر هذه السرية بقوله: كذا ذَكَرَه ابن سعد ولم يزد، وتبعه اليعمري صاحب عيون الأثر وغيره، ولم يُبَيِّنوا سَبَبَها، ولا عدد مَنْ ذَهَبَ فيها، ولا ما جرى، والله أعلم[٢].

٦٣- سرية خالد بن الوليد إلىٰ أُكَيْدِر بن عبد الملك صاحب دُومة

[رجب ٩ هـ]

روى الإمام البيهقي عن ابن إسحاق قال: حدثني يزيد بن رومان وعبدالله بن أبي بكر، والبيهقي عن عروة بن الزبير، ومحمد بن عمر عن شيوخه قالوا: لَمّا تَوَجَّه رسول الله ﷺ قافلاً إلىٰ المدينة من تبوك، بعث خالد بن الوليد في أربعمائة وعشرين فارساً في رجب سنة تسع إلىٰ أُكَيْدر بن عبد الملك بدُومة الجندل، وكان أُكَيْدر مِن كِنْدة، وكان نصرانياً. فقال خالد: كيف لي به وسط بلاد كلب، وإنما أنا في أُناس يَسِيرين؟ فقال رسول الله ﷺ: إنك ستجده ليلاً يصيد البقر فتأخذه، فيفتح الله لك دُومة. فإنْ ظفرتَ به فلا تقتله، وائْتِ به إليّ، فإنْ أَبَىٰ فاقتله.

فخرج إليه خالد بن الوليد، حتىٰ إذا كان من حصنه بمنظر العين، وفي ليلة مقمرة صائفة، وهو علىٰ سطح له ومعه امرأته الرِّباب بنت أُنَيْف بن عامر الكِنْدية، فصعد أُكَيْدر علىٰ ظهر الحصن في الحر، وقَيْنة تُغَنِّيه، ثم دعا بشراب، فأقبلت البقر الوحشية تَحُكّ بقرونها باب الحصن، فأَشْرَفَت امرأتُه فَرَأَتِ البقرَ، فقالت: ما رأيتُ كالليلة في اللحم!

---

(١) هما قبيلتان من قضاعة.

(٢) انظر شرح المواهب ج٣ ص٥٣-٥٤.

قال: وما ذاك؟ فأَخْبَرَتْهُ فأَشْرَفَ عليها، فقالت امرأته: هل رأيتَ مِثْلَ هذا قط؟ قال: لا، قالت: فمَنْ يترك هذه؟ قال: لا أحد.

قال أكيدر: واللهِ ما رأيتُ بقراً جاءَتْنا ليلة غير تلك الليلة، ولقد كنت أُضَمِّر لها الخيل إذا أردتُ أَخْذَها شهراً، ولكن هذا بِقَدَر[1].

ثم ركب بالرجال وبالآلة، فنزل أُكَيْدر وأَمَرَ بفرسه فأُسْرِجَ، وأَمَرَ بخيله فأُسْرِجَتْ، وركب معه نفر من أهل بيته ومعه أخوه حسّان ومملوكان له. فخرجوا من حصنهم بمَطارِدِهم، فلما فصلوا من الحصن وخيل خالد تنظر إليهم، لا يصول منها فرس ولا يجول، فساعةَ فَصَلَ أَخَذَتْهُ الخيل، فاستأسر أُكَيْدر، وامتنع حسّان وقاتل حتىٰ قُتِلَ، وهرب المملوكان ومَنْ كان معه مِن أهل بيته فدخلوا الحصن. وكان علىٰ حسّان قَباء مِن ديباج مُخَوَّصٌ[2] بالذهب، فاسْتَلَبَه خالد.

وقال خالد لأُكَيْدر: هل لك أنْ أُجيرَكَ مِنَ القَتْل حتىٰ آتِيَ بك رسول الله ﷺ علىٰ أن تفتح لي دُومة؟ فقال أُكَيْدر: نعم. فانطلق به خالد حتىٰ أدناه من الحصن، فنادى أُكَيْدر أهلَه أن افتحوا باب الحصن، فأرادوا ذلك فأَبَىٰ عليهم مُضادّ أخو أُكَيْدر، فقال أُكَيْدر لخالد: تَعْلَمُ واللهِ أنهم لا يفتحون لي ما رَأَوْني في وثاقك، فخلِّ عني فلك الله والأمانة أن أفتح لك الحصن إنْ أنت صالَحْتَني علىٰ أهلي. قال خالد: فإني أُصالحك، فقال أُكَيْدر: إنْ شئتَ حَكَّمْتُك وإنْ شئتَ حَكَّمْتَني، فقال خالد: بل نقبل منك ما أَعْطَيْتَ. فصالَحَه علىٰ ألفي بعير، وثمانمائة رأس، وأربعمائة درع، وأربعمائة رمح، علىٰ أن ينطلق به وبأخيه إلىٰ رسول الله ﷺ فيحكم فيهما حُكْمَه. فلما قاضاه خالد علىٰ ذلك خَلَّىٰ سبيله، ففُتِحَ باب الحصن فدخله خالد، وأَوْثَقَ مُضاداً أخا أُكَيْدر، وأَخَذَ ما صالح عليه من الإبل والرقيق والسلاح.

---

(١) رواية المواهب: واللهِ ما رأيتُها قط جاءَتْنا إلاّ البارحة، ولقد كنت أُضَمِّر لها الخيل يومين والثلاثة - وفي لفظ: شهراً - ولكن قَدَر الله.

(٢) التخويص بالذهب هو أن يُجْعَلَ للشيء صفائح من الذهب علىٰ قدر عرض خوص النخل وفي صورته.

ولَمّا ظفر خالد بأُكَيْدر وأخيه حسان، أرسل عمرَو بن أمية الضمري بشيراً، وأرسل معه قَباء حسّان.

قال أنس وجابر رضي الله عنهما: رأيتُ قَباء حسّان أخي أُكَيْدر حين قُدِمَ به إلىٰ رسول الله ﷺ، فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم ويتعجّبون منه، فقال رسول الله ﷺ: أتعجبون من هذا؟ فوالذي نفسي بيده لَمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا.

ثم إن خالداً لَمّا قَبَضَ ما صالحه عليه أُكَيْدر، عَزَل للنبي ﷺ صفيّه له قبل أن يقسم شيئاً من الفيء.

قال محمد بن عمر: كان صَفِيُّ رسول الله ﷺ عبداً، أو أَمَة، أو سيفاً، أو درعاً، أو نحو ذلك.

ثم خمّس خالد الغنائم بعد، فقسمها بين أصحابه.

قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: أصابني مِن السلاح درع وبيضة، وأصابني عشر من الإبل.

وقال واثلة بن الأَسْقَع: أصابني ست فرائض[1].

وقال عبدالله بن عمرو بن عوف المازني: كنا مع خالد بن الوليد أربعين رجلاً مِنْ بني مُزَيْنة، وكانت سُهْماننا خمس فرائض لكل رجل مع سلاح، يُقْسَم علينا دروع ورماح.

قال محمد بن عمر: إنما أصاب الواحد ستاً، والآخر عشراً بقيمة الإبل.

قالوا: ثم إن خالداً توجّه قافلاً إلىٰ المدينة ومعه أُكَيْدر ومُضاد.

روى محمد بن عمر عن جابر رضي الله عنه قال: رأيتُ أُكَيْدر حين قَدِمَ به خالد وعليه صليب من ذهب، وعليه الديباج ظاهراً. فلما رأى النبي ﷺ سجد له، فأَوْمَأَ رسول الله ﷺ بيده: لا، لا - مرتين -، وأَهْدى لرسول الله ﷺ هدية فيها كسوة.

---

(١) لفظ ابن الأثير: ست قلائص. وفي أسد الغابة ج٥ ص٧٧ في ترجمة واثلة بن الأسقع، وقد جاء فيها: لَمّا كان رسول الله ﷺ يتجهّز إلىٰ تبوك، لم يكن لواثلة ما يحمله، فجعل ينادي: مَنْ يحملني وله سهمي؟ فدعاه كعب بن عجرة وقال: أنا أحملك ولي سهمك، فقال واثلة: نعم. ولَمّا خرج كعب وواثلة مع خالد بن الوليد إلىٰ أُكَيْدر غنموا، فأصاب واثلة ست قلائص، فأتىٰ بها كعب بن عجرة فقال: اخرج فانظر إلىٰ قلائصك، فخرج كعب وهو يبتسم ويقول: بارك الله لك، ما حملتُك وأنا أريد أن آخذ منك شيئاً.

قال ابن الأثير: وصالحه على الجزية، وبلغت جزيتهم ثلاثمائة دينار. وحقن دمه ودم أخيه، وخلّى سبيلهما.

وكتب رسول الله ﷺ كتاباً فيه أمانهم وما صالحهم عليه، ولم يكن في يدي النبي ﷺ خاتم، فختم الكتاب بظُفره.

قال محمد بن عمر: حدّثني شيخ مِن أهل دُومة أن رسول الله ﷺ كتب له هذا الكتاب[١]:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب محمد رسول الله لأُكَيْدر حين أجاب إلى الإسلام، وخلع الأنداد[٢] والأصنام[٣]، مع خالد بن الوليد سيف الله في دُومة الجندل وأكنافها[٤]: أنَّ لنا الضّاحِية[٥] مِنَ الضَّحْل[٦]، والبَوْر[٧]، والمَعامي[٨]،

(١) قد وَرَدَ نص هذا الكتاب في طبقات ابن سعد ج٢ ص٥٤-٥٥، وكتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام ص١٩٤-١٩٦، وجاء في مقدمته: قال أبو عبيد: أما هذا الكتاب فأنا قرأتُ نسخته، وأتاني به شيخ هناك مكتوباً في قضيم صحيفة بيضاء، فنَسَخْتُه حرفاً بحرف، فإذا فيه.... كما ورد في كتاب فتوح البلدان للبلاذري ص٦٨، والروض الأنف للسهيلي ج٢ ص٣١٩، ومعجم البلدان في مادة دومة الجندل ج٤ ص١٠٨، وصبح الأعشى للقلقشندي ج٦ ص٣٧٠، وكتاب مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة ص١٦٦.

(٢) جمع نِد بكسر النون، وهو ضد الشيء الذي يُخالفه في أمور. والمراد ما كانوا يتّخذونه آلهة من دون الله تعالى.

(٣) جمع صنم، وهو ما اتُّخِذَ إلهً مِنْ دون الله. وقيل: ما كان له جسم أو صورة، فإنْ لم يكن له جسم ولا صورة فهو وثن.

(٤) جمع كُنُف بالتحريك، وهو الجانب والناحية.

(٥) هي الناحية البارزة التي لا حائل دونها، وعند أبي عبيد: الضاحية في كلام العرب: كل أرض بارزة من نواحي الأرض وأطرافها، والمراد هنا أطراف الأرض.

(٦) هو المكان الذي يَقِلّ به الماء.

(٧) هي الأرض التي لم تُحْرَث. وهو بالفتح مصدر وُصِفَ به، وبالضم جمع بُوار وهو الأرض الخراب التي لم تُزْرَع.

(٨) هي المجهولة من الأرض التي ليس فيها أثر عمارة، واحدها مَعْمىً.

وأَغْفال الأرض[١]، والحَلْقة[٢]، والسلاح[٣]، والحافر[٤]، والحصن. ولكم الضّامِنة مِنَ النخل[٥]، والمَعِين من المعمور[٦] - بعد الخُمس[٧]-. ولا تُعْدَل سارِحَتُكُم[٨]، ولا تُعَدّ فارِدَتُكم[٩]، ولا يُحْظَر عليكم النبات[١٠]، تُقِيمون الصلاة لوقتها، وتَؤْتون الزكاة بحقها.

عليكم بذلك عهد الله والميثاق، ولكم بذلك الصدق والوفاء.

شَهِدَ الله تبارك وتعالىٰ، ومَنْ حَضَرَ مِنَ المسلمين.

وقال بُجَير بن بُجَرة الطائي[١١] يذكر قول رسول الله ﷺ لخالد بن الوليد: إنك ستجده يصيد البقر، وما صَنَعَتِ البقر تلك الليلة بباب الحصن تصديقاً لقول رسول الله ﷺ:

تَبارَكَ سائقُ البقرات إني ... رأيتُ اللهَ يَهْدِي كُلَّ هادي

فمَنْ يَكُ حائداً عن ذي تبوكٍ ... فإنّا قد أُمِرْنا بالجهادِ

---

(١) هي الأرض التي ليس فيها أثر يُعْرَفُ، كأنّها مَغْفولٌ عنها.

(٢) هي السلاح عاماً، وقيل: الدروع خاصاً.

(٣) هو ما أُعِدَّ للحرب من آلة الحديد مِمّا يُقاتَل به، والسيف وحده يُسَمّىٰ سلاحاً.

(٤) هي الخيل، والبراذين، والبغال، والحمير، وغيرها من ذات الحافر.

(٥) هو ما كان داخلاً في العمارة من النخل وتَضَمَّنَتْه أمصارهم وقُراهم. وقيل: سُمِّيَت ضامنة؛ لأن أربابها ضَمِنوا عمارتها وحِفْظها، فهي ذات ضمان.

(٦) هو الماء الذي ينبع من العين في العامر من الأرض.

(٧) وَرَدَتْ في طبقات ابن سعد، ولم تَرِدْ في المصادر الأخرى.

(٨) السّارِحة هي الماشية التي تسرح في المراعي، والمراد أي لا تُصرف عن ماشيتكم وتُمال عن المرعىٰ، ولا تُمنع منه. وقال أبو عبيد: لا تُحْشَر في الصدقة إلىٰ المُصَدّق، ولكنها تصدق علىٰ مياهها ومراعيها.

(٩) أي لا تُعَدّ مع غيرها فتُضَمّ إليها ثم تُصَدَّق.

(١٠) أي لا تُمنعون من الزرع والمرعىٰ حيث شئتم. زاد ابن سعد هنا: ولا يُؤخذ منكم إلاّ عشر الثبات، وشَرَحَها بقوله: الثبات: النخل القديم الذي قد ضرب عروقه في الأرض وثبت.

(١١) قال في القاموس والتاج: له ذِكْر في قتال أهل الردة وأشعار، وفي غزوة أُكَيْدر دُومة.

قال البيهقي بعد أن أَوْرَدَ هذين البيتين من طريق ابن إسحاق: وزاد غيره وليس في روايتنا: فقال له النبيﷺ: لا يَفْضُضِ اللهُ فاك[١]، فأتىٰ عليه تسعون سنة فما تَحَرَّكَ له ضِرس[٢].

٦٤- بَعْثُ أبي سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة لهدم الطاغية[٣]

[رمضان ٩هـ]

روى الإمام البيهقي عن عروة، ومحمد بن عمر عن شيوخه، وابن إسحاق عن رجاله، قالوا: إن عبد ياليل بن عمرو وعمرو بن أمية أحد بني عِلاج الثقفيين لَمّا قَدِما علىٰ رسول اللهﷺ مع وفد ثقيف وأسلموا، قالوا: أرأيتَ الرَّبّة ماذا نصنع فيها؟ قال: اهدموها، قالوا: هيهات لو تعلم الرَّبّة أنّا أَوْضَعْنا في هدمها قَتَلَتْ أَهْلَنا. فقال عمر بن الخطاب: ويحك يا عبد ياليل ما أَجْمَعَكَ! إنما الرَّبّة حجر لا تَدْري مَنْ عَبَدَه مِمَّنْ لم يَعْبُدْه. قال عبد ياليل: إنّا لم نَأْتِكَ يا عمر. وقالوا: يا رسول الله، اتْرُكْها ثلاث سنين لا تَهْدِمْها. فأَبَىٰ، فقالوا: سنتين، فأَبَىٰ، فقالوا: سنة، فأَبَىٰ، فقالوا: شهراً، فأَبَىٰ أن يُوَقِّتَ لهم وقتاً. وإنما يريدون تَرْكَ الرَّبّة خَوْفاً مِن سفهائهم والنساء والصبيان، وكرهوا أن يُرَوِّعوا قومهم بهدمها حتىٰ يدخلهم الإسلام، وسألوا رسول اللهﷺ أن يُعْفِيهِم مِنْ هَدْمِها وقالوا: يا رسول الله، اترك أنت هدمها فإنّا لا نهدمها أبداً. فقال رسول اللهﷺ: أنا أبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة يهدمانها.

فأخبر الوفد قومهم خبر الرَّبّة، فقال شيخ من ثقيف قد بقي في قلبه شِرْك بعدُ: فذاك

---

(١) في النهاية: أي لا يُسْقِط اللهُ أسنانَك، تقديره: لا يَكْسِرُ الله أسنان فِيكَ.

(٢) رواه ابن منده وابن السكن وأبو نعيم، كلهم عن الصحابة عن بُجَيْر بن بُجَرة. ولفظ الحديث قال: كنت في جيش خالد بن الوليد حين بعثه رسول اللهﷺ إلىٰ أُكَيْدر دُومة، فقال له: إنك تجده يصيد البقر. فوافقناه في ليلة مقمرة وقد خرج كما نَعَتَه رسول اللهﷺ، فأخذناه. فلما أتينا رسول اللهﷺ أنشدته أبياتاً - فذكر ما سبق -، فقال النبيﷺ: لا يَفْضُض اللهُ فاكَ. فأتت عليه تسعون سنة وما تَحَرَّك له سن.

(٣) هي اللات.

والله مصداق ما بيننا وبينهم، فإنْ قَدِرَ علىٰ هدمها فهو مُحِقٌّ ونحن مُبْطِلون، وإن امْتَنَعَتْ ففي النفس مِنْ هذا بعدُ شيء. فقال عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه: مَنَّتْكَ واللهِ نفسُك الباطل، وغَرَّتْكَ الغرور الرَّبّة، واللهِ ما تدري مَنْ عَبَدَها ومَنْ لم يعبدها.

وخرج أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة وأصحابهما لهدم الرَّبّة، فلما دَنَوْا من الطائف قال المغيرة لأبي سفيان: تقدّم أنت علىٰ قومك. وأقام أبو سفيان بماله الذي بذي الهَرْم[١]، ودخل المغيرة في بضعة عشر رجلاً يهدمون الرَّبّة، فلما نزلوها عِشاء باتوا، ثم غَدَوْا علىٰ الرَّبّة يهدمونها، فقال المغيرة لأصحابه الذين قدموا معه: لأُضْحِكَنَّكُم اليوم مِنْ ثقيف. فاسْتَكَفَّتْ[٢] ثقيف كلها، الرجال والنساء والصبيان، حتىٰ خرج العواتق من الحِجال[٣] حزناً يبكين علىٰ الطاغية، لا يرى عامة ثقيف أنها مهدومة، ويظنون أنها مُمْتَنِعة. فقام المغيرة بن شعبة واستوى علىٰ رأس الدابة ومعه المِعْوَل[٤]، وقام معه بنو مُعَتِّب دريئة بالسلاح؛ مخافة أن يُصاب كما فعل عمه عروة بن مسعود[٥]. وجاء أبو سفيان وصمّم علىٰ ذلك فأخذ الكِرْزِين[٦]، وضرب المغيرةُ بالكِرْزِين ثم سقط مغشياً عليه يركض برجليه[٧]، فارتجّ أهل الطائف بصيحة واحدة وقالوا: أسعد الله المغيرة، قد قتلتُم الرَّبّة، زعمتم أن الرَّبّة لا تَمْتَنِع، بل والله لَتُمْنَعَنَّ. وفرحوا حين رَأَوْه ساقطاً، وقالوا: مَنْ شاء منكم فليقترب

---

(١) قال ابن إسحاق: هو موضع بقرب الطائف كان لأبي سفيان فيه مال - انظر معجم البكري.

(٢) في النهاية: اسْتَكَفَّ به الناس إذا أَحْدَقوا به، واسْتَكَفّوا حوله ينظرون إليه، وهو من باب كفاف الثوب: وهي طُرَّتُه وحواشيه وأطرافه.

(٣) في النهاية: العاتق الشابة أول ما تُدرك، وقيل: هي التي لم تَبِنْ مِن والديها ولم تُزَوَّج وقد أَدْرَكَتْ وشَبَّتْ، وتُجْمَعُ علىٰ العواتق والعُتق. والحِجال مفردها حَجَلة، قال في النهاية: الحَجَلة بالتحريك بيت كالقبة يُسْتَر بالثياب وتكون له أزرار كبار، وتجمع علىٰ حجل وحِجال.

(٤) هو الفأس التي يُكسر بها الحجارة.

(٥) انظر ص٣٥٦.

(٦) في النهاية: الكِرْزِين الفأس، ويقال له أيضاً: كِرْزاً، والجمع كرازن وكرازين.

(٧) في النهاية: أصل الركض الضرب بالرِّجْل والإصابة بها كما تركض الدابة، أي يضرب الأرض برجليه.

وليجتهد علىٰ هَدْمِها، فوالله لا يُستطاع أبداً. فوثب المغيرة بن شعبة وقال: قبّحكم الله يا معشر ثقيف، إنما هي لَكاع[١]، حجارة ومَدَر، فاقبلوا عافية الله تعالىٰ ولا تعبدوها. ثم إنه ضرب الباب فكسره، ثم سَوَّرَها وعلا الرجال معه، فما زالوا يهدمونها حجراً حجراً حتىٰ سَوَّوْها بالأرض، وجعل السادن يقول: لَيَغْضَبَنَّ الأساس فليُخْسَفَنَّ بهم. فلما سمع بذلك المغيرة حَفَرَ أساسها فخرّبه حتىٰ أخرجوا ترابها، وانتزعوا حليتها وكسوتها، وما فيها مِن طِيب وذهب وفضة، وثيابَها. فبهتَتْ[٢] ثقيف، فقالت عجوز منهم: أَسْلمها الرُّضّاع، لم يُحْسِنوا المِصاع[٣].

وأقبل أبو سفيان والمغيرة وأصحابهما حتىٰ دخلوا علىٰ رسول الله ﷺ بحُليّها وكسوتها، وأخبروه خبرهم. فحمد الله تعالىٰ علىٰ نصر نبيه وإعزاز دينه، وقسم رسول الله ﷺ مال الطاغية مِن يومه.

وسأل أبو المَلِيح بن عروة بن مسعود بن مُعَتّب الثقفي رسول الله ﷺ أن يقضي عن أبيه عروة دَيْناً كان عليه من مال الطاغية، فقال له رسول الله ﷺ: نعم. فقال له قارب بن الأسود: وعن الأسود يا رسول الله فاقْضِه، وعروة والأسود أخوان لأب وأم، فقال رسول الله ﷺ: إنَّ الأسود مات مشركاً، فقال قارب: يا رسول الله، لكن تَصِلُ مسلماً ذا قرابة - يعني نفسه-، إنما الدَّيْن عليّ، وإنّما أنا الذي أُطْلَبُ به. فأمر رسول الله ﷺ أبا سفيان أن يقضي دَيْن عروة والأسود مِن مال الطاغية.

---

(١) في النهاية: اللّكَع عند العرب العبد، ثم استُعمل في الحمق والذم، يقال للرجل: لَكَع، وللمرأة لَكاع، وقد لكع الرجل يلكع لكعاً. وأكثر ما يقع في النداء، وهو اللئيم، وقيل: الوسخ.

(٢) بَهِتَ بوزن عَلِم، أي دهش وتحيّر كما قال في الصحاح.

(٣) ورواية ابن إسحاق في سيرة ابن هشام ج٤ ص١٩٩: وخرج نساء ثقيف حُسَّراً، يبكين عليها ويقلن: لَتُبْكَيَنَّ دُفّاع، أَسْلمها الرُّضّاع، لم يُحْسِنوا المِصاع. والدُّفّاع: صيغة مبالغة من الدفع، والرُّضّاع: اللئام جمع راضع، والمِصاع: المجالدة والمضاربة بالسيف.

٦٥- بعث أبي موسىٰ الأشعري ومعاذ بن جبل إلىٰ اليمن قبل حجة الوداع

روى البخاري من طريق سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن أبي موسىٰ الأشعري، ومن طريق طارق بن شهاب كلاهما عن أبي موسىٰ، ومِن طريق عبد الملك بن عمير عن أبي بردة مرسلاً، قال أبو موسىٰ: أقبلتُ إلىٰ رسول الله ﷺ ومعي رجلان من الأشعريين، أحدهما عن يميني والآخر عن شمالي، كلاهما يسأل العمل[1]، والنبي ﷺ يستاك، فقال: ما تقول يا أبا موسىٰ - أو قال: يا عبدالله بن قيس -؟ قال: فقلت: والذي بعثك بالحق ما أَطْلَعاني علىٰ ما في نَفْسَيْهما، وما شعرتُ أنهما يطلبان العمل. قال: فكأني أنظر إلىٰ سواكه تحت شفتيه وقد قَلَصَتْ، قال: لن يُسْتَعْمَلَ علىٰ عملنا مَنْ يريده، ولكن اذهب أنت يا أبا موسىٰ - أو قال: يا عبدالله بن قيس -.

قال أبو موسىٰ: فبعثني رسول الله ﷺ ومعاذاً إلىٰ اليمن.

فقال أبو بردة: بُعِثَ كل منهما علىٰ مِخْلافه[2]، قال: واليمن مِخْلافان، وكانت جهة معاذ العليا، وجهة أبي موسىٰ السفلىٰ.

قال أبو موسىٰ: فقال رسول الله ﷺ: ادْعُوَا الناس، وبَشِّرا ولا تُنَفِّرا، ويَسِّرا ولا تُعَسِّرا، وتَطاوَعا[3] ولا تختلفا. قال أبو موسىٰ: يا رسول الله، أَفْتِنا في شرابين كنا نصنعهما باليمن، قال: البِتْع وهو من العسل يُنْبَذ ثم يشتدّ، والمِزْر وهو من الذرة والشعير يُنْبَذ ثم يشتدّ. قال: وكان رسول الله ﷺ قد أُعْطِيَ جوامع الكَلِم وخواتمه، قال: أَنْهىٰ عن كل مُسْكِر أَسْكَرَ عن الصلاة.

وفي رواية: فقال: كل مُسْكِر حرام.

---

(١) أي القيام بالأمور.

(٢) المِخْلاف: الإقليم.

(٣) أي كُونا مُتَّفِقَيْن في الحُكْم.

قال: فقدمنا اليمن، وكان لكل واحد منا قبة نزلها علىٰ حِدَة.

قال أبو بردة: فانطلق كل واحد منهما إلىٰ عمله، وكان كل واحد منهما إذا سار في أرضه وكان قريباً من صاحبه، أَحْدَثَ به عهداً فسلّم عليه. فسار معاذ في أرضه قريباً من صاحبه أبي موسىٰ، فجاء يسير علىٰ بغلته حتىٰ انتهىٰ إليه، فإذا هو جالس وقد اجتمع إليه الناس، وإذا رجل عنده قد جُمِعَتْ يداه إلىٰ عنقه، فقال له معاذ: يا عبدالله بن قيس، أَيَّمَ هذا[1]؟ قال: هذا يهودي كَفَرَ بعد إسلامه، انْزِلْ. فقال: لا أنزل حتىٰ يُقْتَلَ، قال: إنما جِيء به لذلك فانزل، قال: ما أنزل حتىٰ يُقْتَل. فأَمَرَ به فقُتِلَ، ثم نزل فقال: يا عبدالله، كيف تقرأ القرآن؟ قال: أَتَفَوَّقُه تَفَوُّقاً[2]. قال: فكيف تقرأ أنت يا معاذ؟ قال: أنام أول الليل، فأقوم وقد قَضَيْتُ جزئي من النوم، فأقرأ ما كتب الله لي، فأَحْتَسِبُ نَوْمَتي كما أحتسب قَوْمَتي.

وروى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلىٰ اليمن: إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب، فإذا جئتَهم فادْعُهُم إلىٰ أن يشهدوا أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله، فإنْ هم أطاعوا لك بذلك فأَخْبِرْهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإنْ هم أطاعوا لك بذلك فأَخْبِرْهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تُؤْخَذَ مِنْ أغنيائهم فتُرَدّ علىٰ فقرائهم، فإنْ هم أطاعوا لك بذلك فإيّاك وكرائم أموالهم، واتَّقِ دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب.

وروى البخاري عن عمرو بن ميمون أحد كبار التابعين المخضرمين رحمه الله تعالىٰ[3] أنَّ معاذاً لَمّا قَدِمَ اليمن، صلّىٰ بهم الصبح فقرأ سورة النساء، فلما قرأ: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء]، قال رجل من القوم: لقد قَرَّتْ عين أمِّ إبراهيم.

---

(١) بمعنىٰ أيّ شيء هو؟ وأصلها أَيَّما: أيّ استفهامية وما بمعنىٰ شيء، فحُذِفَتِ الألف تخفيفاً.

(٢) أي لا أقرأ وِرْدي منه دفعة واحدة، ولكن أقرؤه شيئاً بعد شيء في ليلي ونهاري. مأخوذٌ مِن فُواق الناقة؛ لأنها تُحْلَبُ ثم تُراح حتىٰ تدرّ ثم تُحلب.

(٣) هو الإمام أبو عبدالله عمرو بن ميمون الأَوْدي المذحجي اليماني، نزيل الكوفة، قَدِمَ زمن الصديق مع معاذ، فروى عنه وعن عمر وعلي وابن مسعود، وهو ثِقة وثّقه يحيىٰ بن معين، وقال أبو إسحاق: حجّ واعتمر مائة مرة، توفي سنة خمس وسبعين هجرية - انظر تذكرة الحفاظ للذهبي ج١ ص٦١.

من سرايا السنة العاشرة من الهجرة
البحر الكبير (المتوسط)
إيلياء
فلسطين
دومة الجندل
سيناء
أيلة
بنو كلاب
تبوك
تبوك
بلي
الحجر
عذرة
ضبا
أرض
تيماء
الوجه
بلاد طيء
خيبر
أملج
الحناكية
المدينة النبوية
ينبع البحر
شبه الجزيرة العربية
بنو تميم
بدر
مهد الذهب
النوبة
رابغ
نجد
جدة
مكة المكرمة
تربة
الطائف
الحجاز
الليث
بيشة
أرض السودان
تهامة عسير
نجران
خالد بن الوليد
حمير
أرض اليمن
علي بن أبي طالب
ديار الأحباش
مقياس الرسم
صفر
١٠٠
٢٠٠كم

٦٦- بعث خالد بن الوليدﷺ إلىٰ بني عبد الـمَدان[١]

[ربيع الآخر أو جمادى الأولىٰ[٢] ١٠هـ]

قال ابن سعد وابن إسحاق: بعثه رسول اللهﷺ إليهم، وأَمَرَه أن يدعوهم إلىٰ الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثة أيام، فإن استجابوا فاقْبَلْ منهم، وإنْ لم يفعلوا فقاتِلْهُم.

فخرج إليهم خالد حتىٰ قدم عليهم، فبعث الركبان[٣] يضربون في كل وجه[٤]، ويدعون إلىٰ الإسلام، ويقولون: يا أيها الناس، أَسْلِموا تَسْلَموا. فأَسْلَمَ الناس ودخلوا فيما دُعُوا إليه، فأقام فيهم خالد يُعَلِّمهم الإسلام، وكتابَ الله وسنة نبيهﷺ، وبذلك كان أَمَرَه رسول اللهﷺ إنْ هم أَسْلَموا ولم يقاتِلُوا.

ثم كتب خالد بن الوليد إلىٰ رسول اللهﷺ:

> بسم الله الرحمن الرحيم
>
> لمحمد النبي رسول اللهﷺ، مِن خالد بن الوليد:
>
> السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو.
>
> أما بعدُ يا رسول الله صلّىٰ الله عليك، فإنك بَعَثْتَني إلىٰ بني الحارث بن كعب، وأَمَرْتَني إذا أَتَيْتُهم ألاّ أُقاتِلهم ثلاثة أيام، وأنْ أَدْعُوهم إلىٰ الإسلام، فإنْ أَسْلَموا أَقَمْتُ فيهم وقَبِلْتُ منهم، وعَلَّمْتُهم معالم الإسلام وكتاب الله

---

(١) المدان كسحاب: صنم بنجران، وبنو عبد المدان هم من بني الحارث بن كعب. ونجران موضع باليمن فُتِحَ سنة عشر، وسُمِّيَ بنجران بن زيد بن سبأ. وذكر صاحب معجم البكري: نجران مدينة بالحجاز من شق اليمن، سُمِّيَتْ بنجران بن زيد بن يشجب بن يعرب. وفي معجم البلدان: نجران مخاليف اليمن من ناحية مكة، سُمِّيَتْ بنجران بن زيد بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان؛ لأنه كان أول مَنْ نزلها وعمرها.

(٢) وقيل: في ربيع الأول، قاله الواقدي في المغازي.

(٣) جمعٌ لراكب البعير خاصة.

(٤) أي يسيرون سراعاً غازين.

وسنة نبيه، وإنْ لم يُسْلِموا قاتَلْتُهُم. وإني قَدِمْتُ عليهم فدَعَوْتُهم إلىٰ الإسلام ثلاثة أيام كما أمرني رسول الله ﷺ، وبعثتُ فيهم ركباناً ينادون: يا بني الحارث، أَسْلِموا تَسْلَموا. فأَسْلَموا ولم يُقاتِلوا، وإني مقيمٌ بين أظهرهم، آمرهم بما أمرهم الله به، وأنهاهم عمّا نهاهم الله عنه، وأُعَلِّمُهم معالم الإسلام وسنة النبي ﷺ حتىٰ يكتب إليّ رسول الله ﷺ.

والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته.

فكتب إليه رسول الله ﷺ:

بسم الله الرحمن الرحيم

مِنْ محمد النبي رسول الله إلىٰ خالد بن الوليد:

سلام عليك، فإني أحمد إليك اللهَ الذي لا إله إلاّ هو.

أما بعدُ،

فإن كتابك جاءني مع رسولك يُخبر أن بني الحارث بن كعب قد أسلموا، وشهدوا أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً عبده ورسوله قبل أن تُقاتِلَهم، وأجابوا إلىٰ ما دعوتهم إليه من الإسلام، وأنْ قد هداهم الله بهُداه، فبَشِّرْهم وأَنْذِرْهم، وأَقْبِل وليُقْبِل معك وفدُهم.

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

فأقبل خالد إلىٰ رسول الله ﷺ، وأَقْبَلَ معه وفد بني الحارث بن كعب كما سنذكر ذلك إن شاء الله تعالىٰ في خبر الوفود[1].

٦٧- سرية المقداد بن الأسود إلىٰ أُناس من العرب

روى البزار والدارقطني في الإفراد والطبراني والضياء في المختارة عن ابن عباس رضي

(١) انظر ص٣٧١.

الله عنهما، وابن أبي شيبة وابن جرير عن سعيد بن جبير، قال ابن عباس: بَعَثَ رسول الله ﷺ سرية فيها المقداد بن الأسود، فلما أَتَوا القومَ وجدوهم قد تفرّقوا، وبقي رجل له مال كثير لم يَبْرَح، فقال: أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، فأَهْوَى إليه المقداد فَقَتَلَه، فقال له رجل مِن أصحابه: قَتَلْتَ رجلاً شهد أن لا إله إلاّ الله؟ لأَذْكُرَنّ ذلك لرسول الله ﷺ.

فلما قدموا علىٰ رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله، إن رجلاً شَهِدَ أنْ لا إله إلاّ الله فَقَتَلَهُ المقداد. فقال: ادْعُوا لي المقداد، فأتاه فقال: يا مقداد، أَقَتَلْتَ رجلاً يقول: لا إله إلاّ الله؟ فكيف لك بلا إله إلاّ الله غداً؟

فأنزل الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا[1] فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾﴾ [النساء][2].

قال: فقال رسول الله ﷺ للمقداد: كان رجلاً مؤمناً يُخْفي إيمانه مع قوم كفار، فأَظْهَرَ إيمانه فقَتَلْتَهُ، وكذلك كنتَ تُخفي إيمانك بمكة.

---

(١) يعني الغنيمة.

(٢) لقد اخْتُلِفَ في سبب نزول هذه الآية: فروى البخاري عن علي بن عبدالله ومسلم عن سفيان، كلاهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لَحِق المسلمون رجلاً في غنيمة له، فقال: السلام عليكم، فقَتَلوه وأخذوا غنيمته، فنزلتْ هذه الآية.

وعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مَرّ رجل مِن سُلَيم علىٰ نفر من أصحاب رسول الله ﷺ ومعه غنم، فسلّم عليهم فقالوا: ما سلّم عليكم إلاّ لِيَتَعَوَّذَ منكم، فقاموا إليه فقتلوه، وأخذوا غنمه وأَتَوْا بها رسولَ الله ﷺ، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية.

وقيل: نزلت هذه الآية في قَتْل مُحَلّم بن جَثّامة لعامر بن الأضبط الأشجعي - راجع ص٢٥٨.

وقيل: نزلت في قَتْل أسامة لِمِرْداس بن نَهِيك - راجع ص٢٦١.

وقيل: نزلت في قتل المقداد بن الأسود لأحد المسلمين.

٦٨- سرية خالد بن الوليد إلىٰ هَمْدان ثم بَعْث علي بن أبي طالب رضي الله عنهما[١]

روى البيهقي في السنن والدلائل والمعرفة عن البراء بن عازبﷺ قال: بَعَثَ رسول اللهﷺ خالد بن الوليد إلىٰ أهل اليمن يدعوهم إلىٰ الإسلام. قال البراء: فكنتُ فيمَنْ خرج مع خالد بن الوليد، فأَقَمْنا ستة أشهر ندعوهم إلىٰ الإسلام فلم يجيبوا، ثم إن النبيﷺ بَعَثَ علي بن أبي طالب مكان خالد، وأمره أن يُقْفِل خالداً وقال: مُرْ أصحاب خالد مَنْ شاء منهم أن يُعَقِّب معك فلْيُعَقِّب، ومَنْ شاء فليُقْفِل. قال البراء: فكنت فيمن عقّب مع عليٍّ، فلما دَنَوْنا من القوم خرجوا إلينا، فصلّىٰ بنا علي ثم صفّنا صفاً واحداً، ثم تقدّم بين أيدينا وقرأ عليهم كتاب رسول اللهﷺ، فأَسْلَمَتْ هَمْدان جميعاً. فكتب عليٌّ إلىٰ رسول اللهﷺ بإسلامهم، فلما قرأ رسول اللهﷺ الكتاب خرّ ساجداً، ثم رفع رأسه وقال: السلام علىٰ هَمْدان - مرتين -.

ورواه البخاري مختصراً[٢]، وعنده عن البراء قال: فغَنِمْتُ أَواقٍ ذوات عدد.

وروى الترمذي وقال: حسن غريب عن البراءﷺ قال: بعث رسول اللهﷺ إلىٰ اليمن جيشين، وأَمَّرَ علياً علىٰ أحدهما، وعلىٰ الآخر خالد بن الوليد، وقال: إذا كان قتال فعليٌّ الأمير. قال: فافتتح عليٌّ حصناً، فغنمتُ أَواقِيَ ذوات عدد، وأخذ عليٌّ منه جارية. قال: فكتب معي خالد إلىٰ رسول اللهﷺ يُخبره. قال: فلما قدمت علىٰ رسول اللهﷺ وقرأ الكتاب، رأيتُه يَتَغَيَّر لونه فقال: ما ترى في رجل يحب اللهَ ورسولَه، ويحبه اللهُ تعالىٰ ورسولُه؟ فقلت: أعوذ بالله مِنْ غضب الله تعالىٰ وغضب رسوله، إنما أنا رسول. فَسَكَتَ.

وروى الإمام أحمد والإسماعيلي والنسائي عن بُرَيْدة بن الحُصَيْبﷺ قال: أَصَبْنا سَبْياً،

---

(١) قال ابن إسحاق وغيره: غزوة علي بن أبي طالب إلىٰ اليمن مرتين. قال في عيون الأثر: ويشبه أن تكون هذه هي السرية الأولىٰ، وما ذكره ابن سعد هي السرية الثانية كما سيأتي إن شاء الله تعالىٰ.

(٢) في كتاب الجهاد باب بَعْث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلىٰ اليمن قبل حجة الوداع.

فكتب خالد إلىٰ رسول الله ﷺ: ابْعَثْ إلينا مَنْ يُخَمِّسُه، وفي السبي وصيفة هي من أفضل السبي. فبعث رسول الله ﷺ علياً إلىٰ خالد ليقبض منه الخُمس[١]، فقَبَضَ منه فخَمَّسَ وقسم، واصطفىٰ عليٌّ سَبِيّة[٢]، فأصبح وقد اغتسل ليلاً، وكنت أَبْغَضُ عليّاً بُغْضاً لم أبغضه أحداً، وأحببتُ رجلاً مِنْ قريش لم أُحِبّه إلاّ لِبُغْضِه عَلِيّاً، فقلت لخالد: ألا ترى إلىٰ هذا؟

وفي رواية: فقلت: يا أبا الحسن، ما هذا؟ فقال: أَلَمْ تَرَ إلىٰ الوصيفة؟ فإنها صارت في الخُمس، ثم صارت في آل محمد، ثم في آل علي فوقعتُ بها[٣]. فلما قدمنا علىٰ رسول الله ﷺ ذكرتُ له ذلك.

وفي رواية: فكتب خالد إلىٰ رسول الله ﷺ بذلك، فقلت: ابعثني، فبعثني، فجعل يقرأ الكتاب وأقول: صَدَقَ، فإذا النبي ﷺ قد احمر وجهه فقال: مَنْ كنتُ وَلِيَّه فعليٌّ وَلِيُّه. ثم قال: يا بُرَيْدة، أَتَبْغَضُ عليّاً؟ فقلت: نعم، قال: لا تَبْغَضْهُ، فإنّ له في الخُمس أكثر مِن ذلك.

وفي رواية: والذي نفسي بيده لَنَصِيب عليٍّ في الخُمس أفضل مِن وصيفة، وإنْ كنتَ تُحِبُّه فازْدَدْ له حُبّاً.

وفي رواية: لا تَقَعْ في عليٍّ فإنه مني وأنا منه، وهو وَلِيُّكم بعدي.

قال بريدة: فما كان في الناس أحدٌ أَحَبّ إليَّ مِنْ علي[٤].

---

(١) وفي رواية: ليقسم الفيء.

(٢) لقد استُشْكِلَ قِسْمة علي رضي الله عنه لنفسه، وأُجيب بأن القسمة في مِثْل ذلك جائزة مِمَّنْ هو شريكه فيما يقسمه، كالإمام إذا قسم بين الرعية وهو منهم، فكان مِمَّنْ نَصَبَه الإمام، فإنه مقامه.

(٣) لقد استُشْكِلَ وقوع علي رضي الله عنه علىٰ الجارية، وأُجيب باحتمال أنها كانت غير بالغ ورأى أنَّ مِثْلَها لا يُسْتَبْرَأ كما صار إليه غيره من الصحابة، أو أنها كانت حاضت عقب صَيْرُورتها له ثم طهرت بعد يوم وليلة ثم وقع عليها، أو كانت عذراء.

(٤) قال الحافظ أبو ذر الهروي: إنما أَبْغَضَ بُرَيْدة علياً لأنه رآه أَخَذَ مِنَ المَغْنَم، فظنّ أنه غَلَّ، فلما أَعْلَمَ رسولُ الله ﷺ أنه أخذ أقل مِنْ حقه أَحَبَّه. قال الحافظ: وهو تأويل حسن، لكنْ يُبْعِدُه صدر الحديث الذي رواه أحمد، فلعلّ سبب البغض كان لمعنىٰ آخر وزال، ونهىٰ النبي ﷺ عن بُغْضِه.

٦٩- سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلىٰ اليمن للمرة الثانية

[رمضان ١٠هـ]

قال محمد بن عمر وابن سعد رحمهما الله تعالىٰ واللفظ لابن عمر: قالوا: بعث رسول الله ﷺ علياً إلىٰ اليمن في رمضان، وأَمَرَه أن يُعسكر بقناة[١]، فعسكر بها حتىٰ تَتَامَّ أصحابُه، فعقد له رسول الله ﷺ لواء، وأخذ عمامته فلفّها مثنية[٢] فجعلها في رأس الرمح، ثم دفعها إليه وعمّمه بيده عمامة ثلاثة أكوار[٣]، وجعل له ذراعاً بين يديه وشبراً مِن ورائه، وقال له: امْضِ ولا تلتفت. فقال علي: يا رسول الله، ما أصنع؟ قال: إذا نَزَلْتَ بساحتهم فلا تُقاتلهم حتىٰ يقاتلوك، وادْعُهم إلىٰ أن يقولوا: لا إله إلاّ الله محمد رسول الله، فإنْ قالوا: نعم فَمُرْهُمْ بالصلاة، فإنْ أجابوا فَمُرْهُم بالزكاة، فإنْ أجابوا فلا تَبْغِ منهم غير ذلك، واللهِ لأَنْ يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك مِمّا طلعت عليه الشمس أو غربت.

فخرج في ثلاثمائة فارس، فكانت خيلهم أول خيل دخلت تلك البلاد. فلما انتهىٰ إلىٰ أدنىٰ الناحية[٤] التي يريد مِن مَذْحِج فَرَّقَ أصحابَه، فأَتَوْا بنَهْب وغنائم، وسبايا نساءً وأطفالاً، ونَعَماً وشاءً... وغيرَ ذلك. فجعل عليٌّ علىٰ الغنائم بُرَيْدة بن الحُصَيب الأسلمي، فجمع إليه ما أصابوا قبل أن يلقىٰ لهم جَمْعاً، ثم لَقِيَ جَمْعَهم فدعاهم إلىٰ الإسلام فأَبَوْا، ورَمَوْا أصحابه بالنَّبْل والحجارة. فلما رأى أنهم لا يريدون إلاّ القتال صَفَّ أصحابه، ودفع اللواء إلىٰ مسعود بن سنان السُّلَمي فتقدّم به، فبَرَزَ رجل مِن مَذْحِج يدعو إلىٰ البراز، فبَرَزَ إليه الأسود بن خزاعي، فقتله الأسود وأخذ سَلَبَه. ثم حمل عليهم عليٌّ وأصحابه فقتل

---

(١) هي وادٍ من أودية المدينة.

(٢) وفي رواية: مربعة.

(٣) في القاموس والتاج: الكَوْر لوث العمامة، وهو إدارتها علىٰ الرأس كالتكوير. وفي المصباح: كار الرجل العمامة كَوْراً مِنْ باب قال: أدارَها علىٰ رأسه، وكل دَوْر كَوْر تسمية بالمصدر. هذا وقد ناقش الزبيدي في التاج الفرق بين فتح الكاف وضمها، فقال: إنَّ كلَّ دارة منها كُور بالضم، وكل دَوْر كَوْر بالفتح.

(٤) أي أقربها.

منهم عشرين رجلاً، فتفرّقوا وانهزموا وتركوا لواءهم قائماً، وكفّ علي عن طلبهم ثم دعاهم إلىٰ الإسلام، فأسرعوا وأجابوا، وتقدّم نفر من رؤسائهم فبايعوا علىٰ الإسلام، وقالوا: نحن علىٰ مَنْ وراءنا مِنْ قومنا، وهذه صدقاتنا فَخُذْ منها حق الله تعالىٰ.

وجمع عليٌّ ما أصاب مِنْ تلك الغنائم، فجزّأها خمسة أجزاء، فكتب في سهم منها: (لله) ثم أَقْرَعَ عليها، فخرج أول السُّهْمان سهم الخُمس، وقسم عليٌّ رضي الله عنه علىٰ أصحابه بقية المغنم، ولم يُنَفِّل أحداً من الناس شيئاً، وكان مَنْ كان قبله يُعْطُون خيلهم الخاص دون غيرهم من الخُمس، ثم يُخبرون رسول الله ﷺ بذلك فلا يَرُدُّه عليهم، فطلبوا ذلك مِنْ عليٍّ فأَبَىٰ، فقال: الخُمس أحمله إلىٰ رسول الله ﷺ يرى فيه رأيه.

وأقام فيهم يُقْرِئُهم القرآن ويُعَلِّمُهم الشرائع، وكتب إلىٰ رسول الله ﷺ كتاباً مع عبدالله بن عمرو بن عوف المزني يُخبره الخبر، فأتىٰ رسول الله ﷺ، فأَمَرَ رسول الله ﷺ أن يوافيه الموسم. فانصرف عبدالله بن عمرو بن عوف إلىٰ عليٍّ بذلك، فانصرف عليٌّ راجعاً. فلما كان بالفُتُق[1] تعجّل إلىٰ رسول الله ﷺ يخبره الخبر، وخلّف علىٰ أصحابه والخُمس أبا رافع، فوافىٰ رسول الله ﷺ بمكة قد قَدِمَها للحج. وكان في الخُمس ثياب من ثياب اليمن أَحمال مَعْكُومة، ونَعَم وشاءٌ مِمّا غَنِموا، ونَعَم مِنْ صدقة أموالهم. فسأل أصحاب عليٍّ أبا رافع أن يكسوهم ثياباً يُحْرِمون فيها، فكساهم منها ثوبين ثوبين.

فلما كانوا بالسِّدْرة[2] داخلين، خرج عليٌّ يَتَلَقّاهم لِيَقْدَم بهم، فرأى علىٰ أصحابه الثياب، فقال لأبي رافع: ما هذا؟ فقال: كَلَّموني ففَرِقْتُ مِن شكايتهم، فظننتُ أنّ هذا لَيَسْهُل عليك، وقد كان مَنْ قبلك يفعل هذا بهم. فقال: قد رأيتَ امتناعي مِنْ ذلك ثم أعطيتَهم، وقد أَمَرْتُك أن تحتفظ بما خَلَّفْتُ فتعطيهم؟ فنزع عليٌّ الحُلَل منهم.

---

(١) في معجم البلدان ج٦ ص٣٣٨: بضم أوله وثانيه وآخره قاف، قرية بالطائف. وأضاف ياقوت: وفي كتب المغازي أن النبي ﷺ سيّر قطبة بن عامر بن حديدة إلىٰ تَبالة لِيُغِير علىٰ خَثْعَم في سنة تسع، فسلك علىٰ موضع يقال له: فُتُق. وضبطها بعضهم بفتح الفاء وسكون التاء، وقال: إنها من مخاليف الطائف.

(٢) في معجم البكري ج٣ ص٧٢٩: السدرة موضع تُنْسَب إليه بئر السدرة، وهي مذكورة في رسم النقيع. وفي معجم البلدان ج٨ ص٣١٢: النقيع موضع قرب المدينة.

فلما قدموا علىٰ رسول الله ﷺ شَكَوْه، فدعا علياً فقال: ما لأصحابك يشكونك؟ قال: ما أَشْكَيْتُهم، قسمتُ عليهم ما غنموا، وحبستُ الخُمس حتىٰ يَقْدَم عليك فترى فيه رأيك. فسكت رسول الله ﷺ.

قالوا: واحتفر قوم بئراً باليمن، فأصبحوا وقد سقط فيها أسد، فنظروا إليه فسقط إنسان بالبئر، فتعلّق بآخر، وتعلّق الآخر بآخر حتىٰ كانوا في البئر أربعة، فقَتَلَهم الأسد، فأَهْوى إليه رجل برمح فقَتَلَه، فتحاكموا إلىٰ علي رضي الله عنه فقال: ربع دية، وثلث دية، ونصف دية، ودية تامة. للأسفل ربع دية مِنْ أَجْلِ أنه هَلَكَ فوقه ثلاثة، وللثاني ثلث دية لأنه هَلَكَ فوقه اثنان، وللثالث نصف دية مِنْ أَجْل أنه هَلَكَ فوقه واحد، وللأعلىٰ الدية كاملة. فإنْ رَضِيتُم فهو بينكم قضاء، وإنْ لم تَرْضَوا فلا حَقَّ لكم حتىٰ تَأْتُوا رسول الله ﷺ فيقضي بينكم[1]. فلما أَتَوْا رسول الله ﷺ قَصُّوا عليه خبرهم، فقال: أنا أقضي بينكم إن شاء الله تعالىٰ، فقال بعضهم: يا رسول الله، إن علياً قد قضىٰ بيننا. قال: فِيمَ قضىٰ؟ فأخبروه، فقال: هو كما قضىٰ به.

٧٠- سرية بني عبس

ذكر ابن سعد في طبقاته في الوفود أن بني عبس وفدوا وهم تسعة، فبعثهم رسول الله ﷺ سرية لعِير قريش.

وذكر ابن الأثير أن فيهم مَيْسَرة بن مسروق، وأنه لقي رسول الله ﷺ في حجة الوداع. ويأتي إن شاء الله تعالىٰ في الوفود لذلك زيادة[2].

---

(١) أَوْرَدَ ابن كثير في البداية والنهاية ج٥ ص١٠٧-١٠٨ هذه القضية، وذكر قبلها قضية مماثلة عن ثلاثة نفر أَتَوْا علياً يختصمون في ولد، وقعوا علىٰ امرأة في ظهر واحد.

(٢) انظر ص٤٢٧.

٧١- سرية إلىٰ رِعْية السُّحَيْمِي قبل إسلامه

روى ابن أبي شيبة والإمام أحمد بسند جيد عن رِعْية السُّحَيْمي أن رسول الله ﷺ كتب إليه كتاباً في أَدِيم أحمر، فأخذ كتابَ رسول الله ﷺ فرَقَعَ به دَلْوَه، فبعث رسول الله ﷺ سرية، فلم يَدَعُوا له سارحة ولا رائحة ولا أهلاً ولا مالاً إلاّ أخذوه، وانفلت عُرياناً علىٰ فرس له ليس عليه سُترة، حتىٰ انتهىٰ إلىٰ ابنته وهي متزوجة في بني هلال، وقد أسلمتْ وأسلم أهلها، وكان مجلس القوم بفِناء بيتها، فدار حتىٰ دخل عليها من وراء البيت، فلما رَأَتْهُ أَلْقَتْ عليه ثوباً وقالت: ما لك؟ قال: كل الشر نزل بأبيك، ما تُرِكَ لي رائحة ولا سارحة ولا أهل ولا مال. قالت: دُعِيتَ إلىٰ الإسلام؟ قال: أين بعلك؟ قالت: في الإبل. فأتاه فقال: ما لك؟ قال: كل الشر نزل بي، ما تُرِكَتْ لي رائحة ولا سارحة ولا أهل ولا مال، وأنا أريد محمداً قبل أن يقسم أهلي ومالي. قال: فَخُذْ راحلتي برَحْلها، قال: لا حاجة لي فيها، قال: فَخُذْ قَعود الراعي، وزَوَّدَه إداوة من ماء.

قال: وعليه ثوب إذا غطّىٰ به وجهه خَرَجَتْ إِسْته، وإذا غطّىٰ إِسْته خرج وجهه، وهو يكره أن يُعْرَفَ حتىٰ انتهىٰ إلىٰ المدينة، فعَقَلَ راحلته ثم أتىٰ رسول الله ﷺ، فكان بحِذائه حيث يُقْبِل. فلما صلّىٰ رسول الله ﷺ الصبح قال: يا رسول الله، ابْسُط يدك أُبايعك، فبَسَطَها، فلما أراد أن يضرب عليها قَبَضَها إليه رسول الله ﷺ. قال: ففعل ذلك رسول الله ﷺ ثلاثاً، فلما كانت الثالثة قال: مَنْ أنت؟ قال: أنا رِعْية السُّحَيْمي. قال: فتناول رسول الله ﷺ عَضُدَه، ثم رفعه ثم قال: يا معشر المسلمين، هذا رِعْية السُّحَيْمي الذي بعثتُ إليه كتابي فرَقَعَ به دَلْوَه. فأخذ يتضرّع إليه، قال: قلت: يا رسول الله، أهلي ومالي. قال: أمّا مالك فقد قُسِّم، وأمّا أهلك فمَنْ قَدَرْتَ عليه منهم.

فخرج فإذا ابنه قد عرف الراحلة وهو قائم عندها، فرجع إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، هذا ابني. قال: يا بلال، اخرج معه فَسَلْهُ: أبوك هو؟ فإذا قال: نعم فادفعه إليه. فخرج إليه فقال: أبوك هذا؟ قال: نعم، فرجع إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، ما رأيتُ أحداً منهما اسْتَعْبَرَ لصاحبه! قال: ذاك جفاء الأعراب.

٧٢- بعث أبي أُمامة صُدَيّ بن عَجْلان إلىٰ باهلة

روى الطبراني من طريقين إحداهما سندها حسن عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ إلىٰ قومي أدعوهم إلىٰ الله عز وجل، وأَعْرِض عليهم شرائع الإسلام، فأتيتُهم وقد سَقَوْا إبلهم وجلبوها وشربوا، فلما رَأَوْني قالوا: مرحباً بالصُّدَيّ بن عَجْلان، وأَكْرَموني وقالوا: بَلَغَنا أنك صَبَوْتَ إلىٰ هذا الرجل، فقلت: لا، ولكن آمنتُ بالله ورسوله، وبعثني رسول الله ﷺ إليكم أعرض عليكم شرائع الإسلام. فبينا نحن كذلك إذ جاءوا بقَصْعتهم فوضعوها، واجتمعوا حولها يأكلونها، وقالوا: هَلُمَّ يا صُدَيّ، قلت: ويحكم إنما أَتَيْتُكم مِن عند مَنْ يُحَرِّم هذا عليكم إلاّ ما ذَكَّيْتُم كما قال الله تعالىٰ[1]. قالوا: وما قال؟ قلت: نزلت هذه الآية: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ﴾ [المائدة: ٣]. فجعلت أدعوهم إلىٰ الإسلام، فكذّبوني وزَبَروني[2]، وأنا جائع ظمآن قد نزل بي جَهْد شديد، فقلت لهم: ويحكم، إيتُوني بشربة من ماء فإني شديد العطش. قالوا: لا، ولكن ندعك تموت عطشاناً. قال: فاعْتَمَمْتُ وضربتُ برأسي في العمامة، ونِمْتُ في حر شديد، فأتاني آتٍ في منامي بقدح فيه شراب من لبن لم يَرَ الناس أَلَذّ منه، فشربته حتىٰ فرغت من شرابي ورَوِيت، وعَظُمَ بطني. فقال القوم: أتاكم رجل من أشرافكم وسَراتكم فرَدَدْتُموه؟ فاذهبوا إليه وأَطْعِمُوه من الطعام والشراب ما يشتهي. فأَتَوْني بالطعام والشراب، فقلت: لا حاجة لي في طعامكم ولا شرابكم، فإن الله تعالىٰ أطعمني وسقاني، فانظروا إلىٰ الحال التي أنا عليها. فأَرَيْتُهم بطني، فنظروا، فأَسْلَموا عن آخرهم بما جئتُ به من عند رسول الله ﷺ.

قال أبو أمامة: ولا والله ما عطشت ولا عرفت عطشاً بعد تِيك الشربة.

---

(١) رواية الإصابة نقلاً عن دلائل النبوة للبيهقي: فأتيتُ إليهم وأنا طاوٍ وهم يأكلون الدم، فقالوا: هَلُمَّ، قلت: إنما جئت أنهاكم عن هذا.....

(٢) في القاموس والتاج: الزَّبْر بفتح الزاي وسكون الباء: الحجارة والرمي بها، يقال: زَبَروه بالحجارة أي رَمَوْه بها. وفي المصباح: زَبَرَه زَبْراً من باب قتل: زجره ونهره. والسياق يقتضي المعنىٰ الذي ذكره القاموس والتاج.

٧٣- سرية جرير بن عبدالله البَجَلي[١] إلىٰ ذي الخَلَصة[٢]

[١١هـ]

روى الشيخان عن جرير بن عبدالله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له: أَلاَ تُرِيحُني مِن ذي الخَلَصة؟ وكان بيتاً لخَثْعَم وبَجِيلة فيه نُصُب تُعْبَد تُسَمّىٰ الكعبة اليمانية. قال جرير: فنفرت في مائة وخمسين راكب مِن أَحْمَس، وكانوا أصحاب خيل، وكنت لا أثبت علىٰ الخيل. فضرب علىٰ صدري حتىٰ رأيتُ أثر أصابعه في صدري، وقال: اللهم ثَبِّتْه علىٰ الخيل، واجْعَلْهُ هادياً مهدياً.

قال: فأتيناه فكسرناه وحَرَّقْناه، وقَتَلْنا مَنْ وَجَدْنا عنده، وبعثتُ إلىٰ رسول الله ﷺ رجلاً يُبَشِّره يُكَنّىٰ أبا أَرْطاة، فأتىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق ما جئتُك حتىٰ تركناها كأنها جمل أجرب. قال: فبَرَّكَ رسول الله ﷺ علىٰ خيل أَحْمَس ورجالها خمس مرات.

قال جرير: فأتيت رسول الله ﷺ فدعا لنا ولأَحْمَس، فما وقعتُ عن فرس بعدُ.

---

(١) هو جرير بن عبدالله بن جابر البَجَلي، أَسْلَمَ قبل وفاة النبي ﷺ بأربعين يوماً، وكان سيد قومه، وقال النبي ﷺ لَمّا دخل عليه جرير فأَكْرَمَه: إذا أتاكم كريم قوم فأَكْرِموه - انظر ص٣٦٥ من الكتاب في خبر إسلامه ووفوده علىٰ النبي ﷺ. وكان له في الحروب بالعراق وغيرها أثر عظيم، وكانت بُجَيْلة متفرقة فجَمَعَهم عمر بن الخطاب وجعل عليهم جريراً، وقد توفي جرير سنة إحدى وخمسين هجرية، وقيل: سنة أربع وخمسين - انظر أسد الغابة ج١ ص٢٧٩-٢٨٠.

(٢) هو اسم صنم، وفي كتاب الأصنام للكلبي ص٣٤-٣٨: وكان ذو الخلصة مروة بيضاء منقوشة عليها كهيئة التاج، وكانت بتَبالة بين مكة واليمن علىٰ مسيرة سبع ليال من مكة، وكان سدنتَها بنو أمامة من باهلة، وكانت تُعَظِّمُها وتُهْدي إليها خَثْعَم وبَجيلة وأُزْد السُّراة، ومَنْ قاربهم مِن بطون العرب مِن هوازن.

٧٤- بعث علي بن أبي طالب وخالد بن سعيد بن العاص إلىٰ اليمن[١]

روى محمد بن رمضان بن شاكر في مناقب الإمام الشافعي[٢] قال: وجّه رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وخالد بن سعيد بن العاص إلىٰ اليمن، وقال: إذا اجْتَمَعْتُما فعليٌّ الأمير، وإن افترقتما فكل واحد منكما أمير. فاجتمعا وبلغ عمرو بن مَعْدِ يَكَرِب، فأقبل علىٰ جماعة من قومه، فلما دنا منهما قال: دعوني حتىٰ آتي هؤلاء القوم، فإني لم أُسَمَّ لأحد قط إلاّ هابني. فلما دنا منهما نادى: أنا أبو ثور، وأنا عمرو بن مَعْدِ يَكَرِب. فابْتَدَرَه عليٌّ وخالد كلاهما يقول لصاحبه: خَلِّني وإيّاه، ويَفْدِيه بأمه وأبيه، فقال عمرو إذ سمع قولهما: العرب تفزع بي وأُراني لهؤلاء جَزَراً[٣]؟! فانصرف عنهما، وكان عمرو فارس العرب، مشهوراً بالشجاعة، وكان شاعراً مُحْسِناً.

وروى محمد بن عثمان بن أبي شيبة من طرق قال: بعث رسول الله ﷺ خالد بن سعيد بن العاص إلىٰ اليمن وقال له: إنْ مَرَرْتَ بقرية فلم تسمع أذاناً فاسْبِهم. فمَرَّ ببني زُبَيْد فلم يسمع أذاناً، فسباهم. فأتاه عمرو بن مَعْدِ يكرب فكلّمه فيهم، فوهبهم له، فوهب له عمرو سيفه الصّمصامة، فتسلّمه خالد، ومدح عمرو خالداً في أبيات له[٤].

---

(١) خبر هذا البعث في ترجمة عمرو بن معد يكرب في أسد الغابة ج٤ ص١٣٢-١٣٣ أنَّ عَمْراً قدم في وفد مراد وأَسْلَمَ معهم، وكان إسلامه سنة تسع من الهجرة أو عشر، وأنه لَمّا توفي النبي ﷺ ارْتَدّ عمرو مع الأسود العنسي، فسار إليه خالد بن سعيد بن العاص فقاتله وهزمهم، وأخذ خالد سيفه الصّمصامة، ثم عاد عمرو إلىٰ الإسلام. وفي أخبار عمرو بن معديكرب في الأغاني ج٥ ص٢١١ أنَّ عَمْراً لَمّا ارْتَدّ مع مَنْ ارتدّ عن الإسلام مِن مَذْحِج استجاس فروةُ النبيَّ ﷺ، فوجّه إليهم خالد بن سعيد بن العاص وخالد بن الوليد، وقال لهما: إذا اجتمعتم فعلي بن أبي طالب أميركم وهو علىٰ الناس.

(٢) وقد أَوْرَدَها بطولها ابن الأثير في نهاية ترجمته لعمرو بن معد يكرب في أسد الغابة، وأَوْرَدها باختصار ابن حجر في الإصابة ٥٩٦٥، وإسنادها في الإصابة: وروينا في مناقب الشافعي لمحمد بن رمضان بن شاكر حدثنا محمد بن عبدالله بن عبد الكريم حدثنا الشافعي قال: ..... إلخ.

(٣) قال في الصحاح: جَزَرُ السباع بفتحتين: اللحم الذي تأكله، يقال: تركوهم جَزَراً بفح الزاي إذا قتلوهم.

(٤) لم نعثر علىٰ هذه الأبيات، غير أن ابن حجر في الإصابة ذكر أن عَمْراً مدح خالد بن سعيد بقصيدة أشار إليها ابن حجر في ترجمته ولخالد ٢١٦٣، قال فيها:

فقلتُ لباغي الخير إن تأتِ خالداً ... تَسِرْ وتَرْجع ناعم البال حامداً

ويبدو هنا أن لعمرو بن معد يكرب ديواناً رجع إليه ابن حجر، وهذا ما يُفْهَم مِنْ قول ابن حجر.

٧٥- بعث خالد بن الوليد إلىٰ خَثْعَم

روى الطبراني برجال ثقات عن خالد بن الوليدﷺ أن رسول اللهﷺ بعثه إلىٰ أُناس في خَثْعَم، فاعْتَصَموا بالسجود فقَتَلَهم، فوَداهم رسول اللهﷺ نصف الدية ثم قال: أنا بريء مِن كل مسلم أقام مع المشركين، لا تَراءى ناراهما[١].

٧٦- بعث عمرو بن مُرّة الجُهَني إلىٰ أبي سفيان بن الحارث قبل إسلامه

يروى عن عمرو بن مُرّةﷺ قال: كان رسول اللهﷺ بَعَثَ جُهَينة ومُزَينة إلىٰ أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وكان منابذاً للنبيﷺ، فلما وَلَّوا غير بعيد قال أبو بكر الصديقﷺ: يا رسول الله بأبي أنت وأمي، علامَ تبعث هؤلاء؟ قد كادا يتفانيان في الجاهلية، أَدْرَكَهم الإسلام وهم علىٰ بقية منها! فأمر رسول اللهﷺ بِرَدِّهم حتىٰ وقفوا بين يديه، فعقد لعمرو بن مُرّة علىٰ الجيشين، علىٰ جهينة ومزينة، وقال: سيروا علىٰ بركة الله. فساروا إلىٰ أبي سفيان بن الحارث، فهزمه الله تعالىٰ وكَثُرَ القتل في أصحابه، فلذلك يقول أبو سفيان بن الحارث: .....[٢]

---

(١) الأصل في تراءى تَتَراءى، فحُذِفَتْ إحدى التاءين تخفيفاً، أي لا تَتَراءى ناراهما. والتَّرائي تفاعل من الرؤية، وإسناد الترائي إلىٰ النار مجاز مِن قولهم: داري تنظر إلىٰ دار فلان، أي تُقابلها. والمعنىٰ: أي يلزم المسلم ويجب عليه أن يباعد منزله عن منزل مشرك، ولا ينزل بالموضع الذي إذا أُوقِدَتْ فيه نار تلوح وتظهر لنار المشرك إذا أوقدها في منزله، ولكنه ينزل مع المسلمين في دارهم. وإنما كرهﷺ مجاورة المشركين؛ لأنهم لا عهد لهم ولا أمان، وحثّ المسلمين علىٰ الهجرة.

(٢) لم نعثر علىٰ خبرٍ لهذا البعث في المصادر العربية، ولا في ترجمتي عمرو بن مُرّة وأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب في كل من الإصابة وأسد الغابة، غير أن صاحب السيرة الشامية أَوْرَدَ ذلك، ولم يذكر من أين استقىٰ خبر هذا البعث، والنسخة الأصلية منه بياض بعد هذا، فلم نستطع لذلك أن نُتَمِّمَ نقل عبارته.

٧٧- سرية أسامة بن زيد بن حارثة إلىٰ أُبْنَىٰ[١] بناحية البلقاء

[صفر - ربيع الآخر ١١هـ]

قال صاحب السيرة الشامية: وذلك أن رسول الله ﷺ أقام بعد حجته بالمدينة بقية ذي الحجة والمحرم، وما زال يذكر مقتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وأصحابه رضي الله عنهم، ووَجَدَ عليهم وَجْداً شديداً.

فلما كان يوم الإثنين لأربع ليال بقين من صفر سنة إحدى عشرة، أَمَرَ رسول الله ﷺ بالتهيؤ لغزو الروم، وأَمَرَهم بالجد.

ثم دعا من الغد يوم الثلاثاء لثلاث بقين من صفر أسامة بن زيد، فقال: يا أسامة، سِرْ علىٰ اسم الله وبركته حتىٰ تنتهي إلىٰ موضع مقتل أبيك فأَوْطِئْهم الخيلَ، فقد ولّيتك هذا الجيش، فأَغِرْ صباحاً علىٰ أهل أُبْنىٰ، وحَرِّق عليهم، وأَسْرِع السيرَ تَسْبِق الأخبار، فإنْ أَظْفَرَكَ الله فأَقْلِلِ اللُّبْث فيهم، وخُذْ معك الأدلاّء، وقَدِّم العيون والطلائع أمامك.

فلما كان يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من صفر، بُدِئ برسول الله ﷺ وَجَعُه، فَحُمَّ وصُدِّعَ. فلما أصبح يوم الخميس عقد لأسامة لواءً بيده ثم قال: اغْزُ باسم الله، في سبيل الله، فقاتِلْ مَنْ كَفَرَ بالله. اغزوا ولا تغْدُروا، ولا تقتلوا وليداً ولا امرأة، ولا تَتَمَنَّوا لقاء العدو[٢]، فإنكم لا تدرون لعلكم تُبْتَلون به، ولكن قولوا: اللهم أَكْفِناهم بما شئتَ، واكْفُفْ بأسَهم عنا. فإن لَقُوكم قد جلبوا وضجّوا فعليكم بالسكينة والصمت، ولا تنازعوا فتفشلوا وتَذْهَب ريحكم، وقولوا: اللهم نحن عبيدك وهم عبادك، نواصينا ونواصيهم بيدك، وإنما تُغْنيهم أنت. واعلموا أن الجنة تحت البارقة.

---

(١) قال في معجم البكري: هي علىٰ وزن فُعْلىٰ، وهي موضع بأرض الشَّراة بناحية البلقاء من الشام. والشراة أرض من ناحية الشام، وهي جبل.

(٢) انظر صحيح البخاري - كتاب الجهاد والسير - باب: لا تَمَنَّوا لقاء العدو ج٤ ص١٥٠، وصحيح مسلم - كتاب الجهاد والسير - باب: كراهة تمني لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء ج١٢ ص٤٥-٤٧ بشرح النووي.

فخرج أسامة بلوائه معقوداً، فدفعه إلىٰ بُرَيْدة بن الحُصَيْب الأسلمي، وعسكر بالجُرْف[١]. فلم يَبْقَ أحد من وجوه المهاجرين الأولين والأنصار إلاّ انْتُدِبَ في تلك الغزوة، منهم: أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة بن الجراح، وسعد بن أبي وقاص، وأبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل، في رجال آخرين من الأنصار عِدّة، مِثْل: قتادة بن النعمان، وسَلَمة بن أسلم بن حَرِيش رضي الله عنه.

فاشتكىٰ رسول الله ﷺ وهو علىٰ ذلك، ثم وجد من نفسه راحة، فخرج عاصباً رأسه فقال: أيها الناس، أَنْفِذوا بعث أسامة. ثم دخل رسول الله ﷺ. فقال رجل من المهاجرين كان أشدهم في ذلك قولاً، عياش بن أبي ربيعة المخزومي: يستعمل هذا الغلام علىٰ المهاجرين؟! فكثرت المقالة، وسمع عمر بن الخطاب بعض ذلك، فردّه علىٰ مَنْ تكلّم به، وأَخبر رسول الله ﷺ فغضب غضباً شديداً، وخرج يوم السبت لعشر خلون من ربيع الأول[٢] سنة إحدى عشرة وقد عَصَّبَ رأسه بعصابة وعليه قطيفة[٣]، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثم قال: أما بعد، أيها الناس، فما مقالة قد بَلَغَتْني عن بعضكم في تأميري أسامة؟ ولئن طَعَنْتُم في إمارتي أسامة لقد طعنتُم في إمارتي أباه مِنْ قَبْلِه، وَايْمُ الله كان للإمارة لَخَلِيقاً، وإنَّ ابنه مِنْ بعده لَخَليق للإمارة، وإنْ كان لَمِنْ أَحَبّ الناس إليَّ، وإنهما لَمَخِيلان لكل خير، فاسْتَوْصوا به خيراً، فإنه مِنْ خِياركم.

ثم نزل فدخل بيته، وجاء المسلمون الذين يخرجون مع أسامة يُوَدِّعون رسول الله ﷺ، فيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ويمضون إلىٰ العسكر بالجُرف.

ودخلت أم أيمن رضي الله عنها فقالت: يا رسول الله، لو تَرَكْتَ أسامة يقيم في معسكره حتىٰ تَتَماثل، فإنَّ أسامة إنْ خرج علىٰ حالته هذه لم ينتفع بنفسه. فقال: أَنْفِذوا بعث أسامة.

---

(١) بضم الجيم والراء، وضَبَطَه ياقوت الحموي بالضم ثم بالسكون، وأضاف بأنه موضع علىٰ ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام، وأنه كانت به أموال لعمر بن الخطاب ولأهل المدينة.

(٢) كذا في طبقات ابن سعد، وفي السيرة الشامية: وخرج يوم السبت عاشر المحرم.

(٣) هي كِساء له خَمْل.

فمضىٰ الناس إلىٰ المعسكر، فباتوا ليلة الأحد، ونزل أسامة يوم الأحد ورسول الله ﷺ ثقيل مغمور، وهو اليوم الذي لَدُّوه فيه[١]. فدخل عليه وعيناه تَهْمِلان، وعنده الناس والنساء حوله، فطأطأ عليه أسامة فقبّله، والنبي ﷺ لا يتكلّم، فجعل يرفع يديه إلىٰ السماء ثم يضعها علىٰ أسامة كأنه يدعو له، ورجع أسامة إلىٰ معسكره.

ثم دخل يوم الإثنين، وأصبح رسول الله ﷺ مُفِيقاً، وجاءه أسامة فقال له: اغْدُ علىٰ بركة الله، فودّعه أسامة وخرج إلىٰ معسكره لَمّا رأى رسول الله ﷺ مُفيقاً. ودخل أبو بكر رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، أصبحتَ مُفِيقاً بحمد الله، واليوم يوم ابنة خارجة، فائْذَنْ لي. فأَذِنَ له، فذهب إلىٰ السُّنُح[٢].

وركب أسامة إلىٰ العسكر، وصاح في أصحابه باللحوق بالعسكر، فانتهىٰ إلىٰ معسكره، وأَمَرَ الناس بالرحيل وقد مَتَع النهار[٣]. فبينا هو يريد أن يركب، أتاه رسول أمه أم أيمن يخبره أن رسول الله ﷺ يموت، فأقبل إلىٰ المدينة، وأقبل معه عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح، فانتهوا إلىٰ رسول الله ﷺ وهو يجود بنفسه، فتوفي رسول الله ﷺ ذلك اليوم[٤]. ودخل المسلمون الذين عسكروا بالجُرف إلىٰ المدينة، ودخل بُرَيْدة بن الحصيب باللواء معقوداً، فغرزه علىٰ باب رسول الله ﷺ.

فلما بويع لأبي بكر، أَمَرَ بريدةَ أن يذهب باللواء إلىٰ بيت أسامة ليمضي لوجهه، وألاّ يحلّه حتىٰ يغزوهم، وقال لأسامة: انْفُذْ في وجهك الذي وجّهك فيه رسول الله ﷺ. وأَمَرَ الناس بالخروج، فعسكروا في موضعهم الأول، وخرج بُرَيدة باللواء.

---

(١) لَدَّ من باب نصر يَلُدُّه لَدّاً، وألَدَّ الرجلَ سقاه الدواء. وفي القاموس والتاج: اللَّدود ما يُصَبُّ بالمسعط من السقي والدواء في أحد شقي الفم وهما لَديداه، والجمع أَلدّة، ولَدَدْته أي فعلتُ به ذلك - انظر في باب وفاته ﷺ ص٥١٤.

(٢) بضم أوله وثانيه، وهي منازل بني الحارث بن الخزرج بالمدينة، وكان أبو بكر نازلاً هناك - انظر معجم البكري ج٣ ص٧٦٠.

(٣) أي بَلَغَ غاية ارتفاعه.

(٤) في طبقات ابن سعد ج٤ ص٤: يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول.

فلما ارتدّ العرب، كُلِّمَ أبو بكر في حَبْس أسامة، فأَبَىٰ. ومشىٰ أبو بكر إلىٰ أسامة في بيته، فكلّمه في أن يترك عمر وأن يأذن له في التخلف، ففعل. وخرج ونادى مناديه: عزمتُ أن لا يَتَخَلَّفَ عن أسامة مِنْ بَعْثِه مَنْ كان انْتُدِبَ معه في حياة رسول الله ﷺ، فإني لن أُوتَىٰ بأحد أبطأ عن الخروج معه إلاّ أَلْحَقْتُهُ به ماشياً. فلم يتخلّف عن البعث أحد.

وخرج أبو بكر يُشَيِّع أسامة، فركب من الجُرف لهلال ربيع الآخر في ثلاثة آلاف فيهم ألف فارس، وسار أبو بكر إلىٰ جنبه ساعة وقال: أَسْتَوْدِعُ الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك، إني سمعتُ رسول الله ﷺ يوصيك، فانْفُذْ لأَمْرِ رسول الله ﷺ، فإني لستُ آمرك ولا أنهاك عنه، إنما أنا مُنَفِّذٌ لأَمْرٍ أَمَرَ به رسول الله ﷺ.

فخرج سريعاً، فوَطِئَ بلاداً هادية لم يرجعوا عن الإسلام، جهينة وغيرها من قُضاعة، حتىٰ نزل وادي القرى، فسار إلىٰ أُبْنىٰ في عشرين ليلة، فقَدِمَ له عَيْن له مِن بني عُذْرة يُدْعَىٰ حُرَيْثاً، فانتهىٰ إلىٰ أُبْنىٰ ثم عاد، فلَقِيَ أسامة علىٰ ليلتين من أُبْنَىٰ، فأَخْبَرَه أنَّ الناس غارّون ولا جموع لهم، وحثّهم علىٰ سرعة السير قبل اجتماعهم.

فسار إلىٰ أُبنىٰ وعبّأ أصحابه، ثم شنّ عليهم الغارة، فقَتَلَ مَنْ أشرف له، وسَبَىٰ مَنْ قَدِرَ عليهم، وحَرَّقَ بالنار منازلهم وحَرْثهم ونخلهم، فطارت أعاصير من الدواخين، وأَجالَ الخيلَ في عَرَصاتِهِم، وأقاموا يومهم ذلك في تعبئةِ ما أصابوا من الغنائم، وكان أسامة علىٰ فرس أبيه سبْحة. وقَتَلَ قاتل أبيه في الغارة، وأَسْهَمَ للفرس سهمين وللفارس سهماً، وأَخَذَ لنفسه مِثْلَ ذلك.

فلما أمسىٰ أَمَرَ الناس بالرحيل، ثم أَغَذَّ السير[1] فوَرَدَ وادي القرى في تسع ليال، ثم بعث بشيراً إلىٰ المدينة بسلامتهم، ثم قَصَدَ بعدُ في السير، فسار إلىٰ المدينة ستاً، حتىٰ رجع إلىٰ المدينة ولم يُصَبْ أحد من المسلمين. وخرج أبو بكر في المهاجرين وأهل المدينة يَتَلَقّونهم سروراً بسلامتهم، ودَخَل علىٰ فرس أبيه سَبْحة واللواء أمامه يحمله بُرَيْدة بن الحُصَيب، حتىٰ انتهىٰ إلىٰ باب المسجد فصلّىٰ ركعتين، ثم انصرف إلىٰ بيته.

---

(١) بمعنىٰ أسرع.

وبَلَغَ هرقل وهو بحمص ما صنع أسامة، فبعث رابطة يكونون بالبلقاء، فلم تزل هناك حتىٰ قدمت البعوث إلىٰ الشام في خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

قال ابن هشام: وهو آخر بعث بعثه رسول الله ﷺ.

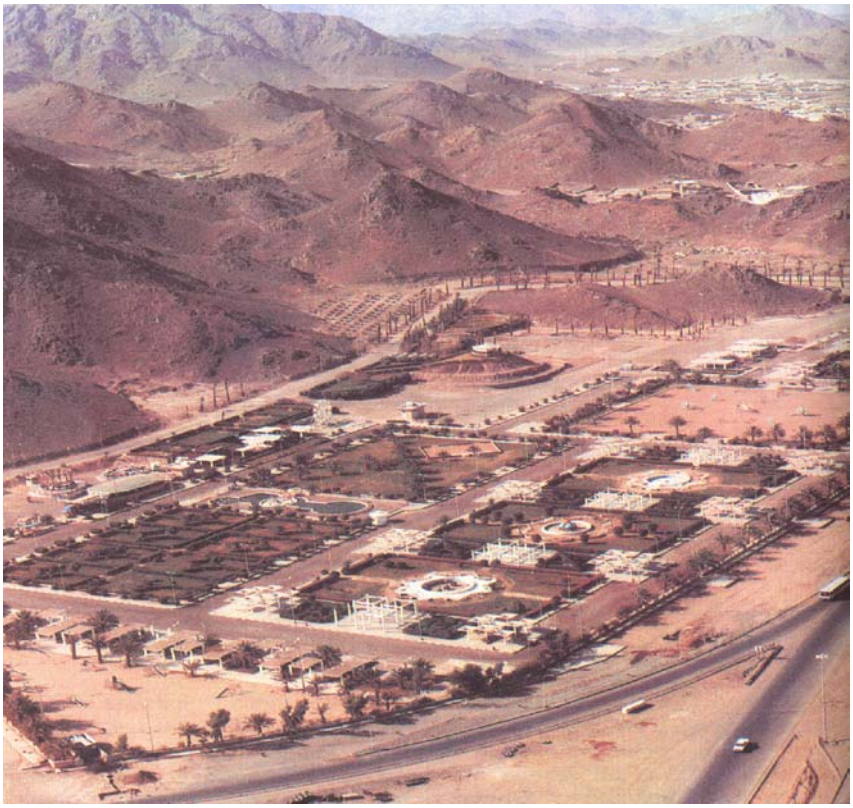

منطقة الجرف حيث عسكر جيش أسامة

خروج رسل رسول الله ﷺ بكتبه

إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام

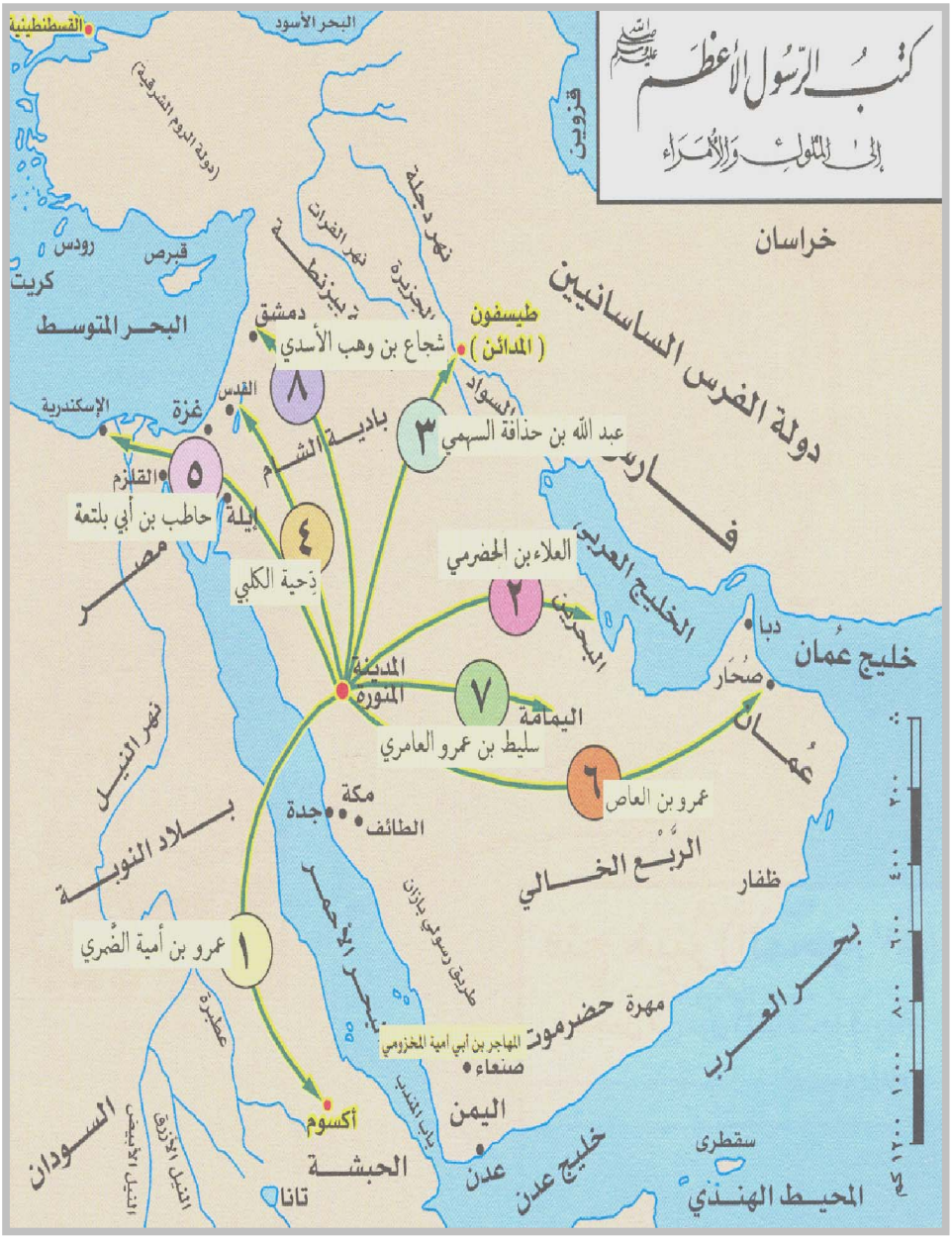

كان المسلمون مضطهدين في جميع أرجاء الأرض، كانوا قِلّة ودين قد ظَهَر من جديد، والناس لا زالوا بين نفي وإثبات حتىٰ صلح الحديبية، وكان يومها كتاب الصلح.

فبعد هذه المعاهدة أَمِنَ المسلمون في التجول، في البيع والشراء، في الانطلاق إلىٰ جميع أرجاء الجزيرة العربية. وقام النبيﷺ في السنة السابعة من الهجرة الشريفة بدعوة الملوك والقُوّاد إلىٰ الإسلام، فبعث إليهم رسلاً من أصحابه، وكتب معهم كتباً يدعوهم فيها إلىٰ الإسلام، فمنهم مَنْ لَبَّىٰ دعوته، ومنهم مَنْ أعرض.

فكان أول ما بعث رسول اللهﷺ في شهر المحرم سنة سبع من الهجرة، أرسل ستة رسل دفعة واحدة إلىٰ ستة ملوك، وهم: عمرو بن أمية الضَّمْري إلىٰ النجاشي ملك الحبشة، ودِحْية بن خليفة الكلبي إلىٰ قيصر ملك الروم، وعبدالله بن حُذافة السَّهْمي إلىٰ كسرى ملك الفرس، وحاطب بن أبي بَلْتَعة إلىٰ المُقَوْقِس ملك الإسكندرية، وعمرو بن العاص السَّهْمي[1] إلىٰ جَيْفر وعِياذ ابني الجُلُنْدَى الأَزْدِيَّيْن مَلِكَيْ عُمان، وسَلِيط بن عمرو العامري إلىٰ ثُمامة بن أُثال وهَوْذة بن علي الحنفيَّيْن مَلِكَي اليمامة.

وأرسل كذلك علىٰ دفعات: شجاع بن وهب الأسدي إلىٰ الحارث بن أبي شِمْر الغساني ملك تخوم الشام[2]، والمهاجر بن أبي أمية المخزومي إلىٰ الحارث بن عبد كُلال الحميري ملك اليمن، والعلاء بن الحضرمي إلىٰ المنذر بن ساوى العَبْدي ملك البحرين، وأبا موسىٰ الأشعري ومعاذ بن جبل إلىٰ اليمن، وجرير بن عبدالله البَجَلي إلىٰ ذي الكلاع وذي عمرو.... وغيرهم.

وورد كذلك أن رسول اللهﷺ بعث الحارث بن عمير الأزدي إلىٰ ملك بصرى بكتاب،

---

(١) لقد أسلم بنفس العام هو وخالد بن الوليد، وأُرْسِلَ كذلك رسولاً. أي كان الإنسان منهم إذا دخل الإسلام يَتَعَلَّم حالاً الأحكام الشرعية والأخلاق وينطلق داعية إلىٰ الله تعالىٰ، ويحمل السيف ويقاتل في سبيل الله. ولو لم يكن هناك إيمان لَما استطاع أن ينطلق هذا الانطلاق، وأن يسير وحده بالليل في صحراء واسعة مفتوحة.

(٢) وقيل: إلىٰ جَبَلة بن الأَيْهم الغسّاني.

فلما نزل مؤتة تعرّض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقتَلَه، ولم يُقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره، وعلىٰ إثر ذلك أرسل النبي ﷺ سرية مؤتة.

قال ابن سعد في طبقاته: لَمّا رجع رسول الله ﷺ من الحديبية في ذي الحجة سنة ست، أرسل الرسل إلىٰ الملوك يدعوهم إلىٰ الإسلام، وكتب إليهم كتباً فقيل: يا رسول الله، إن الملوك لا يقرؤون كتاباً إلاّ مختوماً. فاتّخذ رسول الله ﷺ يومئذ خاتماً من فضة، نَقْشُه ثلاثة أسطر: محمد رسول الله[1]، وختم به الكتب، فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد، وذلك في المحرم سنة سبع، وأصبح كل رجل منهم يتكلّم بلسان القوم الذين بعثه إليهم.

وقال ابن هشام: حدّثني مَنْ أثق به عن أبي بكر الهذلي قال: بَلَغَني أنَّ رسول الله ﷺ خرج علىٰ أصحابه ذات يوم بعد عُمرته التي صُدَّ عنها يوم الحديبية، فقال: أيها الناس، إن الله قد بعثني رحمة وكافة، فلا تختلفوا عليَّ كما اختلف الحواريون علىٰ عيسىٰ بن مريم، فقال أصحابه: وكيف اختلف الحواريون يا رسول الله؟ قال: دعاهم إلىٰ الذي دعوتُكم إليه، فأمّا مَنْ بَعَثَه مَبْعَثاً قريباً فرَضِيَ وسَلَّمَ، وأمّا مَنْ بَعَثَه مَبْعَثاً بعيداً فكَرِهَ وجهه وتثاقل، فشكا ذلك عيسىٰ إلىٰ الله، فأصبح المتثاقلون وكلُّ واحد منهم يتكلّم بلغة الأمة التي بُعِثَ إليها. فقال الصحابة: سمعنا وأطعنا يا رسول الله.

والمقصود ليس أخذ الكتاب وتسليمه، فمهمة الرسول حمل رسالة مكتوبة وشفوية. فالرسالة فيها دعوة إلىٰ الإسلام، إنما الشرح يكون مِنْ مهمة الرسول، فيُبَيِّن مَنْ هو النبي؟ وكيف أُرْسِلَ وبُعِثَ؟ وبأيّ شيء جاء؟ وما هي أخلاقه؟.... إلىٰ غير ذلك من أمور الدين.

---

(١) وفي رواية: (محمد) سطر، (رسول) سطر، (الله) سطر.

صورتان لختم النبي ﷺ
والمحفوظ في متحف
توبكابي باستنبول

۞ عمرو بن أمية الضَّمْري إلىٰ ملك الحبشة النجاشي:

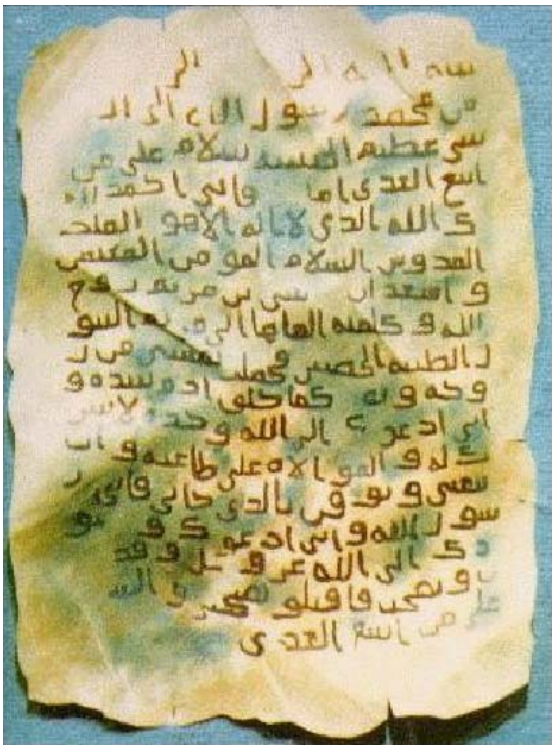

بعثه رسول الله ﷺ إلىٰ النجاشي وكتب إليه كتابين، يدعوه في أحدهما إلىٰ الإسلام، ويتلو عليه القرآن. فأخذ النجاشي كتاب رسول الله ﷺ فوضعه علىٰ عينيه، ونزل من سريره فجلس علىٰ الأرض تواضعاً، ثم أسلم وشهد شهادة الحق، وقال: لو كنت أستطيع أن آتِيَه لأَتَيْتُه. وكتب إلىٰ رسول الله ﷺ بإجابته وتصديقه، وإسلامه علىٰ يدي جعفر بن أبي طالب لله رب العالمين.

وكان جعفر بن أبي طالب قد جلس قبل ذلك أمام النجاشي وتكلّم له كلاماً وافياً عن الإسلام، حيث كان مِنَ المهاجرين الأُوَل مع زوجه.

روى البيهقي عن ابن إسحاق قال: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلىٰ النجاشي في جعفر بن أبي طالب وأصحابه، وكتب معه كتاباً فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

مِن محمد رسول الله إلىٰ النجاشي الأَصْحَم ملك الحبشة:

سلامٌ عليك، فإني أحمد إليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أنَّ عيسىٰ بن مريم روح الله، وكلمته ألقاها إلىٰ مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسىٰ، فخَلَقَه الله مِن روحه ونَفَخَه كما خلق آدم بيده ونفخه.

وإني أدعوك إلىٰ الله وحده لا شريك له، والموالاة علىٰ طاعته، وأن تَتَّبِعني وتؤمن بي وبالذي جاءني، فإني رسول الله.

وقد بَعثتُ إليك ابن عمي جعفراً ونفراً معه من المسلمين، فإذا جاءوك فأَقِرّهم ودَعِ التَّجَبُّرَ، فإني أدعوك وجنودَك إلىٰ الله، فقد بلّغتُ ونصحتُ فاقبلوا نصحي.

والسلام علىٰ مَن اتّبع الهدى.

فكتب إليه النجاشي:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلىٰ محمد رسول الله، مِن النجاشي الأَصْحم بن أبجر:

سلام عليك يا نبي الله وبركاته من الله الذي لا إله إلاّ هو الذي هداني إلىٰ الإسلام. أما بعد،

فقد بَلَغَني كتابك يا رسول الله فيما ذكرتَ مِنْ أَمْرِ عيسىٰ، فورب السماء والأرض إنَّ عيسىٰ ما يَزيد علىٰ ما ذكرتَ، وإنه كما قلتَ. وقد عَرَفْنا ما بَعَثْتَ به إلينا، وقد قَرَيْنا ابن عمك وأصحابه، فأَشْهَدُ أنك رسول الله صادقاً مُصَدَّقاً، وقد بايعتُك وبايعتُ ابن عمك، وأَسْلَمْتُ علىٰ يديه لله رب العالمين، وقد بعثتُ إليك بابني أرها بن الأَصْحَم بن أبجر فإني لا أملك إلاّ نفسي، وإنْ شئتَ أن آتِيَك فعلتُ يا رسول الله، فإني أشهد أنَّ ما تقول حقٌّ.

والسلام عليك يا رسول الله.

قال ابن إسحاق: وذُكِرَ لي أن النجاشي بعث ابنه في ستين من الحبشة في سفينة، حتىٰ إذا كانوا في وسطٍ من البحر غرقت بهم سفينتهم فهلكوا.

أما الكتاب الثاني فيأمره فيه رسول الله ﷺ أن يُزَوِّجَه بأم حبيبة بنت أبي سفيان، وكانت قد هاجرت إلىٰ أرض الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش، فتَنَصَّرَ هناك ومات، وبقيت أم حبيبة في الحبشة[1].

وأَمَرَه كذلك في الكتاب أن يبعث إليه بمَنْ قِبَلَه مِنْ أصحابه الذين كانوا هاجروا إلىٰ الحبشة، ويحملهم.

فزوّج النجاشي النبي ﷺ أم حبيبة، وأَصْدَقها عنه أربعمائة دينار. ثم أمر بجَهاز المسلمين وما يُصلحهم، وحملهم في سفينتين مع عمرو بن أمية الضمري، ودعا بحُقٍّ مِن عاج فجعل فيه كتابَيْ رسول الله ﷺ، وقال لأتباعه: لن تزال الحبشة بخير ما كان هذان الكتابان بين أظهرها.

❁ دِحْية بن خليفة الكلبي إلىٰ قيصر ملك الروم:

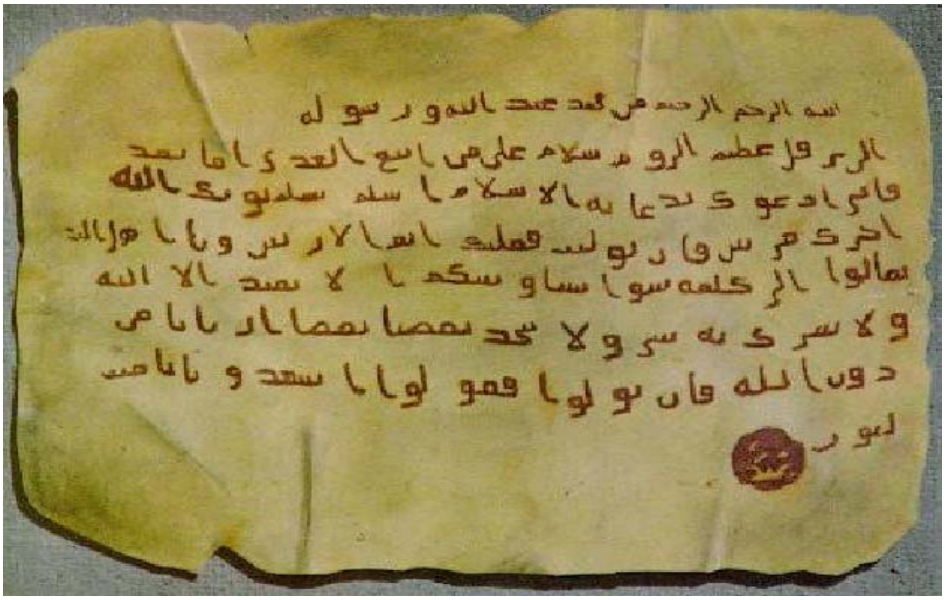

(١) راجع ج٣ ص٤١٢ - باب ذكر أزواجه ﷺ.

قال ابن سعد: بعثه رسول الله ﷺ إلىٰ قيصر يدعوه إلىٰ الإسلام، وكتب معه كتاباً وأمره أن يدفعه إلىٰ عظيم بُصْرى ليدفعه إلىٰ قيصر. فدفعه عظيم بصرى إليه وهو يومئذ بحمص، وقيصر يومذ ماشٍ في نَذْر كان عليه: إنْ ظَهَرَتِ الروم علىٰ فارس أن يمشي حافياً من قسطنطينية إلىٰ إيلياء.

وكان قيصر عالماً بالديانة النصرانية، مُطَّلِعاً علىٰ الإنجيل والتوراة، وكان يعلم عِلْمَ النجوم، وبأن نبي آخر الزمان قد آن وقته، إنما هو في أي مكان لا يُدرى.

فلما جاء دحية يدعوه للإسلام، قال هرقل: هل هناك أحد من مكة في التجارة؟ إذا وجدتُم أحداً فأَحْضِروه. ففتّشوا في مملكته فوجدوا أبا سفيان ومعه ثلاثون من تجار العرب.

روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أَخْبَرَني أبو سفيان بن حرب - بعد أن أسلم - أنَّ هرقل أرسل إليه في ركب من قريش وكانوا تجاراً بالشام، في المدة التي كان رسول الله ﷺ مادّ فيها أبا سفيان وكفار قريش، فأَتَوْه وهم بإيلياء، فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا بترْجُمانه فقال: أيّكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: فقلت: أنا أقربهم نسباً، فقال: أَدْنُوه مني، وقَرِّبُوا أصحابَه فاجعلوهم عند ظهره. ثم قال لتَرْجُمانه: قُلْ لهم: إني سائلٌ هذا عن هذا الرجل، فإنْ كَذَبَني فكَذِّبوه. فوالله لولا الحياءُ مِنْ أن يَأْثِروا عليَّ كَذِباً لَكَذَبْتُ عنه.

قال: ثم كان أول ما سألني عنه أنْ قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب. قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا. قال: فهل كان مِن آبائه مِنْ مَلِك؟ قلت: لا. قال: فأشراف الناس يَتَّبِعونه أم ضعفاؤهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم. قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون. قال: فهل يَرْتَدُّ أحدٌ منهم سَخْطَةً لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا. قال: فهل كنتم تَتَّهِمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا. قال: فهل يَغْدِر؟ قلت: لا، ونحن منه في مُدّة لا ندري ما هو فاعل فيها. قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم. قال: فكيف كان قتالكم إيّاه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال، ينال منا وننال منه. قال: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة.

فقال هرقل لترجمانه: قُلْ له: سألتك عن نسبه فذكرتَ أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرُّسُل تُبْعَثُ في نسب قومها. وسألتُك: هل قال أحد منكم هذا القول؟ فذكرتَ أنْ لا، فقلتُ: لو كان أحدٌ قال هذا القول قبله لَقُلْتُ: رجلٌ يَأْتَسِي بقولٍ قيل قَبْلَه. وسألتك: هل كان مِن آبائه مِنْ مَلِك؟ فذكرتَ أنْ لا، قلت: فلو كان مِن آبائه مِنْ مَلِك قلتُ: رجلٌ يطلب مُلْك أبيه. وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرتَ أنْ لا، فقد أعرف أنه لم يكن لِيَذَرَ الكذب علىٰ الناس ويَكْذِبَ علىٰ الله. وسألتك: أشراف الناس اتَّبَعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرتَ أنَّ ضعفاءهم اتَّبَعوه، وهم أتباع الرسل. وسألتك: أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرتَ أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتىٰ يَتِمَّ. وسألتك: أَيَرْتَدُّ أحدٌ سَخْطَةً لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فذكرتَ أنْ لا، وكذلك الإيمان حين تُخالط بَشاشته القلوب. وسألتك: هل يَغْدِرُ؟ فذكرتَ أنْ لا، وكذلك الرسل لا تغدر. وسألتك: بما يأمركم؟ فذكرتَ أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف. فإنْ كان ما تقول حقاً فسَيَمْلِكُ موضع قدميَّ هاتين، وقد كنت أَعْلَمُ أنه خارجٌ، لم أكن أظنّ أنه منكم، فلو أني أعلم أني أَخْلُصُ إليه لَتَجَشَّمْتُ[1] لقاءه، ولو كنتُ عنده لَغَسَلْتُ عن قدميه.

ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به دحية إلىٰ عظيم بصرى، فدفعه إلىٰ هرقل فقرأه، فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

مِنْ محمدٍ عبد الله ورسوله إلىٰ هرقل عظيم الروم:

سلامٌ علىٰ مَن اتّبع الهدى.

أما بعد،

فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أَسْلِمْ تَسْلَم، يُؤْتِكَ الله أَجْرَكَ مرتين، فإنْ تَوَلَّيْتَ فإنما عليك إثم الأَرِيسِيِّين[2].

(١) أي تَحَمَّلْتُ وتَكَلَّفْتُ.

(٢) هم الأتباع من أهل المملكة، وهي في الأصل جمع أريسي، وهو الحَرّاث والفلاح. وجاءت بعض الروايات بلفظ: اليرسِيِّين.

ثم تلا عليه قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران].

قال أبو سفيان: فلما قال ما قال، وفرغ من قراءة الكتاب، كَثُرَ عنده الصَّخَب، وارتفعت الأصوات وأُخْرِجْنا، فقلتُ لأصحابي: لقد أَمِرَ أَمْرُ ابن أبي كبشة، إنه يخافه مَلِك بني الأصفر. فما زلت موقناً أنه سيظهر حتىٰ أَدْخَلَ الله عليَّ الإسلام.

وكما ذكرنا كان هرقل يعلم عن طريق علم النجوم بأن النبي المنتظر قد ظهر نجمه، وبَدَتْ إشاراته وعلاماته، غير أنه كان يعتقد بأنه سيكون مِنْ أُمّة تختتن. فقال لبطارقته: إني رأيتُ الليلة حين نظرتُ في النجوم مَلِك الخِتان قد ظهر، فمَنْ يَخْتَتِنُ مِن هذه الأمة؟ قالوا: ليس يختتن إلاّ اليهود، فلا يُهِمَّنَّكَ شأنهم، واكْتُبْ إلىٰ مَدايِن مُلْكِك فيَقْتُلوا مَنْ فيهم مِنَ اليهود.

فبينما هم علىٰ أَمْرِهم، أُتِيَ هرقل برجل أَرْسَلَ به ملك غسّان يُخْبِرُ عن خبر رسول الله ﷺ، فلما استخبره هرقل قال: اذهبوا فانظروا أَمُخْتَتِنٌ هو أم لا؟ فنظروا إليه فحدّثوه أنه مختتن، وسأله عن العرب فقال: هم يختتنون، فقال هرقل: هذا ملك هذه الأمة قد ظهر.

ثم كتب هرقل إلىٰ صاحبٍ له برومية، وكان نظيره في العلم، وسار هرقل إلىٰ حمص، فلم يَرِمْ[1] حمص حتىٰ أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأي هرقل علىٰ خروج النبي ﷺ، وأنه نبي.

فأَذِنَ هرقل لعظماء الروم في دَسْكَرةٍ له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغُلِّقَتْ، ثم اطَّلَعَ فقال: يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرُّشْد، وأن يَثْبُتَ مُلْكُكم فتُبايعوا هذا النبي؟[2] فحَاصُوا حَيْصَةَ حُمُر الوحش إلىٰ الأبواب، فوجدوها قد غُلِّقَتْ. فلما رأى هرقل نَفْرَتهم وأَيِسَ من الإيمان قال: رُدُّوهم عليَّ، وقال: إني قلتُ مقالتي آنفاً أختبر بها شِدَّتكم علىٰ دينكم، فقد رأيتُ. فسجدوا له ورضوا عنه.

فكان ذلك آخر شأن هرقل، تعارض معه الملك والإيمان، فعزّ عليه مُلْكه، وغَلَبَتْ عليه شِقوته.

---

(١) أي يفارق.

(٢) وفي رواية قال: يا قوم، أَدْعُوكم إلىٰ إحدى ثلاث: الإسلام، أو الجزية، أو القتال ولا تستطيعون.

۞ عبد الله بن حُذافة السَّهْمي إلىٰ كسرى ملك الفرس:

قال ابن سعد في طبقاته: قال عبدالله: فدفعتُ إليه كتاب رسول الله ﷺ فقُرِئَ عليه، ثم أخذه فمزّقه وألقاه علىٰ الأرض، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال: اللهم مَزِّقْ مُلْكه كما مَزَّقَ كتابي.

وكتب كسرى إلىٰ باذان عامله علىٰ اليمن - وكانت مستعمرة فارسية -: أن ابْعَثْ مِن عندك رجلين جَلْدَيْن إلىٰ هذا الرجل الذي بالحجاز فليأتياني بخبره. فبعث باذان قهرمانه[1] ورجلاً آخر، وكتب معهما كتاباً. فقَدِما المدينة، فدَفَعا كتاب باذان إلىٰ النبي ﷺ، فتبسّم رسول الله ﷺ ودعاهما إلىٰ الإسلام وفرائصهما تُرعَد، وقال: ارْجِعا عني يومكما هذا حتىٰ تأتياني الغد فأُخْبِركما بما أُريد.

فجاءاه من الغد فقال لهما: أَبْلِغا صاحبكما أنَّ ربي قد قَتَلَ رَبَّهُ كسرى في هذه الليلة لسبع ساعات مَضَتْ منها، وهي ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين من جمادى الأولىٰ سنة سبع، وأنّ الله تبارك وتعالىٰ سَلَّطَ عليه ابنَه شِيرَوَيْه فقَتَلَهُ.

فرَجَعا إلىٰ باذان بذلك، وفي هذه الفترة كان قد وصل الخبر إلىٰ اليمن، فأسلم هو والأبناء[2] الذين باليمن.

---

(١) القهرمان كلمة فارسية مُعَرَّبة، تعني الوكيل الخاص للحاكم والقائم بأموره.

(٢) هم الذين أرسلهم كسرى مع سيف بن ذي يزن لَمّا جاء يستنجدهم علىٰ الحبشة، فنصروه وملكوا اليمن، وتزوّجوا في العرب، فقيل لأولادهم: الأبناء، وغلب عليهم هذا الاسم.

۞ حاطب بن أبي بَلْتَعة إلىٰ المُقَوْقِس[1] صاحب الإسكندرية:

(١) المقوقس لقب، واسمه جريج بن مينا.

قال ابن سعد في طبقاته: فأَوْصَلَ إليه كتاب رسول الله ﷺ، فقرأه وقال له خيراً، وأخذ الكتاب فجعله في حُقٍّ مِن عاج، وختم عليه ودفعه إلىٰ جاريته.

ثم كتب إلىٰ رسول الله ﷺ يقول: قد علمتُ أن نبياً قد بقي، وكنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمتُ رسولك، وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم، وقد أَهْدَيْتُ لك كسوة وبغلة تركبها. ولم يَزِدْ علىٰ هذا، ولم يُسْلِمْ.

وقال أبو عمر بن عبد البر: إن المقوقس أهدى إلىٰ رسول الله ﷺ خصياً اسمه مَأْبُور، ويقال: هو ابن عم ماريا والله أعلم.

قال ابن سعد: فقَبِلَ رسول الله ﷺ هديته وأخذ الجاريتين: مارية أم إبراهيم بن رسول الله ﷺ وأختها سيرين[1]، وبغلة بيضاء لم يكن في العرب يومئذ غيرها وهي دُلْدُل. وقال رسول الله ﷺ: ضَنَّ الخبيث بمُلْكِه ولا بقاء لملكه.

وقال حاطب يومها: كان المقوقس لي مُكْرماً في الضيافة، وقلة اللبث ببابه، ما أقمت عنده إلاّ خمسة أيام.

❁ شجاع بن وهب الأسدي إلىٰ الحارث بن أبي شِمْر الغسّاني:

كان الحارث بن أبي شمر يومها ملكاً علىٰ البلقاء من أرض الشام، فأرسل له رسول الله ﷺ كتاباً يدعوه إلىٰ الإسلام.

يقول شجاع: فأتيته وهو بغوطة البلقاء الشرقية[2]، وهو مشغول بتهيئة الأنزال والألطاف لقيصر، وهو جاءٍ من حمص إلىٰ إيلياء. فأقمت علىٰ بابه يومين أو ثلاثة أيام ولم يَأْذَنْ لي بمقابلته، فقلت لحاجبه[3]: إني رسولُ رسول الله ﷺ إليه، فقال: لا تصل إليه حتىٰ يخرج يوم كذا وكذا. وجعل حاجبه يسألني عن رسول الله ﷺ، فكنت أحدثه عن صفة رسول الله ﷺ وما يدعو إليه، فيرقّ حتىٰ يغلبه البكاء ويقول: إني قد قرأت الإنجيل فأجد

---

(١) وَهَبَها رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت، وهي أم عبد الرحمن بن حسان.

(٢) يعني دمشق.

(٣) كان رومياً، واسمه مُرِّيّ.

صفة هذا النبي بعينه، فأنا أُومِنُ به وأُصَدِّقُه، وأخاف من الحارث أن يقتلني إنْ أعلنت ذلك. فيقول شجاع: فكان الحاجب يُكْرِمني ويُحْسِن ضيافتي.

وخرج الحارث يوماً فجلس ووضع التاج علىٰ رأسه، فأَذِنَ لي عليه. فدفعتُ إليه كتاب رسول الله ﷺ، فقرأه ثم رمىٰ به وقال: مَنْ ينزع مني ملكي؟ أنا سائرٌ إليه، ولو كان باليمن جئته، عليّ بالناس[1].

فلم يزل يَفْرِضُ[2] حتىٰ قام، وأمر بالخيول أن تُنعل استعداداً للغزو، ثم قال: أَخْبِرْ صاحبك ما ترى. وكتب إلىٰ قيصر يخبره خبره وما عزم عليه، فكتب إليه قيصر: ألاّ تسير إليه والْهَ عنه، ووافني بإيلياء.

يقول شجاع: فلما جاءه جواب كتابه دعاني فقال: متىٰ تريد أن تخرج إلىٰ صاحبك؟ فقلت: غداً. فأمر لي بمائة مثقال ذهب، ووصّلني مُرِّيّ، وأَمَرَ لي بنفقة وكسوة وقال: أَقْرِئْ رسول الله ﷺ مني السلام فإني علىٰ دينه.

فقدمتُ علىٰ النبي ﷺ فأخبرته، فقال: باد مُلْكه، فمات الحارث عام الفتح وباد ملكه. وأَقْرَأْتُه مِن مُرِّيّ السلام وأخبرته بما قال، فقال رسول الله ﷺ: صَدَقَ.

۞ سَلِيط بن عمرو العامري إلىٰ هَوْذة بن علي الحنفي زعيم نجد:

بعثه رسول الله ﷺ بكتاب إلىٰ هوذة باليمامة يدعوه إلىٰ الإسلام.

قال ابن سعد: فقدم عليه سليط بن عمرو وأنزله وحباه، وقرأ كتاب النبي ﷺ، وردّ ردّاً دون ردّ، وكتب إلىٰ النبي ﷺ: ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله! وأنا شاعر قومي وخطيبهم، والعرب تهاب مكاني، فاجعل لي بعض الأمر أَتَّبِعك. وأجاز سَلِيطَ بن عمرو

---

(١) قال ذلك وما يدري بأن الله يمنعه منه ومن كل ملوك الأرض، وكان قد نزل قول الله تعالىٰ: ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ [المائدة٦٧]. وما كان قد أُخبر بالكتاب الذي أُرْسِلَ إلىٰ هرقل، وما قاله بأنه لو كان عنده لغسل قدميه.

(٢) أي يقطع ويوجب للجند عطاءهم من المال ويأمرهم بالتأهب للحرب.

بجائزة، وكساه أثواباً من نسج هَجَر.

فقدم سليط بذلك كله علىٰ رسول الله ﷺ وأخبره عنه بما قال، وقرأ كتابه وقال: لو سألني سَيابَةً مِنَ الأرض ما فعلتُ، باد وباد ما في يديه.

فلما انصرف من عام الفتح، جاءه جبريل فأخبره أنه قد مات.

۞ عمرو بن العاص إلىٰ جَيْفَر وعِياذ[1] مَلِكَيْ عمان:

(١) وفي بعض النسخ: عبد.

قال محمد بن سعد: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص في ذي القعدة سنة ثمان مِن مُهاجَره ﷺ إلىٰ جَيْفر وعِياذ ابني الجُلُنْدَى، وهما من الأزد، والملك منهم جيفر، يدعوهما إلىٰ الإسلام، وكتب معه إليهما كتاباً وختم الكتاب.

فيقول عمرو بن العاص: فلما قدمتُ عمان عمدت إلىٰ عِياذ، وكان أَحْلَم الرجلين وأسهلهما خُلُقاً، فقلت: إني رسولُ رسولِ الله إليك وإلىٰ أخيك، فقال: أخي المُقَدَّم عليّ بالسنّ والمُلك، وأنا أُوصلك إليه حتىٰ يقرأ كتابك. فمكثتُ أياماً ببابه، ثم إنه دعاني فدخلت عليه، فدفعت إليه الكتاب مختوماً، ففضّ خاتمه وقرأه حتىٰ انتهىٰ إلىٰ آخره، ثم دفعه إلىٰ أخيه فقرأه مِثْل قراءته، إلاّ أني رأيتُ أخاه أرقّ منه، فقال: دعني يومي هذا وارجع إليّ غداً.

فلما كان الغد رجعت إليه، قال: إني فكرت فيما دعوتني إليه، فإذا أنا أضعف العرب إذا مَلَّكْتُ رجلاً ما في يدي. قلت: فإني خارج غداً. فلما أَيْقَنَ بمَخْرَجي أصبح فأرسل إليّ، فدخلتُ عليه، فأجاب إلىٰ الإسلام هو وأخوه جميعاً، وصدّقا بالنبي ﷺ، وخَلَّيا بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم، وكانا لي عَوْناً علىٰ مَنْ خالفني، فأخذتُ الصدقة من أغنيائهم فرَدَدْتُها في فقرائهم. فلم أزل مقيماً فيهم حتىٰ بَلَغَنا وفاة رسول الله ﷺ.

۞ العلاء بن الحضرمي إلىٰ المنذر بن ساوَى العبدي ملك البحرين:

قال ابن سعد: بعث إليه رسول الله ﷺ كتاباً عند منصرفه من الجعرانة يدعوه إلىٰ الإسلام، فكتب إلىٰ رسول الله ﷺ بإسلامه وتصديقه، وقال: (إني قد قرأت كتابك علىٰ أهل هَجَر، فمنهم مَنْ أَحَبَّ الإسلام وأعجبه ودخل فيه، ومنهم مَنْ كَرِهَه، وبأرضي مجوس ويهود، فأَحْدِثْ إليَّ في ذلك أمرك).

فكتب إليه رسول الله ﷺ: (إنك مهما تُصْلِحْ فلن نَعْزِلَك عن عملك، ومَنْ أقام علىٰ يهودية أو مجوسية فعليه الجزية).

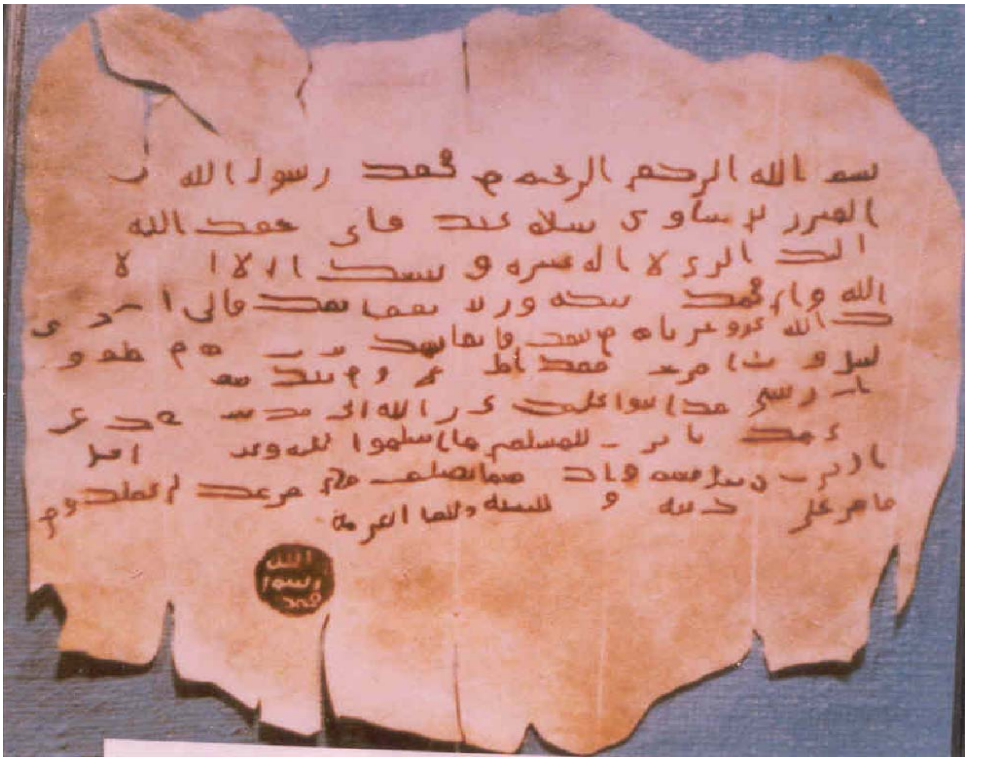

وكتب رسول الله ﷺ إلىٰ مجوس هَجَر يعرض عليهم الإسلام، فإنْ أَبَوْا أُخِذَتْ منهم الجزية، وبأن لا تُنْكَح نساؤهم، ولا تُؤْكَل ذبائحهم.

وكان رسول الله ﷺ بعث أبا هريرة مع العلاء بن الحضرمي، وأوصاه به خيراً.

وكتب رسول الله ﷺ للعلاء فرائض الإبل، والبقر، والغنم، والثمار، والأموال. فقرأ العلاء كتابه علىٰ الناس وأخذ صدقاتهم.

فكانت يومها البحرين يُجْبىٰ منها الأموال الكثيرة إلىٰ المدينة، حتىٰ أتىٰ مال البحرين يوماً إلىٰ النبي ﷺ وكان كوماً، فما أمسىٰ عليه الصلاة والسلام إلاّ ووزعه كله.

۞ المهاجر بن أبي أمية المخزومي إلىٰ الحارث بن عبد كُلال الحِمْيَري ملك اليمن:

قال النويري في تاريخه: ذكر أبو عمر بن عبد البر في كتابه الاستيعاب في ترجمة ابن

أبي أمية أن رسول الله ﷺ بعثه إلىٰ الحارث الحميري.

وفي رواية ذكرها ابن سعد في طبقاته قال: أخبرنا علي بن محمد عن يزيد بن عياض عن الزهري قال: كتب رسول الله ﷺ إلىٰ الحارث ومسروح ونُعيم بن عبد كُلال مِنْ حِمْيَر: (سِلْمٌ أنتم ما آمنتم بالله ورسوله، وأن الله وحده لا شريك له، بَعَثَ موسىٰ بآياته، وخَلَقَ عيسىٰ بكلماته....).

قال: وبعث بالكتاب مع عياش بن أبي ربيعة المخزومي وقال: إذا جئتَ أرضهم فلا تَدْخُلَنَّ ليلاً حتىٰ تُصْبِحَ، ثم تَطَهَّرْ فأَحْسِنْ طُهورَكَ، وصَلِّ ركعتين، وسَلِ الله النجاحَ والقَبول، واسْتَعِذْ بالله، وخُذْ كتابي بيمينك، وادْفَعْهُ بيمينك في أَيْمانهم فإنهم قابِلون، واقرأ عليهم: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ﴾ [البينة ١]. فإذا فرغتَ منها فقُلْ: آمَنَ محمدٌ وأنا أول المؤمنين، فلن تأتيك حُجّة إلاّ دُحِضَتْ، ولا كتابٌ زُخْرِفَ إلاّ ذَهَبَ نوره. وهم قارئون عليك، فإذا رَطَنوا فقُلْ: تَرْجِموا، وقُلْ: حسبي الله آمنتُ بما أَنْزَلَ الله مِن كتاب، وأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بينكم، الله ربنا وربكم، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم، لا حُجّة بيننا وبينكم، الله يجمع بيننا وإليه المصير. فإذا أَسْلَموا فَسَلْهُمْ قُضُبَهُمُ الثلاثةَ التي إذا حَضَروا بها سَجَدوا، وهي: مِنَ الأثْلِ قضيبٌ مُلَمَّعٌ ببياضٍ وصُفْرةٍ، وقضيبٌ ذو عُجَرٍ كأنّه خَيْزُران، والأسودُ البَهيمُ كأنه مِنْ ساسِم. ثُمّ أَخْرِجْها فحَرِّقْها بسوقهم.

قال عياش: فخرجتُ أفعل ما أَمَرَني رسول الله ﷺ، حتىٰ إذا دخلتُ إذا الناس قد لبسوا زينتهم. قال: فمررتُ لأنظر إليهم حتىٰ انتهيت إلىٰ ستور عظام علىٰ أبواب دور ثلاثة، فكشفتُ الستر ودخلت الباب الأوسط، فانتهيت إلىٰ قوم في قاعة الدار، فقلت: أنا رسولُ رسولِ الله، وفعلتُ ما أَمَرَني، فقَبِلوا وكان كما قال ﷺ.

۞ أبو موسىٰ الأشعري ومعاذ بن جبل إلىٰ اليمن:

كانا داعِيَيْن إلىٰ الإسلام، فأسلم عامة أهل اليمن وملوكهم طوعاً، فقد كانوا أَلْيَن قلوباً وألطف عريكة.

وقد قال لهما النبي ﷺ: في اليمن يهود ونصارى، فادْعُوهم إلىٰ لا إله إلاّ الله محمد رسول الله، فإنْ هم أطاعوكما فأَخْبِراهم أن الله فرض عليهم في كل يوم وليلة خمس

صلوات، فإنْ أطاعوكما فأخبراهم أن الله فرض عليهم صدقة تُؤْخَذ من أغنيائهم وتُـرَدُّ إلىٰ فقرائهم... إلىٰ غير ذلك.

فانطلق يومها أبو موسىٰ الأشعري، ومعاذ بن جبل، وانطلق معهما علي بن أبي طالبﷺ.

۞ جرير بن عبد الله البَجَلي إلىٰ ذي الكُلاع وإلىٰ ذي عمرو:

قال ابن سعد في طبقاته الكبرى: بعث النبيﷺ جرير بن عبدالله البَجَلي إلىٰ ذي الكُلاع بن ناكور بن حبيب بن مالك بن حسّان بن تُبّع، وإلىٰ ذي عمرو يدعوهما إلىٰ الإسلام. فأَسْلَما، وأَسْلَمَتْ ضُرَيبة بنت أبرهة بن الصباح امرأة ذي الكُلاع.

وتوفي رسول اللهﷺ وجرير عندهم، فأخبره ذو عمرو بوفاتهﷺ، فخرج جرير إلىٰ المدينة.

۞ كتاب رسول اللهﷺ إلىٰ جَبَلة بن الأَيْهم ملك غسّان:

قال ابن سعد في طبقاته: وكتب رسول اللهﷺ إلىٰ جَبَلة بن الأَيْهم ملك غسان يدعوه إلىٰ الإسلام، فأسلم وكتب بإسلامه إلىٰ رسول اللهﷺ، وأَهْدى له هدية.

ولم يزل مسلماً حتىٰ كان في زمان عمر بن الخطاب، فبينما هو في سوق دمشق إذ وطئ رجلاً مِن مزينة، فوثب المزني فلطمه، فأُخِذَ وانْطُلِقَ به إلىٰ أبي عبيدة بن الجراح، فقالوا: هذا لطم جَبَلة، قال: فليَلْطِمه، قالوا: وما يُقْتَل؟ قال: لا، قالوا: فما تُقطع يده؟ قال: لا، إنما أَمَرَ الله تبارك وتعالىٰ بالقَوَدِ، قال جَبَلة: أَوَتَرَوْن أني جاعلٌ وجهي نِدّاً لوجه جَدْي جاء مِنْ عَمْق؟ بئس الدين هذا. ثم ارتدّ نصرانياً وترحّل بقومه حتىٰ دخل أرض الروم.

ولقد كتب رسول اللهﷺ كذلك وأَرْسَلَ رسلاً إلىٰ عِدّة مِن زعماء قبائل العرب يدعوهم إلىٰ الإسلام، وقد ورد قسم كبير من ذلك في باب الوفود، فيستطيع القارئ أن يَطَّلِعَ علىٰ ذلك[1].

---

(١) وإنْ شئتَ التوسع أكثر كذلك فارجع إلىٰ طبقات ابن سعد ج١ ص٢٦٤-٢٩١.

وقد ذكرتُ هنا هذا الموضوع بإيجاز ؛ لأُبَيِّن أن النبيﷺ لم يتساهل بتبليغ دعوته مع كل مَنْ طُلِبَ منهﷺ أن يُبَلِّغه ، وذلك تحقيقاً لقول الله تبارك وتعالىٰ : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ ﴾ [المائدة٦٧]، والله وَلِيُّ التوفيق.

وفادات العرب

على رسول الله ﷺ

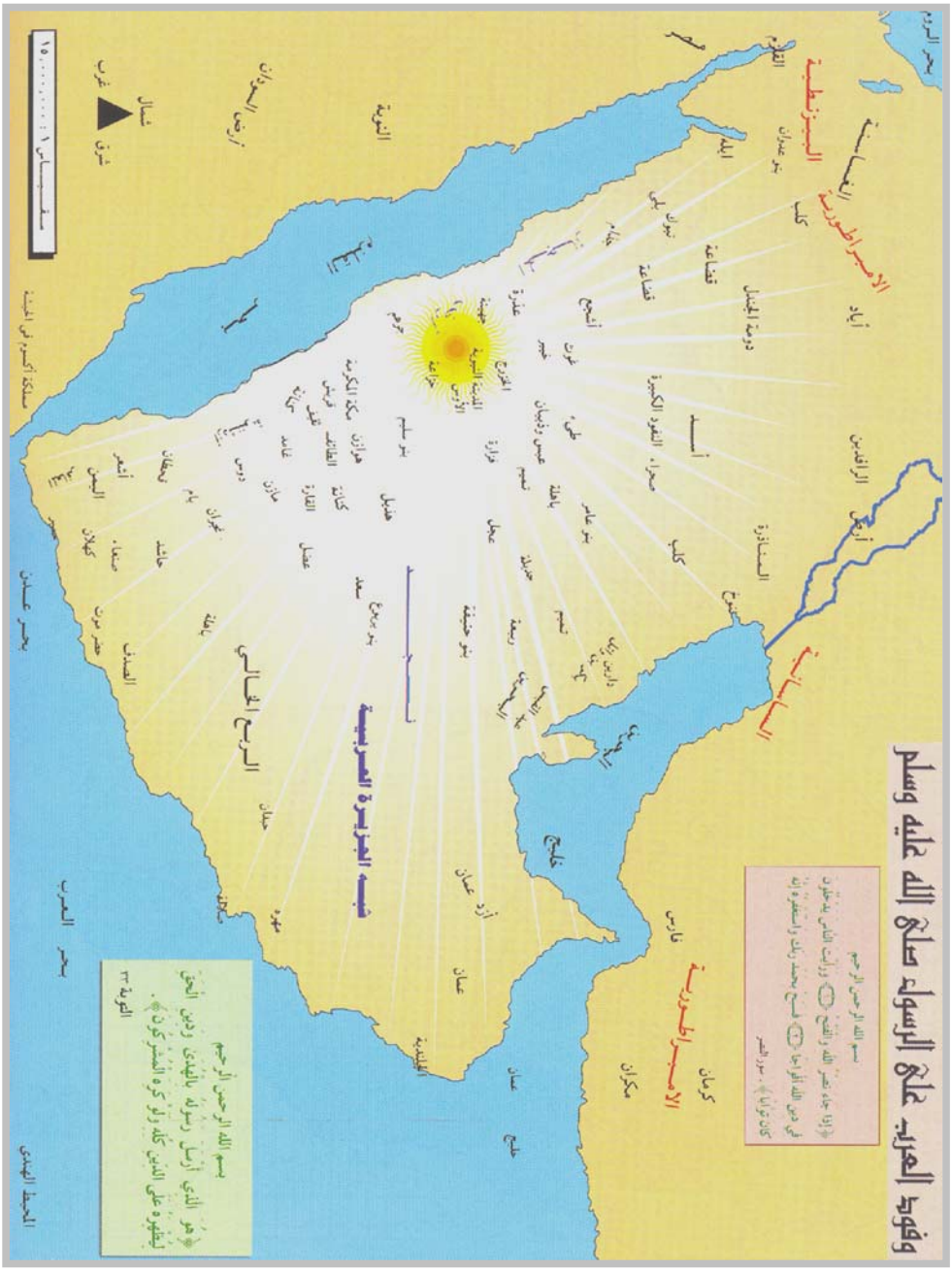

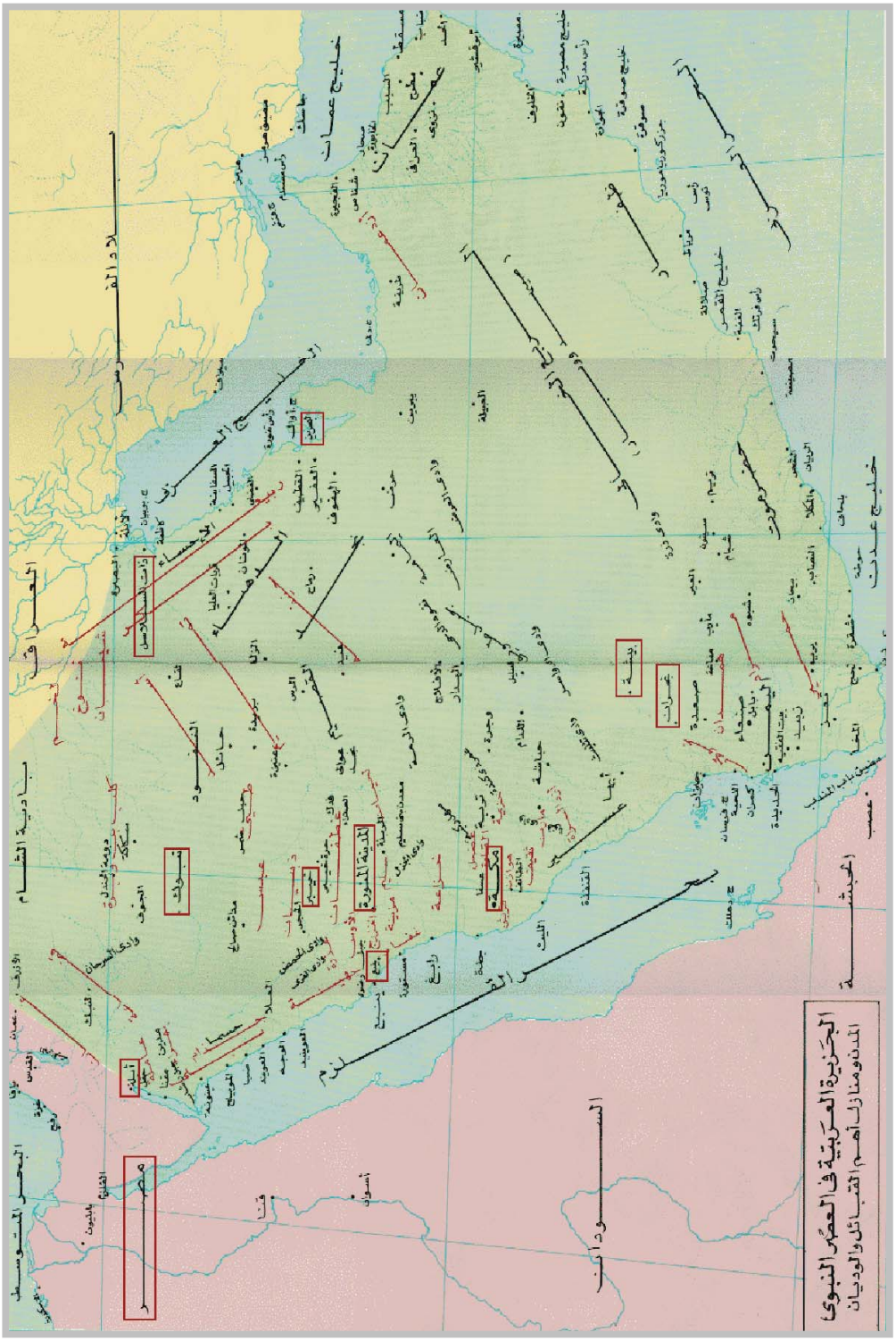
الجزيرة العربية في العصر النبوي
المدن ومنازل أهم القبائل والوديان
مصر
أيلة
تبوك
تيماء
المدينة المنورة
ينبع
مكة
بيشة
نجران
خيبر
خليج عدن
خليج عمان
البحر المتوسط
بادية الشام
العراق
الحبشة
السودان

قال ابن إسحاق: لَمّا افتتح رسول الله ﷺ مكة، وفرغ مِن تبوك، وأَسْلَمَتْ ثقيف وبايعت، ضربتْ إليه وفود العرب من كل وجه.

قال ابن هشام: وذلك في سنة تسع، وكانت تُسَمّىٰ سنة الوفود.

قال ابن إسحاق: وإنما كانت العرب تَرَبَّصُ بالإسلام أَمْرَ هذا الحي من قريش وأَمْرَ رسول الله ﷺ، وذلك أن قريشاً كانوا إمام الناس وهادِيَهم، وأهلَ البيت والحَرَم، وقادةُ العرب لا ينكرون ذلك. وكانت قريش هي التي نَصَبَتْ لحرب رسول الله ﷺ وخلافه، فلما افْتُتِحَتْ مكة ودانت له قريش ودَوَّخَها الإسلام، عرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ ولا عداوته، فدخلوا في دين الله أفواجاً يضربون إليه مِنْ كل وجه.

قال الله تعالىٰ لنبيه ﷺ: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣ ﴾ [النصر].

قال ابن كثير: ولقد وفد جماعة قبل سنة تسع، فيجب التمييز بين السابق مِن هؤلاء الوافدين علىٰ زمن الفتح مِمَّنْ يُعَدُّ وفوده هجرة، وبين اللاحق لهم بعد الفتح مِمَّن وَعَدَ الله خيراً وحُسْناً.

قال الله تعالىٰ: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝١٠ ﴾ [الحديد].

❁ معنىٰ الوفد:

قال في الصحاح: وَفَد فلان علىٰ الأمير، أي وَرَدَ رسولاً فهو وافد، والجمع وَفْد مِثْل صاحب وصَحْب، وجمع الوفد: أوفاد ووفود، والاسم: الوَفادة، ويقال: وأَوْفَدْتُه أنا إلىٰ الأمير، أي أَرْسَلْتُه.

وقال صاحب المصباح: وَفَد علىٰ القوم وفداً، من باب وَعَد.

وقال في النهاية: الوَفْد: القوم يجتمعون ويَرِدُون البلاد، واحدهم وافد. وكذلك الذين يقصدون الأمراء لزيارةٍ واسْتِرْفادٍ وانْتِجاعٍ وغير ذلك، تقول: وَفَدَ يَفِدُ فهو وافد.

وقال صاحب المورد: الوفد: الجماعة المختارة من القوم يَنْتَقُونهم للقاء العظماء.

۞ تجمّل النبيﷺ وأصحابه للوفود:

روى محمد بن عمر الأسلمي وأبو نعيم في المعرفة وأبو الحسن بن الضحاك عن جندب بن مَكِيثرضي الله عنه قال: كان رسول اللهﷺ إذا قَدِمَ عليه الوفد لبس لهم أحسن ثيابه، وأَمَرَ أصحابه بذلك. فرأيتُه وقد قدم عليه وفد كِندة وعليه حُلّة يمانية، وعلىٰ أبي بكر وعمر مِثْل ذلك.

وروى ابن سعد عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما أن ثوب رسول اللهﷺ الذي كان يخرج فيه للوفود حَضْرَمي، طوله أربعة أذرع، وعرضه ذراعان وشبر، فهو عند الخلفاء قد خَلَقَ، فطَوَوْه بثوب يلبسونه يوم الأضحىٰ والفطر.

ولقد عقد ابن سعد في طبقاته في الترجمة النبوية باباً للوفود، ذَكَرَ فيه وفادات العرب، وكاد يستوعب ذلك بتلخص حسن وكلام أجمع ما يكون في ذلك.

ونحاول في كتابنا هذا أن نستوعب ما ذكره ابن سعد وغيره في هذا المجال إن شاء الله تعالىٰ، علماً أن لمحمد بن عمر الأسلمي شيخ ابن سعد كتاب الوفود، وفيه فوائد جمة لم يُلِمَّ بها ابن سعد.

أ

قدوم وفد أَحْمَس[١] على رسول الله ﷺ:

قال ابن سعد في طبقاته: قدم قيس بن غَرْبة[٢] الأَحْمَسي في مائتين وخمسين رجلاً مِن أَحْمَس، فقال لهم رسول الله ﷺ: مَنْ أنتم؟ قالوا: نحن وأنتم اليوم لله. وقال رسول الله ﷺ لبلال: أَعْطِ ركب بَجِيلة وابدأ بالأَحْمَسِيِّين، ففعل.

وعن طارق بن شهاب رضي الله عنه[٣] قال: قدم وفد بَجِيلة على رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: اكْتُبوا البَجلِيِّين وابدؤوا بالأَحْمَسِيِّين. فتخلّف رجل مِنْ قيس قال: حتى أنظر ما يقول لهم رسول الله ﷺ، قال: فدعا لهم رسول الله ﷺ - فسمّى مرات -: اللهم جُدْ عليهم، اللهم بارك فيهم.

وفي رواية للإمام أحمد: قَدِمَ وفد أَحْمَس ووفد قيس، فقال رسول الله ﷺ: ابدؤوا بالأَحْمَسِيِّين قبل القَيْسِيِّين، ثم دعا لأَحْمَس قال: اللهم بارك في أَحْمَس وخيلها ورجالها - سبع مرات -.

---

(١) مِنْ بني بَجِيلة الغوث بن أنمار، ومِنْ ولده أَحْمَس بن الغوث، بطن لهم سوابق في الإسلام، نهض منهم مائة وخمسون فارساً مع جرير بن عبدالله البَجَلي إلى حرق ذي الخلصة كما قدّمنا في باب السرايا والبعوث ص٢٩٨، فبارك رسول الله ﷺ على خيل أَحْمَس ورجالها - انظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص٣٦٦.

(٢) وورد عَذْرة، وفي طبقات ابن سعد: عَزْرة، والصواب ما ذكره صاحب أسد الغابة ج٤ ص٢٢٣، وقد جاء فيه: قيس بن غَرْبة أبو غَرْبة الأَحْمَسي، وَفَدَ على النبي ﷺ ودعا قومه إلى الإسلام. ذكره المستغفري في كتاب الوفود، وأخرجه أبو موسى مختصراً، وأضاف ابن الأثير في ضبط اسمه: غَرْبة بالغين المعجمة وبالراء وبالباء. وفي الإصابة ٧٢١٠ ذكر ابن حجر ضبط ابن الأثير لغَرْبة، ثم أضاف: وقيل: بكسر الزاي بعدها مثناة تحتانية ثقيلة، أي غَزِيّة.

(٣) هو طارق بن شهاب بن عبد شمس بن سلمة بن هلال بن عوف بن جُشَم البَجَلي الأَحْمَسي أبو عبدالله، رُوِيَ عنه أنه قال: رأيتُ رسول الله ﷺ، وغزوت في خلافة أبي بكر في السرايا وغيرها - انظر أسد الغابة ج٣ ص٤٨-٤٩.

۞ قدوم وفد أَزْد شَنُوأَة[١] علىٰ رسول الله ﷺ:

روى ابن سعد رحمه الله تعالىٰ عن منير بن عبدالله الأَزْدي[٢] قال: قَدِمَ علىٰ رسول الله ﷺ صُرَد بن عبدالله الأَزْدي في وفد مِنَ الأَزْد بضعة عشر رجلاً، فنزلوا علىٰ فروة بن عمرو[٣] فحَباهم وأَكْرَمهم، وأقاموا عنده عشرة أيام فأَسْلَموا، وكان صُرَدُ أفضلهم، فأمّره رسول الله ﷺ علىٰ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قومه، وأَمَرَه أن يجاهد بهم مَنْ يَلِيهم مِنْ أهل الشرك مِن قبائل اليمن.

فخرج صُرَد يسير بأَمْرِ رسول الله ﷺ حتىٰ نزل بجُرَش[٤]، وهي يومئذ مدينة حصينة مغلقة وبها قبائل من اليمن، وقد تحصّنوا بها، وقد ضَوت[٥] إليهم خَثْعَم، فدخلوها معهم حين سمعوا بمسير المسلمين إليهم. فدعاهم إلىٰ الإسلام فأَبَوْا، فحاصرهم شهراً أو قريباً منه، وكان يُغِير علىٰ مواشيهم فيأخذها، ثم تنحّىٰ عنهم إلىٰ جبل يقال له: شَكَر[٦]، فظنّوا أنه قد انهزم فخرجوا في طلبه، فصفّ صفوفه فحمل عليهم هو والمسلمون، فوضعوا سيوفهم فيهم حيث شاءوا، وأخذوا مِنْ خيلهم عشرين فرساً، فقاتلوهم عليها نهاراً طويلاً.

---

(١) الأزد بألف مفتوحة فزاي فدال، ويقال: بالسين بدل الزاي، وفي القاموس هي أفصح. وشَنُوأَة بشين مفتوحة فنون فهمزة بعد مد الواو، وقد تُشَدّ الواو، وهي قبيلة سُمِّيَتْ بذلك لِشَنَآن (أيْ بغض) بينهم.

(٢) الذي ذكره ابن سعد وذلك في كتب تراجم رواة الحديث، وفي ميزان الاعتدال للذهبي ٨٨١٠: منير بن عبدالله، ولم نستوثق مِنْ أنه الأزدي.

(٣) هو فروة بن عمرو بن وَدْقة بن عبيد بن عامر بن بياضة الأنصاري، شهد العقبة وبدراً وما بعدهما من المشاهد، وآخىٰ رسول الله ﷺ بينه وبين عبدالله بن مخرمة - انظر أسد الغابة ج٤ ص١٧٨-١٧٩.

(٤) في معجم البلدان ج٣ ص٨٤-٨٥: جُرَش بالضم ثم الفتح وشين معجمة: مِنْ مَخاليف اليمن مِن جهة مكة، وبفتحها: بلدة في الشام.

(٥) ضَوى بمعنىٰ آوى.

(٦) في معجم البلدان ج٥ ص٢٨٥: شَكَر بفتح الشين والكاف: جبل اليمن قريب من جُرش، له ذِكْر في المغازي، ووقع عنده صُرَد بن عبدالله الأَزْدي بأهل جُرش. وفي أسد الغابة في ترجمة صُرَد أن الجبل يقال له: كَشْر، وأنَّ اثنين مِن أهل جُرش قالا: يا رسول الله، ببلادنا جبل يقال له: كَشْر، فقال رسول الله ﷺ: ليس بكَشْر ولكنه شَكَر.

وقد كان أهل جُرش بعثوا إلىٰ رسول الله ﷺ رجلين منهم يرتادان[١] وينظران، فبينما هما عند رسول الله ﷺ عَشِيّةً بعد العصر، إذ قال رسول الله ﷺ: بأيِّ بلاد الله شَكَر؟ فقال الجُرَشيان: يا رسول الله، ببلادنا جبل يقال له: كَشَر، وبذلك يُسَمِّيه أهل جُرَش. فقال رسول الله ﷺ: ليس بكَشَر ولكنه شَكَر. قالا: فما شأنه يا رسول الله؟ قال: إنَّ بُدْنَ الله لَتُنْحَرُ عنده الآن، وأَخْبَرَهما رسول الله ﷺ بمُلْتَقاهم وظَفَرِ صُرَد بهم. فجلس الرجلان إلىٰ أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما، فقالا لهما: ويحكما[٢]، إن رسول الله ﷺ لَيَنْعَىٰ لكما قومكما، فقوما إلىٰ رسول الله ﷺ فَسَلاه أن يدعوَ الله أن يرفع عن قومكما. فقاما إليه فسألاه أن يدعو الله أن يرفع عنهم، فقال: اللهم ارفع عنهم. فخرجا من عند رسول الله ﷺ راجعين إلىٰ قومهما، فوجدا قومَهما قد أُصِيبوا يوم أصابهم صُرَد بن عبدالله، في اليوم الذي قال فيه رسول الله ﷺ ما قال، وفي الساعة التي ذَكَرَ فيها ما ذَكَرَ.

قال ابن سعد: فقصّا علىٰ قومهما القصة، فخرج وفد جُرَش حتىٰ قدموا علىٰ رسول الله ﷺ فأَسْلَموا، فقال رسول الله ﷺ: مرحباً بكم أحسن الناس وجوهاً، وأَصْدَقه لقاء، وأَطْيَبه كلاماً، وأَعْظَمه أمانة، أنتم مني وأنا منكم. وجعل شعارهم مبروراً، وأَحْمىٰ لهم حِمىً حول قريتهم علىٰ أعلام معلومة، للفرس والراحلة وللمثيرة بقرة الحَرْث، فمَنْ رعاه مِنَ الناس فمالُه سُحْت.

❁ قدوم وفد أَزْد عُمان علىٰ رسول الله ﷺ:

قال ابن سعد في طبقاته: أَسْلَمَ أهل عُمان، فبعث إليهم رسول الله ﷺ العلاءَ بن الحضرمي يُعَلِّمُهم شرائع الإسلام، ويُصَدِّق أموالهم.

فخرج وفدهم إلىٰ رسول الله ﷺ، فيهم أسد بن بَيْرَح الطّاحِيّ، فَلَقُوا رسول الله ﷺ

---

(١) أي يطلبان الأخبار.

(٢) وَيْح: كلمة تَرَحُّم منصوب بإضمار فعل قال، وفي النهاية: وَيْح كلمة تَرَحُّم وتَوَجُّع تُقال لِمَنْ وَقَعَ في هلكة لا يستحقها، وقد يقال بمعنىٰ المدح والتعجب.

فسألوه أن يبعث معهم رجلاً يُقِيم أَمْرَهم، فقال مَخْرَبة العبدي[١] واسمه مُدْرِك بن خُوط: ابْعَثْني إليهم فإنَّ لهم عليّ مِنّة، أَسَروني يوم جَنُوب فمَنُّوا عليّ. فوجّهه معهم إلىٰ عُمان.

وقدم سلمة بن عياذ الأَزْدي في أُناس من قومه، فسأل رسول الله ﷺ عمّا يعبد وما يدعو إليه، فأخبره رسول الله ﷺ، فقال: ادْعُ الله لي أن يجمع كلمتنا وأُلفتنا، فدعا لهم وأسلم سلمة ومَنْ معه.

وروى الإمام أحمد بسند حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: نِعْمَ الوفد الأَزْد، طَيِّبة أفواههم، بَرّة أَيْمانهم، تَقِيّة قلوبهم.

وروى الطبراني برجال ثقات عن طلحة بن داود قال: قال رسول الله ﷺ: نِعْمَ المُرْضِعون أهل عُمان - يعني الأَزْد -.

وروى الطبراني عن بِشْر بن عِصمة الليثي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: الأَزْد مني وأنا منهم، أَغْضَبُ لهم إذا غَضِبوا، ويَغْضَبون إذا غَضِبْتُ، وأَرْضَىٰ لهم إذا رَضُوا، ويَرْضَوْن إذا رَضِيتُ.

وروى الإمام أحمد وأبو يعلىٰ برجال الصحيح عن أبي لَبِيد قال: خرج رجل من أهل عُمان يقال له: بَيْرَح بن أسد الطّاحِيّ مهاجراً إلىٰ النبي ﷺ، فقدم المدينة فوجده قد توفي. فبينا هو في بعض طرق المدينة إذ لَقِيَه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له: كأنك لستَ مِن أهل البلد، فقال: أنا رجل من أهل عُمان. فأتىٰ به أبا بكر فقال: هذا من الأرض التي ذكرها رسول الله ﷺ.

❁ قدوم وفد بني أَسَد إلىٰ رسول الله ﷺ:

روى ابن سعد عن محمد بن كعب القرظي، وهشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه، قالا: قدم عشرة رهط من بني أسد بن خزيمة علىٰ رسول الله ﷺ في أول سنة تسع، فيهم حضرمي بن عامر، وضرار بن الأزور، ووَابِصة بن معبد، وقتادة بن القائف، وسَلَمة

---

(١) في الإصابة ٧٨٢٨: مَخْرِبة بموحدة وزن ثعلبة، وهو مَخْرِبة بن بشر مِنْ بني الجعيد بن صبرة بن الدِّئْل العبدي، وكان شريفاً في الجاهلية، فارساً جواداً، وإنما سُمِّيَ مَخْرَبة لأن السلاح خرّبه في الجاهلية. أَدْرَكَ الإسلام ووَفَدَ علىٰ رسول الله ﷺ في وفد عبد القيس، فسألهم النبي ﷺ عن عُمان، فأخبره مَخْرَبة أنَّ له عِلْماً بذلك فقال: أَسْلَمَ أهل عُمان طَوْعاً - حكاه الرشاطي في الأنساب وأبو الفرج الأصفهاني في الأغاني.

ابن حُبَيش، وطُلَيْحة بن خُوَيْلد، ونُقادة بن عبدالله بن خلف، ورسول الله ﷺ في المسجد مع أصحابه، فسَلَّموا وقال مُتَكَلِّمُهم: يا رسول الله، إنّا شهدنا أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأنك عبده ورسوله. وقال حضرمي بن عامر: أَتَيْناك نَتَدَرَّع الليل البهيم في سنة شهباء، ولم تَبْعَثْ إلينا بعثاً! فنزلت فيهم: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات].

وروى النسائي والبزار وابن مَرْدَوِيه عن ابن عباس، وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن سعيد بن جبير، وابن المنذر والطبراني وابن مردويه بسند حسن عن عبدالله بن أَوْفىٰ، قال الأَوَّلان: جاءت بنو أَسَد إلىٰ رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، أَسْلَمْنا ولم نقاتلك كما قاتلك العرب[1]، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾.

قال ابن سعد: وكان معهم قوم مِنْ بني الزِّنْية، وهم بنو مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد، فقال لهم رسول الله ﷺ: أنتم بنو الرِّشْدة، فقالوا: لا نكون مِثْلَ بني مُحَوَّلة - يعنون بني عبدالله بن غطفان -.

ومما سألوا عنه رسول الله ﷺ يومئذ: العِيافة[2]، والكهانة[3]، وضَرْب الحصىٰ. فنهاهم رسول الله ﷺ عن ذلك كله، فقالوا: يا رسول الله، إن هذه الأمور كنا نفعلها في الجاهلية، أَرَأَيْتَ خَصْلة بَقِيَتْ؟ قال: وما هي؟ قال ﷺ: الخَطُّ[4]،

---

(١) وفي رواية: بنو فلان.

(٢) هي زَجْر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها.

(٣) هي تعاطي خبر الكائنات في المستقبل، كما قال صاحب شرح المواهب ج٤ ص٥٥.

(٤) قال في المطالع والتقريب: فسّروه بخَطِّ الرَّمْل ومعرفة ما يدل عليه. وقال في النهاية: قال ابن عباس: الخط هو الذي يَخُطُّه الحازي، وهو عِلْم قد تركه الناس، يأتي صاحب الحاجة إلىٰ الحازي فيعطيه حُلْواناً، فيقول له: اقْعُدْ حتىٰ أَخُطَّ لك، وبين يَدَي الحازي غلام له معه مِيل، ثم يأتي إلىٰ أرض رخوة فيَخُطّ فيها خطوطاً كثيرة بالعجلة لِئَلاّ يَلْحقها العدد، ثم يرجع فيَمْحُو منها علىٰ مَهَلٍ خَطَّيْن خَطَّيْن، وغلامه يقول للتفاؤل: ابْنَيْ عِيان، أَسْرِعا البنيان. فإنْ بَقِيَ خَطّان فهما علامة النُجْح، وإنْ بقي خط واحد فهو علامة الخيبة. وقال =

عَلِمَه نبيٌ مِنَ الأنبياء[١]، فمَنْ صادف مِثْلَ عِلْمه عَلِمَ[٢].

وروى ابن سعد عن رجال مِنْ بني أَسَد، ثم مِن بني مالك بن مالك بن أَسَد، أنّ رسول الله ﷺ قال لنُقادة بن عبدالله بن خلف بن عُمَيرة بن مُرَيّ بن سعد بن مالك الأَسَدي: يا نُقادة، ابغِ لي ناقة حَلْبانة رَكْبانة، ولا تُوَلِّهها على وَلَد. فطَلَبَها في نَعَمه فلم يقدر عليها، فوجدها عند ابن عم له يقال له: سنان بن ظُفَير، فأَطْلَبَه إياها، فساقها نُقادة إلىٰ رسول الله ﷺ فمسح ضرعها، ودعا نُقادةَ فحَلَبَها، حتىٰ إذا أبقىٰ فيها بقية مِن لبنها قال رسول الله ﷺ: أيْ نُقادة، اتْرُكْ دَواعِيَ اللبن[٣]. فشرب رسول الله ﷺ وسقىٰ أصحابه من لبن تلك الناقة، وسقىٰ نُقادة سُؤْرَهُ وقال: اللهم بارك فيها مِن ناقة وفيمَنْ مَنَحَها. قال نُقادة: قلت: وفيمَنْ جاء بها يا رسول الله؟ قال: وفيمَنْ جاء بها.

الحربي: الخط هو أن يَخُطَّ ثلاثة خطوط، ثم يضرب عليهن بشعير أو نوى، ويقول: يكون كذا وكذا، وهو ضَرْب من الكهانة. وقال ابن الأثير: الخط المشار إليه عِلْم معروف، وللناس فيه تصانيف كثيرة، وهو معمول به إلىٰ الآن، أي إلىٰ عصر مُجِد الدين بن الأثير صاحب النهاية المتوفي سنة ٦٠٦هـ، غير أن الاشتغال بعلم الرمل استمرّ بعد هذا التاريخ، ومِمَّنْ كَتَبَ عنه بشيء من التفصيل بعد هذا التاريخ محمد بن عمر التونسي المتوفىٰ سنة ١٢٧٤هـ في رحلته إلىٰ دارفور، التي أَسْماها (تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان)، طُبِعَتْ طَبْعة حجرية في باريس سنة ١٨٥١م، ثم طُبِعَتْ طبعة ثانية في القاهرة سنة ١٩٦٥م، وقد عقد فيها فصلاً عن ضرب الرمل مُزَوَّداً بالرسوم، ويقع في الطبعة الثانية ص٣٣٣-٣٣٩. ولِمَنْ يعمل فيه أوضاع واصطلاحات وأَسامٍ وعمل كثير، ويستخرجون به الضمير وغيره، وكثيراً ما يُصيبون فيه. وضرب الرمل حرام، صرّح به غير واحد من الشافعية والحنابلة وغيرهم، فحصل مِنْ مجموع كلام العلماء فيه الاتفاق علىٰ النهي عنه الآن.

(١) في حفظي أنه سيدنا إدريس عليه السلام، ولا أعلم مَن ذكره فيُحَرَّر.

(٢) وفي صحيح مسلم: (فمَنْ وافق خَطَّه فذاك)، أي فهو مباح له، ولكن لا طريق لنا إلىٰ العِلْم اليقيني بالموافقة، فلا يُباح. والمقصود أنه حرام؛ لأنه لا يُباح إلاّ بيقين الموافقة، وليس لنا يقين بها، وإنما قال النبي ﷺ: (فمَنْ وافق خَطَّه فذاك)، ولم يقل: هو حرام، بغير تعليق علىٰ الموافقة، لِئَلاّ يَتَوَهَّمَ مُتَوَهِّم أنَّ هذا النهي يدخل فيه ذاك النبي الذي كان يخط، فحافظ النبي ﷺ علىٰ حُرْمة ذاك النبي مع بيان الحكم في حَقِّنا، فالمعنىٰ أن ذلك النبي لا مَنْع في حقه، وكذا لو علمتم موافقته، ولكن لا عِلْم لكم بها.

(٣) في النهاية أنه أمر ضرار بن الأزور أن يحلب ناقةً، وقال له: دَعْ دواعي اللبن لا تُجْهده، أي أَبْقِ في الضرع قليلاً من اللبن ولا تستوعبه كله، فإن الذي تُبقيه فيه يدعو ما وراءه من اللبن فيُنزله، وإذا استقصىٰ كل ما في الضرع أبطأ دَرُّه علىٰ حالبه.

۞ قدوم وفد أَسْلَم علىٰ رسول الله ﷺ:

قال ابن سعد رحمه الله تعالىٰ: قَدِمَ عُمَير بن أَفْصىٰ في عصابة مِنْ أَسْلَم، فقالوا: قد آمنا بالله ورسوله، واتَّبَعْنا منهاجك، فاجْعَلْ لنا عندك منزلة تَعْرِفُ العرب فضيلتَها، فإنّا إخوة الأنصار، ولك علينا الوفاء والنصر في الشدة والرخاء. فقال رسول الله ﷺ: أَسْلَمُ سالَمَها الله، وغِفار غَفَرَ الله لها.

وكتب رسول الله ﷺ كتاباً[1] لأَسْلَم، ومَنْ أَسْلَمَ مِنْ قبائل العرب، ومِمَّنْ يسكن السِّيف والسهل. وفيه ذكر الصدقة والفرائض في المواشي. وكتب الصحيفة ثابت بن قيس بن شمّاس، وشهد أبو عبيدة بن الجراح وعمر بن الخطاب.

۞ قدوم وفد أَشْجَع إلىٰ رسول الله ﷺ:

قال ابن سعد رحمه الله تعالىٰ: قَدِمَتْ أَشْجَع علىٰ رسول الله ﷺ عام الخندق وهم مائة، ورأسهم مسعود بن رُخَيْلة[2]، فنزلوا شِعْبَ سَلْع، فخرج إليهم رسول الله ﷺ وأَمَرَ لهم بأحمال التمر، فقالوا: يا محمد، لا نعلم أحداً مِنْ قومنا أقرب داراً منك منا، ولا أقل عدداً، وقد ضِقْنا بحربك وبحرب قومك، فجئنا نُوادِعُك. فوادَعَهم.

ويقال: بل قدمت أَشْجَع بعد ما فرغ رسول الله ﷺ مِن بني قريظة وهم سبعمائة، فوادعهم ثم أسلموا بعد ذلك.

---

(١) ورد نص هذا الكتاب في طبقات ابن سعد ج٢ ص٣٥، ونقله عن ابن سعد محمد حميد الله في مجموعة الوثائق السياسية، ولفظه: (وكتب رسول الله ﷺ لأَسْلَم مِن خزاعة، لِمَنْ آمن منهم وأقام الصلاة، وآتىٰ الزكاة، وناصح في دين الله، أنَّ لهم النصر علىٰ مَنْ داهَمَهم بظُلْم، وعليهم نصر النبي ﷺ إذا دعاهم، ولأهل باديتهم ما لأهل حاضرتهم، وأنهم مهاجرون حيث كانوا. وكَتَبَ العلاء بن الحضرمي وشهد).

(٢) ابن عائذ بن مالك الأشجعي، كان قائد أشجع يوم الأحزاب مع المشركين، وأَسْلَمَ فحَسُنَ إسلامه - انظر أسد الغابة ج٤ ص٣٥٧.

۞ قدوم وفد الأشعريين إلىٰ رسول الله ﷺ:

قال عبد الرزاق: أخبرنا مَعْمَر قال: بَلَغَني أن رسول الله ﷺ كان جالساً في أصحابه يوماً، فقال: اللهم أَنْجِ أصحاب السفينة، ثم مكث ساعة فقال: اسْتَمَدَّتْ، فلما دَنَوْا من المدينة قال: قد جاءوا يقودهم رجل صالح. قال: والذين كانوا معه في السفينة الأشعريون، والذين قادهم عمرو بن الحَمِق الخزاعي[١]. فقال رسول الله ﷺ: مِنْ أين جئتم؟ قالوا: مِنْ زَبِيد، قال: بارك الله في زَبِيد، قالوا: وفي زَمْع[٢]؟ قال: وبارك الله في زَبِيد، قالوا: وفي زَمْع؟ قال في الثالثة: وفي زَمْع.

وروى ابن سعد والبيهقي وأحمد عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: يَقْدَم عليكم قوم هم أَرَقّ منكم قلوباً، فقدم الأشعريون فيهم أبو موسىٰ الأشعري، فلما دَنَوْا من المدينة جعلوا يرتجزون يقولون:

غـــداً نلقـــىٰ الأَحِبَّـــهْ محمـــــداً وحِزْبَـــــهْ

وروى البخاري[٣] ومسلم والترمذي والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أتاكم أهل اليمن، هم أَرَقّ أفئدة وأَلْيَن قلوباً، الإيمان يَمان والحكمة يمانية، السكينة في أهل الغنم، والفخر والخُيَلاء في الفَدّادين[٤] مِنْ أهل الوَبَر.

وعن جبير بن مُطْعِم رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ فقال: أتاكم أهل اليمن كأنهم السحاب، وهم خِيار مَنْ في الأرض. فقال رجل من الأنصار: إلاّ نحن يا رسول الله؟

---

(١) هو عمرو بن الحمق بن الكاهن الخزاعي، هاجر إلىٰ النبي ﷺ بعد الحديبية، وحفظ منه أحاديث، وكان أحد الأربعة الذين دخلوا علىٰ عثمان الدار، وصار بعد ذلك مِن شيعة علي، وشهد معه مشاهده كلها - انظر أسد الغابة ج٤ ص١٠٠. وورد في الاشتقاق أنَّ معاوية قَتَلَه بالجزيرة، وكان رأسه أول رأس نُصِبَ في الإسلام.

(٢) مِن منازل حمير في اليمن، وبعضهم يقول: زَمْعة بالهاء.

(٣) صحيح البخاري، باب: قدوم الأشعريين وأهل اليمن، ج٦ ص٧-٩.

(٤) هم الذين تَعْلُو أصواتهم في حروثهم ومواشيهم، واحدهم فَدّاد، يقال: فَدَّ الرجل يَفِدّ فديداً إذا اشتدّ صوته. وقيل: هم المُكْثِرون من الإبل، وقيل: هم الجَمّالون والبَقّارون والحَمّارون والرَّعْيان. وقيل: بتخفيف الدال جمع فَدَان، وهي البقر التي يُحْرَث بها، وأهلها أهل جفاء وغِلْظة.

فسكت، ثم قال: إلاّ نحن يا رسول الله، فقال: إلاّ أنتم كلمة ضعيفة[١].

قال ابن سعد في طبقاته: ولَمّا لَقُوا رسول الله ﷺ أَسْلَموا وبايعوا، فقال رسول الله ﷺ: الأشعريون في الناس كصُرّة فيها مِسْك.

۞ قدوم أَعْشىٰ بني مازن علىٰ النبي ﷺ:

روى عبدالله بن الإمام أحمد في زوائد المسند، والشيرازي في الألقاب عن نضلة بن طريف[٢] أن رجلاً منهم يقال له: الأعشىٰ[٣] واسمه عبدالله بن الأعور، كانت عنده امرأة يقال لها: مُعاذة، وخرج في رجب يُمِير أهلَه مِنْ هَجَر، فهربت امرأته بعده ناشزاً عليه، فعاذت برجل منهم يقال له: مُطَرِّف بن بَهْصَل المازني، فجعلها خلف ظهره. فلما قَدِمَ لم يجدها في بيته، وأُخْبِرَ أنها نشزت عليه، وأنها عاذت بمُطَرِّف بن بَهْصَل، فأتاه فقال: يا ابن عم، أعندك امرأتي مُعاذة؟ فادفعها إليّ. قال: ليست عندي، ولو كانت عندي لم أدفعها إليك. قال: وكان مُطَرِّف أعزّ منه.

قال: فخرج الأعشىٰ حتىٰ أتىٰ النبي ﷺ فعاذ به، وأنشأ يقول: ..... [٤].

وروى عبدالله بن الإمام أحمد وابن أبي خيثمة والحسن بن سفيان وابن شاهين وأبو نعيم عن الأَعْشىٰ المازني أنه قال: أَتَيْتُ نبي الله ﷺ فأنشدتُه:

يا مالِكَ الناس ودَيّان[٥] العربْ ... إني لَقِيتُ ذِرْبةً مِنَ الذِّرَبْ[٦]

---

(١) رواه في زاد المعاد عن يزيد بن هارون عن ابن أبي ذئب عن الحارث بن عبد الرحمن عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه.

(٢) هو نضلة بن طريف الحِرْمازي ثم المازني، روى قصة الأعشىٰ المازني مع امرأته التي هربت منه - انظر أسد الغابة ج٥ ص١٩.

(٣) المازني من بني مازن بن عمرو بن تميم، ترجم له ابن الأثير في أسد الغابة ج١ ص١٠٢-١٠٣.

(٤) القصة وردت عن صاحب السيرة الشامية مبتورة، والتكملة مِن أسد الغابة ج١ ص١٠٢-١٠٣، ومن البداية والنهاية ج٥ ص٧٤.

(٥) المقصود بالدَّيّان هنا القهّار، مِن دان الناس إذا قهرهم. وقيل: الحاكم والقاضي.

(٦) الذَّرَب بالتحريك هو الداء الذي يعرض للمعدة فلا تهضم الطعام، ويفسد فيها فلا تمسكه. ومنه حديث الأعشىٰ =

غَـدَوْتُ أَبْغِيـها الطعـامَ في رجـبْ فخَلَّفَتْـني في نِـزاع وهَـرَبْ
أَخْلَفَـتِ العـهد ولَظَّـتْ بـالذَّنَبْ وهُـنَّ شـرُّ غـالبٍ لِمَـن غُلِـبْ[1]

فكتب النبيﷺ إلىٰ مُطَرِّف: انظر امرأة هذا مُعاذة، فادفعها إليه. فأتاه كتاب النبيﷺ، فقُرِئَ عليه فقال: يا مُعـاذة، هـذا كتـاب النبيﷺ فيكِ، وأنـا دافعكِ إليه. قالت: خُذْ لي العهد والميثاق، وذِمّة النبيﷺ أن لا يعاقبني فيما صنعتُ. فأخذ لها ذلك ودفعها إليه، فأنشأ يقول:

لَعَمْـرُكَ مـا حُبِّـي مُعـاذة بـالذي يُغَـيِّرُه الواشـي ولا قِـدَمُ العـهدِ
ولا سُـوءُ مـا جـاءتْ بـه إذ أَذَلَّـها غُـواةُ رجـالٍ إذ يُناجونَـها بعـدي

ب

قدوم وفد بارِق:

قال ابن سعد في طبقاته: قدم وفد بارِق علىٰ رسول اللهﷺ فدعاهم إلىٰ الإسلام، فأسلموا وبايعوا. وكتب لهم رسول اللهﷺ:

المازني، كنّىٰ عن فسادها وخيانتها بالذَّربة، وأصله من ذرب المعدة وهو فسادها. وقيل: أراد سلاطة لسانها وفساد منطقها، مِن قولهم: ذَرَب لسانه إذا كان حادّ اللسان لا يُبالي ما قال.

(١) في رواية ابن كثير للبيتين الثاني والثالث:

كالذئبـة العنسـاء في ظـل السَّـرَبْ خرجـتُ أَبْغِيـها الطعـام في رجـبْ
فخَلَّفَـتْني بـنزاع وهـربْ أخلفـت الوعـد ولَظَّـتْ بـالذَّنَبْ

ثم أضاف بيتاً رابعاً وهو:

وقَذَفَتْني بين عَصْر مُؤْتَشَبْ....

أكمله بعجز البيت الثالث.

هذا كتاب مِن محمد رسول الله لبارِق:
لا تُجَذُّ ثمارُهم، ولا تُرْعَىٰ بلادُهم في مَرْبَع[١] ولا مَصْيَف[٢] إلاّ بمسألةٍ مِن بارِق. ومَنْ مَرَّ بهم من المسلمين في عَرْكٍ[٣] أو جَدْبٍ فله ضيافة ثلاثة أيام، وإذا أَيْنَعَت[٤] ثمارهم فلابن السبيل اللُّقاط يُوسِعُ بَطْنَه مِن غير أن يَقْتَثِمَ[٥].
شهد أبو عبيدة بن الجراح وحذيفة بن اليمان، وكتب أُبَيّ بن كعب.

❁ قدوم وفد باهِلَة:

روى ابن شاهين عن ابن إسحاق عن شيوخه، وابن سعد عن شيوخه قالوا: قدم مُطَرِّف بن الكاهن علىٰ رسول الله ﷺ بعد الفتح وافداً لقومه، فقال: يا رسول الله، أَسْلَمْنا للإسلام، وشهدنا دين الله في سماواته وأنه لا إله غيره، وصدّقناك وآمنّا بك بكل ما قُلْتَه، فاكتب لنا كتاباً. فكتب له:

مِنْ محمد رسول الله لُمطَرِّف بن الكاهن، ولِمَنْ سكن بِيشة[٦] مِن باهلة:
إنَّ مَنْ أَحْيَىٰ أرضاً مواتاً فيها مُراح الأنعام[٧] فهي له، وعليه في كل

(١) المَربع بفتح الميم: الموضع الذي يُنزل فيه أيام الربيع، واسم جبل قرب مكة. وأما المِربع بكسر الميم: فمالٌ بالمدينة في بني حارثة.
(٢) هو مكان يُنزل فيه أيام الصيف.
(٣) هي تجريد الأرض من المرعىٰ. عَرَك من باب نصر، يقال: عَرَكَت الماشيةُ النباتَ أَكَلَتْهُ كُلَّه، وعَرَكَتِ الأرضَ جرّدتها من المرعىٰ، وأرض معروكة عَرَكَتْها الماشية حتىٰ أَجْدَبَتْ.
(٤) أي أدركت ونضجت.
(٥) أي يَجْتَثّ ولم يُبْق له أصلاً.
(٦) هو وادٍ يصب من جبل تهامة، وفي بعضها لبني هلال وبعضها لسلول، وهذا مِمّا يُقَوِّي أن مُطَرِّف باهليٌّ.
(٧) المُراح هو المأوى والماء كما قال صاحب القاموس.

ثلاثين من البقر فارض[١]، وفي كل أربعين من الغنم عَتود[٢]، وفي كل خمسين من الإبل مُسِنّة[٣]، وليس للمُصَدِّق أن يُصَدِّقَها إلاّ في مراعيها، وهم آمنون بأمان الله.

فانصرف مُطَرِّف وهو يقول:

حَلَفْتُ بِرَبِّ الراقصاتِ[٤] عَشِيّةً ... علىٰ كُلِّ حَرْفٍ من سَدِيسٍ[٥] وبازِلِ[٦]

قال ابن سعد: ثم قدم نَهْشَل بن مالك الوائلي مِنْ باهلة علىٰ رسول الله ﷺ وافداً لقومه، فأَسْلَمَ، وكتب له رسول الله ﷺ ولِمَنْ أسلم مِن قومه كتاباً فيه شرائع الإسلام، وكتبه عثمان بن عفان رضي الله عنه.

❁ قدوم وفد بني البَكّائي:

روى ابن سعد في طبقاته عن عبدالله بن عامر البَكّائِي، وعن الجَعْد بن عبدالله بن عامر البَكّائي عن أبيه، وابن شاهين عن يزيد بن رومان، والحسن عن السُّدِّيّ عن أبي مالك وعن رجال المدائني وابن مَنْدَه، وأبو نعيم من طريق أخرى، وابن شاهين من وجه آخر عن بشر بن معاوية بن ثور، قالوا: وَفَدَ مِن بني البَكّاء علىٰ رسول الله ﷺ سنة تسع ثلاثة نفر: معاوية بن ثور بن عُبادة البَكّائي وهو يومئذ ابن مائة سنة، ومعه ابن له يقال له: بِشْر، والفُجَيْع بن عبدالله بن جُنْدُح بن البَكّاء، ومعهم عبد عمرو وهو الأَصَمّ. فأمر لهم رسول الله ﷺ بمنزل وضيافة، وأجازهم ورجعوا إلىٰ قومهم، وقال معاوية للنبي ﷺ: إني أتبرَّك بمَسِّكَ وقد كَبِرْتُ، وابني هذا بَرٌّ بي فامْسَحْ وجهَه. فمسح رسول الله ﷺ وجهَ بِشْر بن

---

(١) هي المسنة من الإبل، وقيل: من البقر وهو المراد هنا.

(٢) هو مِن أولاد المعز الصغير إذا قَوِيَ وأتىٰ عليه حَوْلٌ.

(٣) المسنة من البقر والغنم ما دخل في السنة الثانية.

(٤) قال في الإملاء: أي الإبل ترقص في سَيْرها، أي تَتَحَرَّك.

(٥) هو ما دخل في السنة الثامنة من الإبل.

(٦) هو من الإبل الذي تمّ ثماني سنين ودخل في التاسعة. زاد في النهاية: وحينئذ يطلع نابه وتكمل قوته، ثم يقال له بعد ذلك: بازل عام، وبازل عامين.

معاوية، وأعطاه أعنزاً عُفْراً[١] وبرّك عليهن.

قال الجَعْد: فالسَّنَة[٢] ربما أصابتْ بني البَكّاء ولا تصيب آل معاوية.

وقال محمد بن بشر بن معاوية بن ثور بن عُبادة بن البَكّاء:

وأبـي الـذي مَسَـحَ الرسـولُ برأسِـهِ ... ودعـا لـه بالخـير والبركـاتِ

أعطـاه أحمـدُ إذ أتـاه أَعْـنُزاً ... عُفْـراً نَواجِـلَ لَسْـنَ باللَّجِبـاتِ[٣]

يَمْـلأْنَ رِفْـدَ الحَـيِّ كـلَّ عَشِـيّةٍ ... ويَعـودُ ذاك المَـلْء بـالغَدَواتِ

بُورِكْـنَ مِـنْ مَنْـحٍ وبُـورِكَ مانِحـاً ... وعليـه مـني مـا حَيِيـتُ صلاتـي

❁ قدوم وفد بني بكر بن وائل:

قال ابن سعد: قَدِمَ وفد بكر بن وائل علىٰ رسول الله ﷺ، فقال له رجل منهم: هل تعرف قُسَّ بن ساعدة؟ فقال رسول الله ﷺ: ليس هو منكم، هذا رجل مِنْ إِيَاد تَحَنَّفَ في الجاهلية، فوافَىٰ عُكاظاً والناسُ مجتمعون، فكلّمهم بكلامه الذي حُفِظَ عنه[٤].

وكان في الوفد: بشير بن الخَصاصِيّة، وعبدالله بن مَرْثَد، وحسّان بن حَوْط.

وقال رجل مِن ولد حسّان:

---

(١) العُفْر: بياض ليس بالناصع.

(٢) قال في النهاية: السَّنة الجَدْب، يقال: أَخَذَتْهُم السنة إذا أجدبوا وأقحطوا. وهي مِنَ الأسماء الغالبة، نحو: الدابة في الفرس، والمال في الإبل.

(٣) أي القليلات اللبن، قال في القاموس: اللَّجِبة بكسر الجيم كعنبة: الشاة قلّ لبنها، والغزيرة ضد.

(٤) روى الطبراني والبزار عن ابن عباس رضي الله عنهما في الحديث عن قُسّ بن ساعدة أن النبي ﷺ قال: ما أنساه بعُكاظ في الشهر الحرام وهو علىٰ جمل أحمر، وهو يخطب الناس وهو يقول: يا أيها الناس اجتمعوا، واستمعوا وعُوا، مَنْ عاش مات، ومَنْ مات فات، وكل ما هو آتٍ آت. إن في السماء لَخبراً، وإن في الأرض لَعبراً، مهاد موضوع، وسقف مرفوع، ونجوم تمور، وبحار لا تغور. أَقْسَمَ قُسّ قَسَماً حقاً لئن كان في الأرض رضا ليكونن بعده سخط. إن لله لَدِيناً هو أحب إليه من دينكم الذي أنتم عليه. مالي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون؟ أَرَضوا فأقاموا أم تركوا فناموا؟

أنـا ابـن حسّـان بـن حَـوْط وأبـي رسـولُ بَكْـرٍ كُلِّـها إلىٰ النـبيِّ

وقدم معهم عبدالله بن أسود بن شهاب بن عوف بن عمرو بن الحارث بن سَدُوس، وكان ينزل اليمامة، فباع ما كان له مِن مال باليمامة، وهاجر وقدم علىٰ رسول الله ﷺ بجِرابٍ من تمر، فدعا له رسول الله ﷺ بالبركة.

❁ قدوم وفد بَلِيّ[1]:

روى ابن سعد في طبقاته عن رُوَيْفِع بن ثابت البَلَوِيّ رضي الله عنه قال: قَدِمَ وَفْدٌ مِن قومي في شهر ربيع الأول سنة تسع، فأَنْزَلْتُهم في منزلي ببني جَدِيلة، ثم خرجتُ بهم حتىٰ انتهينا إلىٰ رسول الله ﷺ وهو جالس مع أصحابه في بيته في الغداة، فسلّمتُ فقال: رُوَيْفع؟ فقلت: لبيك، قال: مَنْ هؤلاء القوم؟ قلت: قومي، قال: مرحباً بك وبقومك، قلت: يا رسول الله، قَدِموا وافدين عليك مُقِرِّين بالإسلام، وهم علىٰ مَنْ وراءهم مِن قومهم. فقال رسول الله ﷺ: مَنْ يُرِدِ الله به خيراً يَهْدِه للإسلام.

قال: فتقدّم شيخ الوفد أبو الضُّبَيْب فقال: يا رسول الله، إنّا قَدِمْنا عليك لِنُصَدِّقَك ونشهد أنَّ ما جئتَ به حق، ونخلع ما كنا نعبد ويعبد آباؤنا. فقال رسول الله ﷺ: الحمد لله الذي هداكم للإسلام، فكلُّ مَنْ مات علىٰ غير الإسلام فهو في النار. وقال له أبو الضُّبَيْب: يا رسول الله، إني رجل لي رغبة في الضيافة، فهل لي في ذلك أَجْر؟ فقال رسول الله ﷺ: نعم، وكلُّ معروف صَنَعْتَه إلىٰ غني أو فقير فهو صدقة. قال: يا رسول الله، ما وقت الضيافة؟ قال: ثلاثة أيام، فما بعد ذلك فصدقة، ولا يَحِلُّ للضيف أن يُقيم عندك فيُحْرِجَك. قال: يا رسول الله، أَرَأَيْتَ الضّالَّة مِنَ الغنم أَجِدُها في الفلاة مِنَ الأرض؟ قال: لك ولأخيك أو للذئب، قال: فالبعير؟ قال: ما لك وله، دَعْهُ حتىٰ يجده صاحبه.

قال رويفع: وسألوا عن أشياء مِنْ أَمْرِ دينهم فأجابهم، ثم رجعتُ بهم إلىٰ منزلي، فإذا رسول الله ﷺ يأتي بحِمْل تمر يقول: اسْتَعِنْ بهذا التمر. قال: فكانوا يأكلون منه ومِن

---

(١) هو حَيٌّ مِن قُضاعة.

غيره، فأقاموا ثلاثاً ثم جاءوا رسول الله ﷺ يُوَدِّعونه، فأمر لهم بجوائز كما كان يُجِيز مَنْ كان قبلهم، ثم رجعوا إلىٰ بلادهم.

۞ قدوم وفد بَهْراء:

روى محمد بن عمر عن كريمة بنت المقداد رضي الله عنها قالت: سمعتُ أمي ضُباعة بنت الزبير بن عبد المطلب تقول: قَدِمَ وفد بَهْراء من اليمن علىٰ رسول الله ﷺ وكانوا ثلاثة عشر رجلاً، فأقبلوا يَقُودون رواحلهم حتىٰ انتهوا إلىٰ باب المقداد بن عمرو ونحن في منازلنا ببني حُدَيْلة، فخرج إليهم المقداد فرَحَّبَ وأَنْزَلَهم، وقَدَّمَ لهم جَفْنة مِن حَيْس.

قالت ضُباعة: كنا قد هَيَّأْناها قبل أن يَحِلُّوا لنجلس عليها، فحملها المقداد وكان كريماً علىٰ الطعام، فأكلوا منها حتىٰ نَهِلوا، ورُدَّت إلينا القصعة وفيها شيء، فجُمِعَ في قصعة صغيرة ثم بعثنا بها مع سِدْرة مولاتي إلىٰ رسول الله ﷺ، فوَجَدَتْهُ في بيت أم سلمة، فقال ﷺ: ضُباعة أَرْسَلَتْ بهذا؟ قالت سِدْرة: نعم يا رسول الله، قال: ضعي، ثم قال: ما فعل ضيف أبي مَعْبَد؟ قالت سِدْرة: عندنا. فأصاب منها رسول الله ﷺ هو ومَنْ معه في البيت حتىٰ نَهِلوا، وأَكَلَتْ معهم سِدْرة، ثم قال: اذهبي بما بقي إلىٰ ضيفكم. قالت سِدْرة: فرجعت بالقصعة إلىٰ مولاتي.

قالت: فأكل منها الضيف ما أقاموا، فرَدَّدَها عليهم وما تَغِيض، حتىٰ جعل الضيف يقولون: يا أبا مَعْبد، إنك لَتُنْهِلنا مِنْ أَحَبِّ الطعام إلينا، وما كنا نقدر علىٰ مِثْلِ هذا إلاّ في الحين، وقد ذُكِرَ لنا أن بلادكم قليلة الطعام، إنما هو العُلْق[1] أو نحوه، ونحن عندكم في الشِّبَع! فأخبرهم أبو مَعْبَد بخبر رسول الله ﷺ أنه أَكَلَ منها ورَدَّها، وهذه بركة أصابعه ﷺ. فجعل القوم يقولون: نشهد أنه رسول الله، وازدادوا يقيناً، وذلك الذي أراد ﷺ. فأَتَوْه فأَسْلَموا، وتعلّموا الفرائض، وأقاموا أياماً ثم جاءوا إلىٰ رسول الله ﷺ يُوَدِّعونه، فأَمَرَ لهم بجوائز وانصرفوا إلىٰ أهليهم.

---

(١) جمع عُلْقة، وهي البُلْغة من الطعام.

ت

قدوم وفد تُجِيب[١]:

قدم وفد تُجيب علىٰ رسول الله ﷺ وهم ثلاثة عشر رجلاً، وساقوا معهم صدقات أموالهم التي فرض الله عز وجل، فسُرَّ رسول الله ﷺ بهم وأَكْرَمَ منزلهم، وقالوا: يا رسول الله، سُقْنا إليك حق الله في أموالنا. فقال ﷺ: رُدّوها فاقسموها علىٰ فقرائكم، قالوا: يا رسول الله، ما قدمنا عليك إلاّ بما فَضَل من فقرائنا. فقال أبو بكر: يا رسول الله، ما قدم علينا وَفْدٌ من العرب بِمِثْل ما وَفَدَ به هذا الحي مِن تُجِيب. فقال ﷺ: إن الهُدى بيد الله عز وجل، فمَنْ أراد الله به خيراً شرح صدره للإيمان.

وسألوا رسول الله ﷺ أشياء فكتب لهم بها، وجعلوا يسألونه عن القرآن والسُّنَن، فازداد رسول الله ﷺ فيهم رغبة، وأَمَرَ بلالاً أن يُحْسِنَ ضيافتهم. فأقاموا أياماً ولم يُطِيلوا اللُّبْث، فقيل لهم: ما يُعْجِلُكم؟ قالوا: نرجع إلىٰ مَنْ وراءنا فنخبرهم برؤيتنا رسول الله ﷺ، وكلامنا إيّاه وما ردّ علينا.

ثم جاءوا رسول الله ﷺ يودّعونه، فأَمَرَ بلالاً فأجازهم بأرفع مِمّا كان يُجِيز به الوفود، وقال: هل بقي منكم أحد؟ قالوا: غلام خَلَّفْناه علىٰ رِحالنا، وهو أَحْدَثُنا سِنّاً. قال: أَرْسِلوه إلينا. فلما رجعوا إلىٰ رِحالهم قالوا للغلام: انْطَلِقْ إلىٰ رسول الله ﷺ فاقْضِ حاجتك منه، فإنّا قد قَضَيْنا حوائجنا منه وودّعناه.

فأقبل الغلام حتىٰ أتىٰ رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني غلام بني أَبْذى[٢]، مِنَ الرهط الذين أَتَوْك آنفاً فقضيتَ حوائجهم، فاقْضِ حاجتي يا رسول الله. قال: وما حاجتك؟ قال: يا رسول الله، إن حاجتي ليست كحاجة أصحابي وإنْ كانوا قد قدموا

---

(١) هم مِنَ السَّكون، حَيٌّ من اليمن.

(٢) ويُروى أيضاً بالزاي، بنو أَبْزى من همدان.

راغبين في الإسلام، وساقوا ما ساقوا مِنْ صدقاتهم، وإني والله ما أَعْمَلَني من بلادي إلاّ أن تسأل الله عز وجل أن يغفر لي ويرحمني، وأن يجعل غِناي في قلبي. فقال ﷺ: اللهم اغفر له وارحمه، واجعل غِناه في قلبه. ثم أَمَرَ له بمِثْل ما أمر به لرجل من أصحابه.

فانطلقوا راجعين إلىٰ أهليهم، ثم وافَوا رسول الله ﷺ بمِنىٰ سنة عشر، فقالوا: نحن بنو أَبْذَى، فسألهم رسول الله ﷺ عن الغلام، فقالوا: يا رسول الله، واللهِ ما رأينا مِثْلَه قط، ولا حُدِّثْنا بأقنع منه بما رزقه الله، لو أن الناس اقتسموا الدنيا ما نظر نحوها ولا التفت إليها. فقال رسول الله ﷺ: الحمد لله، إني لأرجو أن يموت جميعاً. فقال رجل منهم: أَوَليس يموت الرجل جميعاً؟ فقال ﷺ: تَشَعَّبُ أهواؤه وهمومُه في أودية الدنيا، فلعلّ أَجَلَه يُدْرِكُه في بعض تلك الأودية، فلا يبالي الله عز وجل في أيِّها هَلَك.

قالوا: فعاش ذاك الرجل فينا علىٰ أفضل حال، وأَزْهَده في الدنيا، وأَقْنَعه بما رزقه الله. فلما توفي رسول الله ﷺ، ورجع مَنْ رجع مِنْ أهل اليمن عن الإسلام، قام في قومه فذكّرهم الله والإسلام، فلم يرجع منهم أحد. وجعل أبو بكر رضي الله عنه يذكره ويسأل عنه، حتىٰ بلغه حاله وما قام به، فكتب إلىٰ زياد بن لَبِيد يوصيه به خيراً.

❁ قدوم وفد بني تَغْلِب:

روى ابن سعد في طبقاته عن يعقوب بن زيد بن طلحة قال: قدم علىٰ رسول الله ﷺ وفد بني تَغْلِب ستة عشر رجلاً، مسلمين ونصارى عليهم صُلُب الذهب، فنزلوا دار رَمْلة بنت الحارث، فصالح رسول الله ﷺ النصارى علىٰ أن يُقِرَّهم علىٰ دينهم علىٰ أن لا يَصْبُغوا أولادهم في النصرانية[1]، وأجاز المسلمين منهم بجوائزهم.

❁ قدوم وفد بني تميم:

قالوا: قدم عيينة بن حصن في عدة من رؤساء بني تميم في وفد عظيم يقال: كانوا

---

(١) أي لا يَغْمِسوهم فيها.

سبعين أو ثمانين أو تسعين رجلاً[١]، منهم: عُطارد بن حاجب بن زُرارة، والزِّبْرِقان بن بدر، وعمرو بن الأهتم، والحَبْحاب بن يزيد، ونُعَيْم بن يزيد، وقيس بن الحارث، وقيس بن عاصم، ورياح بن الحارث. وعُيَيْنة بن حصن والأقرع بن حابس كانا شهدا مع رسول الله ﷺ فتح مكة وحنيناً والطائف، فلما قدم وفد بني تميم قَدِما معهم.

فدخلوا المسجد وأذّن بلال بالظهر، والناس ينتظرون خروج رسول الله ﷺ، فعَجِلَ وفد بني تميم واستبطؤوه، فنادَوا رسول الله ﷺ مِن وراء حجراته: يا محمد، اخرج إلينا - ثلاث مرات -. فآذى ذلك رسول الله ﷺ من صِياحهم فخرج إليهم، فقالوا: يا محمد، إنَّ مَدْحَنا لَزَيْن، وإنَّ ذَمَّنا لَشَيْن، نحن أكرم العرب[٢]. فقال رسول الله ﷺ: كذبتم، بل مدحة الله عز وجل الزَّيْن وذَمُّهُ الشَّيْن[٣]، وأكرم منكم يوسف بن يعقوب.

وروى الإمام أحمد عن الأقرع بن حابس، وابن جرير بسند جيد وأبو القاسم البغوي والطبراني بسند صحيح والترمذي وحسّنه وابن أبي حاتم وابن المنذر عن البراء بن عازب، قال البراء: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ[٤] فقال: يا محمد، اخرج إلينا. فلم يُجِبْه، فقال: يا محمد، إنَّ حَمْدي لَزَيْن، وإنَّ ذَمِّي لَشَيْن. فقال رسول الله ﷺ: ذاك الله عز وجل.

فقالوا: إنّا أتيناك لنُفاخرك فائْذَنْ لشاعرنا وخطيبنا. قال: قد أَذِنْتُ لخطيبكم فليقل، فقام عطارد بن حاجب فقال: الحمد لله الذي له علينا الفضل وهو أهله، الذي جعلنا ملوكاً، ووهب لنا أموالاً عِظاماً نفعل فيها المعروف، وجعلنا أعزّ أهل المشرق وأكثره عدداً وأَيْسره عُدّة، فمَنْ مِثْلنا في الناس؟ ألسنا برؤوس الناس وأُولِي فضلهم؟ فمَنْ فاخَرَنا فلْيَعْدُد مِثْل ما عَدَدْنا، وإنا لو شئنا لأكثرنا الكلام، ولكنا نستحي[٥] مِنَ الإكثار فيما

---

(١) راجع سيرة ابن هشام ج٤ ص٢٢٢-٢٢٣، وطبقات ابن سعد ج٢ ص٥٩-٦٠، وتاريخ الطبري ج٣ ص١٥٥، ونهاية الأرب للنويري ج١٨ ص٣٢.

(٢) القائل كما في رواية ابن سعد هو الأقرع بن حابس، ولفظه: (إنّ جهدي لزَيْن، وإن ذمّي لشَيْن).

(٣) لَفْظُهُ في طبقات ابن سعد مُوَجَّه للأقرع بن حابس، يقول: (كذبتَ، ذلك الله تبارك وتعالى).

(٤) وفي رواية الإمام أحمد عن الأقرع أنه أتى رسول الله ﷺ.

(٥) في ابن هشام والطبري: (ولكنا نحيا)، وفي البداية والنهاية: (ولكنا نخشى).

أعطانا، وإنّا نُعْرَف بذلك. أقول هذا لأَن تَأْتوا بِمِثْل قولنا، وأَمْرٍ أفضل مِنْ أمرنا. ثم جلس.

فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس بن الشمّاس أخي بني الحارث بن الخزرج، قُمْ فأَجِب الرجل في خُطبته، فقام ثابت فقال: الحمد لله الذي السماواتُ والأرض خَلْقُه، قضىٰ فيهنّ أَمْرَه، ووَسِعَ كرسيَّه عِلْمُه، ولم يَكُ شيء قط إلاّ مِنْ فضله، ثم كان مِنْ قُدرته أنْ جَعَلَنا ملوكاً، واصطفىٰ مِنْ خير خَلْقه رسولاً، وأَكْرَمَه نسباً، وأَصْدَقَه حديثاً، وأَفْضَلَه حسباً، فأَنْزَلَ عليه كتابَه، وائْتَمَنَه علىٰ خَلْقه، فكان خِيرة الله من العالمين، ثم دعا الناس إلىٰ الإيمان به، فآمن برسوله المهاجرون مِنْ قومه وذوي رَحِمِه، أَكْرَمُ الناس أحساباً، وأَحْسَن الناس وجوهاً، وخير الناس فعالاً، ثم كان أول الخَلْق إجابة، واستجاب لله حين دعاه رسول الله ﷺ نحن، فنحن أنصار الله ووزراء رسوله، نقاتل الناس حتىٰ يؤمنوا بالله ورسوله، فمَنْ آمن بالله ورسوله مَنَعَ مِنّا ماله ودمه، ومَنْ كَفَر جاهدناه في الله أبداً، وكان قَتْلُه علينا يسيراً. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي وللمؤمنين والمؤمنات، والسلام عليكم.

فقام الزِّبْرِقان بن بدر فقال[1]:

نحن الكِرامُ فلا حَيٌّ يُعادِلُنا ... مِنّا الملوكُ وفينا تُنْصَبُ البِيَعُ[2]

وكم قَسَرْنا[3] مِنَ الأحياء كُلِّهِمُ ... عند النِّهابِ وفَضْلُ العِزِّ[4] يُتَّبَعُ

ونحن يُطْعِمُ عند القَحْط مُطْعِمُنا ... مِنَ الشِّواءِ إذا لم يُؤْنِسِ القَزَعُ[5]

ونُطْعِمُ الناسَ عند المَحْل كلِّهِمُ ... مِنَ السَّدِيف[6] إذا لم يُؤنِسِ القَزَعُ

---

(١) وفي لفظ: فقال الزِّبْرِقان بن بدر لرجل منهم: يا فلان، قُمْ فَقُلْ أبياتاً تذكر فيها فضلك وفضل قومك.

(٢) قال ابن هشام: ويُروى: (مِنّا الملوك وفينا تُقْسَمُ الرِّبَعُ)، أي أننا رؤساء وسادة؛ لأن الرئيس كان يأخذ رُبُع الغنيمة في الجاهلية. والبِيَع: مواضع الصلوات والعبادات للنصارى، واحدها بيعة بكسر الباء.

(٣) بمعنىٰ قَهرنا وأَكْرَهْنا.

(٤) لفظ ابن الأثير: (وفضل العُرْب).

(٥) جمع قَزَعة وهي السحاب، يعني إذا كان الجَدْب ولم يكن في السماء السحاب يَتَقَزَّع، والقَزَع تفرق السحاب، يقال: تَقَزَّع القوم أي تَفَرَّقوا.

(٦) السَّديف: لحم السنام.

بما ترى الناسَ تَأْتِينا سَراتُهُمُ[١] مِنْ كلِّ أرضٍ هُوِيّاً[٢] ثُمَّ نُصْطَنَعُ[٣]
فنَنْحَرُ الكُوم عَبْطاً في أَرومَتنا[٤] لِلنّازلين إذا ما أُنْزِلوا شَبِعُوا
فلا تَرانا إلىٰ حيٍّ نُفاخِرُهُمْ إلاّ اسْتَقادوا[٥] فكانوا الرأسَ يُقْتَطَعُ[٦]
فمَنْ يُفاخِرُنا في ذاك نَعْرِفُهُ[٧] فيَرْجعُ القومُ والأخبارُ تُسْتَمَعُ
إنّا أَبَيْنا ولا يَأْبَىٰ لنا أحدٌ إنّا كذلك عند الفَخْر نرتفعُ

وكان حسان بن ثابت رضي الله عنه غائباً، فبعث إليه رسول الله ﷺ.

قال حسان: فجاءني رسوله فأخبرني أنه إنما دعاني لأُجِيب شاعر بني تميم، فخرجتُ إلىٰ رسول الله ﷺ وأنا أقول:

مَنَعْنا رسولَ الله إذ حَلَّ وَسْطَنا علىٰ أَنْفِ راضٍ مِن مَعَدٍّ وراغِمِ
مَنَعْناه لَمّا حَلَّ بين بيوتنا بأسيافنا مِنْ كلِّ باغٍ وظالمِ
ببيتٍ حَريدٍ[٨] عِزُّهُ وثَراؤُهُ بجابيةِ الجَوْلان وَسْطَ الأعاجمِ
هل المجدُ إلاّ السُؤْدَدُ العَوْدُ[٩] والنَّدى وجاهُ الملوكِ واحْتِمالُ العَظائمِ

---

(١) السَّراة: الأشراف، جمع سَرِيّ.
(٢) أي سراعاً.
(٣) ويروى: (مِن كل أرض هَواناً ثم مُتَّبَعُ).
(٤) الكُوم جمع كوماء، وهي العظيمة السنام من الإبل. وعَبْطاً: من الاعتباط، وهو الموت في الحداثة. والأَرومة: الأصل.
(٥) أي طلبوا القَوَد.
(٦) ولفظ ابن الأثير: (وكاد الرأسُ يُقتطع).
(٧) ولفظ ابن الأثير: (يعرفنا).
(٨) البيت الحَرِيد: الفريد الذي لا يختلط بغيره لِعِزَّته.
(٩) أي المجد القديم الذي يتكرّر علىٰ الزمان.

قال: فلما انتهيتُ إلىٰ رسول الله ﷺ وقام شاعر القوم فقال ما قال، عرضت في قوله وقلت علىٰ نحو ما قال.

وفي رواية: فلما فرغ الزِّبْرِقان، قال رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت: قُمْ يا حسان فأَجِب الرجل فيما قال، فقام حسان فقال:

إنَّ الذَّوائِبَ[١] مِنْ فِهْرٍ وإِخْوَتِهِمْ ... قد بَيَّنُوا سُنّةً للناسِ تُتَّبَعُ
يَرضىٰ بهم كلُّ مَنْ كانت سَرِيرَتُهُ ... تقوى الإلهِ وكلَّ الخيرِ يَصْطَنِعُ[٢]
قومٌ إذا حاربوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمُ ... أو حاولوا النَّفْعَ في أَشْياعِهِمْ نَفعوا
سَجِيّةٌ[٣] تلك منهمْ غيرُ مُحْدَثَةٍ ... إنَّ الخلائقَ فاعْلَمْ شَرُّها البِدَعُ
إنْ كان في الناس سَبّاقون بَعْدَهُمُ ... فكُلُّ سَبْقٍ لأَدْنَىٰ سَبْقِهِمْ تَبَعُ
لا يَرْقَعُ[٤] الناسُ ما أَوْهَتْ[٥] أَكُفُّهُمُ ... عند الدِّفاعِ[٦] ولا يُوهُون ما رَقَعوا
إنْ سابَقوا الناسَ يوماً فاز سَبْقُهُمُ ... أو وازنوا أهلَ مجدٍ بالندى[٧] مَتَعوا[٨]

---

(١) جمع ذؤابة، وهي الشَّعْر المضفور من شعر الرأس. وذؤابة الجبل أعلاه، ثم اسْتُعِير للعِزّ والشرف والمرتبة، أي من الأشراف وذوي الأقدار.

(٢) قال ابن هشام: وأنشد أبو زيد:

يرضىٰ بها كلُّ مَنْ كانت سَرِيرتُه ... تقوى الإله وبالأَمْر الذي شَرَعوا

وفي لفظ ابن الأثير: (وكل البر يصطنع).

(٣) السجية: الخُلُق والطبيعة.

(٤) مأخوذ من رقع الثوب إذا رَمَّمَه.

(٥) أي أَضْعَفَتْ.

(٦) وفي لفظ: الرِّقاع بدل الدفاع، وهو ما يُكتب فيه الحقوق.

(٧) المجد: الشرف الواسع، والندى: الجود والكرم.

(٨) أي ارتفعوا، مأخوذة مِن مَتَعَ النهارُ أي ارتفع.

أَعِفّــةٌ ذُكِــرَتْ في الوَحْــي عِفَّتُــهُمْ لا يَطْبَعــــون[١] ولا يُرْدِيــــهُمُ طَمَــــعُ[٢]
لا يَبْخَلــون علــىٰ جــارٍ بفَضْلِــهُمُ ولا يَمَسُّــــهمُ مِــــنْ مَطْمَــــعٍ طَبَــــعُ[٣]
إذا نَصَبْنــا[٤] لِحَــيٍّ لم نَــدِبَّ[٥] لهــمْ كمــا يَــدِبُّ إلىٰ الوَحْشِــيّةِ[٦] الــذَّرَعُ[٧]
نَسْــمُو إذا الحــربُ نالَتْنــا مَخالِبُــها إذا الزَّعــانِفُ[٨] مِــنْ أَظْفارِهــا خَشَــعوا[٩]
لا يَفْخَــــرون إذا نــــالوا عَدُوَّهُــــمُ وإنْ أُصِيبــوا فــلا خُــورٌ ولا هُلُــعُ[١٠]
كأنّهم في الوَغَىٰ[١١] والموت مُكْتَنِــعٌ[١٢] أُسْــدٌ بحَلْيَــةٍ[١٣] في أَرْســاغِها فَــدَعُ[١٤]
خُذْ منهمُ ما أتىٰ عَفْواً[١٥] إذا غَضِبوا ولا يَكُــنْ هَمُّــك الأَمْــرَ الــذي مَنَعــوا

---

(١) أي لا يَتَدَنَّسُون.
(٢) وفي لفظ ابن الأثير: (ولا يُزْري بهم طمع).
(٣) الطَّبَع: الدَّنَس.
(٤) أي أَظْهَرْنا العداوة ولم نُسِرَّها.
(٥) أي نَدْرُج رُوَيْداً.
(٦) مأخوذة من الوحشة وهي ضد الأنس، والوحشة: الخلوة والهم.
(٧) هو ولد البقرة الوحشية، وجمعها ذرعان. وبقرة مِذْرَع إذا كانت ذات ذَرَع.
(٨) هم أطراف الناس وأتباعهم، وأصله أطراف الأديم والأكارع.
(٩) أي تَذَلَّلوا.
(١٠) الخُور: الضعفاء، مفردها خوار. والهُلُع بالضم: الجبناء، وبالفتح الهَلَع: الجَزَع.
(١١) الوغىٰ: الجلبة والأصوات، وقيل للحرب: وغىٰ لِما فيها مِنْ ذلك.
(١٢) اكتنع بمعنىٰ دنا منه وقرب.
(١٣) حَلْية: هي مَأْسَدة بناحية اليمن.
(١٤) الأرساغ: جمع رُسغ بضم الراء، وهو مفصل ما بين الكف والساعد، ومجتمع الساق والقدم. والفَدَع بالتحريك زيغ بين القدم وعظم الساق، وكذلك في اليد، وهو أن تزول المفاصل مِنْ أماكنها، ويقال: رجلٌ أَفْدَع بَيِّنُ الفَدَع.
(١٥) أي مِن غير مشقة.

فـإنَّ في حَرْبِـهِمْ فـاتْرُكْ عداوَتَـهُمْ شـرّاً يُخـاضُ عليـه السُّـمُّ والسَّـلَعُ[١]
أَكْـرِمْ بقَـوْمٍ رسـولُ الله شِـيعَتُهُمْ إذا تَفـاوَتَت الأَهْـواءُ والشِّـيَعُ
أَهْـدَى لهـم مِدْحَـتي قلـبٌ يُـؤازِرُهُ[٢] فيمـا أُحِـبُّ لسـانٌ حـائِكٌ صَنَـعُ[٣]
فإنـهم أفضـلُ الأحيـاءِ كلِّـهمُ إنْ جَـدَّ بالنـاس جِـدُّ القـولِ[٤] أو شَـمَعوا[٥]

وقال ابن هشام: حدّثني بعض أهل العلم بالشعر من بني تميم أن الزِّبْرِقان بن بدر لَمّا قدم علىٰ رسول الله ﷺ في وفد بني تميم قام فقال:

أَتَيْنـاك كَيْمـا يَعْلَـمُ النـاسُ فَضْلَنـا إذا اخْتَلَفـوا عنـد احْتِضـارِ المواسِـمِ
بأنّـا فـروعُ النـاسِ في كـلِّ مَوْطِـنٍ وأنْ ليـس في أرض الحجـازِ كَـدَارِمِ[٦]
وأنّـا نَـذودُ المُعْلَمِـين[٧] إذا انْتَخَـوْا[٨] ونَضْـرِبُ رأسَ الأَصْيَـدِ المُتَفـاقِمِ[٩]
وأنَّ لنـا المِرْبـاعَ[١٠] في كـل غـارةٍ نُغِـيرُ بنجـدٍ أو بـأرضِ الأَعـاجِمِ

---

(١) السَّلَع: نبات مسموم.

(٢) أي يعاونه.

(٣) أي حاذق.

(٤) الجِدّ: ضد الهزل.

(٥) بمعنىٰ ضحكوا ولعبوا، ومنه الحديث الذي رواه العسكري في تصحيفات المحدثين عن عقبة بن عامر عن النبي ﷺ قال: (ومَن تَتَبّع المَشْمَعة يُشَمِّعُ الله به)، يريد مَنْ ضَحِك مِن الناس وأَفْرَطَ في المزاح أصاره الله إلى حالة يُعْبَثُ به، ويُستهزأ منه فيها. وشَمَعَت الجارية شَمْعاً لعبت، وامرأة شَموع أي مزّاحة. فتلخّص لدينا أن الشموع هو المزّاح الطرب، يقال: هو شموع وهي شموع، والجمع شُمُع.

(٦) هم مِن بني تميم.

(٧) هم الذين يُعلمون أنفسهم في الحرب بعلامة يُعرفون بها.

(٨) مِنَ النخوة، وهي التكبر والإعجاب.

(٩) الأصيد: المتكبر الذي لا يلوي عنقه يميناً ولا شمالاً. والمتفاقم: المتعاظم، مِنْ تَفاقَم الأَمْرُ إذا عَظُمَ واشتدّ.

(١٠) المِرْباع أَخْذُ الربع من الغنيمة، يريد أنهم رؤساء.

فقام حسان بن ثابت فقال:

هل المجدُ إلاّ السُّؤْدَدُ العَوْدُ والنَّدى ... وَجاهُ مُلوكٍ واحْتِمالُ العَظائمِ
نَصَرْنا وآوَيْنا النبيَّ محمداً ... علىٰ أَنْفِ راضٍ مِنْ مَعَدٍّ وراغمِ
بحَيٍّ حَريدٍ أَصْلُهُ وثَراؤُهُ ... بجابيةِ الجَوْلان وَسْطَ الأَعاجمِ
نَصَرْناهُ لَمّا حَلَّ وَسْطَ دِيارنا ... بأسيافنا مِنْ كلِّ باغٍ وظالمِ
جَعَلْنا بَنِينا دونه وبناتِنا ... وطِبْنا له نفساً بفَيْءِ المغانمِ
ونحن ضَرَبْنا الناسَ حتىٰ تَتابَعوا ... علىٰ دينه بالمُرْهَفاتِ الصَّوارمِ[1]
ونحن وَلَدْنا مِن قريش عَظِيمَها ... وَلَدْنا نبيَّ الخَيْرِ مِنْ آل هاشمِ
بني دارِمٍ لا تَفْخَروا إنَّ فَخْرَكُمْ ... يَعُودُ وَبالاً[2] عند ذِكْرِ المكارمِ
هَبِلْتُمْ[3] علينا تَفْخَرون وأنتمُ ... لنا خَوَلٌ ما بين ظِئْرٍ[4] وخادمِ
فإنْ كنتمُ جئتمْ لِحَقْنِ دمائكمْ ... وأموالكمْ أنْ تُقْسَموا في المَقاسِمِ
فلا تجعلوا لله نِدّاً وأَسْلِموا ... ولا تَلْبَسوا زِيّاً كزِيِّ الأَعاجمِ

قال ابن إسحاق: فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله، قال الأقرع بن حابس: وَأَبِي إنَّ هذا الرجل لَمُؤَتىً له[5]، لَخطيبه أَخْطَب مِنْ خطيبنا، ولَشاعره أَشْعَر مِن شاعرنا، ولأصواتهم أعلىٰ مِنْ أصواتنا.

---

(١) هي السيوف القاطعة.

(٢) الوَبال: الثقل.

(٣) أي فقدتم وثكلتم.

(٤) الظِّئْر التي تُرضع ولد غيرها، وقد تأخذ علىٰ ذلك أجراً، وأصله الناقة تعطف علىٰ ولد غيرها.

(٥) أي لموفق له.

فلما فرغ القوم أسلموا، وجَوَّزَهم رسول الله ﷺ فأَحْسَنَ جوائزهم.

وكان عمرو بن الأَهْتَم قد خلّفه القوم في ظهرهم[1]، وكان أصغرهم سناً، فأعطاه رسول الله ﷺ مِثْلَ ما أعطىٰ القوم.

وقال محمد بن عمر الواقدي: إن رسول الله ﷺ أجاز كل رجل منهم اثنتي عشرة أوقية، إلاّ عمرو بن الأَهْتم فإنه أعطاه خمس أواقٍ لحداثة سنه.

قال ابن إسحاق: وفيهم نزل من القرآن: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤﴾ [الحجرات].

وسُئِلَ رسول الله ﷺ فقال: هم جُفاة بني تميم، لولا أنهم مِن أشد الناس قتالاً للأعور الدجال لَدَعَوْتُ الله عليهم أن يُهلكهم.

وروى البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جلس إلىٰ رسول الله ﷺ قيس بن عاصم والزِّبْرِقان بن بدر وعمرو بن الأَهْتَم التَّمِيمِيّون، ففخر الزِّبْرِقان وقال: يا رسول الله، أنا سيد تميم والمُطاع فيهم، والمُجاب منهم، آخُذُ لهم بحقوقهم، وأمنعهم من الظلم، وهذا يعلم ذلك - وأشار إلىٰ عمرو بن الأَهْتَم -. فقال عمرو بن الأَهْتَم: إنه لشديد العارضة، مانعٌ لجانبه، مطاعٌ في أَدانيه. فقال الزِّبْرِقان: واللهِ يا رسول الله لقد عَلِم مني غير ما قال، وما منعه أن يتكلّم إلاّ الحسد. فقال عمرو بن الأَهْتم: أنا أحسدك! فوالله إنك لَلَئِيمُ الخال، حديث المال، أحمق الولد، مُبْغَضٌ في العشيرة، واللهِ يا رسول الله لقد صدقتُ فيما قلتُ أولاً، وما كذبتُ فيما قلت آخِراً، ولكني رجل إذا رضيتُ قلتُ أحسن ما عَلِمْتُ، وإذا غضبتُ قلتُ أقبح ما وجدتُ، ولقد صَدَقْتُ في الأُولىٰ والأخرى جميعاً. فقال رسول الله ﷺ: إنَّ مِنَ البيان لَسِحْراً.

---

(١) أي في إبلهم.

ث

۞ قدوم وفد بني ثعلبة:

روى محمد بن عمر وابن سعد عن رجل من بني ثعلبة عن أبيه قال: لَمّا قدم رسول الله ﷺ من الجعرانة سنة ثمان، قدمنا عليه أربعة نفر وافدين مُقِرِّين بالإسلام، فنزلنا دار رَمْلة بنت الحارث، فجاءنا بلال فنظر إلينا فقال: أمعكم غيركم؟ قلنا: لا، فانصرف عنا، فلم يلبث إلاّ يسيراً حتىٰ أتانا بجَحْفة من ثريد بلبن وسمن، فأكلنا حتىٰ نَهِلْنا ثم رُحْنا الظهر، فإذا رسول الله ﷺ قد خرج من بيته ورأسه يَقْطُر ماء، فرمىٰ ببصره إلينا، فأسرعنا إليه وبلال يقيم الصلاة، فسلّمنا عليه وقلنا: يا رسول الله، نحن رسل مَنْ خلفنا مِنْ قومنا، ونحن وهم مُقِرّون بالإسلام، وهم في مواشيهم وما يُصلحها إلاّ هم، وقد قيل لنا يا رسول الله: لا إسلام لِمَنْ لا هجرة له. فقال رسول الله ﷺ: حيثما كنتم واتَّقَيْتُم الله فلا يضركم. وفرغ بلال من الأذان، وصلّىٰ رسول الله ﷺ بنا الظهر، ولم نُصَلِّ وراء أحد قط أتمّ صلاة ولا أَوْجَه منه. ثم انصرف إلىٰ بيته فدخل، فلم يلبث أنْ خرج إلينا، فقيل لنا: صَلَّىٰ في بيته ركعتين. فدعا بنا فقال: أين أهلكم؟ فقلنا: قريباً يا رسول الله، هم بهذه السرية. فقال: كيف بلادكم؟ فقلنا: مُخْصِبون، فقال: الحمد لله. فأَقَمْنا أياماً وتعلّمنا القرآن والسنن، وضيافتُه ﷺ تجري علينا. ثم جئنا نُوَدِّعُه منصرفين، فقال لبلال: أَجِزْهم كما تُجِيز الوفود، فجاء بنُقَر مِن فضة، فأعطىٰ كل رجل منا خمس أَواقٍ وقال: ليس عندنا دراهم، فانصرفنا إلىٰ بلادنا.

۞ قدوم وفد ثقيف:

قال في زاد المعاد: قال ابن إسحاق: وقدم رسول الله ﷺ المدينة من تبوك في رمضان، وقدم عليه في ذلك الشهر وفد ثقيف.

وكان من حديثهم أن رسول الله ﷺ لَمّا انصرف عنهم، اتَّبَعَ أَثَرَه عروة بن مسعود الثقفي حتىٰ أدركه قبل أن يصل إلىٰ المدينة، فأسلم وسأله أن يرجع إلىٰ قومه بالإسلام، فقال له رسول الله ﷺ: إنهم قاتِلوك، وعرف رسول الله ﷺ أن فيهم نَخْوَة الامتناع الذي كان منهم، فقال عروة: يا رسول الله، أنا أَحَبُّ إليهم مِنْ أَبْكارهم.

وكان فيهم كذلك مُحَبّباً مُطاعاً، فخرج يدعو قومه إلىٰ الإسلام رجاء أن لا يخالفوه لِمنزلته فيهم، فلما أشرف لهم علىٰ عِلِّيّة له وقد دعاهم إلىٰ الإسلام وأَظْهَرَ لهم دينه، رَمَوْه بالنَّبْل مِن كل وجه، فأصابه سهم فقتله. فتزعم بنو مالك أنه قَتَلَه رجل منهم يقال له: أوس بن عوف أخو بني سالم بن مالك، وتزعم الأحلاف أنه قتله رجل منهم مِن بني عتاب بن مالك يقال له: وهب بن جابر. فقيل لعروة: ما ترى في دمك؟ قال: كرامة أكرمني الله بها، وشهادة ساقها الله إليّ، فليس فيّ إلاّ ما في الشهداء الذين قُتِلوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يرتحل عنكم، فادفنوني معهم. فدفنوه معهم، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال فيه: إنَّ مَثَلَه في قومه لَكَمَثَل صاحب يس في قومه[1].

ثم أقامت ثقيف بعد قَتْل عروة أشهراً، ثم إنهم ائتمروا بينهم ورَأَوْا أنه لا طاقة لهم بحرب مَنْ حولهم مِنَ العرب وقد بايعوا وأَسْلموا، وأَجْمَعوا أن يرسلوا إلىٰ رسول الله ﷺ رجلاً كما أرسلوا عروة، فكلّموا عبد ياليل بن عمرو وكان سِنَّ عروة بن مسعود، وعرضوا عليه ذلك فأبىٰ أن يفعل، وخشي أن يُصْنَعَ به إذا رجع كما صُنِعَ بعروة، فقال: لستُ فاعلاً حتىٰ تُرْسِلوا معي رجالاً. فأَجْمعوا أن يبعثوا معه رجلين من الأحلاف، وثلاثة مِن بني مالك، فيكونوا ستة. فبعثوا مع عبد ياليل: الحكم بن عمرو بن وهب بن مُعَتِّب، وشُرَحبيل[2] بن غَيلان بن سَلِمة بن مُعَتِّب. ومن بني مالك: عثمان بن أبي العاص، وأَوْس بن عوف، ونُمَيْر بن خَرَشة بن ربيعة.

---

(١) قال في الروض الأنف: يُحتمل قوله ﷺ: (كمثل صاحب يس)، يريد به المذكور في سورة يس، الذي قال لقومه: ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾، فقَتَلَه قومه، واسمه حبيب بن مُرِّي. وقيل غير ذلك، فارجع إلىٰ التفاسير الكبيرة كالقرطبي وغيره عند ذِكْر هذه الآية.

(٢) أسلم بعدُ، وكان تحته عشرة نسوة.

فخرج بهم عبد ياليل وهو ناب القوم[١] وصاحب أَمْرِهم، ولم يخرج بهم إلاّ خشية مِنْ مِثْل ما صُنِعَ بعروة بن مسعود؛ لكي يشغل كل رجل منهم إذا رجعوا إلىٰ الطائف رَهْطَه. فلما دَنَوْا من المدينة ونزلوا قناة، أَلْفَوا بها المغيرة بن شعبة يرعىٰ في نَوْبَته ركاب أصحاب رسول الله ﷺ، وكانت رِعْيتها نُوَباً علىٰ أصحابه ﷺ. فلما رآهم ترك الركاب عند الثقفيين وضبر يَشْتَدّ[٢] لِيُبَشِّرَ رسول الله ﷺ بقدومهم عليه، فلَقِيَه أبو بكر الصديق قبل أن يدخل علىٰ رسول الله ﷺ، فأخبره عن ركب ثقيف أنْ قد قدموا يريدون البيعة والإسلام، بأنْ يَشْرُط لهم رسول الله ﷺ شروطاً، ويكتتبوا من رسول الله ﷺ كتاباً في قومهم وبلادهم وأموالهم، فقال أبو بكر للمغيرة: أقسمتُ عليك بالله لا تسبقني إلىٰ رسول الله ﷺ حتىٰ أكون أنا أُحَدِّثه، ففعل المغيرة، فدخل أبو بكر علىٰ رسول الله ﷺ فأخبره بقدومهم عليه، ثم خرج المغيرة إلىٰ أصحابه فرَوَّح الظَّهْر[٣] معهم، وعلّمهم كيف يُحَيُّون رسول الله ﷺ، فلم يفعلوا إلاّ بتحية الجاهلية[٤].

ولَمّا قدموا علىٰ رسول الله ﷺ ضرب عليهم قبة في ناحية مسجده، فكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذي يمشي بينهم وبين رسول الله ﷺ حتىٰ اكْتَتَبوا كتابهم، وكان خالد هو الذي كتب كتابهم بيده، وكانوا لا يَطْعَمون طعاماً يأتيهم من عند رسول الله ﷺ حتىٰ يأكل منه خالد، حتىٰ أَسْلَموا وفرغوا مِن كتابهم.

وقد كان فيما سألوا رسول الله ﷺ أن يَدَعَ لهم الطاغية وهي اللات، ولا يهدمها ثلاث سنين، فأبىٰ رسول الله ﷺ ذلك عليهم، فما برحوا يسألونه سنة سنة ويأبىٰ عليهم، حتىٰ سألوه شهراً واحداً بعد مقدمهم، فأَبَىٰ عليهم أن يَدَعَها شيئاً مُسَمّىٰ، وإنما يريدون بذلك فيما يُظْهِرون أن يَسْلَموا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذراريّهم، ويَكْرَهون أن يُرَوِّعوا

---

(١) أي سَيِّدُهم.

(٢) ضبر أي وثب، واشتدّ أي عدا.

(٣) أي الإبل.

(٤) هي عِمْ صباحاً، محذوف مِن نَعِمَ يَنْعَم.

قومهم بهدمها حتىٰ يدخلهم الإسلام، فأَبَىٰ رسول الله ﷺ عليهم إلاّ أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة لهدمها. وقد كانوا سألوه مع ترك الطاغية أن يُعْفِيَهم من الصلاة، وأن لا يكسروا أوثانهم بأيديهم، فقال رسول الله ﷺ: أمّا كَسْرُ أوثانكم بأيديكم فسَنُعْفِيكم منه، وأمّا الصلاة فإنه لا خير في دين لا صلاة فيه. فقالوا: يا محمد، فسنؤتيكها وإن كانت دناءة.

فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله ﷺ كتابهم، أَمَّرَ عليهم عثمان بن أبي العاص وكان مِنْ أحدثهم سناً، وذلك أنه كان أحرصهم علىٰ التَّفَقُّه في الإسلام وتَعَلُّم القرآن.

وكان كما رواه عنه الطبراني برجال ثقات قال: قدمتُ في وفد ثقيف حين قدموا علىٰ رسول الله ﷺ، فلما حَلَلْنا بباب النبي ﷺ قالوا: مَنْ يُمْسِك رواحلنا؟ فكل القوم أَحَبَّ الدخول علىٰ رسول الله ﷺ وكره التخلف عنه، وكنتُ أصغرهم فقلت: إنْ شئتم أمسكتُ لكم علىٰ أنّ عليكم عهد الله لَتُمْسِكُنّ لي إذا خرجتم. قالوا: فذلك لك، فدخلوا عليه ثم خرجوا فقالوا: انْطَلِقْ بنا، قلت: إلىٰ أين؟ قالوا: إلىٰ أهلك، فقلت: ضَرَبْتُ مِنْ أهلي حتىٰ إذا حَلَلْتُ بباب رسول الله ﷺ أَأَرْجِعُ ولا أدخل عليه وقد أعطيتموني ما علمتم؟ قالوا: فأَعْجِلْ فإنّا قد كَفَيْناك المسألة، لم نَدَعْ شيئاً إلاّ سألناه. فدخلتُ فقلت: يا رسول الله، ادْعُ الله أن يُفَقِّهَني في الدين ويُعَلِّمني[1]. قال: ماذا قلتَ؟ فأَعَدْتُ عليه القول فقال: لقد سألتَني عن شيء ما سألني عنه أحد من أصحابك، اذهب فأنت أمير عليهم وعلىٰ مَنْ تَقْدَمُ عليه مِن قومك.

وروى ابن إسحاق بسنده إلىٰ عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه قال: كان مِنْ آخر ما عهد إليّ رسول الله ﷺ حين بَعَثَني علىٰ ثقيف أنْ قال: يا عثمان، تجاوز في الصلاة واقْدُر الناس بأضعفهم، فإن فيهم الكبير والصغير، والضعيف وذا الحاجة.

ثم قال في زاد المعاد: فلما فرغوا مِنْ أَمْرِهم وتوجّهوا إلىٰ بلادهم راجعين، بَعَثَ رسول الله ﷺ معهم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة في هدم الطاغية، وقد تقدّم ذِكْر قصتهما مع الطاغية في باب السرايا والبعوث[2].

---

(١) وفي رواية: فدخلتُ علىٰ رسول الله ﷺ، فسألته مصحفاً فأَعْطانِيه.

(٢) راجع ص٢٨٢.

وقد كان أبو المَليح بن عروة وقارب بن الأسود قدما علىٰ رسول الله ﷺ قبل وفد ثقيف حين قُتِلَ عروة، يريدان فراق ثقيف وألاّ يُجامعاهم علىٰ شيء أبداً، فأَسْلَما، فقال لهما رسول الله ﷺ: تَوَلَّيا مَنْ شئتما، فقالا: نَتَوَلّىٰ الله ورسوله، فقال رسول الله ﷺ: وخالَكما أبا سفيان بن حرب، فقالا: وخالَنا أبا سفيان بن حرب.

فلما أسلم أهل الطائف ووجّه رسول الله ﷺ أبا سفيان والمغيرة إلىٰ هدم الطاغية، سأل رسول الله ﷺ أبو المليح بن عروة أن يقضي عن أبيه عروة ديناً كان عليه من مال الطاغية، فقال له رسول الله ﷺ: نعم، فقال له قارب بن الأسود: وعن الأسود يا رسول الله فاقْضِهِ، وعروة والأسود أخوان لأب وأم. فقال رسول الله ﷺ: إن الأسود مات مشركاً، فقال قارب لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، لكن تَصِل مسلماً ذا قرابة - يعني نفسه -، إنما الدَّيْن عليّ وإنما أنا الذي أُطْلَبُ به. فأمر رسول الله ﷺ أبا سفيان أن يَقْضي دَيْنهما من مال الطاغية. فلما جمع المغيرة مالَها قال لأبي سفيان: إن رسول الله ﷺ قد أَمَرَكَ أن تقضي عن عروة والأسود دَيْنَهما، فقضىٰ عنهما.

وكان كتاب رسول الله ﷺ الذي كتب لهم[1]:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد النبي رسول الله إلىٰ المؤمنين:

إنَّ عِضاهَ[2] وَجٍّ[3] وصيدَه حرام لا يُعْضَدُ[4]، ولا يُقْتَلُ صَيْدُه، فمَنْ وُجِدَ يفعل شيئاً مِن ذلك فإنه يُجْلَدُ وتُنْزَعُ ثيابه، ومَنْ تَعَدَّى ذلك فإنه يُؤْخَذُ فيُبَلَّغُ النبيَّ محمداً، وإنَّ هذا أَمْرُ النبي محمد رسول الله.

---

(١) أورده أبو عبيد في كتاب الأموال ص١٩٣، والواقدي في المغازي. ولثقيف كتاب آخر أطول منه، أورده كذلك أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه الأموال ص١٩٠.

(٢) العِضاهُ هو جمع، قال صاحب النهاية: العِضاه شجر أم غَيْلان، وكل شجر عظيم له شوك، الواحدة عِضة بالتاء، وأصلها عِضَهة، وقيل: واحدته عِضاهة.

(٣) قال في القاموس: هو اسم وادٍ بالطائف.

(٤) أي لا يُقْطَع.

وكتب خالد بن سعيد بأمر محمد بن عبدالله رسول الله، فلا يَتَعَدَّه أحدٌ فيَظْلِمَ نفسَه فيما أمر به محمد رسول الله ﷺ لثقيف[1].

وذُكِرَ في وفد ثقيف زيادة علىٰ ما ذكرنا، وهي كما قال صاحب السيرة الشامية: وكانوا يغدون علىٰ رسول الله ﷺ في كل يوم، ويُخلّفون عثمان بن أبي العاص علىٰ رِحالهم لأنه أصغرهم، فلما رجعوا عَمَد إلىٰ رسول الله ﷺ فسأله عن الدِّين واسْتَقْرَأَه القرآن، حتىٰ فَقُهَ في الدين وعَلِم، فأعجب ذلك رسول الله ﷺ وأَحَبَّه، فمكث الوفد يختلفون إلىٰ رسول الله ﷺ وهو يدعوهم إلىٰ الإسلام فأسلموا، فقال كنانة بن عبد ياليل[2]: هل أنت مُقاضِينا حتىٰ نرجع إلىٰ قومنا؟ قال: نعم، إنْ أنتم أَقْرَرْتُم بالإسلام أُقاضيكم، وإلاّ فلا قَضِيّة ولا صلح بيني وبينكم. قالوا: أفرأيتَ الزنا، فإنّا قوم نغترب، لا بُدَّ لنا منه. قال: هو عليكم حرام، إن الله عز وجل يقول: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء]. قالوا: أفرأيتَ الربا؟ فإنه أموالنا كلها. قال: لكم رؤوس أموالكم، إن الله تعالىٰ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾ [البقرة]. قالوا: أفرأيتَ الخمر؟ فإنه لا بُدَّ لنا منه. قال: إن الله تعالىٰ قد حرّمها، وقرأ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المائدة].

فارتفع القوم وخلا بعضهم ببعض، وكَلَّموه ألاّ يهدم الرَّبّة فأَبَىٰ، فقال ابن عبد ياليل: إنّا لا نَتَوَلّىٰ هَدْمَها، فقال: سأبعث إليكم مَنْ يكفيكم هدمها. وأمّر عليهم عثمان بن أبي العاص كما تقدّم؛ لِما عَلِم مِنْ حرصه علىٰ الإسلام، وكان قد تعلّم سوراً من القرآن قبل أن يخرج لَمّا سألوه أن يُؤَمّر عليهم.

---

(١) وزاد أبو عبيد: وشهد علىٰ نسخة هذه الصحيفة علي بن أبي طالب، وحسن بن علي، وحسين بن علي.

(٢) قال ابن الأثير في أسد الغابة ج٤ ص٢٥٥: كنانة بن عبد ياليل الثقفي كان من أشراف ثقيف الذين قدموا علىٰ رسول الله ﷺ بعد عَوْده مِن حصار الطائف، وأضاف أن الوفد أسلموا غير كنانة، وأنه مات بأرض الروم كافراً.

فلما رجع الوفد خرجت ثقيف يَتَلَقَّوْنَهم، فلما رَأَوْهم ساروا العَنَق[١] وقَطَروا الإبل[٢]، قال بعضهم لبعض: ما جاء وفدكم بخير. وقصد الوفد اللات ونزلوا عندها، فقال ناس من ثقيف: إنهم لا عهد لهم برؤيتنا، ثم رحل كل رجل منهم إلىٰ أهله، فسألوهم: ماذا جئتم به؟ قالوا: أَتَيْنا رجلاً فظّاً غليظاً، قد ظهر بالسيف، وداخ له العرب، قد عَرَضَ علينا أموراً شِداداً، هَدْمَ اللات. فقالت ثقيف: والله لا نَقْبَل هذا أبداً، فقال الوفد: أَصْلِحوا السلاح وتَهَيَّؤوا للقتال.

فمكثت ثقيف كذلك يومين أو ثلاثة يريدون القتال، ثم أَلْقَىٰ الله في قلوبهم الرعب فقالوا: والله ما لنا به من طاقة، فارجعوا فأعطوه ما سأل. فلما رأى الوفد أنهم قد رَغِبُوا واختاروا الإيمان، قال الوفد: فإنّا قاضَيْناه وشَرَطْنا ما أَرَدْنا، ووجدناه أتقىٰ الناس وأَوْفاهم، وأَرْحمهم وأَصْدقهم، وقد بورك لنا ولكم في مسيرنا إليه، فاقْبَلوا عافية الله. فقالت ثقيف: فلِمَ كَتَمْتُمونا هذا الحديث؟ فقالوا: أَرَدْنا أن نَنْزع مِن قلوبكم نخوة الشيطان، فأَسْلَموا مكانهم.

ومكثوا أياماً، ثم قدم رُسُل النبيﷺ وعمدوا إلىٰ اللاّت ليهدموها، وخرجت ثقيف كلها حتىٰ العواتق من الحِجال، لا ترى أنها مهدومة، ويظنون أنها ممتنعة. وقد تقدّم معنا ذِكْر ذلك قَبْلُ، فارجع إليه إنْ شئتَ[٣].

وقال عثمان بن أبي العاص كما رواه عنه أبو داود: إن رسول اللهﷺ أمره أن يجعل مسجد الطائف حيث كانت طاغيتهم، وقال عثمان: إنما استعملني رسول اللهﷺ لأني كنت قرأت سورة البقرة، فقلت: يا رسول الله، إنَّ القرآن ينفلت مني. فوضع يده علىٰ صدري وقال: يا شيطان، اخرج مِن صدر عثمان. فما نسيتُ شيئاً بعده أُريد حفظه.

---

(١) هو ضَرْبٌ من السير فسيح سريع للإبل والخيل.

(٢) قَطَر الإبل من باب نَصَر يَقْطُر قَطْراً وقُطوراً، أي قَرَّبَ بعضَها إلىٰ بعض في سياق واحد، فهي مَقْطورة. ويقال: قَطَر البعير إلىٰ غيره، أي ضمّه إليه وساقهما مساقاً واحداً.

(٣) باب السرايا والبعوث ص٢٨٣.

وفي صحيح مسلم قلت: يا رسول الله، إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي. فقال: ذاك شيطان يقال له: خَنْزَب[١]، فإذا أَحْسَسْتَه فتعوّذ بالله منه، واتْفُلْ عن يسارك ثلاثاً. قال: ففعلتُ، فأَذْهَبَه الله عني.

قدوم وفد ثُمالة والحَدّان[٢]:

قال صاحب السيرة الشامية: قالوا: قدم عبدالله بن عَلَس[٣] الثُّمالي ومَسْلَمة بن هاران الحَدّاني علىٰ رسول الله ﷺ في رهط من قومهما بعد فتح مكة، فأسلموا وبايعوا رسول الله ﷺ علىٰ قومهم، وكتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً بما فُرِضَ عليهم من الصدقة في أموالهم، كتبه ثابت بن قيس بن شمّاس، وشهد فيه سعد بن عبادة ومحمد بن مَسْلَمة.

ولقد أَوْرد ابن سعد في طبقاته[٤] هذا الكتاب، ولفظه:

> هذا كتاب من محمد رسول الله لبادية الأَسْياف، ونازلة الأَجْواف مِمّا حازَتْ صُحار، ليس عليهم في النخل خِراصٌ ولا مِكْيالٌ مُطَبَّقٌ حتىٰ يُوضَع في الفَداء، وعليهم في كل عَشَرة أَوْساقٍ وَسْقٌ.

ج

قدوم وفد جُذام:

روى ابن سعد عن رجاله، والطبراني عن عُمَير بن مَعْبَد الجُذامي عن أبيه قال: وَفَدَ

---

(١) قال النووي في شرحه علىٰ صحيح مسلم: خنزب: بخاء معجمة مكسورة ثم نون ساكنة ثم زاى مكسورة ومفتوحة، ويقال أيضاً بفتح الخاء والزاي - حكاه القاضي، ويقال أيضاً بضم الخاء وفتح الزاي - حكاه ابن الأثير فىٰ النهاية.

(٢) قال صاحب القاموس: يجوز في حائها الفتح والضم.

(٣) كذا في الطبقات، وفي الأصول: ابن عبس، وفي أسد الغابة: ابن عبد الثمالي.

(٤) ج٢ ص٥١، ونقله عنه حُميد الله في مجموعة الوثائق ٧٨.

رفاعة بن زيد بن عُمَيْر بن مَعْبَد الجُذامي ثم أحد بني الضُّبَيْب علىٰ رسول الله ﷺ في الهدنة قبل خيبر، وأَهْدَى له عبداً وأَسْلَمَ، فكتب رسول الله ﷺ كتاباً نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمد رسول الله لرفاعة بن زيد:

إني بعثتُه إلىٰ قومه عامة ومَنْ دخل فيهم يدعوهم إلىٰ الله وإلىٰ رسوله، فمَنْ آمن[١] منهم ففي حزب الله وحزب رسوله، ومَنْ أدبر[٢] فله أمان شهرين.

فلما قدم رفاعة علىٰ قومه أجابوه وأسلموا.

زاد الطبراني: ثم سار حتىٰ نزل حَرّة الرَّجْلاء[٣]، ثم لم يلبث أنْ قَدِمَ دِحْية الكلبي من عند قيصر حين بعثه رسول الله ﷺ، حتىٰ إذا كان بوادٍ مِن أوديتهم يقال له: شَنار[٤] ومعه تجارة له، أغار عليهم الهُنَيد بن عُوص وابنه عُوص بن الهُنَيْد الضُّلَعِيّان[٥]، فأصابا كلَّ شيء كان معه، فبلغ ذلك قوماً من بني الضُّبَيْب رهط رفاعة بن زيد مِمَّنْ كان أسلم وأجاب، فنفروا إلىٰ الهُنَيْد وابنه، فيهم مِن بني الضُّبَيْب النعمان بن أبي جِعال، حتىٰ لَقَوْهم فاقتتلوا، ورمىٰ قُرّةُ بن أشقر الضُّلَعي النعمانَ بن أبي جِعال بسهم فأصاب ركبته، فقال حين أصابه: خُذْها وأنا ابن لُبْنىٰ. وقد كان حسان بن مِلّة الضُّبَيْبي قد صَحِبَ دِحْية بن خليفة قبل ذلك، وعلّمه أُمَّ الكتاب. واستنقذوا ما كان في أيديهم فردّوه علىٰ دحية[٦].

---

(١) وفي لفظ: فمَن أقبل.

(٢) وفي لفظ: ومَنْ أَبَىٰ.

(٣) هي بديار بني القَيْن بين المدينة والشام، سُمِّيَتْ بذلك لأنه يُتَرَجَّل فيها ويصعب المشي - انظر كتاب وفاء الوفاء إن شئتَ. وفي الصحاح: حَرّة رَجْلىٰ: أرض مستوية كثيرة الحجارة يصعب المشي فيها. وفي القاموس: حَرّة رَجْلىٰ كسَكْرى: أرض خشنة يُتَرَجّل فيها.

(٤) في معجم البلدان: شِنان بالكسر وآخره نون، وهو في كتاب نَصْر شنار بفتح الشين وآخره راء، وقال: هو وادٍ بالشام أُغِيرَ فيه علىٰ دِحْية بن خليفة الكلبي لَمّا رجع من عند قيصر.

(٥) الضُّلَيْع بطن من جُذام.

(٦) انظر سرية زيد بن حارثة إلىٰ جذام من أرض حِسْمىٰ ص١٩٤.

۞ قدوم وفد جَرْم:

روى ابن سعد في طبقاته عن سعد بن مُرّة الجَرْميّ عن أبيه قال: وَفَدَ علىٰ رسول الله ﷺ رجلان مِنّا، يُقال لأحدهما: الأَسْقَع بن شريح بن صُرَيم بن عمرو بن رِياح، والآخر: هَوْذة بن عمرو بن يزيد بن عمرو بن رياح، فأسلما وكتب لهما رسول الله ﷺ كتاباً.

ورُوِيَ أيضاً عن عمرو بن سلمة بن قيس الجَرْمِيّ رضي الله عنه أن أباه ونفراً من قومه وفدوا إلىٰ النبي ﷺ حين أسلم الناس، وتعلّموا القرآن وقضوا حوائجهم، وقالوا له: مَنْ يُصَلِّي بنا - أو لنا -؟ فقال: لِيُصَلِّ بكم أكثركم جمعاً أو أَخْذاً للقرآن. قال: فجاءوا إلىٰ قومهم فسألوا فيهم، فلم يجدوا أحداً أكثر وأجمع من القرآن أكثر مِمّا جمعتُ أو أخذتُ، قال: وأنا يومئذ غلام عليَّ شَمْلة، فقَدَّموني فصَلَّيْتُ بهم، فما شهدتُ مَجْمَعاً مِنْ جَرْم إلاّ وأنا إمامهم إلىٰ يومي هذا.

قال مِسْعَر أحد رواة الحديث: وكان يُصَلِّي علىٰ جنائزهم، ويَؤُمُّهم في مسجدهم حتىٰ مضىٰ لسبيله.

وروى البخاري وابن سعد وابن منده عن عمرو بن سَلِمة رضي الله عنه قال: كنا بحَضْرَةِ ماءٍ مَمَرُّ الناس عليه، وكنا نسألهم: ما هذا الأمر؟ فيقولون: رجل يزعم أنه نبي وأنَّ الله أَرْسَلَه، وأن الله أَوْحىٰ إليه كذا وكذا. فجعلتُ لا أسمع شيئاً مِنْ ذلك إلاّ حَفِظْتُه، كأنما يُغْرَى في صدري بغِراء، حتىٰ جَمَعْتُ فيه قرآناً كثيراً.

قال: وكانت العرب تَلَوَّمُ[1] بإسلامها الفتح، يقولون: انظروا، فإنْ ظَهَرَ عليكم فهو صادق وهو نبي. فلما جاءَتْنا وقعة الفتح، بادر كل قوم بإسلامهم، وانطلق أبي بإسلام حِوائنا[2] ذلك، وأقام مع رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يُقيم ثم أَقْبَلَ، فلما دنا مِنّا تَلَقَّيْناه، فلما

---

(١) أي تنتظر.

(٢) في النهاية: الحِواء بيوت مجتمعة من الناس علىٰ ماء، والجمع أَحْوِية.

رأيناه قال: جئتكم واللهِ مِنْ عند رسول الله حقاً، ثم قال: إنه يأمركم بكذا وكذا، وينهاكم عن كذا وكذا، وأن تُصَلّوا صلاة كذا في حين كذا، وصلاة كذا في حين كذا، وإذا حَضَرَتِ الصلاة فليُؤَذِّن أحدُكم وليَؤُمَّكم أكثرُكم قرآناً. قال: فنظر أهل حِوائنا فما وجدوا أحداً أكثر قرآناً مني، الذي كنتُ أحفظه من الرُكبان، فدَعَوْني فعَلَّموني الركوع والسجود، وقدّموني بين أيديهم، فكنت أُصَلِّي بهم وأنا ابن ست سنين. قال: وكان عليّ بُردة كنت إذا سجدتُ تَقَلَّصَتْ عني، فقالت امرأة من الحي: أَلاَ تُغطّوا عنا إست قارئكم؟ قال: فكَسَوْني قميصاً مِنْ مَعْقِد البحرين[1]. قال: فما فرحت بشيء أشد من فرحي بذلك القميص.

❁ قدوم وفد جرير بن عبدالله البَجَلي[2]:

روى الطبراني في الأوسط من طريق حصين بن عمرو الأَحْمَسي عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير قال: لَمّا بُعِثَ النبيﷺ أَتَيْتُه، فقال: ما جاء بك؟ قلت: جئتُ لأُسْلِمَ، فأَلْقَىٰ إليَّ كساءه وقال: إذا أتاكم كريم قوم فأَكْرِموه. فقال رسول اللهﷺ: أَدْعُوك إلىٰ شهادة أن لا إله إلاّ الله وأني رسول الله، وأن تؤمن بالله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وأن تُصَلِّيَ الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم شهر رمضان، وتنصح لكل مسلم، وتُطيع الوالي وإنْ كان عبداً حبشياً.

وروى الإمام أحمد والبيهقي والطبراني برجال ثقات عن جرير بن عبدالله قال: لَمّا دَنَوْتُ من مدينة الرسولﷺ أَنَخْتُ راحلتي، وحَلَلْتُ عَيْبَتي[3]،

---

(١) المَعْقِد: ضَرْبٌ مِن بُرود هَجَر.

(٢) هو جرير بن عبدالله بن جابر بن مالك بن نضر بن ثعلبة بن جشم بن عوف بن خزيمة بن حرب بن علي البَجَلي الصحابي، يُكَنَّىٰ أبا عمرو، وقيل: أبا عبدالله - انظر ترجمته في الإصابة ١١٣٢ وأسد الغابة ج١ ص٢٧٩. وجزم أبو عمر يوسف بن عبدالله النميري القرطبي بأن جريراً أسلم قبل وفاة النبيﷺ بأربعين يوماً، وقال الحافظ: هو غلط، ففي الصحيحين عنه أن النبيﷺ قال له في حجة الوداع: اسْتَنْصِتِ الناس.

(٣) العَيْبة: ما يَجْعَلُ المسافر فيه ثيابه.

ولبست حُلّتي[١]، ودخلت المسجد والنبيﷺ يخطب، فسلّمت علىٰ رسول اللهﷺ فرماني الناس بالحَدَق، فقلت لجليسي: يا عبد الله، هل ذكر رسول اللهﷺ عن أمري شيئاً؟ قال: نعم، ذَكَرَكَ بأحسن الذِّكْر، فبَيْنا هو يخطب إذ عرض لك فقال: إنه سيدخل عليكم من هذا الباب - أو قال: مِنْ هذا الفَجِّ - مِن خير ذي يَمَن، وإنَّ علىٰ وجهه لَمَسْحة مُلْك[٢]. فحمدتُ الله علىٰ ما أبلاني.

وروى البزار والطبراني عن عبدالله بن حمزة، والطبراني عن البراء بن عازب قال: بَيْنا أنا يوماً عند رسول اللهﷺ في جماعة من أصحابه أكثرهم اليمن، إذ قال رسول اللهﷺ: سَيَطْلَعُ عليكم مِنْ هذه الثَّنِيّة[٣] خيرُ ذي يَمَن، علىٰ وجهه مَسْحة مُلْك. فما مِن القوم أحدٌ إلاّ تمنّىٰ أن يكون مِن أهل بيته، إذ طلع عليه راكب فانتهىٰ إلىٰ رسول اللهﷺ، فنزل عن راحلته فأتىٰ النبيﷺ، فأخذ بيده وبايعه، وقال: مَنْ أنت؟ قال: جرير بن عبدالله البَجَلي، فأَجْلَسَه إلىٰ جنبه ومسح بيده علىٰ رأسه ووجهه وصدره وبطنه، ثم انحنىٰ جرير حياء أن يُدخل يده تحت إزاره، وهو يدعو له بالبركة ولذريته، ثم مسح رأسه وظهره وهو يدعو له، ثم بسط له عرض ردائه وقال له: علىٰ هذا يا جرير فاقعد، فقعد معهم مَلِيّاً ثم قام وانصرف. وقال النبيﷺ: إذا أتاكم كريم قوم فأَكْرِموه.

وروى الطبراني برجال الصحيح عن جريرﷺ قال: أتيتُ رسول اللهﷺ فقلت: يا رسول الله، أُبايعك علىٰ الهجرة. فبايعني رسول اللهﷺ واشترط عليّ النُّصْح لكل مسلم، فبايعتُه علىٰ هذا.

قال ابن سعد: وكان نزول جرير بن عبدالله علىٰ فروة بن عمرو البياضي.

---

(١) البُرُد من برود اليمن، ولا يُسَمّىٰ حُلّة إلاّ أن يكون ثوبين مِن جنس واحد.

(٢) أي أَثَرٌ ظاهر منه.

(٣) وفي لفظ: مِنْ هذا الفَجِّ.

۞ قدوم وفد جَعْدة[١]:

قال ابن سعد في طبقاته: أخبرنا هشام بن محمد عن رجل من بني عَقِيل قال: وَفَدَ إلىٰ رسول الله ﷺ الرُّقاد بن عمرو بن ربيعة بن جَعْدة بن كعب[٢]، وأعطاه رسول الله ﷺ بالفَلَج[٣] ضَيْعةً، وكَتَبَ لهم كتاباً وهو عندهم.

۞ قدوم وفد جُعْفيّ:

قال ابن سعد رحمه الله تعالىٰ: أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه وعن أبي بكر بن قيس الجُعْفي قالا: كانت جُعْفيّ يُحَرِّمون القلب في الجاهلية، فوفد إلىٰ رسول الله ﷺ رجلان منهم: قيس بن سَلِمة بن شَراحِيل من بني مُرّان بن جُعْفي، وسَلِمة بن يزيد بن مَشْجَعة بن المُجَمِّع، وهما أخوان لأم، أمهما مُلَيْكة بنت الحُلْو بن مالك من بني حَرِيم[٤] بن جُعْفي، فأسلما. فقال لهما رسول الله ﷺ: بلغني أنكم لا تأكلون القلب، قالا: نعم، قال: فإنه لا يكمل إسلامكما إلاّ بأَكْلِهِ، ودعا لهما بقلب مشوي، ثم ناوله سَلِمة بن يزيد، فلمّا أَخَذَهُ أُرْعِدَتْ يده، فقال رسول الله ﷺ: كُلْه، فأكله.

وكتب رسول الله ﷺ لقيس بن سَلِمة كتاباً نسخته:

> كتاب مِن محمد رسول الله لقيس بن سَلِمة بن شَراحِيل: أنِ اسْتَعْمَلْتُك علىٰ مُرّان ومواليها، وحَرِيم ومواليها، والكُلاب ومواليها. مَنْ أقام الصلاة، وآتىٰ الزكاة، وصدّق ماله وصفّاه.

---

(١) ذكر ابن حزم في جمهرة أنساب العرب ص٣٧٢: بني جَعْدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، ومنهم النابغة الجَعْدي.

(٢) وفي نسخة: الرقاد بن ربيعة العقيلي.

(٣) قال صاحب معجم البكري ج٣ ص١٠٢٩: هو موضع لبني جَعْدة بن قيس بنجد.

(٤) كذا ضبطه ابن الأثير في أسد الغابة في ترجمته لسَلِمة بن يزيد بفتح الحاء وكسر الراء، وفي القاموس: حَرِيم كأمير، وهو ابن جُعْفِيّ بن سعد العشيرة، بطن من حضرموت.

ثم قالا: يا رسول الله، إنَّ أُمَّنا مُلَيْكة بنت الحلو كانت تَفُكُّ العاني، وتُطْعِم البائس، وتَرْحَم المسكين، وإنها ماتت وقد وَأَدَتْ بُنَيّة لها صغيرة، فما حالها؟ فقال رسول الله ﷺ: الوائدة والمَوْؤُودة في النار[1]. فقاما مُغْضَبَيْن، فقال: إليَّ فارْجِعا، فقال: أمي مع أمكما، فأَبَيا ومَضَيا وهما يقولان: واللهِ إنَّ رجلاً أَطْعَمَنا القلب وزعم أنَّ أمنا في النار لأَهْلٌ ألاّ يُتَّبَع، وذهبا. فلما كانا ببعض الطريق، لَقِيا رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ معه إبل من إبل الصدقة، فأوثقاه وطردا الإبل، فبلغ ذلك النبي ﷺ فلعنهما فيمَنْ كان يلعن في قوله: لَعَنَ الله رِعْلاً، وذَكْوان، وعُصِيّة، ولِحْيان، وبني مُليكة بن حَرِيم، ومُرّان.

وروى ابن سعد عن أشياخ قالوا: وَفَدَ أبو سَبْرة - وهو يزيد بن مالك بن عبدالله الجُعْفِي - علىٰ النبي ﷺ ومعه ابناه سَبْرة وعزيز، فقال رسول الله ﷺ لعزيز: ما اسمك؟ قال: عزيز، قال: لا عزيز إلاّ الله، أنت عبد الرحمن. فأسلموا، وقال أبو سَبْرة: يا رسول الله، إنَّ بظهر كفي سِلْعة قد مَنَعَتْني مِنْ خِطام راحلتي. فدعا له رسول الله ﷺ بقدح، فجعل يضرب به علىٰ السِّلْعة ويمسحها، فذهبتْ، فدعا له رسول الله ﷺ ولابْنَيْه. وقال له: يا رسول الله، أَقْطِعْني واديَ قومي باليمن. وكان يقال له: حُرْدان، ففعل.

---

(١) هذا بالوائدة فكيف بالمَوْءُودة؟ وهذا الحديث يتعارض مع ما جاء في سورة التكوير: ﴿ وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ ۞ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾. ولقد ذكر العلماء في تفسير هذا الحديث الذي سنده صحيح أقوالاً نذكر منها ما يلي:

١- قال ابن عبد البر في التمهيد: مُحْتَمَلٌ أن يكون خرج علىٰ جواب السائل في عين مقصودة، فكانت الإشارة إليها والله أعلم. وهذا أَوْلَىٰ ما حُمِلَ عليه هذا الحديث؛ لمعارضة الآثار له، وعلىٰ هذا يصح معناه والله المستعان.

٢- وقال أبو الطيب آبادي في عون المعبود: قال القاضي: كانت العرب في جاهليتهم يدفنون البنت حية، فالوائدة في النار لكفرها وفعلها، والموؤودة فيها لكفرها. وفي الحديث دليل علىٰ تعذيب أطفال المشركين. وقد تُؤَوَّل الوائدة بالقابلة لرضاها به، والموءودة بالموءودة لها وهي أم العربي، فحُذِفَت الصلة - كذا في المرقاة. وقال في السراج المنير ما مُحَصِّلُه: إن سبب هذا الحديث أن النبي ﷺ سُئِل عن امرأة وَأَدَتْ بنتاً لها، فقال: الوائدة والموءودة في النار، فلا يجوز الحكم علىٰ أطفال الكفار بأن يكونوا مِنْ أهل النار بهذا الحديث؛ لأن هذا واقعة عَيْن في شخص معين.

٣- وقال عبد الرؤوف المناوي في فيض القدير: الوَأْد دفن الولد حياً، والوائدة هي فاعلة ذلك. كان مِن دَيْدَنِهم أن المرأة إذا أَخَذَها الطَّلْق حُفِرَ لها حفرة عميقة فجلست عليها، والقابلة تحتها ترقب الولد، فإن انفصل ذكراً أمسكته، أو أنثىٰ أَلْقَتْها في الحفرة وأهالت عليها التراب، وكانت الجاهلية تفعله خوف إملاق أو عار. والموءودة قيل: أراد بها هنا المفعولة لها ذلك وهي أم العربي؛ لقوله: في النار، ولو أُريدَ البنت المدفونة لَما اتضح ذلك. وهذا أَوْلَىٰ مِن ادّعاء أنه وارد علىٰ سبب خاص وواقعة معينة لا يجوز إجراؤه في غيره؛ لأنه وإنْ وَرَدَ علىٰ ذلك لا ينجع في التخلص عن الإشكال. كما لا يخفىٰ علىٰ أهل الكمال أنّ الطيبي ردّه بأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ثم قيام الشواهد.

۞ قدوم وفد جُهَيْنة:

روى ابن سعد عن أبي عبد الرحمن المدني قال: لَمّا قدم النبيﷺ المدينة، وَفَدَ إليه عبد العزى بن بدر بن زيد بن معاوية الجُهَني مِن بني الرَّبَعة[1] بن زيدان بن قيس بن جهينة، ومعه أخوه لأمه أبو روعة وهو ابن عم له. فقال رسول اللهﷺ لعبد العزى: أنت عبدالله، ولأبي روعة: أنت رُعْتَ العدو إن شاء الله، وقال: مَنْ أنتم؟ قالوا: بنو غَيّان، قال: أنتم بنو رُشْدان، وقال لِجَبَلَيْ جهينة الأَشْعَر والأَجْرَد: هما مِن جبال الجنة لا تَطَؤُهما فتنة. وأعطىٰ اللواء يوم الفتح عبدَالله بن بدر، وخطّ لهم مسجدهم، وهو أول مسجد خُطّ بالمدينة.

وروى ابن سعد عن رجل من جهينة من بني دُهمان عن أبيه وقد صحب النبيﷺ قال: قال عمرو بن مُرّة الجُهَني: كان لنا صنم وكنا نُعَظِّمه، وكنت سادنه، فلما سمعت برسول اللهﷺ كَسَرْتُه وخرجتُ حتىٰ أَقْدَمَ المدينة علىٰ النبيﷺ، فأسلمتُ وشهدتُ شهادة الحق، وآمنتُ بما جاء به من حلال وحرام، فذلك حين أقول:

شَهِدْتُ بأنَّ الله حقٌّ وإنّني ... لآلِهةِ الأحجار أَوَّلُ تارِكِ
وشَمَّرْتُ عن ساقي الإزارَ مهاجراً ... إليكَ أَجُوبُ الوَعْثَ[2] بعد الدَّكادِكِ[3]
لأَصْحَبَ خير الناس نفساً ووالداً ... رسولَ مَلِيكِ الناسِ فوق الحَبائِكِ[4]

قال ابن سعد: ثم بعثه رسول اللهﷺ إلىٰ قومه يدعوهم إلىٰ الإسلام، فأجابوه إلاّ رجلاً واحداً ردّ عليه قوله، فدعا عليه عمرو بن مُرّة فسقط فُوه، فما كان يقدر علىٰ الكلام، وعَمِيَ واحتاج.

---

(١) بالتحريك، حي من الأُزْد.

(٢) في المصباح: هو الطريق الشاقُّ المَسْلَك، ويقال: رمل رقيق تَغِيب فيه الأقدام فهو شاق، ثم اسْتُعِيرَ لكل أَمْرٍ شاقٍّ مِنْ تعب وإثم وغير ذلك.

(٣) في القاموس: الدَّكْدَك والدَّكْداك مِنَ الرمل ما تَكَبَّسَ واسْتَوَى، أو أرض فيها غلظ، والجمع دكادك ودكاديك.

(٤) هي الطرق، واحدها حَبِيكة، والمراد بها السماء لأن فيها طرق النجوم.

وروى الطبراني برجال ثقات عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: جهينة مني وأنا منهم، غضبوا لغضبي ورضوا لرضاي، أَغْضَبُ لغضبهم، مَنْ أَغْضَبَهم فقد أَغْضَبَني، ومَنْ أَغْضَبَني فقد أَغْضَبَ الله.

۞ قدوم وفد جَيْشان[1]:

نقل ابن سعد عن عمرو بن شعيب قال: قدم أبو وَهْب الجَيْشاني على رسول الله ﷺ في نفر من قومه، فسألوه عن أشربة تكون باليمن. قال: فَسَمَّوْا له البِتْعة[2] من العسل، والمِزْر من الشعير؟ فقال رسول الله ﷺ: هل تَسْكَرُون منها؟ قالوا: إنْ أَكْثَرْنا سَكِرْنا، قال: فحرامٌ قليلُ ما أَسْكَرَ كثيرُه. وسألوه عن الرجل يتّخذ الشراب فيَسْقِيه عُمّالَه؟ فقال رسول الله ﷺ: كلُّ مُسْكِرٍ حرام.

ح

۞ قدوم وفد الحارث بن حسّان:

روى الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجة عن الحارث بن حسان البكري قال: خرجتُ أشكو العلاء الحضرمي إلى رسول الله ﷺ، فمَرَرْتُ بالرَّبَذة، فإذا عجوز مِن بني تميم مُنْقَطَعٌ بها، فقالت: يا عبد الله، إنَّ لي إلى رسول الله ﷺ حاجة، فهل أنت مُبْلِغِي إليه؟ قال: فحملتُها فأَتَيْتُ المدينة، فإذا المسجد غاصٌّ بأهله، وإذا راية سوداء تخفق، وبلال مُتَقَلِّد السيف بين يَدَيْ رسول الله ﷺ، فقلت: ما شأن الناس؟ قالوا: يريد أن يبعث عمرو بن العاص وجهاً، فجلستُ فدخل منزله، فاستأذنتُ عليه فأَذِنَ لي، فدخلتُ فسلّمتُ، فقال:

---

(١) هو مِخْلاف باليمن.

(٢) هو نبيذ التمر، ولا خلاف حيث يكون من العسل ومن التمر، وهو خمر أهل اليمن.

هل كان بينكم وبين تميم شيء؟ قلت: نعم، وكانت الدائرة عليهم، ومَرَرْتُ بعجوز من بني تميم مُنْقَطَعٌ بها، فسألتني أن أحملها إليك، وها هي بالباب. فأَذِنَ لها فدخلتْ، فقلت: يا رسول الله، إنْ رأيتَ أن تجعل بيننا وبين تميم حاجزاً فاجعل الدَّهْناء، فحَمِيَت العجوز واسْتَوْفَزَت وقالت: يا رسول الله، فإلىٰ أين يضطر مُضطرك؟ قال: قلتُ: إنَّ مِثْلي ما قال الأول: (مِعْزَى حَمَلَتْ حَتْفَها)، حملتُ هذه ولا أشعر أنها كانت لي خصماً، أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوافد عاد. قالﷺ: وما وافد عاد؟ وهو أعلم بالحديث منه ولكن يستطعمه. قلت: إنَّ عاداً قحطوا فبعثوا وافداً لهم، فمرّ بمعاوية بن بكر فأقام عنده شهراً يسقيه الخمر، وتُغنيه جاريتان يقال لهما: الجرادتان، فلما مضىٰ الشهر خرج إلىٰ جبال مَهْرة فقال: اللهم إنك تعلم لم أَجِئ إلىٰ مريض فأُداويه، ولا إلىٰ أَسِير فأُفاديه، اللهم اسْقِ عاداً ما كنتَ تَسْقِيه. فمَرَّتْ به سحابات سود، فنودي منها: اخْتَرْ، فأَوْمَأَ إلىٰ سحابة منها سوداء، فنودي منها: خُذْها رماداً رَمْدَداً، لا تُبقِي من عاد أحداً. قال: فما بلغني أنه أرسل عليهم من الريح إلاّ بقدر ما يجري في خاتمي هذا حتىٰ هلكوا.

قال أبو وائل: وكانت المرأة أو الرجل إذا بعثوا وافداً لهم قالوا: لا يكن كوافد عاد.

❁ قدوم وفد بني الحارث بن كعب:

قال ابن إسحاق رحمه الله تعالىٰ: إن خالد بن الوليدرضي الله عنه لَمّا انقاد له بنو الحارث بن كعب بنجران، كَتَبَ بذلك كتاباً إلىٰ رسول اللهﷺ، فكتب إليه رسول اللهﷺ أن يُقْبِلَ ويُقبل معه وفدهم[1]. فأقبل وأقبل معه قيس بن الحصين ذي الغُصّة، ويزيد بن عبد المَدان، ويزيد بن المُحَجَّل، وعبدالله بن قُراد الزِّيادي، وشدّاد بن عبدالله القَناني، وعمرو بن عبدالله الضِّبابي.

فلما قدموا علىٰ رسول اللهﷺ فرآهم قال: مَنْ هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند؟ قيل: يا رسول الله، هؤلاء رجال بني الحارث بن كعب. فلما وقفوا علىٰ رسول اللهﷺ

(١) لقد تقدم خبر ذلك في ذكر السرايا ص٢٨٨، فارجع إليه إن شئت.

سلّموا عليه وقالوا: نشهد أنك رسول الله وأنه لا إله إلاّ الله، قال رسول الله ﷺ: وأنا أشهد أن لا إله إلاّ الله وأني رسول الله، ثم قال رسول الله ﷺ: أنتم الذين إذا زُجِرُوا استقدموا؟ فسكتوا فلم يُراجِعْه منهم أحد، ثم أعادها الثانية فلم يُراجِعْهُ منهم أحد، ثم أعادها الثالثة فلم يراجعه منهم أحد، ثم أعادها الرابعة فقال يزيد بن عبد المَدان: نعم يا رسول الله، نحن الذين إذا زُجِروا استقدموا - قالها أربع مرار -. فقال رسول الله ﷺ: لو أنَّ خالداً لم يكتب إليّ أنكم أسلمتم ولم تُقاتِلوا لألقيت رؤوسكم تحت أقدامكم، فقال يزيد بن عبد المَدان: أما والله ما حمدناك ولا حمدنا خالداً، قال: فمن حمدتم؟ قالوا: حمدنا الله عز وجل الذي هدانا بك يا رسول الله، قال: صدقتم. ثم قال رسول الله ﷺ: بِمَ كنتم تغلبون مَن قاتلكم في الجاهلية؟ قالوا: لم نكن نغلب أحداً، قال: بلىٰ قد كنتم تغلبون مَنْ قاتلكم، قالوا: كنا نجتمع ولا نفترق، ولا نبدأ أحداً بظلم. قال: صدقتم.

وأَمَّرَ رسول الله ﷺ علىٰ بني الحارث بن كعب قيسَ بن الحصين، فرجعوا إلىٰ قومهم في بقية من شوال، أو في صدر ذي القعدة، فلم يمكثوا بعد أن رجعوا إلىٰ قومهم إلاّ أربعة أشهر حتىٰ توفي رسول الله ﷺ.

وقد كان رسول الله ﷺ قد بعث إليهم بعد أن وَلَّىٰ وفدُهم عمرَو بن حزم لِيُفَقِّهَهم في الدِّين، ويُعَلِّمهم السنة ومعالم الإسلام، ويأخذ منهم صدقاتهم. وكتب له كتاباً عهد إليه فيه عهده، وأَمَرَه فيه بأَمْرِه[1].

۞ قدوم وفد الحَجّاج بن عِلاط السُّلَمي وما وقع فيه من الآيات:

روى ابن أبي الدنيا في الهواتف وابن عساكر عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: سبب إسلام الحَجّاج بن عِلاط أنه خرج في ركب من قومه إلىٰ مكة، فلما جنّ عليه الليل وهو في وادٍ مُوحِش مَخُوفٍ، فقال له أصحابه: قُم يا أبا كلاب فخذ لنفسك ولأصحابك أماناً،

(١) نسخة هذا الكتاب أوردها ابن هشام في السيرة النبوية ج٤ ص٢٤١، فمن أراد فليرجع إليها.

فقام الحَجّاج بن عِلاط يطوف حولهم يَكْلَؤُهم ويقول: أُعيذ نفسي وأُعيذ أصحابي مِنْ كل جِنّي بهذا النَّقْب حتىٰ أَؤوب سالماً ورَكْبي، فسمع قائلاً يقول: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الرحمن].

فلما قدم مكة أَخْبَرَ بذلك قريشاً، فقالوا: صَبَأْتَ والله يا أبا كلاب، إنَّ هذا فيما يزعم محمد أنه أُنْزِلَ عليه. فقال: واللهِ لقد سمعته وسَمِعَه هؤلاء معي، فسأل عن النبيﷺ فقيل له: بالمدينة، فأتاه فأسلم[1].

۞ قدوم وفد حَضْرَمَوْت:

قال ابن سعد: قالوا: وقدم وفد حضرموت مع وفد كِنْدة علىٰ رسول اللهﷺ، وهم بنو وَليعة ملوك حضرموت: جَمَد، ومِخْوَس، ومِشْرَح، وأَبْضَعة. فأَسْلَموا، وقال مِخْوَس: يا رسول الله، ادْعُ الله أن يُذهب عني هذه الرُّتَّة مِن لساني، فدعا له وأَطْعَمَه طُعْمَةً مِن صدقة حضرموت.

وروى ابن سعد عن أبي عبيدة مِن ولد عمار بن ياسر قال: وَفَدَ مِخْوَس بن مَعْدِي كَرِب بن وَليعة فيمَنْ معه علىٰ النبيﷺ، ثم خرجوا من عنده فأصابتْ مِخْوَس اللَّقْوَة، فرجع منهم نفر فقالوا: يا رسول الله، سيد العرب ضربته اللَّقْوة، فدُلَّنا علىٰ دوائه. فقال رسول اللهﷺ: خذوا مِخْيَطاً فأَحْمُوه في النار، ثم اقْلِبوا شَفْرَ عينه، ففيها شفاؤه وإليها مصيره، فالله أعلم ما قلتم حين خرجتم من عندي. فصنعوه به فبَرَأَ.

وروى ابن سعد عن عمرو بن مهاجر الكِنْدي قال: كانت امرأة من حضرموت ثم مِن تَنْعَة يقال لها: تَهْناة بنت كُلَيْب، صنعتْ لرسول اللهﷺ كسوة ثم دعت ابنها كُلَيْب بن أسد بن كُلَيْب فقالت: انطلق بهذه الكسوة إلىٰ النبيﷺ، فأتاه بها وأسلم، فدعا له.

وقال كُلَيْب حين أتىٰ رسول اللهﷺ:

---

(١) انظر قصة إسلام الحجاج وكيف استردّ أمواله من قريش ص٤١.

مِن وَشْزٍ[١] بَرْهوت[٢] تهوي بي عُذَافِرَةُ[٣] إليكَ يا خير مَنْ يَحْفَىٰ ويَنْتَعِلُ
تَجُوبُ بي صَفْصَفاً[٤] غُبْراً مَناهِلُهُ تَزْدادُ عَفْواً إذا ما كَلَّتِ الإبلُ
شهرين أَعْمَلُها نَصّاً[٥] علىٰ وَجَلٍ أرجو بذاك ثوابَ الله يا رَجُلُ
أنت النبيُّ الذي كُنّا نُخَبَّرُهُ وبَشَّرَتْنا به التوراةُ والرُّسُلُ

❁ قدوم وفد الحَكَم بن حَزْن الكُلْفِيّ[٦]:

روى الإمام أحمد وأبو داود والبيهقي وأبو نعيم واللفظ له عن الحَكَم بن حَزْن رضي الله عنه قال: قدمنا علىٰ رسول الله ﷺ سابع سبعة أو تاسع تسعة، فأَذِنَ لنا فدخلنا، فقلنا: يا رسول الله، أتيناك لتدعو لنا بخير. فدعا لنا بخير، وأَمَرَ بنا فأنزلنا، وأَمَرَ لنا بشيء من تمر، والشأنُ إذ ذاك دون. فلبثنا بها أياماً، فشهدنا بها الجمعة مع رسول الله ﷺ، فقام مُتَوَكِّئاً علىٰ قوس أو عصا، فحمد الله وأثنىٰ عليه كلمات خفيفات طَيِّبات مباركات، ثم قال: يا أيها الناس، إنكم لن تُطِيقوا أن تفعلوا كلَّ ما أُمِرْتُم به، ولكن سَدِّدوا وأَبْشِروا.

---

(١) في القاموس: الوَشْز ويُحَرَّك: النشز والشدة في العيش.

(٢) هو وادٍ أو بئر في حضرموت.

(٣) العُذافر كعُلابط، وهو الشديد من الإبل.

(٤) الصَّفْصَف: المستوي من الأرض.

(٥) نَصَّ ناقتَه: استخرج أقصىٰ ما عندها من السَّيْر.

(٦) جاء في ترجمة الحَكَم بن حَزْن في أسد الغابة ج٢ ص٣١-٣٢: وكُلْفة مِن بني تميم، وهو كُلْفة بن حنظلة بن مالك بن زيد بن مناة بن تميم، وقيل: هو مِن كُلْفة بن عوف بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن.

۞ قدوم وفد حِمْيَر[١] ورسولهم على رسول الله ﷺ:

قال الإمام الهمداني في الأنساب: كتب رسول الله ﷺ إلى الحارث بن عبد كُلال[٢] بن غرب وأخيه نُعَيم، وأَمَرَ رسولَه أن يقرأ عليهما: ﴿ لَمْ يَكُنِ ﴾[٣]. ووَفَدَ عليه الحارث فأسلم، فاعتنقه وأَفْرَشَه رداءه[٤]، وقال قبل أن يدخل عليه: يدخل عليكم مِن هذا الفَجِّ رجل كريم الجَدَّيْن، صبيح الخَدَّيْن.

قال الحافظ ابن حجر في الإصابة: والذي تضافرت[٥] به الروايات أنه أَرسل بإسلامه وأقام باليمن.

وروى ابن سعد عن رجل من حِمْيَر أَدْرَكَ رسول الله ﷺ ووَفَدَ عليه قال: قدم على رسول الله ﷺ مالك بن مُرارة[٦] الرَّهاويّ، رسولُ ملوك حِمْيَر بكتابهم وإسلامهم، وهم: الحارث بن عبد كُلال، ونُعَيْم بن عبد كُلال، والنعمان قَيْلُ ذي رُعَيْن[٧] ومَعافِر[٨] وهَمْدان. وذلك في شهر رمضان سنة تسع.

---

(١) هو أبو قبيلة من اليمن، وهو حِمْيَر بن سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان، ومنهم الملوك في الدهر الأول، واسم حِمْيَر العرْنَجج.

(٢) في الإصابة ١٤٣٧: هو الحارث بن عبد كُلال بن نصر بن سهل بن غريب بن عبد كلال بن عبيد بن فهد بن زيد الحميري أحد أفيال اليمن.

(٣) أي سورة البَيِّنة - راجع ص٣٢٢ باب إرساله ﷺ رسله إلى الملوك.

(٤) أي بسطه له.

(٥) لفظ الإصابة: تظافرت.

(٦) ورد في ابن هشام وتاريخ الطبري ووقع عند أبي عمر: مالك بن مُرّة الرَّهاوي، ولكن في تاريخ اليعقوبي وطبقات ابن سعد وكذلك جاء في ترجمته في أسد الغابة ج٤ ص٢٩٣: مالك بن مُرارة الرَّهاوي، وقيل: ابن فزارة، والصحيح مُرارة.

(٧) القَيْل واحد الأقيال، وهو أحد ملوك اليمن دون الملك الأعظم. وذو رُعَيْن: قبيلة من اليمن تُنْسَب إلى ذي رُعَيْن، وهو مِن ذي اليمن وملوكها. قال في الصحاح: وذو رُعَيْن ملك من ملوك حِمْيَر، ورُعَيْن حصن كان له، وهو من ولد الحارث بن عمرو بن حمير بن سبأ. ورُعَيْن تصغير رَعْن أنف الجبل، والجمع الرّعون والرّعان.

(٨) هو حي من اليمن.

وقال ابن إسحاق: مَقْدَم رسول الله ﷺ من تبوك.

فأمر رسول الله ﷺ بلالاً أن يُنْزِلَه ويُكْرِمَه ويُضَيِّفَه، وكَتَبَ إليهم رسول الله ﷺ[١]:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله النبي إلىٰ الحارث بن عبد كُلال، وإلىٰ نُعَيْم بن عبد كُلال، وإلىٰ النعمان قَيْلِ ذي رُعَيْن ومَعافِر وهَمْدان:

أما بعد ذلكم، فإني أَحْمَدُ إليكم الله الذي لا إله إلاّ هو.

أما بعد، فإنه قد وقع بنا رسولُكم مُنْقَلَبَنا مِن أرض الروم، فلَقِيَنا بالمدينة فبَلَّغَ ما أَرْسَلْتُم به، وخَبَّرَ عَمّا قِبَلَكم، وأَنْبَأَنا بإسلامكم وقَتْلِكم المشركين، فإن الله تبارك وتعالىٰ قد هداكم بهُداه إنْ أصلحتم وأَطَعْتُم الله ورسوله، وأقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة، وأعطيتم من المَغْنَم خُمْسَ الله، وخُمْسَ نَبِيِّه وصَفِيِّه، وما كُتِبَ علىٰ المؤمنين من الصدقة: (مِن العَقار عُشْر ما سَقَت العين وسَقَت السماء، وعلىٰ ما سقىٰ الغَرْب[٢] نصف العُشر، وإنَّ في الإبل الأربعين ابنةَ لَبون[٣]، وفي ثلاثين من الإبل ابن لبون ذكر، وفي كل خمس من الإبل شاةٌ، وفي كل عَشْر من الإبل شاتان، وفي كل أربعين من البقر بقرةٌ، وفي كل ثلاثين من البقر تَبيع جَذَع أو جَذَعة[٤]، وفي كل أربعين من

---

(١) هي مجموعة كتب وردت مجتمعة كأنها كتاب واحد في سيرة ابن هشام ج٤ ص٢٣٥-٢٣٧، وتاريخ الطبري ج٣ ص١٥٣-١٥٤، وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٦٤-٦٥. ونقله عن هؤلاء حميد الله في مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي رقم ١٠٩، ووردت مقتطفات من هذه الكتب في كتاب الأموال لأبي عبيد تحت أرقام ٥٣/٥٤/٦٥/٦٦/٦٨.

(٢) في النهاية: الغَرْب: الدلو العظيمة.

(٣) هو من الإبل ما أتىٰ عليه سنتان ودخل في الثالثة فصارت أمه لَبوناً، أي ذات لبن.

(٤) التَّبيع: هو ولد البقرة أوّل سنة. والجَذَع من أسنان الدواب ما كان منها شاباً فتياً. قال في النهاية: الجَذَع من الإبل ما دخل في السنة الخامسة، ومن البقر والغنم ما دخل في السنة الثانية، وقيل: البقر في الثالثة، ومن الضأن ما تَمَّتْ له سنة وقيل: أقل منها.

الغنم سائمةً وَحْدَها[١] شاةٌ). وإنها فريضة الله التي فرض علىٰ المؤمنين في الصدقة، فمَنْ زاد خيراً فهو خير له.

ومَنْ أدّى ذلك وأَشْهَدَ علىٰ إسلامه، وظاهر المؤمنين علىٰ المشركين، فإنه من المؤمنين، له ما لهم وعليه ما عليهم، وله ذمة الله وذمة رسوله. وإنه مَنْ أسلم مِن يهودي أو نصراني فإنه من المؤمنين، له ما لهم وعليه ما عليهم، ومَنْ كان علىٰ يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يُرَدُّ عنها[٢] وعليه الجزية، علىٰ كل حالِمٍ ذكرٍ أو أنثىٰ، حُرٍّ أو عَبْدٍ، دينارٌ وافٍ مِن قيمة المَعافِر[٣] أو عِوَضه ثياباً، فمَنْ أَدّى ذلك إلىٰ رسول الله ﷺ فإن له ذمة الله وذمة رسوله، ومَنْ منعه فإنه عدو لله ولرسوله.

أما بعد، فإن رسول الله محمداً أَرْسَلَ إلىٰ زُرْعة ذي يَزَن[٤] أنْ إذا أتاكم رُسُلي فأُوصِيكم بهم خيراً: معاذ بن جبل، وعبدالله بن زيد، ومالك بن عبادة، وعقبة بن نَمِر، ومالك بن مُرارة، وأصحابهم. وأن اجْمَعوا ما عندكم من الصدقة والجزية مِنْ مَخاليفكم وأَبْلِغوها رُسُلي، وإنَّ أميرهم معاذ بن جبل، فلا يَنْقَلِبَنَّ إلاّ راضياً.

أما بعد، فإن محمداً يشهد أن لا إله إلاّ الله وأنه عبده ورسوله، ثم إنَّ مالك بن مُرارة الرَّهاويّ قد حدّثني أنك أسلمتَ مِنْ أول حِمْيَر، وقَتَلْتَ المشركين، فأَبْشِر بخير، وآمُرُكَ بحِمْيَر خيراً. ولا تخونوا ولا تُخاذِلوا،

---

(١) أي راعيةً وَحْدَها.

(٢) في تاريخ الطبري ج٣ ص١٥٣: فإنه لا يُفْتَن عنها.

(٣) هي برود باليمن منسوبة إلىٰ قبيلة مَعافِر.

(٤) يزن مُحَرَّكة: هو واد وبطن من حِمْير، وذو يزن ملك لحمير لأنه حمىٰ ذلك الوادي. ووقع عند أبي عمر: زُرْعة بن ذي يزن، وصوّب الأمين إسقاط ابن، وأثبتها أبو عبيد في كتاب الأموال ولفظه: هو عندنا زُرْعة بن ذي يزن.

فإنَّ رسول الله ﷺ هو مَوْلىٰ غنيكم وفقيركم، وإن الصدقة لا تَحِلُّ لمحمد ولا لأهل بيته، إنما هي زكاة يُزَكّىٰ بها علىٰ فقراء المسلمين وابن السبيل. وإنّ مالكاً قد بلّغ الخبر وحفظ الغيب، وآمركم به خيراً. وإني قد أرسلتُ إليكم مِنْ صالحي أهلي، وأُولِي دينهم وأُولِي عِلْمِهم، وآمركم بهم خيراً، فإنهم مَنْظورٌ إليهم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدالله بن أبي بكر أنه حُدِّث أن رسول الله ﷺ حين بعث معاذاً، أَوْصاه وعهد إليه ثم قال له: يَسِّر ولا تُعَسِّر، وبَشِّر ولا تُنَفِّر، وإنك ستقدم علىٰ قوم من أهل الكتاب يسألونك: ما مفتاح الجنة؟ فقل: شهادة أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له.

قال: فخرج معاذ حتىٰ إذا قدم اليمن، قام بما أمره به رسول الله ﷺ، فَأَتَتْه امرأة من أهل اليمن فقالت: يا صاحب رسول الله، ما حق زوج المرأة عليها؟ قال: ويحك، إن المرأة لا تقدر علىٰ أن تؤدي حق زوجها، فأَجْهِدي نفسك في أداء حقه ما استطعتِ. قالت: والله لئن كنتَ صاحب رسول الله ﷺ إنك لَتَعْلَمُ ما حق الزوج علىٰ المرأة، قال: ويحك، لو رجعتِ إليه فوَجَدْتِه تَنْثَعِب[1] مَنْخِراه قيحاً ودماً فمَصَصْتِ ذلك حتىٰ تُذْهِبِيه ما أَدَّيْتِ حَقَّه.

❁ قدوم وفد بني حنيفة[2] ومعهم مُسَيْلمة الكذاب إلىٰ رسول الله ﷺ:

قال في زاد المعاد: قال ابن إسحاق: قدم علىٰ رسول الله ﷺ وفد بني حنيفة فيهم مُسَيْلمة بن حبيب[3] الكذاب، وكان مُنْزَلُهُم في دار امرأة من الأنصار من بني النجار[4]. فأَتَوْا

---

(١) بمعنىٰ تسيل.

(٢) حنيفة: أبو حي من اليمن، وهو حنيفة بن لُجَيم بن صعب بن بكر علىٰ ابن بكر بن وائل.

(٣) قال ابن هشام: مُسَيْلمة بن ثُمامة، ويُكَنّىٰ أبا ثُمامة.

(٤) هي رَمْلة بنت الحَدَث، وكان بيتها في بني قريظة.

بمسيلمة إلىٰ رسول الله ﷺ يُسْتَر بالثياب، ورسول الله ﷺ جالس مع أصحابه في يده عَسِيب مِن سعف النخل. فلما انتهىٰ إلىٰ رسول الله ﷺ وهم يسترونه بالثياب، كلّمه وسأله، فقال له رسول الله ﷺ: لو سألتَني هذا العَسِيب الذي في يدي ما أَعْطَيْتُكَه.

قال ابن إسحاق: فقال لي شيخ من أهل اليمامة من بني حنيفة: إنَّ حديثه كان علىٰ غير هذا، زعم أنّ وَفْد بني حنيفة أَتَوْا رسول الله ﷺ وخلّفوا مسيلمة في رحالهم، فلما أسلموا ذكروا له مكانه فقالوا: يا رسول الله، إنا قد خلّفنا صاحباً لنا في رِحالنا ورِكابنا يَحْفَظُها لنا، فأَمَرَ له رسول الله ﷺ بِمِثْلِ ما أَمَرَ للقوم وقال: أَمَا إنه ليس بِشَرِّكُم مكاناً. يعني حِفْظَه ضَيْعة[1] أصحابه، وذلك الذي يريد رسول الله ﷺ.

قال: ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ وجاءوه بالذي أَعْطاه، فلما قدموا اليمامة ارتدّ عدو الله وتَنَبَّأ وقال: إني قد أُشْرِكْتُ في الأمر معه، أَلَمْ يَقُلْ لكم حين ذَكَرْتُموني له: أَمَا إنه ليس بِشَرِّكم مكاناً؟ وما ذاك إلاّ لِما كان يعلم أني قد أُشْرِكْتُ في الأمر معه. ثم جعل يسجع لهم الأساجيع، فيقول لهم فيما يقول مضاهاةً للقرآن: (لقد أَنْعَمَ اللهُ علىٰ الحُبْلىٰ، أَخْرَجَ منها نَسَمة تَسْعىٰ، مِنْ بين صِفاق وحَشىٰ). ووضع عنهم الصلاة، وأَحَلَّ لهم الخمر والزنا، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله ﷺ أنه نبي. فأَصْفَقَتْ معه بنو حنيفة علىٰ ذلك[2].

قال ابن إسحاق: وقد كان كتب لرسول الله ﷺ:

> مِنْ مسيلمة رسول الله إلىٰ محمد رسول الله:
> أما بعد، فإني قد أُشْرِكْتُ في الأمر معك، وإنَّ لنا نصف الأمر، وليس قريشٌ قوماً يَعْدِلون.

فقدم عليه رسولُه بهذا الكتاب، فكتب إليه رسول الله ﷺ:

---

(١) المراد بها هنا ظَهْرهم وحوائجهم.

(٢) أي أَجْمَعوا عليه.

بسم الله الرحمن الرحيم

مِن محمد رسول الله إلىٰ مسيلمة الكذاب:

سلامٌ علىٰ مَن اتَّبَعَ الهُدى، أمّا بعد، فإن الأرض لله يورثها مَنْ يشاء مِنْ عباده، والعاقبة للمتقين[1].

وكان ذلك في آخر سنة عشر.

قال ابن إسحاق: حدّثني سعد بن طارق عن سَلَمة بن نُعيم بن مسعود عن أبيه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ حين جاءه رسولا مسيلمة الكذاب بكتابه يقول لهما: وأنتما تقولان بِمِثْل ما يقول؟ قالا: نعم، فقال: أمَا والله لولا أنَّ الرُّسُل لا تُقتل لَضَرَبْتُ أعناقكما.

وروى أبو داود الطيالسي في مسنده عن عاصم عن أبي وائل عن عبدالله بن مسعود قال: جاء ابن النَّوّاحة وابن أُثال رسولَيْن لمسيلمة إلىٰ رسول الله ﷺ، فقال لهما: تشهدان أني رسول الله؟ فقالا: نشهد أن مسيلمة رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: آمنتُ بالله ورُسُله، ولو كنتُ قاتلاً رسولاً لَقَتَلْتُكما. قال عبدالله بن مسعود: فمَضَتِ السُّنّة بأنَّ الرُّسُل لا تُقْتَل[2].

---

(١) انظر نصاً آخر لهذا الكتاب في طبقات ابن سعد ج٢ ص٣٧-٣٨.

(٢) زاد في الطيالسي: فأمّا ابن أُثال فكفاناه الله، وأما ابن النَّوّاحة فلم يزل في نفسي حتىٰ أَمْكَنَني الله منه.

وفي صحيح البخاري عن أبي رجاء العطاردي قال: لَمّا بُعِثَ النبيﷺ فسمعنا به، لَحِقْنا بمسيلمة الكذاب فلحقنا بالنار، وكنا نعبد الحجر في الجاهلية، فإذا وجدنا حجراً هو أحسن منه أَلْقَيْنا ذلك وأخذناه، فإذا لم نجد حجراً جَمَعْنا حَثْيَةً من تراب، ثم جئنا بغنم فحلبناها عليه ثم طُفْنا به. وكنا إذا دخل رجب قلنا: جاء مُنَصِّل الأَسِنّة، فلا نَدَعُ سهماً فيه حديدة ولا حديدة في رمح إلاّ نزعناها وألقيناها.

وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم مسيلمة الكذاب علىٰ عهد رسول اللهﷺ، فجعل يقول: إنْ جعل لي محمد الأمر مِنْ بعده تَبِعْتُه، وقَدِمَها في بَشَرٍ كثيرٍ مِن قومه. فأقبل إليه رسول اللهﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شمّاس، وفي يد النبيﷺ قطعة جريد حتىٰ وقف علىٰ مسيلمة في أصحابه، فقال: لو سَأَلْتَني هذه القطعة ما أَعْطَيْتُكَها، ولن تَعْدو أَمْرَ الله فيك، ولئن أَدْبَرْتَ لَيَعْقِرَنَّك الله، وإني لأراك الذي أُرِيتُ فيه ما رَأَيْتُ، وهذا ثابت بن قيس يجيبك عني. ثم انصرف عنه.

قال ابن عباس: فسألت عن قول النبيﷺ: (وإني لأراك الذي أُرِيتُ فيه ما رَأَيْتُ)، فأخبرني أبو هريرةرضي الله عنه أن رسول اللهﷺ قال: بَيْنا أنا نائم رأيتُ في يَدَيَّ سِوارَيْن مِن ذهب، فأَهَمَّني شأنُهما، فأُوحِيَ إليَّ في المنام أنِ انْفُخْهُما، فنَفَخْتُهما فطارا، فأَوَّلْتُهُما كَذّابَيْن يخرجان بعدي: أحدهما العَنْسِيّ - صاحب صنعاء -، والآخر مسيلمة - صاحب اليمامة -.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرةرضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ: بَيْنا أنا نائم أُتِيتُ بخزائن الأرض، فوُضِعَ في كَفَّيَّ سواران من ذهب فكَبُرا عليَّ، فأُوحِيَ إليَّ أنِ انْفُخْهُما، فنفختُهما فذهبا، فأَوَّلْتُهما الكَذّابَيْن اللَّذَين أنا بينهما: صاحب صنعاء، وصاحب اليمامة.

خ

۞ قدوم وفد خَثْعَم إلىٰ رسول اللهﷺ:

قالوا: وَفَدَ عَثْعَث بن زَحْر، وأنس بن مُدْرك في رجال مِن خَثْعَم إلىٰ رسول اللهﷺ

بعد ما هدم جرير بن عبدالله البَجَلي ذا الخَلَصة، وقَتَل مَنْ قَتَل مِنْ خَثْعَم، فقالوا: آمنّا بالله ورسوله وما جاء به من عند الله، فاكتب لنا كتاباً نتّبع ما فيه.

قالوا: وكتب رسول الله ﷺ لخَثْعَم:

> هذا كتاب من محمد رسول الله لخَثْعَم مِن حاضِرِ بِيشةَ وبادِيَتِها أنَّ كل دمٍ أَصَبْتُمُوه في الجاهلية فهو عنكم موضوع، ومَنْ أسلم منكم طوعاً أو كَرْهاً في يده حَرْثٌ مِن خَبار[١] أو عَزاز[٢]، تَسْقِيه السماءُ أو يَرْوِيه اللَّثَىٰ[٣]، فزكا عِمارةً في غير أَزْمة[٤] ولا حطْمة[٥]، فله نَشْرُه وأكله، وعليهم في كُلِّ سَيْحٍ[٦] العُشْر، وفي كل غَرْب نصف العُشْر. شهد جرير بن عبدالله ومَنْ حضر.

❁ قدوم وفد خُشَيْن إلىٰ رسول الله ﷺ:

روى ابن سعد عن محمد بن عمر قال: أَخْبَرَنا عبد الرحمن بن صالح عن مِحْجَن بن وهب قال: قدم أبو ثعلبة الخُشَني[٧] علىٰ رسول الله ﷺ وهو يَتَجَهَّز إلىٰ خيبر، فأسلم وخرج معه فشهد خيبر، ثم قدم بعد ذلك سبعة نفر من خُشَيْن، فنزلوا علىٰ أبي ثعلبة فأسلموا وبايعوا، ورجعوا إلىٰ قومهم.

---

(١) في القاموس: الخَبار ما لان من الأرض واسترخىٰ.

(٢) في النهاية: العَزاز ما صلب من الأرض واشتدّ وخشن، وإنما يكون في أطرافها.

(٣) في القاموس: اللَّثَىٰ: الندى وشِبْهُه.

(٤) في النهاية: الأَزْمة: السنة المُجْدِبة.

(٥) في النهاية: الحَطْمة: السنة الشديدة الجدب.

(٦) في النهاية: السَّيْح: الماء الجاري.

(٧) قال ابن الأثير في ترجمته في أسد الغابة ج٥ ص١٥٤-١٥٥: اخْتُلِف في اسمه واسم أبيه اختلافاً كثيراً، فقيل: اسمه جرهم، وقيل: جرثوم بن ناشب، وقيل: ابن ناشم، وقيل: عمرو بن جرثوم. غَلَبَتْ عليه كُنيته، وكان مِمَّنْ بايع تحت الشجرة، وهو منسوب إلىٰ بني خُشَيْن، ولم يختلفوا في صحبته ولا في نسبته إلىٰ بني خُشَيْن - انظر أيضاً ترجمته في الإصابة ١٧٦.

۞ قدوم خُفاف بن نَضْلة:

روى أبو سعد النيسابوري في شرف المصطفىٰ والبيهقي في دلائل النبوة عن ذابِل بن الطفيل بن عمرو الدَّوْسي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قعد في مسجده مُنْصَرَفه من الأباطح، فقدم عليه خُفاف بن نَضْلة بن عمرو بن بهْدَلة الثقفي، فأنشد رسول الله ﷺ:

كم قد تَحَطَّمَت القَلُوصُ[١] بِيَ الدُّجَىٰ[٢] ... في مَهْمَهٍ[٣] قَفْرٍ مِنَ الفَلَواتِ[٤]
فِلٍّ[٥] من التَّوْرِيسِ[٦] ليس بقاعِهِ[٧] ... نَبْتٌ من الإسْناتِ[٨] والأَزَماتِ
إنّي أَتاني في المنام مُساعِدٌ ... مِنْ جِنِّ وَجْرَةَ[٩] كان لي ومُواتِ[١٠]
يَدْعو إليكَ لَيالِياً ولَيالِياً ... ثُم احْزَأَلَّ[١١] وقال لستُ بآتِ
فرَكِبْتُ ناجيةً[١٢] أَضَرَّ بِنَيِّها[١٣] ... جَمْزٌ[١٤] تَجَبُّ[١٥] بِهِ علىٰ الأَكَماتِ[١٦]

---

(١) تَحَطَّمَتْ أي تَكَسَّرَتْ. والقَلوص من النوق الشابة، وهي بمنزلة الجارية من النساء.

(٢) مِنْ دجا الليل إذا تَمَّتْ ظُلْمَتُه، والدَّياجي: الليالي المظلمة، والدُّجْنة: الظلمة.

(٣) المَهْمَه: المَفازة والبريّة.

(٤) جمع فلاة، وهي أرض لا ماء فيها.

(٥) في القاموس: الفِلّ بفتح الفاء وكسرها: الأرض الجدبة أو التي تُمْطَرُ ولا تُنْبِت.

(٦) مِنْ وَرَّس الثوبَ بالوَرْس، أي صَبَغَه به.

(٧) القاع: المستوي من الأرض.

(٨) مِنْ أَسْنَتُوا، أي أَجْدَبوا.

(٩) في معجم البكري: وَجْرَة هي فلاة بين قران وذات عرق، يجتمع بها الوحش ولا ماء فيها.

(١٠) المُواتي: الموافق المطاوع، ولفظ ابن الأثير: (مِنْ جِنِّ وَجْرَةَ في الأمور محوات).

(١١) أي انفرد. وقيل: احْزَأَلّ البعير احْزِئْلالاً أي ارتفع، واحْزَأَلّ الجبل: ارتفع فوق السراب.

(١٢) الناجية: الناقة السريعة التي تنجو بصاحبها.

(١٣) أي بلحمها، وقيل: الشحم أو السِّمن.

(١٤) الجَمَز: ضَرْبٌ من السَّيْر سريع فوق العَنَق.

(١٥) في القاموس: الجَبُّ القَطْع، مِنْ جَبَّ يَجب جَبّاً، وجَبَّ البعير: انقطع سنامه، أي أنَّ الجَبَبَ مُحَرَّكة قَطْع السنام أو أن يأكله الرحل. وفي رواية النويري في نهاية الأرب وابن الأثير: (تَخُبُّ) بدلاً من (تَجَبُّ).

(١٦) جمع أَكَمة وهي الرابية.

حتـــىٰ وَرَدْتُ إلىٰ المدينـــةِ جـــاهداً كَيْمـــا أراكَ مُفَـــرِّجَ الكُرُبـــاتِ[١]

قال: فاسْتَحْسَنه رسول الله ﷺ وقال: إنَّ مِنَ البيان كالسحر، وإنَّ مِنَ الشعر كالحِكَم.

❁ قدوم وفد خَوْلان إلىٰ رسول الله ﷺ:

قال صاحب السيرة الشامية: قالوا: قَدِمَ وفد خَـوْلان وهـم عشرة نفر في شعبان سنة عشر، فقالوا: يا رسول الله، نحن مؤمنون بالله ومُصَدِّقون برسوله، ونحن علىٰ مَنْ وراءنا مِنْ قومنا، وقد ضربنا إليك آباط الإبل[٢]، وركبنا حُزون الأرض[٣] وسهولها، والمِنّة لله ولرسوله علينا، وقدمنا زائرين لك. فقال رسول الله ﷺ: أمّا ما ذكرتم من مسيركم إليَّ فإنَّ لكم بكل خَطوة[٤] خطاها بعيرُ أحدكم حسنة، وأمّا قولكم: زائرين لك، فإنه مَنْ زارني بالمدينة كان في جِواري يوم القيامة. فقالوا: يا رسول الله، هذا السفر الذي لا تَوَى[٥] عليه. ثم قال رسول الله ﷺ: ما فعل عَمُّ أَنَس[٦]؟ قالوا: بشَرٍّ وعَرّ[٧]، أَبْدَلَنا الله به ما جئتَ به، ولو قد رجعنا إليه لهدمناه، وبَقِيَتْ منا بعدُ بقايا مِنْ شيخٍ كبير وعجوزٍ كبيرة مُتَمَسِّكون به، ولو قد قدمنا عليه هدمناه إن شاء الله تعالىٰ، فقد كنا منه في غرور وفتنة. فقال لهم رسول الله ﷺ: وما أعظم ما رأيتم مِن فتنته؟ قالوا: لقد رأيتُنا وأَسْنَتْنا[٨] حتىٰ أَكَلْنا الرِّمّة[٩]،

---

(١) في تاريخ النويري: فتَفْرِجَ الكُرُبات، وهي رواية أجود.

(٢) أي أَجْهَدْناها في السَّيْر.

(٣) جمع حَزْن، وهو ما غَلُظَ من الأرض.

(٤) الخطوة بضم الخاء وفتحها، فبالأول ما بين القدمين وجمع القِلّة خُطُوات والكثرة خِطاء، وبالثاني المَرّة الواحدة.

(٥) في القاموس: توى كرضىٰ، أي هلك. يقال: تَوِيَ المال يَتْوَى تَوًى بمعنىٰ هلك.

(٦) وهو صنم خَوْلان الذي كانوا يعبدونه. في كتاب الأصنام للكلبي ص٤٣: وكان لخَوْلان صنم يقال له: عميانس بأرض خَوْلان، يقسمون له من أنعامهم وحروثهم قسماً بينه وبين الله بزعمهم، فما دخل في حق الله من حق عميانس ردوه عليه، وما دخل في حق الصنم من حق الله الذي سَمّوه له تركوه له.

(٧) مِنْ عَرَّ فلاناً يَعرّه عَرّاً، أي لَقَّبَه بما يشينه.

(٨) أي أَجْدَبْنا بإصابة السنة، يقال: أَسْنَتَ فهو مُسْنِت إذا أَجْدَب.

(٩) هي العظام البالية.

فجمعنا ما قدرنا عليه وابتعنا مائة ثور، ونحرناها لعم أنس قُرْباناً في غداة واحدة، وتركناها تَرِدها السباع ونحن أَحْوَج إليها من السباع، فجاءنا الغيث مِنْ ساعتنا، ولقد رأينا العشب يواري الرجل فيقول قائلنا: أَنْعَم علينا عمُّ أنس.

وذكروا لرسول الله ﷺ ما كانوا يقسمون لصنمهم هذا من أنعامهم وحروثهم، وأنهم كانوا يجعلون مِن ذلك جزءاً له وجزءاً لله بزعمهم. قالوا: كنا نزرع الزرع فنجعل له وَسَطَه فنُسَمِّيه له، ونُسَمِّي زرعاً آخر حَجْرَةً لله، فإذا مالت الريح فالذي سَمَّيْناه لله جعلناه لعم أنس، وإذا مالت الريح فالذي سَمَّيْناه لعم أنس جعلناه لله. فذكر لهم رسول الله ﷺ أن الله عز وجل قد أنزل عليه في ذلك: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ ۗ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [الأنعام].

قالوا: وكنا نتحاكم إليه فنُكَلَّم، فقال رسول الله ﷺ تلك الشياطين تُكلمكم. قالوا: إنّا أصبحنا يا رسول الله وقلوبُنا تعرف أنه كان لا يضر ولا ينفع، ولا يدري مَنْ عَبَده مِمَّنْ لم يعبده. فقال رسول الله ﷺ: الحمد لله الذي هداكم وأكرمكم بمحمد ﷺ. وسألوا رسول الله ﷺ عن أشياء مِن أَمْرِ دينهم، فجعل يخبرهم بها، وأَمَرَ مَنْ يُعَلِّمهم القرآن والسنن، وأَمَرَهم بالوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، وحُسْن الجوار، وألاّ يَظلموا أحداً. قال رسول الله ﷺ: الظلم ظلمات يوم القيامة.

وأُنْزِلوا دار رَمْلة بنت الحَدَث، وأَمَرَ بضيافةٍ فأُجْرِيَت عليهم، ثم جاءوا بعد أيام يُوَدِّعونه، فأَمَرَ لهم بجوائز، باثنتي عشرة أُوقِيّة ونَشّاً، ورجعوا إلىٰ قومهم فلم يَحُلُّوا عُقدةً حتىٰ هدموا عم أنس، وحَرَّموا ما حَرَّم عليهم رسول الله ﷺ، وأَحَلّوا ما أَحَلَّ لهم.

د

❁ قدوم وفد الدّارِيِّين إلىٰ رسول الله ﷺ:

قال صاحب السيرة الشامية: قالوا: قدم وفد الدّارِيِّين علىٰ رسول الله ﷺ مُنْصَرَفه من

تبوك، وهم عشرة نفر منهم: تميم ونُعَيم ابنا أوس بن خارجة بن سواد بن جَذِيمة بن دارع بن عدي بن الدار بن هانئ بن حبيب بن نُمارة بن لَخْم، ويزيد بن قيس بن خارجة، والفاكه بن النعمان بن جَبَلة، وأبو هند والطيب ابنا ذر وهو عبدالله بن رزين، وهانئ بن حبيب، وعزيز ومُرّة ابنا مالك بن سواد بن جَذيمة.

فأسلموا، وسَمَّىٰ رسول الله ﷺ الطَّيِّب عبدالله، وسَمَّىٰ عزيزاً عبد الرحمن. وأَهْدَى هانئُ بن حبيب لرسول الله ﷺ أفراساً وقَباء مُخَوَّصاً بالذهب[1]، فقَبِل الأفراس والقَباء وأعطاه العباسَ بن عبد المطلب، فقال: ما أصنع به؟ قال: انْتَزِع الذهب فتُحَلِّيه نساءك أو تَسْتَنْفِقه، ثم تَبِيع الديباج فتأخذ ثمنه. فباعه العباس من رجل من يهود بثمانية آلاف درهم.

وقال تميم: لنا جِيرة من الروم لهم قريتان يقال لإحداهما: حِبْرَى[2]، والأخرى: بَيْت عَيْنون، فإنْ فَتَحَ الله عليك الشام فَهَبْهُما لي. قال: فَهُما لك. فلما قام أبو بكر أعطاه ذلك، وكتب له به كتاباً[3].

وأقام وفد الدّارِيِّين حتىٰ توفي رسول الله ﷺ، وأَوْصَىٰ لهم بجادّ مائة وَسْق[4]، أي من خيبر.

---

(١) أي منسوجاً به كخوص النخل.

(٢) ووَرَدَتْ في بعض النسخ: حبرون.

(٣) نسخته كما في ابن سعد ج٢ ص٣٢: (وكَتَبَ رسول الله ﷺ لنُعَيْم بن أوس أخي تميم الداري أنَّ له حِبْرَى وعَيْنون بالشام، قريتها كلها سهلها وجبلها وماءها وحرثها وأنباطها وبقرها، ولعَقِبِه مِنْ بعده، لا يحاقّه فيها أحد، ولا يَلِجُه عليهم بظلم، ومَنْ ظَلَمَهم وأَخَذَ منهم شيئاً فإن عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وكتب عليٌّ). وقال حميد الله في مجموعة الوثائق ٤٣: إن الداريين وفدوا علىٰ النبي ﷺ مرتين: مرة قبل الهجرة، ومرة بعدها. وفي المرة الأولىٰ سألوا رسول الله ﷺ أرضاً، فدعا بقطعة مِن أَدَم وكتب كتاباً نسخته: (بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب ذُكِرَ فيه ما وَهَبَ رسولُ الله للداريين إذا أعطاه الله الأرض، وَهَبَ لهم بيت عَيْنون وحَبْرون والمرطوم وبيت إبراهيم ومَنْ فيهم إلىٰ الأبد، شهد عباس بن عبد المطلب، وخزيمة بن قيس، وشرحبيل بن حسنة وكتب). وجاء في كتاب الخراج لأبي يوسف ص٢٥٦-٢٥٧ أن أبا بكر لَمّا وُلِّيَ كَتَبَ للداريين كتاباً نسخته: (بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من أبي بكر أمين رسول الله ﷺ الذي استُخلف في الأرض بعده، كَتَبَه للداريين ألاّ يفسد عليهم سيدهم وليدهم من قرية حَبْرون وعَيْنون، فمَنْ كان يسمع ويطيع الله فلا يفسد منهما شيئاً، وليقم عمود الناس عليهما، وليمنعهما من المفسدين). هذا وقد وردت أسانيد هذه الكتب ونصوصها المختلفة في صبح الأعشىٰ ج١٣ ص١١٨-١٢٢، ومجموعة الوثائق رقم ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧.

(٤) بمعنىٰ المجدود، أي نخل يُجَدّ منه ما يبلغ مائة وَسْق.

۞ قدوم وفد دَوْس إلىٰ رسول الله ﷺ:

روى الطبراني بسند ضعيف قال: قدم علىٰ رسول الله ﷺ أربعمائة من دَوْس، فقال رسول الله ﷺ: مرحباً أحسن الناس وجوهاً، وأَطْيَبهم أفواهاً، وأعظمهم أمانة.

قال في زاد المعاد: قال ابن إسحاق: كان الطفيل بن عمرو الدَّوْسي يُحَدِّث أنه قدم مكة ورسول الله ﷺ بها، فمشىٰ إليه رجال من قريش، وكان الطفيل رجلاً شريفاً شاعراً لبيباً، فقالوا له: يا طفيل، إنك قدمتَ بلادنا وهذا الرجل الذي بين أظهرنا فرّق جماعتنا، وشتّت أمرنا، وإنما قوله كالسحر يُفَرِّق بين المرء وابنه، وبين المرء وأخيه، وبين الرجل وزوجه، وإنّا نخشىٰ عليك وعلىٰ قومك ما قد دخل علينا، فلا تُكَلِّمْه ولا تَسْمَع منه. قال: فوالله ما زالوا بي حتىٰ أَجْمَعْتُ ألاّ أسمع منه شيئاً ولا أُكَلِّمه، حتىٰ حَشَوْتُ في أُذُنَيَّ حين غدوتُ إلىٰ المسجد كُرْسُفاً[1]؛ فَرَقاً مِن أن يَبْلُغَني شيءٌ من قوله.

قال: فغدوتُ إلىٰ المسجد فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة، فقمتُ قريباً منه فأَبَىٰ الله إلاّ أن يُسْمِعَني بعض قوله، فسمعتُ كلاماً حسناً فقلتُ في نفسي: واثُكْل أُمَّياه، واللهِ إني لرجل لَبِيبٌ شاعر ما يَخفىٰ عليَّ الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع مِن هذا الرجل ما يقول؟ فإنْ كان ما يقول حسناً قَبِلْتُ، وإنْ كان قبيحاً تركتُ.

قال: فمكثتُ حتىٰ انصرف رسول الله ﷺ إلىٰ بيته فتَبِعْتُه، حتىٰ إذا دخل بيته دخلتُ عليه فقلت: يا محمد، إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا، فوالله ما برحوا يُخَوِّفوني أَمْرَكَ حتىٰ سَدَدْتُ أُذُنَيَّ بكُرْسُف لِئَلاّ أسمع قولك، ثم أَبَىٰ الله إلاّ أن يُسْمِعَنيه، فسمعتُ قولاً حسناً، فاعْرِضْ عليَّ أَمْرَك. فعرض عليّ رسول الله ﷺ الإسلام، وتلا عليّ القرآن، فلا والله ما سمعتُ قولاً قط أحسن منه، ولا أمراً أَعْدَل منه، فأسلمتُ وشهدت شهادة الحق وقلت: يا نبي الله، إني امرؤ مطاع في قومي، وإني راجع إليهم فداعيهم إلىٰ الإسلام، فادْعُ الله لي أن يجعل لي آية تكون عَوْناً لي عليهم فيما أدعوهم إليه. فقال: اللهم اجعل له آية.

---

(١) قال صاحب مختار الصحاح: الكُرْسُف: القطن.

قال: فخرجت إلىٰ قومي حتىٰ إذا كنت بثَنِيّةٍ تُطْلِعني علىٰ الحاضر، وَقَعَ نور بين عَيْنيّ مِثْل المصباح، قلت: اللهم في غير وجهي، إني أخشىٰ أن يظنوا أنها مُثْلة وقعت في وجهي لفراقي دينهم. قال: فتحوّل فوقع في رأس سَوْطي كالقنديل المُعلّق، وأنا أَنْهَبِط إليهم من الثَّنِيّة حتىٰ جئتُهم وأصبحت فيهم.

فلما نزلت أتاني أبي وكان شيخاً كبيراً، فقلت: إليكَ عني يا أبتِ، فلستُ منك ولستَ مني. قال: ولِمَ يا بني بأبي أنت وأمي؟ قلت: فَرَّقَ الإسلام بيني وبينك، فقد أسلمتُ وتابعتُ دين محمدﷺ. قال: يا بُنَيَّ، فدِيني دينُك. فقلت: اذهب فاغتسل وطَهِّرْ ثيابك، ثم تعال حتىٰ أُعَلِّمَك ما عَلِمْتُ. قال: فذهب فاغتسل وطهّر ثيابه، ثم جاء فعَرَضْتُ عليه الإسلام فأسلم.

ثم أَتَتْني صاحبتي فقلت لها: إليكِ عني فلستُ منكِ ولستِ مني، قالت: لِمَ بأبي أنت وأمي؟ قلت: فرّق الإسلام بيني وبينكِ، أسلمتُ وتابعت دين محمدﷺ. قالت: فديني دينُك، فقلت: اذهبي فاغتسلي، ففَعَلَتْ ثم جاءت، فعرضتُ عليها الإسلام فأسلمتْ.

ثم دعوتُ دَوْساً إلىٰ الإسلام فأبطؤوا عليّ، فأتيتُ رسول اللهﷺ فقلت: يا نبي الله، إنه قد غلبني علىٰ دَوْس الزنا، فادْعُ الله عليهم. فقال: اللهم اهْدِ دَوْساً، ثم قال: ارجع إلىٰ قومك فادْعُهُم إلىٰ الله وارفق بهم. فرجعتُ إليهم، فلم أزل بأرض دَوْس أَدْعُوهم إلىٰ الله، ثم قدمتُ علىٰ رسول اللهﷺ بخيبر، فنزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتاً من دَوْس، ثم لحقنا برسول اللهﷺ بخيبر، فأسهم لنا مع المسلمين.

قال ابن سعد: وفيهم أبو هريرة وعبدالله بن أُزَيْهر الدوسي، فقدموا معه المدينة، فقال عبدالله بن أُزَيْهر: يا رسول الله، إن لي في قومي سلطةً ومكاناً فاجعلني عليهم. فقالﷺ: يا أخا دَوْس، إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، فمَنْ صَدَق الله نجا، ومَنْ آلَ إلىٰ غير ذلك هلك، إنَّ أعظم قومك ثواباً أعظمهم صِدْقاً، ويوشك الحق أن يغلب الباطل.

قال ابن إسحاق: فلما قُبِضَ رسول اللهﷺ وارتدّت العرب، خرج الطفيل مع المسلمين حتىٰ فرغوا من طُلَيْحة، ثم سار مع المسلمين إلىٰ اليمامة ومعه ابنه عمرو بن الطفيل، فقال لأصحابه: إني قد رأيتُ رؤيا فاعْبُروها لي، رأيتُ أنّ رأسي قد حُلِقَ، وأنه

قد خرج من فمي طائر، وأن امرأة لقِيَتْني فأَدْخَلَتْني في فرجها، ورأيت أن ابني يطلبني طلباً حثيثاً، ثم رأيته حُبِسَ عني. قالوا: خيراً رأيتَ، قال: أمَا والله إني قد أَوَّلْتُها، قالوا: وما أَوَّلْتَها؟ قال: أمّا حَلْق رأسي فوَضْعُه، وأمّا الطائر الذي خرج من فمي فروحي، وأما المرأة التي أَدْخَلَتْني في فرجها فالأرض تُحْفَر فأُغَيَّبُ فيها، وأما طلب ابني إيّاي وحَبْسه عني فإني أراه سَيَجْهَد لأَن يُصيبه من الشهادة ما أصابني.

فقُتِلَ الطفيل شهيداً باليمامة، وجُرِحَ ابنه جَرْحاً شديداً ثم قُتِلَ عام اليرموك شهيداً في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ذ

قدوم ذُباب بن الحارث علىٰ رسول الله ﷺ[1]:

روى ابن سعد عن عبد الرحمن بن أبي سَبْرة الجُعْفي قال: لَمّا سمعوا - أي بنو سعد العشيرة - بخروج النبي ﷺ، وَثَبَ ذُباب - رجل من بني أنس الله بن سعد العشيرة - إلىٰ صنم كان لسعد العشيرة يقال له: فَرّاض[2]، فحطّمه ثم وَفَدَ إلىٰ النبي ﷺ وقال:

تَبِعْتُ رسولَ الله إذ جاء بالهُدى ... وخَلَّفْتُ فَرّاضاً بدارِ هَوانِ[3]

---

(١) العنوان الذي أورده ابن سعد في باب الوفود هو وفد سعد العشيرة.

(٢) ورد بالقاف في كل من أسد الغابة والإصابة، وبالفاء في طبقات ابن سعد ونهاية الأرب، ولم نعثر علىٰ اسم هذا الصنم في كلٍّ من كتاب الأصنام للكلبي والقاموس والتاج. وجاء في قصة تحطيم هذا الصنم كما أوردها كلٌّ من ابن الأثير وابن حجر أنه كان له سادن من سعد العشيرة يقال له: ابن رقيبة أو ابن وقشة، وكان لهذا السادن رِئْيٌ من الجن يخبره بما يكون، فأتىٰ ذباباً وقال: يا ذباب، اسمع العجب العُجاب، بُعِثَ محمد بالكتاب، يدعو بمكة فلا يُجاب. فقال ذباب: ما هذا؟ فقال السادن: لا أدري كذا قيل لي. قال ذباب: فلم يكن إلاّ قليل حتىٰ سمعنا بمخرج رسول الله ﷺ، فأسلمتُ وثُرْتُ إلىٰ الصنم فكسرته.

(٣) يلي ذلك في النويري:

رأيتُ له كلباً يقوم بأمره ... فهدّد بالتنكيل والرجفان

شَـــدَدْتُ عليـــه شَـــدّةً فتَرَكْتُـــهُ كَـأَنْ لم يَكُـنْ والدَّهْـرُ ذو حَدَثـانِ
ولَمّـــا رأيـــتُ الله أَظْـــهَرَ دِينَـــهُ أَجَبْـتُ رسـولَ الله حـين دَعـاني
فأصبحتُ للإسلام ما عِشْتُ ناصراً وأَلْفَيْـتُ فيـه كَلْكَلـي[1] وجِرَانـي[2]
فمَـنْ مُبْلِـغٌ سـعدَ العشـيرةِ أنّـني شَـرَيْتُ الـذي يَبْقَـىٰ بـآخَرَ فـاني

وروى ابن سعد عن مسلم بن عبدالله بن شَريك النَّخَعي عن أبيه قال: كان عبدالله بن ذُباب الأَنَسِيّ مع علي بن أبي طالبﷺ بصِفّين، فكان له غَناء.

قدوم وفد الرَّهاوِيِّين[3] إلىٰ رسول الله ﷺ:

روى الطبراني برجال ثقات عن قتادة الرَّهاوِيّﷺ[4] قال: لَمّا عقد لي رسول الله ﷺ علىٰ قومي، أَخَذْتُ بيده فودّعته، فقال رسول الله ﷺ: جعل الله التقوى زادَك، وغفر لك ذنبك، ووجّهك للخير حيثما تكون.

وروى ابن سعد في طبقاته عن زيد بن طلحة التَّيْمي قال: قدم خمسة عشر رجلاً من الرَّهاوِيِّين علىٰ رسول الله ﷺ سنة عشر، فنزلوا دار رَمْلة بنت الحَدَث، فأتاهم رسول

(١) الكَلْكَل: الصدر أو ما بين الترقوتين.

(٢) الجِران: باطن العنق.

(٣) في القاموس: رَهاء كسماء: حي مِن مَذْحِج، وهي بالفتح كذلك في معجم البكري ولفظه: رَهاوى، منسوب إلىٰ رهاوة قبيلة. ولكن ياقوت في معجم البلدان يذكرها بالضم مِثْل النسبة إلىٰ الرُّها في أعالي العراق، ويقول إن رُهاء قبيلة من مذحج. وقال الزبيدي في التاج: لم أَرَ أحداً من أئمة اللغويين ضبطه بالفتح.

(٤) ترجم له ابن الأثير في أسد الغابة ج٤ ص١٩٤ وقال: هو أبو هشام قتادة بن عياشي الجرشي وقيل: الرَّهاوِيّ، روى عنه ابنه هشام.

الله ﷺ فتحدّث عندهم طويلاً، وأَهْدَوْا لرسول الله ﷺ هدايا منها فرس يقال له: المِرْواح، فأَمَرَ به فشُوِّرَ[١] بين يديه، فأعجبه. قال: فأسلموا وتعلّموا القرآن والفرائض، وأجازهم كما يُجِيز الوفد، أرفعهم اثنتي عشرة أوقيةً ونَشّاً[٢]، وأخفضهم خمس أَواق، ثم رجعوا إلىٰ بلادهم.

ثم قدم منهم نفر فحجّوا مع رسول الله ﷺ من المدينة، وأقاموا حتىٰ توفي رسول الله ﷺ، فأَوْصَىٰ لهم بجادّ مائة وَسْق[٣] بخيبر في الكتيبة جارية عليهم، وكتب لهم كتاباً، فباعوا ذلك في زمن معاوية.

۞ قدوم وفد بني الرُّؤاس بن كلاب إلىٰ رسول الله ﷺ:

روى ابن سعد عن أبي نُفَيْع طارق بن عَلْقَمة الرُّؤاسي قال: قدم رجل منا يقال له: عمرو بن مالك بن قيس[٤] علىٰ رسول الله ﷺ، فأسلم ثم أتىٰ قومه فدعاهم إلىٰ الإسلام، فقالوا: حتىٰ نُصِيبَ مِنْ بني عقيل بن كعب مِثْلَما أصابوا منا.

فخرجوا يريدونهم وخرج معهم عمرو بن مالك، فأصابوا منهم. ثم خرجوا يسوقون النَّعَم، فأدركهم فارسٌ من بني عقيل يقال له: ربيعة بن المُنْفَتِق بن عقيل وهو يقول:

أَقْسَمْتُ لا أَطْعَنُ إلاّ فارساً ... إذا الكُماةُ[٥] أُلْبِسوا القَلانِسا[٦]

قال أبو نُفَيْع: فقلت: نَجَوْتُم يا معشر الرَّجّالة سائر اليوم. فأَدْرَكَ العُقَيْلي رجلاً من

---

(١) في القاموس: شار الخيل يشورها شَوْراً وشواراً: راضها أو ركبها عند العرض علىٰ مشتريها. وفي النهاية أنه ركب فرساً يشوره أي يعرضه، يقال: شار الدابة يشورها إذا عرضها لِتُباع، والموضع الذي تُعْرَض فيه الدواب يقال له: المشوار.

(٢) النَّشّ نصف الأوقية، وقيل: النصف من كل شيء.

(٣) الوَسْق ستون صاعاً، وقيل: حِمْل بعير.

(٤) ابن بجيد بن رُؤاس بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

(٥) جمع كَمِيّ وهو لابس السلاح، مِنْ أَكْمَىٰ نفسَه: سَتَرَها بالدرع والبيضة.

(٦) القلانس جمع قَلَنسوة، وهي ما يُلبس علىٰ الرأس.

بني عبيد بن رُؤاس يقال له: المُحْرِس بن عبدالله بن عمرو بن عبيد بن رُؤاس، فطعنه في عضده فاخْتَلَّها[١]، فاعتنق المُحْرِس فرسه وقال: يا آل رُؤاس، فقال ربيعة: رُؤاس خيل أو أُناس؟ فعطف علىٰ ربيعة عمرُو بن مالك، فطعنه فقَتَلَه.

قال: ثم خرجنا نسوق النَّعَم، وأقبل بنو عقيل في طلبنا حتىٰ انتهينا إلىٰ تُرَبة، فقطع ما بيننا وبينهم وادي تُرَبة، فجعلت بنو عقيل ينظرون إلينا ولا يَصِلون إلىٰ شيء، فمضينا.

قال عمرو بن مالك: فأُسْقِطَ في يدي وقلت: قتلتُ رجلاً وقد أسلمتُ وبايعت النبيﷺ، فشَدَدْتُ يَدَيَّ في غُلٍّ[٢] إلىٰ عنقي، ثم خرجت أريد رسول اللهﷺ، وقد بلغه ذلك فقال: لئن أتاني لأَضْرِبَنّ ما فوق الغُلِّ من يده. فأطلقتُ يَدَيَّ ثم أَتَيْتُه، فسلّمت عليه فأعرض عني، فأَتَيْتُه عن يمينه فأعرض عني، فأتيتُه عن يساره فأعرض عني، فأتيتُه مِن قِبَل وجهه فقلت: يا رسول الله، إن الرب لَيُتَرَضّىٰ فيَرضىٰ، فَارْضَ عني رضي الله عنك. قال: قد رَضِيتُ عنك.

ز

قدوم وفد زُبَيْد إلىٰ رسول اللهﷺ[٣]:

ولَمّا كانت السنة التي توفي فيها رسول اللهﷺ، رَأَتْ زُبَيْد قبائلَ اليمن تُقْدِم علىٰ رسول اللهﷺ مُقِرِّين بالإسلام، مُصدّقين برسول اللهﷺ، يرجع راجعهم إلىٰ بلادهم وهم علىٰ ما هم عليه. وكان رسول اللهﷺ استعمل خالد بن سعيد بن العاص علىٰ صدقاتهم، وأرسله مع فروة

---

(١) أي أَنْفَذَ الطعنة من الجانب الآخر. وفي القاموس: اخْتَلَّه بالرمح نفذه وانتظمه، وتَخَلَّلَه به طَعَنَه به طَعْنة إِثْرَ طَعْنة.

(٢) الغُلّ: الحديدة التي تَجمع يَدَي الأسير إلىٰ عنقه.

(٣) لقد أورد كلٌّ من ابن هشام وابن سعد وفود بني زُبَيْد مع وفود عمرو بن مَعْدِ يَكَرِب، وكذلك في عيون الأثر ج٢ ص٢٤٠. ولكن صاحب السيرة الشامية جعلهما وَفْدَيْن؛ لذلك اخترتُ أن أجعلهما وفدين كما رأيتَ، وذلك لاختلاف القبائل.

بن مُسَيك، فقالوا لخالد: والله لقد دخلنا فيما دخل فيه الناس، وصدّقنا بمحمدﷺ، وخلّينا بينك وبين صدقات أموالنا، وكنا عَوْناً علىٰ مَنْ خالفك. قال خالد: قد فعلتم، قالوا: فأَوْفِد منا نفراً يقدمون علىٰ رسول اللهﷺ ويخبرونه بإسلامنا، ويُقْبِسونا منه خيراً. فقال خالد: ما أحسن ما عُدْتُم إليه وأنا أُجيبكم! ولم يمنعني أن أقول لكم هذا إلاّ أني رأيتُ وفود العرب تَمُرُّ بكم، فلا يَهِيجَنّكم ذلك علىٰ الخروج، فسيأتي ذلك منكم حتىٰ ساء ظني فيكم، وكنتم علىٰ ما كنتم عليه مِن حداثة عهدكم بالشرك، فحسبتُ أن يكون الإسلام راسخاً في قلوبكم.

س

۞ قدوم وفد بني سُحَيْم:

روى المرشاطي عن أبي عبيدةرضي الله عنه أن الأسود بن سلمة قَدِمَ علىٰ رسول اللهﷺ في وفد بني سُحَيْم، فأسلموا فردّهم إلىٰ قومهم، وأمرهم أن يدعوهم إلىٰ الإسلام، وأعطاهم إداوة ماء قد تَفَل فيها أو مَجَّ، وقال: فَلْيَنْضَحوا بهذه الإداوة مسجدَهم، وليرفعوا رؤوسهم إذا رفعها الله تعالىٰ. فما تَبِعَ مُسَيْلمةَ منهم رجلٌ، ولا خرج منهم خارجي قط.

۞ قدوم وفد بني سَدوس:

روى البزار عن عبدالله بن الأسودرضي الله عنه[1] قال: كنا عند رسول اللهﷺ في وفد بني سَدُوس فأَهْدَيْنا له تمراً، فنشرناه إليه علىٰ نِطْع، فأخذ حِفنة من التمر فقال: أيّ تمر هذا؟ فجعلنا نُسَمِّي حتىٰ ذكرنا تمراً فقلنا: هذا الجُذامِيّ، فقال: بارك الله في الجُذامِيّ، وفي حديقة يخرج هذا منها، أو جنة خرج هذا منها.

---

(١) هو عبدالله بن الأسود بن شعبة بن علقمة بن شهاب السَّدُوسِيّ، تَرْجَمَ له ابن الأثير في أسد الغابة ج٣ ص١١٧، وابن حجر في الإصابة رقم ٤٥٢٢.

۞ قدوم وفد بني سَعْد هُذَيْم[١]:

روى محمد بن عمر الأسلمي عن ابن النعمان عن أبيه قال: قدمتُ علىٰ رسول الله ﷺ وافداً في نفر من قومي، وقد أَوْطَأَ رسول الله ﷺ البلاد غلبة[٢]، وأذاخ[٣] العرب، والناسُ صنفان: إما داخلٌ في الإسلام راغبٌ فيه، وإما خائفٌ من السيف. فنزلنا ناحيةً من المدينة ثم خرجنا نَؤُمُّ المسجد حتىٰ انتهينا إلىٰ بابه، فنجد رسول الله ﷺ يصلي علىٰ جنازة في المسجد، فقمنا خلفه ناحية ولم ندخل مع الناس في صلاتهم، وقلنا: حتىٰ نلقىٰ رسول الله ﷺ ونبايعه. ثم انصرف ﷺ فنظر إلينا، فدعا بنا فقال: مِمَّنْ أنتم؟ قلنا: مِن بني سَعْد هُذَيْم، فقال: أمسلمون أنتم؟ قلنا: نعم، قال: فهلاّ صَلَّيْتُم علىٰ أخيكم؟ قلنا: يا رسول الله، ظَنَنّا أن ذلك لا يجوز لنا حتىٰ نبايعك. فقال ﷺ: أينما أسلمتم فأنتم مسلمون.

قال: فأسلمنا وبايعنا رسول الله ﷺ بأيدينا علىٰ الإسلام، ثم انصرفنا إلىٰ رِحالنا، وقد كنا خلّفنا عليها أصغرنا، فبعث رسول الله ﷺ في طلبنا، فأُتِيَ بنا إليه، فتقدّم صاحبنا فبايعه علىٰ الإسلام، فقلنا: يا رسول الله، إنه أصغرنا وإنه خادمنا، فقال: أصغر القوم خادمهم، بارك الله عليه. قال: فكان والله خَيْرنا وأَقْرَأَنا للقرآن لدعاء رسول الله ﷺ له. ثم أَمَّرَه رسول الله ﷺ علينا فكان يَؤُمُّنا. فلما أردنا الانصراف أَمَرَ بلالاً فأجازنا بأَوَاقِيّ من فضة لكل رجل منا، فرجعنا إلىٰ قومنا، فرزقهم الله عز وجل الإسلام.

۞ قدوم وفد سَلامان[٤]:

قال محمد بن عمر رحمه الله تعالىٰ: كان مَقْدَمُهم في شوال سنة عشر.

---

(١) ذكره ابن سعد في طبقاته ج٢ ص٩٤، وفي عيون الأثر ج٢ ص٢٤٨، وفي السيرة الحلبية ج٣ ص٢٣١.

(٢) أي قهرهم وجعلهم يُوطَؤُون قَهْراً وغَلَبة.

(٣) أَذاخ البلاد يُذِيخُها إذا قهرها واستولىٰ عليها، وكذلك دوّخ البلاد.

(٤) ذكره ابن سعد في طبقاته ج٢ ص٩٦، وفي عيون الأثر ج٢ ص٢٥٧، وفي نهاية الأرب ج١٨ ص٩٢، وفي السيرة الحلبية ج٣ ص٢٣٨، وفي شرح المواهب ج٤ ص٦١.

فروى ابن سعد عن حبيب بن عمرو السَّلاماني كان يُحدّث قال: قدمنا وفد سلامان علىٰ رسول الله ﷺ ونحن سبعة، فصادَفْنا رسول الله ﷺ خارجاً من المسجد إلىٰ جنازة دُعِيَ إليها، فقلنا: السلام عليك يا رسول الله، فقال: وعليكم، مَنْ أنتم؟ فقلنا: نحن مِن سلامان، قدمنا إليك لنبايعك علىٰ الإسلام، ونحن علىٰ مَنْ وراءنا من قومنا. فالتفت إلىٰ ثوبان غلامه فقال: أَنْزِلْ هؤلاء الوفد حيث ينزل الوفد. فلما صلّىٰ الظهر جلس بين المنبر وبيته، فتقدّمنا إليه فسألناه عن أشياء مِنْ أمر الصلاة وشرائع الإسلام، وعن الرُّقَىٰ. وأَسْلَمْنا، وأعطىٰ كلَّ رجل منا خمس أَواقٍ، ورجعنا إلىٰ بلادنا وذلك في شوال سنة عشر.

وروى أبو نعيم من طريق محمد بن عمر عن شيوخه أنَّ وفد سَلامان قدموا في شوال سنة عشر، فقال لهم رسول الله ﷺ: كيف البلاد عندكم؟ قالوا: مُجْدِبة، فادْعُ الله أن يَسْقينا في موطننا. فقال: اللهم اسْقِهِم الغيث في دارهم، فقالوا: يا نبي الله، ارفع يديك فإنه أكثر وأَطْيَب. فتبسّم ﷺ ورفع يديه حتىٰ يُرَى بياض إبطيه، ثم رجعوا إلىٰ بلادهم فوجدوها قد مُطِرَتْ في اليوم الذي دعا فيه رسول الله ﷺ، في تلك الساعة.

۞ قدوم وفد بني سُلَيْم:

قالوا[1]: وقدم علىٰ رسول الله ﷺ رجل من بني سُلَيْم يقال له: قيس بن نُسَيْبة، فسمع كلامه وسأله عن أشياء، فأجابه ووَعَىٰ ذلك كله، ودعاه رسول الله ﷺ إلىٰ الإسلام فأسلم، ورجع إلىٰ قومه بني سُلَيْم فقال: سمعتُ بَرْجَمة[2] الروم، وهَيْنَمة[3] فارس، وأشعار العرب، وكهانة الكاهن، وكلام مَقاوِل حِمْيَر، فما يُشْبِهُ كلامُ محمد شيئاً مِن كلامهم، فأطيعوني وخذوا نصيبكم منه.

فلما كان عام الفتح، خرجتْ بنو سُلَيْم إلىٰ رسول الله ﷺ، فلَقَوْه بقُدَيْد وهم

---

(١) ذكره ابن سعد في طبقاته ج٢ ص٧١، وفي نهاية الأرب ج١٨ ص٢٣، وفي البداية والنهاية ج٥ ص٩٢.

(٢) هي غلظ الكلام.

(٣) الهَيْنَمة: الكلام الخفي الذي لا يُفهم.

سبعمائة[١]، وفيهم: العباس بن مِرْداس، وأنس بن عباس بن رِعْل، وراشد بن عبد ربه. فأسلموا وقالوا: اجعلنا في مقدمتك، واجعل لواءنا أحمر، وشعارنا مُقَدّماً. ففعل ذلك بهم، فشهدوا معه الفتح والطائف وحنيناً. وأعطىٰ رسول الله ﷺ راشدَ بن عبد ربه رُهاطاً[٢]، وفيها عين يقال لها: عين الرسول.

وكان راشد يَسْدُن صنماً لبني سُلَيْم، فرأى يوماً ثعلبين يبولان عليه فقال:

أَرَبٌّ يَبولُ الثَّعْلَبانِ برأسِهِ لقد ذَلَّ مَنْ بالَتْ عليه الثعالبُ

ثم شَدَّ عليه فكسره.

ثم أتىٰ النبي ﷺ فقال له: ما اسمك؟ قال: غاوِي بن عبد العزى، قال: أنت راشد بن عبد ربه. فأسلم وحسن إسلامه، وشهد الفتح مع النبي ﷺ، وقال رسول الله ﷺ: خَيْرُ قُرًى عربيةٍ خيبرُ، وخيرُ بني سُلَيْم راشد، وعَقَدَ له علىٰ قومه.

وروى ابن سعد عن رجل من بني سُلَيْم من بني الشَّريد قال: وفد رجل منا يقال له: قُدَد[٣] بن عمّار علىٰ النبي ﷺ بالمدينة، فأسلم وعاهده علىٰ أن يأتيه بألف من قومه علىٰ الخيل.

وأَنْشَدَ قُدَدُ يقول:

شَدَدْتُ يميني إذ أَتَيْتُ محمداً بخيرِ يَدٍ شُدَّتْ بحُجْزَةِ مِئْزَرِ

وذاك امرؤ قاسمتُه نصف دِينه وأعطيتُه ألف امرئ غيرَ أعسرِ

ثم أتىٰ قومَه فأخبرهم الخبر، فخرج معه تسعمائة، وخلّف في الحي مائة. فأقبل بهم يريد النبي ﷺ، فنزل به الموت، فأَوْصَىٰ إلىٰ ثلاثة رهط من قومه: إلىٰ عباس بن مِرْداس وأَمَّرَه علىٰ ثلاثمائة، وإلىٰ جَبّار بن الحَكَم وهو الفرّار الشَّريدي وأَمَّرَه علىٰ ثلاثمائة، وإلىٰ الأَخْنس بن يزيد وأَمَّرَه علىٰ ثلاثمائة، وقال: ائْتُوا هذا الرجل حتىٰ تَقْضُوا العهد الذي في عنقي، ثم مات.

---

(١) ويقال: كانوا ألفاً.

(٢) في معجم البكري ج٢ ص٦٧٨: رُهاط: قرية جامعة علىٰ ثلاثة أميال من مكة.

(٣) هو قُدَد بن عمار بن مالك السُّلمي، كذا ضبطه ابن حجر في الإصابة بدالين وزن عمر، ويقال: آخره راء، ويقال: قُدَن.

فمضوا حتىٰ قدموا علىٰ النبيﷺ فقال: أين الرجل الحسن الوجه، الطويل اللسان، الصادق الإيمان؟ قالوا: يا رسول الله، دعاه الله فأجابه. فأخبروه خبره فقال: أين تكملة الألف الذين عاهدني عليهم؟ قالوا: قد خلّف مائة بالحَيِّ مخافةَ حربٍ كانت بيننا وبين كنانة، قال: ابعثوا إليها فإنه لا يأتيكم في عامكم هذا شيء تكرهونه.

فبعثوا إليها فأَتَتْه بالهَدّة[١]، وهي مائة عليها المُنْقِع بن مالك بن أمية[٢]. فلما سمعوا وَئيد الخيل[٣] قالوا: يا رسول الله، أُتِينا. قال: بل لكم لا عليكم، هذه سُلَيْم بن منصور قد جاءت. فشهدوا مع رسول اللهﷺ الفتح وحنيناً.

۞ قدوم وفد بني شَيْبان:

روى ابن سعد في طبقاته وغيره[٤] بسنده إلىٰ عبدالله بن حسّان أخي بني كعب من بَلْعَنْبر: أنه حدّثته جدتاه صفية ودُحَيْبة بنتا عُلَيْبة[٥] عن حديث قَيْلة بنت مَخْرَمة[٦] وكانتا

---

(١) في معجم البلدان ج٨ ص٤٥٠: موضع بين مكة والطائف.

(٢) هو المُنْقِع بن مالك بن أمية بن عبد العزى السُّلَمي، أَمَّرَه النبيﷺ علىٰ طائفة من قومه كما ذُكِرَ ذلك في أسد الغابة والقاموس والتاج وطبقات ابن سعد.

(٣) في النهاية: الوَئِيد: صوت شدة الوَطْء علىٰ الأرض، يُسْمَعُ كالدَّوِيّ مِن بُعد.

(٤) أخرج البخاري في الأدب المفرد طرفاً منه في باب القرفصاء، وأخرجه أبو داود مختصراً في باب إقطاع الأرضين من كتاب الخراج وفي باب جلوس الرجل من كتاب الأدب، والترمذي في الشمائل. ورواه الطبراني ورجاله ثقات وابن منده بطوله بسند لا بأس به. وحديث قَيْلة هو فصيح حسن قد شرحه أهل العلم بالغريب.

(٥) قال موسىٰ في روايته: ابنتا عُلَيْبة بنت حَرْمَلة، فنسبها إلىٰ أبيها حَرْمَلة، وهو ابن عبدالله العَنْبَري.

(٦) هي قَيْلة بنت مَخْرمة التميمية العنبرية، صحابية هاجرت إلىٰ النبيﷺ مع حُرَيْث بن حسان وافد بني بكر بن وائل، وأمها صفية بنت صيفي أخت أَكْثم بن صيفي.

رَبِيبَتَيْها، وقَيْلة جدة أبيهما أُمُّ أُمِّه: أنها كانت تحت حبيب بن أزهر أخي بني جَناب، فولدتْ له النساء[١] ثم توفي في أول الإسلام، فانْتَزَعَ بناتها منها عمُّهن أَثْؤب[٢] بن أزهر، فخرجتْ تبتغي الصحابة[٣] إلىٰ رسول الله ﷺ في أول الإسلام، فبكتْ جُوَيرية منهن حُدَيباءُ[٤] قد كانت أَخَذَتْها الفرصة[٥] وهي أصغرهن، عليها سُبَيّج[٦] لها مِن صوف، فرَحِمَتْها فاحْتَمَلَتْها معها، فبينا هما تُرتكان[٧] الجمل إذ انتفجت[٨] الأرنب، فقالت الحُدَيباء: القضية[٩]، لا والله لا يزال كعبك أعلىٰ من كعب أثؤب[١٠] في هذا الحديث أبداً. ثم سنح الثعلب[١١] فسَمَّتْه باسمٍ نَسِيَه عبدالله بن حسان، ثم قالت فيه مِثْل ما قالت في الأرنب. فبينما هما ترتكان الجمل، إذ برك الجمل وأَخَذَتْهُ رِعْدة، فقالت الحُدَيباء: أَدْرَكَتْك والأمانةِ أخذَةُ أَثْؤب، فقلتُ واضطررتُ إليها: ويحكِ فما أصنع؟ فقالت: قَلِّبي ثيابك ظهورها لبطونها، وادَّحْرَجي ظهرك لبطنك،

---

(١) تعني البنات.

(٢) وفي لفظ: أثوب.

(٣) جمع صاحب، وقد يكون الصحابة مصدراً بمعنىٰ الصحبة، والموضع يحتملهما.

(٤) تصغير حَدْباء.

(٥) الفرصة: ريح الحدب، وهي أول تلك العلة التي يَتَوَلَّدَ الحدب منها.

(٦) هو كساء من صوف أسود مأخوذ من السّبيج وهو خرز أسود، وقال ابن السكيت: هو تعريب شبي يعني القميص، فعلىٰ هذا يجوز أن يكون أسود.

(٧) أي تسرعان وتحملان بعيرهما علىٰ الرتكان، وهو جنس من عَدْو البعير، يقال: رتك البعير إذا عدا ذلك العدو، وأرتكه صاحبه حمله عليه.

(٨) أي وثبت وخرجت، والانتفاج: السعي.

(٩) أي انقضاء الأمور، تفاءلت بما رأت من خروج الأرنب من الضِّيق إلىٰ السعة، والعرب تَتَطَيَّر وتتفاءل بما ترى وتسمع ثم العروض إلىٰ أَمْرٍ عَرَضَ لهم. ولفظ ابن سعد في طبقاته: فقالت الحديباء القَصِيّة: ....

(١٠) تعني كعب الفتاة، يُكَنُّون بذلك عن الشرف، أي لا تزالين أشرف منه وأمرك أعلىٰ من أمره.

(١١) السانح أن يقطع السبع أو الطير الطريق من يمين الرجل إلىٰ شماله، والبارح ضد ذلك، وقيل: علىٰ العكس فيهما، تَتَطَيَّر العرب بأحدهما وتتفاءل وصله علىٰ اختلاف الأقوال فيه. وفي هذا الحديث أقوى دليل علىٰ بطلان ما كانت العرب تفعله من رموز أنفسهم في التطير والتفاؤل؛ لأنها تفاءلت بشيئين ثم كان الأمر علىٰ خلاف ما ظَنَّتْه.

وقَلِّبي أَحْلاس جملك[١]. ثم خلعتْ سبيجها فقلبته، ثم ادَّحْرَجَت ظهرها لبطنها. فلما فعلتُ ما أَمَرَتْني به انتفض[٢] الجمل، ثم قام ففاجّ[٣] وبال، فقالت الحدباء: أعيدي عليك أداتك، ففعلتُ ثم خرجنا نرتك، فإذا أثؤب يسعىٰ وراءنا بالسيف صلتاً[٤]، فوَأَلنا[٥] إلىٰ حِواء ضخم[٦] قد أراه حين ألقىٰ الجمل إلىٰ رواق البيت الأوسط[٧] جملاً ذلولاً، واقتحمتُ[٨] داخله بالجارية وأدركني بالسيف، فأصابتْ ظُبَّتُه طائفة من قرون رأسي[٩]، ثم قال: أَلْقِي إليَّ ابنة أخي يا دفار[١٠]، فرميتُ بها إليه، فجعلها علىٰ منكبه فذهب بها، وكانت أعلم به من أهل البيت.

وخرجتُ إلىٰ أختٍ لي ناكح في بني شيبان أبتغي الصحابة إلىٰ رسول الله ﷺ، فبينما أنا عندها ليلة من الليالي تحسبني نائمة[١١]، إذ جاء زوجها من السامر[١٢] فقال: وأبيكِ[١٣] لقد وجدتُ لِقَيْلة صاحبَ صِدْق، فقالت أختي: مَنْ هو؟ قال: حُرَيْث بن

---

(١) أرادت بتقليب الثياب التفاؤل أيضاً، والتدحرج التقلب. وهذا الفعل له أصل في الشرع كما رُوِيَ أنه ﷺ حوّل رداءه وجعل أعلاه أسفله تفاؤلاً أيضاً.

(٢) أي ارْتَعَدَ.

(٣) في رواية الطبراني: تفاجّ، أي باعد ما بين رجليه كما يفعل البائل حين يريد البول، وكذلك فاجَّ.

(٤) الصَّلْت: المُجَرَّد.

(٥) أي لَجَأْنا، مِنْ آلَتْ أي لَجَأَتْ.

(٦) الحِواء: البيوت المجتمعة، والضخم: العظيم.

(٧) أي أدخلته الرواق.

(٨) أي دخلتُ بعنف.

(٩) طائفة أي قطعة، وقرون الرأس: جوانبه.

(١٠) أي يا مُنْتِنة، مِنْ ذلك قول العرب في الدنيا: أم دفر؛ لِنَتَنِها.

(١١) وفي رواية: تحسب عني نائمة، والعين في عني مبدلة من الهمزة، وهي لغة بني تميم تُسَمّىٰ العنعنة، يقلبون الهمزة عَيْناً، أي تحسب أني نائمة.

(١٢) السامر لفظ الواحد، والجمع فيه سواء، وهو ها هنا الجماعة يجتمعون بالليل يتحدّثون.

(١٣) قَسَمٌ علىٰ عادتهم.

حسّان الشيباني غادياً وافد بكر بن وائل إلىٰ رسول الله ﷺ ذا صباح[١]. فغدوتُ إلىٰ جملي وقد سمعتُ ما قالا فشَدَدْتُ عليه، ثم نشدتُ عنه[٢] فوجدته غير بعيد، فسألته الصحبة فقال: نَعَمْ وكرامة، ورِكابه[٣] مناخة عنده.

فخرجتُ معه صاحب صِدْق حتىٰ قدمنا علىٰ رسول الله ﷺ وهو يصلي بالناس صلاة الغداة، وقد أُقيمت حين انشقّ الفجر[٤] والنجوم شابكة[٥] في السماء، والرجال لا تكاد تَعارَفُ مع ظلمة الليل، فصَفَفْتُ مع الرجال وكنتُ امرأة حديثة عهد بجاهلية، فقال لي الرجل الذي يليني من الصف: امرأةٌ أنتِ أم رجل؟ فقلت: لا، بل امرأة. فقال: إنكِ قد كِدْتِ تَفْتِنِيني، فصَلِّي مع النساء وراءكِ. وإذا صَفَّ مِنْ نساءٍ قد حَدَثَ ثَمَّ[٦] الحجرات لم أكن رأيتُه حين دخلت، فكنتُ فيهنّ حتىٰ إذا طلعت الشمس دَنَوْتُ، فجعلتُ إذا رأيت رجلاً ذا رُواء وذا قشر[٧] طمح إليه بصري[٨] لأرى رسول الله ﷺ فوق الناس، حتىٰ جاء رجل وقد ارتفعت الشمس فقال: السلام عليك يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته.

---

(١) أي أول النهار، ويزيدون ذا في ألفاظ تأكيداً لها كما يقولون ذات يوم وذات ليلة. وزاد الطبراني هنا في روايته: فقالت أختي: الويل لي، لا تسمع بهذا أختي فتخرج مع أخي بكر بن وائل بين سمع الأرض وبصرها، ليس معها من قومها رجل! فقال: لا تذكريه لها.
قولها: (بين سمع الأرض وبصرها) قيل فيه أقوال، قال أبو عبيد: وجهه عندي أنها أرادت أنَّ الرجل يخلو بها ليس معها أحد يسمع كلامها ولا يبصرها دون الأشياء والناس، وقال بعضهم: أي بين طولها وعرضها.

(٢) أي اسْتَخْبَرْتُ عنه.

(٣) أي جِماله.

(٤) أي ظهر وطلع.

(٥) أي مشتبكة، تعني من كثرتها كأنها متصلة بعضها ببعض.

(٦) بمعنىٰ عند.

(٧) رُواء أي منظر وهيئة، وقشر أي لباس حسن.

(٨) أي امتدّ وعلا، ظَنَّتْ أن رسول الله ﷺ كان يَتَمَيَّز عن أصحابه بهيئة أو لباس أو مجلس.

وعليه - تعني النبيﷺ - أَسْمالُ[١] مُلَيَّتَيْن[٢] كانتا بزعفران[٣] فقد نفضتا[٤]، ومعه عُسَيب نخلة[٥] مقشور غير خوصتين من أعلاه، وهو قاعد القرفصاء. فلما رأيتُ رسول اللهﷺ مُتَخَشِّعاً[٦] في الجِلسة أُرْعِدْتُ من الفَرَق[٧]، فقال جليسه: يا رسول الله، أُرْعِدَتِ المسكينة. فقال رسول اللهﷺ ولم ينظر إليّ وأنا ثَمَّ ظهره: يا مسكينة، عليك السكينة[٨]. فلما قالها رسول اللهﷺ أَذْهَبَ الله ما كان أُدْخِلَ قلبي من الرعب، وتقدّم صاحبي أول رجل، فبايعه علىٰ الإسلام عليه وعلىٰ قومه، ثم قال: يا رسول الله، اكتب بيننا وبين بني تميم بالدَّهناء[٩]، لا يجاوزها إلينا منهم إلاّ مسافر أو مجاور. فقال: يا غلام، اكتب له بالدَّهْناء. فلما رأيتُه أَمَرَ له بأن يَكْتُبَ له بها، شُخِصَ بي[١٠] وهي وطني وداري، فقلت: يا رسول الله، إنه لم يسألك السَّوِيّة[١١] من الأرض إذ سألك، إنما هذه الدهناء عندك مُقَيَّد

---

(١) جمع سَمَل بفتحتين، وهو الثوب البالي الخَلِق. والمراد بالجمع ما فوق الواحد، علىٰ أن الثوب الواحد قد يُطْلَق عليه أسمال باعتبار اشتماله علىٰ أجزاء.

(٢) بالتصغير تثنية مُلاءة، وهي الرداء. وفي النهاية هي الإزار والريطة، وفي الصحاح هي الملحفة.

(٣) أي مخضوبتين بزعفران.

(٤) قال في النهاية: أي نصل لون صبغهما ولم يَبْقَ إلاّ الأثر؛ لطول لبسهما واستعمالهما، كما يقال في اليد والشعر: نصل الخضاب. قال في تحفة الأحوذي: فلا ينافي لبسهﷺ هاتين المُلَيَّتَيْن ما ورد من النهي عن لبس المزعفر.

(٥) تصغير عَسيب، قال في القاموس: العسيب جريدة من النخل مستقيمة دقيقة يُكْشَطُ خوصها، والذي لم ينبت عليه الخوص من السعف.

(٦) المتخشع من باب التفعل، أي الخاشع الخاضع المتواضع.

(٧) بصيغة المجهول، أي أَخَذَتْني الرعدة والاضطراب والحركة من الفَرَق بفتحتين، أي من أجل الخوف. والمعنىٰ هِبْتُه مع خضوعه وخشوعه، كأنها حين ظَنَّتْ أنَّ رسول اللهﷺ إنما يُعْرَفُ بلباسه أو مجلسه ثم متميز عن أصحابه زادت هيبته عندها فأُرْعِدَتْ.

(٨) قوله: (عليكِ السكينة) إغراء، أي الْزَمِيها واسْكُنِي لا بأس عليك.

(٩) أي اقْطَعْنا إيّاها واجعلها لنا خاصة دونهم، وهي أرض لينة ذات رمل كثير ونبات.

(١٠) أي دُهِشْتُ وتَحَيَّرْتُ، وقال ابن عائشة: أي ارتفع بصري صعداً مِنْ إكبار ما سمعتُ وإعظامه.

(١١) أي العدل والإنصاف.

الجمل[١] ومرعىٰ الغنم، ونساء تميم وأبناؤها وراء ذلك. فقال: أمسك يا غلام، صَدَقَتِ المسكينة، المسلم أخو المسلم، يَسَعُهُما الماء والشجر[٢]، ويتعاونان علىٰ الفَتّان[٣]. فلما رأى حُرَيْث أنْ قد حِيلَ دون كتابه، ضرب بإحدى يديه علىٰ الأخرى وقال: كنتُ أنا وأنتِ كما قيل: حَتْفَها تحمل ضأنٌ بأظلافها[٤]، فقلت: أما والله إنْ كنتَ لدليلاً في الظلماء، جواداً بذي الرَّحل، عفيفاً عن الرفيقة حتىٰ قدمتُ علىٰ رسول الله ﷺ، ولكن لا تَلُمْني علىٰ حظي إذ سألتَ حظك. فقال: وما حظك في الدهناء لا أبا لك؟ فقلت: مُقَيَّد جملي تسأله لجمل امرأتك؟ فقال: لا جَرَم إني[٥] أُشْهِدُ رسول الله ﷺ أني لكِ أخ ما حَيِيتُ إذ أَثْنَيْتِ هذا عليّ عنده. فقلت: إذ بَدَأْتَها فلن أُضَيِّعها[٦]، فقال رسول الله ﷺ: أَيُلامُ ابن ذِهِ أن يَفْصِل الخِطّة[٧]، وينتصر مِن وراء الحُجْرة[٨]؟

---

(١) المُقَيَّد هنا الموضع الذي يُقَيَّد فيه الجمل حتىٰ يسمن لخصب الموضع، فلا يحتاج إلىٰ التطواف في الرعي، أي أنه مكان يكون الجمل فيه ذا قَيْدٍ.

(٢) أي هم شركاء فيهما، لكل منهما حظه.

(٣) قال في النهاية: الفتّان بضم الفاء وفتحها، فالضم جمع فاتن، أي يعاون أحدهما الآخر علىٰ الذين يُضِلّون الناس عن الحق ويَفْتِنونهم، وبالفتح هو الشيطان لأنه يفتن الناس عن الدين. وفتّان من أبنية المبالغة في الفتنة.

(٤) هذا مَثَل قديم سائر في العرب، أصله أنَّ شاة بَحَثَتْ بأظلافها في الأرض، فظهرت مدية فذُبِحَتْ بها، فصار مَثَلاً يُضرب لكلِّ مَنْ عَمِل عملاً أَضَرَّ بنفسه وأَوْقَعَها في الهَلَكة. جاء في مجمع الأمثال للميداني ج١ ص١٣٩: إنَّ هذا المَثَل لحُرَيْث بن حسان الشيباني، تَمَثَّل به بين يدي النبي ﷺ لِقَيْلة التميمية، وكان حُرَيْث حملها إلىٰ النبي ﷺ فسأله إقطاع الدَّهْناء، ففعل ذلك رسول الله ﷺ، فتكلّمت فيه قَيْلة، فعندها قال حريث: كنتُ أنا وأنتِ كما قيل: حَتْفها تحمل ضأنٌ بأظلافها.

(٥) وفي رواية: لا جرم عني، علىٰ لغتهم.

(٦) أي حين أَحْسَنْتَ إليَّ هذا الإحسان ابتداءً لا أزال أَشْكُرُك به.

(٧) وفي رواية: أَيُلام ابن هذه أن يفصل الخطة؟ أي الحال والخطب. أي مَنْ يكون وَلَد مِثْل هذه المرأة في العقل يكون بحيث يفصل الأمور وينظر في عواقبها، أي إذا كانت الأم عاقلة لا تُنْكَر ولا يُلام ابنها أن يكون عاقلاً مِثْلها. وقال صاحب الغريبين: أراد بابن ذِهِ الإنسان يقول إذا أصابه خطة ضَيْم فاحتجّ عن نفسه وطلب النَّصَف، وعبّر بلسانه ما يدفع به الظلم عن نفسه لم يكن ملوماً، فكأنه حين لامها الرجل علىٰ ما دَفَعَتْ عن نفسها اعتذر عنها رسول الله ﷺ، وأنه لا لوم عليها فيما فعلت. وقال أبو عبيد: يعني أنه إذا نزل به أمر ملتبس مشكل لا يهتدي إليه، يفصله حتىٰ يبرمه ويخرج منه، فوصفه بجودة الرأي، أي أنَّ هذا إنْ ظُلِمَ بظُلامة فإن عنده من المنعة والعز ما ينتصر به من السهو حتىٰ يستوفي حقه، وإن كان لظالمه مَنْ يمنعه مِن هذا ويحجزه عنه.

(٨) وفي رواية: الحُجْزة جمع حاجز، وهم الذين يمنعون بعض الناس من بعض ويفصلون بينهم بالحق.

فبكيتُ[١] ثم قلت: قد واللهِ كنتُ وَلَدْتُه يا رسول الله حازماً[٢]، فقاتل معك يوم الرَّبَذة، ثم ذهب يميرني من خيبر[٣] فأصابته حُمّاها، فمات وترك عليَّ النساء. فقالﷺ: والذي نفس محمد بيده لو لم تكوني مسكينة لجررناك اليوم علىٰ وجهك - أو لَجُرِرْتِ علىٰ وجهك، شكّ عبدالله بن حسان أي الحرفين حَدَّثَتْه المرأتان -، أَيُغْلَب أُحَيْدكم أن يُصاحِبَ صُوَيْحِبَه[٤] في الدنيا معروفاً، فإذا حال بينه وبينه مَنْ هو أَوْلىٰ به منه[٥] اسْتَرْجَعَ ثم قال: ربّ أَنْسِني[٦] ما أمضيتَ وأعنّي علىٰ ما أبقيتَ[٧]؟ والذي نفس محمد بيده إنَّ أُحَيْدكم ليبكي فيَسْتَعْبر إليه صُوَيْحِبه[٨]، فيا عباد الله لا تُعَذِّبوا إخوانكم[٩].

وكتب لها في قطعةٍ مِنْ أَدِيم أحمر:

> لِقَيْلة وللنسوة بنات قَيْلة: أنْ لا يُظلمن حقاً، ولا يُكْرَهْن علىٰ مَنْكَح، وكل مؤمن مسلم لهن نصير، أَحْسِنَّ ولا تُسِئْنَ.

---

(١) حين تَذَكَّرَتْ ولدها غلبها البكاء.

(٢) ورد اختلاف في اسمه فقيل: حزام، وقيل حرام، وقيل حازم. والهاء في وَلَدْتُهُ ضمير ابن ذِهِ، حين ذكر رسول اللهﷺ وَلَدَ مِثْلِها من النساء تَذَكَّرَتْ ولدها.

(٣) أي يأتيني بالميرة منها وهي الطعام.

(٤) يريد مَنْ كان معه مِن ولدٍ أو زوجٍ أو غيرهما.

(٥) يعني الله تبارك وتعالىٰ، أي علىٰ الرجل والمرأة مصاحبة صاحبه ما عاشا بالمعروف، فإذا قبض اللهﷻ أحدهما استرجع فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، وعَلِمَ أنه أَوْلىٰ بخلقه من غيره.

(٦) من النسيان، وهذه الكلمة تروى علىٰ وجوه، ففي رواية بعضهم: آسني وأسني، أيْ عوّضني مِمّا أمضيتُ، والأوس العوض. وقيل: أي أَعِنّي وصَبِّرْني علىٰ ما أمضيتَ، وقيل: أي اجعل لي أسوة بما تعظني به.

(٧) وفي رواية: وأَغِثْني بما أَبْقَيْتُ.

(٨) قيل: هو إنكارٌ من النبيﷺ لِجَزَعها علىٰ مَيِّتٍ بعد طول عهد؛ لأن الباكي يُهَيِّج غيره علىٰ البكاء. أي علىٰ الرجل إذا غلبه الجَزَع أن يدعو الله أن ينسيه ما فاته حتىٰ لا يجزع بعد وفاته، ويستعين به فيما أبقىٰ عليه علىٰ الحسن ما أخذه منه، ولا يبكي كل وقت فيُبكي غيره ويؤذيه بالحزن.

(٩) وفي رواية: موتاكم.

ص

قدوم وفد صُداء[1]:

روى البغوي والبيهقي وابن عساكر وحسّنه عن زياد بن الحارث الصُّدائي رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ فبايعته علىٰ الإسلام، فأُخبرتُ أنه قد بَعَثَ جيشاً إلىٰ قومي[2]. فقلت: يا رسول الله، قد جئتك وافداً علىٰ مَنْ ورائي، فاردد الجيش وأنا لك بإسلام قومي وطاعتهم. فقال لي: اذهب فرُدّهم، فقلت: يا رسول الله، إن راحلتي قد كَلَّتْ. فبعث رسول الله ﷺ رجلاً، فردّهم من صدر قناة. قال زياد: وكتب إلىٰ قومي كتاباً، فقدم وفدُهم بإسلامهم.

وعند ابن سعد: فقدم منهم بعد ذلك علىٰ رسول الله ﷺ خمسة عشر رجلاً، فقال سعد بن عبادة: يا رسول الله، دَعْهُم ينزلون عليّ. فنزلوا عليه، فحباهم وأكرمهم وكساهم، ثم راح بهم إلىٰ رسول الله ﷺ فأسلموا، وبايعوا رسول الله ﷺ علىٰ مَن وراءهم مِن قومهم.

قال زياد: فقال لي رسول الله ﷺ: يا أخا صُداء، إنك لَمُطاع في قومك. فقلت: بل الله هداهم للإسلام، فقال لي رسول الله ﷺ: أفلا أُؤَمِّرك عليهم؟ فقلت: بلىٰ يا رسول الله. فكتب لي كتاباً أَمَّرَني فيه، فقلت: يا رسول الله، مُرْ لي بشيء من صدقاتهم. قال: نعم، فكتب لي كتاباً آخر.

قال زياد: وكان ذلك في بعض أسفاره، ونزل رسول الله ﷺ منزلاً، فأتاه أهل ذلك المنزل يَشْكُون عاملهم ويقولون: أَخَذَنا بكل شيء بيننا وبين قومه في الجاهلية، فقال النبي ﷺ: أَفَعَل ذلك؟ قالوا: نعم، فالتفت رسول الله ﷺ إلىٰ أصحابه وأنا فيهم فقال:

---

(١) قال صاحب جمهرة أنساب العرب: هو حي من العرب باليمن.

(٢) قال ابن سعد في طبقاته: لَمّا انصرف رسول الله ﷺ من الجعرانة سنة ثمان، بعث قيس بن سعد بن عبادة إلىٰ ناحية اليمن وأَمَرَه أن يطأ صُداء، فعسكر بناحية قناة في أربعمائة من المسلمين - راجع ص٢٦٩.

لا خير في الإمارة لرجل مؤمن. قال زياد: فدخل قوله في قلبي، ثم أتاه آخر فقال: يا رسول الله، أَعْطِني. فقال رسول الله ﷺ: مَنْ يسأل الناس عن غِنىً فصداع في الرأس وداء في البطن، فقال السائل: أعطني من الصدقة، فقال رسول الله ﷺ: إن الله عز وجل لم يَرْضَ فيها بحكم نبي ولا غيره في الصدقات حتىٰ حَكَم فيها فجزّأها ثمانية أجزاء، فإنْ كنتَ مِنْ تلك الأجزاء أعطيتُك، وإنْ كنتَ غنياً عنها فإنما هي صداع في الرأس وداء في البطن. قال زياد: فدخل في نفسي أنني سألته من الصدقات وأني غني.

ثم إن رسول الله ﷺ اعْتَشىٰ[1] من أول الليل، فلزمتُ غَرْزَه[2] وكنت قريباً منه، فكان أصحابه ينقطعون عنه ويستأخرون عنه، حتىٰ إذا لم يَبْقَ معه أحد غيري. فلما كان أذان صلاة الصبح أَمَرَني فأذّنتُ، فجعلت أقول: أَقم الصلاة يا رسول الله، فجعل رسول الله ﷺ ينظر ناحية المشرق إلىٰ الفجر ويقول: لا، حتىٰ إذا طلع الفجر نزل رسول الله ﷺ فذهب لحاجته، ثم انصرف إليّ وتلاحق أصحابه، فقال: هل مِن ماء يا أخا صُداء؟ فقلت: لا، إلاّ شيء قليل لا يكفيك. فقال رسول الله ﷺ: اجعله في إناء ثم ائتني به، ففعلتُ. فوضع كفه في الماء، فقال زياد: فرأيت بين كل إصبعين من أصابعه عيناً تفور، ثم قال لي رسول الله ﷺ: يا أخا صُداء، لولا أني أَسْتَحِي مِن ربي عز وجل لَسَقَيْنا واسْتَقَيْنا، نادِ في أصحابي: مَنْ له حاجة في الماء. فناديتُ فيهم، فأَخَذَ مَنْ أراد منهم شيئاً، ثم قام رسول الله ﷺ إلىٰ الصلاة، فأراد بلال أن يُقيم، فقال له رسول الله ﷺ: إن أخا صُداء هذا أَذَّنَ، ومَنْ أذّن فهو يقيم.

قال الصدائي: فأقمتُ الصلاة، فلما قضىٰ رسول الله ﷺ أتيتُه بالكتابين فقلت: يا رسول الله، اعْفِني مِن هذين الكتابين. فقال رسول الله ﷺ: ما بدا لك؟ فقلت: سمعتك يا رسول الله تقول: لا خير في الإمارة لرجل مؤمن، وأنا مؤمن بالله تعالىٰ ورسوله. وسمعتك تقول للسائل: مَنْ سأل الناس عن غِنىً فصداع في الرأس وداء في البطن، وقد

---

(١) في النهاية: أي سار وقت العشاء.

(٢) الغَرْز: رِكاب كُور البعير إنْ كان من خشب أو جلد، والكُور هو رحل الناقة بأداته، وهو كالسرج وآلته للفرس.

سألتك وأنا غني. فقال رسول الله ﷺ: هو ذاك، فإنْ شئتَ فاقبل، وإنْ شئتَ فَدَعْ. فقلت: أَدَعُ، فقال لي رسول الله ﷺ: فدُلَّني علىٰ رجل أُؤَمِّرُه عليكم، فدَلَلْتُه علىٰ رجل من الوفد الذين قدموا عليه، فأمّره عليهم.

ثم قلنا: يا رسول الله، إن لنا بئراً إذا كان الشتاء كفانا ماؤها واجتمعنا عليها، وإذا كان الصيف قلّ ماؤها فتفرّقنا علىٰ المياه حولنا، وكلُّ مَن حولنا لنا عدو، فادْعُ الله لنا في بئرنا أن يَسَعَنا ماؤها فنجتمع عليها ولا نَتَفَرَّق. فدعا بسبع حُصَيّات ففركهنّ بيده، ودعا فيهن ثم قال: اذهبوا بهذه الحُصَيّات، فإذا أتيتم البئر فألقوا واحدة واحدة واذكروا اسم الله تعالىٰ. قال زياد الصدائي: ففعلنا ما قال، فما استطعنا بعد ذلك أن ننظر إلىٰ قعرها.

وعند ابن سعد: ورجعوا - أي الخمسة عشر - إلىٰ بلادهم، ففشا فيهم الإسلام[1]، فوافىٰ النبيَّ ﷺ مائةُ رجل منهم في حجة الوداع.

۞ قدوم وفد الصَّدِف[2]:

روى ابن سعد في طبقاته عن جماعة من الصَّدِف قالوا: قدم وفدنا علىٰ رسول الله ﷺ وهم بضعة عشر رجلاً، علىٰ قلائص لهم في أُزُر وأَرْدِية، فصادفوا رسول الله ﷺ فيما بين بيته وبين المنبر، فجلسوا ولم يُسَلِّموا، فقال: أمسلمون أنتم؟ قالوا: نعم، قال: فهلاّ سَلَّمْتُم؟ فقاموا قياماً فقالوا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، فقال: وعليكم السلام، اجلسوا. فجلسوا وسألوا رسول الله ﷺ عن أوقات الصلاة، فأخبرهم بها.

۞ قدوم وفد أبي صُفْرة:

روى ابن منده وابن عساكر والديلمي عن محمد بن غالب بن عبد الرحمن بن يزيد بن المُهَلَّب بن أبي صُفْرة قال: حدّثني أبي عن آبائه أن أبا صُفْرة قدم علىٰ رسول

---

(١) أي ظهر وشاع.

(٢) في القاموس: الصَّدِف ككتف: بطن من كندة يُنسبون إلىٰ حضرموت، والنسبة إليها صدفي محركة.

الله ﷺ على أن يبايعه وعليه حُلّة صفراء، وله طول ومنظر وجمال وفصاحة لسان. فلما رآه أَعْجَبه ما رأى من جماله، فقال له: مَنْ أنت؟ قال: أنا قاطع بن سارق بن ظالم بن عمر بن شهاب بن مُرّة بن الهِقام بن الجَلْنَد بن المستكبر الذي كان يأخذ كل سفينة غَصْباً، أنا مَلِك ابن مَلِك. فقال له النبي ﷺ: أنت أبو صُفْرة، دَعْ عنك سارقاً وظالماً. فقال: أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أنك عبده ورسوله حقاً حقاً، يا رسول الله وإنَّ لي ثمانية عشر ذكراً، وقد رُزِقْتُ بآخرة بنتاً سَمَّيْتُها صُفْرة. فقال له رسول الله ﷺ: فأنت أبو صُفْرة.

ض

۞ قدوم ضِمام بن ثعلبة وافداً عن بني سعد بن بكر[1]:

روى الإمام أحمد والشيخان والترمذي والنسائي رحمهم الله تعالى من طريق سليمان بن المغيرة عن ثابت، والبخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجة عن شريك بن عبدالله كلاهما عن أنس، وأبو القاسم عبدالله بن محمد البغوي عن الزهري، والإمام أحمد وابن سعد وابن إسحاق وأبو داود عن ابن عباس. قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية ابن إسحاق: بَعَثَتْ بنو سعد بن بكر ضِمامَ بن ثعلبة وافداً إلى رسول الله ﷺ، فقدم عليه وأناخ بعيره على باب المسجد ثم عقله، ثم دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه، وكان ضِمام رجلاً جَلْداً أَشْعَر ذا غَديرتين[2]، فأقبل حتى وقف على رسول الله ﷺ في أصحابه فقال: أيكم ابن عبد المطلب؟ فقال رسول الله ﷺ:

---

(١) ورد خبر هذا الوفد في سيرة ابن هشام ج٤ ص٢٤١، وطبقات ابن سعد ج٢ ص٦٤، وفي عيون الأثر ج٢ ص٢٣٣، وفي البداية والنهاية ج٥ ص٦٠، وفي السيرة الحلبية ج٣ ص٢٢٠.

(٢) الغَدِيرة: الذُّؤابة من الشعر.

أنا ابن عبد المطلب، قال: أمحمد؟ قال: نعم، قال: يا ابن عبد المطلب، إني سائلك ومُغَلِّظ عليك في المسألة، فلا تَجِدَنَّ في نفسك. قال: لا أجد في نفسي، فسَلْ عمّا بدا لك. قال: أنشدك الله إلهك وإله مَنْ كان قبلك، وإله مَنْ هو كائن بعدك، آلله بَعَثَكَ إلينا رسولاً؟ قال: اللهم نعم، قال: فأنشدك الله إلهك وإله مَنْ كان قبلك، وإله مَنْ هو كائن بعدك، آلله أمرك أن تأمرنا أن نعبده وحده لا نشرك به شيئاً؟ وأن نخلع هذه الأنداد التي كان آباؤنا يعبدون؟ قال: اللهم نعم، قال: فأنشدك الله إلهك وإله مَنْ كان قبلك، وإله مَنْ هو كائن بعدك، آلله أمرك أن نصلي هذه الصلوات الخمس؟ قال: اللهم نعم. قال: ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة: الزكاة، والصيام، والحج، وشرائع الإسلام كلها، يَنْشُدُه عند كل فريضة منها كما ينشده في التي قبلها، حتىٰ إذا فرغ قال: فإني أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أن محمداً رسول الله، وسأؤدي هذه الفرائض، وأجتنب ما نَهَيْتَني عنه، ثم لا أزيد ولا أنقص. ثم انصرف إلىٰ بعيره راجعاً، فقال رسول الله ﷺ: إنْ صَدَق ذو العقيصتين[1] دخل الجنة.

قال: فأتىٰ بعيرَه فأطلق عقاله، ثم خرج حتىٰ قدم علىٰ قومه فاجتمعوا إليه، فكان أول ما تكلّم به أنْ قال: بئست اللات والعزى، قالوا: مَهْ يا ضِمام، اتَّقِ البَرَص، اتَّقِ الجُذام، اتَّقِ الجنون. قال: ويلكم، إنهما والله لا يضران ولا ينفعان، إن الله قد بعث رسولاً، وأنزل عليه كتاباً اسْتَنْقَذَكم به مِمّا كنتم فيه، وإني أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وقد جئتكم مِن عنده بما أمركم به وما نهاكم عنه. قال: فوالله ما أمسىٰ مِن ذلك اليوم في حاضِرِهِ رجل ولا امرأة إلاّ مسلماً.

قال ابن عباس: فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضِمام بن ثعلبة.

---

(١) العَقِيصَتان: الضفيرتان من الشعر.

ط

قدوم وفد طارق بن عبدالله[١]:

روى الطبراني في الكبير وابن سعد في طبقاته عن طارق بن عبدالله رضي الله عنه قال: إني لَقائم بسوق ذي المجاز[٢]، إذ أَقْبَلَ رجل عليه جبة له وهو يقول: أيها الناس، قولوا: لا إله إلاّ الله تُفلحوا. ورجل يتبعه يرميه بالحجارة يقول: أيها الناس، إنه كذّاب فلا تُصَدِّقوه. فقلت: مَنْ هذا؟ فقالوا: هذا غلامٌ مِن بني هاشم يزعم أنه رسول الله، فقلت: مَنْ ذا الذي يفعل به هذا؟ قالوا: عمه عبد العزى.

قال: فلما أسلم الناس وهاجروا، خرجنا من الرَّبَذة[٣] نريد المدينة نمتار من تمرها، فلما دَنَوْنا مِن حيطانها ونخلها قلنا: لو نزلنا فلبسنا ثياباً غير هذه. فإذا رجل في طِمْرَيْن[٤] له، فسلّم وقال: مِنْ أين أقبل القوم؟ قلنا: مِن الرَّبَذة، قال: وأين تريدون؟ قلنا: نريد المدينة، قال: ما حاجتكم فيها؟ قلنا: نَمْتار من تمرها. قال طارق بن عبدالله: معنا ظعينة[٥] لنا، ومعنا جمل أحمر مخطوم. فقال: أتبيعوني جملكم هذا؟ قالوا: نعم بكذا وكذا صاعاً من تمر. قال: فما اسْتَوْفَيْنا مِمّا قلنا شيئاً حتىٰ أخذ بخطام الجمل وانطلق به، فلما توارى عنا

---

(١) المحاربي من محارب بن خصفة، له صحبة، روى عنه جامع بن شداد ورِبْعِيّ بن خراش، كما ذكر ذلك صاحب أسد الغابة.

(٢) في معجم البكري ج٤ ص١١٨٥: ذو المجاز كان سوقاً من أسواق العرب، وهو عن يمين الموقف بعرفة، قريباً من كَبْكَب وهي سوق متروكة.

(٣) قال صاحب المصباح المنير: الربذة وزان قصبة، خِرْقة الصائغ يجلو بها الحلي، وبها سُمِّيَت الرَّبَذة، وهي قرية كانت عامرة في صدر الإسلام، وبها قبر أبي ذر الغفاري وجماعة من الصحابة، وهي في وقتنا دارسة لا يُعْرَف بها رسم، وهي عن المدينة في جهة الشرق علىٰ طريق حجاج العراق نحو ثلاثة أيام، هكذا أخبرني به جماعة من أهل المدينة في سنة ٧٢٣.

(٤) أي ثوبين خَلِقَيْن، أو كساءين بالِيَيْن مِن غير الصوف.

(٥) الظَّعِينة امرأة في هودج، سُمِّيَتْ بذلك ولو كانت في بيتها لأنها تصير مظعونة، أي يظعن بها زوجها.

بحيطان المدينة ونخلها قلنا: ما صَنَعْنا؟ والله ما بِعْنا جملنا مِمَّنْ نعرف، ولا أَخَذْنا له ثمناً. فقالت المرأة التي معنا: لا تلاوموا، فلقد رأيتُ وجه رجل لا يغدر بكم، والله لقد رأيت رجلاً كأنّ وجهه شقة القمر ليلة البدر، أنا ضامنة لثمن جملكم. إذ أقبل رجل فقال: أنا رسول رسول الله ﷺ إليكم، هذا تمركم فكلوا واشبعوا، واكْتالوا واستوفوا. فأكلنا حتىٰ شبعنا، واكْتَلْنا واستوفينا.

ثم دخلنا المدينة، فلما دخلنا المسجد فإذا هو قائم علىٰ المنبر يخطب الناس، فأَدْرَكْنا من خطبته وهو يقول: تصدّقوا فإن الصدقة خير لكم، اليد العليا خير من اليد السفلىٰ، وابدأ بمَنْ تعول، أُمّك وأباك وأختك وأخاك وأدناك أدناك. فأقبل رجل في نفر من بني يربوع[1]، فقام رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله، إن لنا في هؤلاء دماً في الجاهلية. فقال: لا تَجْني أُمٌّ علىٰ ولد - ثلاث مرات -.

❁ قدوم وفد طَيِّئ مع زيد الخيل[2]:

روى ابن سعد عن أبي عُمَيْر الطائي وكان يتيم الزُّهْري، وعن عبادة الطائي عن أشياخهم قالوا: قدم وفد طَيِّئ علىٰ رسول الله ﷺ خمسة عشر رجلاً، رأسهم وسيدهم زيد الخير وهو زيد الخيل، وفيهم: وَزَر بن جابر بن سدوس، وقُبَيْصة بن الأسود بن عامر من جَرْم طَيِّئ، ومالك بن عبدالله بن خَيْبَري من بني مَعْن، وقُعَيْن بن خُلَيْف من جَدِيلة، ورجل من بني بَوْلان.

---

(١) قال صاحب جمهرة أنساب العرب ص٢١٣: بنو يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، ومنهم مالك ومُتَمِّم ابنا نويرة.

(٢) هو زيد الخيل بن مُهَلْهِل بن نَبْهان، وقيل له زيد الخيل لخمسة أفراس كانت لديه. وقال أبو الفرج في الأغاني: وكانت لزيد الخيل خيل كثيرة، منها المسماة المعروفة التي ذكرها في شعره وهي ستة: البِضال، والكَميت، والورد، وكامل، ودؤول. وقال في الأغاني: وكان زيد الخيل فارساً مغواراً مظفّراً شجاعاً، بعيد الصِّيت في الجاهلية، وأدرك الإسلام ووفد إلىٰ النبي ﷺ، ولقيه وسُرّ به وسمّاه زيد الخير.

فدخلوا المدينة ورسول الله ﷺ في المسجد، فعلفوا رواحلهم بفناء المسجد، ثم دخلوا فدنوا من رسول الله ﷺ، فعرض عليهم الإسلام فأسلموا وحَسُنَ إسلامهم، وأجازهم بخمس أَواقٍ فضة لكل رجل منهم، وأعطىٰ زيد الخيل اثنتي عشرة أوقية ونَشّاً. وقال رسول الله ﷺ: ما ذُكِرَ لي رجل من العرب إلاّ رأيتُه دون ما ذُكِرَ لي، إلاّ ما كان من زيد الخيل فإنه لم يبلغ كل ما فيه. وسمّاه رسول الله ﷺ زيد الخير، وقطع له فَيْد[1] وأرَضين، وكتب له بذلك كتاباً، ورجع مع قومه.

وعند ابن إسحاق: فخرج به من عند رسول الله ﷺ راجعاً إلىٰ قومه، فقال رسول الله ﷺ: إنْ يَنْجُ زيد مِنْ حُمّىٰ المدينة فإنه[2]. فلما انتهىٰ من بلد نجد إلىٰ ماء من مياهه يقال له: فَرْدة، أصابته الحمىٰ بها فمات.

قال في زاد المعاد وفي العيون: فلما أحسّ بالموت أنشد يقول:

أَمُرْتَحِلٌ قومي المشارقَ غُدوةً وأُتركُ في بيتٍ بفَرْدة مُنْجِدِ[3]

ألا رُبَّ يومٍ لو مَرِضتُ لَعادني عوائدُ مَنْ لم يُبْرَ[4] منهن يَجْهَدِ

فلما مات عمدت امرأته بجهلها وقِلّة عقلها إلىٰ ما كان رسول الله ﷺ كتب له به، فحَرَّقَتْه بالنار.

وذكر ابن دريد عن أبي محسن أن زيداً أقام بفَرْدة ثلاثة أيام ومات، فأقام عليه قُبَيْصة بن الأسود المَناحة سنة، ثم وجّه براحلته ورحله وفيها كتاب النبي ﷺ، فلما رَأَتِ امرأته الراحلة ليس عليها زيد ضَرَّمَتْها بالنار، فاحترقت واحترق الكتاب.

---

(١) هو اسم مكان.

(٢) قال بعض الشراح: إنّ جواب (إنْ يَنْجُ) محذوف، والتقدير: فإنه لا يُعاب.

(٣) أي بنجد.

(٤) بالبناء للمجهول، أي يُبريه السفر ويضعفه.

ع

قدوم وفد بني عامر بن صَعْصَعة:

روى ابن المنذر وابن حاتم وأبو نعيم وابن مردويه والبيهقي عن مُوَلِّه بن كثيف بن حَمْل عن ابن عباس رضي الله عنهما، والحاكم عن سلمة بن الأكوع، وأبو نعيم عن عروة، والبيهقي عن ابن إسحاق، قال ابن إسحاق: قدم علىٰ رسول الله ﷺ وفد بني عامر، فيهم عامر بن الطفيل، وأَرْبَد بن قيس[١]، وجَبّار بن سلمىٰ[٢]، وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وشياطينهم.

فقدم عامر بن الطفيل عدو الله علىٰ رسول الله ﷺ وهو يريد الغدر به، وقد قال له قومه: يا عامر، إن الناس قد أسلموا فأَسْلِمْ. قال: والله لقد كنت آلَيْتُ أن لا أنتهي حتىٰ تَتْبَعَ العرب عَقِبي، أفَأَتْبَعُ عَقِبَ هذا الفتىٰ من قريش؟! ثم قال لأربد: إذا قدمنا علىٰ الرجل فإني سأشغل عنك وجهه، فإذا فعلتُ ذلك فَاعْلُهُ بالسيف[٣].

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما: قال: فإن الناس إذا قَتَلْت محمداً لم تزد علىٰ أن تلتزم بالدية وتكره الحرب، فسنعطيهم الدية. قال أَرْبَد: أفعل. فلما قدموا علىٰ رسول الله ﷺ وانتهىٰ إليه عامر وأَرْبد، فجلسا بين يديه.

قال ابن إسحاق: قال عامر بن الطفيل: يا محمد خالِّني[٤]، قال: لا والله حتىٰ تؤمن بالله وحده لا شريك له.

---

(١) هو أخو لبيد بن ربيعة لأمه، مات كافراً كما سيأتي معنا.

(٢) هو قاتل عامر بن فهيرة ببئر معونة كما مرّ معنا، راجع ص١٧٩.

(٣) أي اقتله به.

(٤) خالِّني بتشديد اللام من المُخالَلة وهي المصادقة، أي اتَّخِذْني خليلاً وصاحباً. ورُوِيَ بتخفيف اللام: أي تَفَرَّدْ لي خالياً حتىٰ أَتَحَدَّثَ معك.

وفي رواية ابن عباس رضي الله عنهما: فقال عامر: ما تجعل لي يا محمد إنْ أسلمتُ؟ فقال رسول الله ﷺ: لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم، قال عامر: أتجعل لي الأمر بعدك إنْ أسلمتُ؟ فقال رسول الله ﷺ: ليس ذلك لك ولا لقومك، ولكن لك أَعِنّة الخيل. قال: أنا الآن في أعنّة خيل نجد، أتجعل لي الوَبَر ولك المَدَر؟ قال رسول الله ﷺ: لا. فلما قاما عنه قال عامر: أما والله لأَمْلأنَّها عليك خيلاً ورجالاً، فقال ﷺ: يمنعك الله عز وجل.

وفي حديث مُوَلّه بن كثيف بن حمل: قال عامر: والله يا محمد لأَمْلأَنَّها عليك خيلاً جُرْداً، ورجالاً مُرْداً، ولأَرْبِطَنّ بكل نخلة فرساً. فقال رسول الله ﷺ: اللهم اكْفِني عامراً، واهْدِ قومَه.

قال ابن إسحاق: فلما خرجوا من عند رسول الله ﷺ، قال عامر لأَرْبد: ويلك يا أَرْبد، أين ما كنتُ أمرتك به؟ والله ما كان علىٰ ظهر الأرض رجل هو أَخْوف عندي علىٰ نفسي منك، وَايْمُ الله لا أخافك بعد اليوم أبداً. قال: لا أبا لك، لا تَعْجَلْ عليَّ، واللهِ ما هَمَمْتُ بالذي أَمَرْتَني به مِنْ أَمْرِهِ إلاّ دخلتَ بيني وبين الرجل حتىٰ ما أرى غيرك، أفأضربك بالسيف؟

وفي حديث ابن عباس: فلما خرج أَرْبَد وعامر من عند رسول الله ﷺ، حتىٰ إذا كانا بحَرّة واقم نزلا، فخرج إليهما سعد بن معاذ وأُسَيْد بن حُضَيْر فقالا: أَشْخِصا يا عَدُوّا الله، لعنكما الله. فقال عامر: مَنْ هذا يا أَرْبد؟ قال: هذا أُسَيْد بن حضير، فخرجا.

وروى البيهقي عن إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة قال: مكث رسول الله ﷺ يدعو علىٰ عامر بن الطفيل ثلاثين صباحاً: اللهم اكْفِني عامر بن الطفيل بما شئتَ، وابعث عليه داء يقتله. حتىٰ إذا كان بالرّقَم[1] بعث الله تعالىٰ علىٰ عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه، فقتله الله في بيت امرأةٍ مِن بني سلول، فجعل يَمَسُّ فُرْحَتَه في حلقه ويقول: يا بني عامر، أَغُدّةً كغُدّة البَكْر[2] في بيت امرأة من بني سلول؟!

---

(١) هو موضع بالحجاز، وعند ياقوت موضع بالمدينة تُنسب إليه السهام الرّقميات.

(٢) الغُدّة: داء يصيب البعير فيموت منه، وهو شبيه بالذبحة التي تصيب الإنسان. والبَكْر: الفتىٰ من الإبل. فتأسّف عامر أن لم يمت مقتولاً كما يتأسّف الشجعان، وتأسّف أيضاً علىٰ موته في بيت امرأة من سلول؛ لأن بني سلول موصوفون عندهم باللؤم.

قال ابن هشام: ويقال: أَغُدَّةً كغدة الإبل وموتاً في بيت سلولية؟!

زاد ابن عباس: يرغب أن يموت في بيتها، ثم ركب فرسه فأحضرها، وأخذ رمحه وأقبل يجول، فلم تزل تلك حاله حتىٰ سقط عن فرسه ميتاً.

قال ابن إسحاق: ثم خرج أصحابه حين وارَوْه حتىٰ قدموا أرض بني عامر، فلما قدموا أتاهم قومُهم فقالوا: ما وراءك يا أَرْبد؟ قال: لا شيء والله، لقد دعانا إلىٰ عبادة شيء لوددتُ أنه عندي الآن فأرميه بالنَّبْل حتىٰ أقتله.

فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين معه جمل له يَتْبَعُه[1]، فأرسل الله تعالىٰ عليه وعلىٰ جمله صاعقة فأحرقتهما.

وفي حديث ابن عباس: حتىٰ إذا كان بالرَّقَم أرسل الله عليه صاعقة فقتَلَتْه.

قال ابن عباس وابن إسحاق: وأنزل الله عز وجل في عامر وأَرْبَد قوله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ[2] وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ[3] وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ[4] ۝٨ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ[5] ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ[6] ۝٩ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ[7] وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ[8] ۝١٠ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ[9] يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ[10] إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) وفي رواية: يَبِيعه.

(٢) أي من ذكر وأنثىٰ، وواحد ومُتَعَدِّد.

(٣) أي ما تنقص الأرحام مِنْ عِدّة الحمل، وما تزداد منه.

(٤) أي بمقدار واحد لا يتجاوزه.

(٥) أي ما غاب وما شهد.

(٦) أي العظيم علىٰ خَلْقِه بالقهر.

(٧) أي مُسْتَتِر بظلمة الليل.

(٨) أي ظاهر بذهابه في سِرْبِه - أي طريقه - بالنهار.

(٩) أي للإنسان ملائكة تَعْتَقِبُه قُدّامه ومن ورائه.

(١٠) أي بأمر الله من الجن وغير الجن.

لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ (١) حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ (٢) وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا (٣) فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ (٤) وَمَا لَهُم (٥) مِّن دُونِهِۦ (٦) مِن وَالٍ (٧) ﴿١١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا (٨) وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ (٩) ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ (١٠) وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ (١١) وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ (١٢) فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ (١٣) وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ (١٤) وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ (١٥) ﴿١٣﴾ ﴾ [الرعد].

❁ قدوم وفد عبد الرحمن بن أبي عَقِيل:

روى البخاري في التاريخ والحارث بن أبي أسامة وابن مَنْدَه والطبراني والبزار والبيهقي

---

(١) أي لا يسلبهم نِعْمَته.

(٢) أي من الحالة الجميلة بالمعصية.

(٣) أي عذاباً.

(٤) أي مِنَ المُعَقِّبات وغيرها.

(٥) أي إنْ أراد الله بهم سوءاً.

(٦) أي مِن غير الله.

(٧) أي يمنعه عنهم.

(٨) أي خوفاً للمسافر من الصواعق، وطمعاً للمقيم في المطر.

(٩) أي يخلق السحاب الثقال بالمطر.

(١٠) الرعد هو مَلَك مُوَكَّل بالسحاب يسوقه، يقول: سبحان الله وبحمده.

(١١) أي من خشية الله تعالىٰ.

(١٢) وهي نار تخرج من السحاب فيصيب بها مَنْ يشاء فيحرقه. وفي أسباب النزول للواحدي ص٢٠٤ أنه رجل من فراعنة العرب.

(١٣) قيل: نزل ذلك في رجل بَعَثَ إليه رسول الله ﷺ مَنْ يدعوه للإسلام، فقال: مَنْ رسول الله؟ ومَن الله؟ أَمِنْ ذهب هو أم مِن فضة أم نحاس؟ فنزلت به صاعقة فذهبت بقِحْف رأسه.

(١٤) أي الكفار يخاصمون النبي ﷺ في الله.

(١٥) أي القوة والأخذ. وفي الكشاف: المِحال المماحلة، وهي شدة المماكرة والمكايدة. والمعنىٰ أنه شديد المكر والكيد لأعدائه، يأتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون.

برجال ثقات عن عبد الرحمن بن أبي عَقِيل الثقفي رضي الله عنه[١] قال: انطلقتُ في وفد ثقيف إلىٰ رسول الله ﷺ فأتيناه، فأَنَخْنا بالباب وما في الناس رجل أَبْغَض إلينا مِن رجل نَلِجُ عليه، فلما خرجنا بعد دخولنا عليه، فخرجنا وما في الناس رجل أَحَبّ إلينا مِنْ رجل دَخَلْنا عليه. قال: فقال قائل منا: يا رسول الله، أَلاَ سألتَ ربك مُلْكاً كمُلْك سليمان؟ فضحك رسول الله ﷺ ثم قال: فلعلّ لِصاحبكم عند الله أفضل مِنْ مُلْك سليمان، إن الله عز وجل لم يبعث نبياً إلاّ أعطاه دعوة، فمنهم مَنِ اتّخذ بها دنيا فأُعْطِيها، ومنهم مَنْ دعا بها علىٰ قومه إذ عَصَوْه فأُهْلِكوا بها، وإن الله عز وجل أعطاني دعوة فاخْتَبَأْتُها عند ربي شفاعة لأمتي يوم القيامة.

❁ قدوم وفد بني عَبْد بن عدي:

روى المدائني وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره قال: قَدِمَ وفد بني عَبْد بن عدي، فيهم: الحارث بن وهبان، وعُوَيْمر بن الأَخْرَم، وحبيب وربيعة ابنا ملّة، ومعهم رهط من قومهم، فقالوا: يا محمد، نحن أهل الحَرَم وساكنيه، وأَعَزُّ مَنْ به، ونحن لا نريد قتالك، ولو قاتلك غير قريش قاتلنا معك، ولكنّا لا نقاتل قريشاً، وإنّا لنحبك ومَنْ أنت منه، وقد أتيناك، فإن أصبتَ منا أحداً خطأً فعليك دِيَتُه، وإنْ أَصَبْنا أحداً من أصحابك فعلينا دِيَتُه، إلاّ رجلاً منا قد هرب، فإنْ أَصَبْتُه أو أصابه أحد من أصحابك فليس علينا ولا عليك. فقال عُوَيْمر بن الأَخْرم: دعوني آخذ عليه، قالوا: لا، محمد لا يغدر ولا يريد أن يُغدر به. فقال حبيب وربيعة: يا رسول الله، إنَّ أَسِيد بن أبي أُناس[٢] هو الذي هرب، وتَبَرَّأْنا إليك منه وقد نال منك. فأباح رسول الله ﷺ دمه، وبلغ أَسِيد أقوالهما لرسول الله ﷺ، فأتىٰ الطائف فأقام به.

---

(١) ابن مسعود بن مُعَتِّب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف الثقفي، كذا نَسَبه هشام بن الكلبي. وقد اختلفوا في نسبه، وأجمعوا علىٰ أنه من ثقيف وأن له صحبة.

(٢) هو أَسِيد بن أبي أُناس بن زنيم بن عمرو الكناني الدؤلي العدوي، وكان شاعراً - انظر ترجمته في أسد الغابة ج١ ص٨٩-٩٠ وفي الإصابة ١٧٣.

فلما كان عام الفتح، كان أَسِيد بن أبي أُناس فيمَنْ أُهْدِرَ دمه، فخرج سارية بن زُنَيْم[١] إلىٰ الطائف، فقال له أَسِيد: ما وراءك؟ قال: قد أظهر الله تعالىٰ نبيه ونصره علىٰ عدوه، فاخرج يا ابن أخي إليه فإنه لا يَقْتُلُ مَنْ أتاه. فحمل أَسِيد امرأته وخرج وهي حامل تنتظر، وأقبل فألقت غلاماً عند قَرْن الثعالب[٢].

وأتىٰ أَسِيد أهله، فلبس قميصاً واعتمّ، ثم أتىٰ رسول الله ﷺ وسارية بن زُنَيْم قائم بالسيف عند رأسه يحرسه. فأقبل أَسِيد حتىٰ جلس بين يدي رسول الله ﷺ وقال: يا محمد، أَهْدَرْتَ دم أَسِيد؟ قال: نعم، قال: أَتَقْبَلُ منه إنْ جاءك مؤمناً؟ قال: نعم. فوضع يده في يد رسول الله ﷺ فقال: هذه يدي في يدك، أشهد أنك رسول الله، وأشهد أن لا إله إلاّ الله. فأمر رسول الله ﷺ رجلاً يصرخ أنَّ أَسِيد بن أبي أُناس قد آمن، وقد أمّنه رسول الله ﷺ. ومسح رسول الله ﷺ وجهه، وألقىٰ يده علىٰ صدره، فيقال: إن أَسِيداً كان يدخل البيت المظلم فيضيء.

وقال أَسِيد رضي الله عنه:

أَأَنتَ الفتىٰ تَهْدِي مَعَدّاً لِرَبِّها[٣] ... بل اللهُ يَهْدِيها وقال لك اشْهَدِ
فما حَمَلَتْ مِنْ ناقةٍ فوق كُورِها[٤] ... أَبَرَّ وأَوْفَىٰ ذِمّةً مِنْ محمدِ
وأَكْسَىٰ لِبُرْدِ الحالِ قبل ابْتِذالِهِ ... وأَعْطَىٰ لِرأسِ السّابقِ المُتَجَرِّدِ
تَعَلَّمْ رسولَ الله أنك قادرٌ ... علىٰ كُلِّ حَيٍّ مُتْهِمِين ومُنْجِدِ
تَعَلَّمْ بأنَّ الرَّكْبَ ركبُ عُوَيْمِرٍ ... هُمُ الكاذبون المُخْلِفون كُلَّ مَوْعِدِ

---

(١) هو الدَّعِيُّ في النسب الملحق بالقوم وليس منهم، تشبيهاً له بالزَّنَمة وهو شيء يُقطع من أذن الشاة ويُترك معلقاً بها.

(٢) هو موضع يُحْرِم منه أهل نجد.

(٣) وفي لفظ: لِدِينها.

(٤) في النهاية: الكُور بالضم، وهو رحل الناقة بأداته، وهو كالسرج وآلته للفرس. وكثير من الناس يفتح الكاف وهو خطأ.

أَنْبُـوا رسـولَ الله أنْ قـد هَجَوْتُـهُ فـلا رَفَعَـتْ سَـوْطي إليَّ إذَنْ يَـدِي
سوى أنّني قد قلتُ يـا وَيْـح فِتْيـةٍ[١] أُصِيبـوا بنَحْـس لا يُطـاقُ وأَسْـعَدِ[٢]
أصابَـهُمُ مَـنْ لم يَكُـنْ لِدمائـهِمْ كَفِيئـاً فعَـزَّتْ حَسْـرَتي وتَنَكُّـدي[٣]
ذُؤَيْـبٌ وكُلْثـومٌ وسَـلْمىٰ تَتـابعوا جميعاً فـإنْ لا تَدْمَـع العـينُ تَكْمَـدِ[٤]

وروى ابن شاهين في المدائني عن رجاله من عدة طرق قال: فلما أَنْشَدَه:

أأنتَ الذي تَهْدي مَعَدّاً لِدينها

قال رسول الله ﷺ: بل الله يهديها، فقال الشاعر:

بل الله يَهْديها وقال لك اشهدِ

وقال دِعْبِل بن علي[٥] في طبقات الشعراء: قولُه:

فمـا حَمَلَـتْ ناقـة فـوق كُورهـا أَعَـفّ وأوفـىٰ ذمـة مِـن محمـدِ

هذا أَصْدَقُ بيتٍ قالَتْهُ العرب[٦].

---

(١) وفي نسخة: (وَيْل أَمْر فتيةٍ)، وقيل: (وَيْل أُمّ فتيةٍ).

(٢) في الإصابة ج١ ص٩٠: (أَصِيبوا بنحس يوم طَلْق وأسعد).

(٣) في الإصابة: (فعزّت حَسْرَتي وتَلَدُّدِي).

(٤) زاد في الإصابة:

علـىٰ أن سَـلْمىٰ ليـس فيـها كمِثْلـه وإخوتـه هـلاّ ملـوك كـأَعْبُـدِ

وزاد أيضاً:

تَعَلَّـمْ رسـولَ الله أنـك مُدْرِكـي وأنَّ وعيـداً منـك كـالأخذ باليـدِ

(٥) هو دِعْبِل بن علي بن رزين الخزاعي، توفي سنة ٢٤٦هـ، وقال فيه ابن خلْكان: كان شاعراً بذيء اللسان، مُولَعاً بالهجو والحط من أقدار الناس، هجا الخلفاء ومَنْ دونهم.

(٦) وقد ذكر الواقدي والطبراني هذه القصة والأبيات لأنس بن زنيم، وقال الحافظ في الإصابة: وقد رُوِيَتْ نظير قصته لأنس بن زنيم كما ورد في ترجمته، ويُحتمل وقوع ذلك لهما.

۞ قدوم وفد عبد القيس:

روى أبو يعلىٰ والطبراني بسند جيد والبيهقي عن مَزِيدة بن مالك العَصَرِيّ، وأبو يعلىٰ عن الأَشَجّ العَبْدي[1] رضي الله عنهما، قال الأول: بينما رسول الله ﷺ يُحَدِّث أصحابه إذ قال لهم: سيطلع عليكم مِنْ ها هنا ركب هم خير أهل المشرق، فقام عمر رضي الله عنه فتوجّه نحوهم، فلقي ثلاثة عشر راكباً فقال: مَنِ القوم؟ فقالوا: مِن بني عبد القيس، قال: فما أَقْدَمَكُمْ؟ أَلِتِجارَةٍ؟ قالوا: لا، قال: أما إن النبي ﷺ قد ذكركم آنفاً فقال خيراً.

ثم مَشَوْا معه حتىٰ أَتَوا النبي ﷺ، فقال عمر للقوم: هذا صاحبكم الذي تريدون، فرمىٰ القوم بأنفسهم عن ركائبهم، منهم مَنْ مشىٰ، ومنهم مَن هَرْوَل، ومنهم مَنْ سَعَىٰ، حتىٰ أَتَوا النبي ﷺ، فابتدره القوم ولم يلبسوا إلا ثياب سفرهم، فأخذوا بيده فقبّلوها، وتخلّف الأَشَجّ وهو أصغر القوم في الركاب حتىٰ أناخها، وجمع متاع القوم وذلك بِعَيْنِ رسول الله ﷺ.

وفي حديث الزّارِعي بن عامر العبدي عند البيهقي: فجعلنا نتبادر مِنْ رواحلنا فنُقبّل يد رسول الله ﷺ ورِجْلَه، وانتظر المنذر الأَشَجّ حتىٰ أتىٰ عَيْبَته، فلبس ثَوْبَيْه.

وفي حديثٍ عند الإمام أحمد: فأخرج ثوبين أبيضين من ثيابه فلبسهما، ثم جاء يمشي حتىٰ أخذ بيد رسول الله ﷺ فقبّلها، وكان رجلاً دميماً. فلما نظر ﷺ إلىٰ دمامته قال: يا رسول الله، إنه لا يُسْتَقَىٰ في مُسُوك[2] الرجال، إنما يُحتاج من الرجل إلىٰ أَصْغَرَيْه: لسانه وقلبه. فقال له رسول الله ﷺ: إنَّ فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله: الحِلْم والأناة. قال: يا رسول الله، أنا أَتَخَلَّقُ بهما أَمِ الله جَبَلَني عليهما؟ قال: بل الله تعالىٰ جَبَلَك عليهما، قال: الحمد لله الذي جَبَلَني علىٰ خَلَّتَيْن يُحِبُّهما الله ورسوله. قال: يا معشر عبد القيس، ما لي أرى وجوهكم قد تغيّرت؟ قالوا: يا نبي الله، نحن بأرض وَخْمة، وكنا نتّخذ مِنْ هذه

---

(١) هو المنذر بن عائذ بن المنذر بن الحارث.

(٢) في النهاية: المُسْك بسكون السين: الجلد، والجمع مُسُك ومُسُوك.

الأنبذة ما يقطع اللحمان في بطوننا، فلما نَهَيْتَنا عن الظروف فذلك الذي ترى في وجوهنا. فقال رسول الله ﷺ: إن الظروف لا تحلّ ولا تحرم، ولكنْ كلُّ مُسْكر حرام، وليس أنْ تجلسوا فتشربوا حتىٰ إذا ثملت العروق[1] تفاخرتم، فوثب الرجل علىٰ ابن عمه بالسيف فتركه أَعْرَج. قال: وهو يومئذ في القوم الأَعْرَج الذي أصابه ذلك.

وأقبل القوم علىٰ تمرات لهم يأكلونها، فجعل رسول الله ﷺ يُسَمِّي لهم: هذا كذا وهذا كذا، قالوا: أجل يا رسول الله، ما نحن بأعلم بأسمائها منك. وقالوا لرجل منهم: أَطْعِمْنا مِنْ بقية الذي بقي في نَوْطك[2]، فقام وجاءه بالبَرْني[3]، فقال النبي ﷺ: هذا البَرْنِيّ أمسىٰ مِن خير ثمراتكم.

وروى ابن سعد عن عروة بن الزبير قال: وحدّثني عبد الحميد بن جعفر عن أبيه قالا: كتب رسول الله ﷺ إلىٰ أهل البحرين أن يَقْدَم عليه عشرون رجلاً منهم، فقدم عليه عشرون رجلاً رأسهم عبدالله بن عوف الأَشَجّ، وفيهم الجارود ومُنْقِذ بن حِبّان[4] وهو ابن أخت الأَشَجّ. وكان قدومهم عام الفتح، فقيل: يا رسول الله، هؤلاء وفد عبد القيس،

---

(١) أي امتلأت.

(٢) النَّوْط: الجُلّة الصغيرة التي يكون فيها التمر.

(٣) هو نوع من أنواع التمر.

(٤) كان سبب وفود مُنْقِذ بن حبّان أحد بني غنم بن وديعة أنه كان مَتْجَرُهُ إلىٰ يثرب في الجاهلية، فشخص إلىٰ يثرب بملاحف ونَمْر مِنْ هَجَرَ بعد هجرة النبي ﷺ إليها، فبينا مُنْقِذ قاعدٌ إذ مرّ به النبي ﷺ، فنهض مُنْقِذ إليه، فقال النبي ﷺ: أَمُنْقِذ بن حِبّان؟ كيف جميع هيأتك وقومك؟ ثم سأله عن أشرافهم رجل رجل يُسَمِّيهم بأسمائهم، فأسلم مُنْقِذ وتعلّم سورة الفاتحة، و﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق١]. ثم رَحَلَ قِبَل هَجَر، فكتب النبي ﷺ معه إلىٰ جماعة عبد القيس كتاباً، فذهب به وكَتَمَه أياماً، ثم اطّلعت عليه امرأته وهي بنت المنذر بن عائذ بن الحارث، والمنذر هو الأَشَجّ، سمّاه النبي ﷺ به لأثر كان في وجهه. وكان مُنْقِذ يصلي ويقرأ، فأنكرت امرأته ذلك وذَكَرَتْهُ لأبيها المنذر فقالت: أنكرتُ بَعْلي منذ قَدِمَ مِن يثرب، إنه يغسل أطرافه ويستقبل الجهة - أي القبلة -، فيُحْني ظهره مرة ويضع جبهته مرة، ذلك دَيْدَنُهُ منذ قَدِم. فتلاقيا فتَجارَيا ذلك، فوقع الإسلام في قلبه. ثم سار الأشجّ إلىٰ قومه عَصَر ومُحارب بكتاب رسول الله ﷺ، فقرأه عليهم فوقع الإسلام في قلوبهم، وأجمعوا المسير إلىٰ رسول الله ﷺ. فسار الوفد، فلما دَنَوْا من المدينة قال النبي ﷺ لجلسائه: أتاكم وفد عبد القيس خير أهل المشرق، وفيهم الأشجّ العصري، غير ناكثين ولا مُبَدِّلين ولا مُرْتابين، إذ لم يُسْلِم قوم حتىٰ وَتَروا.

قال: مرحباً بهم، نِعْمَ القوم عبد القيس.

قال: ونظر رسول الله ﷺ إلىٰ الأُفُق صبيحة ليلة قدموا، وقال: لَيَأْتِيَنّ ركب من هذا المشرق لم يُكْرَهوا علىٰ الإسلام، قد أَنْضَوا الركاب، وأَفْنوا الزاد، بصاحبهم علامة، اللهم اغفر لعبد القيس، أَتَوْني لا يسألوني مالاً، هم خير أهل المشرق.

قال: فجاءوا عشرين رجلاً ورأسهم عبدالله بن عوف الأَشَجّ، ورسول الله ﷺ في المسجد فسلّموا عليه، وسألهم رسول الله ﷺ: أيّكم عبدالله الأَشَجّ؟ فقال: أنا يا رسول الله، وكان رجلاً دميماً. فنظر إليه رسول الله ﷺ فقال: إنه لا يُسْتَقىٰ في مُسُوك الرجال، إنما يُحتاج من الرجل إلىٰ أَصْغَرَيْه: لسانه وقلبه.

وروى الإمام أحمد عن الزارع بن عامر أنه قال: يا رسول الله، إن معي رجلاً خالاً لي مصاباً[1]، فادعُ الله تعالىٰ له. فقال: أين هو؟ ائتني به. قال: فصنعتُ مِثْل ما صنع الأَشَجّ، أَلْبَسْتُهُ ثوبيه وأتيتُه به، فأخذ طائفة من ردائه فرفعها حتىٰ بان بياض إبطه، ثم ضرب ظهره وقال: اخرج عدو الله، فأقبل ينظر نظر الصحيح ليس بنظره الأول، ثم أقعده بين يديه فدعا له ومسح وجهه، فلم يكن في الوفد أحدٌ بعد دعوة رسول الله ﷺ يَفْضُلُ عليه.

وروى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم وفد عبد القيس علىٰ رسول الله ﷺ فقال: مَنِ القوم؟ قالوا: مِنْ ربيعة، قال: مرحباً بالقوم غير خَزايا ولا نَدامىٰ، فقالوا: يا رسول الله، إنّا نَأْتِيك مِن شُقّة بعيدة[2]، وإنه يحول بيننا وبينك هذا الحي مِن كفار مُضَر، وإنّا لا نصل إليك إلاّ في شهر حرام[3]، فمُرْنا بأَمْرٍ فَصْل إنْ عملنا به دخلنا الجنة. قال: آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع، قال: أَمَرَهم بالإيمان بالله وحده وقال: هل تدرون ما الإيمان بالله؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: شهادة أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأنْ تُعْطوا الخُمس من المغنم.

---

(١) وفي أسد الغابة ج٢ ص١٩٢: ومعه ابن له مجنون أو ابن أخت له.

(٢) الشُقّة: المسافة البعيدة والسفر الطويل.

(٣) وفي رواية: لا نستطيع أن نأتيك إلاّ في الأشهر الحُرُم.

وأنهاكم عن أربع: عن الدُّبّاء[١]، والحَنْتَم[٢]، والمُزَفَّت[٣]، والنَّقِير[٤] - وربما قال: المُقَيَّر[٥] -. فاحْفَظوهنّ وادْعُوا إليهنّ مَنْ وراءكم. قالوا: يا نبي الله، ما عِلْمُكَ بالنَّقِير؟ قال: بلىٰ، جذع تَنْقُرُونه فتقذفون فيه من القُطَيْعاء[٦] - أو قال: من التمر -، ثم تصبون فيه من الماء حتىٰ إذا سكن غليانه شربتموه، حتىٰ إنّ أحدكم ليضرب ابن عمه بالسيف. قال: وفي القوم رجل أَصابَتْهُ جراحة كذلك، قال: وكنت أَخْبَأُها حياءً من رسول الله ﷺ. قالوا: ففيمَ نشرب يا رسول الله؟ قال: في أَسْقِية الأُدُم[٧] التي يُلاث علىٰ أفواهها[٨]، فقالوا: يا رسول الله، إنَّ أرضنا كثيرة الجرذان ولا تبقىٰ بها أَسْقِية الأُدُم. فقال نبي الله ﷺ: وإنْ أَكَلَتْها الجرذان - مرتين أو ثلاثاً -، ثم قال رسول الله ﷺ لأَشَجّ عبد القيس: إنَّ فيك لَخَصْلَتَيْن يُحِبُّهما الله ورسوله: الحِلم والأناة.

وروى الإمام أحمد عن شهاب بن عبّاد أنه سمع بعض وفد عبد القيس يقول: قال الأَشَجّ: يا رسول الله، إن أرضنا ثقيلة وَخْمة، وإنّا إذا لم نشرب هذه الأشربة هيجت ألواننا، وعَظُمَتْ بطوننا، فرَخِّصْ لنا في هذه - وأَوْمَأَ بكفيه -. فقال: يا أَشَجّ، إني إنْ

---

(١) هو القرع، كانوا ينتبذون فيها فتسرع الشدة في الشراب. وتحريم الانتباذ في هذه الظروف كان في صدر الإسلام ثم نُسِخَ وهو المذهب، وذهب مالك وأحمد إلىٰ بقاء التحريم.

(٢) هي جِرار خُضْر مَطْلِيّة كانت تُحمل الخمر فيها إلىٰ المدينة، ثم اتُّسِعَ فيها فقيل للخزف كله حَنْتَم، الواحدة حَنْتَمة. وإنما نُهِيَ عن الانتباذ فيها لأنها تسرع الشدة فيها لأجل دهنها، وقيل: لأنها كانت تُعمل من طين يعجن بالدم والشعر فنهي عنها.

(٣) هو وعاء يُطلىٰ بالزِّفْت.

(٤) قال صاحب النهاية: النَّقير أصل النخلة يُنقر وسطه ثم يُنبذ فيه التمر، ويُلقىٰ عليه الماء ليصير نبيذاً مُسْكِراً. والنهي واقع علىٰ ما يُعمل فيه، لا علىٰ اتخاذ النَّقِير، فيكون علىٰ حذف المضاف تقديره: عن نبيذ النَّقِير، وهو فعيل بمعنىٰ مفعول.

(٥) هو ما طُلِيَ بالقِير، وهو نبت يُحْرَق ويُطْلَىٰ به السِّقاء وغيره كما يُطلىٰ بالزِّفْت.

(٦) نوع من التَّمْر صغار يقال له: الشهريز بضم الشين وكسرها.

(٧) جمع أديم، وهو الجلد الذي تمّ دباغه.

(٨) أي يُلَفّ الخيط علىٰ أفواهها ويُربط به.

رَخَّصْتُ لك في مِثْل هذه - وقال بكفيه هكذا - شَرِبْتَه في مِثْل هذه - وفرّج يديه وبسطهما - يعني أعظم منها -، حتىٰ إذا ثَمِل أحدكم مِن شرابه قام إلىٰ ابن عمه فهَزَر ساقه بالسيف. وكان في القوم رجل يقال له: الحارث قد هُزِرَتْ ساقه في شراب لهم، في بيتٍ من الشِّعر تَمَثَّلَ به في امرأة منهم، فقال الحارث: لَمّا سمعتُها من رسول الله ﷺ جعلتُ أُسْدِل ثوبي فأُغَطّي الضربة بساقي، وقد أَبْداها الله تعالىٰ لنبيه ﷺ.

وروى الحاكم عن أنس رضي الله عنه أن وفد عبد القيس من أهل هَجَر[1] قدموا علىٰ رسول الله ﷺ، فبينما هم عنده إذ أقبل عليهم فقال: لكم تمرة تَدْعُونها كذا، وتمرة تدعونها كذا... حتىٰ عدّ ألوان تمرهم أجمع، فقال له رجل من القوم: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لو كنتَ وُلِدْتَ في جوف هَجَر ما كنتَ بأعلم منك الساعة، أشهد أنك رسول الله. فقال: إنَّ أرضكم رُفِعَتْ لي منذ قعدتم إليّ، فنظرتُ مِن أدناها إلىٰ أقصاها، فخير تمراتكم البَرْنِيّ، يذهب الداء ولا داء فيه.

وروى الإمام البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إنَّ أول جمعة جُمِّعَتْ بعد جمعة في مسجد رسول الله ﷺ في مسجد عبد القيس بِجَواثىٰ[2] من البحرين.

ورُوِيَ أيضاً عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ أخّر ركعتين بعد الظهر بسبب اشتغاله بوفد عبد القيس، حتىٰ صلاّهما بعد الظهر في بيتها.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: خير أهل المشرق عبد القيس.

وقال أبو عبيدة مَعْمر بن المُثَنّىٰ: قدم الجارود العَبْدي[3] علىٰ رسول الله ﷺ ومعه سَلَمة بن عِياض الأسدي وكان حليفاً له في الجاهلية، وذلك لأن الجارود قال لسَلَمة بن

---

(١) هي قرية من قرى المدينة تُنسب إليها القلال الهَجَرية، واسم بلد بالبحرين، وهو مذكر مصروف.

(٢) هي قرية بالبحرين لعبدالقيس، وتُقْرَأُ جُواثىٰ بضم أولها وبالثاء المثلثة علىٰ وزن فُعالىٰ.

(٣) اختُلف في نسبه، فقد ذكره ابن إسحاق علىٰ أنه الجارود بن عمرو بن حَنش، وقال ابن هشام: الجارود بن بِشْر بن المُعَلّىٰ، وفي الإصابة يقال: الجارود بن عمرو بن المُعَلّىٰ، وقيل: الجارود بن العلاء حكاه الترمذي، ويقال: أبو غُباث، وقيل في اسمه غير ذلك.

عِياض الأسدي: إنَّ خارجاً خرج بتهامة يزعم أنه نبي، فهل لك أن نخرج إليه؟ فإنْ رأينا خيراً دَخَلْنا فيه، فإنه إن كان نبياً فللسابق إليه فضيلة، وأنا أرجو أن يكون النبي الذي بشّر به عيسىٰ بن مريم - وكان الجارود نصرانياً قد قرأ الكتب -. ثم قال لِسَلَمة: لِيُضْمِر كلٌّ واحد منا ثلاثَ مسائل يسأله عنها لا يخبر بها صاحبه، فلَعَمْري لئن أَخْبَرَ بها إنه لنبي يُوحَىٰ إليه.

ففعلا، فلما قدما علىٰ رسول الله ﷺ قال له الجارود: بِمَ بعثك ربك يا محمد؟ قال: بشهادة أن لا إله إلاّ الله وأني عبد الله ورسوله، والبراءة مِن كل نِدٍّ أو وثن يُعبد من دون الله، وإقام الصلاة لوقتها، وإيتاء الزكاة بحقها، وصوم شهر رمضان، وحج البيت، ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فصلت]. قال الجارود: إن كنتَ يا محمد نبياً فأَخْبِرْنا عمّا أَضْمَرْنا عليه، فخفق رسول الله ﷺ كأنها سِنة، ثم رفع رأسه وتحدّر العرق عنه فقال: أما أنت يا جارود، فإنك أضمرتَ علىٰ أن تسألني عن دماء الجاهلية، وعن حلف الجاهلية، وعن المنيحة[1]. ألاَ وإن دم الجاهلية موضوع، وحلفها مشدود، ولم يزدها الإسلام إلاّ شدّة، ولا حلف في الإسلام. ألاَ وإن الفضل الصدقة أن تَمْنَحَ أخاك ظهر دابة، أو لبن شاة، فإنها تغدو برِفْدٍ وتروح بمِثْله. وأمّا أنت يا سَلَمة فإنك أضمرتَ علىٰ أن تسألني عن عبادة الأصنام، وعن يوم السَّباسِب[2]، وعن عقل الهجين[3]. فأمّا عبادة الأصنام فإن الله تعالىٰ يقول: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنبياء]، وأما يوم السَّباسِب فقد أَعْقَبَ الله تعالىٰ منه ليلةً خير من ألف شهر، فاطلبوها في العشر الأواخر من شهر رمضان، فإنها ليلةٌ بُلْجةٌ سَمْحة لا ريح فيها، تطلع الشمس في صبيحتها لا شعاع لها. وأما عقل الهجين، فإن المؤمنين إخوة تتكافأ دماؤهم، يُجِير أقصاهم علىٰ أدناهم، أكرمهم عند الله أتقاهم. فقالا: نشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنك عبد الله ورسوله.

---

(١) هي المِنْحة، وفي النهاية: قد تقع المنيحة علىٰ الهبة مطلقاً.

(٢) هو عيد للنصارى يُسَمُّونه السَّعانين كما قال صاحب النهاية.

(٣) تسمىٰ الدِّية عَقْلاً.

وعند ابن إسحاق عَمَّنْ لا يُتّهم عن الحسن أنّ الجارود لَمّا انتهىٰ إلىٰ رسول الله ﷺ كلّمه، فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام، ودعاه إليه ورغّبه فيه، فقال: يا محمد، إني كنتُ علىٰ دين، وإني تارك دِيني لدِينك، أفتضمن لي دِيني؟ فقال له رسول الله ﷺ: نعم، أنا ضامن أنْ قد هداك الله إلىٰ ما هو خير منه. فأسلم وأسلم أصحابه، ثم سأل رسولَ الله ﷺ الحُمْلان[١] فقال: والله ما عندي ما أحملكم عليه. قال: يا رسول الله، فإن بيننا وبين بلادنا ضَوالَّ مِن ضَوالِّ الناس[٢]، أَفَنَتَبَلَّغ عليها إلىٰ بلادنا؟ قال: لا، إياك وإياها، فإنما تلك حَرَقُ النار[٣].

فقال: يا رسول الله، ادْعُ لنا أن يجمع الله قومنا. فقال: اللهم اجمع لهم أُلْفة قومهم، وبارِكْ لهم في بَرهم وبحرهم. فقال الجارود: يا رسول الله، أيّ المال أتّخذ ببلادي؟ قال: وما بلادك؟ قال: مَأْواها وِعاء، ونَبْتُها شفاء، وريحها صبا، ونخلها غَواد. قال: عليك بالإبل فإنها حمولة، والحَمْل يكون عدداً، والناقة ذَوْداً. قال سَلَمة: يا رسول الله، أيّ المال أَتّخذ ببلادي؟ قال: وما بلادك؟ قال: مَأْواها سِباح، ونخلها صُراح، وتِلاعها فِياح. قال: عليكم بالغنم فإنَّ ألبانها سَجْل، وأصوافها أثاث، وأولادها بركة، ولك الأُكَيْلة والربا[٤]. فانصرفا إلىٰ قومهما مُسْلِمَيْن.

وعند ابن إسحاق: فخرج مِن عنده الجارود راجعاً إلىٰ قومه، وكان حَسَن الإسلام، صليباً علىٰ دينه[٥]، حتىٰ مات وقد أدرك الرِّدّة، فثبت علىٰ إيمانه. ولَمّا رجع مِن قومه مَنْ كان أسلم منهم إلىٰ دينه الأول مع الغَرور[٦] بن النعمان بن المنذر، قام الجارود فشهد شهادة الحق ودعا إلىٰ الإسلام، فقال: أيها الناس، إني أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وأُكَفِّر مَنْ لم يشهد.

---

(١) هي ما يركبون عليه من دواب.

(٢) وفي لفظ: مِنْ ضَوالِّ المسلمين، والضَّوالّ جمع ضالّة وهي الضائعة مِنْ كل ما يُقتنىٰ من الحيوان وغيره، يقال: ضلّ الشيء إذا ضاع، وضلّ عن الطريق إذا حار.

(٣) أي لهبها، والمعنىٰ أن ضالة المؤمن إذا أخذها إنسان لِيَتَمَلَّكَها أَدَّتْهُ إلىٰ النار.

(٤) الربا هنا بمعنىٰ الفضل والزيادة.

(٥) أي قوياً ثابتاً.

(٦) واسمه المنذر، وسُمِّيَ بالغرور لأنه غرّ قومه ثم ارتدّ عن الإسلام.

وقال الجارود:

شَـهِدْتُ بـأنَّ الله حـقٌّ وسـامَحَتْ ... بنـاتُ فـؤادي بالشـهادة والنَّـهْضِ
فـأَبْلِـغْ رسـولَ الله عـني رسـالةً ... بـأني حَنيـفٌ حيث كنـتُ مِـنَ الأرضِ
وأنـت أمـين الله في كـل خَلْقِـهِ ... علىٰ الوحـيِ من بين القُضَيْضَةِ والقَضِّ
فـإنْ لم تكـن داري بيـثربَ فيكُـمُ ... فـإني لكـم عنـد الإقامـةِ والخَفْـضِ
أُصالِحُ مَنْ صالَحْتَ مِنْ ذي عـداوةٍ ... وأَبْغَضُ مَنْ أمسىٰ علىٰ بُغْضِكم بُغضي
وأُدْنِـي الـذي والَيْتَـهُ وأُحِبُّـهُ ... وإنْ كـان في فِيـهِ العَلاقِـمُ مِـن بُغْـضِ
أَذُبُّ بسـيفي عنكُـمُ وأُحِبُّكُـمْ ... إذا مـا عَدَوْكُـمْ في الرِّفـاقِ وفي النَّقْـضِ
وأَجْعَـلُ نفسـي دون كـلِّ مُلِمَّـةٍ ... لكـم جُنّـةٌ مِـنْ دون عِرْضِكُـمُ عِرْضـي

وقال سَلَمة بن عِياض الأسدي رضي الله عنه:

رأيتُـكَ يـا خـير البريّـة كُلِّـها ... نَشَـرْتَ كتابـاً جـاء بـالحقِّ مُعْلَمـا
شَرَعْتَ لنـا فيـه الهـدى بعـد جَوْرِنـا ... عـن الحـقِّ لَمّـا أصبـح الأَمْـرُ مُظْلِمـا
فنَـوَّرْتَ بـالقرآن ظُلْمـات حِنْـدِسٍ ... وأَطْفَـأْتَ نـارَ الكفـر لَمّـا تَضَرَّمـا
تعـالىٰ عُلُـوُّ اللهِ فـوق سمائـهِ ... وكـان مكـانُ الله أعلـىٰ وأَكْرَمـا

وروى سليمان بن علي عن علي بن عبدالله عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أنَّ الجارود أنشد رسول الله ﷺ حين قدم عليه في قومه:

يـا نـبي الهُـدى أَتَتْـكَ رجـالٌ ... قَطَعَـتْ فَدْفَـداً[1] وآلاً[2] فـآلا

---

(١) الفَدْفَد: هي الفلاة لا شيء فيها، وقيل: هي الأرض الغليظة ذات الحصىٰ، وقيل: المكان المرتفع.

(٢) الآلُ: السراب، وقال في الصحاح: والآل الشخص، والآل هو الذي تراه في أول النهار وآخره كأنه يرفع الشخوص وليس هو السراب، هذا ما ذكره الجوهري. وعبارة القاموس: الآلُ: ما أشرف من البعير، والسراب، أو خاص بما في أول النهار ويُؤَنّث.

وطَـوَتْ نحـوك الصَّحـاصِحَ[١] طُـرّاً لا تَخـالُ الكَـلالَ فيـه كَـلالا
كـلُّ دَهْنـاء[٢] يَقْصُـرُ الطَّـرْفُ عنـها أَرْقَلَتْـها قِلاصُنـا[٣] إِرْقـالا[٤]
وطَوَتْـها الجيـادُ تَجْمَـحُ[٥] فيـها بكُمـاةٍ[٦] كـأنْجُمٍ تَتَـلالا
تَبْتَغـي دَفْـعَ بُـوسِ يـومٍ عبـوسٍ أَوْجَـلَ القلـبَ ذِكْـرُهُ ثـم هـالا

❁ قدوم وفد بني عَبْس:

قال ابن سعد وصاحب عيون الأثر وصاحب السيرة الحلبية وفي شرح المواهب: وَفَدَ علىٰ رسول الله ﷺ تسعة رهط مِن بني عَبْس، وكانوا من المهاجرين الأَوَّلِين: مَيْسرة بن مسروق[٧]، والحارث بن الربيع وهو الكامل[٨]، وقَنان بن دارم العَبْسي، وبشر بن الحارث بن عُبادة، وهِدْم بن مسعدة[٩]، وسباع بن زيد، وأبو الحِصْن بن لقمان، وعبدالله بن مالك، وقُرّة بن الحصين بن فضالة. فأسلموا، فدعا لهم رسول الله ﷺ بخير وقال: ابْغُوني رجلاً يَعْشِركم أَعْقِدْ لكم لواءً. فدخل طلحة بن عبيدالله التميمي، فعقد لهم لواء وجعل شعارهم: يا عشرة.

---

(١) جمع صَحْصَح، قال في الصحاح: والصَّحْصَحة والصَّحْصَحان ما استوى من الأرض، وزاد ابن الأثير أنَّ الصَّحْصَح الأرض المستوية الواسعة.

(٢) هي موضع ببلاد بني تميم.

(٣) القِلاص جمع قلوص وهو الفَتِيُّ من الإبل، وهو في النوق كالجارية في النساء.

(٤) الإرقال هو ضَرْبٌ مِنَ العَدْو فوق الخَبَب، وقد أَرْقَلَ البعير، وناقة مُرْقِل إذا كانت كثيرة الإرقال.

(٥) جَمَحَ أي أسرع.

(٦) جمع كَميّ وهو الشجاع.

(٧) شهد حجة الوداع، وقال للنبي ﷺ: الحمد لله الذي استنقذني بك من النار - انظر الإصابة ٨٢٧٥.

(٨) هو الحارث بن الربيع بن زياد، قال ابن ماكولا: بنو زياد: الربيع الكامل، وعمارة الوهاب، وأنس الفوارس، وقيس الحفاظ. ووالد الحارث مِن أشرف العرب في الجاهلية - انظر أسد الغابة ج١ ص٣٢٧.

(٩) وقيل: ابن مسعود.

وروى ابن سعد عن عروة بن أُذَيْنة اللَّيْثي قال: بَلَغَ رسولَ الله ﷺ أنَّ عِيراً لقريش أقبلت من الشام، فبعث بني عَبْس في سرية وعقد لهم لواءً، فقالوا: يا رسول الله، كيف تَقْسِم غنيمةً إنْ أصبناها ونحن تسعة؟ فقال: أنا عاشركم.

وروى ابن سعد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قدم ثلاثة نفر من بني عَبْس علىٰ رسول الله ﷺ، فقالوا له: إنه قدم علينا قُرّاؤنا فأخبرونا أنه لا إسلام لِمَنْ لا هجرة له، ولنا أموال ومواشٍ هي معاشنا، فإن كان لا إسلام لِمَنْ لا هجرة له بِعْناها وهاجرنا. فقال رسول الله ﷺ: اتّقوا الله حيث كنتم، فلن يَلِتكم مِن أعمالكم شيئاً[١] ولو كنتم بصَمْدٍ[٢] وجازان[٣]. وسألهم عن خالد بن سنان فقالوا: لا عَقِبَ له، فقال: نبيٌّ ضَيَّعَه قومه، ثم أنشأ يُحَدِّث أصحابه حديث خالد بن سنان.

❁ قدوم وفد عدي بن حاتم[٤]:

روى الإمام أحمد والبيهقي عن أبي عبيدة بن حذيفة، والطبراني عن الشعبي، والبيهقي عن علي، كلُّهم عن عدي بن حاتم. وروى البيهقي عن ابن إسحاق واللفظ له قال: قال عدي بن حاتم رضي الله عنه: بُعِثَ رسول الله ﷺ بالنبوة ولا أعلم أحداً من العرب كان أشدّ كراهية لرسول الله ﷺ حين سَمِعَ به مني، أمّا أنا فكنتُ امرأ شريفاً وكنت نصرانياً، وكنت أَسِير في قومي بالمِرْباع[٥]، وكنت في نفسي علىٰ دِين، وكنت مَلِكاً في قومي لِما كان

---

(١) أي لا تُنْقَصوها.

(٢) هو موضع في ديار بني يربوع.

(٣) هو موضع في طريق حاجّ صنعاء، يُسَمّىٰ الآن جيزان.

(٤) هو عدي بن حاتم بن عبدالله بن سعد الطائي، قدم علىٰ رسول الله ﷺ في شهر شعبان سنة تسع كما ذكره الماوردي في حاويه، شهد مع علي رضي الله عنهما حروبه، ومات بالكوفة سنة تسع أو ثمان وستين وهو ابن مائة وعشرين، أو مائة وثمانين كما في أسد الغابة وفي كتاب المعمرين. قال ابن قتيبة رحمه الله: ولم يَبْقَ له عَقِب إلاّ من جهة ابنتيه: أَزْدة وعَمْرة، وإنما عَقِبُ حاتم الطائي من ولده عبدالله بن حاتم.

(٥) هو ربع الغنيمة، كان سادات الجاهلية يأخذونه.

يُصنع بي. فلما سمعت برسول الله ﷺ كَرِهْتُه أشدّ ما كرهتُ شيئاً، فقلت لغلامٍ كان لي عربيٍ وكان راعياً لإبلي: لا أبا لك[١]، أَعْدِدْ لي مِنْ إبلي أجمالاً ذُلُلاً[٢] سِماناً فاحْتَبِسْها قريباً مني، فإذا سمعتَ بجيشٍ لمحمد قد وَطِئَ هذه البلاد فآذِنّي. ففعل، ثم إنه أتاني ذات غداة فقال: يا عدي، ما كنتَ صانعاً إذا غَشِيَتْكَ خيلُ محمد فاصْنَعْه الآن، فإني قد رأيتُ رايات فسألت عنها فقالوا: هذه جيوش محمد. فقلت: قَرِّبْ إليَّ أجمالي، فقرّبها. فاحتملتُ بأهلي وولدي ثم قلت: أَلْحَقُ بأهل ديني من النصارى بالشام، فسلكت الجُوشِيّة[٣].

وفي حديث أبي عبيدة: فخرجتُ إلىٰ أقصىٰ أرض العرب مِمّا يلي الروم، ثم كرهتُ مكاني أشدّ ما كرهت مكاني الأول.

وعند ابن إسحاق: قال عدي: وخَلَّفْتُ بنتاً لحاتم[٤] في الحاضر.

وفي حديث: جاءت خيل رسول الله ﷺ فأخذوا عمي وناساً.

قال ابن إسحاق: فلما قدمت الشام أَقَمْتُ بها، وتُخالِفُني خيلٌ لرسول الله ﷺ فتصيب ابنة حاتم فيمَنْ أصابت، فقُدِمَ بها علىٰ رسول الله ﷺ في سبايا مِن طَيِّئ وقد بَلَغَ رسول الله ﷺ هربي إلىٰ الشام. قال: فجُعِلَتْ ابنة حاتم في حظيرة[٥] بباب المسجد كانت السبايا يُحْبَسْنَ فيها، فمرّ بها رسول الله ﷺ فقامت إليه وكانت امرأة جَزْلة[٦].

---

(١) بمعنىٰ جِدَّ في أَمْرِك وشَمِّر؛ لأن مَنْ له أب اتّكل عليه في بعض شأنه. وقد تُحذف اللام فيُقال: لا أباك. وأكثر ما يُستعمل في المدح، وقد يُذكر في معرض الذم والتعجب.

(٢) جمع ذلول، وهو الجمل السهل الذي قد ريّض.

(٣) في معجم البلدان: هو موضع بين نجد والشام، وقال البلاذري: حصن من حصون حمص.

(٤) هي سَفّانة كما رجّحه السهيلي، إذ لا يُعْرَفُ له بنت غيرها، والسَّفّانة في اللغة كما قال في القاموس مُشَدَّدة: اللؤلؤة.

(٥) الحظيرة: شيء يُعْمَل للإبل من شجر لِيَقِيها البرد والحر والريح، وقال في النهاية: الحظيرة هي الموضع الذي يُحاط عليه ليأوي إليه الغنمُ والإبل يَقِيهما البرد والريح.

(٦) أي عاقلة، وفي النهاية: أي تامة الخُلُق، ويجوز أن تكون ذات كلام جَزْل.

وفي حديث عليرضي الله عنه: لَمّا أُتِيَ بسبايا طَيِّئ وَقَفَتْ جارية جَمّاء[١]، حمراء[٢]، لَعْساء[٣]، ذَلْفاء[٤]، عَيْطاء[٥]، شَمّاء الأنف[٦]، معتدلة القامة والهامة، دَرْماء الكعبين[٧]، خَدَلَّجة الساقين[٨]، لَفّاء الفخذين[٩]، خميصة الخصرين[١٠]، ضامرة الكَشْحَيْن[١١]، مصقولة المَتْنَيْن[١٢]. قال: فلما رأيتُها أُعْجِبْتُ بها وقلت: لأَطْلُبَنّ إلىٰ رسول الله ﷺ أن يجعلها في فَيْئِي، فلما تَكَلَّمَتْ أُنْسِيتُ جمالها لِما سمعتُ من فصاحتها، فقالت: يا محمد، إنْ رأيتَ أن تُخَلِّيَ عني ولا تُشْمِتْ بنا أحياء العرب، فإني ابنة سيد قومي، وإن أبي كان يحمي الذِّمار[١٣]، ويفكّ العاني، ويُشبع الجائع، ويكسو العاري، ويُقري الضيف، ويُطعم الطعام، ويُفشي السلام، ولم يَرُدَّ طالب حاجة قط، أنا ابنة حاتم طَيِّئ. فقال النبي ﷺ: يا جارية، هذه صفة المؤمنين حقاً، لو كان أبوك مسلماً لَتَرَحَّمْنا عليه، خلّوا عنها فإنَّ أباها كان يحب مكارم الأخلاق، والله يحب مكارم الأخلاق[١٤].

---

(١) هي التي لا قرن لها.

(٢) أي بيضاء.

(٣) أي في لونها سواد ومشربة بالحمرة، ويقال أيضاً لِمَنْ في شفتها سواد.

(٤) مِنَ الذَّلَف وهو صغر الأنف واستواء الأرنبة، وقيل: ارتفاع في طرفه مع صغر أرنبته.

(٥) أي طويلة العنق في اعتدال، قال في القاموس: العيط محركة طول العنق، وهو أَعْيَط وهي عَيْطاء.

(٦) أي مرتفعة قصبة الأنف مع استواء أعلاها وإشراف الأرنبة قليلاً.

(٧) أي لا حجم لعظامها، قال في القاموس: امرأة دَرْماء لا تستبين كعوبها ومرافقها، وكل ما غطاه الشحم واللحم وخفي حجمه فقد دَرِم.

(٨) أي متدانيتهما مِنَ السِّمَن، قال في القاموس: الخَدَلَّجة: المرأة الممتلئة الذراعين والساقين.

(٩) أي متدانيتهما من السِّمَن.

(١٠) أي ضامرتهما.

(١١) أي قليلة لحمها غير مُرَهَّلة، قال في القاموس: الكشح هو ما بين الخاصرة إلىٰ الضلع الخلف.

(١٢) أي مُضْمَرتهما.

(١٣) هو ما ينبغي حِياطته والذَّوْد عنه: كالأهل والعِرْض.

(١٤) رواه الترمذي في النوادر.

وفي حديث ابن إسحاق: فقالت: يا رسول الله، هلك الوالد وغاب الوافد[١]، فامنُنْ عليّ مَنَّ الله عليك. قال: ومَنْ وافدك؟ قالت: عدي بن حاتم، قال: الفارُّ من الله ورسوله؟ قالت: ثم مضىٰ رسول الله ﷺ وتركني، حتىٰ إذا كان من الغد مرّ بي فقلت له مِثْل ذلك، وقال لي مِثْل ما قال بالأمس. قالت: حتىٰ إذا كان بعد الغد مرّ بي وقد يئستُ منه، فأشار إليّ رجل من خلفه أنْ قومي فكَلِّميه، فقمت إليه فقلت: يا رسول الله، هلك الوالد وغاب الوافد، فامْنُنْ عليّ مَنَّ الله عليك. فقال ﷺ: قد فعلتُ، فلا تعجلي بخروجٍ حتىٰ تجدي مِن قومك مَنْ يكون لكِ ثقة حتىٰ يبلغك إلىٰ بلادك، ثم آذِنيني. فسألت عن الرجل الذي أشار إليَّ أنْ أُكَلِّمَه، فقيل: علي بن أبي طالب. وأقمت حتىٰ قدم ركب مِنْ بَلِيّ أو قُضاعة، قالت: وإنما أريد أن آتي أخي بالشام، فجئت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، قد قدم رهط من قومي لي فيهم ثقة وبلاغ. قالت: فكساني رسول الله ﷺ وحملني، وأعطاني نفقة، فخرجتُ معهم حتىٰ قدمت الشام.

قال عدي: فوالله إني لَقاعد في أهلي إذ نظرتُ إلىٰ ظعينة تُصَوِّب إليَّ[٢] تَؤُمُّنا، فقلت: ابنة حاتم، فإذا هي هي، فلما وقفتْ عليّ انْسَلَحَتْ[٣] تقول: القاطع الظالم، احْتَمَلْتَ بأهلك وولدك وتركتَ بقية والدك عَوْرَتَك! قلت: أيْ أُخَيّة، لا تقولي إلاّ خيراً، فوالله ما لي مِنْ عُذْر، لقد صنعتُ ما ذكرتِ. قال: ثم نزلتْ فأقامت عندي، فقلت لها وكانت امرأة حازمة: ماذا تَرَيْن في أمر هذا الرجل؟ قالت: أرى والله أن تلحق به سريعاً، فإنْ يكن الرجل نبياً فللسابق إليه فضله، وإنْ يكن مَلِكاً فلن تَذِلَّ في عِزِّ اليمن، وأنت أنت. قلت: والله إن هذا لَلرأي.

وفي حديث الشعبي قال: فلما بلغني ما يدعو إليه من الأخلاق الحسنة، وما قد اجتمع إليه من الناس، خرجت حتىٰ أقدم علىٰ رسول الله ﷺ المدينة، فدخلت عليه وهو في مسجده، وعنده امرأة وصبيان أو صبي - وذَكَرَ قُرْبَهم من رسول الله ﷺ -. قال: فعرفتُ

---

(١) في عيون الأثر وهو الصواب: الرافد.

(٢) أي تَقْصِدُ وتَؤُمُّ.

(٣) أي أَخَذَتْ في اللوم ومَضَتْ فيه مُجِدّة.

أنه ليس بمُلْك كسرى ولا قيصر، فسلّمت عليه فقال: مَنِ الرجل؟ فقلت: عدي بن حاتم. فقام رسول الله ﷺ فانطلق بي إلىٰ بيته، فوالله إنه لَعامد بي إليه إذ لَقِيَتْهُ امرأة ضعيفة كبيرة فاسْتَوْقَفَتْهُ، فوقف لها طويلاً فكَلَّمَتْهُ في حاجتها، فقلت في نفسي: والله ما هذا بمَلِك. قال: ثم مضىٰ بي رسول الله ﷺ حتىٰ إذا دخل بي بيته تناول وسادة من أَدَم محشوة ليفاً، فقذفها إليّ فقال: اجلس علىٰ هذه، قلت: بل أنت فاجلس عليها، فقال: بل أنت، فجلستُ عليها وجلس رسول الله ﷺ بالأرض، فقلت في نفسي: والله ما هذا بأَمْرِ مَلِك. فقال: يا عدي، أُخْبِرُكَ ألاّ إله إلاّ الله، فهل مِن إله إلاّ الله؟ وأُخبرك أن الله تعالىٰ أكبر، فهل مِن شيء هو أكبر مِنَ الله عز وجل؟ ثم قال: يا عدي، أَسْلِم تَسْلَم. فقلت: إني علىٰ ديني، فقال: أنا أعلم منك بدينك، فقلت: أنت أعلم مني بديني؟ قال: نعم - يقولها ثلاثاً -، ألستَ رَكوسِيّاً[1]؟ قلت: بلىٰ، قال: ألستَ ترأس قومك؟ قلت: بلىٰ، قال: أَوَ لم تكن تسير في قومك بالمِرْباع؟ قلت: بلىٰ والله، وعرفتُ أنه نبي مُرْسَلٌ يعلم ما يُجهل. قال: فإنَّ ذلك لم يكن يحل لك في دينك، ثم قال: يا عدي، لعلّك إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين أنْ رأيتَ خصاصةً[2] من عندنا، فوالله لَيوشِكَنَّ المالُ أن يفيض فيهم حتىٰ لا يوجد مَنْ يأخذه. ولعلّك إنما يمنعك مِن دخولٍ فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقِلّة عددهم، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية علىٰ بعيرها حتىٰ تزور هذا البيت لا تخاف.

وفي رواية: قال: هل رأيتَ الحيرة[3]؟ قلت: لم أَرَها وقد عَلِمْتُ مكانها، قال: فإنّ الظعينة سترحل من الحيرة تطوف بالبيت في غير جِوار لها، لا تخاف أحداً إلاّ الله عز وجل والذئب علىٰ غنمها. قال: فقلت في نفسي: فأين ذِعار طَيِّئ[4] الذين سعروا البلاد[5]؟

---

(١) الرَّكُوسي نسبة إلىٰ فرقة من النصارى والصابئين، وفي النهاية: الرَّكوسِيّة هي دين بين دين النصارى والصابئين.

(٢) أي فقراً وحاجة.

(٣) هي البلد القديم بظهر الكوفة، ومَحَلّة معروفة بنيسابور.

(٤) هم الذين يفزعونهم.

(٥) بمعنىٰ أوقدوها.

قال: ولعلّك إنما يمنعك من دخولٍ فيه أنك ترى أنَّ المُلْك والسلطان في غيرهم، والله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم.

وفي رواية: لَتُفْتَحَنّ عليهم كنوز كسرى بن هرمز، قلت: كنوز كسرى بن هرمز؟ قال: كنوز كسرى بن هرمز.

وفي رواية: ولئن طالت بك حياة لَتَرَيَنّ الرجل يخرج بِمِلْء كفه من ذهب أو فضة يطلب مَنْ يَقْبَله منه فلا يجد أحداً يقبله منه، ولَيَلْقَيَنّ اللهَ أحدُكم يوم يلقاه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر عن يمينه فلا يرى إلاّ جهنم، وينظر عن شماله فلا يرى إلاّ جهنم، فاتّقوا النار ولو بشِقِّ تمرة، فإنْ لم تجدوا شِقَّ تمرة فبكلمة طيبة.

قال عدي رضي الله عنه: فأسلمتُ، فرأيت وجه رسول الله ﷺ قد اسْتَبْشَرَ. فقد رأيتُ الظعينة ترحل من الكوفة حتىٰ تطوف البيت لا تخاف إلاّ الله عز وجل، وكنت فيمَنْ افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياة سترون ما قال أبو القاسم رضي الله عنه.

وفي رواية ابن إسحاق: وكان عدي يقول: قد مضت اثنتان وبقيت الثالثة، واللهِ لَتَكُونَنَّ، قد رأيتُ القصور البيض من أرض بابل قد فُتِحَتْ، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية علىٰ بعيرها لا تخاف حتىٰ تحجّ هذا البيت، وَايْمُ الله لتكوننّ الثالثة، لَيَفِيضَنّ المال حتىٰ لا يوجد مَنْ يأخذه.

وقد حصل.

❁ قدوم وفد بني عُذْرة[1]:

قال محمد بن عمر الواقدي وابن سعد رحمهما الله تعالىٰ: قالوا: قدم علىٰ رسول الله ﷺ في صفر سنة تسع وفد بني عُذْرة، اثنا عشر رجلاً فيهم: جَمْرة بن النعمان العُذْري، وسُلَيم وسعد ابنا مالك، ومالك بن أبي رِباح. فنزلوا دار رَمْلة بنت الحَدَث النجارية، ثم جاءوا إلىٰ النبي ﷺ فسلّموا بسلام أهل الجاهلية، فقال رسول الله ﷺ: مَن القوم؟ فقال مُتَكَلِّمُهم: مَنْ لا

(١) هي قبيلة من اليمن.

يُنْكر، نحن بنو عذرة إخوة قصي لأمه، نحن الذين عَضَدُوا قُصَيّاً، وأزاحوا مِنْ بطن مكة خزاعة وبني بكر، ولنا قرابات وأرحام. فقال رسول الله ﷺ: مرحباً بكم وأهلاً، ما أَعْرَفَني بكم؟ فما يمنعكم مِن تحية الإسلام؟ قالوا: كنا علىٰ ما كان عليه آباؤنا، فقَدِمْنا مُرْتادِين لأنفسنا ولقومنا. وقالوا: إلامَ تدعو؟ فقال رسول الله ﷺ: أدعو إلىٰ عبادة الله وحده لا شريك له، وأن تشهدوا أني رسول الله إلىٰ الناس جميعاً - أو قال: كافّة -. فقال مُتَكَلِّمهم: فما وراء ذلك من الفرائض؟ فقال رسول الله ﷺ: أدعو إلىٰ عبادة الله وحده لا شريك له، وأن تشهدوا الصلوات، تحسن طهورهن وتصليهن إلىٰ مواقيتهن، فإنه أفضل العمل. ثم ذَكَرَ لهم سائر الفرائض من الصيام والزكاة والحج، فقال المتكلم: الله أكبر، نشهد أن لا إله إلاّ الله وأنك رسول الله، قد أَجَبْناك إلىٰ ما دَعَوْتَ إليه ونحن أعوانك وأنصارك. يا رسول الله، إنَّ متجرنا الشام وبه هرقل، فهل أوحي إليك في أمره بشيء؟ فقال: أَبْشِروا فإن الشام ستُفتح عليكم، ويهرب هرقل إلىٰ مُمْتَنَع بلاده. ونهاهم ﷺ عن سؤال الكهنة، فقد قالوا: يا رسول الله، إن فينا امرأةً كاهنةً، قريش والعرب يتحاكمون إليها، فنسألها عن أمور. فقال ﷺ: لا تسألوها عن شيء، فقال متكلمهم: الله أكبر. ثم سأله عن الذبح الذي كانوا يذبحون في الجاهلية لأصنامهم، فنهاهم رسول الله ﷺ عنها وقال: لا ذبيحة لغير الله عز وجل، ولا ذبيحة عليكم في سنتكم إلاّ واحدة. قال: ما هي؟ قال: الأضحية، ضحية العاشر من ذي الحجة، تَذْبَحُ شاةً عنك وعن أهلك. وسألوا النبي ﷺ عن أشياء مِنْ أمر دينهم فأجابهم فيها، وأقاموا أياماً ثم انصرفوا إلىٰ أهليهم، وأَمَرَ لهم بجوائز كما كان يجيز الوفد، وكسا أحدَهم بُرْداً.

وروى ابن سعد عن مُدْلج بن المقداد بن زَمِل العُذْري وغيره قالوا: وَفَد زَمِل بن عمرو العُذْري علىٰ النبي ﷺ، فعقد له لواء علىٰ قومه، وأنشأ يقول حين وَفَدَ علىٰ النبي ﷺ:

إليكَ رسولَ الله أَعْمَلْتُ نَصَّها[1] أُكَلِّفُها حَزْناً[2] وقَوْزاً[3] مِنَ الرملِ

(١) نَصَّ الناقةَ أي استخرج أقصىٰ ما عندها من السَّيْر.

(٢) الحَزْن: المكان الغليظ الخشن.

(٣) القَوْز: العالي من الرمل كأنه جبل.

لأَنْصُـرَ خـيرَ النـاس نَصْـراً مُـؤَزّراً وأَعْقِـدَ حبـلاً مِـن حِبـالكَ في حَبْلـي
وأَشْـــهَدَ أنَّ الله لا شـــيء غـــيرهُ أَدِيـنُ لـه مـا أَثْقَلَـتْ قَدَمِـي نَعْلـي

۞ قدوم وفد بني عَقِيل بن كعب:

روى ابن سعد عن رجل من بني عَقِيل عن أشياخ قومه قالوا: وَفَدَ منا مِنْ بني عقيل علىٰ رسول اللهﷺ: ربيع بن معاوية بن خفاجة بن عمرو بن عقيل، ومُطَرِّف بن عبدالله بن الأَعْلم بن عمرو بن ربيعة بن عقيل، وأنس بن قيس بن المُنْتَفِق بن عامر بن عقيل. فبايعوا وأسلموا، وبايعوا علىٰ مَنْ وراءهم من قومهم، فأعطاهم النبيﷺ العقيق - عقيق بني عقيل -، وهي أرض فيها عيون ونخل، وكتب لهم بذلك كتاباً في أديم أحمر نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم
هذا ما أعطىٰ محمد رسول اللهﷺ ربيعاً ومُطَرِّفاً وأَنَساً، أعطاهم العقيق ما أقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وسمعوا وأطاعوا.

ولم يُعْطِهم حقاً لمسلم، وكان الكتاب في يد مُطَرِّف كما قال ابن سعد.

قال: وقدم علىٰ رسول اللهﷺ أبو حرب بن خويلد بن عامر بن عقيل، فقرأ عليه رسول اللهﷺ القرآن، وعرض عليه الإسلام، فقال: أمَا وَايْمُ الله لقد لَقِيتَ الله، أو لَقِيتَ مَنْ لَقِيَه، وإنك لتقول قولاً لا نُحسن مِثْله، ولكن سوف أضرب بقِداحي هذه علىٰ ما تدعوني إليه، وعلىٰ ديني الذي أنا عليه. وضرب بالقِداح فخرج عليه سهم الكفر، ثم أعاده فخرج عليه ثلاث مرات، فقال لرسول اللهﷺ: أبىٰ هذا إلاّ ما ترى. ثم رجع إلىٰ أخيه عِقال بن خويلد فقال له: قَلَّ خِيسُك[1]، هل لك في محمد بن عبدالله يدعو إلىٰ دين الإسلام ويقرأ القرآن وقد أعطاني العقيق إنْ أنا أسلمتُ؟ فقال له عِقال: أنا والله أَخُطُّكَ أكثر مِمّا يَخُطُّك محمد. ثم ركب فرسه، وجرّ رمحه علىٰ أسفل العقيق، فأخذ أسفله وما فيه

(١) أي قلّ خيرك، وفي القاموس والتاج: الخِيس الدَّرّ، يقال: أقل الله خِيسَه أي دَرَّه.

مِن عَيْن. ثم إن عِقالاً قدم علىٰ رسول الله ﷺ، فعرض عليه الإسلام وجعل يقول له: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ فيقول: أشهد أنَّ هُبَيْرة بن المُفاضة[١] نِعْم الفارس يوم قَرْنَي لَبان[٢]. ثم قال: أتشهد أنَّ محمداً رسول الله؟ قال: أشهد أن الصَّريح تحت الرغوة[٣]، ثم قال له الثالثة: أتشهد؟ قال: فشَهِدَ وأَسْلَمَ.

❁ قدوم وفد عمرو بن مَعْدِ يكَرِب الزُّبَيْدي:

قالوا: قدم عمرو بن مَعْدِ يكَرِب في أُناس مِن بني زُبَيْد علىٰ رسول الله ﷺ فأسلم، وكان عمرو قد قال لقيس بن مكشوح المُرادي[٤] حين انتهىٰ إليهم أَمْرُ رسول الله ﷺ: يا قيس، إنك سيد قومك، وقد ذُكِرَ لنا أن رجلاً من قريش يقال له: محمد قد خرج بالحجاز يقول: إنه نبي، فانْطَلِقْ بنا إليه حتىٰ نعلم عِلْمَه، فإنْ كان نبياً كما يقول فإنه لن يَخْفَىٰ عليك، وإذا لقيناه اتّبعناه، وإنْ كان غير ذلك عَلِمْنا عِلْمَه. فأبىٰ عليه قيس ذلك وسفّه رأيه، فركب عمرو بن مَعْدِ يكَرِب حتىٰ قدم علىٰ رسول الله ﷺ فأسلم، وصدّقه وآمن به. فلما بلغ ذلك قيس بن مكشوح أَوْعَدَ عَمْراً وتحطّم عليه[٥]، وقال: خالَفَني وتَرَكَ رأيي، فقال عمرو بن مَعْدِ يكَرِب في ذلك:

أَمَرْتُكَ يومَ ذي صَنْعا ... ء أَمْراً بادِياً رَشَدُهْ
أمرتُك باتّقاء الله ... والمعروف تَتّعِدُهْ
خرجت من المُنَىٰ مِثْلَ الـ ... ـحُمَيِّر غَرّه وَتِدُهْ

---

(١) هو هُبَيْرة بن معاوية بن عبادة بن عقيل، ومعاوية هو فارس الهَرّار، والهَرّار اسم فرسه.

(٢) اسم موضع.

(٣) الصَّريح: اللبن المحض الخالص، والرغوة ما يعلو اللبن من الزبد، يقال للأمر إذا انكشف وتبيّن.

(٤) وقيس هذا هو ابن أخت عمرو.

(٥) أي اشتدّ عليه.

تمنّـــاني علـــىٰ فـــرس عليـــه جالســـاً أَسَـــدُهْ
علـــيّ مُفاضـــةٌ[١] كالنِّـــهْي[٢] أخلـــص مـــاءَه جَـــدَدُهْ[٣]
تـــردُّ الرمـــح مُنْثـــنيَ الســـنان عَوائـــراً قِصَـــدُهْ[٤]
فلـــو لاقيتَـــني لَلَقِيـــتَ ليثـــاً فوقـــه لِبَـــدُهْ[٥]
تُلاقـــي شَـــنْبثاً[٦] شَـــثْن الـــ ـــبَرائن[٧] ناشـــزاً كَتَـــدُهْ[٨]
يُســـامي القِـــرْن إن قِـــرْنٌ تَيمّمـــه فيعتضـــدُهْ[٩]
فيـــأخذُه فيرفعُـــه فيخفضُـــه فيقتصـــدُهْ[١٠]
فيَدْمَغُـــهُ فيَحْطِمُـــهُ[١١] فيَخْضِمُـــه فـــيَزْدَرِدُهْ[١٢]
ظَلُـــوم الشِّـــرك فيمـــا أحـــ ـــرزتْ أنيابُـــه ويَـــدُهْ

---

(١) المُفاضة: الدرع الواسعة.

(٢) النِّهْي: الغدير من الماء.

(٣) الجَدَد: الأرض الصلبة.

(٤) العوائر: المتطايرة، والقِصَد: جمع قصدة وهي ما تكسّر من الرمح.

(٥) اللِّبَد جمع لِبَدة، وهي ما علىٰ كتفي الأسد ورأسه من الشعر.

(٦) الشَّنْبَث هو الأسد، والذي يتعلق بقرنه ولا يزايله.

(٧) الشَّثْن: الغليظ الأصابع، والبَرائن للسباع بمنزلة الأصابع للإنسان.

(٨) ناشز أي مرتفع، والكَتَد ما بين الكتفين.

(٩) أي يأخذه تحت عضده لِيَصْرَعه.

(١٠) بمعنىٰ يقتله.

(١١) يَدْمَغُه بمعنىٰ يصيب دماغه، ويَحْطِمه أي يكسره.

(١٢) يَخْضِمُه أي يأكله، ويَزْدَرِده أي يبتلعه.

قال ابن إسحاق: فأقام عمرو بن مَعْدِ يكَرِب في قومه مِن بني زُبَيْد وعليهم فروة بن مُسَيْك، فلما توفي رسول الله ﷺ ارتدّ عمرو بن مَعْدِ يكَرِب.

قال ابن سعد: ثم رجع إلىٰ الإسلام وأَبْلَىٰ يوم القادسية وغيرها.

۞ قدوم وفد عَنَزة[1]:

روى الطبراني والبزار باختصار عن سلمة بن سعد رضي الله عنه أنه وَفَدَ علىٰ رسول الله ﷺ هو وجماعة مِن أهل بيته وولده، فاستأذنوا علىٰ رسول الله ﷺ فدخلوا، فقال: مَنْ هؤلاء؟ فقيل له: هذا وفد عَنَزة، فقال: بخ بخ[2]، نِعْمَ الحي عَنَزة، مَبْغِيٌّ عليهم منصورون، مرحباً بقوم شعيب وأختان[3] موسىٰ، سَلْ يا سلمة عن حاجتك. قال: جئتُ أسألك عمّا افْتَرَضْتَ عليّ من الإبل والغنم؟ فأخبره، ثم جلس عنده قريباً، ثم استأذنه في الانصراف، فما عدا أنْ قام لِيَنْصَرِفَ فقال رسول الله ﷺ: اللهم ارْزُقْ عَنَزة كَفافاً لا فَوْت ولا إسراف[4].

وروى أبو يعلىٰ برجال ثقات والبزار والطبراني والإمام أحمد عن حنظلة بن نعيم قال: كنتُ فيمَنْ وَفَدَ علىٰ عمر، فجعل يسأل رجلاً رجلاً: مِمَّنْ أنت؟ ومَنْ أنت؟ حتىٰ انتهىٰ إليَّ فقال: مِمَّنْ أنت؟ ومَنْ أنت؟ فقلت: أنا حنظلة مِنْ عَنَزة، فأَوْمَأَ نحو المشرق وفرج أصابعه وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: عَنَزة حيٌّ مِنْ ها هنا، مَبْغِيٌّ عليهم منصورون.

---

(١) لم يَرِدْ خبر وفد عنزة في كتب السِّيَر، ولكن أُشير إليه في معاجم الصحابة في ترجمة سلمة بن سعد في أسد الغابة ج٢ ص٣٣٦، وفي الإصابة ٣٣٧٢.

(٢) كلمة تُقال عند المدح والرضا بالشيء.

(٣) الأَخْتان مِنْ قِبَل المرأة، والأحماء مِنْ قِبَل الرجل، والصهر يجمعهما، مفردها خَتَن بالتحريك.

(٤) وعند البزار: لا فَوْت ولا سَرَف فيه.

۞ قدوم وفد رجل من عَنْس[١]:

روى الطبراني عن أبي بكر بن محمد عن عمرو بن حَزْم، وابن سعد عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي قال: أخبرنا أبو زُفَر الكلبي عن رجل من عَنْس بن مالك بن مَذْحج قال: كان مِنّا رجل وَفَدَ علىٰ النبيﷺ، فأتاه وهو يَتَعَشّىٰ، فدعاه إلىٰ العَشاء فجلس، فلما تعشّىٰ أقبل عليه رسول اللهﷺ فقال: أتشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً عبده ورسوله؟ فقال: أشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً عبده ورسوله، فقال: أراغباً جئتَ أم راهباً؟ فقال: أمّا الرغبة فوالله ما في يديك مال، وأمّا الرَّهْبة فوالله إني لَبِبَلَدٍ ما تَبْلُغُه جيوشك، ولكني خُوِّفْتُ فخِفْتُ، وقيل لي: آمِنْ بالله فآمنتُ. فأقبل رسول اللهﷺ علىٰ القوم فقال: رُبَّ خطيبٍ مِنْ عَنْس.

فمكث يختلف إلىٰ رسول اللهﷺ، ثم جاء يُوَدِّعه فقال له رسول اللهﷺ: اخْرُجْ، وبَتَّته[٢] وقال: إنْ أَحْسَسْتَ شيئاً فوائِلْ إلىٰ أدنىٰ قرية. فخرج فوُعِكَ في بعض الطريق، فوَأَلَ إلىٰ أدنىٰ قرية، فمات رحمه الله تعالىٰ، واسمه ربيعة.

غ

۞ قدوم وفد غافِق:

روى ابن سعد قال: وَفَدَ جُلَيْحة بن شَجّار الغافِقِيّ علىٰ رسول اللهﷺ في رجال من قومه، فقالوا: يا رسول الله، نحن الكَواهِل[٣] من قومنا وقد أَسْلَمْنا، وصَدَقاتنا محبوسة بأَفْنِيَتِنا. فقال: لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم، فقال عَوْذ بن سُرَيْر الغافقي: آمنا بالله واتّبعنا رسوله.

---

(١) هو لقب زيد بن مالك بن أُدد، أبو قبيلة من اليمن.

(٢) أي أعطاه شيئاً.

(٣) الكواهل هم الذين يُعتمد عليهم في القيام بشؤون مَنْ خلّفوهم وراءهم.

۞ قدوم وفد غامِد[١]:

قال في زاد المعاد: قال الواقدي رحمه الله: وقدم على رسول الله ﷺ وَفْدُ غامِد سنة عشر وهم عشرة، فنزلوا ببقيع الغرقد وهو يومئذ أَثْلٌ[٢] وطَرْفاء[٣]، ثم انطلقوا إلى رسول الله ﷺ وخلّفوا عند رحلهم أَحْدَثهم سناً، فنام عنه وأتى سارقٌ، فسرق عَيْبة لأحدهم فيها أثواب له. وانتهى القوم إلى رسول الله ﷺ، فسلّموا عليه وأَقَرّوا له بالإسلام، وكتب لهم كتاباً فيه شرائع مِن شرائع الإسلام، وقال لهم: مَنْ خَلَّفْتم في رحالكم؟ فقالوا: خَلَّفْنا أَحْدَثَنا سناً يا رسول الله، قال: فإنه قد نام عن متاعكم حتى أتى آتٍ أَخَذَ عَيْبة أحدكم. فقال رجل من القوم: يا رسول الله، ما لأحد مِنَ القوم عَيْبة غيري. فقال رسول الله ﷺ: فقد أُخِذَتْ ورُدَّتْ إلى موضعها.

فخرج القوم سراعاً حتى أَتَوْا رواحلهم، فوجدوا صاحبهم فسألوه عمّا أخبرهم رسول الله ﷺ، قال: فَزِعْتُ من نومي ففقدتُ العَيْبة، فقُمْتُ في طلبها، فإذا رجل قد كان قاعداً، فلما رآني صار يعدو مني، فانتهيت إلى حيث انتهى فإذا أثر حَفْر، وإذا هو قد غَيَّبَ العَيْبة فاستخرجتُها. فقالوا: نشهد أنه رسول الله، فإنه قد أخبرنا بأَخْذِها وأنها قد رُدَّتْ.

فرجعوا إلى النبي ﷺ فأخبروه، وجاء الغلام الذي خلّفوه فأسلم، وأَمر النبي ﷺ أُبَيَّ بن كعب رضي الله عنه فعلّمهم قرآناً، وأجازهم ﷺ كما يجيز الوفود، وانصرفوا.

۞ قدوم وفد غسان:

قال في زاد المعاد: وقدم وفد غسان على النبي ﷺ في شهر رمضان سنة عشر، وهم

---

(١) ذكر صاحب عيون الأثر وصاحب نهاية الأرب غامد، واسمه عبدالله. قال ابن الكلبي: سُمِّيَ غامداً لأنه وقع بين عشيرته شَرٌّ فتغمّد ذنوبهم، أي غطّاها وسترها.

(٢) قال في القاموس: الأَثْل شجر واحدته أثلة، والجمع أثلات وأثول.

(٣) قال في القاموس: الطَّرْفاء شجر، وهي أربعة أصناف منها الأَثْل، والواحدة طرفاءة وطرفة، وبها لُقِّبَ طرفة بن العبد.

ثلاثة نفر فأسلموا وقالوا: لا ندري أَيَتَّبِعُنا قومنا أم لا؟ وهم يُحِبّون بقاء مُلْكهم وقُرْب قيصر. فأجازهم رسول الله ﷺ بجوائز وانصرفوا راجعين، فقدموا علىٰ قومهم فلم يستجيبوا لهم، وكتموا إسلامهم حتىٰ مات منهم رجلان علىٰ الإسلام، وأدرك الثالثُ عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه عام اليرموك، فلقي أبا عبيدة فأخبره بإسلامه، فكان يُكْرِمه.

ف

قدوم وفد فَرْوَة بن عمرو الجُذامي:

قال ابن إسحاق: وبَعَثَ فَرْوَة بن عمرو بن النّافرة الجُذامي ثم النُّفاثي إلىٰ رسول الله ﷺ رسولاً بإسلامه، وأَهْدى له بغلة بيضاء. وكان فروة عاملاً لقيصر ملك الروم علىٰ مَنْ يَلِيه مِنَ العرب، وكان منزله مُعان وما حولها من أرض الشام.

فلما بَلَغَ الرومَ ذلك من إسلامه، طلبوه حتىٰ أخذوه، فحبسوه عندهم. فقال في مَحْبَسِه ذلك شعراً علىٰ قافية النون وهو ستة أبيات:

طَرَقَتْ سُلَيْمَىٰ مَوْهِناً[1] أصحابي ... والرومُ بين البابِ والقِرْوانِ[2]

صَدَّ الخَيالُ وساءَهُ ما قد رأى ... وهَمَمْتُ أنْ أُغْفِي[3] وقد أَبْكاني

لا تَكْحُلِنَّ العينَ بعدِيَ إِثْمِداً ... سَلْمَىٰ ولا تَدْنِنَّ للإِتْيانِ

ولقد عَلِمْتَ أبا كُبَيْشةَ أنّني ... وَسْطَ الأَعِزَّةِ لا يُحَصُّ[4] لِساني

---

(١) المَوهِن بعد ساعة من الليل.

(٢) جمع قِرو بالكسر، وهو حُوَيْض من خشب تُسْقىٰ فيه الدواب وتَلِغُ فيه الكلاب.

(٣) أي أنام نوماً خفيفاً.

(٤) أي لا يُقْطع.

فَلَئِـــنْ هَلَكْـــتُ لَتَفْقِـــدُنّ أخـــاكُمُ ولئـــن بَقِيـــتُ لَتَعْرِفُـــنّ مكـــاني

ولقـد جَمَعْتُ أَجَـلَّ مـا جَمَـعَ الفتـىٰ مِـــنْ جَـــوْدَةٍ وشـــجاعةٍ وبَيـــانِ

فلما أجمعت الروم علىٰ صَلْبِه علىٰ ماء لهم يقال له: عفراء بفلسطين قال:

أَلاَ هـل أَتَـىٰ سَـلْمَىٰ بـأنَّ حَلِيلَـها[1] علىٰ ماءِ عَفْرَى فوق إحدى الرَّواحِلِ[2]

علـىٰ ناقـةٍ لم يَضْـرِبِ الفَحْـلُ أُمَّـها مُشَـــذَّبةٍ[3] أَطْرافُـــها بالمَنـــاجِلِ

فزعم الزهري بن شهاب أنهم لَمّا قَدَّموه ليقتلوه قال:

بَلِّـــغْ سَـــراةَ المســـلمين بـــأنني سِـــلْمٌ لِرَبِّـــي أَعْظُمـــي ومَقـــامي

ثم ضربوا عنقه وصلبوه علىٰ ذلك الماء يرحمه الله تعالىٰ.

❁ قدوم فروة بن مُسَيْك الـمُرادي:

قال ابن إسحاق ومحمد بن عمر رحمهما الله تعالىٰ: قدم فروة بن مُسَيك المرادي وافـداً علىٰ رسول الله ﷺ، مفارقاً لملوك كِنْدة ومتابعاً للنبي ﷺ، وقال في ذلك:

لَمّـا رأيـتُ ملـوكَ كِنْـدة أَعْرَضَـتْ كـالرِّجْلِ خـانَ الرِّجْـلَ عِـرْقُ نَسـائِها[4]

قَرَّبْـــتُ راحِلَـــتي أَؤُمُّ محمـــداً أرجـو فواضِلَـها وحُسْـنَ ثَرائـها[5]

ثم خرج حتىٰ أتىٰ المدينة وكان رجلاً له شرف، فأنزله سعد بن عبادة عليه، ثم غدا

---

(١) الحَلِيل: الزوج.

(٢) الرواحل في الأصل الإبل، ويريد بإحدى الرواحل الخشبة التي صَلَبوه عليها.

(٣) المُشَذَّبة التي أُزِيلَتْ أغصانها.

(٤) النَّسا بفتح النون وبالسين مقصور، وجاء مَدُّه في الشعر وأنكره بعضهم، وربما صحّ في الحديث عِـرْق النَّسا. قال صاحب القاموس: النَّسا عرق من الوِرْك إلىٰ الكعب، ويُثَنّىٰ نَسْوان ونَسْيان. يقـول فـروة بـأن العِـرْق أَعَـمّ من نسا، فهو من إضافة الشيء إلىٰ محله وموضعه.

(٥) قال ابن هشام: أنشدني أبو عبيدة: (أرجو فواضِلَهُ وحُسْنَ ثرائها).

إلىٰ رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد، فسلّم عليه ثم قال: يا رسول الله، أنا لِمَنْ ورائي مِن قومي. قال: أين نزلتَ يا فروة؟ قال: علىٰ سعد بن عبادة. وكان يحضر مجلس رسول الله ﷺ كلما جلس، ويتعلّم القرآن وفرائض الإسلام وشرائعه.

وقد كان قُبَيْل الإسلام بين مُراد وهَمْدان وقعة، أصابتْ فيها همدان مِن مُراد ما أرادوا، حتىٰ أثخنوهم[١] في يوم كان يقال له: يوم الرَّدْم[٢]، فكان الذي قاد هَمْدان إلىٰ مُراد الأَجْدَع بن مالك[٣] في ذلك اليوم.

قال ابن إسحاق: فلما انتهىٰ إلىٰ رسول الله ﷺ قال له رسول الله ﷺ: يا فروة، هل ساءك ما أصاب قومَك يوم الرَدْم؟ قال: يا رسول الله، مَنْ ذا يصيب قومَه مِثْل ما أصاب قومي يوم الرَّدْم لا يَسُوءُه ذلك؟! فقال رسول الله ﷺ: أمَا إنّ ذلك لم يَزِدْ قومك في الإسلام إلاّ خيراً. وفي ذلك اليوم يقول فروة بن مسيك شعراً....[٤].

واستعمل رسول الله ﷺ فروة بن مُسَيْك علىٰ مُراد وزُبَيْد ومَذْحِج كلها، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص علىٰ الصدقة، فكان معه في بلاده حتىٰ توفي رسول الله ﷺ.

۞ قدوم وفد فَزارة[٥]:

روى ابن سعد والبيهقي عن أبي وَجْزة يزيد بن عُبَيْد السَّعْدي رضي الله عنه قال: لَمّا رجع

---

(١) المراد بها المبالغة في القَتْل، أي أَكْثَروا فيهم القتل والجراحات.

(٢) وقيل: الرَّزْم كما وردت في معجم البكري، فقد ذكر أنّ يوم الرَّزْم كان لهَمْدان علىٰ مُراد قُبَيْل الإسلام، وكان رئيس هَمْدان يومئذ الأَجْدع الشاعر. وقد اختلف في يوم الرَّزْم فقيل: إنه منسوب إلىٰ الموضع الذي اقْتَتَلوا فيه من أرض اليمن، وقيل: إنه مشتق من قولك: رَزَمْتُ الشيء أَرْزمه إذا جَمَعْتُه. كما ضبطه بالزاي أيضاً ياقوت في معجم البلدان.

(٣) قال ابن هشام: الذي قاد هَمْدان في ذلك اليوم مالك بن حَرِيم الهَمْداني.

(٤) انظر السيرة الشامية ج٦ ص٣٩٢ طبعة دار الكتب العلمية - بيروت.

(٥) ذكره ابن سعد، وصاحب عيون الأثر، وصاحب البداية والنهاية، وصاحب السيرة الحلبية، والنويري في تاريخه، وفي زاد المعاد علىٰ هامش شرح المواهب.

رسول الله ﷺ من تبوك وكانت سنة تسع، قدم عليه وفد بني فزارة بضعة عشر رجلاً، فيهم: خارجة بن حِصْن[١]، والحُرّ بن قيس بن حصن وهو أصغرهم، وهم مُسْنِتون على رِكاب عِجاف[٢]، فجاءوا مُقِرِّين بالإسلام، فنزلوا دار رَمْلة بنت الحَدَث، وسألهم رسول الله ﷺ عن بلادهم، فقال أحدهم: يا رسول الله، أَسْنَتَتْ بلادنا، وهلكتْ مواشينا، وأَجْدَبَ جَنابُنا، وغَرِث[٣] عيالنا، فادْعُ لنا ربك يُغِيثنا، واشفع لنا إلى ربك، وليَشْفَع لنا ربك إليك. فقال رسول الله ﷺ: سبحان الله، ويلك، هذا أنا أشفع إلى ربي عز وجل، فمَنْ ذا الذي يشفع ربُّنا إليه؟ لا إله إلاّ هو العلي العظيم، وسع كرسيه السماوات والأرض، فهي تَئِطُّ[٤] مِن عظمته وجلاله كما يَئِطُّ الرَّحْل الجديد. وقال رسول الله ﷺ: إن الله عز وجل لَيضحك مِن شَفَفِكم[٥]، وأَزْلِكم[٦]، وقُرْب غِياثكم. فقال الأعرابي: يا رسول الله، ويضحك ربنا عز وجل؟ فقال: نعم، فقال الأعرابي: لن نَعْدَمَك مِنْ رَبٍّ يضحك خيراً[٧]، فضحك

---

(١) ابن حذيفة بن بدر أخو عُيَيْنة بن حِصْن، وهو والد أسماء بن خارجة الذي كان بالكوفة، وخارجة له وفادة... وقال المرزباني: هو مخضرم، وأنشد له أبياتاً قالها في الجاهلية يفتخر بها على الظائيين.

(٢) العِجاف هي التي بَلَغَتْ في الهزال النهاية.

(٣) الغَرَث: الجوع.

(٤) الأطيط: صوت الرَّحْل والأقتاب.

(٥) المراد به أقصى ما وجدوه من الضيق. وفي القاموس: الشفّ: الفضل، والنقصان ضد. وفي الأضداد للأصمعي: يقال: ما أحرص فلاناً على الشفّ أي على الربح، ويقال: هذا درهم يشفّ قليلاً أي ينقص.

(٦) في النهاية: الأَزْل: الشدة والضيق.

(٧) فإن الله عز وجل مُنَزّه عن ضحك كضحكنا، إنما هذه وغيرها في أحاديث وَرَدَتْ هي كناية عن رضا الله عز وجل عن عبده، وإن جميع ما ورد في كتاب الله أو سنة نبيه ﷺ يوهم التشبيه فإنه مُؤَوَّل، كقوله تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً ﴾ [الفجر: ٢٢]، وكقوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام: ١٥٨]. وما ورد في بعض الأحاديث كقوله ﷺ: (ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا) - رواه الترمذي وأبو داود، وكقوله ﷺ: (يدنو عَشِيّة عرفة فيُباهي بأهل الموقف الملائكةَ) - رواه الجماعة وأصحاب السنن. فكلُّ ذلك مُؤَوَّل عند أهل السنة والجماعة، وتستطيع أن ترجع إلى كتاب (شرح متن التوحيد عند أهل السنة والجماعة) فإنك ستجد ما يُثلج صدرك في هذا المجال، فقد ذكرتُ هناك ص٤٢: (تنبيه: إنَّ الأخذ بظواهر هذه النصوص وعدم تأويلها أصل من أصول الكفر، فيجب على المُكَلَّف ألاّ يَحِيدَ عن طريق أهل الحق حيث فيها النجاة والسلامة. =

رسول الله ﷺ من قوله، وصعد المنبر فتكلّم بكلمات، وكان لا يرفع يديه في شيء من الدعاء إلاّ في الاستسقاء[١]، فرفع يديه حتىٰ رُئِيَ بياض إبطيه. وكان مِمّا حُفِظَ مِنْ دعائه: (اللهم اسْقِ بلادك وبهائمك، وانْشُرْ رحمتك، وأَحْيِ بلدك الميت. اللهم اسْقِنا غَيْثاً مُغِيثاً، هنيئاً مريئاً[٢]، طبقاً واسعاً[٣]، عاجلاً غير آجل، نافعاً غير ضار. اللهم اسْقِنا رحمةً ولا تسقنا عذاباً، ولا هَدْماً، ولا غَرَقاً، ولا مَحْقاً. اللهم اسْقِنا الغيث وانْصُرْنا علىٰ الأعداء).

فقام أبو لبابة بن عبد المنذر الأنصاري رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، التمر في المِرْبَد[٤]. فقال رسول الله ﷺ: اللهم اسقِنا، فعاد أبو لبابة لقوله وعاد رسول الله ﷺ لدعائه، فعاد أبو لبابة أيضاً فقال: التمر في المِرْبَد يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: اللهم اسْقِنا حتىٰ يقوم أبو لبابة عُرْياناً يَسُدّ ثَعْلَبَ مِرْبَدِهِ[٥] بإزاره.

قالوا: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قَزَعة[٦]، وما بيننا وبين سَلْع[٧] مِن بيت ولا دار، فطلعتْ مِنْ وراء سَلْع سحابة مِثْلُ التُّرْس، فلما تَوَسَّطَت السماء انتشرت ثم أمطرت. قال: فلا والله ما رأينا الشمس سبتاً[٨]، وقام أبو لبابة عُرْياناً يَسُدُّ ثعلب مِرْبَده

وإن الدليل علىٰ وجوب مخالفته تعالىٰ للحوادث أنه تعالىٰ لو لم يكن مخالفاً للحوادث في ذاته وصفاته لكان تعالىٰ مماثلاً لها، فيكون تعالىٰ حادثاً مِثْلها، وكونه تعالىٰ حادثاً مُحال؛ لأنه ثبت وجوب قدمه، فاستحالت عليه تعالىٰ المماثلة للحوادث ووجبت له المخالفة لها، قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]).

(١) أي بالغ في رَفْعِهما، وإلاّ فقد ثبت في الصحيحين أنه ﷺ رفع يديه في نحو ثلاثين حديثاً، أو أنه ﷺ كان يرفع يديه في الاستسقاء، يعني ظهور كفيه إلىٰ السماء كما في مسلم، فيكون الحديث لا يرفع هذا الرفع إلاّ في الاستسقاء.

(٢) رواية ابن سعد: مريئاً مَرِيعاً، مِنَ الرَّيْع وهو الخَصْب. ورُوِيَ: مُرْبِعاً، ورُوِيَ: مُرْتِعاً مِنْ رَتَعَت الدابة إذا أكلتْ ما شاءت.

(٣) أي مُسْتَوْعِباً للأرض مُنْطَبِقاً عليها.

(٤) وفي لفظ: المرابد، والمربد: موضع يُجَفَّف فيه التمر كما قال في النهاية.

(٥) ثعلب بلفظ اسم الحيوان المعروف، وهو مَخْرَجُ ماء المطر من جَرِين التمر.

(٦) القَزَعة: القطعة الرقيقة من السحاب.

(٧) الجبل المعروف غرب المدينة.

(٨) في النهاية: قيل: أراد أسبوعاً من السبت إلىٰ السبت، فأَطْلَقَ عليه اسم اليوم، كما يقال: عشرون خريفاً يُراد عشرون سنة.

بإزاره ؛ لئلاّ يخرج التمر منه. فجاء ذلك الرجل أو غيره فقال : يا رسول الله ، هلكت الأموال وانقطعت السبل ، فصعد رسول الله ﷺ المنبر ، فدعا ورفع يديه ورُئِيَ بياض إبطيه ، ثم قال : اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم علىٰ الآكام والظِّراب ، وبطون الأودية ، ومنابت الشجر. فانجابت السحابة عن المدينة[1] انجياب الثوب.

ق

قدوم وفد بني قُشَيْر :

روى ابن سعد عن علي بن محمد القرشي ورجل من بني عَقِيل قالا : وفد علىٰ رسول الله ﷺ نفر مِن بني قُشَيْر ، فيهم ثَوْر بن عَزْرة بن عبدالله بن سلمة بن قُشَيْر ، وكان يُكَنّىٰ بأبي العكير ، فأَسْلَمَ ، فأَقْطَعَه رسول الله ﷺ قُطَيْعة ، وكتب له كتاباً.

ومنهم حَيْدة بن معاوية بن قُشَيْر ، وذلك قبل حجة الوداع وبعد حنين.

ومنهم قُرّة بن هُبَيْرة بن سَلَمة الخير بن قُشَيْر ، فأَسْلَمَ ، فأعطاه رسول الله ﷺ وكساه بُرْداً ، وأَمَرَه أن يتصدّق علىٰ قومه[2]. فقال قُرّة حين رجع :

حَباها رسولُ الله إذْ نَزَلَتْ بِهِ ... وأَمْكَنَها مِن نائلٍ غيرِ مُنْفَدِ
فأَضْحَتْ بِرَوْضِ الخَضْرِ وهي حَثيثَةٌ ... وقد أُنْجِحَتْ حاجاتُها مِن محمدِ
عليها فتىً لا يُرْدِفُ الذَّمَّ رَحْلَهُ ... تَرُوكٌ لأَمْرِ العاجِزِ المُتَرَدِّدِ

(١) يقال : انجاب السحاب عن المدينة أي تجمّع وتقبّض بعضه إلىٰ بعض وانكشف عنها.

(٢) أي يَلِي الصدقة.

۞ قدوم وفد قيس بن عاصم:

روى الطبراني برجال ثقات والبزار عن غالب بن أَبْجَر المزني قال: ذُكِرَتْ قيس عند رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: رَحِمَ الله قيساً[١]، قيل: يا رسول الله، أَنَتَرَحَّم علىٰ قيس؟ قال: نعم، إنه كان علىٰ دين أبينا إسماعيل بن إبراهيم خليل الله، إن قيساً فرسان الله في الأرض، والذي نفسي بيده لَيَأْتِيَنّ علىٰ الناس زمان ليس لهذا الدين ناصر غير قيس، إن قيساً خير الله تعالىٰ في الأرض. يعني أُسْد الله.

وروى الطبراني بسند جيد عن قيس بن عاصم رضي الله عنه قال: قدمتُ علىٰ رسول الله ﷺ، فلما رآني قال: هذا سيد أهل الوَبَر[٢]. فلما نزلتُ أَتَيْتُه، فجعلتُ أُحَدِّثه فقلت: يا رسول الله، ما المال الذي ليست عليَّ فيه تَبِعة من ضيف ضافَني، أو عيالٍ كَثُروا عليَّ؟ قال: نِعْمَ المال الأربعون، والأكثر الستون، وويل لأصحاب المِئين إلاّ مَنْ أَعْطىٰ مِن رِسْلها ونَجْدتها[٣]، وأَطْرَقَ فَحْلَها وأَفْقَرَ ظَهْرَها[٤]، ومَنَحَ غَزِيرَتَها، ونَحَرَ سَمِينَتَها، وأَطْعَمَ القانعَ[٥] والمُعْتَرَّ[٦]. قال: يا رسول الله، ما أكرم هذه وأحسنها! إنه لا يُحَلُّ بالوادي الذي أنا فيه لكثرة إبلي. فقال: فكيف تصنع بالطَّرُوقة؟ قال: قلت: تغدو الإبل ويغدو الناس، فمَنْ شاء أخذ برأس بعير فذهب به. قال: فكيف تصنع في الإفْقار؟ قلت: إني لأَفْقِر النّابَ المُدْبِرة، والضَّرَع الصغير.

---

(١) الإشارة هنا ليس إلىٰ قيس بن عاصم؛ لأنه توفي سنة ثلاث وعشرين من الهجرة كما في كتاب الإصابة، أي بعد وفاة النبي ﷺ.

(٢) الوبر: شعر الإبل، وأهل الوبر أهل البوادي؛ لأن بيوتهم يتخذونها منه.

(٣) الرِّسْل: اللين والهِينة والرفق، والنَّجْدة: الشدة والرخاء، يقول: يُعْطي وهي سِمان حِسان يشتدّ عليه إخراجها فتلك نجدتها، ويعطي في رِسْلها وهي مهازيل مُقارِبة. أو أن يكون المراد بالنجدة الشدة والجدب، وبالرِّسل الرخاء والخصب.

(٤) في النهاية: يقال: أَفْقَرَ البعيرَ يفقره إفقاراً إذا أعاره للركوب، مأخوذ من ركوب فقار الظهر وهو خرزاته، الواحدة فقارة.

(٥) أي السائل.

(٦) الذي يعتريك، أي يُلِمّ بك لتعطيه ولا يسأل.

قال: فكيف تصنع في المنيحة؟ قلت: إني لأمنح في كل سنة مائة، قال: فمالُكَ أَحَبُّ إليك أم مال مواليك؟ قلت: لا، بل مالي. قال: إنما لك مِنْ مالك ما أكلتَ فأَفْنَيْتَ، أو لبستَ فأَبْلَيْتَ، أو أَعْطَيْتَ فأمضيتَ، وسائره لمواليك. فقلت: والله لئن بقيتُ لأُقِلَّنَّ عددَها.

قال الحسن البصري رحمه الله تعالىٰ: فعل والله، فلما حضرت قيساً الوفاة، جَمَعَ بَنِيه فقال: يا بَنِيَّ، خذوا عني فإنكم لن تأخذوا من أحد هو أنصح لكم مني إذا أنا مِتُّ، فسَوِّدوا[1] أكابركم ولا تُسَوِّدوا أصاغركم، فتُسَفِّهَكم الناس وتَهونوا عليهم. وعليكم بإصلاح المال فإنه سعة للكريم، ويُسْتَغْنىٰ به عن اللئيم. وإياكم والمسألة فإنها آخر كسب المرء، فإذا أنا مِتُّ فلا تنوحوا عليَّ، فإن رسول الله ﷺ لم يُنَحْ عليه، وقد سمعتُه ينهىٰ عن النِّياحة، وكَفِّنوني في ثيابي التي كنتُ أصلي فيها وأصوم، وإذا دفنتموني فلا تدفنوني في موضع يَطَّلِعُ عليه أحد، فإنه قد كان بيني وبين بني بكر بن وائل حماسات[2] في الجاهلية، فأخاف أن يَنْبُشوني فيصيبون في ذلك ما يذهب فيه دينكم ودنياكم.

قال الحسن: نَصَحَ لهم في الحياة، ونصح لهم في الممات.

ك

قدوم وفد بني كلاب:

روى ابن سعد في طبقاته عن خارجة بن عبدالله بن كعب قال: قدم وفد بني كلاب في سنة تسع علىٰ رسول الله ﷺ وهم ثلاثة عشر رجلاً، فيهم: لبيد بن ربيعة، وجبّار بن سَلْمىٰ. فأَنْزَلَهم دار رَمْلة بنت الحَدَث، وكان بين جبّار وكعب بن مالك خُلّة[3]، فبلغ كعباً

(١) أي اجْعَلوه سيداً.

(٢) جمع حماسة، وهي الشدة والشجاعة.

(٣) الخُلّة: الصداقة والمحبة التي تَخَلَّلَت القلب فصارت خلاله، أي في باطنه.

قدومهم فرحّب بهم، وأهدى لجبّار وأَكْرَمه، وخرجوا مع كعب فدخلوا علىٰ رسول الله ﷺ، فسلّموا عليه بسلام الإسلام وقالوا: إن الضحاك بن سفيان[١] سار فينا بكتاب الله وبسنتك التي أَمَرْتَ بها، وإنه دعانا إلىٰ الله فاستجبنا لله ولرسوله، وإنه أخذ الصدقة من أغنيائنا فردّها علىٰ فقرائنا.

۞ قدوم وفد بني كلب:

روى ابن سعد عن رجل مِن بني ماوِيّة بن كلب عن أبي ليلىٰ بن عطية الكلبي عن عمه قالا: قال عبد عمرو بن جَبَلة بن وائل بن الجُلاح الكلبي: شَخَصْتُ أنا وعاصم - رجل مِن بني رُقاش من بني عامر - حتىٰ أتينا النبي ﷺ، فعرض علينا الإسلام فأسلمنا، وقال: أنا النبي الأمي الصادق الزكي، الويل كل الويل لِمَنْ كذّبني وتَوَلَّىٰ عني وقاتلني، والخير كل الخير لِمَنْ آواني ونصرني وآمن بي وصدّق قولي وجاهد معي. قالا: فنحن نؤمن بك ونُصَدِّق قولك، وأنشأ عبد عمرو يقول:

أَجَبْتُ رسولَ الله إذْ جاء بالهُدَى ... وأصبحتُ بعد الجَحْدِ بالله أَوْجَرا[٢]

ووَدَّعْتُ لَذّاتِ القِداح[٣] وقد أُرَى ... بها سَدِكاً[٤] عُمْرِي ولِلَّهْوِ أَهْدَرا[٥]

وآمنتُ بالله العَلِيِّ مكانُهُ ... وأصبحتُ لِلأوثانِ ما عِشْتُ مُنْكِرا

وروى ابن سعد عن ربيعة بن إبراهيم الدمشقي قال: وفد حارثة بن قَطَن الكلبي وحَمْل بن سعدانة بن حارثة إلىٰ رسول الله ﷺ فأسلما، فعقد لحَمْل بن سعدانة لواءً، فشهد

---

(١) هو الضحاك بن سفيان بن عوف العامري الكلابي، ولاّه رسول الله ﷺ علىٰ مَنْ أَسْلَمَ مِن قومه كما قال صاحب أسد الغابة.

(٢) يقال: وَجَرْتُه بالسيف وَجْراً أي قطعته، قال في النهاية: والمعروف في الطعن أَوْجَرْتُه الرمحَ، ولعلّه لغة فيه.

(٣) القِداح جمع قِدْح بكسرها، وهو السهم الذي كانوا يستقسمون به.

(٤) أي مولعاً.

(٥) أي أبطل.

بذلك اللواء صِفّين مع معاوية، وكتب لحارثة بن قَطَن كتاباً فيه:

هذا كتاب من محمد رسول الله لأهل دُومة الجندل وما يليها من طوائف كلب مع حارثة بن قَطَن:

لنا الضاحية مِنَ البَعْل، ولكم الضامنة من النخل. علىٰ الجارية العُشْر، وعلىٰ الغائرة نصف العشر. لا تُجْمَعُ سارِحَتُكم، ولا تُعْدَلُ فارِدَتُكم، تُقيمون الصلاة لوقتها، وتُؤتون الزكاة بحقها، لا يُحْظَرُ عليكم النبات، ولا يؤخذ منكم عُشْرُ البَتات[1].

لكم بذلك العهد والميثاق، ولنا عليكم النُّصح والوفاء وذِمّة الله ورسوله. شهد الله ومَنْ حضر مِنَ المسلمين.

۞ قدوم الأشعث بن قيس في وفد كِنْدة علىٰ النبي ﷺ:

قال في زاد المعاد: قال ابن إسحاق: حدّثني الزهري قال: قدم الأشعث بن قيس علىٰ رسول الله ﷺ في ثمانين راكباً مِن كِنْدة، فدخلوا علىٰ رسول الله ﷺ مسجده وقد رَجَّلوا جُمَمَهم[2] وتَكَحَّلوا، عليهم جُبَب الحِبَرة وقد كفّفوها[3] بالحرير. فلما دخلوا علىٰ رسول الله ﷺ قال: أَلَمْ تُسْلِموا؟ قالوا: بلىٰ، قال: فما بال هذا الحرير في أعناقكم؟ قال: فشقّوه منها فأَلْقوه. ثم قال له الأشعث بن قيس: يا رسول الله، نحن بنو آكل المُرار[4]، وأنت ابن

---

(١) هو المتاع الذي ليس عليه زكاة مما لا يكون للتجارة.

(٢) رَجَّلوا بمعنىٰ سَرَّحوا ومَشَّطوا، والجُمَم جمع جُمّة وهي مجتمع شعر الناصية الذي يصل إلىٰ المنكبين.

(٣) أي خاطوا حاشيتها الخياطة الثانية بعد الشلّ. وقال صاحب السيرة الشامية: أي جعلوا لكل جُبّة كُفّة من حرير وهي السِّجاف.

(٤) المُرار بضم الميم: نبتٌ إذا أَكَلَتْه الإبل تَقَبَّضَتْ مشافرها لِمرارته.

قال ابن هشام: الأشعث بن قيس مِنْ ولد آكل المُرار مِنْ قِبَل النساء، وآكل المُرار الحارث بن عمرو بن حُجْر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثَوْر بن مُرْتِع بن معاوية بن كندة، ومُرْتِع لقب عمرو بن معاوية بن ثور ولُقِّبَ به لأنه كان يقال له: أَرْتِعْنا في أرضك، فيقول: قد أَرْتَعْتُك مكان كذا وكذا. وإنما سُمِّيَ =

آكل المُرار. فتبسّم رسول الله ﷺ وقال: ناسِبوا بهذا النسب العباس بن عبد المطلب، وربيعة بن الحارث. وكان العباس وربيعة رجلين تاجرين، وكانا إذا سارا في أرض العرب فسُئِلا: مَنْ أنتما؟ قالا: نحن بنو آكل المُرار، يَتَعَزَّزان بذلك؛ وذلك أن كِنْدة كانوا ملوكاً. ثم قال لهم: لا، بل نحن بنو النضر بن كنانة، لا نَقْفو أُمَّنا[1]، ولا ننتفي مِن أبينا. فقال الأشعث بن قيس: هل فرغتم يا معشر كِنْدة؟ والله لا أسمع رجلاً يقولها إلاّ جَلَدْتُه الحَدّ.

وروى الإمام أحمد وابن ماجة والحارث وابن سعد والطبراني في الكبير وأبو نعيم عن الأشعث بن قيس الكِنْدي قال: قدمتُ علىٰ رسول الله ﷺ في وفد كِنْدة، فقال لي النبي ﷺ: هل لك مِن ولد؟ قلت: غلام وُلِدَ مَخْرَجِي إليك مِن ابنة فلان، ولَوَدِدْتُ أن يشبع القوم. فقال: لا تقولنّ ذا، فإنّ فيهم قُرّة عين وأجراً إذا قُبِضوا. ثم قال: إنهم لَمَجْبَنَة مَبْخَلة.

وروى ابن عساكر عنه قال: قدمت علىٰ رسول الله ﷺ فقال لي: ما فعلتْ بنت عمك؟ قلت: نُفِسَتْ بغلام، والله لَوَدِدْتُ أن لي سَبِيّة. فقال: إنهم لَمَجْبَنة مَبْخَلة، وإنهم لَقُرّة العين وثمرة الفؤاد.

ل

❁ قدوم وفد أبي رَزِين لَقِيط بن عامر العُقيلي:

روى عبدالله بن الإمام أحمد في زوائد المسند والطبراني عن لَقِيط بن عامر رضي الله عنه قال:

آكل المرار؛ لأن عمرو بن الهَبولة الغساني أغار عليهم وكان الحارث غائباً، فغنم وسبىٰ، وكان فيمَنْ سبىٰ أُمُّ أُناس بنت عوف بن محلَّم الشيباني امرأة الحارث بن عمرو، فقالت لعمرو في مسيره: لَكأني برجل أَذْلَم (أي مُسْتَرْخِيَ الشفتين) أسود كأنّ مشافره مشافر بعير، آكل مُرار قد أَخَذَ برقبتك - تعني الحارث، فسُمِّيَ آكل المرار. ثم تَبِعَه الحارث في بني بكر بن وائل فلحقه، فقتله واستنقذ امرأته وما كان أصاب.

ويقال: بل آكل المرار حُجر بن عمرو بن معاوية، وهو صاحب هذا الحديث. وإنما سُمِّيَ آكل المُرار؛ لأنه أكل هو وأصحابه في تلك الغزوة شجراً يقال له: المُرار.

(١) أي لا نَتَّبِع نَسَبَ أُمِّنا.

خرجتُ أنا وصاحبي نَهِيك بن عاصم بن مالك بن المُنْتَفِق حتىٰ قدمنا علىٰ رسول الله ﷺ لانسلاخ رجب، فوافيناه حين انصرف من صلاة الغداة، فقام في الناس خطيباً فقال: يا أيها الناس، ألا إني قد خبّأتُ لكم صوتي منذ أربعة أيام لتسمعوا الآن، ألا فهل مِن امرئ قد بَعَثَه قومه فقالوا: أَعْلِم لنا ما يقول رسول الله ﷺ؟ أَلاَ ثم رجل لعلّه أن يُلْهِيَه حديث نفسه، أو حديث صاحبه، أو يُلْهِيَه ضالٌّ، أَلاَ وإني مسؤول هل بَلَّغْتُ؟ أَلاَ اسمعوا تعيشوا، أَلاَ اجلسوا. فجلس الناس[١] وقمت أنا وصاحبي، حتىٰ إذا فرغ لنا فؤاده وبصره قلت: يا رسول الله، إني أسألك عن حاجتي فلا تَعْجَلَنّ عليَّ. قال: سَلْ عمّا شئتَ، قلت: يا رسول الله، ما عندك مِنْ عِلْم الغيب؟ فضحك فقال: لَعَمْرُ الله، وهزّ رأسه وعَلِمَ أني أبتغي سَقَطَه[٢]، فقال: ضَنَّ ربك عز وجل[٣] بمفاتيح خمس من الغيب لا يعلمها إلاّ الله، وأشار بيده. فقلت: وما هي يا رسول الله؟ قال: عِلْم المَنِيّة قد عَلِم متىٰ مَنِيّة أحدكم لا تعلمونه، وعِلْم ما في غد وما أنت طاعم غداً ولا تعلمه، وعِلْم المني حين يكون في الرحم قد عَلِمَ ولا تعلمونه، وعِلْم الغيث يُشْرِف عليكم آزلين[٤] مُسْنِتين[٥]، فيظل يضحك قد عَلِمَ أنّ غَوْثكم قريب[٦]. قال لَقِيط: قلت: لن نَعْدَم مِنْ رب يضحك خيراً يا رسول الله، قال: وعِلْم يوم الساعة. قال: قلت: يا رسول الله، عَلِّمْنا مِمّا لا يعلم الناس ومِمّا تعلم، فإنّا مِنْ قبيلٍ لا يُصَدِّقون تصديقنا أحداً مِن مَذْحِج التي تدنو إلينا[٧]، وخَثْعَم التي تُوالينا، وعشيرتنا التي نحن منها. قال رسول الله ﷺ: تلبثون ما لبثتم ثم يُتَوَفّىٰ نبيكم، ثم تلبثون ما لبثتم ثم تُبْعَثُ الصائحة[٨]، فلعمرُ إلهك ما تدع علىٰ ظهر الأرض مِن شيء

---

(١) وفي لفظ: والحاصل الناس.

(٢) السَّقَط من القول رديئه.

(٣) أي لم يَطَّلِعْ غيره عليها.

(٤) من الأزل: وهي الشدة والضيق.

(٥) من السَّنة أي الجدب. وفي رواية: مشفقين أي خائفين، من الإشفاق وهو الخوف.

(٦) أي إعانتكم قريبة.

(٧) وفي رواية: تربو علينا.

(٨) وفي لفظ: الصيحة.

إلاّ مات، والملائكة الذين مع ربك، فيصيح ربك عز وجل يطوف في الأرض قد خلت عليه البلاد، فيُرسل ربك السماء تَهْضِبُ[١] من تحت العرش، فلعمرُ إلهك ما تَدَعُ علىٰ ظهرها مِن مصرع قتيل ولا مدفن ميت إلاّ شَقَّتِ القبرَ عنه، حتىٰ تَخْلُفَه مِنْ قِبَلِ رأسه[٢] فيستوي جالساً، فيقول ربك: مَهْيَم[٣] لِما كان فيه، فيقول: يا رب أمس اليوم[٤]، لعهده بالحياة يَحسبه حديثاً بأهله. فقلت: يا رسول الله، فكيف يجمعنا بعد أن تُمَزِّقنا الرياح والبِلَىٰ والسباع؟ فقال: أُنْبِئُك بِمِثْل ذلك في آلاء الله[٥]، أشرفتَ علىٰ الأرض وهي مَذِرة[٦] بالية، فقلتَ: لا تَحْيَىٰ هذه أبداً، ثم أرسل ربك عليها السماء، فلم تلبث إلاّ أياماً حتىٰ أشرفتَ عليها وهي شَرَبة واحدة[٧]، ولعمرُ إلهك لهو أقدر علىٰ أنْ يجمعكم من الماء علىٰ أن يجمع نبات الأرض، فتخرجون من الأصواء[٨] ومِن مصارعكم، فتنظرون إليه وينظر إليكم. قال: قلت: يا رسول الله، كيف ونحن مِلْء الأرض وهو ﷺ شخص واحد ينظر إلينا وننظر إليه؟ قال: أُنْبِئُك بِمِثْل ذلك في آلاء الله عز وجل، الشمس والقمر آية منه صغيرة تَرَوْنهما ويَرَيانكم ساعة واحدة، لا تُضارّون[٩] في رؤيتهما، ولَعمرُ إلهك لهو أقدر علىٰ أن يراكم

---

(١) في القاموس: هَضَبَتِ السماء تَهْضِب أي مَطَرَتْ.

(٢) أي تبقىٰ بعده من الخلف بالتحريك والسكون، وهو كلُّ مَنْ يَجِيء بعد مَنْ مضىٰ، إلاّ أنه بالتحريك في الخير، وبالتسكين يكون في الشر. قال صاحب النهاية: يقال: خَلَف صِدْق وخَلف سوء، معناهما جميعاً القِرْن من الناس.

(٣) كلمة يمانية معناها: ما الأمر وما الشأن؟

(٤) وفي رواية عبدالله بن أحمد بن حنبل في كتابه السنة قال: يا رب أمتني اليوم.

(٥) أي نِعَمِه.

(٦) أي فاسدة بالية.

(٧) قال القتيبي: إنْ كان بالسكون فإنه أراد أنَّ الماء قد كَثُر، فمِنْ حيث أردتَ أن تشرب شربتَ شربة.

(٨) وفي لفظ: الأجداث، أي القبور.

(٩) وفي لفظ: لا تُضامون، قال صاحب النهاية: لا تضامون يروى بالتشديد والتخفيف، فبالتشديد معناه: لا ينضم بعضكم إلىٰ بعض وتزدحمون وقت النظر إليه، ويجوز ضم التاء وفتحها علىٰ تُفاعلون وتتفاعلون. ومعنىٰ التخفيف أيْ لا ينالكم ضَيْم في رؤيته.

وترونه مِن أن ترونهما ويَرَيانكم. قلت: يا رسول الله، فما يفعل بنا ربنا إذا لقيناه؟ قال: تُعْرَضون عليه بادية له صفحاتكم، لا يَخْفىٰ عليه منكم خافية، فيأخذ ربك عز وجل بيده غَرْفة من الماء فينضخ[1] بها قبلكم، فلعمرُ إلهك ما يخطئ وجه أحد منكم منها قطرة، فأمّا المسلم فَتَدَعُ وجهه مِثْل الرَّيْطة[2] البيضاء، وأما الكافر فتنضحه - أو قال: فتحطمه - بمِثْل الحُمم الأسود[3]، ثم ينصرف نبيكم ويتفرّق علىٰ أثره الصالحون، فتسلكون جسراً من النار[4]، فيطأ أحدكم الجمر فيقول: حِسْ[5]، فيقول ربك عز وجل أو إنه قال: أَلاَ فتطلعون علىٰ حوض نبيكم، لا يظمأ والله ناهِلُه قط، فلعمرُ إلهك ما يَبْسُطُ أحد منكم يده إلاّ وقع عليها قَدَح يُطَهِّرُه من الطَّوْف والبول والأذى، وتُحْبَس الشمس والقمر فلا ترون منهما أحداً. قال: قلت: يا رسول الله، فبمَ نُبصر يومئذ؟ قال: بمِثْل بصرك ساعتك هذه، وذلك مع طلوع الشمس في يوم أشرقته الأرض وواجهته الجبال. قال: قلت: يا رسول الله، فبِمَ نُجزى من سيئاتنا وحسناتنا؟ قال: الحسنة بعشر أمثالها، والسيئة بمِثْلها إلاّ أن يعفو. قال: قلت: يا رسول الله، فما الجنة وما النار؟ قال: لعمرُ إلهك إنّ النار لها سبعة أبواب، ما منها بابان إلاّ يسير الراكب بينهما سبعين عاماً. وإنّ للجنة ثمانية أبواب، ما منها بابان إلاّ يسير الراكب بينهما سبعين عاماً. قال: قلت: يا رسول الله، فعلامَ نطَّلع من الجنة؟ قال: علىٰ أنهار من عسل مُصَفّىٰ، وأنهار من خمر ما بها من صداع ولا ندامة، وأنهار من لبن لم يتغيّر طعمه، وماء غير آسِن، وفاكهة، ولعمرُ إلهك ما تَعْلَمون، وخير مِن مِثْله، معه أزواج مُطَهَّرة. قال: قلت: يا رسول الله، أَوَ لنا فيها أزواج أو منهن صالحات؟ قال: المصلحات

---

(١) أي يَرُش قليلاً من الماء. قال صاحب النهاية: النضخ بالخاء المعجمة قريب من النضح بالحاء المهملة، وقد اختلف فيهما أيهما أكثر، والأكثر أنه بالمعجمة أقل من المهملة. وقيل: هو بالمعجمة الأثر يبقىٰ في الثوب والجسد، وبالمهملة الفعل نفسه. وقيل: هو بالمعجمة ما فُعِلَ تَعَمُّداً، وبالمهملة مِنْ غير تَعَمُّد.

(٢) الرَّيْطة: كل مُلاءة ليست بِلِفْقَيْن، وقيل: كل ثوب رقيق لَيِّن، والجمع رِيَط ورياط.

(٣) أي دخان أسود.

(٤) الجسر هو الصراط.

(٥) هي كلمة يقولها الإنسان إذا أصابه ما مَضَّه وأحرقه غفلة، كالجمرة والضربة ونحوهما.

للصالحين[١]، تَلَذُّون بهن مِثْل لَذّاتكم في الدنيا، ويَلْذَذْن بكم غير أن لا تَوالُد. قال لَقِيط: قلت: يا رسول الله، أقصىٰ ما نحن بالغون ومُنْتَهون إليه؟ فلم يُجِبْه النبيﷺ. قال: قلت: يا رسول الله، علامَ أُبايعك؟ قال: فبسط رسول اللهﷺ يده وقال: علىٰ إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وزِيال الشرك فلا تشرك بالله إلهاً غيره. قال: فقلت: يا رسول الله، وإن لنا ما بين المشرق والمغرب؟ فقبض النبيﷺ يده وظن أني أشترط عليه شيئاً لا يُعْطِينِيه، قال: قلت: نَحُلُّ منها حيث شئنا ولا يجني منها امرؤ إلاّ علىٰ نفسه[٢]، فبَسَطَ إليَّ يده وقال: ذلك لك، تَحُلُّ حيث شئتَ ولا تجني عليك إلاّ نفسك.

قال: وانصرفنا عنه فقال: ها إنْ ذَيْن ها إنْ ذَيْن - مرتين -، مَنْ أتقىٰ الناس في الأولىٰ والآخرة؟ فقال له كعب بن الخُدّارِيّة أحد بني بكر بن كلاب: مَنْ هم يا رسول الله؟ قال: بنو المنتفق أهلُ ذلك منهم.

قال: فانصرفنا وأقبلتُ عليه فقلت: يا رسول الله، هل لأحد مِمَّنْ مضىٰ مِن خير في جاهليتهم؟ فقال رجل من عُرْض قريش: والله إن أباك المنتفق لفي النار. قال: فلكأنه وقع حَرٌّ بين جلدة وجهي ولحمه[٣] مِمّا قال لأبي علىٰ رؤوس الناس، فهَمَمْتُ أن أقول: وأبوك يا رسول الله؟ ثم إذِ الأخرى أجمل فقلت: يا رسول الله، وأهلك؟ قال: وأهلي، لَعَمْرُ الله حيث ما أَتَيْتَ علىٰ قبر عامري أو قريشي أو دَوْسي مشرك قُلْ: أَرْسَلَني إليك محمد، فأَبْشِرْ بما يَسُؤْكَ، تُجَرّ علىٰ وجهك وبطنك في النار. قال: قلت: يا رسول الله، وما فعل بهم ذلك وقد كانوا علىٰ عمل لا يُحْسِنون إلاّ إياه، وكانوا يحسبون أنهم مصلحون؟ قالﷺ: ذلك بأن الله تعالىٰ بعث في آخر كل سبع أمم نبياً، فمَنْ عصىٰ نبيه كان من الضالين، ومَنْ أطاع نبيه كان من المهتدين[٤].

---

(١) وفي رواية: الصالحات للصالحين.

(٢) وفي رواية: ولا يجني علىٰ امرئ إلاّ نفسه.

(٣) وفي لفظ: بين جلدي ووجهي ولحمي.

(٤) رواه الحاكم في المستدرك، والطبراني في الكبير، وأحمد في مسنده، وعبدالله بن أحمد في زوائد المسند، وقال =

م

قدوم وفد مُحارب:

روى ابن سعد رحمه الله تعالىٰ عن أبي وَجْرة السعدي قال: قدم وفد محارب سنة عشر في حجة الوداع وهم عشرة نفر، منهم: سَواء بن الحارث[1]، وابنه خزيمة بن سَواء. فأُنْزِلوا دار رَمْلة بنت الحَدَث، وكان بلال يأتيهم بغداء وعشاء، إلىٰ أن جلسوا مع رسول الله ﷺ يوماً من الظهر إلىٰ العصر، فأسلموا وقالوا: نحن علىٰ مَنْ وراءنا، ولم يكن أحد في تلك المواسم التي كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه فيها علىٰ القبائل يدعوهم إلىٰ الله ولينصروه أفظّ ولا أغلظ علىٰ رسول الله ﷺ منهم. وكان في الوفد رجل منهم فعَرَفَه رسول الله ﷺ فأَمَدَّه النظر، فلما رآه المحاربي يديم النظر إليه قال: كأنك يا رسول الله تَوَهَّمُني؟ قال: لقد رأيتك، قال المحاربي: أيْ والله، لقد رأيتَني وكلّمتَني وكلّمتُك بأقبح الكلام، ورَدَدْتُ عليك بأقبح الرد بعكاظ وأنت تطوف علىٰ الناس. فقال ﷺ: نعم، فقال المحاربي: يا رسول الله، ما كان في أصحابي أشدّ عليك يومئذ ولا أبعد عن الإسلام مني، فأحمد الله الذي أبقاني حتىٰ صَدَّقْتُ بك، ولقد مات أولئك النفر الذين كانوا معي علىٰ دينهم. فقال ﷺ: إن هذه القلوب بيد الله عز وجل، فقال: يا رسول الله، استغفر لي مِن مراجعتي إيّاك. فقال ﷺ: إنَّ الإسلام يَجُبُّ[2] ما كان قبله مِنَ الكفر، ومسح رسول الله ﷺ وجه خزيمة بن

الحاكم: حديث جامع في البعث صحيح الإسناد. وقال الحافظ أبو الحسن الهيثمي: أسنادها متصلة ورجالها ثقات، وإسناد الطبراني مرسل عن عاصم بن لَقِيط. وقال في زاد المعاد: هذا حديث كبير جليل يُنادي جلالته وفخامته وعظمته علىٰ أنه خرج من مشكاة النبوة، رواه أئمة السنة في كتبهم وتَلَقَّوه بالقبول، وقابلوه بالتسليم والانقياد، ولم يطعن أحد منهم فيه ولا في أحد من رواته. وسرد ابن القيِّم مَن رواه من الأئمة، منهم البيهقي في كتاب البعث، وفسّر أبو محمد القتيبي وغيره غريبه.

(١) قال ابن الأثير في أسد الغابة: إنه سواء بن قيس المحاربي - انظر ترجمته في الإصابة.

(٢) بمعنىٰ يقطع.

سَواء فكانت له غُرّة بيضاء، وأجازه كما يُجِيز الوفد، وانصرفوا إلىٰ أهليهم.

وروى ابن شاهين وأبو نعيم في معرفة الصحابة، وأبو بكر بن خلاّد النصيبي في الجزء الثاني من فوائده، عن أَبان المحاربي - ويقال له: أَبان العَبْدي - قال: كنت في الوفد فرأيتُ بياض إبط رسول الله ﷺ حين رفع يديه يستقبل بهما القبلة.

۞ قدوم وفد مُرّة:

روى ابن سعد عن أشياخ مِن بني مُرّة قالوا: قدم وفد بني مُرّة علىٰ رسول الله ﷺ حين رجع من تبوك سنة تسع، وهم ثلاثة عشر رجلاً رَأَسَهم الحارث بن عوف، فقالوا: يا رسول الله، إنّا قومك وعشيرتك، ونحن قومٌ مِن بني لؤي بن غالب. فتبسّم رسول الله ﷺ ثم قال: أين تركتَ أهلك؟ قال: بسلاح[1] وما والاها، قال: وكيف البلاد؟ قال: والله إنهم لَمُسْنِتون، فادْعُ الله لنا. فقال رسول الله ﷺ: اللهم اسْقِهم الغيث.

فأقاموا أياماً ثم أرادوا الانصراف إلىٰ بلادهم، فجاءوا رسول الله ﷺ مُوَدِّعين له، وأمر بلالاً أن يجيزهم، فأجازهم بعشر أواقٍ فضة، وفضّل الحارثَ بن عوف فأعطاه اثنتي عشرة أُوقِيّة، ورجعوا إلىٰ بلادهم فوجدوها قد أُمْطِرَتْ، فسألوا: متىٰ مُطِرْتُم؟ فإذا هو ذلك اليوم الذي دعا فيه رسول الله ﷺ.

وقدم عليه وهو يتجهّز لحجة الوداع قادم منهم، فقال: يا رسول الله، رجعنا إلىٰ بلادنا فوجدناها مصبوبة مطراً في ذلك اليوم الذي دَعَوْتَ لنا فيه، ثم قَلَّدَتْنا أقلادُ الزرع في كل خمس عشرة ليلة[2] مَطْرة جوداً، ولقد رأيت الإبل تأكل وهي بُروك، وإنَّ غنمنا ما تَوارى من أبياتنا فترجع فتَقِيل في أهلنا. فقال رسول الله ﷺ: الحمد لله الذي هو صَنَعَ ذلك.

---

(١) هي اسم مَحَلَّتهم.

(٢) في النهاية في حديث استسقاء عمر: فقَلَّدَتْنا السماء قلداً كل خمس عشرة ليلة، أي مطرتنا لوقت معلوم، مأخوذ من قلد الحمىٰ وهو يوم نوبتها، والقلد السقي، يقال: قلدت الزرع إذا سقيته.

❁ قدوم وفد مُزَيْنة:

روى الإمام أحمد والطبراني والبيهقي وأبو نعيم عن النعمان بن مُقَرِّنرضي الله عنه قال: قدمتُ علىٰ رسول الله ﷺ في أربعمائة مِن مُزَيْنة وجُهَيْنة، فأَمَرَنا بأَمْرِه، فقال القوم: يا رسول الله، ما لنا مِن طعام نَتَزَوَّدُه. فقال النبي ﷺ لعمر رضي الله عنه: زَوِّد القوم، فقال: يا رسول الله، ما عندي إلاّ فَضْلة من تمر، وما أراها تُغني عنهم شيئاً. قال: انْطَلِقْ فزَوِّدْهم، فانْطَلَقَ بنا إلىٰ عُلِّيّة، فإذا تمر مِثْل البَكْر الأَوْرق[1]، فقال: خذوا، فأخذ القوم حاجتهم. قال: وكنت في آخر القوم، فالتفتُّ وما أفقد موضع تمرة وقد احْتَمَلَ منه أربعمائة، وكأنّا لم نَرْزَأْه[2] تمرة.

وفي لفظ: فنظرتُ وما أفقد موضع تمرة من مكانها.

وروى ابن سعد عن كثير بن عبدالله المُزَني عن أبيه عن جده قال: كان أول مَنْ وَفَدَ علىٰ رسول الله ﷺ مِن مُضَر أربعمائة من مُزَيْنة، وذلك في رجب سنة خمس، فجعل لهم رسول الله ﷺ الهجرة في دارهم وقال: أنتم مهاجرون حيث كنتم، فارجعوا إلىٰ أموالكم. فرجعوا إلىٰ بلادهم.

وقال ابن سعد: أخبرنا هشام بن محمد السائب الكلبي أخبرنا أبو مسكين وأبو عبد الرحمن العجلاني قالا: قدم علىٰ رسول الله ﷺ نفر من مُزَيْنة، منهم خزاعي بن عبد نُهْم[3]، فبايعه علىٰ قومه مُزَيْنة. وقدم معه عشرة منهم، فيهم: بلال بن الحارث، والنعمان بن مُقَرِّن، وأبو أسماء، وأسامة، وعبدالله بن بُردة، وعبدالله بن دَرّة، وبِشْر بن المُحْتَفِز. وكان منهم دُكَيْن بن سعيد، وعمرو بن عوف.

---

(١) البَكْر الفتىٰ من الإبل، والأَوْرق هو الأسمر. وقال في القاموس: الأورق من الإبل ما في لونه بياض إلىٰ سواد، وهو من أَطْيب الإبل لحماً لا سيراً أو عملاً.

(٢) أي لم ننقصه.

(٣) نُهم بالضم: صنم لمُزَيْنة، وبه سُمُّوا عبد نُهْم.

قال: وقال هشام في حديثه: ثم إن خزاعياً خرج إلىٰ قومه فلم يجدهم كما ظنّ فأقام، فدعا رسول الله ﷺ حسان بن ثابت رضي الله عنه فقال: اذكر خزاعياً ولا تَهْجُه، فقال حسان بن ثابت:

أَلاَ أَبْلِغ خُزاعِيّاً رَسولاً ... بأنّ الذَّمَّ يَغْسِلُهُ الوفاءُ

وأنك خيرُ عثمانَ بنِ عمرو ... وأَسْناها إذا ذُكِرَ السَّناءُ

وبايَعْتَ الرسولَ وكان خيراً ... إلىٰ خيرٍ وأَدّاكَ الثَّراءُ

فما يُعْجِزْكَ أو ما لا تُطِقْهُ ... مِنَ الأشياءِ لا تَعْجِزْ عِداءُ[1]

قال: فقام خزاعي فقال: يا قوم، قد خصّكم شاعر الرجل فأَنْشُدُكم الله. قالوا: فإنّا لا نَنْبو عليك.

قال: وأسلموا ووفدوا علىٰ النبي ﷺ، فدفع رسول الله ﷺ لواء مُزَيْنة يوم الفتح إلىٰ خزاعي وكانوا يومئذ ألف رجل، وهو أخو المُغَفَّل أبي عبدالله بن المُغَفَّل، وأخو عبدالله ذي البِجادَيْن.

❁ قدوم وفد معاوية بن حَيْدة[2]:

روى الإمام أحمد والبيهقي عن معاوية بن حَيْدة رضي الله عنه قال: أَتَيْتُ رسول الله ﷺ، فلما دُفِعْتُ إليه قال: أمَا إني سألتُ الله عز وجل أن يُعِينَني عليكم بالسّنة فتُحْفِيكم[3]، وبالرعب أن يجعله في قلوبكم. فقال معاوية بن حَيْدة بيده جميعاً: أمَا إني حلفتُ - هكذا وهكذا - أنْ لا أُومِنَ بك ولا أَتَّبِعك، فما زالت السَّنة تُحْفِيني، وما زال الرعب يَرْعَبُ في قلبي حتىٰ

---

(١) عِداء: بطنه الذي هو منه.

(٢) في الإصابة في ترجمة حَيْدة: إنّ له ولابنه معاوية بن حيدة صحبة، وذكره أبو حاتم السجستاني، وقال المبرد: عاش حَيْدة دهراً طويلاً، ثم أدرك أسد بن عبدالله القسري حيث كان بخراسان أميراً مِنْ قبل أخيه خالد بن عبدالله القسري.

(٣) أي بالقحط يُهْلِكُكم به ويُتْلِفُ أموالكم.

وقفتُ بين يديك، فبالله الذي أَرْسَلَكَ بماذا بعثك الله به؟ قال: بَعَثَني بالإسلام، قال: وما الإسلام؟ قال: شهادة أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً عبده ورسوله، وتقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة أَخَوان نَصِيران، ولا يقبل الله عز وجل مِن أحدٍ توبةً أَشْرَكَ بعد إسلامه. قال: قلت: يا رسول الله، ما حق زوج أحد منا عليه؟ قال: يُطْعِمُها إذا طَعِم، ويكسوها إذا اكْتَسىٰ، ولا يضرب الوجه، ولا يُقَبِّح، ولا تُهْجَر إلاّ في المبيت.

وفي رواية: قال: ما تقول في نسائنا؟ قال: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة٢٢٣].

قال: فينظر أحدنا إلىٰ عورة أخيه؟ قال: لا، قال: فإذا تَفَرَّقا؟ قال: فضمّ رسول الله ﷺ إحدى فخذيه علىٰ الأخرى ثم قال: ها هنا تُحشرون، ها هنا تحشرون، ها هنا تحشرون - ثلاثاً - يعني الشام - رُكْباناً ومشاة وعلىٰ وجوهكم، مُوفون يوم القيامة سبعين أُمّة، أنتم آخر الأمم وأكرمها علىٰ الله تعالىٰ، وعلىٰ أفواهكم الفِدام[1]، وأول ما يُعْرِب عن أحدكم فَخْذُه[2].

❁ قدوم وفد مَهْرة:

قال ابن سعد رحمه الله تعالىٰ: قالوا: قدم وفد مَهْرة عليهم مَهْرِيُّ بن الأبيض، فعرض عليهم رسول الله ﷺ الإسلام فأسلموا، ووَصَلَهم وكتب لهم:

> هذا كتاب من محمد رسول الله لِمَهْرِيّ بن الأبيض علىٰ مَنْ آمن به مِنْ مَهْرة: ألاّ يُؤْكَلوا[3]، ولا يُعْرَكوا[4]، وعليهم إقامة شرائع الإسلام،

---

(١) الفِدام ما يُشَدُّ علىٰ فم الإبريق والكوز مِن خرقة لتصفية الشراب الذي فيه، والمعنىٰ أنهم يُمنعون الكلام بأفواههم حتىٰ تتكلّم جوارحهم، فشبّه ذلك ﷺ بالفِدام.

(٢) وفي لفظ: كفه وفخذه.

(٣) أي لا يُغار عليهم.

(٤) مِن عَرَكَت الماشيةُ النباتَ أي أَكَلَتْه، أي لا يُؤْكَلُ نباتهم.

فمَنْ بَدَّلَ فقد حارب، ومَنْ آمن به فله ذمة الله وذمة رسوله. اللُّقطة مُؤَدّاة، والسارحة[١] مُنَدّاة[٢]، والنَّفَث السيئة، والرَّفَث الفُسوق.

وكتب محمد بن مسلمة الأنصاري.

وروى ابن سعد عن معمر بن عمران المَهْرِيّ عن أبيه قال: وَفَدَ إلىٰ رسول الله ﷺ رجل مِن مَهْرة يقال له: زهير[٣] بن قِرْضَم بن العُجَيل بن قِثاث، فكان رسول الله ﷺ يُدْنِيه ويُكْرِمُه لِبُعْد مسافته، فلما أراد الانصراف بَتَّه[٤] وحَمَلَه، وكتب له كتاباً. فكتابه عندهم إلىٰ اليوم.

ن

قدوم وفد نافع بن زيد الحِمْيَري:

ذكر ابن الأثير في أسد الغابة، وصاحب الإصابة عند ترجمة نافع بن زيد الحِمْيري قال: ذكر ابنُ شاهين نافعَ بن زيد الحِمْيَري في الصحابة، وأَخْرَجَ مِنْ طريق زكريا بن يحيىٰ بن سعيد الحِمْيَري عن إياس بن عمرو الحِمْيَري أنَّ نافع بن زيد الحِمْيَري قدم وافداً علىٰ النبي ﷺ في نفر مِنْ حِمْيَر، فقالوا: أتيناك لِنَتَفَقَّه في الدين، ونسأل عن أول هذا الأمر. قال: كان الله ولا شيء غيره، وكان عرشه علىٰ الماء، ثم خَلَقَ القلم فقال: اكْتُبْ ما هو كائن، ثم خَلَقَ السماوات والأرض وما بينهما، واستوى علىٰ عرشه.

وختم ابن الأثير ترجمته لنافع بعد إيراده لهذا الحديث بقوله: أخرجه أبو موسىٰ، وقال ابن حجر عن هذا الحديث: فيه عِدّة مجاهيل.

---

(١) هي الماشية تسرح إلىٰ المرعىٰ.

(٢) التَّنْدِية: أن يورد الرجل الإبل والخيل فتشرب قليلاً، ثم يردها إلىٰ المرعىٰ ساعة، ثم تُعاد إلىٰ الماء.

(٣) وفي لفظ: ذَهْبَن.

(٤) أي أعطاه البَتات، وهو الزاد كما في القاموس.

۞ قدوم وفد علماء نَجْران:

روى البيهقي عن يونس بن بُكير عن سلمة بن يسوع عن أبيه عن جده، قال يونس وكان نصرانياً فأَسْلَمَ: إنَّ رسول الله ﷺ كتب إلىٰ أهل نجران قبل أن ينزل عليه: ﴿طسٓ ..... إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٢٠﴾ - يعني النمل -:

> باسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، مِنْ محمد النبي رسول الله إلىٰ أسقف نجران وأهل نجران، إنْ أَسْلَمْتُم فإني أحمد إليكم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب.
>
> أما بعد،
>
> فإني أدعوكم إلىٰ عبادة الله مِن عبادة العِباد، وأدعوكم إلىٰ ولاية الله مِن ولاية العباد، وإنْ أَبَيْتُم فالجزية، فإنْ أَبَيْتُم فقد آذَنْتُكم بحرب، والسلام.

فلما أتىٰ الأسقفَ الكتابُ وقرأه، قُطِعَ به وذُعِرَ ذُعْراً شديداً، فبعث إلىٰ رجل من أهل نجران يقال له: شرحبيل بن وَداعة، وكان مِن هَمْدان، ولم يكن أحدٌ يُدْعَىٰ إذا نزلت معضلة إلاّ الأَيْهم وهو السيد والعاقب. فدفع الأسقفُ كتاب رسول الله ﷺ إلىٰ شرحبيل وقرأه، فقال الأسقف: يا أبا مريم، ما رأيك؟ فقال شرحبيل: قد عَلِمْتُ ما وعد الله إبراهيم في ذرية إسماعيل من النبوة، فما تؤمن أن يكون هذا هو ذاك الرجل، ليس لي في النبوة رأي، ولو كان أمراً من أمور الدنيا لأَشَرْتُ عليك فيه برأيي وجَهَدْتُ لك. فقال له الأسقف: تَنَحَّ فاجلس ناحية، فتَنَحَّىٰ شرحبيل فجلس ناحية.

فبعث الأسقف إلىٰ رجل من أهل نجران يقال له: عبدالله بن شرحبيل، وهو مِن ذي أَصْبَح مِنْ حِمْيَر، فأَقْرَأَهُ الكتاب وسأله: ما الرأي؟ فقال نحواً من قول شرحبيل بن وَداعة، فقال له الأسقف: تَنَحَّ فاجلس، فتَنَحّىٰ فجلس ناحية.

ثم بعث الأسقف إلىٰ رجل من أهل نجران يُدعىٰ جَبّار بن فَيْض مِن بني الحارث بن كعب أحد بني الحماس، فأَقْرَأَه الكتاب وسأله عن الرأي، فقال له مِثْل قول شرحبيل، فأمره الأسقف فجلس ناحية.

فلما اجتمع الرأي منهم علىٰ تلك المقالة جميعاً، أَمَرَ الأسقفُ بالناقوس فضُرِبَ به، ورُفِعَت النيران والمسوح في الصوامع، وكذلك كانوا يفعلون إذا فزعوا نهاراً، فإنْ فُزِعوا بالليل ضربوا بالناقوس ورفعت النيران في الصوامع. فاجتمع حين ضُرِبَ بالناقوس ورُفِعَت المسوح أهلُ الوادي أعلاه وأسفله، وطول الوادي مسيرةُ يومٍ للراكب السريع، وفيه ثلاث وسبعون قرية ومائة ألف مقاتل. فقرأ عليهم الأسقف كتاب رسول الله ﷺ وسألهم عن الرأي فيه، فاجتمع رأي أهل الوادي منهم علىٰ أن يبعثوا شرحبيل بن وَداعة الهَمْداني، وعبدالله بن شرحبيل الأَصْبَحي، وجَبّار بن فَيْض الحارثي، فيأتوهم بخبر رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: وقدم علىٰ رسول الله ﷺ وفد نصارى نجران ستون راكباً، فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم، منهم: العاقب وهو عبد المسيح، والسيد وهو الأَيْهم، وأبو حارث بن علقمة أحد بني بكر بن وائل، وأَوْس، والحارث، وزيد، وقيس، ويزيد وبَنِيه، وخُوَيْلد، وعمرو، وخالد، وعبدالله، ويُحَنِّس. منهم ثلاثة نفر إليهم يَؤُول أمرهم: العاقب أمير القوم وذو رأيهم وصاحب مَشُورتهم، والذي لا يَصْدُرون إلاّ عن رأيه، واسمه عبد المسيح. والسيد ثِمالُهم وصاحب رَحْلهم ومجتمعهم واسمه الأَيْهم، وأبو حارث بن علقمة أحد بني بكر بن وائل أَسْقُفهم وحَبْرهم وإمامهم وصاحب مِدْراسهم. وكان أبو حارث قد شَرُف فيهم ودَرَس كتبهم حتىٰ حَسُن عِلْمُه في دينهم، فكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرّفوه ومَوَّلُوه وأَخْدَموه، وبَنَوْا له الكنائس، وبسطوا عليه الكرامات؛ لِما يَبْلُغُهم عنه مِن عِلْمِه واجتهاده في دينهم.

فانطلق الوفد حتىٰ إذا كانوا بالمدينة، وضعوا ثياب السفر عنهم ولبسوا حُلَلاً لهم يَجُرُّونها مِن حِبَرة، وتَخَتَّموا بالذهب.

وفي رواية: دخلوا علىٰ رسول الله ﷺ في مسجده في المدينة حين صلّىٰ العصر، عليهم ثياب الحِبَرات، جُبَبٌ وأَرْدِية، في جمال رجال بني الحارث بن كعب.

فقال بعض مَنْ رآهم مِنْ أصحاب رسول الله ﷺ يومئذ: ما رأينا وفداً مِثْلَهم. وقد حازت صلاتهم، فقاموا في مسجد رسول الله ﷺ يُصَلّون نحو المشرق، فقال لهم رسول الله ﷺ: دَعُوهم. ثم أَتَوْا رسول الله ﷺ فسلّموا عليه، فلم يَرُدَّ عليهم السلام، وتَصَدَّوْا

لكلامه نهاراً طويلاً فلم يُكَلِّمْهم وعليهم تلك الحُلَل والخواتيم الذهب، فانطلقوا يَتَّبِعون عثمانَ بن عفان وعبدَ الرحمن بن عوف رضي الله عنهما وكانوا يعرفونهما، فوجدوهما في ناس من المهاجرين والأنصار في مجلس، فقالوا لهما: يا عثمان، ويا عبد الرحمن، إنَّ نبيكما كَتَبَ إلينا كتاباً فأَقْبَلْنا مُجِيبِين له، فأَتَيْناه فسَلَّمْنا عليه فلم يَرُدَّ سلامنا، وتَصَدَّيْنا لكلامه نهاراً طويلاً فأَعْيانا أنْ يُكَلِّمَنا، فما الرأي منكما؟ أنعود إليه أم نرجع إلىٰ بلادنا؟ فقالا لعلي بن أبي طالبﷺ وهو في القوم: ما الرأي في هؤلاء القوم يا أبا الحسن؟ فقال لهما: أرى أن يضعوا حُلَلَهم هذه وخواتيمهم، ويلبسوا ثياب سفرهم ثم يعودوا إليه. ففعل وفد نجران ذلك، ووضعوا حُلَلَهم ونزعوا خواتيمهم، ولبسوا ثياب سفرهم ورجعوا إلىٰ رسول اللهﷺ، فسلّموا عليه، فردّ عليهم سلامهم ثم قال: والذي بعثني بالحق لقد أَتَوْني المرة الأولىٰ وإنَّ إبليس لَمَعَهُمْ.

وروى الحاكم وصحّحه وابن مردويه وأبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما، وابن سعد وعبد بن حميد عن الأزرق بن قيس أن رسول اللهﷺ دعا وفد نجران إلىٰ الإسلام، فقال العاقب السيد عبد المسيح وأبو حارث بن علقمة: قد أَسْلَمْنا يا محمد، فقال: إنكما لم تُسْلِما، قالا: بلىٰ قد أَسْلَمْنا قبلك، قال: كذبتما، يمنعكما من الإسلام ثلاثٌ فيكما: عبادتكما الصليب، وأَكْلكما الخنزير، وزَعْمُكما أنّ لله ولداً. ثم سألهم وسألوه، فلم تزل به وبهم المسألة حتىٰ قالوا له: ما تقول في عيسىٰ بن مريم؟ فإنّا نرجع إلىٰ قومنا ونحن نصارى، يَسُرُّنا إنْ كنتَ نبياً أن نعلم قولك فيه. فقال رسول اللهﷺ: ما عندي فيه شيء يومي هذا، فأَقِيموا حتىٰ أُخبركم بما يقول الله في عيسىٰ.

وروى ابن جرير عن عبدالله بن الحارث بن جَزْء الزبيديﷺ أنه سمع رسول اللهﷺ يقول: ثَبَتَ بيني وبين أهل نجران حجاب فلا أراهم ولا يَرَوْني؛ مِن شدة ما كانوا يُمارون رسول اللهﷺ.

وروى ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس، وابن سعد عن الأزرق بن قيس، وابن جرير عن السُّدِّيّ، وابن جرير وابن المنذر عن ابن جريج أنّ نصارى نجران قالوا: يا محمد، فيمَ تشتم صاحبنا؟ قال: وما صاحبكم؟ قالوا: عيسىٰ بن مريم، تزعم أنه عبد. قال: أجل،

إنه عبد الله ورُوحه وكلمته ألقاها إلىٰ مريم ورَوْحٌ منه. فغضبوا وقالوا: لا، ولكنه هو الله نَزَلَ مِنْ مُلْكه فدخل في جوف مريم، ثم خرج منها فأرانا قُدْرته وأَمْرَه، فهل رأيتَ قط إنساناً خُلِقَ مِن غير أب؟ فأنزل الله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [المائدة]. وأنزل الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ[1] خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ[2] ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ[3] ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ[4] فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ[5] ﴿٦٠﴾﴾ [آل عمران].

فلما أصبحوا عادوا فقرأ عليهم الآيات، فأَبَوْا أن يقرؤوا.

قال ابن إسحاق: فأنزل الله تعالىٰ في ذلك من قولهم واختلاف أمرهم كله صَدْرَ سورة آل عمران إلىٰ بضع وثمانين آية منها.

وفي ذِكْر طلبه ﷺ مُباهلة أهل نجران بأمر الله تعالىٰ وامتناعهم من ذلك قال الله عز وجل: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ[6] فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ[7] ثُمَّ نَبْتَهِلْ[8] فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ[9]

---

(١) أي شأنه الغريب كشأن آدم عليهما السلام.

(٢) هي جملة مفسرة للتمثيل لِما له من الشَّبَه، وهو أنه تعالىٰ خلق آدم مِن تراب بلا أب ولا أم فجعله بشراً لحماً ودماً، فشبّه حاله بما هو أغرب إفْحاماً للخصم، وقطعاً لمواد الشُّبْهة.

(٣) أي أَنْشَأَه بشراً سوياً بقوله: كُنْ؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ [المؤمنون١٤]. ويجوز أن تكون ثم هنا لتراخي الخبر لا المُخْبَر، فيكون حكاية حال ماضية.

(٤) خبر محذوف، أي الحق المذكور من الله عز وجل.

(٥) خطاب للنبي ﷺ لزيادة الثبات أو لكل سامع. وقال القرطبي في تفسيره ج٤ ص١٠٣: الخطاب للنبي ﷺ والمراد أُمَّته؛ لأنه ﷺ لم يكن شاكّاً في أمر عيسىٰ عليه السلام.

(٦) أي جادلك مِنَ النصارى في عيسىٰ مِنْ بعد ما جاءك مِنَ البيِّنات الموجبة للعلم.

(٧) أي يدعو كلٌّ منا ومنكم نفسَه وعزة أهله وأَلْصَقهم بقلبه إلىٰ المباهلة. وإنما قَدَّمهم علىٰ النفس لأن الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم.

(٨) المباهلة هي أن يُلْعَنُ الكاذبُ منا، والبهلة بالضم والفتح اللعنة، وأصله التَّرْك مِن قولهم: بهلتُ الناقةَ إذا تركتُها بلا صِرار.

(٩) أي ما ذَكَرَه مِن شأن عيسىٰ حق دون ما ذكروه، وما بعده خبر واللام؛ لأنه أقرب إلىٰ المبتدأ من الخبر، وأصلها أن تدخل علىٰ المبتدأ.

وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ(١) وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ(٢) ﴿٦١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ(٣) ﴿٦٢﴾ ﴾ [آل عمران].

وروى الحاكم وصحّحه وابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل عن جابر، وأبو نعيم عن ابن عباس، والبيهقي عن سلمة بن عبد يسوع عن أبيه عن جده، والشيخ الترمذي والنسائي عن حذيفة، وابن سعد عن الأزرق بن قيس، وعبد بن حميد وابن جرير وأبو نعيم عن ابن عباس في الدلائل عن قتادة، وابن أبي شيبة وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وأبو نعيم عن الشعبي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لَمّا نزلت هذه الآيات دَعا وفدَ نجران إلىٰ المباهلة، فقال: إن الله تعالىٰ أَمَرَني إنْ لم تَقْبَلوا هذا أن أُباهلكم، فقالوا: يا أبا القاسم، بل نرجع فننظر في أَمْرِنا.

وفي حديث ابن عباس عند أبي نعيم في الدلائل: فقالوا: أَخِّرْنا ثلاثة أيام.

فخلا بعضهم إلىٰ بعض وتصادقوا، فقال السيد العاقب: والله يا معشر النصارى لقد عرفتم أن محمداً لَنبي مرسل، ولئن لاعَنْتُموه لَيُخْسَفَنّ بأحد الفريقين، إنه لَلاستئصال لكم، وما لاعَنَ قومٌ قط نبياً فبَقِيَ كبيرُهم ولا نَبَتَ صغيرُهم.

وفي رواية: فقال شرحبيل: لئن كان هذا الرجل نبياً مرسلاً فلاعنّاه لا يبقىٰ علىٰ وجه الأرض منا شَعْر ولا ظُفْر إلاّ هَلَك.

وفي رواية: لا نُفلح نحن ولا عَقِبُنا مِن بعدنا.

قالوا: فما الرأي يا أبا مريم؟ فقال: رأيي أنْ أُحَكِّمَه، فإني أرى رجلاً لا يَحْكُم شَطَطاً أبداً. فقال السيد: فإنْ كنتم قد أَبَيْتُم إلاّ إلْف دينكم والإقامة علىٰ ما أنتم عليه من القول في صاحبكم، فوادِعوا الرجل ثم انصرِفوا إلىٰ بلادكم.

---

(١) صرّح فيه بـ(مِن) المزيدة للاستقراء، تأكيداً للرد علىٰ النصارى في تثنيتهم.

(٢) أي لا أحد يساويه في القدرة الثابتة والحكمة البالغة ليشاركه في الأُلوهية.

(٣) هذا وعيد لهم وُضِعَ لهم موضع التميز؛ ليدل علىٰ أن التَّوَلِّيَ عن الحجيج والإعراضَ عن التوحيد إفسادٌ للدين، والاعتقاد المُؤَدِّي إلىٰ فساد العِلْم.

فلما انقضت المدة أقبل رسول الله ﷺ مشتملاً علىٰ الحسن والحسين في خميلة له، وفاطمة تمشي عند ظهره للملاعنة، وله يومئذ عدة نسوة. فقال ﷺ: إنْ أنا دعوتُ فأَمِّنوا أنتم.

وروى مسلم والترمذي وابن المنذر والحاكم في السنن عن سعد بن أبي وقاص عن علي بن أحمر قالا: لَمّا نزلت آية المباهلة دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي. فتلقّىٰ شرحبيل رسول الله ﷺ فقال: إني قد رأيتُ خيراً مِن ملاعنتك، فقال: وما هو؟ فقال: حكمك اليوم إلىٰ الليل ولَيْلَتك إلىٰ الصباح، فما حَكَمْتَ فينا فهو جائز. وأَبَوْا أن يُلاعنوا.

وروى عبد الرزاق والبخاري والترمذي والنسائي وابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لو باهل أهل نجران رسول الله ﷺ لَرَجَعُوا لا يجدون أهلاً ولا مالاً.

ورُوِيَ عن الشعبي مرسلاً أنّ رسول الله ﷺ قال: لقد أتاني البشير بهَلَكة أهل نجران حتىٰ الطير علىٰ الشجر لو تَمُّوا علىٰ الملاعنة.

ورُوِيَ عن قتادة مرسلاً: قال رسول الله ﷺ: إنْ كان العذاب لقد نزل علىٰ أهل نجران، إنْ لو فعلوا لاسْتُؤْصِلوا من الأرض.

فرجع رسول الله ﷺ فلم يلاعنهم، حتىٰ إذا كان من الغد كَتَبَ لهم هذا الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما كَتَبَ محمدٌ النبي رسول الله لأهل نجران إذا كان عليهم حُكْمُه في كل ثمرة، وفي كل صفراء وبيضاء ورقيق[1] فأَفْضَلَ ذلك عليهم، وتُرِكَ ذلك كله لهم علىٰ أَلْفَيْ حُلّة مِن حُلَل الأَواقي، في كل رجب ألف حُلّة، وفي كل صَفَر ألف حُلّة، مع كل حُلّة أُوقية من الفضة، فما زادتْ علىٰ الخراج أو نَقَصَتْ عن الأواقي فبالحساب، وما قَضَوْا من دروع أو خيل أو رِكاب

(١) في طبقات ابن سعد: في كل ثمرة صفراء أو بيضاء أو سوداء أو رقيق.

أو عُروض أُخِذَ منهم بالحساب. وعلىٰ نجران مُؤْنةُ رُسُلي ومُتْعَتُهم ما بين عشرين يوماً فما دون ذلك، ولا تُحْبَسُ رُسُلي فوق شهر. وعليهم عارِيّةُ ثلاثين درعاً وثلاثين فرساً وثلاثين بعيراً إذا كان كَيْدٌ ومَعَرّة، وما هَلَكَ مِمّا أعاروا رُسُلي مِن دروع أو خيل أو رِكاب أو عُروض فهو ضَمِينٌ علىٰ رُسُلي حتىٰ يُؤَدُّوه إليهم. ولنجران وحاشيتها جِوار الله وذِمّة محمد النبي رسول الله علىٰ أنفسهم، ومِلَّتِهم، وأرضهم، وأموالهم، وغائبهم، وشاهدهم، وعشيرتهم، وبِيَعهم، وصلواتهم، وكل ما تحت أيديهم مِن قليل أو كثير. وأَلاّ يُغَيّروا مِمّا كانوا عليه بغير حق من حقوقهم ولا مِلَّتهم، ولا يُغَيَّر أَسْقُف عن أَسْقُفِيَّته، ولا راهب عن رهبانيته[1]. وليس عليهم دَنِيّة ولا دم جاهلية، ولا يُحْشَرون ولا يُعْشَرون، ولا يَطَأُ أرضَهم جيش. ومَنْ سَأَلَ منهم حقّاً فبينهم النَّصَف غير ظالمين ولا مظلومين علىٰ أَلاّ يأكلوا الربا[2]، فمَنْ أَكَلَ الربا مِن ذي قبل فذِمَّتي منه بريئة، ولا يؤخذ رجل منهم بظلمِ آخر. وعلىٰ ما في هذه الصحيفة جِوار الله وذِمّة النبي محمد رسول الله أبداً، حتىٰ يأتي الله بأَمْرِه ما نصحوا وأَصْلَحوا ما عليهم غير مُثْقَلِين بظلم.

شهد أبو سفيان بن حرب، وغَيْلان بن عمرو، ومالك بن عوف النضري، والأقرع بن حابس الحنظلي، والمغيرة بن شعبة.

وفي لفظ أن الأَسْقُف أبا الحارث أتىٰ رسول الله ﷺ ومعه السيد العاقب ووجوه قومه، وأقاموا عنده يستمعون ما يُنزل الله عز وجل، فكتب للأسقف هذا الكتاب ولأساقفة نجران بعده، يقول فيه:

---

(١) زاد في الأموال: (ولا واقِهاً من وَقِيهاه)، وشرحها أبو عبيد القاسم بن سلام فقال: الواقه ولي العهد بلغتهم. وفي طبقات ابن سعد: (ولا واقِفاً عن وَقْفانيّته).

(٢) هنا تكملة لليعقوبي في تاريخه وهي: فمَنْ أَكَلَ الربا منهم بعد عامهم هذا فذمتي منه بريئة.

بسم الله الرحمن الرحيم

مِن محمد النبي رسول الله للأسقف أبي الحارث وأساقفة نجران وكهنتهم ورهبانهم وأهل بِيَعهم ورقيقهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير:

لا يُغَيَّر أسقف مِن أَسْقُفِيّته، ولا راهب من رهبانيته، ولا كاهن من كهانته، ولا يُغَيَّر حق من حقوقهم ولا سلطانهم، ولا مِمّا كانوا عليه، لهم علىٰ ذلك جِوار الله تعالىٰ ورسوله أبداً ما نصحوا وأصلحوا، غير مثقلين بظلم ولا ظالمين.

وكتب المغيرة بن شعبة.

فلما قَبَضَ الأسقف الكتاب استأذن في الانصراف إلىٰ قومه ومَنْ معه، فأُذِنَ لهم فانصرفوا.

وروى البيهقي بإسناد صحيح إلىٰ ابن مسعود أن السيد العاقب وأبا الحارث بن علقمة أَتَيا رسول الله ﷺ، فأرادا أن يُلاعِناه، فقال أحدهما لصاحبه: لا تُلاعِنْه، فوالله لئن كان نبياً فلاعَنْتَهُ لا نفلح نحن ولا عَقِبنا مِنْ بعدنا. فقال: يا أبا القاسم، قد رأينا أن لا نلاعنك، وأن نتركك علىٰ دينك ونرجع علىٰ ديننا، ولكن ابعث معنا رجلاً أميناً، ولا تبعث معنا إلاّ أميناً. فقال النبي ﷺ: لأَبْعَثَنّ معكم رجلاً أميناً حَقَّ أمين. فاستشرف لها أصحابه فقال: قم يا أبا عبيدة بن الجراح، فلما قام قال: هذا أمين هذه الأمة[1].

ثم لَمّا قبضوا كتابهم انصرفوا إلىٰ نجران ومع الأسقف أخٌ له مِن أُمِّه، وهو ابن عمه من النسب يقال له: بشر بن معاوية، وكنيته أبو علقمة. فدفع الوفدُ كتابَ رسول الله ﷺ إلىٰ الأَسْقف، فبَيْنا هو يقرؤه وأبو علقمة معه وهما يسيران، إذ كَبَتْ بِبِشْر ناقتُه، فتَعِسَ[2] بِشْر غير أنه لا يُكَني عن رسول الله ﷺ، فقال له الأسقف عند ذلك: قد والله تَعِسْتَ نبيّاً مرسلاً، فقال له بِشْر: لا جَرَم والله لا أَحُلُّ عَقْداً حتىٰ آتي رسول الله ﷺ، فصرف وجه

(١) ورواه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب في باب مناقب أبي عبيدة بن الجراح مِن حديث حذيفة.

(٢) في القاموس: تعس كمَنَع وسَمِع، وإذا خاطبتَ قلتَ: تعست كمنع، وإذا حكيتَ قلتَ: تعس كسمع.

ناقته نحو المدينة، وثنىٰ الأسقفُ ناقته عليه فقال له: افهم عني، إنما قلتُ هذا ليبلغ عني العرب مخافة أن يقولوا: إنّا أخذنا حَقَّه أو رَضِينا بصوته، أو نَجَعْنا بما لم تَنْجَع به العرب، ونحن أَعَزُّهم وأَجْمَعُهم داراً. فقال له بِشْر: لا والله لا أَقبل ما خرج من رأسك أبداً. فضرب بِشْر ناقته وهو مُوَلِّيٌ الأسقفَ ظهره، وارْتَجَزَ يقول:

إليكَ تَعْدو قَلِقاً وَضِينُها[1] مُعْتَرِضاً في بَطْنِها جَنِينُها

مُخالِفاً دِينَ النّصارى دِينُها

حتىٰ أتىٰ رسول الله ﷺ فأَسْلَمَ، ولم يزل معه حتىٰ قُتِلَ بعد ذلك.

قال: ودخل الوفد نجران، فأتىٰ الراهبَ ليثُ بن أبي شمر الزُّبَيْدي وهو في رأس صومعته، فقال له: إنَّ نبياً بُعِثَ بتهامة... فذَكَرَ ما كان مِن وفد نجران إلىٰ رسول الله ﷺ، وأنه عرض عليهم الملاعنة فأَبَوْا، وأنَّ بِشْر بن معاوية دفع إليه فأسلم. فقال الراهب: أَنْزِلوني وإلاّ أَلْقَيْتُ نفسي مِن هذه الصومعة، قال: فأَنْزَلوه، فانطلق الراهب بهدية إلىٰ رسول الله ﷺ، منها هذا البُرْد الذي يلبسه الخلفاء، والقَعْب، والعصا. فأقام الراهب مدة يسمع الوحي والسنن والفرائض والحدود، ثم رجع إلىٰ قومه ولم يُقَدَّر له الإسلام، ووعد أنه سيعود، فلم يَعُدْ حتىٰ قُبِضَ رسول الله ﷺ.

وفي ذِكْر مُحاجَجَةِ أهل نجران ويهود المدينة في إبراهيم خليل الله وما نزل في ذلك من الآيات قال ابن إسحاق: وحدّثني محمد بن أبي محمد مولىٰ زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: حدّثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: اجتمع نصارى نجران وأحبار يهود عند رسول الله ﷺ، فتنازعوا عنده فقال الأحبار: ما كان إبراهيم إلاّ يهودياً، وقال النصارى: ما كان إلاّ نصرانياً، فأنزل الله عز وجل: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ

(١) الوَضِين: بطان منسوج بعضُه علىٰ بعض يُشَدُّ به الرَّحْل علىٰ البعير كالحزام للسرج، وفي الحديث: (إنك لَقَلِقُ الوَضِين)، أراد أنه سريع الحركة، يصفه بالخِفّة وقِلّة الثبات كالحزام إذا كان رخواً.

فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ
وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ حَـٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ
فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَـٰكِن كَانَ
حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَـٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [آل عمران]. فقال رجل من الأحبار: أتريد منا يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسىٰ بن مريم؟ وقال رجل من نصارى نجران: أَوَ ذاك تريد يا محمد وإليه تدعونا؟ فقال رسول الله ﷺ: معاذ الله أن أعبد غير الله أو آمر بعبادة غيره، ما بذلك بعثني ولا أَمَرَني. فأنزل الله عز وجل في ذلك: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ
وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ
ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ
أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [آل عمران]. ثم ذَكَرَ ما أَخَذَ عليهم وعلىٰ أنبيائهم من الميثاق بتصديقه، وإقرارهم به علىٰ أنفسهم، فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن
كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ
ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [آل عمران].

۞ قدوم وفد النَّخَع:

روى ابن سعد عن أشياخ مِنَ النَّخَع قالوا: بَعَثَتِ النَّخَعُ رجلين منهم إلىٰ النبي ﷺ وافِدَيْن بإسلامهم: أَرْطاة بن شَراحيل بن كعب مِن بني حارثة بن سعد بن مالك بن النَّخَع، والجُهَيْش[1] واسمه الأرقم من بني بكر بن عوف بن النَّخَع. فخرجا حتىٰ قدما علىٰ رسول الله ﷺ، فعرض عليهما الإسلام فقَبِلاه، وبايعاه علىٰ قومهما. فأَعْجَبَ رسول الله ﷺ شَأْنُهما وحُسْنُ هَيْئَتهما، فقال: هل خَلَّفْتُما وراءكما قومكما مِثْلَكما؟ فقالا: يا رسول الله، قد خَلَّفْنا وراءنا مِنْ قومنا سبعين رجلاً كلهم أفضل منا، وكلهم يَقْطَع الأَمْر

(١) ضَبَطَه الزرقاني بضم الجيم مصغر، وقيل: بفتح الجيم وكسر الهاء وسكون الياء، وقيل: بفتح الجيم وسكون الهاء.

ويُنفذ الأشياء، ما يشاركوننا في الأمر إذا كان. فدعا لهما رسول الله ﷺ ولقومهما بخير وقال: اللهم بارك في النَّخَع، وعَقَدَ لأَرْطاة لواءً علىٰ قومه فكان في يده يوم الفتح، وشهد به القادسية فقُتِلَ يومئذ، فأخذه أخوه دُرَيْد فقُتِلَ رحمهما الله تعالىٰ، فأَخَذَه سيف بن الحارث مِن بني جَذِيمة فدخل به الكوفة.

وروى الإمام أحمد برجال ثقات والبزار والطبراني عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يدعو لهذا الحيِّ مِنَ النَّخَع - أو قال: يُثْنِي عليهم - حتىٰ تَمَنَّيْتُ أني رجل منهم.

وقال محمد بن عمر الأسلمي: كان آخر مَنْ قَدِمَ مِنَ الوفد علىٰ رسول الله ﷺ وفد النَّخَع، وقدموا من اليمن للنصف من المحرم سنة إحدى عشرة وهم مائتا رجل، فنزلوا دار رَمْلة بنت الحَدَث، ثم جاءوا رسول الله ﷺ مُقِرّين بالإسلام، وقد كانوا بايعوا معاذ بن جبل باليمن، فكان فيهم زُرارة بن عمرو.

قال: أخبرنا هشام بن محمد: هو زرارة بن قيس بن الحارث بن عدي، وكان نصرانياً.

وروى ابن شاهين من طريق أبي الحسن المدائني عن شيوخه، ومن طريق ابن الكلبي قال: حدّثني رجل مِن جَرْم عن رجل منهم قال: وَفَدَ رجل مِنَ النَّخَع يقال له: زُرارة بن عمرو علىٰ رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني رأيتُ في سفري هذا رؤيا هالَتْنِي[1]، قال: وما رأيتَ؟ قال: رأيتُ أتاناً تَرَكْتُها في الحَيِّ كأنها وَلَدَتْ جَدْياً أَسْفَعَ أَحْوَى، فقال له رسول الله ﷺ: هل لك مِنْ أَمَة تَرَكْتَها مُصِرّة حَمْلاً؟ قال: نعم، تركتُ أَمة لي أظنّها قد حَمَلَتْ. قال: فإنها قد وَلَدَتْ غلاماً وهو ابنك[2]، فقال: يا رسول الله، ما باله أَسْفَع أَحْوَى؟ قال: ادْنُ مني، فدنا منه فقال: هل بك بَرَص تَكْتُمُه؟ قال: والذي بعثك بالحق نبياً ما عَلِمَ به أحد، ولا اطَّلَعَ عليه غيرك. قال: فهو ذلك. قال: يا رسول الله، ورأيتُ النعمان بن المنذر عليه قِرْطان ودُمْلَجان ومَسَكَتان[3]. قال: ذلك مُلْك العرب عاد إلىٰ أحسن

---

(١) وفي رواية: رأيتُ عجباً.

(٢) قيل: ولده هذا هو عمرو بن زرارة بن عمرو النَّخَعي، تَرْجَمَ له ابن حجر في الإصابة.

(٣) المَسَكة: السِّوار والخلاخيل.

زِيِّه وبهجته. قال: يا رسول الله، ورأيتُ عجوزاً شمطاء خرجت من الأرض، قال: تلك بقية الدنيا. قال: ورأيتُ ناراً خَرَجَتْ من الأرض فحالت بيني وبين ابن لي يقال له: عمرو، ورأيتها تقول: لَظىً لَظىً، بصير وأعمىٰ، أَطْعِموني، آكُلُكم آكُلُكم، أُهْلِكُكُم ومالَكُم. فقال النبيﷺ: تلك فتنة في آخر الزمان، قال: وما الفتنة يا رسول الله؟ قال: يَقْتُلُ الناسُ إمامَهم ثم يَشْتَجِرون اشتجار أطباق الرأس - وخالَفَ رسول اللهﷺ بين أصابعه -، يَحْسَبُ المُسِيئ أنه مُحْسِن، ودم المؤمن عند المؤمن أحلىٰ مِن شرب الماء، إنْ مات ابنك أَدْرَكْتَ الفتنة، وإنْ مِتَّ أنت أَدْرَكَها ابنك. فقال: يا رسول الله، ادْعُ الله أَلاّ أُدْرِكَها. فقال رسول اللهﷺ: اللهم لا يُدْرِكها، فمات وبقي ابنه وكان مِمَّنْ خَلَعَ عثمان.

هـ

۞ قدوم وفد بني هلال بن عامر:

قالوا: وفد زياد بن عبدالله بن مالك علىٰ النبيﷺ، فلما دخل المدينة توجّه إلىٰ منزل ميمونة بنت الحارث زوج النبيﷺ وكانت خالة زياد[1]، وهو يومئذ شاب، فدخل النبيﷺ وهو عندها، فلما رآه رسول اللهﷺ غضب فرجع، فقالت: يا رسول الله، هذا ابن أختي. فدخل إليها ثم خرج حتىٰ أتىٰ المسجد ومعه زياد، فصلّىٰ الظهر ثم أدنىٰ زياداً فدعا له، ووضع يده علىٰ رأسه ثم حَدَّرَها علىٰ طرف أنفه، فكانت بنو هلال تقول: ما زلنا نعرف البركة في وجه زياد.

وقال الشاعر لعلي بن زياد:

يا ابْنَ الذي مَسَحَ النبيُّ برأسِهِ ... ودعا له بالخيرِ عند المسجدِ

(١) أُمُّه عَزّة بنت الحارث.

أَعْـــني زيـــاداً لا أُريـــد سِـــواءَهُ مِـــنْ غـــائرٍ أو مُتْـــهِم أو مُنْجِـــدِ[١]
مـــا زال ذاك النـــورُ في عِرْنَيْنِـــهِ[٢] حتـــىٰ تَبَـــوَّأَ بيتَـــهُ في المَلْحَـــدِ[٣]

وروى ابن سعد عن علي بن محمد القرشي قال: قالوا: وقدم علىٰ رسول الله ﷺ نفر من بني هلال، فيهم عبد عوف بن أصرم بن عمرو، فسأله عن اسمه فأخبره، فقال: أنت عبدالله، فأَسْلَمَ.

ومنهم قَبِيصة بن المُخارق قال: يا رسول الله، إني حَمَلْتُ عن قومي حَمالة[٤] فأَعِنِّي فيها، قال: هي لك في الصدقة إذا جاءتْ.

روى مسلم عن قَبِيصة بن مُخارق الهلالي رضي الله عنه قال: تَحَمَّلْتُ حَمالة فأتيتُ رسول الله ﷺ أَسْأَلُه فيها، فقال: أَقِمْ حتىٰ تَأْتِيَنا الصدقة فنَأْمُر لك بها. قال: ثم قال: يا قَبِيصة، إنَّ المسألة لا تَحِلُّ إلاّ لأحد ثلاث: رجل تَحَمَّلَ حَمالة فَحَلَّتْ له المسألة حتىٰ يُصيبها ثم يُمْسِك، ورجل أصابَتْه جائحة اجتاحتْ ماله فَحَلَّتْ له المسألة حتىٰ يُصيب قِواماً من عيش[٥]، ورجل أصابَتْه فاقة حتىٰ يقوم ثلاثة مِن ذوي الحِجا[٦] من قومه لقد أصابت فلاناً فاقة فحَلَّتْ له المسألة حتىٰ يصيب قواماً من عيش، فما سِواهُنّ مِنَ المسألة يا قَبِيصة سُحْتاً[٧]، يأكلها صاحبها سُحْتاً.

---

(١) يقال: غائر للذي أتىٰ الغَوْر، ومُتْهِم للذي أتىٰ تهامة، ومُنْجِد للذي أتىٰ نجداً.

(٢) العِرْنَين: الأنف، وقيل: رأسه.

(٣) هو الملتجأ.

(٤) هي ما يَتَحَمَّله الإنسان عن غيره مِنْ دِية أو غرامة، مِثْل أن يقع حرب بين فريقين يُسْفَك فيها الدماء، فيدخل بينهم رجل يتحمّل دِيات القتلىٰ؛ لِيُصْلِحَ ذات البَيْن. والتَّحَمُّل أن يحملها عنهم علىٰ نفسه.

(٥) وفي لفظ: سِداداً من عيش، والقِوام من العيش ما يقوم بحاجته لضرورته.

(٦) المقصود بها هنا العقل؛ لأنه يمنع الإنسان من الفساد، ويَحْفَظُ مِنَ التَّعَرُّض للهلاك.

(٧) وفي رواية غير مسلم: سحتٌ، وهو الحرام، وقال صاحب القاموس: هو ما خبث من المكاسب فلزم عنه العار، والجمع أسحات.

۞ قدوم وفد هَمْدان:

قالوا: قدم وفد همدان على رسول الله ﷺ وعليهم مُقَطَّعات الحِبَرات[١] مُكَفَّفة بالديباج، وفيهم حمزة بن مالك مِن ذي مِشْعار، فقال رسول الله ﷺ: نِعْم الحي هَمْدان، ما أَسْرَعَها إلى النصر وأَصْبَرها على الجَهْد! ومنهم أبدال وأوتاد الإسلام. فأَسْلَموا وكتب لهم النبي ﷺ كتاباً بمخلاف[٢] خارف ويام وشاكر[٣]، وأهل الهَضْب وحِقاف الرمل[٤] مِن هَمْدان، لِمَنْ أسلم منهم.

وقال في زاد المعاد: وقدم عليه وفد هَمْدان، منهم: مالك بن النَّمَط[٥]، ومالك بن أَيْفع، وضِمام بن مالك السَّلْماني، وعَمِيرة بن مالك الخارفيّ. فلقوا رسول الله ﷺ عند مُنْصَرفه مِن تبوك وعليهم مُقَطَّعات الحِبَرات والعمائم العَدَنية، برِحال المَيْس[٦] على الرواحل المَهْريّة والأَرْحَبيّة[٧]، ومالك بن النَّمَط يرتجز بين رسول الله ﷺ ويقول:

إليكَ جاوَزْنَ سَوادَ الرِّيفِ[٨] في هَبَواتِ[٩] الصيفِ والخريفِ

مُخَطَّماتٍ[١٠] بحِبالِ اللِّيفِ

---

(١) هي ثياب وشي تصنع باليمن. يقول ابن الأثير في النهاية: إنها ثياب قصار لأنها قطعت عن بلوغ التمام، وقيل: المُقَطَّع من الثياب كلُّ ما يُفَصَّل ويُخاط مِن قميص وغيره، وما لا يُقطع فيها كالأُزُر والأَرْدية.

(٢) المِخْلاف: المدينة بلغة اليمن.

(٣) خارف: اسم قبيلة، ويام: بطن من هَمْدان، وشاكر: بطن من ولد مالك بن زيد بن كَهْلان.

(٤) زعم محققو العقد الفريد أن حقاف مُصَحَّفة، وصوابها جِفاف بفاءين استناداً على شرح المواهب، وأضافوا أن جفاف الرمل من أسماء بلادهم.

(٥) الذي يقال له: ذو المِشْعار، وكنيته أبو ثور وقيل غير ذلك.

(٦) قال صاحب النهاية: المَيْس شجر صلب تُعمل منه أكوار الإبل ورِحالها.

(٧) المَهْرِيّة: الإبل النجيبة تُنْسَب إلى مَهْرة قبيلة باليمن، والأَرْحَبِية إبل تُنْسَب إلى أَرْحَب وهم قبيلة من هَمْدان.

(٨) السَّواد هنا القرى الكثيرة الشجر والنخل، والريف: الأرض التي تقرب من الأنهار والمياه الغزيرة.

(٩) جمع هبوة، وهي الغبرة.

(١٠) أي جُعِلَ لهم خَطْم، وهي الحبال التي تُشَدّ في رؤوس الإبل على آنافها.

وذكروا له كلاماً حسناً فصيحاً، فكتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً أَقْطَعَهم فيه ما سألوه، وأَمَّرَ عليهم مالك بن النَّمَط، واسْتَعْمَلَه علىٰ مَنْ أسلم مِن قومه، وأَمَرَه بقتال ثقيف، وكان لا يَخْرُج لهم سَرْح إلاّ أغاروا عليه.

وروى البيهقي بإسناد صحيح من حديث ابن إسحاق عن البراء أن النبي ﷺ بعث خالد بن الوليد إلىٰ أهل اليمن يدعوهم إلىٰ الإسلام. قال البراء: فكنتُ فيمَنْ خرج مع خالد بن الوليد، فأَقَمْنا ستة أشهر يدعوهم إلىٰ الإسلام فلم يجيبوه، ثم إن النبي ﷺ بعث علي بن أبي طالب وأَمَرَه أن يُعَقِّب خالداً، إلاّ رجلاً مِمَّنْ كان مع خالد أَحَبَّ أنْ يُعَقِّب مع علي فليُعَقِّب معه. قال البراء: فكنت فيمن عَقَّبَ مع علي، فلما دنونا من القوم خرجوا إلينا، فصلّىٰ بنا علي ثم صفّنا صفاً واحداً، ثم تقدّم بين أيدينا وقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ، فأسلمتْ همدان جميعاً، فكتب عليٌّ إلىٰ رسول الله ﷺ بإسلامهم، فلما قرأ رسول الله ﷺ الكتاب خرّ ساجداً، ثم رفع رأسه فقال: السلام علىٰ هَمْدان، السلام علىٰ همدان[١].

وقال ابن إسحاق: فقام مالك بن النَّمَط بين يديه فقال: يا رسول الله، نَصِيّة[٢] مِن هَمْدان مِنْ كل حاضرٍ وباد أَتَوْك علىٰ قُلُص نَواح[٣] متصلة بحبائل الإسلام، لا تأخذهم في الله لومة لائم، من مِخْلاف خارف ويام وشاكر، أهل السُّود والقَوْد[٤]، أجابوا دعوة الرسول، وفارقوا الآلهات والأنصاب، عهدهم لا يُنقَض ما أقامت لَعْلَع[٥]، وما جرى اليَعْفور بصَلَع[٦].

---

(١) وأصل الحديث في صحيح البخاري في كتاب المغازي، وهذا أصح مِمّا تقدّم، ولم تكن هَمْدان أن تقاتل ثقيفاً ولا تُغِير علىٰ سَرْحهم، فإن هَمْدان باليمن وثقيفاً بالطائف. وقد مرّ معنا هذا الحديث في باب سراياه ﷺ وبعوثه ص٢٩١.

(٢) قال صاحب النهاية: النَّصِيّة مَنْ يُنْتَصَىٰ من القوم، أي يُختار من نواصيهم وهم الرؤوس والأشراف، ويقال للرؤساء نواصٍ كما يقال للأتباع أذناب.

(٣) لفظ ابن هشام في السيرة: علىٰ قُلُص نواج بالجيم، أي مسرعة. والقُلُص: الإبل الفتية، واحدها قلوص.

(٤) السُّود: الإبل، والقَوْد: الخيل.

(٥) اسم جبل.

(٦) اليَعْفور: ولد الظبية، وصَلَع: اسم موضع باليمن كثير الوحش والظباء.

فكتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمد رسول الله لِمخْلاف خارف وأهل جِناب الهَضْب[١] وحِقاف الرمل، مع وافدها ذي المِشْعار مالك بن النَّمَط ومَنْ أسلم مِن قومه، أنَّ لهم فِراعها[٢] ووِهاطها[٣] وعَزازها[٤]، ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، يأكلون عِلافها[٥]، ويَرْعَوْن عفاءها[٦]. لنا مِنْ دِفْئِهم[٧] وصِرامهم ما سَلَّموا بالميثاق والأمانة، ولهم من الصدقة الثِّلْب[٨]، والنّاب[٩]، والفَصِيل[١٠]، والفارِض[١١]، والدّاجِن، والكبش الحَوَرِيّ[١٢]. وعليهم فيها الصّالغ[١٣] والقارِح[١٤].

لكم بذلك عهد الله وذِمام رسوله، وشاهِدُكم المهاجرون والأنصار.

---

(١) في النهاية: الجِناب بالكسر اسم موضع، والهَضْب ما ارتفع من الأرض.

(٢) الفِراع جمع فرعة، وهو ما ارتفع من الأرض.

(٣) الوِهاط: المنخفض المطمئن من الأرض.

(٤) العَزاز: ما صَلُبَ من الأرض واشتدّ وخَشُنَ.

(٥) العِلاف بالكسر جمع علف، وهو ما تَعْتَلِفُه الدواب من نبات الأرض. وقال ابن هشام: العلاف ثمر الطلح.

(٦) العفاء هو ما ليس لأحد فيه مُلْك. ولفظ ابن هشام: عافِيَها، أي نباتها الكثير.

(٧) الدِّفْء نتاج الإبل وما يُنتفع به منها، سُمِّيَ دفئاً لأنه يُتخذ من أوبارها ما يُسْتَدْفَأ به.

(٨) هو من ذكور الإبل الذي هَرُم وتكسّرت أسنانه.

(٩) هي المسنة من إناث الإبل.

(١٠) هو مِن أولاد الإبل الذي فُصِلَ عن أمه من الرضاع.

(١١) هو المُسِنّ من الإبل.

(١٢) منسوب إلى الحَوَر، وهي جلود تُتّخذ من جلود الضأن، وقيل: هو ما دُبِغَ من الجلود بغير القِرْظ.

(١٣) هو من البقر والغنم الذي كَمُل وانتهى، ويكون ذلك في السنة السادسة.

(١٤) القارِح من الخيل الذي دخل في السنة الخامسة، وجمعه قُرُح.

فقال في ذلك مالك بن النَّمَط :

ذَكَرْتُ رسولَ الله في فَحْمةِ الدُّجَىٰ ونحن بأعلىٰ رَحْرَحانَ وصَلْدَدِ[١]

وهُنّ بنا خُوصٌ[٢] طَلائِحُ تَغْتَلِي[٣] برُكبانها في لاحِبٍ[٤] مُتَمَدِّدِ

علىٰ كُلِّ فَتْلاءِ الذِّراعَيْنِ جَسْرَةٍ[٥] تَمُرُّ بنا مَرَّ الهِجَفِّ الخَفَيْدَدِ[٦]

حَلَفْتُ بربِّ الرّاقِصاتِ[٧] إلىٰ مِنىً صَوادِرَ[٨] بالرُّكْبان مِنْ هَضْبِ قَرْدَدِ[٩]

بأنّ رسولَ الله فينا مُصَدَّقٌ رسولٌ أتىٰ مِنْ عند ذي العرش مُهْتَدِ

فما حَمَلَتْ مِنْ ناقةٍ فوق رَحْلِها أَشَدَّ علىٰ أعدائه مِن محمدِ

وأَعْطَىٰ إذا ما طالِبُ العُرْفِ جاءهُ وأَمْضَىٰ بِحَدِّ المَشْرَفِيِّ المُهَنَّدِ

---

(١) رَحْرَحان: جبل بقرب عكاظ، وصَلْدَد: موضع باليمن.

(٢) الخُوص: الغائرة العيون، الواحدة خوصاء.

(٣) الطَّلائح: المعيبة، وتَغْتَلي أي تَشْتَدّ في سَيْرها.

(٤) اللاّحِب: الطريق البَيِّن.

(٥) الجَسْرة: الناقة القوية علىٰ السَّيْر.

(٦) الهِجَفّ: الذكر الضخم من النعام، والخَفَيْدَد بمعنىٰ الهِجَفّ.

(٧) الراقصات هي الإبل، والرقص: ضَرْبٌ مِنَ السَّيْر فيه حركة.

(٨) أي رواجع.

(٩) القَرْدَد: المكان الغليظ المرتفع من الأرض.

و

❁ قدوم وائل بن حُجْر[1]:

روى البخاري في تاريخه والبزار والطبراني والبيهقي عن وائل بن حُجْر رضي الله عنه قال: بَلَغَنا ظهور رسول الله ﷺ وأنا في بلد عظيم ورفاهة عظيمة، فرفضتُ ذلك ورغبتُ إلىٰ الله عز وجل وإلىٰ رسول الله ﷺ، فلما قدمتُ عليه أخبرني أصحابه أنه بَشَّرَ بقدومي عليهم قبل أن أَقْدُمَ بثلاث ليال.

قال الطبراني: قال: فلما قدمتُ علىٰ رسول الله ﷺ سَلَّمْتُ عليه، فردّ عليّ وبسط لي رداءه وأَجْلَسَني عليه، ثم صعد منبره وأَقْعَدَني معه، ورفع يديه وحمد الله تعالىٰ وأثنىٰ عليه، وصلّىٰ علىٰ النبي ﷺ، واجتمع الناس إليه فقال لهم: أيها الناس، هذا وائل بن حُجْر قد أتاكم مِن أرض بعيدة مِن حضرموت طائعاً غير مُكْرَه، راغباً في الله وفي رسوله وفي دينه، بيته بقية أبناء الملوك. فقلت: يا رسول الله، ما هو إلاّ أنْ بَلَغَنا ظهورك ونحن في مُلْك عظيم وطاعة، وأَتَيْتُكَ راغباً في دين الله. فقال: صَدَقْتَ.

وروى ابن سعد وأبو عمر عن وائل بن حُجْر قال: جئتُ رسول الله ﷺ فقال: هذا وائل بن حُجْر جاء حُبّاً لله ولرسوله، وبسط يده وأَجْلَسَه وضَمَّه إليه، وأَصْعَدَه المنبر، وخطب الناسَ فقال: ارفقوا به فإنه حديث عهد بالمُلْك، فقلت: إنَّ أهلي غلبوني علىٰ الذي لي، فقال: أنا أُعْطِيكَهُ وأُعْطِيك ضِعْفَه.

وروى الطبراني وأبو نعيم أن رسول الله ﷺ أَصْعَدَه إليه علىٰ المنبر، ودعا له ومَسَحَ رأسه وقال: اللهم بارِكْ في وائل ووَلَدِه ووَلَدِ وَلَدِه. ونُودِيَ: الصلاة جامعة؛ ليجتمع الناس سروراً

---

(١) قال أبو عمر: هو وائل بن حُجْر بن ربيعة بن وائل الحضرمي، يُكنّىٰ أبا هُنَيدة الحضرمي، وكان قَيْلاً مِن أَقْيال حضرموت، وكان أبوه من ملوكهم، وَفَدَ علىٰ رسول الله ﷺ، ويقال: إنه ﷺ بَشَّرَ به أصحابَه قبل قدومه، فلما دخل عليه رحّب به وأدناه من نفسه علىٰ مقعده.

بقدوم وائل بن حُجْر إلىٰ رسول الله ﷺ. وأَمَرَ رسول الله ﷺ معاوية بن أبي سفيان أن يُنْزِلَه منزلاً بالحَرّة، فمشىٰ معه ووائل راكب، فقال له معاوية: أَرْدِفْني خلفك، وشكا إليه حَرَّ الرَّمْضاء، قال: لستَ مِنْ أَرْداف الملوك، قال: فأَلْقِ إليَّ نَعْلَيْك، قال: لا، إني لم أكن لأُلْبِسَهما وقد لَبِسْتَهُما. قال: إنَّ الرمضاء قد أَحْرَقَتْ قَدَمَيَّ، قال: امْشِ في ظل ناقتي، كفاك به شَرَفاً.

فلما أراد الشخوص إلىٰ بلاده كتب له رسول الله ﷺ كتاباً[1].

۞ قدوم واثِلة بن الأَسْقَع:

روى ابن جرير عن واثِلة بن الأَسْقَع رضي الله عنه قال: خرجتُ مِنْ أهلي أُريد الإسلام، فقدمتُ علىٰ رسول الله ﷺ وهو في الصلاة، فوقفتُ في آخر الصفوف وصَلَّيْتُ بصلاتهم، فلما فرغ رسول الله ﷺ من الصلاة انتهىٰ إليَّ وأنا في آخر الصلاة، فقال: ما حاجتك؟ قلت: الإسلام، قال: هو خير لك، ثم قال: وتُهاجِرُ؟ قلت: نعم، قال: هجرة البادي أو هجرة الباني؟ قلت: أيّهما خير؟ قال: هجرة الباني أنْ يَثبت مع النبي ﷺ، وهجرة البادي أن يرجع إلىٰ باديته. وقال: عليك بالطاعة في عُسْرك ويُسْرك، ومَنْشَطك ومَكْرَهك؟ قلت: نعم، فقَدَّم يده وقَدَّمْتُ يَدِي، فلما رآني لا أَسْتَثْنِي لنفسي شيئاً قال: فيما استطعتَ، قلت: فيما استطعتُ، فضَرَبَ علىٰ يدي.

۞ اجتماع سيدنا إلياس به عليه السلام إن صحّ الخبر:

روى الحاكم عن أنس رضي الله عنه قال: قال لي إلياس: مَنْ أنت؟ قلت: أنا أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ، قال: فأين هو؟ قلت: هو يسمع كلامك، قال: فائْتِهِ فأَقْرِئْه مني السلام وقُلْ له: أخوك إلياس يُقْرِئُكَ السلام. قال: فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرتُه، فجاء رسول الله ﷺ ودنا معه، حتىٰ إذا كنا قريباً منه تقدّم رسول الله ﷺ وتَأَخَّرْتُ، فتحدّثا طويلاً.

---

(١) نسخة هذا الكتاب موجودة في طبقات ابن سعد، ونهاية الأرب للنويري، وصبح الأعشىٰ، والعقد الفريد، وشرح المواهب، ومجموعة الوثائق السياسية لحميد الله.

وفي رواية: حتىٰ جاءه فعانقه وسَلَّمَ عليه، ثم قعدا يتحدّثان، فقال إلياس: يا رسول الله، إني إنما آكل في السنة يوماً، وهذا يوم فطري فآكل أنا وأنت. فنزل من السماء شِبْهُ السُّفْرة، عليها خبز وحوت وكرفس[1]، فأكلا وأَطْعَماني، وصَلَّيا ثم وَدَّعَهُ، وجاءت سحابة فاحْتَمَلَتْه، وكنت أنظر إلىٰ بياض ثيابه تَهْوي به قِبَل الشام[2].

❁ اجتماع الخضر به عليه السلام إنْ صحّ الخبر:

روى ابن عدي والبيهقي عن كثير بن عبدالله بن عمر بن عوف عن أبيه عن جده أنَّ رسول الله ﷺ كان في المسجد فسمع كلاماً مِنْ ورائه، فإذا هو بقائل يقول: اللهم أَعِنِّي علىٰ ما تُنَجِّيني مِمّا خَوَّفْتَني، فقال رسول الله ﷺ حين سمع ذلك: ألا يَضُمّ إليها أختَها؟ فقال الرجل: اللهم ارزقني شوق الصالحين إلىٰ ما شَوَّقْتَهم إليه، فقال النبي ﷺ لأنس: اذهب إليه فقُلْ له: يقول لك رسول الله ﷺ تَسْتَغْفِر له. فجاءه أنس فبَلَّغَه، فقال له الرجل: يا أنس، أنت رسولُ رسول الله ﷺ إليَّ؟ قال: نعم، قال: اذهب فقُلْ له: إن الله عز وجل فضّلك علىٰ الأنبياء بمِثْل ما فَضَّلَ رمضان علىٰ سائر الشهور، وفَضَّلَ أُمَّتَك علىٰ سائر الأمم بمِثْل ما فَضَّلَ يوم الجمعة علىٰ سائر الأيام. فذهب ينظر إليه فإذا هو الخضر عليه السلام[3].

---

(١) قال ابن أبي الدنيا: فيها كمأة ورمان وكرفس.

(٢) الحديث في سنده يزيد بن يزيد الموصلي التيمي مولىٰ لهم، قال ابن الجوزي والذهبي: إنه حديث باطل، واتَّهَما به يزيد. قال الذهبي: إنما استَحىٰ الحاكم مِنَ الله تعالىٰ أن يُصَحِّح مِثْلَ هذا الحديث، وقال في تلخيص المستدرك: هذا موضوع قبّح الله مَنْ وَضَعَه، وما كنت أحسب أن الجهل يبلغ بالحاكم أن يُصَحِّح مِثْل هذا، وهو مِمّا افتراه يزيد الموصلي. قلت: كما أن البيهقي ذكره في الدلائل وقال: هذا الذي رُوِيَ في هذا الحديث في قدرة الله جائز، وما خَصَّ الله به رسولَه من المعجزات يُثْبِتُه، إلاّ أنّ إسناد هذا الحديث ضعيف لِما ذكرتُه. ورواه ابن شاهين وابن عساكر بسند فيه مجهول عن واثِلة بن الأَسْقع أطول مِمّا هنا، وفيه ألفاظ منكرة، وعلىٰ كل حال لم يَصِحَّ في هذا الباب شيء. وقال جلال الدين السيوطي في النكت البديعات: أَخْرَجَه الحاكم والبيهقي في الدلائل، وقال: إنه ضعيف.

(٣) هذا الحديث أَوْرَدَه بطوله جلال الدين السيوطي في كتابه اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، وخَتَمَه بقوله: موضوعُ عبدالله بن نافع وهو من رجال السند في هذا الحديث، ليس بشيء متروك. وقال ابن حبان: روى عن أبيه عن جده نسخة موضوعة، قلت: وجدتُ هذا الحديث أخرجه البيهقي في دلائل النبوة وقال: إسناده ضعيف والله أعلم.

ورُوِيَ في الإفراد، والطبراني في الأوسط وابن عساكر من ثلاث طرق عن أنس رضي الله عنه قال: خرجتُ ليلة مع النبي ﷺ أحمل الطّهور، فسمع منادياً ينادي فقال لي: يا أنس، صَهْ. فسَكَتُّ فاسْتَمَعَ، فإذا هو يقول: اللهم أَعِنِّي علىٰ ما يُنَجِّيني مِمّا خَوَّفْتَني منه. قال: فقال رسول الله ﷺ: لو قال أختَها معها، فكأنّ الرجل لُقِّنَ ما أراد النبي ﷺ فقال: وارزقني شوق الصالحين إلىٰ ما شَوَّقْتَهم إليه، فقال النبي ﷺ: يا أنس، دَعِ الطهور وائْتِ هذا فقُلْ له: ادْعُ لرسول الله أن يُعِينَه اللهُ علىٰ ما ابْتَعَثَه به، وادْعُ لأُمَّتِه أن يأخذوا ما آتاهم به نبيهم من الحق. قال: فأَتَيْتُه فقلت: رَحِمَك الله، ادْعُ الله لرسول الله أن يُعِينَه علىٰ ما ابْتَعَثَه به، وادْعُ لأُمَّتِه أن يأخذوا ما آتاهم به نبيهم من الحق. فقال لي: ومَنْ أَرْسَلَكَ؟ فكرهتُ أن أُخبره ولم أَسْتَأْمِرْ رسول الله ﷺ، فقلت له: رَحِمَك الله، ما يَضُرُّك مَنْ أَرْسَلَني؟ ادْعُ بما قلتُ لك. قال: لا أَوْ تُخْبِرُني مَنْ أَرْسَلَكَ. قال: فرجعتُ إلىٰ رسول الله ﷺ فقلت له: يا رسول الله، أَبَىٰ أن يدعو لك بما قلتُ له حتىٰ أُخْبِرَه بمَنْ أَرْسَلَني. فقال: ارجع إليه فقُلْ له: أنا رسولُ رسولِ الله، فرجعتُ إليه فقلت له، فقال: مرحباً برسولِ رسولِ الله، أنا كنتُ أَحَقّ أن آتِيَه، أَقْرِئْ علىٰ رسول الله ﷺ مني السلام وقُلْ له: الخضر يقرأ عليك السلام ويقول لك: إنَّ الله تعالىٰ فضّلك علىٰ النَّبِيِّين كما فضّل شهر رمضان علىٰ سائر الشهور، وفضّل أُمَّتك علىٰ الأُمم كما فضّل يوم الجمعة علىٰ سائر الأيام. قال: فلما وَلَّيْتُ سمعتُه يقول: اللهم اجعلني مِن هذه الأمة المُرْشَدة المرحومة المُتاب عليها.

❁ قدوم وفد الجِنّ[1]:

قال الحافظ أبو نعيم: كان إسلام الجن ووفادتهم علىٰ النبي ﷺ كوفادة الإنس فوجاً بعد فوج، وقبيلة بعد قبيلة، بمكة وبعد الهجرة[2].

وروى أبو نعيم من طريق عمرو بن غَيْلان الثقفي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إنَّ أهل

(١) انظر إسلام الجن ج٣ ص٢٣١.

(٢) ذَكَرَ ابن كثير خبرهم في مكة في البداية والنهاية، وانظر أيضاً تفسير القرطبي للآيات ٢٩-٣٢ من سورة الأحقاف.

الصُّفّة أَخَذَ كلُّ رجل منهم رجلاً وتُرِكْتُ، فأَخَذَ بيدي رسول الله ﷺ ومضىٰ إلىٰ حجرة أم سلمة، ثم انطلق بي حتىٰ أَتَيْنا بقيع الغرقد، فخطّ بعصاه خطّاً ثم قال: اجلس فيها ولا تبرح حتىٰ آتِيَك، ثم انطلق يمشي وأنا أنظر إليه من خلال الشجر، حتىٰ إذا كان مِنْ حيث أراه ثارت مِثْلُ العَجاجة السوداء، فقلت: أَلْحَقُ برسول الله ﷺ، فإني أظن هذه هوازن مَكَروا برسول الله ﷺ ليقتلوه، فأَسْعَىٰ إلىٰ البيوت فأَسْتَغِيثُ بالناس، فذكرتُ أنَّ رسول الله ﷺ أَمَرَني أن لا أبرح مكاني الذي أنا فيه، فسمعتُ رسول الله ﷺ يقرعهم بعصاه ويقول: اجلسوا، فجلسوا حتىٰ كاد يَنْشَقّ عمود الصُّبْح، ثم ساروا وذهبوا، فأتىٰ رسول الله ﷺ فقال: أولئك وفد الجن سألوني المتاع والزاد، فمَتَّعْتُهم بكل عَظْمٍ حائل[1] ورَوْثة وبَعْرة، فلا يجدون عَظْماً إلاّ وَجَدوا عليه لحمه الذي كان عليه يوم أُكِلَ، ولا رَوْثة إلاّ وجدوا عليها حَبَّها الذي كان يوم أُكِلَتْ.

وروى أبو نعيم عن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: صلّىٰ بنا رسول الله ﷺ صلاة الصُّبْح في مسجد المدينة، فلما انصرف قال: أيّكم يَتْبَعُني إلىٰ وفد الجن الليلة؟ فخرجتُ معه حتىٰ خَنَسَتْ عنا جبال المدينة كلها وأَفْضَيْنا إلىٰ أرض، فإذا رجال طوال كأنهم الرماح مُسْتَثْفِرين ثيابَهم[2] مِن بين أرجلهم، فلما رأيتُهم غَشِيَتْني رِعْدة شديدة حتىٰ ما تحملني رِجْلاي مِنَ الفَرَق، فلما دَنَوْنا منهم خَطَّ لي رسول الله ﷺ بإبهام رِجْله خطّاً فقال: اقْعُدْ في وسطه. فلما جلست ذهب عني كل شيء كنت أَجِدُه مِن رِيبة، ومضىٰ رسول الله ﷺ بيني وبينهم، فتلا قرآناً وبقوا حتىٰ طلع الفجر، ثم أَقْبَلَ فقال: الْحَقْني، فمشيتُ معه فمضينا غير بعيد، فقال لي: الْتَفِتْ وانظر هل ترى حيث كان أولئك مِنْ أحدٍ؟ فخفض رسول الله ﷺ بيده إلىٰ الأرض فأخذ عَظْماً ورَوْثة، ثم رمىٰ بهما وقال: إنهم سألوا الزاد فقلت لهم: لكم كل عَظْم ورَوْثة.

وروى الإمام أحمد والترمذي ومسلم عن علقمة قال: قلت لابن مسعود رضي الله عنه: هل صَحِبَ النبي ﷺ مِن أحد ليلة الجن؟ قال: ما صَحِبَهُ منا أحد، ولكنْ فقدناه ذات ليلة

---

(١) العَظْم الحائل: المُتَغَيِّر الذي غيّره البِلىٰ.

(٢) في النهاية: هو أن يُدْخِلَ الرجل ثوبه بين رجليه كما يفعل الكلب بذَنَبه.

فالْتَمَسْناه في الأودية والشعاب، فقلنا: اغْتِيلَ؟ اسْتُطِير؟ ما فعل؟ فبِتْنا بِشَرِّ ليلة بات بها قوم، فلما أصبحنا إذا هو جاء مِنْ قِبَلِ حراء، فقلنا: يا رسول الله، فقدناك فطلبناك فلم نجدك، فبِتْنا بشر ليلة بات بها قوم. فقال: إنه أتاني داعي الجن، فأتيتُهم فقرأت عليهم القرآن. قال: فانْطَلَقَ فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم، وسألوه الزاد فقال: لكم كلُّ عَظْم ذُكِرَ اسم الله عليه يقع في أيديكم أَوْفَرَ ما كان لحماً، وكلُّ بَعْرة أو رَوْثة عَلَفٌ لداوبكم. قال: فلا تَسْتَنْجوا بهما، فإنهما زاد إخوانكم من الجن.

قال الشعبي رحمه الله: وكانوا مِن جن الجزيرة.

وفي رواية ابن جرير عن ابن مسعودﷺ قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول: بِتُّ الليلة أقرأ علىٰ الجن واقفاً بالحَجون.

وقوله: إنه لم يكن مع النبيﷺ أصحّ مِمّا رواه ابن جرير عن الزهري قال: أخبرنا أبو عثمان بن سَنّة الخزاعي أنه سمع عبدالله بن مسعود يقول: إن رسول اللهﷺ قال لأصحابه وهو بمكة: مَنْ أَحَبَّ منكم أن يحضر الليلة أثر الجن فليفعل، فلم يحضر معه أحد غيري. قال: فانْطَلَقْنا، فإذا كنا بأعلىٰ مكة خطّ لي برِجْله خَطّاً ثم أَمَرَني أن أجلس فيه، ثم انطلق حتىٰ إذا قام فافتتح القرآن، فجعلتُ أرى أمثال النسور تهوي وتمشي في رَفْرَفها، وسمعتُ لَغَطاً وغَمْغَمة حتىٰ خِفْتُ علىٰ النبيﷺ، وغَشِيَتْهُ أسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتىٰ ما أسمع صوته، ثم طفقوا يَتَقَطَّعون مِثْل قِطَعِ السحاب ذاهبين.

❁ ما وَرَدَ مِن قدوم هامة بن أَهْيَم بن لاقيس بن إبليس[1]:

روى عبدالله بن الإمام أحمد في زوائد الزهد، والعقيلي في الضعفاء، وابن مردويه في التفسير من طريق أبي سلمة محمد بن عبدالله الأنصاري أحد الضعفاء عن محمد بن

(١) قال صاحب أسد الغابة، وصاحب الإصابة، وفي البداية والنهاية: وأحياناً يَرِدُ اسم هامة بن الهَيْم بن الأَهْتَم - أو ابن الهيثم -. وقد رُوِيَ حديث هامة مِن عِدّة وجوه، وقد تُكُلِّم فيها. وبمجموع هذه الطرق التي في هذا المجال يُعلم أن الحديث ضعيف لا موضوع.

أبي معشر[١] عن عبد العزيز بن أبي بُجَير أحد المتروكين، ثلاثتهم عن أبي معشر عن نافع عن ابن عمر. وأبو نعيم في الحلية من طريق ابن عباس، وأبو نعيم والبيهقي معاً في الدلائل، والمستغفري في الصحابة، وإسحاق بن إبراهيم المنجنيقي من طريق أبي محصن الحَكَم بن عَمّار عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب، وأخرجه الفاكهي في كتابه مكة من طريق عزيز الجريجي عن أبيه جريج عن عطاء عن ابن عباس أنَّ رسول الله ﷺ كان على جبل من جبال تهامة خارج مكة، إذ أقبل شيخ مُتَوَكِّئٌ على عصا[٢]، فسلّم على رسول الله ﷺ، فرد عليه السلام وقال: نغمة الجن ومشيتهم[٣]، مَنْ أنت؟ قال: أنا هامة بن الهَيْم بن لاقيس بن إبليس، قال رسول الله ﷺ: ليس بينك وبين إبليس إلاّ أَبَوان؟ قال: نعم، قال: فكم أتى عليك من الدهر؟ قال: قد أَفْنَتِ الدنيا عمرَها إلاّ قليلاً، كنتُ ليالي قتل قابيلُ هابيلَ غلاماً ابن أعوام، أَفْهَمُ الكلام، وأَمُرُّ على الآكام، وآمُرُ بإفساد الطعام وقطيعة الأرحام، وأُأَرِّش[٤] بين الناس وأُغْرِي بينهم[٥]. فقال رسول الله ﷺ: بئس لَعَمْرُ الله عمل الشيخ المُتَوَسِّم، والفتى المُتَلَوِّم. فقال: دعني من اللوم، فقد جَرَتْ توبتي على يد نوح عليه السلام، وكنتُ معه فيمَنْ آمن به مِنْ قومه، فلم أزل أُعاتبه على دعوته على قومه حتى بكى عليهم وأَبْكاني، وقال: لا جَرَم إني على ذلك مِنَ النادمين، وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين.

وفي رواية عمر: قلت: يا نوح، إني مِمَّنْ شَرَكَ في دم السعيد الشهيد هابيل بن آدم، فهل تجد لي مِن توبة[٦]؟ قال: يا هام، هُمَّ بالخير وافْعَلْه قَبْلَ الحسرة والندامة، إني قرأتُ

---

(١) روى عنه الكبار إلاّ أن أهل الحديث ضعّفوه.

(٢) وفي لفظ: بيده عصا.

(٣) وفي رواية: جِنِّيٌّ ونغمته.

(٤) قال في النهاية: أَرَّشْتُ بين القوم إذا أَوْقَعْتُ بينهم.

(٥) زاد في اللآلئ المصنوعة ج١ ص١٧٤: (عند ربك).

(٦) زاد في اللآلئ المصنوعة ج١ ص١٧٤: (عند ربك).

فيما أنزل الله عز وجل عليَّ أنه ليس مِنْ عبدٍ تاب إلىٰ الله بالغاً ذَنْبُه ما بلغ إلاّ تاب الله عليه، قُمْ فتوضّأ واسجد لله سجدتين. قال: ففعلتُ من ساعتي ما أمرني به، فناداني: ارفع رأسك فقد أُنْزِلَتْ توبتك من السماء، فخررتُ لله ساجداً.

قال: وكنت مع هود عليه السلام في مسجده مع مَنْ آمن به مِنْ قومه، فلم أزل أُعاتبه علىٰ دعوته علىٰ قومه حتىٰ بكىٰ عليهم وأبكاني، فقال: لا جَرَم إني علىٰ ذلك من النادمين، وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين. وكنتُ أزور يعقوب، وكنت مع يوسف بالمكان المَكِين، وكنت أَلْقىٰ إلياس في الأودية وأنا ألقاه الآن، وكنت مع إبراهيم خليل الرحمن لَمّا أُلْقِيَ في النار، فكنت بينه وبين المنجنيق حتىٰ أَخْرَجَه الله منه. ولَقِيتُ موسىٰ بن عمران فعلّمني مِنَ التوراة وقال لي: إنْ أنت لَقِيتَ عيسىٰ بن مريم فأَقْرِئْهُ مني السلام. وكنت مع عيسىٰ فقال: إنْ لَقِيتَ محمداً فأَقْرِئْهُ مني السلام، وأنا يا رسول الله قد بَلَّغْتُ وآمنتُ بك. فقال رسول الله ﷺ: وعلىٰ عيسىٰ السلام[1].

وفي لفظ: وعليك يا هامة، ما حاجتك؟ فقال: موسىٰ عَلَّمَني مِنَ التوراة، وعيسىٰ عَلَّمَني من الإنجيل، فعَلِّمْني من القرآن. فعَلَّمَه رسول الله ﷺ سورة المرسلات، و﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾، و﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، والمعوذتين، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

وفي لفظ عمر رضي الله عنه: و﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾، وعليك يا هامة بأداء الأمانة.

وفي رواية: عَلَّمَه عشر سور.

وفي رواية أخرى: فعَلَّمَه رسول الله ﷺ وقال: ارفع إلينا حاجتك يا هامة، ولا تَدَعْ زيارتنا.

قال عمر: فقُبِضَ رسول الله ﷺ ولم يَنْعَهُ إلينا، ولسنا ندري أَحَيٌّ هو أو مَيِّت[2].

---

(١) زاد في اللآلئ المصنوعة: فأرسل رسول الله ﷺ عينيه فبكىٰ وقال: وعلىٰ عيسىٰ السلام ما دامت الدنيا.

(٢) رواية السيوطي في اللآلئ المصنوعة ج١ ص١٧٥: ولم يَنْعَه إلينا، ولا أراه إلاّ حياً.

۞ وفود السباع:

روى سعيد بن منصور والبزار وأبو يعلىٰ والبيهقي عن أبي هريرةرضي الله عنه قال: جاء ذئب إلىٰ رسول الله ﷺ فأَقْعَىٰ[١] بين يديه وجعل يُبَصْبِصُ بذَنَبه[٢]، فقال رسول الله ﷺ: هذا وافد الذئاب، جاء يسألكم أن تجعلوا له مِن أموالكم شيئاً. فقالوا: لا والله يا رسول الله لا نجعل له مِنْ أموالنا شيئاً، فقام إليه رجل مِنَ الناس ورماه بحجر، فسار وله عُواء.

وروى أبو نعيم والبيهقي مِن طريق الزهري عن حمزة بن أبي أُسَيْد قال: خرج رسول الله ﷺ في جنازة رجل، فإذا ذئب مُفْتَرِشٌ ذراعَيْه علىٰ الطريق، فقال رسول الله ﷺ: هذا مُعْتَرِضٌ فافْرِضُوا له، قالوا: ما ترى يا رسول الله؟ قال: مِنْ كل سائمة شاةٌ في كل عام، قالوا: كثير، فأشار إلىٰ الذئب أنْ خالِسْهم[٣]، فانْطَلَقَ الذئب.

وروى ابن سعد وأبو نعيم عن المطلب بن عبدالله بن حَنْطَب قال: بَيْنا رسول الله ﷺ جالس بالمدينة في أصحابه، إذ أقبل ذئب فوقف بين يدي رسول الله ﷺ، فعَوَى بين يديه، فقال رسول الله ﷺ: هذا وافد السباع إليكم، فإنْ أَحْبَبْتُم أن تفرضوا له شيئاً لا يَعْدُوه إلىٰ غيره، وإنْ أَحْبَبْتُم تركتموه وتَحَرَّرْتم منه، فما أَخَذَ فهو رِزْقُه. فقالوا: يا رسول الله، ما تَطِيبُ أنفسنا له بشيء. فأَوْمَأَ إليه النبي ﷺ بأصابعه أيْ خالِسْهم، فولّىٰ وله عَسَلان[٤].

وروى الدارمي وابن مَنِيع في مسنده وأبو نعيم من طريق شَمْر بن عطية عن رجل مِن مُزَيْنة أو جُهَيْنة قال: صلّىٰ رسول الله ﷺ الفجر، فإذا هو بقريبٍ مِن مائة ذئب قد أَقْعَيْن، وكانوا وفود الذئاب، فقال لهم رسول الله ﷺ: هؤلاء وفود الذئاب، سألتُكم أن تَرْضَخُوا

---

(١) الإقعاء: هو إلصاق الإلية بالأرض، ونَصْبُ الساق والفخذ، ووَضْعُ اليدين علىٰ الأرض.

(٢) أي يُحَرِّك ذَنَبَه كما قال صاحب النهاية، يفعل ذلك الكلب مِن طمع أو خوف.

(٣) أي اذهب علىٰ غفلة.

(٤) هو سرعة المشي.

لهم[1] شيئاً مِن فضول طعامكم، وتأمنوا علىٰ ما سوى ذلك. فشَكَوْا إليه الحاجة، قال: فادْنُوهُنّ، فخَرَجْنَ ولهم عُواء.

وروى محمد بن عمر وأبو نعيم عن سليمان بن يسار قال: أشرف النبيﷺ علىٰ الحَرّة فإذا ذئب واقف بين يديه، فقال: هذا يسأل مِن كل سائمة شاة، فأَبَوْا، فأَوْمَأَ إليه بأصابعه فولّىٰ.

(١) أي تُعْطوهم شيئاً ليس كثيراً، وفي النهاية: الرّضخ: العطية القليلة.

تسمية عمّاله وأمرائه ﷺ

على الصدقات وكتابه

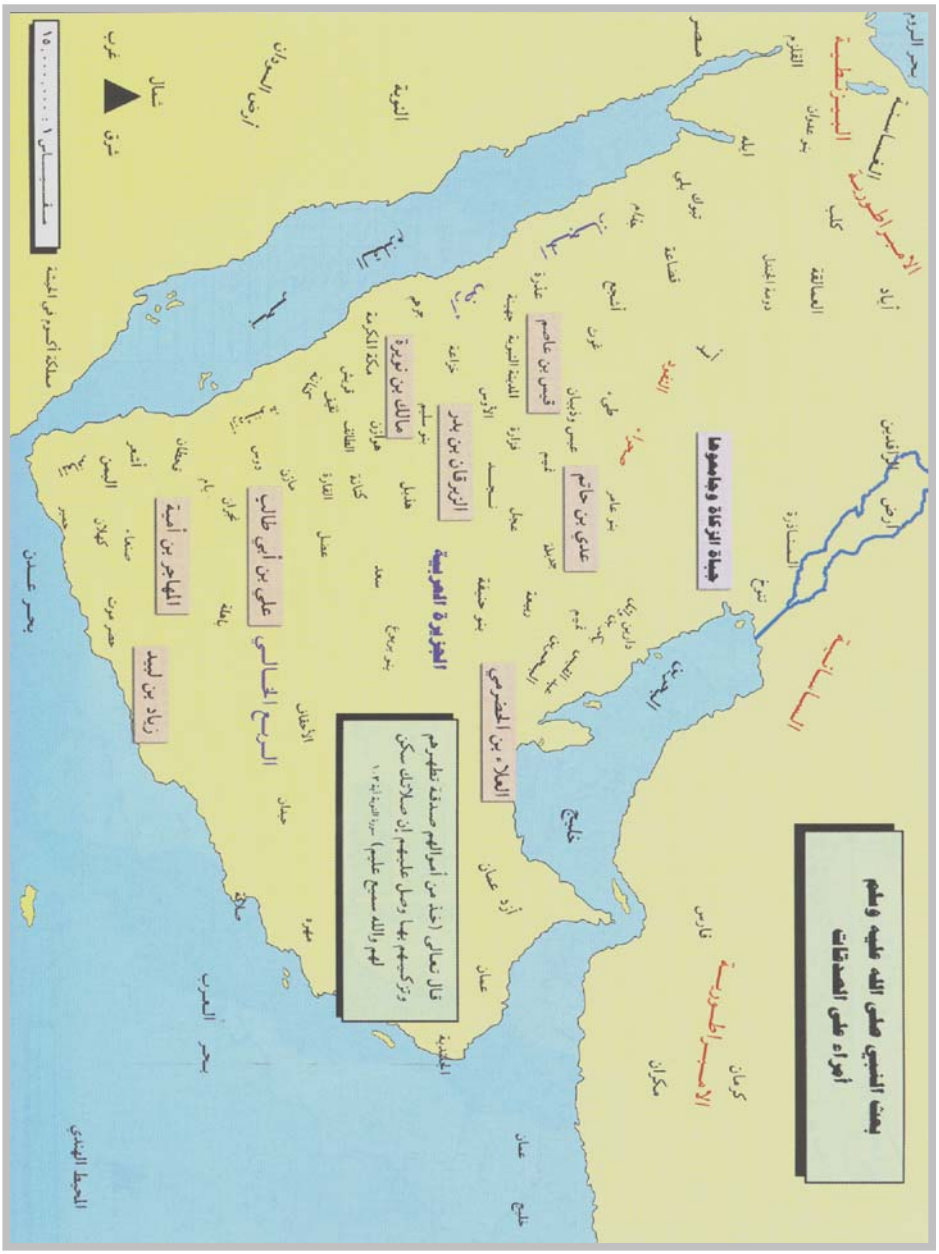

قال محمد بن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ قد بعث أمراءه وعماله على الصدقات إلى كل ما أَوْطَأَ الإسلامُ مِنَ البلدان.

فبعث المهاجر بن أبي أمية بن المغيرة إلى صنعاء، فخرج عليه العنسي وهو بها.

وبعث زياد بن لَبيد أخا بني بياضة الأنصاري إلى حضرموت.

وبعث عدي بن حاتم على طَيِّئ، وعلى بني أسد.

وبعث مالك بن نويرة اليَرْبوعي على بني حنظلة.

وفرّق صدقات بني سعد على رجلين منهم: فبعث الزِّبْرقان بن بدر على ناحية منها، وقيس بن عاصم على ناحية.

قال: وكان قد بعث العلاء بن الحضرمي على البحرين.

وبعث علي بن أبي طالب إلى أهل نجران ليجمع صدقتهم، ويقدم عليه بجزيتهم.

۞ ذِكْر كتاب وحي النبي ﷺ:

وقد ذَكَرَهم ابن سَيِّد الناس اليَعْمري في سيرته فقال:

١) أبو بكر الصديق.

٢) عمر بن الخطاب.

٣) عثمان بن عفان.

٤) علي بن أبي طالب.

٥) سعيد بن العاص[1].

٦) الزبير بن العوام.

٧) طلحة بن عبيد الله.

٨) سعد بن أبي وقاص.

---

(١) لقد اشترك مع زيد بن ثابت في كتابة القرآن الكريم للنسخ الأربعة بعهد سيدنا عثمان.

٩) زيد بن ثابت[١].

١٠) عبدالله بن الأرقم الزهري.

١١) عبدالله بن رواحة.

١٢) أُبَيّ بن كعب.

١٣) شرحبيل بن حسنة.

١٤) العلاء بن الحضرمي.

١٥) حذيفة بن اليمان.

١٦) خالد بن الوليد.

١٧) عمرو بن العاص.

١٨) المغيرة بن شعبة.

١٩) عامر بن فهيرة.

٢٠) أبو سفيان بن حرب.

٢١) معاوية بن أبي سفيان[٢].

٢٢) عبدالله بن الزبير[٣].

٢٣) خالد بن سعيد بن العاص بن أبي أُحَيْحة.

٢٤) أبان بن سعيد بن العاص.

٢٥) حنظلة بن الربيع الأسيدي.

٢٦) ثابت بن قيس بن شماس.

٢٧) عبدالله بن زيد.

---

(١) كان ألزمهم بالنبيﷺ كتابة، حيث كتب القرآن الكريم بالخط المُقَوَّر في خلافة الصديق.

(٢) كان ألزمهم كتابة للنبيﷺ، وقيل: إن معاوية لم يكتب له من الوحي شيئاً، وإنما كان يكتب إلى الأطراف.

(٣) قد اشترك مع زيد بن ثابت في كتابة المصاحف الأربعة.

٢٨) جُرَيْم بن الصلت.

٢٩) محمد بن مسلمة.

٣٠) عبدالله بن عبدالله بن أبي مُعَيْقيب بن أبي فاطمة.

٣١) عبدالله بن سعد بن أبي سَرْح العامري[١].

٣٢) يزيد بن أبي سفيان.

٣٣) الأرقم بن أبي الأرقم الزهري.

٣٤) العلاء بن عقبة.

٣٥) أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري.

٣٦) بُرَيْدة بن الحصيب بن نمير.

٣٧) أبو سلمة عبدالله بن عبد الأسد المخزومي.

٣٨) حُوَيْطب بن عبد العزى.

٣٩) حاطب بن عمرو.

٤٠) رجل من بني النجار[٢].

٤١) الحصين بن نمير.

وذكر الحافظ أبو الخطاب بن دحية أنَّ كُتّابه عليه الصلاة والسلام ينتهون إلىٰ ستة وعشرين، والله أعلم.

قال القضاعي: وكان الزبير بن العوام وجَهْم بن سعد يكتبان أموال الصدقة.

وكان حذيفة بن اليمان يكتب خَرْص النخل.

وكان المغيرة بن شعبة والحصين بن نمير يكتبان المداينات والمعاملات.

---

(١) هو أول من كتب له من قريش، ثم ارتد ثم أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه، ومات ساجداً.

(٢) غير مُسَمّىٰ، ذكره ابن دحية وقال: كان يكتب الوحي ثم تنصّر، فلما مات لم تقبله الأرض.

۞ ذِكْرُ الذين كانوا يضربون الرقاب بحضرته ﷺ:

١) علي بن أبي طالب.

٢) الزبير بن العوام.

٣) محمد بن مسلمة.

٤) عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح.

٥) المقداد.

حجة الوداع وذِكر عُمَرهﷺ

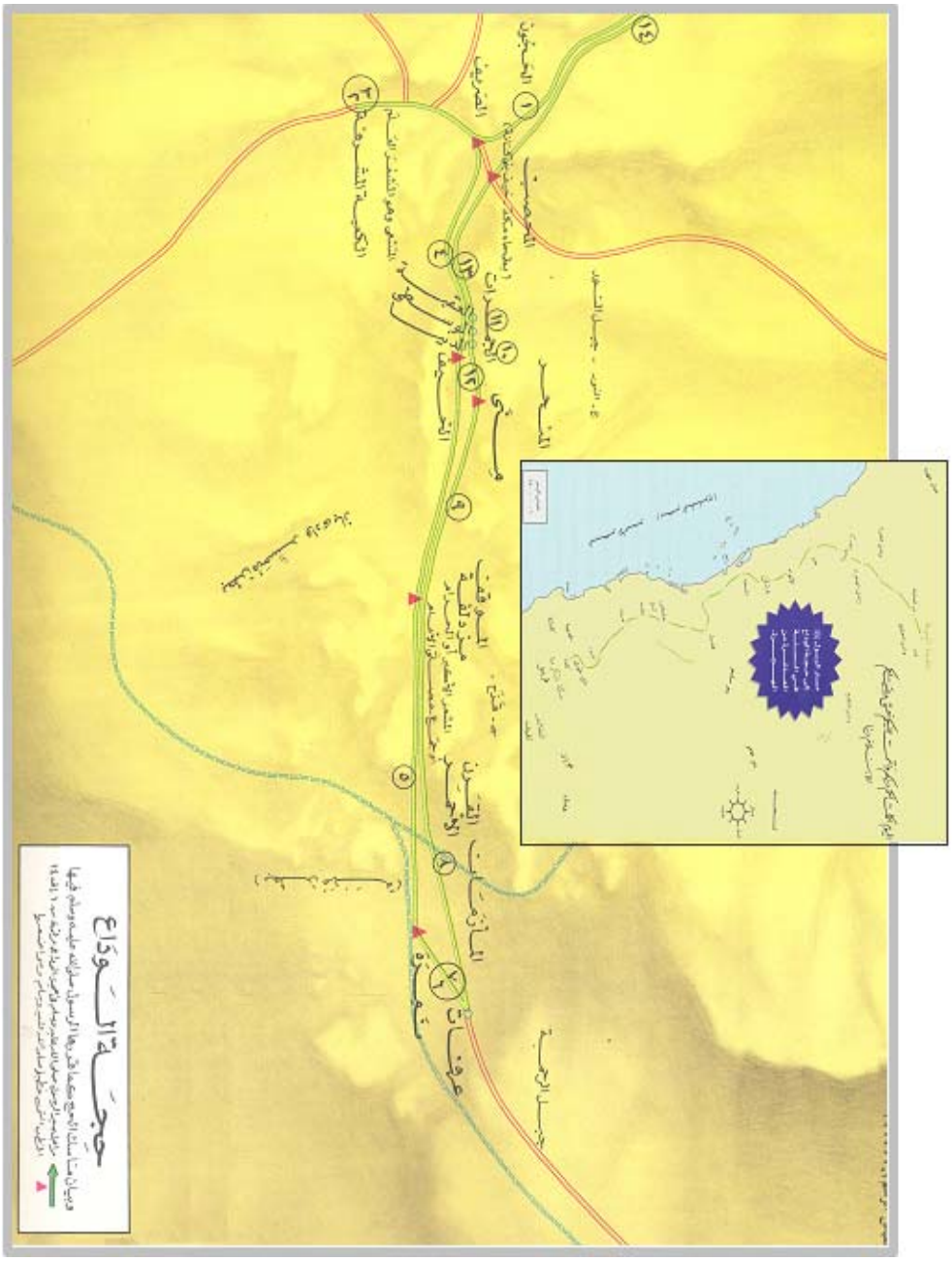

وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ سورة الحج
الشمال
الشرق
الغرب
الجنوب
المدينة النبوية
ذو الحليفة
(آبار علي)
ميقات أهل المدينة
عرق العراق يلملم اليمني
وذو الحليفة يحرم المدني
والشام جحفة إن مررت بها
ولأهل نجد قرن فاستبن
أرض الحجاز
الجحفة
ميقات أهل الشام ومصر
ومن حاذاها برا وبحرا
ذات عرق
ميقات أهل العراق وخراسان
والمشرق وما بعده
قرن المنازل
ميقات أهل نجد ومن جاء
من جهتهم
وادي محرم
أجاز العلماء الإحرام منه وهو
محاذٍ لميقات قرن المنازل
مكة المكرمة
يلملم
ميقات أهل اليمن ومن حولهم
بحر القلزم (البحر الأحمر)
المنسة
العيون
ينبع النخل
وجمة
الفريش
العقيق
المسيجيد
الواسطة
ينبع البحر
اليتمة
بدر
الغزلان
النصايف
مستورة
رابغ
ثول
صعير
البريكة
الدوارة
المضحاة
الكامل
خليص
المكسر
الفيج
غزلان
عسفان
المقيطع
هدا الشام
القفرة
بريمان
الجموم
جدة
حدة
ام السلم
الشعيبة
مهد الذهب
الأكحل
السويرقية
قران
القرارة
دفيبجة
الغريف
المحاني
الحفائر
بركة العقيق
رضوان
العطيف
السيل الكبير
الطائف
الملعب
غرابة
الشفا
السحن
غزايل
ابو واسكة
العلبة
الصور
ثقب
الشعاعيب
بوا
صيادة
مقياس الرسم
صفر ٢٠ ٤٠ ٦٠ كم
ذو الحليفة
المواقيت المكانية لفريضة الحج

لم يُفرض الحج علىٰ المسلمين بصدر الإسلام قبل الهجرة، إنما فُرِضَ في السنة السادسة من الهجرة النبوية الشريفة. وكان النبيﷺ قد حَجَّ قبل هجرته حجتَيْن، ولم يحجّ بعد الهجرة سوى حجة الوداع.

ولَمّا فُتِحَتْ مكة في السنة الثامنة من الهجرة، استخلف رسول اللهﷺ علىٰ الحج عَتّاب بن أَسِيد، فحجّ بالناس تلك السنة.

وفي السنة التاسعة، أَمَّرَ النبيﷺ أبا بكر الصديق علىٰ الحج.

فلما كان في السنة العاشرة، أذّن رسول اللهﷺ في الناس بحجه، فأمر منادياً يقول: أيها المسلمون، إن رسول اللهﷺ حاجٌّ في هذا العام، فمَنْ أراد الحج فليأت المدينة. فأتىٰ المدينة خَلْق كثير مِن المسلمين مِن أماكن نائية وواسعة، ومِن كل فج غميق وعميق، يلتمسون أنْ يأتموا برسول اللهﷺ، ويَعْمَلوا مِثْلَ عمله، حيث يريدون أن يتعلموا مناسك الحج من المشرع عليه أفضل الصلاة والسلام.

وفي هذه الحجة حدثت أمور كثيرة، وجرت بها أحكام كثيرة، وأُبطلت أشياء جاهلية كثيرة كانت قبل الإسلام؛ لهذا كانت مشهورة في حياة رسول اللهﷺ.

قال النويري في تاريخه نهاية الأرب: كان خروجهﷺ صباح يوم السبت لخمس ليال بقين من ذي القعدة سنة عشر مِن مُهاجَره.

واستعمل أبا دجانة الساعدي أميراً علىٰ المدينة، وقيل: سِباع بن عُرْفطة الغفاري.

وقد خرج رسول اللهﷺ من المدينة مغتسلاً[1]، مُدّهِناً، مُتَعَطِّراً، مُتَرَجِّلاً، مُتَجَرِّداً، في ثوبين صُحاريين: إزار ورداء. وأخرج معه جميع نسائه، كل واحدة علىٰ هودج مستقل. وساق معه مائة بَدَنة، وأَشْعَرَ هَدْيَه وقَلَّدَه، ثم ركب ناقته القصواء، وكان علىٰ هديه ناجية بن جُنْدب.

فلما استوى بالبيداء في منطقة ذي الحليفة (آبار علي) صلّىٰ الظهر هناك ركعتين[2]،

---

(١) مِن هنا نأخذ باستحباب الغسل لِمَنْ أراد الحج قبل خروجه.

(٢) مِن هنا نأخذ بجواز القصر إذا خرج المسافر من خطة البلد إلىٰ سفر طويل.

وأَحْرَمَ مِن يومه وأَهَلَّ بالحج مفرداً[١]، فقال: لبيك اللهم بحج. وعمّم على الناس: مَنْ قدم معه الهَدْي دخل مفرداً، ومَنْ قَدِم ومعه نساؤه وبدون هدي دخل معتمراً. وأمر جميع نسائه أن يدخلن معتمرات.

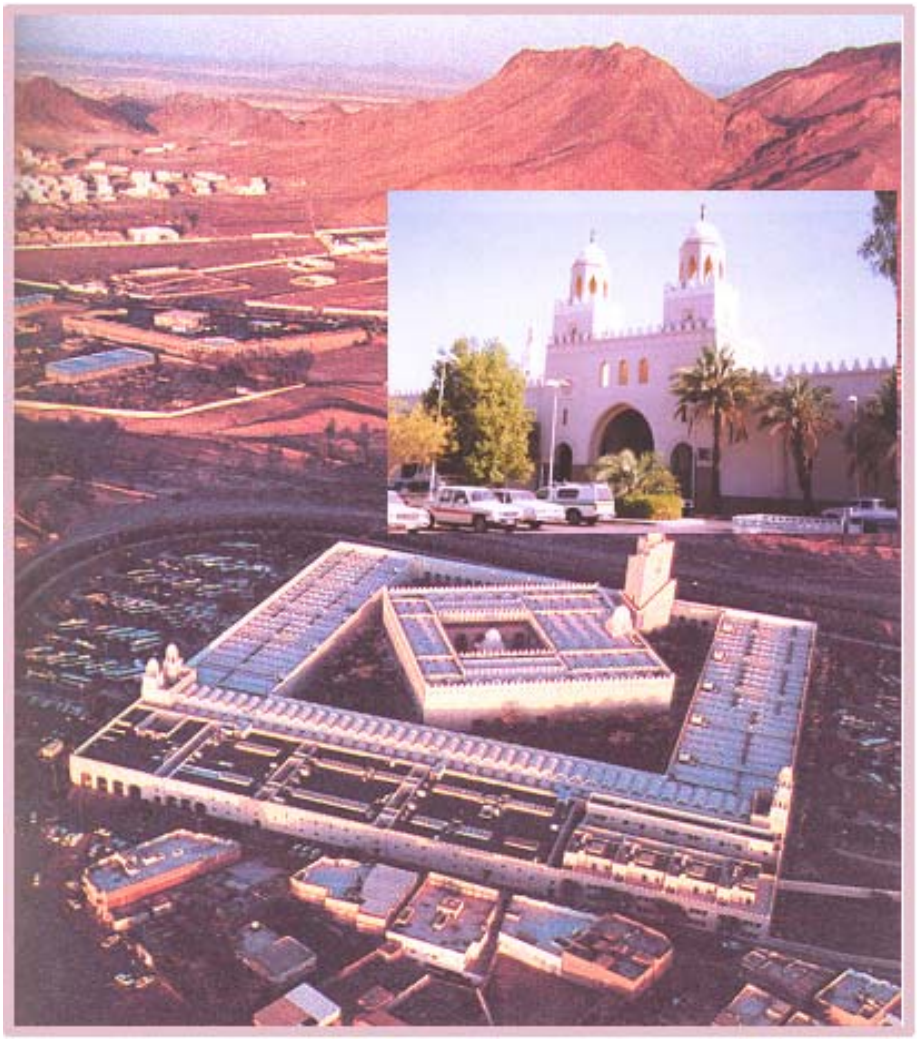

وادي ذي الحليفة وبه مسجد الميقات حيث صلى النبيﷺ وأحرم بالحج

(١) قال ابن سعد في طبقاته: واخْتُلِفَ علينا فيما أهلّ به، فأهلُ المدينة يقولون: أهلّ بالحج مفرداً، وفي رواية غيرهم أنه قرن مع حجته عمرة، وقال بعضهم: دخل مكة متمتعاً بعمرة ثم أضاف إليها حجة، والله أعلم.

ثم مضىٰ ﷺ يسير المنازل، ويؤم أصحابه في الصلاة في مساجد له قد بناها الناس علىٰ طريق الحج. فكان ﷺ في يوم الإثنين بمر الظهران، فغربت عليه الشمس بسَرَف، فنزل وبات فيها تلك الليلة.

فلما أصبح وصلّىٰ بالناس، اغتسل ﷺ لدخول مكة[١]، ودخلها نهاراً[٢] مِن أعاليها مِن كَداء وهو علىٰ ناقته القصواء، وهو يقول: (اللهم اجعله حَجّاً لا رياء فيه ولا سمعة)، حتىٰ انتهىٰ إلىٰ باب بني شيبة من جهة الصفا، فلما رأى البيت رفع يديه وقال: (اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابةً، وزِدْ مَنْ شرّفه وعظّمه مِمَّنْ حجّه واعتمره تشريفاً وتكريماً ومهابة وتعظيماً وبِرّاً).

وكان تحته ﷺ يومها رَحْل رَثٌّ عليه قطيفة لا تساوي أربعة دراهم[٣].

ثم بدأ ﷺ بطواف القدوم حيث دخل مفرداً وقدم معه هديه، أما أصحابه الذين دخلوا بعمرة ولم يقدموا معهم الهدي، فطافوا طواف ركن العمرة. فطاف ﷺ بالبيت سبعاً وهو مُطَّبع بردائه[٤]، ثم رَمَلَ في الثلاثة أشواط الأولىٰ[٥] من الحِجْر إلىٰ الحِجْر، ثم صلّىٰ خلف مقام إبراهيم ركعتين[٦] سنة الطواف.

---

(١) مِن هنا نأخذ بسُنة الغسل لدخول مكة.

(٢) مِن هنا نأخذ بأنه يُسَنّ للإنسان أن يدخل مكة إن استطاع نهاراً.

(٣) وهذا إنما يدل علىٰ زهده ﷺ في الدنيا، وأنها ما كانت تساوي عنده جناح بعوضة. وهذا الواقع الذي يجب علينا نحن أن نتصرّف به وأن نعتقده، فننظر إلىٰ الدنيا النظرة الحقيقية التي كان ينظرها رسول الله ﷺ. فالدنيا حقيرة عند الله، فلا يجوز أن نحترمها ونعطيها أكثر مِمّا تستحق، ومن حقارتها أن أعطاها لِمَنْ يحب ولِمَنْ لا يحب، جَعَلَها للمؤمن وللكافر، ولو كانت ذا قيمة لَما تمتّع بها الكافر.

(٤) مِن هنا نأخذ بسُنِّية الاطِّباع، وهو أن يُدْخِلَ الرداء تحت إبطه الأيمن ويَرُدَّ طرفه علىٰ يساره، فيُبْدي منكبه الأيمن ويغطي الأيسر.

(٥) هذا للرجل فقط أما المرأة فيُكْرَهُ لها؛ لأنها بذلك تُظهر مفاتنها وعورتها.

(٦) وهذا من السنة، فإن لم تستطع من الازدحام كاليوم فبأيّ مكان بالمسجد، فإنْ لم تستطع فبأيّ مكان بمكة حيث كلها حَرَم.

ثم سعىﷺ بين الصفا والمروة علىٰ راحلته القصواء من فوره[١].

وكانﷺ قد اضطرب بالأبطح ثم رجع إلىٰ مكانه، فلما كان قبل يوم التروية بيوم، خطب بمكة بعد الظهر وبَيَّنَ للناس ما أمامهم.

ثم خرج يوم التروية إلىٰ منىٰ فبات بهاﷺ، ثم غدا من الصباح إلىٰ عرفات علىٰ الناقة والناس مشاة، فدخلها بعد الزوال وصلّىٰ هناك بالناس الظهر والعصر جمعاً وقصراً، ثم خطب بهم فوقف هناك بالهضاب منها عند الصخرات المفترشات في أول جبل الرحمة، وقال: وقفتُ هنا وعرفة كلها موقف إلاّ بطن عُرنة[٢]. فوقفﷺ يدعو له وللمسلمين وللناس أجمعين، والناس حوله إلىٰ أن غربت الشمس، فهي ساعة تُفْتَح فيها أبواب السماء، ويستجيب الله فيها الدعاء بدون حدود[٣].

قال ابن إسحاق: حدّثني يحيىٰ بن عبّاد بن عبدالله بن الزبير عن أبيه عباد قال: كان الرجل الذي يصرخ في الناس بقول رسول اللهﷺ وهو بعرفة ربيعة بن أمية بن خلف. قال: يقول له رسول اللهﷺ: قل: يا أيها الناس، إنّ رسول اللهﷺ يقول: هل تدرون أيّ شهر هذا؟ فيقول لهم ويقولون: الشهر الحرام، فيقول لهم: إن الله تعالىٰ قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلىٰ أن تلقوا ربكم كحُرْمة شهركم هذا. ثم يقول: قُلْ: يا أيها الناس، إن رسول اللهﷺ يقول: هل تدرون أيّ بلد هذا؟ قال: ويصرخ به فيقولون: البلد الحرام، قال: فيقول: قُلْ لهم: إن الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلىٰ أن تلقوا ربكم كحُرْمة بلدكم هذا. ثم يقول: قُلْ: يا أيها الناس، إن رسول اللهﷺ يقول: هل تدرون أيّ يوم هذا؟ فيقولون: يوم الحج الأكبر. قال: فيقول: قُلْ لهم: إن الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلىٰ أن تلقوا ربكم كحُرْمة يومكم هذا.

---

(١) من هنا يُسَنُّ ألاّ يُؤَخِّر الحاجُّ السعي بعد الطواف.

(٢) حيث ورد أن الشيطان يقف في هذا الوادي ويأخذ التراب ويحثوه علىٰ نفسه ويقول: إنه منذ كذا وكذا عاماً يرتكب الناس الذنوب والآثام والخطايا ثم يغفر الله لهم بساعة واحدة! ويبكي علىٰ نفسه كثيراً.

(٣) لهذا مَنْ حجّ فله الإجابة والغفران، ومَنْ لم يحجّ فيُسَنّ له صيام يوم عرفة، فبصيامه يُكَفِّر الله ذنوب سنتين.

وروى ابن إسحاق عن عمرو بن خارجة قال: بعثني عتّاب بن أَسِيد إلىٰ رسول الله ﷺ في حاجة، ورسولُ الله ﷺ واقفٌ بعرفة، فبلغته ثم وقفتُ تحت ناقة رسول الله ﷺ وإنَّ لُغامها[1] لَيَقَع علىٰ رأسي، فسمعتُه وهو يقول: أيها الناس، إن الله قد أدّى إلىٰ كل ذي حق حقه، وإنه لا تجوز وصيةٌ لوارث، والولد للفراش وللعاهر الحجر، ومَن ادّعىٰ إلىٰ غير أبيه أو تولّىٰ غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً.

وفي هذا الموقف نزل قوله تعالىٰ: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة٣].

قال القرطبي: نزلت في يوم جمعة، وكان يوم عرفة، بعد العصر في حجة الوداع سنة عشر، ورسول الله ﷺ واقف بعرفة علىٰ ناقته العَضْباء، فكاد عَضُد الناقة يَنْقَدّ مِنْ ثقلها، فبركت.

وروى الأئمة عن طارق بن شهاب قال: جاء رجل من اليهود إلىٰ عمر فقال: يا أمير المؤمنين، آيةٌ في كتابكم تقرؤونها، لو علينا أُنْزِلَتْ معشر اليهود لاتّخذنا ذلك اليوم عيداً. قال: وأيّ آية؟ قال: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾. فقال عمر: إني لأَعْلَمُ اليومَ الذي أُنْزِلَتْ فيه والمكان الذي أُنْزِلَتْ فيه، نَزَلَتْ علىٰ رسول الله ﷺ بعرفة في يوم جمعة[2].

ورُوِيَ أنها لَمّا نزلت في يوم الحج الأكبر وقرأها رسول الله ﷺ بكىٰ عمر، فقال له رسول الله ﷺ: ما يُبْكِيك؟ فقال: أَبْكاني أنّا كنا في زيادة مِن ديننا، فأمّا إذ كمل فإنه لم يكمل شيء إلاّ نَقَص. فقال له النبي ﷺ: صَدَقْتَ.

---

(١) أي زبدها.

(٢) هذا لفظ مسلم، وعند النسائي: ليلة جمعة.

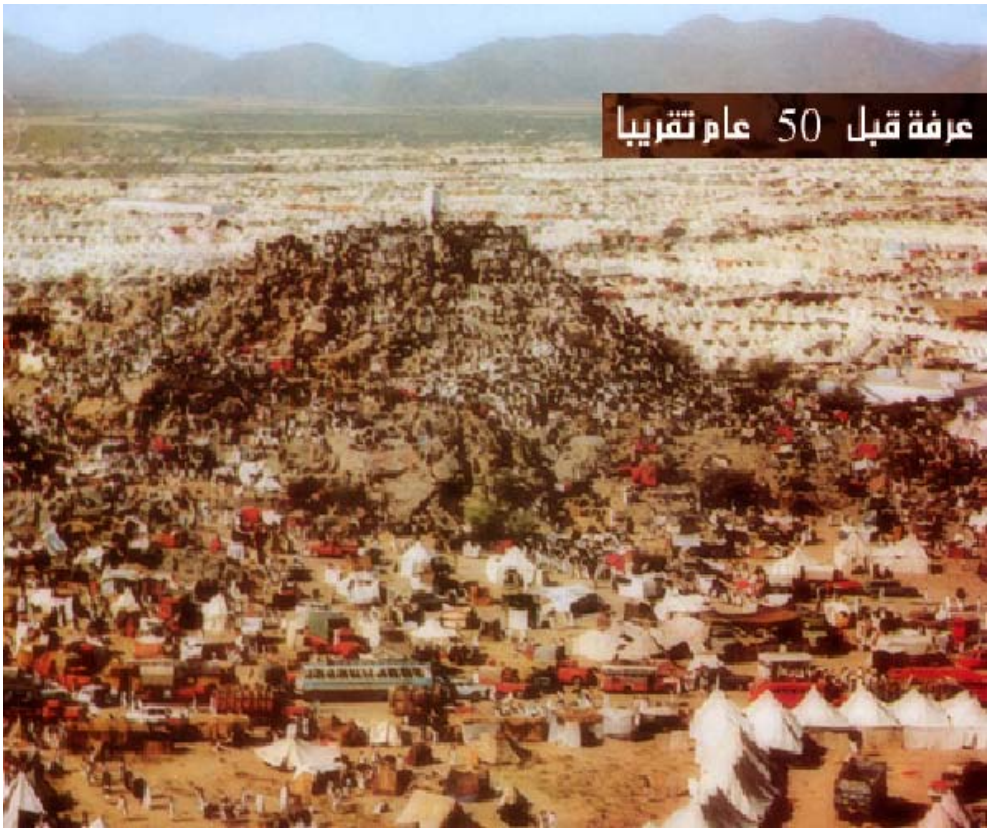
عرفة قبل 50 عام تقريبا

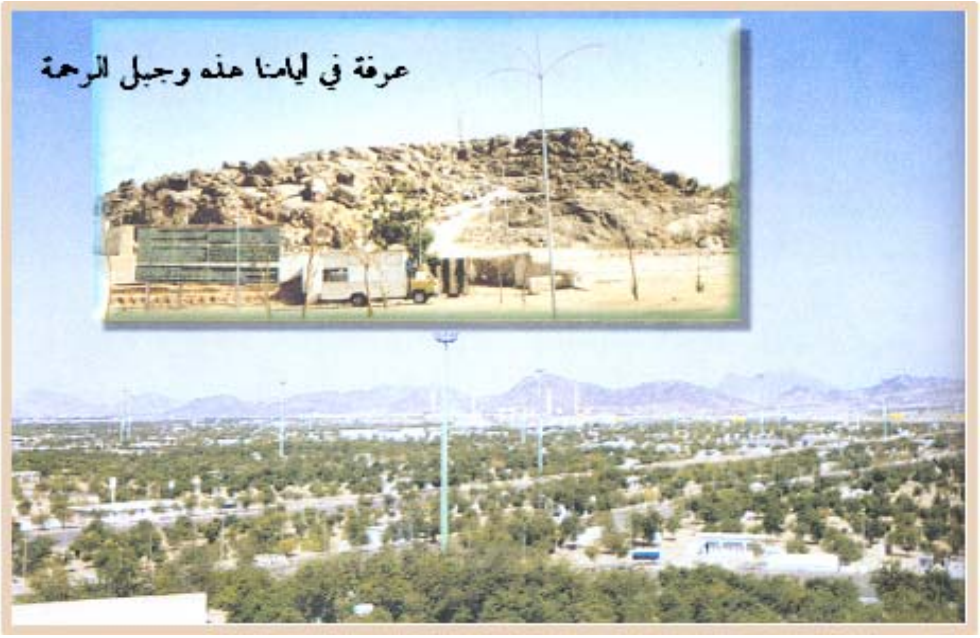
عرفة في أيامنا هذه وجبل الرحمة

مسجد نمرة حيث نزل النبيﷺ يوم عرفة وصلىٰ قبل أن ينتقل إلىٰ موقفه عند الصخرات المفترشات، وتقع مقدمته الآن في وادي عرنة وهو خارج عن عرفات، ويُعَدُّ الحد الفاصل بين الحِلّ والحَرَم

فلما غربت شمس يوم عرفة نزلﷺ ودفع، فجعل يسير العَنق[١] حتىٰ جاء المزدلفة، وهذه تسمىٰ بالنفرة. فنزل علىٰ جبل قُزَح قريباً من الغار، فصلّىٰ المغرب والعشاء بأذان وإقامتين جمع تأخير وقصراً، ثم بات بها إلىٰ الصباح، ولكن رحمة بالنساء أرسلهن مع الضعفاء بنصف الليل فرَمَيْن الجمرات، ثم نزلن إلىٰ البيت فطفن طواف الإفاضة.

فلما برق فجر صباح يوم العيد، صلّىٰﷺ الصبح، ثم ركب راحلته فوقف علىٰ قُزَح وقال: كل المزدلفة موقف إلاّ بطن مُحَسِّر[٢]. ثم نزل عن الجبل ودفع قبل طلوع الشمس من المزدلفة، فلما بلغ وادي مُحَسِّر أَوْضَعَ[٣].

وادي مُحَسِّر، وهو الحد الفاصل بين منىٰ والمزدلفة

(١) هو ضَرْبٌ من السير لا بالسريع ولا بالبطيء.

(٢) هو وادٍ بين منىٰ والمزدلفة يُسَمّىٰ الآن بوادي النار؛ وسُمِّيَ بوادي مُحَسِّر لأن أبرهة عندما أراد هدم الكعبة وجاء ومعه الفيلة والجيش، تركه الله حتىٰ وصل إلىٰ هذا الوادي، فنزل عليه الغضب من جهنم وانحسر الجيش هناك.

(٣) مِن هنا نأخذ بأنه يستحب للمرء أن يسرع إذا مرّ بالأماكن التي أنزل اللهﷻ فيها العذاب، ويُكره له أن يجلس فيها.

مسجد المشعر الحرام في مزدلفة حيث كان النبيﷺ ينزل عند قبلته

ولم يزلﷺ يُلَبِّي حتىٰ رمىٰ جمرة العقبة صباح يوم العيد، ثم نحر الهدي، وحلق رأسه، وأخذ مِن شاربه ومِن عارضه، وقلم أظافره[١]. وأمر بشعره وأظفاره أن تدفن[٢]، ولكنّ الصحابة كانوا يتسابقون عليها.

ثم أصابﷺ الطِّيب، ولبس القميص، ونادى مناديه بمنىٰ: إنها أيام أَكْلٍ وشُرْبٍ، وفي بعض الروايات: وباءة.

ثم جعلﷺ يرمي الجمار في كل يوم بعد زوال الشمس، حيث يبدأ وقت الرمي بعد الزوال مباشرة.

---

(١) من السنة أن تقلم الأظافر يوم الإثنين والخميس والجمعة ليلاً أو نهاراً، وفي غيرها مكروه. ويسن أن يبدأ بسبابة اليمنىٰ ثم الوسطىٰ ثم البنصر ثم الخنصر ثم الإبهام، ثم خنصر اليسرى وينتهي بإبهام اليسرى. أما الأرجل فيبدأ بخنصر اليمنىٰ وينتهي بخنصر اليسرى.

(٢) يُسَنّ دفن الأظافر وكذلك الشعور، خاصّة للمرأة حيث يَحْرُم عليها أن تُظهر شيئاً منها للرجال الأجانب.

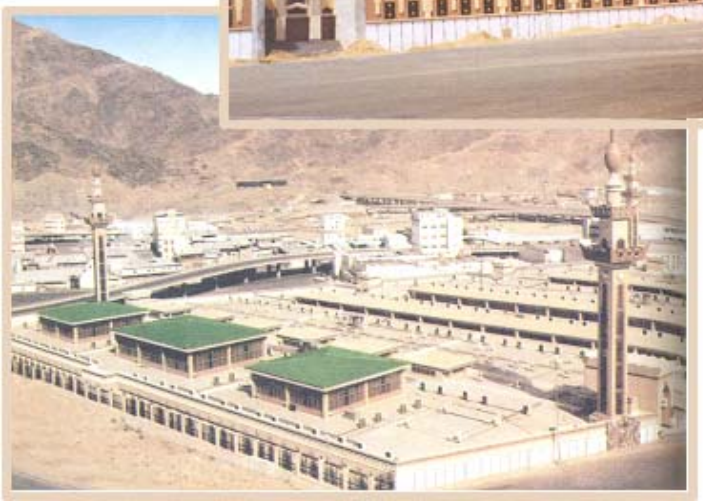

مسجد الخيف حديثاً، ويقع في سفح جبل منىٰ الجنوبي قريباً من الجمرة الصغرى، وقد صلىٰ فيه النبي ﷺ والأنبياء من قبله

ثم خطب ﷺ الغد من يوم النحر من بعد الظهر علىٰ ناقته القصواء خطبته المشهورة، والتي سيأتي معنا ذكرها إن شاء الله تعالىٰ.

ثم صدر ﷺ يوم الصَّدَر الآخر وقال: إنما هُنّ ثلاث يقيمهن المهاجر بعد الصَّدَر[1]. ثم ودّع البيت فطاف طواف الوداع، ثم انصرف راجعاً إلىٰ المدينة.

فقضىٰ رسول الله ﷺ الحج وقد أراهم مناسكهم، وأَعْلَمَهم ما فرض الله عليهم مِنْ حجهم: من الموقف، ورمي الجمار، وطواف البيت، وما أُحِلَّ لهم مِن حجهم، وما حُرِّم عليهم. فكانت حجة البلاغ، وحجة الوداع، وذلك أن رسول الله ﷺ لم يحج بعدها.

فكانت شعاراً للمسلمين إلىٰ يوم القيامة، يعملون كما عمل صلىٰ الله علىٰ ذاته وصفاته.

۞ الخطبة التي خطبها النبي ﷺ في حجة الوداع:

ولَمّا كان الغد من يوم النحر كما قدّمنا، خطب النبي ﷺ علىٰ ناقته القصواء خطبته التي بَيَّنَ فيها ما بَيَّنَ، فحمد الله وأثنىٰ عليه بالذي هو أهل، ثم قال:

> أيها الناس، اسمعوا قولي فإني لا أدري لَعَلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً.
>
> أيها الناس، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلىٰ أن تلقوا ربكم كحُرْمة يومكم هذا، وكحرمة شهركم هذا.
>
> وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم وقد بَلَّغْتُ، فمَنْ كانت عنده أمانة فليُؤَدِّها إلىٰ مَن ائْتَمَنَه عليها.
>
> وإنّ كل رباً موضوع، ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تَظلمون ولا تُظلمون، قضىٰ الله أنه لا ربا، وإن ربا العباس بن عبد المطلب موضوع كله.

---

(١) يعني بمكة.

وأن كل دم في الجاهلية موضوع، وإن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وكان مُسْتَرْضَعاً في بني ليث فقَتَلَه هُذَيْل، فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية.

أما بعد أيها الناس، فإن الشيطان قد يئس مِنْ أن يُعبد بأرضكم هذه أبداً، ولكنه إنْ يُطَعْ فيما سوى ذلك فقد رضي به مِمّا تحقرون من أعمالكم، فاحذروه علىٰ دينكم.

أيها الناس، ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ[1] زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ﴾ [التوبة٣٧]، ويُحَرِّموا ما أحل الله.

وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً، منها أربعة حُرُم: ثلاثة متوالية: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان.

أما بعد أيها الناس، فإن لكم علىٰ نسائكم حقاً، ولهنّ عليكم حقاً. لكم عليهن أن لا يُوطِئْنَ فُرُشَكم أحداً تكرهونه، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مُبَيِّنة، فإنْ فعلن فإن الله قد أَذِنَ لكم أن تهجروهن في المضاجع، وتضربوهن ضرباً غير مُبَرِّح، فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف.

واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهن عندكم عوان[2] لا يملكن لأنفسهن شيئاً. وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله، واسْتَحْلَلْتُم فروجهن بكلمات الله.

فاعقلوا أيها الناس قولي فإني قد بلغتُ، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً، أمراً بَيِّناً، كتاب الله وسنة نبيه.

---

(١) هو أن يستحلوا القتال بالشهور الحُرُم ثم يأخذوا مكانها شهوراً حلالاً.

(٢) أي أسرى.

فالمرأة وصية النبيﷺ، ومَنْ أَكْرَمَها أكرم النبيﷺ. ولكن يكون إكرامها بحدود الشريعة، فلا إفراط ولا تفريط.

أيها الناس، اسمعوا قولي واعقلوه، تَعْلَمُنَّ أن كل مسلم أخ للمسلم، وأن المسلمين إخوة، فلا يحل لامرئ مِن أخيه إلاّ ما أعطاه عن طيب نفس منه، فلا تَظْلِمُنَّ أنفسكم.

ثم قال: اللهم هل بَلَّغْتُ؟ فقال الناس: اللهم نعم، فقال: اللهم اشهد. ثم قالوا له: كأنها وصية مُوَدِّع؟ قال: نعم.

ذِكْر عُمَره ﷺ:

روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: اعتمر النبي ﷺ أربع عُمَرٍ:

١- عمرة الحديبية - التي مُنعَ منها -، وهي عمرة الحَصْر.

٢- وعمرة القضاء مِن قابل.

٣- وعمرة الجعرّانة.

٤- والتي مع حجته.

وفاة النبي ﷺ
وانتقاله للرفيق الأعلى

قال النويري في تاريخه: وكان مِمّا اسْتُدِلّ به علىٰ اقتراب أَجَل رسول الله ﷺ: نزول سورة النصر، وتتابع الوحي، وتكرار عرض القرآن علىٰ جبريل، واستغفار رسول الله ﷺ لأهل البقيع والشهداء.

رُوِيَ عن ابن عباس رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب سأل عن قول الله عز وجل: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ ﴾ [النصر]، فقال بعض أصحاب رسول الله ﷺ: أُمِرْنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نَصَرَنا الله وفَتَحَ علينا، وقال بعضهم: فَتْح المدائن والقصور، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً. قال عمر: كذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أَجَلُ رسول الله ﷺ أَعْلَمَهُ له، قال: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ ﴾ وذاك علامة أَجَلك، ﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣ ﴾ [النصر]، فقال عمر رضي الله عنه: ما أعلم منها إلاّ ما تقول[1].

وعنه كذلك قال: لَمّا نزلت ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ ﴾، دعا رسول الله ﷺ فاطمة فقال: إنه نُعِيَتْ إليَّ نفسي. قالت: فبكيتُ، فقال: لا تبكي، فإنك أول أهلي بي لحوقاً. فضحكتُ[2].

وروى ابن سعد بسنده إلىٰ أنس بن مالك رضي الله عنه أن الله تبارك وتعالىٰ تابع الوحيَ علىٰ رسول الله ﷺ قبل وفاته حتىٰ توفي، وأكثر ما كان الوحي في يوم توفي رسول الله ﷺ.

وروى ابن سعد في طبقاته عن يزيد بن زياد قال: قال رسول الله ﷺ في السنة التي قُبِضَ فيها لعائشة: إن جبريل كان يعرض عليَّ القرآن في كل سنة مرة، فقد عرض عليّ

---

(١) رواه البخاري والحاكم والطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية.

(٢) رواه البيهقي والدارمي والطبراني وابن سعد في طبقاته.

العام مرتين، وإنه لم يكن نبي إلاّ عاش نصف عمر أخيه الذي كان قبله. عاش عيسىٰ بن مريم مائة وخمساً وعشرين سنة، وهذه اثنتان وستون سنة ومات في نصف السنة.

وروى ابن سعد كذلك عن عطاء بن يسار أن رسول الله ﷺ أُتِيَ فقيل له: اذهب فصَلِّ علىٰ أهل البقيع، ففعل ذلك ثم رجع فرَقَد، فقيل له: اذهب فصَلِّ علىٰ الشهداء، فذهب إلىٰ أُحُد فصلّىٰ علىٰ قتلىٰ أُحُد، فرجع معصوب الرأس، فكان بُدُوّ الوجع الذي مات فيه ﷺ.

❁ مرض موته ﷺ:

كان ابتداء وجع رسول الله ﷺ في يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من صفر سنة إحدى عشرة من الهجرة، وقيل: لليلة بقيت من صفر.

يروى عن عبيد الله بن عبدالله بن عتبة عن عائشة قالت: أول ما اشتكىٰ رسول الله ﷺ في بيت ميمونة، فاستأذن أزواجَه أن يُمَرَّضَ في بيتي، فأَذِنَّ له[1].

وفي رواية أخرى عنها قالت: لَمّا اشتكىٰ رسول الله ﷺ فقال نساؤه: انظر حيث تحب أن تكون فيه نحن نأتيك، قال ﷺ: أَوَكُلُّكُنّ علىٰ ذلك؟ قلن: نعم، فانتقل إلىٰ بيت عائشة فمات فيه ﷺ[2].

وفي حديث عروة عن عائشة قالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ في اليوم الذي بُدِئَ فيه فقلت: وارأساه، قال: لَوَدِدْتُ أنّ ذلك كان وأنا حيٌّ فأُصَلِّي عليكِ وأدفنكِ، فقلت غَيْرَى: كأني بك في ذلك اليوم مُعَرِّساً ببعض نسائك، قال: أنا وارأساه، ادْعِي لي أباك وأخاك حتىٰ أكتب لأبي بكر كتاباً، فإني أخاف أن يَتَمَنَّىٰ مُتَمَنٍّ ويقول قائل، ويأبىٰ الله والمؤمنون إلاّ أبا بكر[3].

وعن عبيد الله بن عبدالله بن عتبة عن عائشة قالت: رجع رسول الله ﷺ من جنازة

---

(١) رواه مسلم وأحمد وأبو عوانة وأبو يعلىٰ وعبد الرزاق.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه.

(٣) رواه مسلم والنسائي وأحمد والبيهقي والطبراني في الأوسط وأبو نعيم، وأخرجه البخاري من حديث القاسم بن محمد عن عائشة.

بالبقيع وأنا أجد صداعاً في رأسي، وأنا أقول: وارأساه، فقال: بل أنا يا عائشة وارأساه. ثم قال: ما ضَرُّكِ لو متِّ قبلي فغسّلتُكِ وكفّنتُكِ وصَلَّيْتُ عليكِ ثم دفنتُكِ؟ قلت: لكأني بك والله لو فعلت ذلك قد رجعتَ إلىٰ بيتي فأَعْرَسْتَ فيه ببعض نسائك، فتبسّم رسول الله ﷺ، ثم بُدِئَ في مرضه الذي مات فيه[1].

وفي رواية: وتتامّ به وجعه حتىٰ استُعِزَّ به وهو في بيت ميمونة، فدعا نساءه فسألهن أن يَأْذَنَّ له أن يُمَرَّض في بيتي، فأَذِنَّ له. فخرج رسول الله ﷺ يمشي بين رجلين من أهله أحدهما الفضل بن عباس ورجل آخر، تخط قدماه، عاصباً رأسه حتىٰ جاء بيتي. قال عبيد الله: فحدثتُ هذا الحديث عبدالله بن عباس قال: تدري من الرجل الآخر؟ قلت: لا، قال: علي[2].

وعن عائشة رضي الله عنها كذلك قالت: لَمّا ثقل رسول الله ﷺ جاء بلال يؤذنه بالصلاة، فقال: مُرُوا أبا بكر فليُصَلِّ بالناس. فقلت: يا رسول الله، إنّ أبا بكر رجل أَسِيفٌ[3]، وإنه متىٰ يَقُمْ مقامك لا يُسْمِعِ الناس، فلو أَمَرْتَ عمر. فقال: مُرُوا أبا بكر فليصلِّ بالناس. قالت: فقلت لحفصة: قولي له: إنّ أبا بكر رجل أَسِيف، وإنه متىٰ يَقُمْ مقامك لا يُسْمِعِ الناس، فلو أَمَرْتَ عمر. فقالت له، فقال رسول الله ﷺ: إنكن لأنتنّ صواحب يوسف، مُرُوا أبا بكر فليصلِّ بالناس. قالت: فأمروا أبا بكر يُصَلّي بالناس، فلما دخل في الصلاة وجد رسول الله ﷺ من نفسه خِفّة، فقام يُهادي بين رجلين ورِجْلاه تخطّان في الأرض، فلما دخل المسجد سمع أبو بكر حِسَّه، فذهب يتأخّر، فأَوْمَأَ إليه رسول الله ﷺ أَقِمْ مكانك، فجاء رسول الله ﷺ حتىٰ جلس عن يسار أبي بكر. قالت: فكان رسول الله ﷺ يُصَلِّي بالناس جالساً وأبو بكر قائماً، يقتدي أبو بكر بصلاة النبي ﷺ، ويقتدي الناس بصلاة أبي بكر[4].

---

(١) أخرجه ابن ماجة والنسائي وأحمد والدارقطني والبيهقي، وإسناد رجاله ثقات.

(٢) رواه أبو يعلىٰ.

(٣) أي ضعيف.

(٤) رُوِيَ هذا الحديث عن عائشة من غير وجه، وأخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين واللفظ لمسلم، ورواه أحمد والنسائي والبيهقي وابن حبان وابن سعد في طبقاته، وكذلك ابن ماجة والترمذي والطبراني وغيرهم. =

وعن عبيد الله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود قال: دخلتُ علىٰ عائشة فقلت لها: حَدِّثيني عن مرض رسول الله ﷺ. قالت: لَمّا ثقل رسول الله ﷺ فقال: أَصَلَّىٰ الناس؟ فقلت: لا هم ينتظرونك يا رسول الله، قال: ضعوا لي ماء في المخضب. قالت: ففعلنا فاغتسل، ثم ذهب لينوء فأُغْمِيَ عليه، ثم أفاق فقال: أَصَلَّىٰ الناس؟ فقلت: لا هم ينتظرونك، فقال: ضعوا لي ماء في المخضب. قالت: ففعلنا فاغتسل، ثم ذهب لينوء فأُغْمِيَ عليه، ثم أفاق فقال: أَصَلَّىٰ الناس؟ فقلت: لا هم ينتظرونك، فقال: ضعوا لي ماء في المخضب. قالت: ففعلنا فاغتسل، ثم ذهب لينوء فأُغْمِيَ عليه، ثم أفاق فقال: أَصَلّىٰ الناس؟ فقلت: لا هم ينتظرونك، والناس عُكوف في المسجد ينتظرون رسول الله ﷺ لصلاة العشاء الآخرة. قالت: فأرسل رسول الله ﷺ إلىٰ أبي بكر بأن يُصَلِّيَ بالناس، فأتاه الرسول فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تصلي بالناس، فقال أبو بكر وكان رجلاً رقيقاً:

ولقد استدلّ مالك والشافعي وجماعة من العلماء ومنهم البخاري بصلاته ﷺ قاعداً وأبو بكر مقتدياً به قائماً والناس بأبي بكر، علىٰ نسخ قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث المتفق عليه حين صلّىٰ ببعض أصحابه قاعداً وقد وقع عن فرس فجُحِشَ شِقُّه - أي جُرِحَ وانكسر -، فصلّوا وراءه قياماً، فأشار إليهم أن اجلسوا. فلما انصرف قال: كذلك والذي نفسي بيده تفعلون كفعل فارس والروم، يقومون علىٰ عظمائهم وهم جلوس، وقال: إنما جُعِلَ الإمام لِيُؤْتَمَّ به، فإذا كَبَّر فكَبِّروا، وإذا ركع فاركعوا، وإذا رفع فارفعوا، وإذا سجد فاسجدوا، وإذا صلّىٰ جالساً فصلّوا جلوساً أجمعون. قالوا: ثم إنه عليه الصلاة والسلام أَمَّهم قاعداً وهم قيام في مرض الموت، فدلّ علىٰ نسخ ما تقدم، والله أعلم. وقد تَنَوَّعَت مسالك الناس في الجواب عن هذا الاستدلال علىٰ وجوه كثيرة، ومُلَخَّص ذلك:

١- أنَّ مِنَ الناس مَنْ زعم أن الصحابة جلسوا لأمره المتقدم، وإنما استمرّ أبو بكر قائماً لأجل التبليغ عنه ﷺ.

٢- ومِنَ الناس مَنْ قال: بل كان أبو بكر هو الإمام في نفس الأمر كما صرّح به بعض الرواة، وكان أبو بكر لشدة أَدَبه مع الرسول ﷺ لا يُبادره بل يقتدي به، فكأنه عليه الصلاة والسلام صار إمام الإمام، فلهذا لم يجلسوا لاقتدائهم بأبي بكر وهو قائم، ولم يجلس الصديق لأجل أنه إمام، ولأنه يُبَلِّغُهم عن النبي ﷺ الحركات والسكنات والانتقالات، والله أعلم.

٣- ومِنَ الناس مَنْ قال: فَرْقٌ بين أن يبتدئ الصلاة خلف الإمام في حال القيام فيستمر فيها قائماً وإنْ طَرَأَ جلوس الإمام في انتهائها كما في هذه الحالة، وبين أن يبتدئ الصلاة خلف إمام جالس فيجب الجلوس للحديث المتقدم، والله أعلم.

٤- ومِنَ الناس مَنْ قال: هذا الصنيع والحديث المتقدم دليل علىٰ جواز القيام والجلوس، وأن كلاً منهما سائغ جائز، والجلوس لِما تقدم، والقيام للفعل المتأخر، والله أعلم بالصواب.

يا عمر، صَلِّ بالناس. فقال عمر: أنت أَحَقّ بذلك. فصلّىٰ أبو بكر تلك الأيام، ثم إنّ النبيﷺ وجد مِن نفسه خِفّة، فخرج بين رجلين أحدهما العباس، فصلّىٰ الظهر وأبو بكر يصلي بالناس، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر، فأَوْمَأَ إليه النبيﷺ أن لا يتأخر، وقال لهما: أَجْلِساني إلىٰ جنبه، فأجلساه إلىٰ جنب أبي بكر، فجعل أبو بكر يُصَلّي وهو قائم بصلاة النبيﷺ والناس يُصَلّون بصلاة أبي بكر، والنبيﷺ قاعد[١].

وعن ابن أبي مليكة أنَّ عبيد بن عمير الليثي حدّثه أن رسول اللهﷺ في مرضه الذي توفي فيه أَمَرَ أبا بكر أن يصلي بالناس، فلما افتتح أبو بكر الصلاة وجد رسول اللهﷺ خِفّة فخرج، فجعل يفرج الصفوف، فلما سمع أبو بكر الحِسّ عَلِمَ أنه لا يتقدم ذلك التقدم إلاّ رسول اللهﷺ، وكان أبو بكر لا يلتفت في صلاته، فنخس إلىٰ الصف وراءه، فردّه رسول اللهﷺ إلىٰ مكانه، فجلس رسول اللهﷺ إلىٰ جنب أبي بكر وأبو بكر قائم. فلما فرغا من الصلاة قال أبو بكر: أيْ رسول الله، أراك أصبحتَ بحمد الله صالحاً، وهذا يوم ابنة خارجة[٢]. فأَذِنَ له رسول اللهﷺ، وجلس رسول اللهﷺ في مُصَلاّه أو إلىٰ جانب الحجر، فحذّر الناس الفتن[٣].

وعن ابن أبي مليكة قال: قال النبيﷺ في مرضه الذي مات فيه: ادْعُوا لي أبا بكر، فقالت عائشة: إن أبا بكر يغلبه البكاء، ولكنْ إن شئتَ دعونا لك ابن الخطاب. قال: ادْعُوا لي أبا بكر، قالت: إن أبا بكر يَرِقُّ، ولكنْ إن شئتَ دعونا لك ابن الخطاب. فقال: إنكن صواحب يوسف، ادعوا لي أبا بكر وابنه، فليكتب أن يطمع في أمر أبي بكر طامع أو يَتَمَنَّ مُتَمَنٍّ. ثم قال: يأبىٰ الله ذلك والمؤمنون، يأبىٰ الله ذلك والمؤمنون. قالت عائشة: فأبىٰ الله ذلك والمؤمنون، فأبىٰ الله ذلك والمؤمنون[٤].

---

(١) حديث متفق عليه أخرجه ورواه البخاري وأحمد والنسائي وابن حبان والدارمي والبيهقي وابن سعد في طبقاته وغيرهم.

(٢) هي امرأة لأبي بكر من الأنصار في بلحارث بن الخزرج.

(٣) أخرجه البيهقي والشافعي وابن سعد في طبقاته.

(٤) رواه ابن سعد في طبقاته.

وفي مرضه ﷺ كان بقي معه بعد التوزيع دنانير ستة، فكره أن يموت وعنده هذه الدنانير.

يروى عن موسىٰ بن جبير عن أبي أمامة بن سهل قال: دخلتُ أنا وعروة بن الزبير يوماً علىٰ عائشة فقالت: لو رأيتُما نبي الله ﷺ ذات يوم في مرض مرضه وكان له عندي ستة دنانير - قال موسىٰ: أو سبعة -، قالت: فأمرني نبي الله ﷺ أن أُفَرِّقَها، فشغلني وجع نبي الله ﷺ حتىٰ عافاه الله، ثم سألني عنها فقال: ما فعلت الستة - قال: أو السبعة -؟ قلت: لا والله، لقد كان شَغَلَني وجعك. فدعا بها ثم صفّها في كفه فقال: ما ظن نبي الله لو لقي الله عز وجل وهذه عنده[1].

وروى ابن إسحاق عن الزهري عن عبدالله بن كعب بن مالك أن رسول الله ﷺ بعد أنْ تَتامّ به وجعه حتىٰ غُمِرَ، فاجتمع إليه نساء من نسائه: أم سلمة وميمونة، ونساء من نساء المسلمين منهن أسماء بنت عُمَيْس، وعنده العباس عمه. فأجمعوا أنْ يَلُدُّوه[2]، وقال العباس: لأَلُدَّنَّهُ. قال: فلَدُّوه، فلما أفاق رسول الله ﷺ قال: مَنْ صنع هذا بي؟ قالوا: يا رسول الله، عَمُّك. قال: هذا دواء أَتَىٰ به نساءٌ جئن مِن نحو هذه الأرض - وأشار نحو أرض الحبشة -. قال: ولِمَ فعلتم ذلك؟ فقال عمه العباس: خشينا يا رسول الله أن يكون بك ذات الجَنْب[3]، فقال: إنَّ ذلك لَداء ما كان الله عز وجل ليقذفني به، لا يَبْقَ في البيت أحدٌ إلاّ لُدَّ إلاّ عَمِّي. فلقد لُدَّتْ ميمونة وإنها لصائمة لِقَسَم رسول الله ﷺ؛ عقوبة لهم بما صنعوا به.

وفي رواية ذكرها النويري في تاريخه عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: تَخَوَّفنا علىٰ رسول الله ﷺ ذات الجَنْب، وثَقُلَ فلَدَدْناه، فوَجَدَ خشونة اللّدِّ فأفاق فقال: ما صنعتم بي؟ قالوا: لَدَدْناك، قال: بماذا؟ قلنا: بالعود الهندي وشيءٍ مِنْ وَرْس وقطرات زيتٍ، فقال: مَنْ أمركم بهذا؟ قالوا: أسماء بنت عُمَيْس، قال: هذا طِبٌّ أصابَتْهُ بأرض الحبشة،

---

(١) رواه أحمد وابن حبان والبيهقي، وروى بنحوه ابن سعد في طبقاته من حديث المطلب بن عبدالله ولفظه: (ما فعلت تلك الذهب؟).

(٢) أي يجعلوا الدواء في شقّ فمه.

(٣) هي ورم حار يعرض للحجاب المستبطن للأضلاع.

لا يبقىٰ أحد في البيت إلاّ الْتُدَّ إلاّ ما كان مِنْ عَمٍّ رسول الله ﷺ - يعني العباس -. ثم قال: ما الذي كنتم تخافون عليّ؟ قالوا: ذات الجَنْب، قال: ما كان الله لِيُسَلِّطَها عليّ.

وفي رواية عن أُمِّ بشر بن البراء أنه ﷺ قال: ما كان الله لِيُسَلِّطَها علىٰ رسوله، إنها همزة من الشيطان، ولكنها مِنَ الأكلة التي أَكَلْتُها أنا وابنك، هذا أوانُ قَطَعَتْ أَبْهَري[1].

۞ خطبته الأخيرة ﷺ:

يروى أن رسول الله ﷺ خطب خطبة قبل موته كأنه كان مُوَدِّعاً، أَخْبَرَ بها المسلمين أنه منطلق إلىٰ ربه بعد أن بلّغ الرسالة وأدّى الدعوة.

يروى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ الناس وقال: إن الله تبارك وتعالىٰ خيّر عبداً بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عند الله. فبكىٰ أبو بكر وقال: بل نفديك بآبائنا وأمهاتنا، فعَجِبْنا لبكائه أن يخبر رسول الله ﷺ عن عَبْدٍ خيّره الله، فكان رسول الله ﷺ هو المُخَيَّر، وكان أبو بكر أَعْلَمَنا. فقال رسول الله ﷺ: إنَّ مِنْ أَمَنِّ الناس عليّ في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنتُ مُتّخذاً خليلاً غير ربي لاتّخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يَبْقَيَنّ في المسجد باب إلاّ سُدّ إلاّ باب أبي بكر[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه عاصباً رأسه بخرقة، فقعد علىٰ المنبر فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثم قال: إنه ليس من الناس أحد أَمَنَّ عليَّ في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة، ولو كنتُ متّخذاً من الناس خليلاً لاتّخذت أبا بكر خليلاً، ولكن خلّة الإسلام أفضل، سُدُّوا عني كل خَوْخة في هذا المسجد غير خَوْخة أبي بكر[3].

---

(١) كان مرّ معنا هذا الحديث في غزوة خيبر ص٣٤، وذكرنا أنها أم بشر بنت البراء، فتكون أخته وليست بأمه.

(٢) حديث متفق عليه رواه الشيخان البخاري ومسلم.

(٣) حديث صحيح متفق علىٰ صحته، خرّجه البخاري وأحمد وأبو حاتم، ورواه ابن حبان وابن سعد وأبو يعلىٰ وأبو نعيم.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ خطب الناس فقال: سُدُّوا هذه الأبواب الشارعة في المسجد إلاّ باب أبي بكر، إني لا أعلم أحداً أعظم عندي يداً في صحبته وذات يده مِن أبي بكر. فقال بعض الناس: سدوا الأبواب كلها إلاّ باب خليله، فقال ﷺ: إني رأيتُ علىٰ أبوابهم ظلمة، وعلىٰ باب أبي بكر نوراً، فكانت الآخرة أعظم عليهم من الأولىٰ[1].

وفي رواية أخرى عن معاوية بن صالح قال: فقال بعضهم: أَغْلَقَ أبوابنا وترك باب خليله، فقال رسول الله ﷺ: قد بلغني الذي قُلْتُمْ في باب أبي بكر، وإني أرى علىٰ باب أبي بكر نوراً، وأرى علىٰ أبوابكم ظلمة[2].

وعن أبي الحويرث قال: لَمّا أمر رسول الله ﷺ بالأبواب لِتُسَدَّ إلاّ باب أبي بكر، قال عمر: يا رسول الله، دعني أفتح كوة أنظر إليك حين تخرج إلىٰ الصلاة، فقال رسول الله ﷺ: لا[3].

وعن العباس بن عبد المطلب قال: يا رسول الله، ما لك فتحتَ أبواب رجال في المسجد، وما بالك سَدَدْتَ أبواب رجال في المسجد؟ فقال رسول الله ﷺ: يا عباس، ما فتحتُ عن أمري ولا سَدَدْتُ عن أمري[4].

ويروى عن أبي أمامة عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: إنَّ أَحْدَثَ عهدي بنبيكم ﷺ قبل وفاته بخمس، فسمعتُه يقول ويُحَرِّكُ كفَّه: إنه لم يكن نبي من قبلي إلاّ وقد كان له مِن أمته خليل، ألا وإن خليلي أبو بكر، وإن الله اتّخذني خليلاً كما اتّخذ إبراهيم خليلاً[5].

وعن ابن أبي مليكة عن عبيد بن عمير الليثي يُحَدِّث عن رسول الله ﷺ في مرضه الذي توفي فيه قال: وجلس رسول الله ﷺ في مُصَلاّه أو إلىٰ جنب المنبر فحذّر الناس الفتن، ثم

---

(١) رواه ابن عدي في الكامل، وبنحوه ابنُ سعد في طبقاته من حديث يحيىٰ بن سعيد.

(٢) رواه ابن سعد في طبقاته.

(٣) رواه ابن سعد في طبقاته.

(٤) رواه ابن سعد في طبقاته.

(٥) رواه ابن سعد في طبقاته.

نادى بأعلىٰ صوته حتىٰ إن صوته لَيَخْرُجُ من باب المسجد، فقال: إني والله لا يمسك الناس عليّ بشيء، لا أُحِلّ إلاّ ما أَحَلَّ الله في كتابه، ولا أُحَرِّمُ إلاّ ما حَرَّمَ الله في كتابه. ثم قال: يا فاطمة بنت محمد، ويا صفية عمة رسول الله، اعْمَلا لِما عند الله فإني لا أغني عنكما من الله شيئاً. ثم قام من مجلسه ذلك، فما انتصف النهار حتىٰ قبضه الله[١].

۞ وصاياه ﷺ التي وصّىٰ بها في مرضه الأخير:

يروى عن سعيد بن جبير قال: قال ابن عباس: يوم الخميس وما يوم الخميس، ثم بكىٰ حتىٰ بل دمعه الحصىٰ، فقلت: يا ابن عباس، وما يوم الخميس؟ فقال: اشتدّ برسول الله ﷺ وَجَعُه فقال: ائتوني أكتب لكم كتاباً لا تَضِلّوا بعدي. فتنازعوا وما ينبغي عند نبي تنازع، وقالوا: ما شأنه أَهَجَرَ؟ اسْتَفْهِمُوه. فقال: دعوني فالذي أنا فيه خير مِمّا تدعونني إليه. ثم قال: أُوصِيكم بثلاث: أَخْرِجوا المشركين من جزيرة العرب، وأَجِيزوا الوفد بنحو ما كنت أُجيزهم. قال: وسكت عن الثالثة، أو قالها فأُنْسِيتُها[٢].

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول: لا يموتنّ أحدكم إلاّ وهو يحسن الظن بالله عز وجل[٣].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مرّ أبو بكر والعباس رضي الله عنهما بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون، فقال: ما يُبكيكم؟ قالوا: ذكرنا مجلس النبي ﷺ منا. فدخل علىٰ النبي ﷺ فأخبره بذلك، فخرج النبي ﷺ وقد عصب علىٰ رأسه حاشية بُرْد، فصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك اليوم، فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال: أُوصِيكم بالأنصار فإنهم كَرِشي وعَيْبَتي[٤]، وقد قَضَوا الذي عليهم وبقي الذي لهم، فاقْبَلوا مِن مُحْسنهم وتجاوزوا عن مُسِيئهم[٥].

---

(١) رواه ابن سعد في طبقاته، وأخرج البيهقي والشافعي بنحوه.

(٢) حديث متفق عليه أخرجه البخاري ومسلم واللفظ له، ورواه النسائي وأحمد والبيهقي وأبو يعلىٰ وابن سعد وغيرهم.

(٣) أخرجه الإمام أحمد ومسلم وأبو داود وابن ماجة، ورواه البيهقي وابن حبان وأبو يعلىٰ والطبراني في الأوسط وغيرهم.

(٤) أي خاصّتي.

(٥) رواه البخاري والنسائي وابن حبان والبيهقي والضحاك، وروى بنحوه الطبراني في الكبير من حديث زيد بن سعد عن أبيه، وابن سعد في طبقاته من حديث عبدالله بن كعب عن بعض أصحاب النبي ﷺ.

وعن قتادة عن أنس رضي الله عنهما قال: كان عامة وصية رسول الله ﷺ حين حضره الموت: الصلاة وما ملكتْ أيمانكم، حتىٰ جعل رسول الله ﷺ يُغَرْغِرُ بها في صدره، وما يكاد يفيض بها لسانه[1].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: نَعَىٰ لنا نبينا وحبيبنا نفسه قبل موته بشهر، بأبي هو وأمي ونفسي له الفداء. فلما دنا الفراق جَمَعَنا في بيت أمنا عائشة، وتَشَدَّدَ لنا فقال: مرحباً بكم حيّاكم الله بالسلام، رحمكم الله، حفظكم الله، رزقكم الله، رفعكم الله، نفعكم الله، آداكم[2] الله، وقاكم الله. أُوصِيكم بتقوى الله، وأُوصِي الله بكم وأَسْتَخْلِفُه عليكم، وأُحَذِّرُكم الله إني لكم منه نذير مبين، ألاّ تعلوا علىٰ الله في عباده وبلاده، فإنه قال لي ولكم: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [القصص]، وقال: ﴿ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الزمر]. قلنا: يا رسول الله، متىٰ أَجَلُكَ؟ قال: دنا الفراق والمنقلب إلىٰ الله، وإلىٰ جنة المأوى، وإلىٰ سدرة المنتهىٰ، وإلىٰ الرفيق الأعلىٰ، والكأس الأَوْفىٰ، والحظ والعيش المُهَنَّىٰ. قلنا: يا رسول الله، مَنْ يغسلك؟ فقال: رجال من أهلي الأدنىٰ فالأدنىٰ. قلنا: يا رسول الله، ففيمَ نُكَفِّنُك؟ فقال: في ثيابي هذه إن شئتم، أو ثياب مصر، أو في حُلّة يمانية. قلنا: يا رسول الله، مَنْ يُصَلِّي عليك؟ وبكينا وبكىٰ، فقال: مهلاً رحمكم الله وجزاكم عن نبيكم خيراً، إذا أنتم غسّلتموني وكفّنتموني فضعوني علىٰ سريري هذا، علىٰ شَفة قبري في بيتي هذا، ثم اخرجوا عني ساعة، فإنّ أول مَنْ يُصَلّي عليّ حبيبي وخليلي جبريل، ثم ميكائيل، ثم إسرافيل، ثم مَلَك الموت معه جنوده، ثم الملائكة بأجمعها، ثم ادخلوا فوجاً فوجاً، فصلّوا عليَّ وسَلِّموا تسليماً، ولا تؤذوني بتزكية ولا بِرَنّة[3]، وليبتدئ بالصلاة عليّ رجال

---

(١) أخرجه النسائي في كتاب الوفاة وأحمد وابن ماجة وابن سعد وابن حبان والبيهقي وأبو يعلىٰ، ورواه الطبراني عن ابن عمر. وله شاهد من حديث علي أخرجه أبو داود وابن ماجة بلفظ: (كان آخر كلامه: الصلاة الصلاة، اتقوا الله فيما مَلَكَتْ أيمانكم).

(٢) أي قوّاكم.

(٣) الرّنّة: الصيحة الشديدة والصوت الحزين عند البكاء.

أهلي، ثم نساؤهم، ثم أنتم بعد، وأَقْرِئوا السلام علىٰ مَنْ غاب مِن أصحابي، وأَقْرِئوا السلام علىٰ مَنْ يتبعني علىٰ ديني مِن قومي هذا إلىٰ يوم القيامة. قلنا: يا رسول الله، فمَنْ يُدْخِلُك قبرك؟ قال: أهلي مع ملائكة كثيرين يرونكم من حيث لا ترونهم[١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: أَمَرَنا رسول الله ﷺ أن نَصُبَّ عليه مِن سبع قِرَب مِن سبع آبار ففعلنا، فلما اغتسل وجد الراحة فصلّىٰ بالناس، ثم خطبهم واستغفر للشهداء من أصحاب أُحُد ودعا لهم، ثم أَوْصىٰ بالأنصار فقال: يا معشر المهاجرين، إنكم أصبحتم تزيدون، وأصبحت الأنصار لا تزيد علىٰ هيئتها التي هي عليها اليوم، هم عَيْبتي التي آويتُ إليها، أَكْرِموا كريمهم، وتجاوزوا عن مُسيئهم[٢].

وعن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: أُغْمِيَ علىٰ رسول الله ﷺ ساعة، ثم أفاق فقال: الله الله فيما ملكتْ أيمانكم، أَلْبِسوا ظهورهم، وأَشْبِعوا بطونهم، وأَلِينوا لهم القول[٣].

❁ وفاته ﷺ:

يروى عن أنس رضي الله عنه قال: لَمّا ثقل رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه أَسْنَدَتْهُ فاطمة رضي الله عنها إلىٰ صدرها، فجعل يتغشّاه الكَرْب، فقالت فاطمة: واكَرْبَ أبتاه، قال: إنه ليس علىٰ أبيك كَرْبٌ بعد اليوم. فلما مات قالت: يا أبتاه أجاب رباً دعاه، يا أبتاه في جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه أتىٰ جبريلُ يَنْعاه. فلما دُفِنَ قالت لي فاطمة: يا أنس، أَطابَتْ أنفسكم أن تحثوا علىٰ رسول الله ﷺ التراب[٤].

وأخبرنا سعيد بن المسيب في رجال من أهل العلم أن عائشة قالت: كان النبي ﷺ يقول وهو صحيح: إنه لم يُقْبَض نبي حتىٰ يَرى مقعده من الجنة ثم يُخَيَّرُ، فلما نزل به ورأسه

---

(١) رواه البزار والخطيب والطبراني في الأوسط وابن سعد، وذكره الطبري في تاريخه.

(٢) رواه ابن سعد في طبقاته، والطبري في تاريخه، والدارمي بنحوه والبزار ورجاله رجال الصحيح.

(٣) رواه الطبراني والديلمي وابن سعد بسند ضعيف، واللفظ لابن سعد.

(٤) رواه البخاري وانفرد بإخراجه، ورواه أيضاً البيهقي في سننه والخطيب في تاريخه وابن سعد في طبقاته.

علىٰ فخذي، غُشِيَ عليه ساعة ثم أفاق، فأشخص بصره إلىٰ سقف البيت ثم قال: اللهم الرفيق الأعلىٰ، فقلت: إذاً لا يختارنا، وعرفتُ أنه الحديث الذي كان يُحَدِّثنا وهو صحيح. قالت: فكانت آخر كلمة تكلّم بها: اللهم الرفيق الأعلىٰ[١].

وعن أبي بردة عن عائشة رضي الله عنها قالت: أُغْمِيَ علىٰ النبيﷺ وهو في حِجْري، فجعلتُ أمسحه وأدعو له بالشفاء، فأفاق فقال: بل أسأل الله الرفيق الأعلىٰ الأسعد، مع جبريل وميكائيل وإسرافيل[٢].

وعنها كذلك قالت: دخل عبد الرحمن بن أبي بكر علىٰ النبيﷺ وأنا مُسْنِدَتُه إلىٰ صدري، ومع عبد الرحمن سواكٌ رَطْب يَسْتَنّ به، فأَبَدَّهُ[٣] رسول اللهﷺ بَصَرَه، فأخذتُ السواك فقَضِمْتُه ونَفَضْتُهُ وطَيَّبْتُه، ثم دفعتُه إلىٰ النبيﷺ فاسْتَنَّ به، فما رأيت رسول اللهﷺ اسْتَنَّ اسْتِناناً قط أحسن منه. فما عدا أنْ فَرَغَ رسول اللهﷺ رفع يده أو إصْبَعَه ثم قال: في الرفيق الأعلىٰ ثلاثاً، ثم قضىٰ[٤]. وكانت تقول: مات بين حاقنتي وذاقنتي.

وعن الزهري عن عروة عن عائشة أيضاً قالت: رجع إليّ رسول اللهﷺ في ذلك اليوم حين دخل من المسجد فاضطجع في حجري، فدخل عليَّ رجل مِن آل أبي بكر وفي يده سواك أخضر، فنظر رسول اللهﷺ نظراً عرفتُ أنه يريده، قلت: يا رسول الله، أَتُحِبّ أن أعطيك هذا السواك؟ قال: نعم. قالت: فأخذتُه ثم أعطيته إيّاه، فاسْتَنّ به كأشد ما رأيته اسْتَنّ بسواك قَبْلُ، ثم وضعه ووجدتُ رسول اللهﷺ يتفل في حجري، فذهبت أنظر في وجهه، فإذا بصره قد شخص وهو يقول: بل الرفيق الأعلىٰ من الجنة، قلت: خُيِّرْتَ فاخترتَ والذي بعثك بالحق. قالت: وقُبِضَ رسول اللهﷺ[٥].

---

(١) رواه البخاري وابن سعد.

(٢) رواه النسائي والطبراني وابن سعد، وصححه ابن حبان.

(٣) أي مدّ نظره إليه، وفي نسخة: فأَمَدَّه.

(٤) رواه البخاري، وكذلك مسلم والحاكم والبيهقي من وجه آخر.

(٥) رواه الإمام أحمد والنسائي وأبو يعلىٰ وابن سعد، وذكره الطبري في تاريخه وابن هشام في السيرة النبوية.

وعن ابن أبي مليكة عن القاسم بن محمد عن عائشة قالت: فكان مِن نعمة الله عليّ وبلائه الحسن عندي أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي وفي يومي، وقُبِضَ بين سحري ونحري، وجُمِعَ بين ريقي وريقه عند الموت. قال القاسم: فقلت لها: قد عرفنا كلَّ الذي تقولين، فكيف جَمَعَ بين ريقك وريقه؟ قالت: دخل عبد الرحمن بن أم رومان أخي علىٰ رسول الله ﷺ يَعُودُه غداة يوم الإثنين وفي يده سواك رطب، وكان رسول الله ﷺ مُولَعاً بالسواك، فرأيت رسول الله ﷺ يُشْخِصُ بَصَرَه إليه، فقلت: يا عبد الرحمن، اقْضِم السواك فناوِلْنِيه. فمضغتُه ثم أَدْخَلْتُه في فِي رسول الله ﷺ فتسوك به، فجُمِعَ بين ريقي وريقه[1].

وفي رواية للبخاري قالت: فجَمَعَ الله بين ريقي وريقه في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة.

وفي رواية أخرى للبخاري كذلك قالت: فمات في اليوم الذي كان يدور عليَّ فيه في بيتي، وإنَّ رأسه لَبَيْن نَحْري وسحري، وخالط ريقُه ريقي.

ويروى عن محمد بن جعفر عن أبيه قال: لَمّا بقي مِن أجله ﷺ ثلاث ليال، نزل عليه جبريل الأمين فقال: يا أحمد، إن الله أرسلني إليك إكراماً لك، وتفضيلاً لك، وخاصّة لك، يسألك عمّا هو أعلم به منك، يقول لك: كيف تجدك؟ قال: أجدني يا جبريل مغموماً، وأجدني يا جبريل مكروباً. فلما كان من اليوم الثاني، هبط إليه جبريل فقال له مِثْلَ ذلك، وأجابه رسول الله ﷺ بِمِثْل ما أجابه به بالأمس. فلما كان من اليوم الثالث، نزل إليه جبريل وهبط معه مَلَك الموت، ونزل معه مَلَك يقال له: إسماعيل يسكن الهواء، لم يصعد إلىٰ السماء قط ولم يهبط إلىٰ الأرض منذ يوم كانت الأرض، علىٰ سبعين ألف مَلَك، ليس منهم مَلَك إلاّ علىٰ سبعين ألف مَلَك. فسبقهم جبريل فقال: يا أحمد، إن الله أرسلني إليك إكراماً لك، وتفضيلاً لك، وخاصّة لك، يسألك عمّا هو أعلم به منك، يقول لك: كيف تجدك؟ فقال: أجدني يا جبريل مغموماً، وأجدني يا جبريل مكروباً. ثم استأذن مَلَك الموت، فقال جبريل: يا أحمد، هذا مَلَك الموت يستأذن عليك، ولم يستأذن

---

(١) رواه ابن سعد في طبقاته، والطبراني في الكبير.

علىٰ آدمي كان قبلك، ولا يستأذن علىٰ آدمي بعدك. قال: ائْذَنْ له، فدخل مَلَك الموت فوقف بين يدي رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، يا أحمد، إن الله أرسلني إليك وأمرني أن أُطيعك في كل ما تأمرني به، إنْ أمرتَني أن أقبض نفسك قبضتُها، وإنْ أمرتَني أن أتركها تركتُها. قال: أَوَتفعل يا مَلَك الموت؟ قال: بذلك أُمِرْتُ أن أُطيعك في كل ما أمرتَني، فقال جبريل: يا أحمد، إن الله قد اشتاق إليك. فقال ﷺ: فامْضِ يا مَلَك الموت لِما أُمِرْتَ به، فقال جبريل: السلام عليك يا رسول الله، هذا آخر موطئي الأرض، إنما كنتَ حاجتي من الدنيا. فتوفي رسول الله ﷺ، وجاءت التعزية من السماء يسمعون الصوت والحس ولا يرون الشخص: السلام عليكم يا أهل البيت ورحمة الله وبركاته، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ﴾ [آل عمران١٨٥]. إن في الله عزاءً مِن كل مصيبة، وخَلَفاً مِن كل هالك، ودَرَكاً مِن كل ما فات، فبالله فثِقُوا، وإيّاه فارجوا، إنما المُصاب مَنْ حُرِم الثواب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[1].

وهكذا توفي رسول الله ﷺ وانطلقت روحه الطاهرة إلىٰ ربها هانئة راضية مرضية، ورُفِعَتْ إلىٰ سدرة المنتهىٰ، بل إلىٰ ما هو أعلىٰ من ذلك. وأتت الملائكة تُعَزِّي أفواجاً أفواجاً، وأتىٰ كذلك عدد كبير من الصالحين كالخضر وإلياس عليهما السلام.

يروى عن أنس رضي الله عنه قال: لَمّا قُبِضَ رسول الله ﷺ أَحْدَقَ به أصحابه، فبكوا حوله واجتمعوا، فدخل رجل أَصْهَب اللحية جسيم صبيح، فتخطّا رقابهم فبكىٰ، ثم التفت إلىٰ أصحاب رسول الله ﷺ فقال: إن في الله عزاء من كل مصيبة، وعِوَضاً من كل فائت، وخَلَفاً من كل هالك، فإلىٰ الله فأَنِيبُوا، وإليه فارغبوا، ونظرة إليكم في البلاء فانظروا، فإنما المصاب مَنْ لم يجبر. وانصرف، فقال بعضهم لبعض: تعرفون الرجل؟ فقال أبو بكر وعلي: نعم، هذا أخو رسول الله ﷺ الخضر عليه السلام[2].

وكانت وفاته ﷺ كما جاء في الأحاديث المتقدمة في حِجْر السيدة عائشة، وما بين

---

(١) رواه ابن سعد في طبقاته.

(٢) رواه الحاكم والطبراني بنحوه.

سحرها ونحرها، وذلك في يوم الإثنين حين اشتدّ الضحىٰ، في الوقت الذي دخل فيه المدينة، لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول، وسُجّيﷺ بثوب حِبَرة كما روي عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول اللهﷺ حين توفي سُجِّيَ ببُرْد حِبَرة[١].

ولَمّا ماتﷺ ارتبك وذُهِلَ المسلمون، ووقعوا في أمور كثيرة، منهم مَن أُخْرِسَ عن الكلام كعثمان، فلم يستطع أن يقول شيئاً لِما راعه من وفاة رسول اللهﷺ، فما تكلّم إلاّ بعد الغد. ومنهم مَنْ أُقْعِدَ واختفىٰ كعلي بطل الأبطال. ومنهم مَنْ أخذه الهيجان كعمر، فخرج عن طوره وأصبح لا يَعِي ما يقول. ومنهم مَنْ جعل يقول: لم يمت النبيﷺ، إنما هو بعض ما كان يأخذه عند الوحي[٢].

فبموت إنسان عادي يحصل لك أشياء كثيرة، فكيف بوفاة رسول اللهﷺ؟!

يروى عن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق قال: لَمّا شُكّ في موت النبيﷺ قال بعضهم: قد مات، وقال بعضهم: لم يمت. وضعتْ أسماء بنت عميس يدها بين كتفيهﷺ وهو مُسَجّىٰ وقالت: قد توفي رسول اللهﷺ، قد رُفِعَ الخاتم من بين كتفيه[٣].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: فبينما رأسه ذات يوم علىٰ منكبي إذ مال رأسه نحو رأسي، فظننت أنه يريد من رأسي حاجة، فخرجتْ مِن فِيهِ نطفة باردة فوقعتْ علىٰ ثغرة نحري، فاقْشَعَرّ لها جلدي، فظننت أنه غُشِيَ عليه فسَجَّيْتُه ثوباً، فجاء عمر والمغيرة بن شعبة فاستأذنا، فأذنتُ لهما وجذبتُ إليّ الحجاب، فنظر عمر إليه فقال: واغشياه، ما أشدّ غَشْي رسول اللهﷺ. ثم قاما، فلما دَنَوَا من الباب قال المغيرة: يا عمر، مات رسول اللهﷺ. قال: كذبتَ، بل أنت رجل تَحُوسُك فتنة، إن رسول اللهﷺ لا يموت حتىٰ يُفْنِيَ اللهعزوجل المنافقين[٤].

---

(١) حديث متفق عليه رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي.

(٢) رواه ابن ماجة من حديث ابن أبي مليكة عن عائشة.

(٣) رواه ابن سعد في طبقاته.

(٤) رواه أحمد وأبو يعلىٰ بنحوه وابن سعد وإسحاق بن راهويه في مسنده.

وخرج يومها عمر ورقىٰ المنبر، واجتمع الناس حوله، وتكلّم فقال: مَن قال إن محمداً قد مات لأَضْرِبَنّ عنقه.

ويروى عن أنس رضي الله عنه قال: فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: إن رسول الله ﷺ لم يمت، ولكنه أُرْسِلَ إليه كما أُرْسِلَ إلىٰ موسىٰ فمكث في قومه أربعين ليلة. والله إني لأرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتىٰ يقطع أيدي رجال من المنافقين وألسنتهم يزعمون أن رسول الله ﷺ قد مات[1].

وعن عكرمة قال: فقام عمر فقال: إن رسول الله ﷺ لم يمت، ولكن عُرِجَ بروحه كما عُرِجَ بروح موسىٰ، والله لا يموت رسول الله ﷺ حتىٰ يقطع أيدي أقوام وألسنتهم. فلم يزل عمر يتكلم حتىٰ ازْبَدّ شدقاه مِمّا يُوعِدُ ويقول[2].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لَمّا قُبِضَ رسول الله ﷺ كان أبو بكر في ناحية بالمدينة، فدخل علىٰ رسول الله ﷺ، فوضع فاه علىٰ جبين رسول الله ﷺ، فجعل يُقَبِّله ويقول: بأبي وأمي، طِبْتَ حيّاً وميتاً[3].

وعن أبي سلمة أن عائشة أخبرته أن أبا بكر رضي الله عنه أقبل علىٰ فرس من مسكنه بالسُّنح حتىٰ نزل فدخل المسجد، فلم يُكَلِّم الناس حتىٰ دخل علىٰ عائشة، فتيمّم رسول الله ﷺ وهو مُغَشّىٰ بثوب حِبَرة، فكشف عن وجهه ثم أكبّ عليه، فقبّله وبكىٰ، ثم قال: بأبي أنت وأمي، والله لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كُتِبَتْ عليك فقد مِتَّها[4].

وعن عائشة كذلك قالت: لَمّا توفي رسول الله ﷺ جاء أبو بكر فدخل عليه فرفعتُ الحجاب، فكشف الثوب عن وجهه فاسترجع فقال: مات والله رسول الله. ثم تحوّل قِبَل رأسه

---

(١) رواه الإمام أحمد وابن حبان وعبد بن حميد وعبد الرزاق، وغيرهم من وجوه أخرى مختلفة.

(٢) رواه الدارمي في سننه وابن سعد في طبقاته.

(٣) رواه البخاري في التاريخ عن ابن عمر، وفي الصحيح عن عائشة بزيادة: (والذي نفسي بيده لا يُذيقك الله الموتتين أبداً). ورواه البزار، وابن سعد في طبقاته ولفظه: (بأبي أنت وأمي، ما أَطْيَب حياتك وأطيب ميتتك !).

(٤) رواه البخاري وأحمد والنسائي وابن حبان.

فقال: وانبياه، ثم حدر فمه فقبّل وجهه، ثم رفع رأسه فقال: واخليلاه، ثم حدر فمه فقبّل جبهته، ثم رفع رأسه فقال: واصَفِيّاه، ثم حدر فمه فقبّل جبهته، ثم سجّاه بالثوب ثم خرج[١].

وعن أبي سلمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن أبا بكر خرج وعمر بن الخطاب يُكَلِّم الناس، فقال: اجلس يا عمر، فأبىٰ عمر أن يجلس، فقال: اجلس، فأَبَىٰ. فتشهّد أبو بكر رضي الله عنه فمال إليه الناس وتركوا عمر، فقال: أما بعد، فمَنْ كان منكم يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومَنْ كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران]. قال: والله لكأنّ الناس لم يعلموا أن الله أَنْزَلَ هذه الآية حتىٰ تلاها أبو بكر، فتلقّاها منه الناس كلهم، فما أسمع بشراً من الناس إلاّ يَتْلوها. فأخبرني سعيد بن المسيب أن عمر رضي الله عنه قال: والله ما هو إلاّ أنْ سمعتُ أبا بكر تلاها فعُقِرْتُ حتىٰ ما تُقِلُّني رِجْلايَ، وحتىٰ أَهْوَيْتُ إلىٰ الأرض، حين سمعتُه تلاها عَلِمْتُ أن النبي ﷺ قد مات[٢].

وفي رواية غيرها قال عمر: أَوَ إنها لفي كتاب الله؟ ما شعرت أنها في كتاب الله[٣]. حتىٰ ورد أن عبد الرحمن قال: ويحك إنها في آية كذا.

وفي رواية أخرى قال: فلكأني لم أقرأها إلاّ يومئذ[٤].

وفي رواية عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت: ثم خرج فقال: أيها الحالف علىٰ رِسْلِكَ، فلما تكلّم أبو بكر جلس عمر، فحمد اللهَ أبو بكر وأثنىٰ عليه وقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزمر][٥].

ثم قال أبو بكر: أيها الناس، اعبدوا الله وحده، واصبروا علىٰ مُصابكم. فأَيْقَنَ الناس

---

(١) رواه ابن سعد في طبقاته، وروى أحمد في مسنده وأبو يعلىٰ بنحوه.

(٢) رواه البخاري في صحيحه وابن حبان والحاكم بنحوه.

(٣) رواه أحمد وأبو يعلىٰ وابن سعد من حديث عائشة.

(٤) رواه ابن ماجة في سننه من حديث ابن أبي مليكة عن عائشة.

(٥) رواه البخاري وابن سعد.

موت النبيﷺ، وعزّى بعضهم بعضاً برسول اللهﷺ.

رُوِيَ عن سهل بن سعد قال: قال رسول اللهﷺ: سَيُعَزِّي الناس بعضهم بعضاً مِن بعدي التعزية بي. فكان الناس يقولون: ما هذا؟ فلما قُبِضَ رسول اللهﷺ لقي الناس بعضُهم يُعَزّي بعضاً برسول اللهﷺ[1].

ففي الحقيقة وقف الناس كلهم وقفة كانت مؤلمة وقد فارقوا أحب الناس إليهم، إنما الثبات والشجاعة والصلابة كل ذلك يظهر عند الابتلاء والشدائد، وعند وقوع البَلِيّة والمصيبة. فالكل كان ضائعاً سوى أبي بكر.

وقد بلغ سِنُّهﷺ الذي توفي عنه ثلاثاً وستين سنة، وقيل: خمساً وستين، وقيل: ستين سنة، إنما المعتمد الأول.

وقد توفيﷺ وهو راضٍ عن أُناس، وساخطٌ علىٰ أُناس. راضٍ عن المؤمنين، وساخط علىٰ المنافقين الذين لم يُلَبّوا ولم يسيروا علىٰ منهجه الصحيح.

❁ غُسْلهﷺ:

رُوِيَ أن أصحاب رسول اللهﷺ لَمّا ذكروا غُسْله، سمعوا مِن باب حجرته نداء وقائلاً يقول: لا تغسلوه فإنه طاهر مُطَهَّر. ثم سمعوا صوتاً آخر يقول: اغسلوه، فإن الذي نادى بكم ذلك إبليس وأنا الخضر، فغَسِّلوا نبيكم لتكون سُنّة مِن بعده. ثم عزّاهم فقال: إنّ في الله عزاء من كل مصيبة، وخَلَفاً من كل هالك، ودَرَكاً مِن كل فائت، فبالله فثِقُوا، وإيّاه فارجوا، فإن المصاب مَنْ حُرِمَ الثواب. ثم اختفىٰ بعد ذلك[2].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لَمّا أرادوا غُسْل رسول اللهﷺ قالوا: والله ما ندري، نُجَرِّد رسول اللهﷺ من ثيابه كما نُجَرِّد موتانا، أم نغسله وعليه ثيابه؟ فلما اختلفوا ألقىٰ الله عليهم النوم حتىٰ ما منهم رجل إلاّ وذقنه في صدره، ثم كلّمهم مُكَلِّمٌ مِن ناحية

---

(١) رواه البيهقي في شعبه، وأبو يعلىٰ والطبراني ورجالهما رجال الصحيح، وابن سعد في طبقاته، والذهبي.

(٢) ذكره النويري في تاريخه. وهذا الحديث يُعَدّ دليلاً علىٰ وجود الخضر، وأنه يعيش مع المسلمين حياة الإيمان والإسلام.

البيت لا يدرون مَنْ هو: أن اغسلوا النبيﷺ وعليه ثيابه، فقاموا إلىٰ رسول اللهﷺ فغسلوه وعليه قميصه، يصبون الماء فوق القميص ويدلكونه بالقميص دون أيديهم. وكانت عائشة تقول: لو استقبلتُ مِن أمري ما اسْتَدْبَرْتُ ما غسّل رسول اللهﷺ إلاّ نساؤه[١].

وعن بُرَيْدةرضي الله عنه قال: لَمّا أخذوا في غُسْل رسول اللهﷺ، ناداهم منادٍ من الداخل: لا تنزعوا عن النبيﷺ قميصه[٢].

وفي رواية أخرى عن مالك بن أنس قال: لَمّا كان عند غُسْل رسول اللهﷺ أرادوا نزع قميصه، فسمعوا صوتاً يقول: لا تنزعوا القميص، فلم يُنزع القميص وغُسِّل وهو عليه[٣].

وعن عبدالله بن الحارث قال: غَسَّلَ النبيَّﷺ عليٌّ، وعلىٰ يد عليٍّ خرقة، فأَدْخَلَ يده تحت القميص يُغَسِّله والقميص عليه[٤].

وعن عليرضي الله عنه قال: أَوْصاني النبيﷺ أن لا يُغَسِّله أحد غيري، فإنه يقول: لا يرى أحدٌ عورتي إلاّ طُمِسَتْ عيناه. قال علي: فكان الفضل وأسامة يناولاني الماء مِن وراء الستر وهما معصوبا العين[٥]، فما تناولتُ عضواً إلاّ كأنما يقلبه معي ثلاثون رجلاً حتىٰ فرغتُ من غسله[٦].

فكان إذاً الذي تولّىٰ غُسْل رسول اللهﷺ كما قدّمنا علي بن أبي طالب، والفضل بن العباس وأسامة بن زيد يحجبانه.

وقيل: غسله يومها عليٌّ، والعباس والفضل قاعدان.

وقيل: وقف العباس علىٰ باب الحجرة، وذلك أنه قال: كان النبيﷺ لا يحب أن يراه

---

(١) حديث صحيح علىٰ شرط مسلم أخرجه ورواه الإمام أحمد وأبو داود والحاكم وابن حبان والبيهقي وأبو يعلىٰ. زاد أحمد: (يُفاض عليه الماء والسدر). وزاد ابن حبان: (وكان الذي أَجْلَسَه في حِجْره علي بن أبي طالب، أَسْنَدَه إلىٰ صدره. قالت: فما رُئِيَ مِنْ رسول اللهﷺ شيء مِمّا يُرى من الميت).

(٢) رواه ابن ماجة والحاكم والبيهقي والذهبي وإسناده ضعيف.

(٣) رواه ابن سعد في طبقاته وابن أبي شيبة في مصنفه.

(٤) رواه الحاكم في مستدركه.

(٥) فما هناك أحد إلاّ وأَغْمَض عينيه؛ لأن الذي ينظر إلىٰ عورة رسول اللهﷺ يُعمىٰ في الحال.

(٦) رواه ابن سعد في طبقاته، وروى البزار بعضه.

أحد وهو في حالة غير مرضية.

وقيل: وَلِيَ غُسْله العباس، وعلي، والفضل، وصالح مولىٰ النبي ﷺ.

وقيل: اشترك في الغُسْل شقران، وحضر عقيل بن أبي طالب كذلك.

وقيل: أدخلوا يومها أَوْس بن خَوْلي، وحضر غُسْل النبي ﷺ بعد أن قال لعلي: أنشدك الله في حظنا من رسول الله ﷺ.

يقول علي كرم الله وجهه: لَمّا أَخَذْنا في جهاز رسول الله ﷺ أغلقنا الباب دون الناس جميعاً، فنادت الأنصار: نحن أخواله، ومكاننا من الإسلام مكاننا. ونادت قريش: نحن عُصْبته. فصاح أبو بكر: يا معشر المسلمين، كل قوم أَحَقّ بجنازتهم من غيرهم، فننشدكم الله فإنكم إنْ دخلتُم أَخَّرْتُموهم عنه، والله لا يدخل عليه أحد إلاّ مَنْ دُعِيَ[1].

فغسل عليٌّ النبي ﷺ ثلاث غسلات بماء وسدر، مِن بئر يقال لها: الغرس لسعد بن خيثمة في قباء، وكان ﷺ يشرب منها. وكان رضي الله عنه يغسله ويقول: بأبي أنت وأمي طِبْتَ حياً وطِبْتَ ميتاً.

يروى عن سعيد بن المسيب عن علي رضي الله عنه قال: غسّلتُ رسول الله ﷺ، فجعلتُ أنظر ما يكون من الميت فلم أَرَ شيئاً، وكان طيباً حياً وميتاً[2].

بئر غرس ويقع في الجهة الشرقية الشمالية من مسجد قباء علىٰ بعد نحو كيلومتر، وكان ﷺ يشرب منها ويُستَقَىٰ له منها، وقد أوصىٰ بغسله بمائها بعد وفاته ﷺ كما قيل

(١) رواه ابن سعد في طبقاته.

(٢) رواه ابن ماجة والبيهقي والحاكم وصحّحه.

۞ تكفينه وحَنُوطه ﷺ:

ورد في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ كُفِّنَ في ثلاثة أثواب بيض سحولية[١]، ليس فيها قميص ولا عمامة[٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ كُفِّنَ في ثلاثة أثواب: ثوبين أبيضين، وبُرْدة حِبَرة[٣].

وعنه كذلك قال: كُفِّنَ رسول الله ﷺ في بُرْدَيْن أبيضين، وبُرْدٍ أحمر[٤].

وعن جعفر بن محمد عن أبيه أن النبي ﷺ كُفِّنَ في ثلاثة أثواب: ثوبين صُحارِيَّيْن، وثوب حِبَرة[٥].

وعن علي بن الحسين قال: كُفِّنَ رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب أحدها حِبَرة[٦].

وعن عامر قال: كُفِّنَ رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب برود يمانية غلاظ: إزار، ورداء، ولِفافة[٧].

وعن قتادة عن الحسن أن النبي ﷺ كُفِّنَ في قطيفة وحُلّة حِبَرة[٨].

وعن أبي إسحاق قال: أتيتُ أشياخاً لبني عبد المطلب، فسألتهم بأيّ شيء كُفِّنَ رسول الله ﷺ؟ فقالوا: كُفِّنَ في حُلّة حمراء وقطيفة[٩].

أما حَنُوطه ﷺ فكان فيه المسك، وقد أبقىٰ عليٌّ منه شيئاً ادّخره لِحَنوطه إذا مات.

---

(١) نسبة إلىٰ سحول، بلد من بلاد اليمن.

(٢) رواه الأئمة الستة في كتبهم من حديث عائشة وابن حبان والبيهقي وابن سعد، وفي بعضها بزيادة: (مِن كُرْسف).

(٣) رواه أحمد والبيهقي وأبو نعيم وابن سعد.

(٤) رواه أحمد في مسنده والطبراني في الكبير وابن سعد في طبقاته.

(٥) رواه ابن سعد وابن عدي وعبد الرزاق وابن الجارود وابن أبي شيبة والطبري في تاريخه وغيرهم، ورواه البيهقي في سننه عن علي بن الحسين.

(٦) رواه ابن سعد وابن أبي شيبة والذهبي وعبد الرزاق.

(٧) رواه ابن سعد في طبقاته.

(٨) رواه ابن سعد في طبقاته.

(٩) رواه ابن سعد في طبقاته.

۞ الصلاة عليه ﷺ:

وبعد أن غُسِّلَ ﷺ وكُفِّنَ، وضعوه علىٰ شفة قبره وتركوا المكان ساعة كما كان قد أَوْصاهم النبي ﷺ، فصلّىٰ عليه جبريل، ثم ميكائيل، ثم إسرافيل، ثم الملائكة ذرافات وجماعات، ثم دخل أصحابه وصلّوا فرادى؛ حيث لم يكن لهم يومها إمام أو خليفة.

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: فلما فرغوا مِن جهازه يوم الثلاثاء وُضِعَ علىٰ سريره في بيته، ثم دخل الناس علىٰ رسول الله ﷺ أرسالاً يُصَلّون عليه، حتىٰ إذا فرغوا أَدْخَلوا النساء، حتىٰ إذا فرغوا أدخلوا الصبيان، ولم يَؤُمّ الناسَ علىٰ رسول الله ﷺ أحدٌ[1].

وذكر البيهقي عن الواقدي عن موسىٰ بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْمي قال: وجدت هذا في صحيفةٍ بخط أبي فيها: لَمّا كُفِّنَ رسول الله ﷺ ووُضِعَ علىٰ سريره، وبعد الملائكة دخل أبو بكر وعمر فقالا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، ومعهما نفر من المهاجرين والأنصار قدر ما يسع البيت، فسلّموا كما سلم أبو بكر وعمر، وصفّوا صفوفاً لا يؤمهم عليه أحد، فقال أبو بكر وعمر وهما في الصف الأول حيال رسول الله ﷺ: اللهم إنّا نشهد أنْ قد بَلَّغَ ما أُنْزِلَ إليه، ونَصَحَ لأُمَّتِه، وجاهد في سبيل الله حتىٰ أعزّ الله به دينه، وتَمَّتْ كلماته سبحانه، فأُومِنَ به بأنه رسول الله، وأُومِنُ بأن الله لا شريك له، فاجعلنا يا إلهنا مِمَّنْ يتّبع القول الذي أُنْزِلَ معه، واجمع بيننا وبينه حتىٰ يعرفنا ونعرفه، فإنه كان بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً، لا نبتغي بالإيمان بديلاً، ولا نشتري به ثمناً أبداً. فيقول الناس خلفهما: آمين آمين. ثم يخرجون ويدخل آخرون، حتىٰ صلّىٰ عليه الرجال والنساء والصبيان[2].

۞ قبره الشريف ﷺ:

لقد توفي ﷺ كما أسلفنا يوم الإثنين، فبقي إلىٰ يوم الأربعاء ودُفِنَ ليلتها.

---

(١) أخرجه ابن ماجة، ورواه الحاكم والبيهقي وابن حبان في الثقات وأبو يعلىٰ وابن عدي في الكامل.

(٢) رواه ابن سعد في طبقاته.

وقيل: دفن في يوم الثلاثاء حين زاغت الشمس، وقيل: في ليلة الثلاثاء.

والمعتمد ليلة الأربعاء، حيث لم يُدْفن ﷺ إلاّ بعد أن عيّنوا الخليفة من بعده؛ لأنه لو دُفِنَ قبل ذلك لضاعت الأمور.

وقد رُوِيَ أنّ أصحاب رسول الله ﷺ وأهل بيته اختلفوا في مكان دفنه، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لقد اختلف المسلمون في المكان الذي يُحْفَر له، فقال قائلون: يُدفن في مسجده، وقال آخرون: يُدفن مع أصحابه، فقال أبو بكر: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما قُبِضَ نبي إلاّ دُفِنَ حيث يُقبض. قال: فرفعوا فراش رسول الله ﷺ الذي توفي عليه، فحفروا له ثم دفن ﷺ وسط الليل من ليلة الأربعاء، ونزل في حفرته علي بن أبي طالب والفضل بن العباس، وقُثَم أخوه، وشقران مولىٰ رسول الله ﷺ[1].

وعن وهب بن جرير عن أبيه قال: سمعت الحسن يقول: كان المسلمون اختلفوا في دفن رسول الله ﷺ أين يُدفن؟ فقالت طائفة منهم: يُدفن في البقيع حيث اختاره رسول الله ﷺ لولده وللمسلمين، فقالوا: أتبرزون قبر رسول الله ﷺ، كلما أَحْدَثَ أحدٌ حَدَثاً عاذبه؟ وقالت طائفة: ندفنه في المسجد، فقالت عائشة: إن رسول الله ﷺ غُشِيَ عليه، فلما أفاق قال: قاتل الله أقواماً اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد. فعرفوا أن ذلك نَهْياً منه، فقالوا: يُدفن حيث اختار الله أن يُقبض روحه فيه، فحُفِرَ له في بيت عائشة[2].

ثم اختلف المسلمون في القبر أَشِقٌّ أم لَحْدٌ[3]؟ فوُضِعَ ﷺ في اللَّحْد.

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: لَمّا أرادوا أن يحفروا لرسول الله ﷺ بعثوا إلىٰ أبي عبيدة بن الجراح وكان يَضْرَح كضريح أهل مكة، وبعثوا إلىٰ أبي طلحة وكان هو الذي يحفر لأهل المدينة وكان يلْحد. فبعثوا إليهما رسولين فقالوا: اللهم خَرْ لرسولك، فوجدوا

---

(١) أخرجه ابن ماجة، ورواه الحاكم والبيهقي وابن حبان في الثقات وأبو يعلىٰ وابن عدي في الكامل.

(٢) رواه إسحاق بن راهويه في مسنده.

(٣) كان في المدينة حالتان للقبر: اللَّحْد والشِقّ، فاللَّحد هو حفرة في الجدار القبلي للقبر تَسَعُ الميت، والشِقّ يكون بنصف القبر.

أبا طلحة فجِيء به ولم يوجد أبو عبيدة، فلَحَدَ لرسول الله ﷺ[١].

وعن أنس رضي الله عنه قال: لَمّا توفي النبي ﷺ كان بالمدينة رجلان أحدهما يلْحد والآخر يَضْرَح، فقالوا: نستخير ربنا ونبعث إليهما، فأيّهما سَبَقَ تركناه. فأُرْسِلَ إليهما، فسَبَقَ صاحب اللَّحْد، فلَحَدوا للنبي ﷺ[٢].

وفي رواية لعائشة رضي الله عنها قالت: لَمّا مات رسول الله ﷺ اختلفوا في اللَّحْد والشِقّ حتىٰ تكلّموا في ذلك وارتفعت أصواتهم، فقال عمر رضي الله عنه: لا تصيحوا عند رسول الله ﷺ حياً ولا ميتاً - أو كلمة نحوها -، فأَرْسَلوا إلىٰ الشقاق واللاّحد، فجاء اللاّحد فلَحَدَ لرسول الله ﷺ ثم دُفِنَ[٣].

وهناك ذكاء دفع المغيرة بن شعبة أن يكون آخر الناس صلة برسول الله ﷺ. فبعد أن أُنْزِلَ ﷺ القبر ووُجِّهَ القبلة، وبعد أن خرج عليٌّ، قام المغيرة وطرح خاتمه في القبر عمداً لِيَمَسّ رسول الله ﷺ، ويكون آخر الناس به عهداً.

لهذا كان دائماً يُحَدِّث في الكوفة بعد أن استلم إمارتها يقول: أنا آخر الناس عهداً بالنبي ﷺ، لَمّا دُفِنَ النبي ﷺ وخرج عليٌّ من القبر، أَلْقَيْتُ خاتمي فقلت: يا أبا الحسن، خاتمي. قال: انزل فخُذْ خاتمك، فنزلت فأخذت خاتمي ووضعته علىٰ اللَّبِن وخرجتُ[٤].

وفي رواية أخرى قال: أَهِيلوا عليَّ التراب، فأهالوا عليه التراب حتىٰ بلغ أنصاف ساقيه فخرج. فلما سُوِّيَ علىٰ رسول الله ﷺ قال: اخرجوا حتىٰ أُغْلِقَ الباب فإني أَحْدَثُكم عهداً برسول الله ﷺ، فقالوا: لَعَمْري لئن كنتَ أردتَها لقد أَصَبْتَها[٥].

وروى بعضهم قال: فلما وُضِعَ في لحده ﷺ قال المغيرة: قد بَقِيَ من رجليه شيء لم

---

(١) أخرجه ابن ماجة، ورواه الحاكم والبيهقي وابن حبان في الثقات وابن عدي في الكامل وأبو يعلىٰ.

(٢) رواه ابن ماجة في سننه بإسناد صحيح رجاله ثقات.

(٣) أخرجه ابن ماجة بإسناد صحيح رجاله ثقات.

(٤) رواه ابن سعد والذهبي، وذكره الطبري في تاريخه وابن هشام في السيرة النبوية بإسناد حسن من وجه آخر.

(٥) رواه ابن سعد في طبقاته.

يصلحوه، قالوا: فادخل فأَصْلِحْه، فدخل وأدخل يده فمسّ قدميهﷺ، فقال: أَهِيلوا عليَّ التراب، فأهالوا عليه التراب حتىٰ بلغ أنصاف ساقيه ثم خرج. فكان يقول: أنا أَحْدَثُكم عهداً برسول اللهﷺ[1].

وقد رَثَتْهﷺ عمته صفية بهذه الأبيات[2]:

ألا يا رسول الله كنتَ رجاءنا ... وكنتَ بنا بَرّاً ولم تكن جافيا
وكنتَ رحيماً هادياً مُعَلِّماً ... لِيَبْكِ عليك اليوم مَنْ كان باكيا
لَعَمْرُك ما أَبْكِي النبيَّ لِفَقْدِهِ ... ولكنْ لِما أخشىٰ مِنَ الهَرج آتيا
كأنّ علىٰ قلبي لِذِكْرِ محمد ... وما خِفْتُ مِن بعد النبي المكاويا
أَفاطم صلّىٰ الله رب محمد ... علىٰ جَدَثٍ أمسىٰ بيثرب ثاويا
فدىً لرسول الله أمي وخالتي ... وعمي وآبائي ونفسي وماليا
أرى حَسَناً أَيْتَمْتَه وتَرَكْتَهُ ... يبكي ويدعو جده اليوم نائيا
صَدَقْتَ وبَلَّغْتَ الرسالة صادقاً ... ومتَّ صليب العود أَبْلَج صافيا
فلو أنَّ رَبَّ الناس أبقاك بيننا ... سَعِدْنا ولكن أَمْره كان ماضيا
عليك من الله السلام تحية ... وأُدْخِلْتَ جناتٍ من العدن راضيا

---

(١) رواه أحمد في مسنده ورجاله رجال الصحيح، وابن عبد البر في الاستيعاب، وابن سعد في طبقاته، وذكره ابن حجر في الإصابة.

(٢) وقيل: إن هذه الأبيات لأروى بنت عبد المطلب، وقد وَرَدَتْ بألفاظ مختلفة.

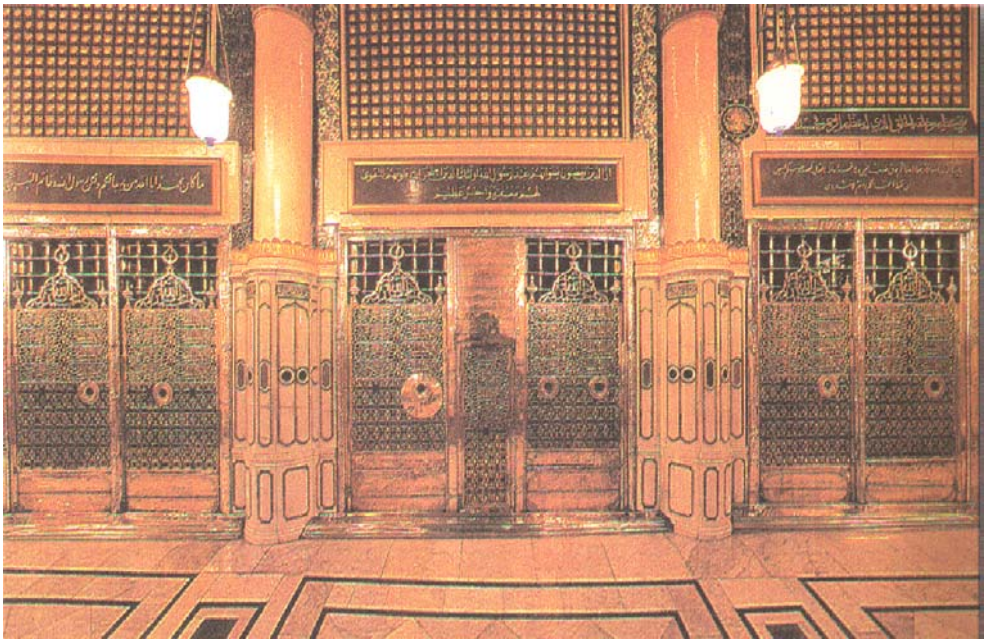

المواجهة الشريفة حيث يقف المسلمون لزيارة النبي ﷺ وصاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما

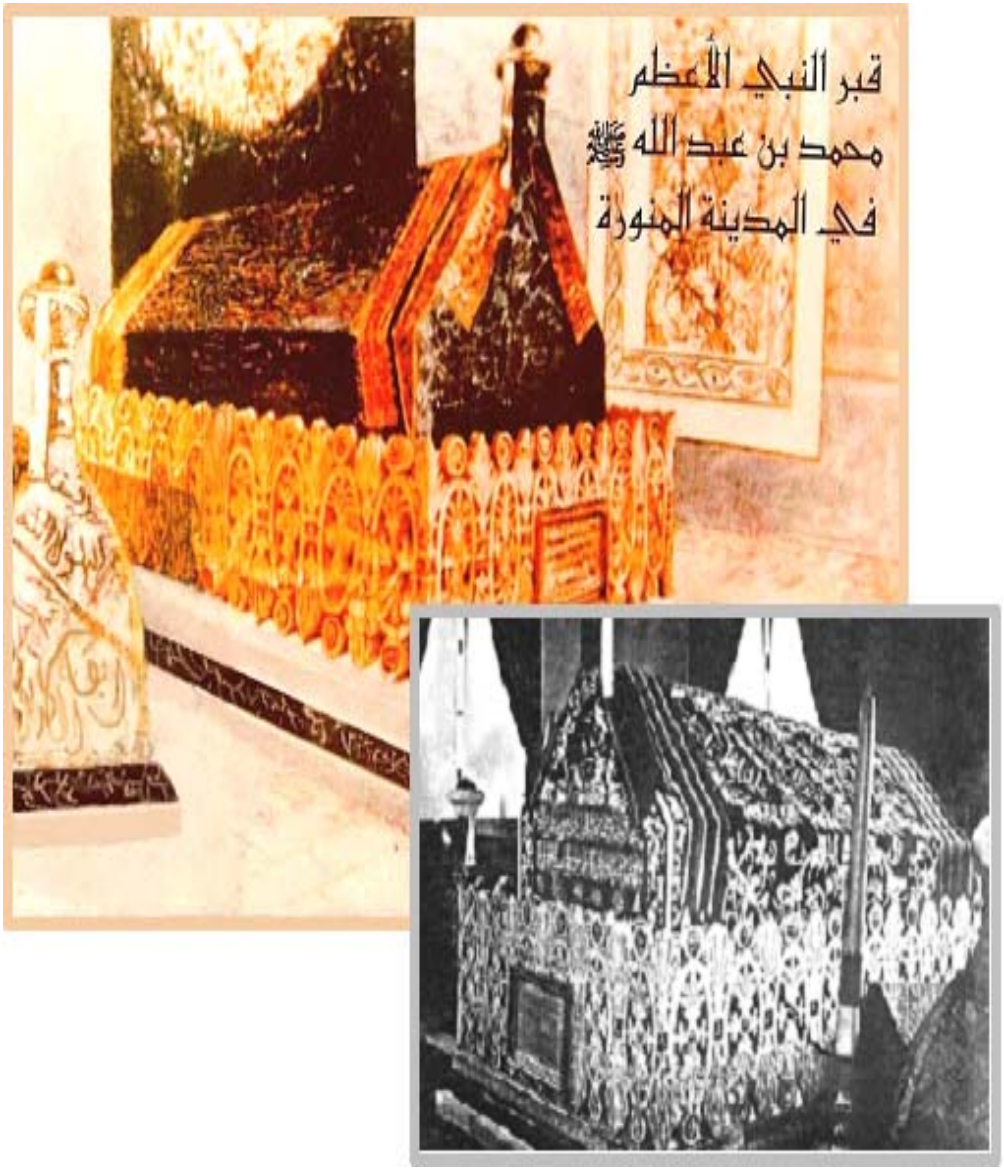
قبر النبي الأعظم
محمد بن عبد الله ﷺ
في المدينة المنورة

بعض من تراب وغبار قبر النبيﷺ
والمحفوظ في المتاحف الإسلامية

❁ ميراثه ﷺ:

لم يُخَلِّف النبي ﷺ درهماً ولا ديناراً، إنما ما تركه حُكْمه صدقة، وهكذا الأنبياء كلهم.

وبسبب ذلك وقع قليل من المشادة بين أبي بكر وفاطمة في اليوم الثاني من دفنه ﷺ، وكان يومها أبو بكر رضي الله عنه صلباً فيما عَلِمَ عن رسول الله ﷺ.

يروى عن عائشة رضي الله عنها أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ أرسلت إلىٰ أبي بكر الصديق تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ مِمّا أفاء الله عليه بالمدينة وفَدَك، وما بقي من خُمُس خيبر. فقال أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: (- نحن معشر الأنبياء - لا نُورَثُ، ما تَرَكْنا صدقة، إنما يأكل آل محمد في هذا المال). وإني والله لا أُغَيِّر شيئاً مِن صدقةِ رسول الله ﷺ عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله ﷺ، ولأَعْمَلَنّ فيها بما عمل به رسول الله ﷺ. فأبىٰ أبو بكر أن يدفع إلىٰ فاطمة منها شيئاً، فوجدتْ فاطمة علىٰ أبي بكر في ذلك، فهَجَرَتْه فلم تُكَلِّمه حتىٰ تُوُفِّيَتْ، وعاشت بعد النبي ﷺ ستة أشهر[1].

فكانت أول أهل بيت النبي ﷺ لحوقاً به، وهي القائلة رضي الله عنها:

صُبَّتْ عليَّ مصائبٌ لو أنها ... صُبَّتْ علىٰ الأيامِ عُدْنَ لياليا

❁ خلافته ﷺ:

يروى عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن أبيه عمر أن النبي ﷺ قال: أُرِيتُ في المنام أني أنزع بدلو بَكْرة علىٰ قَلِيب، فجاء أبو بكر فنزع ذَنوباً أو ذنوبين نزعاً ضعيفاً والله يغفر له، ثم جاء عمر بن الخطاب فاسْتَحالَتْ غَرْباً، فلم أَرَ عبقرياً مِنَ الناس يَفْري فَرِيَّه حتىٰ رَوِيَ الناسُ وضربوا بعَطَن[2].

---

(١) حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم، ورواه الإمام أحمد وأبو داود وابن حبان، والبيهقي في سننه، وابن عبد البر في التمهيد، وابن سعد في طبقاته.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

ويروى عن سفينة مولىٰ رسول الله ﷺ أنه قال: لَمّا بنىٰ رسول الله ﷺ مسجد المدينة وضع في البناء حجراً، فقال لأبي بكر: ضع حجرك إلىٰ جنب حجري، ثم قال لعمر: ضع حجرك إلىٰ جنب حجر أبي بكر، ثم قال لعثمان: ضع حجرك إلىٰ جنب حجر عمر، ثم قال: هؤلاء الخلفاء بعدي[1].

ويروى عن عاصم بن عمرو بن قتادة قال: ابتاع النبي ﷺ بعيراً من رجل إلىٰ أَجَل، فقال: يا رسول الله، إنْ جئتُ فلم أجدك - يعني بعد الموت -؟ قال: فائْتِ أبا بكر، قال: فإن جئتُ فلم أجد أبا بكر - يعني بعد الموت -؟ قال: فائْتِ عمر، قال: فإن جئتُ فلم أجد عمر؟ قال: إن استطعتَ أن تموت إذا مات عمر فمت[2].

وهذا دليل علىٰ الخلافة، وأنّ الفتن ستكون بعد عهد سيدنا عمر رضي الله عنه.

وهناك أحاديث غيرها كثيرة تدل علىٰ خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

ولقد حصل فيها خلاف كبير، حيث سمع عمر منادياً يقول: إن الأنصار اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة يريدون أن يبايعوا سعداً خليفةً. فهرول يومها عمر وأخذ بيد أبي بكر إلىٰ سقيفة بني ساعدة، وتكلّم عمر وحصل لغط كبير، فقام أبو بكر وأسكت عمر والآخرين، ثم قال: أيها الأنصار، أنتم الوزراء ونحن الأمراء، لا تكون الإمارة إلاّ في قريش، وأنتم أنصار رسول الله ﷺ، فقوموا وبايعوا عمر.

فيقول عمر: فوالله شعرتُ كأنّ الجبال كلها وقعت علىٰ صدر عمر، أأُبايع بالخلافة وأبو بكر بين أظهرنا؟! ثم قال: لا والله لا أبايع وأنت حاضر.

وقام يومها بشير بن سعد الأنصاري ومدّ يده وبايع أبا بكر، وقام الناس وبايعوه، وهكذا انتهت الأمور وأُطْفِئَتِ الفتنة.

ثم رجعوا إلىٰ المسجد، فرقىٰ أبو بكر المنبر وخطب، وقام الناس وبايعوا أبا بكر، وكان خير الناس بعد رسول الله ﷺ.

---

(١) أخرجه الحاكم وصحّحه، ورواه ابن حبان والبيهقي في الدلائل، وقال أبو زرعة: إسناده لا بأس به.

(٢) رواه ابن سعد في طبقاته.

روى ابن إسحاق عن عائشة رضي الله عنها قالت: لَمّا توفي رسول الله ﷺ ارتدّت العرب واشْرَأَبَّت اليهودية والنصرانية، ونَجَم النفاق، وصار المسلمون كالغنم المَطِيرة في الليلة الشاتية لفقد نبيهم ﷺ، حتىٰ جمعهم الله علىٰ أبي بكر.

وإنْ شئتَ توسعاً في هذا المجال فارجع إلىٰ كتابنا (الخلفاء الأربعة) [1].

(١) باب البيعة لأبي بكر الصديق بالخلافة ص٥٧.

أجل، مات رسول الله ﷺ ولكن شريعته لم تمت، مات رسول الله ﷺ ولكن الدين الذي جاء به لم يمت، مات رسول الله ﷺ ولكن القرآن العظيم الذي نزل علىٰ قلبه لم يمت أبداً، إنما بعد أن أنهىٰ مهمته التي وُجِدَ مِن أجلها، وبلّغ رسالة ربه كما يجب، اشتاق الله إليه. وحمل الراية بعده رجال أُمَناء صادقون، اشتروا الآخرة وزهدوا في الدنيا، خرجوا منها ولم يلتفتوا إليها يُمْنة ولا يسرى وقد دَنَتْ لهم من مشرقها إلىٰ مغربها. فنبينا ﷺ معنا بشريعته وبالقرآن.

ما أجمل سيرته ! وما أحلىٰ هديه ! فهو الدال والهادي إلىٰ رب العزة عز وجل.

فسيرة النبي ﷺ باقورة كاملة من الأخلاق والقيم، لا يَصْلُحُ العالَم كله إلاّ بها، ولا يستقيم اعوجاج زماننا الذي نشاهد إلاّ بالرجوع إليها، ولا يُفْلِحُ المسلمون بل ولا يستنشقون رائحة العزة والكرامة إلاّ إذا كانوا مع هذا النبي الكريم، مُطَبِّقين لشريعته، ملتزمين بأوامره، مُنْتَهِين عن نواهيه.

الكل يقول: النبي رحمة، والنبي منقذ، والنبي معلم، والنبي هو رسول الله، إنما بقيت الخطوة الثانية: الاتّباع. فالصحابة ما انتصروا إلاّ بذلك، فبترك سنة واحدة وهي السواك تأخّر الفتوح عليهم، فكيف والمسلمون الآن تركوا السنن والفرائض والواجبات؟! كيف يريدون نصراً وعزة وكرامة؟! فلا كرامة بدون الإسلام، وسيدنا محمد ﷺ هو الإسلام، وهو الممثل الصادق الصحيح لكتاب الله.

وإذا قرأنا سيرته فنقول: اللهم صَلِّ علىٰ سيدنا محمد النبي الأمي وعلىٰ آله وصحبه وسلم، ما خَبَّأَ يوماً من الأيام شيئاً أَمَرَ الله بتبليغه، نشهد بأنه بلّغ الرسالة، وأدّى الأمانة، ونَصَحَ الأمة، وكشف الغُمّة. جزاه الله عنا وعن المسلمين خير ما جزى نبياً عن أمته، جزاه الله عنا خير ما جزى نبياً عن أتباعه، حيث دَلَّنا ووَضَعَنا علىٰ طريق لا يزيغ عنه إلاّ هالك، ليله كنهاره. أَوْضَحَ لنا ما كان وما يكون، علّمنا شريعة ربنا، دلّنا كيف نكون مسلمين، علّمنا أن الإسلام ليس كلاماً معسولاً، علّمنا أن العقيدة فوق كل شيء، ورأينا أصحابه بعده كيف بذلوا مُهَجهم وأرواحهم في سبيل هذه العقيدة. فمهما كافأناه فهو قليل، ومهما صَلَّيْنا عليه وسَلَّمْنا فهو قليل، حبيب الله الصادق المُصَدَّق.

اللهم إنّا نُشهدك بأننا نُقِرّ له بكل ما أَوْجَبْتَ له يا رب علينا، ونُشهدك بأنّنا نحبه لأنك أحببته، ولأنك قرّبته وجعلتَه صفوة خلقك، ونُحب عِتْرته الطاهرة إلىٰ يوم القيامة ونتمسّك بهم، لا نتخلّىٰ عنه ولا عن عِتْرته أبداً حتىٰ نلقاه علىٰ الحوض إن شاء الله يوم القيامة.

فنسأل الله تعالىٰ أن يرزقنا الاقتداء به والعمل بما جاء به.

وكذلك إذا ذكرنا قصص غيره من الأنبياء فعلينا أن نتعلم كيف نأخذ منها، ونعمل بما يُرضي ربنا تبارك وتعالىٰ.

فأنا ما جعلتُ كلامي هذا ليُقرأ أو ليُسمع فقط، إنما لنعلم معنىٰ هذه الكلمات وثِقَلها، ولنتفكّر بموضوعها جيداً. والتفكير طويل، والعمل به أطول وأصعب، ولكن إذا كان ووُجِدَ الإيمان فهو هَيِّن.

وصلىٰ الله وسلّم علىٰ سيدنا محمد النبي الأمي وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.

تمّ بحمد الله تعالى

الجزء الخامس من هذا الكتاب

وبالله التوفيق

الخاتمة

رزقنا الله تبارك وتعالى حسن الخاتمة

قال الله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف].

أخي المسلم،

لقد قدمتُ إليك هذه السيرة العطرة لتكون لك حافزاً علىٰ اقتدائك بهذا النبي الكريمﷺ، الذي ختم اللهﷻ به المرسلين والرسالات السماوية جمعاء، وجعله رحمة للعالمين.

فإلىٰ العمل، إلىٰ التطبيق، إلىٰ امتثال أوامره واجتناب نواهيه؛ لتكون بذلك حُزْتَ علىٰ سعادة الدنيا ونعيم الآخرة.

نعم أيها المسلم، لا بد لهذه الأمة إذا أرادت العزة والكرامة، والنهوض من كبوتها وصدارة الأمم، مِن أن تطبق ما جاء به رسول اللهﷺ من كتاب اللهﷻ وسنته عليه الصلاة والسلام. حيث إن اللهﷻ خلق الإنسان وعَلِمَ ما يصلحه، وما ينفعه في حياته وبعد مماته، فكلّفه بهذه الرسالة التي جاء بها سيدنا محمدﷺ، وبذلك نُحَقِّق النصر علىٰ النفس والهوى، وإبليس والدنيا، وأعداء الأمة الإسلامية الذين أصبحوا يَتَبَجَّحون في زماننا بكلمات كلها عداوة لله وللرسولﷺ وللإسلام، ولجميع أنبياء الله ورسله، وبدون أن يجدوا مَن يَرُدُّ عليهم أو يقف أمامهم، أو يَأْطرهم علىٰ الحق أَطْراً.

فهيا أخي المسلم لنقف صفاً واحداً قوياً منيعاً، مدافعين عن هذا الدين وهذه العقيدة.

واللهَ أسأل أن يُلْهِمَ الأمة الإسلامية جمعاء أن تستجيب لهذه الصرخة المتواضعة،

التي آمل أن تكون خالصة لوجه ربناﷻ.

وبعد، آمل وأسأل أخاً مسلماً قرأ هذا الكتاب وانتفع به وعمل بمضمونه دعوة صالحة لي ولآبائي في الحس والمعنىٰ، وأن يُفَرِّجَ الله عن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

كما أرجو أخاً وجد في كتابي هذا هفوة أو غلطة أن يصلحها بالمعروف، وأن يكون خير مَن عالج غلطاً رآه بحكمة ودراية.

وقد أنهيت هذه الأسطر التي بين يديك، وانتهيت من كتابة هذا التاريخ النَّيِّر الساطع في الثالث من شعبان لعام أربع وعشرين بعد الأربعمائة والألف من هجرة نبينا محمدﷺ، الموافق التاسع والعشرين من أيلول للسنة الثالثة بعد الألفين من الميلاد، في بيتنا في حاليا من أعمال الزبداني قضاء دمشق.

غفر الله لي ولوالديّ ولمشايخي ولكافة المسلمين أجمعين.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيدنا محمد النبي الأمي، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين.

خادم العلم الشريف

محمد عيد يعقوب الحسيني

٣ / شعبان / ١٤٢٤هـ

٢٩ / ٩ / ٢٠٠٣م

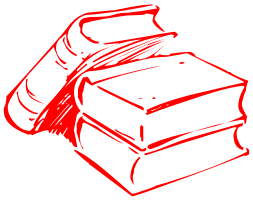

الفهارس العامة للكتاب

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث الشريفة والأخبار
- فهرس الخرائط والصور
- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

السورة	رقم الآية	الآية	الصفحة
البقرة	١٩٤	﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ﴾	٥٠
	٢٠٤-٢٠٧	﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا... وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾	١٧٦
	٢١٧	﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ...﴾	١٥٦
	٢٢٣	﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ﴾	٤٦٠
	٢٧٨	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾	٣٦٠
آل عمران	١٣	﴿قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ ...﴾	٢٤٤
	٥٩-٦٠	﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ... ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾	٤٦٥
	٦١-٦٣	﴿فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ... فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾	٤٦٥-٤٦٦
	٦٤-٦٨	﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا... وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾	٤٧٠-٤٧١
	٦٤	﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ ...﴾	٣١٥
	٦٧	﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾	٨١
	٧٩-٨٠	﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ... أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾	٤٧١

السورة	رقم الآية	الآية	الصفحة
آل عمران	٨١	﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ... ﴾	٤٧١
	١٢٦	﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾	٩٨
	١٤٤	﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ... ﴾	٥٢٥
	١٨٥	﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾	٥٢٢
النساء	٢٩	﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾	٢٤٩
	٩٤	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ... ﴾	٢٥٨/٢٩٠
	١٢٥	﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾	٢٨٦
المائدة	٣	﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ... وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾	٢٩٧
	٣	﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾	٥٠٠
	١٧	﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ... ﴾	٤٦٥
	٣٣	﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ ... ﴾	٢٠٩
	٦٧	﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾	٣٢٥
	٩٠	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	٣٦٠
الأنعام	١٣٦	﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ... ﴾	٣٨٥

السورة	رقم الآية	الآية	الصفحة
الأنعام	١٥٨	﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾	٤٤٤
الأعراف	١٣٨	﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ...﴾	٩٠
الأنفال	٦٠	﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ...﴾	٩٨
التوبة	٢٥-٢٧	﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ... وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	٩٧
	٢٨-٢٩	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ... حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾	١٢٠
	٣٧	﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ...﴾	٥٠٧
	٤٩	﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ....﴾	١٢٣
	٦٥	﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ....﴾	١٢٩
	٨١-٨٢	﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ... فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾	١٢٣
	٩٠-٩٣	﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ... رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾	١٢٤
	٩٢	﴿تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ﴾	١٢١
	٩٥-٩٦	﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ... فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾	١٤٠
	١٠٧-١١٠	﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ... إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾	١٣١-١٣٢
	١١٧-١١٩	﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ... وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾	١٤٠
هود	٥٥	﴿فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾	١٥٧

السورة	رقم الآية	الآية	الصفحة
يوسف	١١١	﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ...﴾	٥٤٣
الرعد	٨-١٣	﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ... وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾	٤١٤-٤١٥
الإسراء	٣٢	﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾	٣٦٠
	٨١	﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾	٨١
مريم	٧١	﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾	٢٢٨
طه	١٤	﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾	٣٩
الأنبياء	٩٨	﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾	٤٢٤
المؤمنون	١٤	﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ﴾	٤٦٥
النمل	١-٣٠	﴿طسٓ ... إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾	٤٦٢
القصص	٨٣	﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾	٥١٨
الأحزاب	١٦	﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ ....﴾	٢٤٤
	٥٠	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ ....﴾	٥١
يس	٢٠	﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾	٣٥٦
الزمر	٣٠	﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾	٥٢٥
	٦٠	﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾	٥١٨
غافر	٧٨	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ﴾	٥
فصلت	٤٦	﴿مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾	٤٢٤

السورة	رقم الآية	الآية	الصفحة
الشورى	١١	﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾	٤٤٥
محمد	٧	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾	٩٨
الفتح	١-٢	﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾	٥٥
الحجرات	٤	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾	٣٥٤
	١٣	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾	٧٩
	١٧	﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾	٣٣٤
الرحمن	٣٣	﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾	٣٧٣
الواقعة	١	﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾	٤٨٦
الحديد	١٠	﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ .... ﴾	٣٢٨
الممتحنة	١-٩	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ... وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾	٦٢-٦٣
النبأ	١	﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾	٤٨٦
التكوير	١	﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾	٤٨٦
	٨-٩	﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ ﴾	٣٦٨
الفجر	٢٢	﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾	٤٤٤
العلق	١	﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾	٤٢٠
البينة	١	﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ ﴾	٣٢٣

السورة	رقم الآية	الآية	الصفحة
النصر	١-٣	﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣ ﴾	٥٠٩/٣٢٨
الإخلاص	١	﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾	٤٨٦

فهرس الأحاديث الشريفة والأخبار

- آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع : عن الدُّبّاء والحَنْتَم والمُزَفَّت والنَّقِير.....٤٢٢
- آية في كتابكم تقرؤونها ، لو علينا أُنزلت معشر اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيداً.....٥٠٠
- آيةُ ما بينك وبينه أنك إذا رأيتَه هِبْتَه وفرقتَ منه ووجدت له قشعريرة.....١٦٩
- آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مِثْل ثدي المرأة ويخرجون علىٰ فُرْقة من الناس ١٠٧
- ابتاع النبيﷺ بعيراً من رجل إلىٰ أَجَل فقال : إنْ جئتُ فلم أجدك؟ ٥٣٨
- أبكاني أنّا كنا في زيادة من ديننا ، فأما إذ كمل فإنه لم يكمل شيء إلاّ نقص ٥٠٠
- أتاكم أهل اليمن كأنهم السحاب وهم خيار من في الأرض ٣٣٧
- أتاكم وفد عبد القيس خير أهل المشرق وفيهم الأشج العصري غير ناكثين.....٤٢٠
- أتانا نهي رسول اللهﷺ عن أكل لحوم الحمر الإنسية والقدورُ تفور بها.....٣١
- أتتمنين ملك يثرب أن يصير بعلك؟.....٢٩
- اترك دواعي اللبن.....٣٣٥
- اتَّقِ دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب.....٢٨٦
- اتقوا الله حيث كنتم فلن يَلِتكم من أعمالكم شيئاً.....٤٢٨
- اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فإنْ لم تجدوا فبكلمة طيبة.....٤٣٣
- أتيتُ أشياخاً لبني عبد المطلب فسألتهم بأي شيء كُفِّن رسول اللهﷺ؟ فقالوا : في حلة حمراء وقطيفة.....٥٢٩
- أجاع الله كبد مَنْ جاع علىٰ درهم.....١١٥
- اجتمع نصارى نجران وأحبار يهود عند رسول اللهﷺ فتنازعوا عنده ٤٧٠
- احتلم عمرو بن العاص حين قفلوا في ليلة باردة كأشد ما يكون البرد ٢٤٩
- أخ كريم وابن أخ كريم ، قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء ٧٩
- أَخْرِجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أُجيزهم.....٥١٧
- أَدْرِكْ خالد بن الوليد فقل له : إن رسول اللهﷺ ينهاك أن تقتل وليداً أو امرأة.....٩٦

- ادعوا لي أبا بكر وابنه فليكتب أن يطمع في أمر أبي بكر طامع أو يَتَمَنَّ مُتَمَنٍّ ٥١٣
- ادعي لي أباك وأخاك حتىٰ أكتب لأبي بكر كتاباً فإني أخاف أن يَتَمَنّىٰ مُتَمَنٍّ ٥١٠
- إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه..... ٣٦٥/٣٦٦
- إذا اجتمعتما فعلي الأمير، وإن افترقتما فكل واحد منكما أمير..... ٢٩٩
- إذا أحببتم أن تنظروا إلىٰ رجل نَصَرَ اللهَ ورسوله بالغيب فانظروا إلىٰ عمير بن عدي ١٥٧
- إذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم وليؤمكم أكثركم قرآناً ٣٦٥
- إذا رأيتم مسجداً أو سمعتم مؤذناً فلا تقتلوا أحداً..... ١٤٦
- إذا لقينا القوم غداً فلَقِّني رجلاً شديداً حرده أُقاتله فيك..... ١٥٥
- إذا نسيتم الصلاة فصلوها إذا ذكرتموها..... ٣٩
- اذهب فصَلِّ علىٰ أهل البقيع..... ٥١٠
- أردتُ إن كنتَ كاذباً أن نستريح منك، وإن كنتَ نبياً لم يضرك ٣٢/٣٣
- أرسل هرقل إلىٰ أبي سفيان في ركب من قريش كانوا تجاراً بالشام في المدة التي كان رسول الله ﷺ مادّ فيها كفار قريش فقال: أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل..... ٣١٣
- أرسلني أصحابي إلىٰ رسول الله ﷺ أسأله الحملان لهم إذ هم معه في جيش العسرة ١٢٢
- أرغبتِ بي عن هذا الفراش أم رغبتِ به عني؟..... ٥٩
- ارفع إلينا حاجتك يا هامة ولا تَدَعْ زيارتنا..... ٤٨٦
- أُرِيتُ في المنام أني أنزع بدلو بكرة علىٰ قليب، فجاء أبو بكر فنزع ذنوباً ٥٣٧
- استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً..... ٥٠٧
- أَسْلَمُ سالَمَها الله، وغِفار غفر الله لها..... ٣٣٦
- أَسْلمها الرُّضّاع لم يُحْسِنوا المِصاع..... ٢٨٤
- اسْمَعِ العجب العجاب، بُعِثَ محمد بالكتاب، يدعو بمكة فلا يُجاب..... ٣٨٩
- اسْنُنِ اليوم وغَيِّر غداً..... ٢٦٠
- أشرف النبي ﷺ علىٰ الحَرّة فإذا ذئب واقف بين يديه يسأل مِن كل سائمة شاة ٤٨٨
- أصاب رسولُ الله ﷺ في غزوة محارب وبني ثعلبة عبداً يقال له يسار..... ٢٠٦
- أصغر القوم خادمهم ٣٩٤
- أطابت أنفسكم أن تحثوا علىٰ رسول الله ﷺ التراب؟ ٥١٩
- اعتمر النبي ﷺ أربع عُمَر..... ٥٠٨

- أَعْطَيْتَ دحية صفية بنت حيي سيدة قريظة والنضير؟ ما تصلح إلاّ لك ٣٠
- أعقب الله منه ليلة خير من ألف شهر فاطلبوها في العشر الأواخر من رمضان..... ٤٢٤
- أَعْنَقَ ليموت..... ١٧٧
- أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوافد عاد ٣٧١
- أُعيذ نفسي وأعيذ أصحابي مِن كل جني بهذا النقب حتىٰ أَؤُوب سالماً وركبي ٣٧٣
- أَغُدّة كغدة البَكْر في بيت امرأة من بني سلول؟!..... ٤١٤
- اغسلوا النبيﷺ وعليه ثيابه..... ٥٢٧
- أفلا ترضىٰ يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسىٰ إلاّ أنه لا نبي بعدي؟ ١٢٥
- أقام رسول اللهﷺ بين خيبر والمدينة ثلاث ليال يُبنىٰ عليه بصفية ٣٠
- أقبلتُ إلىٰ رسول اللهﷺ ومعي رجلان من الأشعريين كلاهما يسأل العمل..... ٢٨٥
- اقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك ٩٣
- أقتلتَه بعد ما قال: آمنتُ بالله؟ ٢٥٩
- ألا تريحني من ذي الخَلَصة؟ وكان بيتاً لخَثْعم وبَجِيلة..... ٢٩٨
- ألا شققتَ عن قلبه فتعلم أصادق هو أم كاذب؟..... ٢١٥/٢٥٩
- ألا كل مأثرة أو دم أو مال يُدَّعىٰ فهو تحت قدميّ هاتين ٧٩
- ألا وإن دم الجاهلية موضوع وحلفها مشدود..... ٤٢٤
- الأَزْد مني وأنا منهم، أغضب لهم إذا غضبوا ويغضبون إذا غضبتُ ٣٣٣
- الأشعريون في الناس كصرة فيها مسك ٣٣٨
- الإيمان يمان والحكمة يمانية..... ٣٣٧
- الخطُّ عَلِمَه نبي من الأنبياء، فمَنْ صادف مثل عِلْمه علم ٣٣٤-٣٣٥
- السلام علىٰ همدان السلام علىٰ همدان..... ٢٩١/٤٧٦
- الظلم ظلمات يوم القيامة..... ٣٨٥
- الله أكبر خربت خيبر، إنّا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين..... ١٩/٢٠
- الله الله فيما ملكت أيمانكم أَلْبِسوا ظهورهم وأَشْبِعوا بطونهم وألينوا لهم القول ٥١٩
- اللهم اجعله حجاً لا رياء فيه ولا سمعة..... ٤٩٨
- اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظني..... ٣١
- اللهم ارزق عَنَزة كَفافاً لا فَوْت ولا إسراف..... ٤٣٨

- اللهم ارض عن عثمان فإني عنه راض ١٢١
- اللهم اسقنا حتىٰ يقوم أبو لبابة عرياناً يسد ثعلب مربده بإزاره ٤٤٥
- اللهم اسقنا غيثاً مُغيثاً هنيئاً مريئاً طبقاً واسعاً عاجلاً غير آجل ٤٤٥
- اللهم أَعِنِّي علىٰ ما تُنجيني مما خوفتني ، اللهم ارزقني شوق الصالحين ٤٨١/٤٨٢
- اللهم اكفني عامر بن الطفيل بما شئتَ وابعث عليه داء يقتله ٤١٣
- اللهم إنه سيف من سيوفك فأنت تنصره ، فمِنْ يومئذ سُمِّي خالد سيف الله ٢٤٠
- اللهم إني أحمي لك اليوم دينك فاحْمِ لي لحمي ، اللهم أَخْبِرْ عنا رسولك ١٧٢
- اللهم بارك في أَحْمس وخيلها ورجالها ٣٣٠
- اللهم بارك في وائل وولده وولد ولده ٤٧٩
- اللهم بَلِّغْ عنا نبينا أنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا ١٨٠
- اللهم زِدْ هذا البيت تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابة ٤٩٨
- اللهم هؤلاء أهل بيتي ٤٦٧
- اللهم حوالينا ولا علينا اللهم علىٰ الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر ٤٤٦
- اللهم مَزِّق مُلْكه كما مزّق كتابي ٣١٦
- المسلم أخو المسلم يسعهما الماء والشجر ويتعاونان علىٰ الفَتّان ٤٠٢
- الوائدة والموءودة في النار ٣٦٨
- الولد للفراش وللعاهر الحجر ٥٠٠
- الويل كل الويل لِمَن كذبني وتولىٰ عني وقاتلني ، والخير كل الخير لمن آواني ٤٤٩
- اليد العليا خير من اليد السفلىٰ ٤١٠
- اليوم يوم الملحمة اليوم تُسْتَحَلّ الحُرْمة ٧٠
- أما إنه ليس بِشَرِّكم مكاناً ٣٧٩
- أمات الله الكاذب منا طريداً وحيداً ١٣١
- أَمْسِكْ هذه معك علامة بيني وبينك يوم القيامة أعرفك بها ٢٠٥
- إن أبا بكر رجل أَسِيف وإنه متىٰ يقم مقامك لا يُسْمِع الناس ٥١١
- إن أخا صداء هذا أَذَّنَ ومَنْ أَذَّنَ فهو يقيم ٢٧٠/٤٠٥
- إن أرضنا ثقيلة وخمة ، وإنّا إذا لم نشرب هذه الأشربة هيجت ألواننا وعظمت بطوننا ، فرَخِّصْ لنا في هذه ٤٢٢

- إن استطعتَ أن تموت إذا مات عمر فمت.....٥٣٨
- إنْ أصبتَ منا أحداً خطأ فعليك دِيَته، وإن أصبنا أحداً من أصحابك فعلينا دِيَته إلاّ رجلاً منا قد هرب.....٤١٦
- إنَّ الأرض تقبل مَنْ هو شر من صاحبكم ولكن الله تعالىٰ يريد أن يعظكم.....٢٥٩
- إنَّ الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً.....٣٨٨
- إنَّ الإسلام يَجُبّ ما كان قبله من الكفر.....٤٥٦
- إنّ الأمانة في الناس اليوم لقليل.....٧٧
- إنّ الجود لَمِن شيمة أهل ذلك البيت.....٢٥٣
- إنّ الرب لَيُتَرَضّىٰ فيَرْضَىٰ، فارْضَ عني رضي الله عنك.....٣٩٢
- إنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوت والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً.....٥٠٧
- إنّ الشام ستُفتح عليكم ويهرب هرقل إلىٰ ممتنع بلاده.....٤٣٤
- إنّ الشملة التي أخَذَها يوم خيبر من المغانم لم يصبها المقسم تشتعل عليه ناراً.....٣٧
- إنّ الظروف لا تحل ولا تحرم ولكن كل مسكر حرام.....٤٢٠
- إنّ الظعينة سترحل من الحيرة تطوف بالبيت في غير جوار لها، لا تخاف أحداً إلاّ الله والذئب علىٰ غنمها.....٤٣٢
- إنّ الكريم لو دُعِيَ إلىٰ طعنة بليل لأجاب.....١٦٣
- إنّ الله تابع الوحي علىٰ رسول اللهﷺ قبل وفاته حتىٰ توفي.....٥٠٩
- إنّ الله حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض فهي حرام بحرمة الله.....٨١/٧٩
- إنّ الله خَيَّر عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله.....٥١٥
- إنّ الله سبحانه قد أحسن عليكم أهل قباء الثناء في التطهر.....١٣٢
- إنّ الله فضّلك علىٰ النبيين كما فضل رمضان علىٰ سائر الشهور، وفضّل أمتك علىٰ سائر الأمم كما فضل يوم الجمعة علىٰ سائر الأيام.....٤٨٢
- إنّ الله قد أدّى إلىٰ كل ذي حق حقه، وإنه لا تجوز وصية لوارث.....٥٠٠
- إنّ الله قد بعثني رحمة وكافة فلا تختلفوا عليّ كما اختلف الحواريون علىٰ عيسىٰ.....٣٠٨
- إنّ الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلىٰ أن تلقوا ربكم.....٤٩٩

- إنّ الله لم يبعث نبياً إلاّ أعطاه دعوة، وإن الله أعطاني دعوة فاختبأتها عند ربي شفاعة لأمتي يوم القيامة ٤١٦
- إنّ الله ليضحك مِن شَفَفكم وأَزْلكم وقُرْب غياثكم ٤٤٤
- إنّ الله وتر يحب الوتر ٢٣٠
- إنّ المؤمنين إخوة تتكافأ دماؤهم، يُجِير أقصاهم علىٰ أدناهم ٤٢٤
- إنّ المرأة لا تقدر علىٰ أن تؤدي حق زوجها، فأَجْهِدي نفسك في أداء حقه ٣٧٨
- إنّ المسألة لا تحل إلاّ لأحد ثلاث: رجل تحمّل حمالة، ورجل أصابته جائحة ٤٧٤
- إنّ الملائكة وارت جثته وأُنْزِلَ مِن عليِّين ١٧٩
- إنّ الملوك لا يقرؤون كتاباً إلاّ مختوماً ٣٠٨
- إنّ النبي لا يقتل بالإشارة ٧٤
- إنّ الهدى بيد الله، فمَنْ أراد الله به خيراً شرح صدره للإيمان ٣٤٥
- أنّ امرأة يهودية أهدت إلىٰ رسول الله ﷺ شاة مَصْلية بخيبر ٣٣
- إنّ أول جمعة جُمِعَتْ بعد جمعة في مسجد رسول الله ﷺ في مسجد عبد القيس ٤٢٣
- إنّ بظهر كفي سلعة قد منعتني من خطام راحلتي، فدعا له رسول الله ﷺ ٣٦٨
- إنْ تقتلني تقتل ذا دم، وإن تُنعم تنعم علىٰ شاكر ١٨٩
- إنّ ثوب رسول الله ﷺ الذي كان يخرج فيه للوفود حضرمي طوله أربعة أذرع ٣٢٩
- إنّ جبريل كان يعرض عليّ القرآن في كل سنة مرة فقد عرض عليّ العام مرتين ٥٠٩
- إنّ ذلك لَداء ما كان الله ليقذفني به، لا يَبْقَ في البيت أحد إلاّ لُدَّ إلاّ عمي ٥١٤
- إنّ رسول الله ﷺ بعث عشرة عيوناً إلىٰ مكة ليأتوا بخبر قريش ١٧٠
- إنّ رسول الله ﷺ لم يمت ولكن عُرِجَ بروحه كما عُرِج بروح موسىٰ ٥٢٤
- إنّ رسول الله لم يمت ولكنه أُرْسِلَ إليه كما أُرْسِل إلىٰ موسىٰ ٥٢٤
- إنْ صَدَقَ ذو العقيصتين دخل الجنة ٤٠٨
- إنّ في الله عزاء من كل مصيبة وخلفاً من كل هالك ودَرَكاً من كل ما فات ٥٢٢/٥٢٦
- إنّ فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله: الحِلْم والأناة ٤١٩/٤٢٢
- إنّ فيهم قرة عين وأجراً إذا قُبِضوا ٤٥١
- إنّ قيساً فرسان الله (أو قال: خير الله تعالىٰ) في الأرض ٤٤٧
- إنْ كان العذاب لقد نزل علىٰ أهل نجران إن لو فعلوا لاستؤصلوا من الأرض ٤٦٧

- إنّ كل ربا موضوع، وإن كل دم في الجاهلية موضوع ٥٠٦-٥٠٧
- إنّ لكم علىٰ نسائكم حقاً ولهنّ عليكم حقاً..... ٥٠٧
- إنّ مَثَله في قومه لكمثل صاحب يس في قومه..... ٣٥٦
- إنّ مدحنا لَزَيْن وإنّ ذمنا لَشَيْن..... ٣٤٧
- إنّ معي رجلاً خالاً لي مصاباً فادْعُ الله تعالىٰ له..... ٤٢١
- إنّ مما دعاني إلىٰ الإسلام أني طعنت رجلاً منهم يومئذ بالرمح بين كتفيه فسمعته يقول: فزتُ والله..... ١٧٩
- إنّ من البيان كالسحر، وإن من الشعر كالحكم..... ٣٨٤
- إنّ من البيان لسحراً..... ٣٥٤
- إنّ مِن أَمَنِّ الناس عليّ في صحبته وماله أبا بكر..... ٥١٥
- إنّ هذا الأوان وجدتُ فيه انقطاع أبهري من الأكلة التي أكلت بخيبر..... ٣٤
- إنّ هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لِما صنعت في هذا الفيء..... ١١٤
- إنّ هذا الرجل لُمؤَتًّىٰ له، لَخطيبه أخطب من خطيبنا ولشاعره أشعر من شاعرنا ٣٥٣
- إنّ هذا السحاب ليستهل بنصر بني كعب..... ٥٨
- إنّ هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يتجاوز حناجرهم، يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية ١٠٧
- إنّ هذه القسمة ما عُدِلَ فيها وما أُريد فيها وجه الله..... ١٠٦
- إنْ ينج زيد من حمىٰ المدينة فإنه..... ٤١١
- أنا آخر الناس عهداً بالنبيﷺ، فلما دُفِنَ وخرج عليٌّ من القبر ألقيت خاتمي ٥٣٢
- أنا أَحْدَثُكم عهداً برسول اللهﷺ..... ٥٣٣
- أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب..... ٩١
- أنا بريء من كل مسلم أقام مع المشركين لا تراءى ناراهما..... ٣٠٠
- إنّا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها، ونعوذ بك من شرها..... ١٩
- أنتم الذين إذا زُجِروا استقدموا؟..... ٣٧٢
- أنتم الوزراء ونحن الأمراء، لا تكون الإمارة إلاّ في قريش..... ٥٣٨
- أنتم مني وأنا منكم، أحسن الناس وجوهاً وأصدقه لقاء..... ٣٣٢
- أنتم مهاجرون حيث كنتم، فارجعوا إلىٰ أموالكم ٤٥٨
- أُنْزِعَتْ منك الرحمة يا بلال حتىٰ تمر بامرأتين علىٰ قتلىٰ رجالهما؟ ٣٠

- انطلقوا إلىٰ هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه.....١٣٣
- انطلقوا بنا إلىٰ البصير الذي في بني واقف نعوده.....١٥٦
- أَنْفِذوا بعث أسامة.....٣٠٢
- إنكِ أول أهلي بي لحوقاً.....٥٠٩
- إنكَ ستجده ليلاً يصيد البقر فتأخذه فيفتح الله لك دومة.....٢٧٧
- إنكَ لقلق الوضين.....٤٧٠
- إنكم أصبحتم تزيدون وأصبحت الأنصار لا تزيد علىٰ هيئتها ٥١٩
- إنكم إن تُخفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله.....٢٢٩
- إنكم لن تطيقوا أن تفعلوا كل ما أُمِرْتُم به ولكن سَدِّدوا وأبشروا.....٣٧٤
- إنما الرَّبّة حجر لا تدري مَنْ عبده ممن لم يعبده.....٢٨٢
- إنما أَهْلَكَ مَنْ كان قبلكم الفُرْقة.....١٥٣
- إنما جُعِلَ الإمام ليؤتم به ٥١٢
- إنما لك من مالك ما أكلتَ فأفنيت أو لبست فأبليت أو أعطيت فأمضيت.....٤٤٨
- إنما هن ثلاث يقيمهن المهاجر بعد الصَّدَر.....٥٠٦
- إنه سيكون له شيعة يتعمّقون في الدين حتىٰ يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية ١٠٦
- إنه لا يُستقىٰ في مسوك الرجال إنما يُحتاج من الرجل إلىٰ أصغريه لسانه وقلبه..... ٤١٩/٤٢١
- إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين.....٧٥
- إنه لم يسألك السوية من الأرض إذ سألك إنما هذه الدهناء عندك مقيد الجمل..... ٤٠١-٤٠٢
- إنه لم يُقبض نبي حتىٰ يرى مقعده من الجنة ثم يَخُيَّر.....٥١٩
- إنه لم يكن نبي إلاّ عاش نصف عمر أخيه.....٥١٠
- إنه لم يكن نبي من قبلي إلاّ وقد كان له من أمته خليل ، ألا وإن خليلي أبو بكر.....٥١٦
- إنه ما علمت ميمون النقيبة مبارك الأمر.....١٥٠
- إنها أيام أكل وشرب وباءة.....٥٠٤
- أنهىٰ عن كل مسكر أسكر عن الصلاة.....٢٨٥
- إنهم لمجبنة مبخلة ، وإنهم لقرة العين وثمرة الفؤاد.....٤٥١
- إني إنما آكل في السنة يوماً وهذا يوم فطري فآكل أنا وأنت ، فنزل من السماء شبه السفرة عليها خبز وحوت وكرفس.....٤٨١

- إني رأيتُ علىٰ أبوابهم ظلمة وعلىٰ باب أبي بكر نوراً.....٥١٦
- إني سألتُ الله أن يُعِينني عليكم بالسنة فتحفيكم، وبالرعب أن يجعله في قلوبكم ٤٥٩
- إني لأُؤَمِّر الرجل علىٰ القوم وفيهم مَنْ هو خير منه ٢٤٦
- إني لأرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتىٰ يقطع أيدي رجال من المنافقين وألسنتهم يزعمون أن رسول الله ﷺ قد مات.....٥٢٤
- إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل.....٣٦
- إني لقائم بسوق ذي المجاز إذ أقبل رجل عليه جبة له وهو يقول قولوا لا إله إلا الله ٤٠٩
- أهدى المقوقس إلىٰ رسول الله ﷺ خصياً اسمه مأبور.....٣١٨
- أهيلوا عليَّ التراب، فأهالوا عليه التراب حتىٰ بلغ أنصاف ساقيه ثم خرج ٥٣٢/٥٣٣
- أَوَتَرَوْن أني جاعل وجهي نداً لوجه جَدْي جاء من عمق؟ ٣٢٤
- أُوصيكم بالأنصار فإنهم كَرِشي وعَيْبَتي فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم.....٥١٧
- أول ما اشتكىٰ رسول الله ﷺ في بيت ميمونة فاستأذن أزواجه أن يُمَرَّض في بيتي.....٥١٠
- أولئك وفد الجن سألوني المتاع والزاد فمتّعتهم بكل عظم حائل وروثة وبعرة.....٤٨٣
- أي المؤمنين أفضل؟ قال: أحسنهم خُلُقاً قال: فأي المؤمنين أَكْيَس؟.....١٩٨
- إياك وضوالّ الناس فإنما تلك حرق النار.....٤٢٥
- أيكم يتبعني إلىٰ وفد الجن الليلة؟ فخرجت معه فإذا رجال طوال مُسْتَثْفِرين ثيابهم.....٤٨٣
- أينما أسلمتم فأنتم مسلمون.....٣٩٤
- بأبي وأمي طِبْتَ حياً وميتاً ٥٢٤/٥٢٨
- بار ك الله في الجذامي وفي حديقة أو جنة يخرج هذا منها.....٣٩٤
- ببلادنا جبل يقال له كَشَر، فقال رسول الله ﷺ: ليس بكَشَر ولكنه شَكَر ٣٣١-٣٣٢
- بِتُّ الليلة أقرأ القرآن علىٰ الجن واقفاً بالحجون.....٤٨٤
- بعث الله تعالىٰ في آخر كل سبع أمم نبياً، فمَنْ عصىٰ نبيه كان من الضالين.....٤٥٥
- بعث النبي ﷺ خيلاً قِبَل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثُمامة ١٨٩
- بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلىٰ بني جذيمة فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا.....٢٦٤
- بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد حين افتتح مكة داعياً ولم يبعثه مقاتلاً.....٢٦٤
- بعث رسول الله ﷺ سرية قِبَل نجد فخرجتُ فيها فغَنِمْنا إبلاً وغنماً كثيراً.....٢٥٧
- بعثت بنو سعد بن بكر ضمامَ بن ثعلبة وافداً إلىٰ رسول الله ﷺ.....٤٠٧

- بَعَثَنا رسول اللهﷺ في ثلاثمائة راكب وأمّر علينا أبا عبيدة بن الجراح نرصد عيراً لقريش، وزوّدنا جراباً من تمر لم يجد لنا غيره ٢٥١-٢٥٢
- بعثني رسول اللهﷺ علىٰ جيش ذي السلاسل وفي القوم أبو بكر وعمر..... ٢٤٦
- بل أسأل الله الرفيق الأعلىٰ الأسعد مع جبريل وميكائيل وإسرافيل..... ٥٢٠
- بل أنت رجل تحوسك فتنة، إنّ رسول اللهﷺ لا يموت حتىٰ يُفني الله المنافقين ٥٢٣
- بينا أنا نائم أُتِيتُ بخزائن الأرض فوُضِعَ في كفي سواران من ذهب فكبرا عليّ..... ٣٨١
- بينا أنا نائم رأيت في يديّ سوارين من ذهب فأوّلتهما كذابَيْن يخرجان بعدي ٣٨١
- بينا رسول اللهﷺ جالس بالمدينة في أصحابه إذ أقبل ذئب بين يديه فعوى ٤٨٧
- تألّفوا الناس ولا تَأتُّوهم، ولا تُغِيروا عليهم حتىٰ تَدْعُوهم إلىٰ الإسلام..... ١٤٦
- تتامّ به وجعه حتىٰ استعزّ به وهو في بيت ميمونة فسأل نساءه أن يمرض في بيتي ٥١١
- تجاوَزْ في الصلاة واقدر الناس بأضعفهم فإن فيهم الكبير والصغير..... ٣٥٨
- تخصّر بها في الجنة فإن المتخصرين في الجنة قليل..... ١٧٠
- تزوج رسول اللهﷺ ميمونة وهو محرم، وبنىٰ بها وهو حلال وماتت بسرف ٥١
- تزوجني رسول اللهﷺ ونحن حلال بسرف..... ٥٢
- تشاورا ولا تطاوعا، ويَسِّرا ولا تُعَسِّرا، وبَشِّرا ولا تُنَفِّرا..... ١٤٧
- تشعّب أهواؤه وهمومه في أودية الدنيا، فلعل أَجَله يدركه في بعض تلك الأودية..... ٣٤٦
- تعمد إلىٰ أَسَد مِن أُسد الله يقاتل عن دين الله تقاسمه سَلَبَه ! ٩٧
- تقتل امرأ يقول لا إله إلا الله؟ ٢٢١
- تمارى رجلان في المسجد الذي أُسِّسَ علىٰ التقوى من أول يوم فقال رجل..... ١٣٢
- تناول عليٌّ باباً كان عند الحصن فلم يزل في يده وهو يقاتل حتىٰ فتح الله عليه..... ٢٤
- ثبت بيني وبين أهل نجران حجاب فلا أراهم ولا يروني من شدة ما كانوا يمارون..... ٤٦٤
- جاء ذئب إلىٰ رسول اللهﷺ فأقعىٰ بين يديه وجعل يبصبص بذنبه ٤٨٧
- جعل الله التقوى زادك وغفر لك ذنبك ووجّهك للخير حيثما تكون ٣٩٠
- جمع الله بين ريقي وريقه في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة ٥٢١
- جهينة مني وأنا منهم، غضبوا لغضبي ورضوا لرضاي ٣٧٠
- حتفها تحمل ضأن بأظلافها..... ٤٠٢
- حديث عدي بن حاتم ٤٢٨

- حديث قَيْلة بنت مخرمة.....٣٩٨
- حديث كعب بن مالك.....١٣٦
- حديث لقيط بن عامر العقيلي أبي رزين ٤٥١
- حرامٌ قليلُ ما أسكر كثيره.....٣٧٠
- حمل عليٌّ الباب يوم خيبر حتىٰ صعد المسلمون ففتحوها ٢٤
- حيثما كنتم واتقيتم الله فلا يضركم.....٣٥٥
- خذوها يا بني طلحة تالدة خالدة لا ينزعها منكم إلاّ ظالم ٨٠
- خرج رسول الله ﷺ في جنازة رجل فإذا ذئب مفترش ذراعيه علىٰ الطريق.....٤٨٧
- خَلُّوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق والله يحب مكارم الأخلاق.....٤٣٠
- خمس خصال إذا نزلن بكم وأعوذ بالله أن تدركوهن.....١٩٨
- خير الصحابة أربعة وخير السرايا أربعمائة ولن يُغلب اثنا عشر ألفاً من قلة ١٤٤/٩٨
- خير أهل المشرق عبد القيس ٤٢٣
- خير تمراتكم البرني، يُذْهِبُ الداء ولا داء فيه.....٤٢٣
- خيرُ قرىً عربيةٍ خيبر، وخير بني سليم راشد.....٣٩٦
- دخل رسول الله ﷺ مكة وعليه عمامة سوداء.....٦٩
- دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح علىٰ راحلته فطاف عليها وحول البيت أصنام ٨١
- دخل عبدالرحمن بن أبي بكر علىٰ النبي وأنا مسندته إلىٰ صدري ومعه سواك رطب ٥٢٠
- دخل عليَّ رسول الله ﷺ في اليوم الذي بدئ فيه فقلت وارأساه.....٥١٠
- دخل عليَّ رسول الله ﷺ يوم أصيب جعفر وأصحابه وقد دبغتُ أربعين مَنّاً ٢٤٢
- دخلتُ علىٰ النبي ﷺ في بيته وهو علىٰ سرير مرمل وعليه فراش قد أثّر رمال السرير بظهره وجنبيه.....٢٦٨
- دعاني إلىٰ الإسلام ما رأيت مِن مقتل عامر بن فهيرة مِن رفعه إلىٰ السماء علواً.....١٧٩
- ذاك جفاء الأعراب.....٢٩٦
- ذاك شيطان يقال له خنزب فإذا أحسستَه فتعوّذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثاً ٣٦٢
- رأيت أكيدر حين قدم به خالد وعليه صليب من ذهب وعليه الديباج ظاهراً ٢٧٩
- رأيت قبل هزيمة القوم مثل البجاد الأسود أقبل من السماء لم أشك أنها الملائكة ٩٣
- رأيتهم في الجنة إخواناً علىٰ سرر متقابلين ورأيت في بعضهم إعراضاً.....٢٤١

- رُبَّ خطيب من عَنْس ٤٣٩
- ربع دية وثلث دية ونصف دية ودية تامة ٢٩٥
- رحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويُبعث وحده ١٢٧
- رحم الله امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة ٥٠
- رحمة الله علىٰ موسىٰ قد أُوذي بأكثر من هذا فصبر ١٠٦
- رُفِعوا إليّ في الجنة فيما يرى النائم علىٰ سرر من ذهب، فرأيت في سرير عبدالله بن رواحة ازوراراً عن سريري صاحبيه ٢٤١
- زيد بن حارثة أمير الناس، فإنْ قُتِلَ زيد فجعفر بن أبي طالب، فإن أصيب جعفر فعبدالله بن رواحة ٢٢٧
- سأل عمر بن الخطاب عن قول الله تعالىٰ: (إذا جاء نصر الله والفتح) فقال ابن عباس: هو أَجَل رسول الله ﷺ أَعْلَمَه له ٥٠٩
- سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله ﷺ منكم ٣٥
- سُجِّيَ رسول الله ﷺ حين توفي ببرد حبرة ٥٢٣
- سدوا عني كل خوخة في هذا المسجد غير خوخة أبي بكر ٥١٥
- سمعت برجمة الروم وهَيْنمة فارس وأشعار العرب وكهانة الكاهن وكلام مَقاوِل حمير، فما يشبه كلام محمد شيئاً من كلامهم ٣٩٥
- سمعت رسول الله ﷺ يدعو لهذا الحي من النخع حتىٰ تمنيت أني رجل منهم ٤٧٢
- سيدخل عليكم من هذا الباب من خير ذي يمن وإنّ علىٰ وجهه لمسحة مُلْك ٣٦٦
- سيطلع عليكم مِن ها هنا ركب هم خير أهل المشرق ٤١٩
- سيعزي الناسُ بعضهم بعضاً من بعدي التعزية بي ٥٢٦
- صلىٰ رسول الله ﷺ الفجر فإذا هو بقريب من مائة ذئب قد أَقْعَيْن ٤٨٧
- ضنَّ الخبيث بملكه ولا بقاء لملكه ٣١٨
- ضنَّ ربك بمفاتيح خمس من الغيب لا يعلمها إلاّ الله ٤٥٢
- عرفة كلها موقف إلاّ بطن عرنة ٤٩٩
- عضة عضضتنيها في ظهري وأنا متوركتك، فعرف رسول الله ﷺ العلامة ١١١
- عليك بالإبل فإنها حمولة، والحمل يكون عدداً والناقة ذوداً ٤٢٥
- عليكم بالغنم فإن ألبانها سَجْل وأصوافها أثاث وأولادها بركة ٤٢٥

- عَنَزة حي من ها هنا مَبْغِيٌّ عليهم منصورون.....٤٣٨
- غزونا فزارة وعلينا أبو بكر أمّره رسول الله ﷺ علينا ١٩٧
- غَسَّل النبيَّ ﷺ عليٌّ وعلىٰ يد عليٍّ خرقة.....٥٢٧
- غسّلتُ رسول الله ﷺ فجعلت أنظر ما يكون من الميت فلم أر شيئاً.....٥٢٨
- غَسِّلوا نبيكم لتكون سنة من بعده.....٥٢٦
- فاستنّ به كأشد ما رأيته يستن بسواك قبل.....٥٢٠
- قاتل الله أقواماً اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد.....٥٣١
- قاتلهم الله جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام ٨١
- قُبِض رسول الله ﷺ ولم ينعه إلينا، ولسنا ندري أحي هو أو ميت ٤٨٦
- قد أَفْنت الدنيا عمرها إلا قليلاً.....٤٨٥
- قد ربيناهم صغاراً وقتلتَهم أنت ببدر كباراً.....٧٦
- قدم أبو صفرة علىٰ رسول الله ﷺ علىٰ أن يبايعه وعليه حلة صفراء.....٤٠٦-٤٠٧
- قدمت علىٰ رسول الله ﷺ في أربعمائة من مزينة وجهينة، فقال القوم: ما لنا مِن طعام نتزوّده.....٤٥٨
- كان آخر كلامه: الصلاة الصلاة، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم ٥١٨
- كان ابن عمر إذا حيّىٰ عبدالله بن جعفر قال السلام عليك يا ابن ذي الجناحين.....٢٤١
- كان الله ولا شيء غيره، وكان عرشه علىٰ الماء ثم خلق القلم ٤٦١
- كان المقوقس لي مكرماً في الضيافة وقلة اللبث ببابه.....٣١٨
- كان النبي ﷺ لا يحب أن يراه أحد وهو في حالة غير مرضية.....٥٢٧
- كان جعفر أول رجل من المسلمين عقر فرساً في سبيل الله.....٢٣٣
- كان رسول الله ﷺ إذا أمّر أميراً علىٰ جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله.....١٤٥
- كان رسول الله ﷺ إذا بعث جيشاً أو سرية قال.....١٤٦
- كان رسول الله ﷺ إذا بعث سرية أغزاها أول النهار وقال: اللهم بارك لأمتي في بكورها ١٤٤
- كان رسول الله ﷺ إذا شيّع جيشاً فبلغ عقبة الوداع قال أستودع الله تعالىٰ دينكم.....١٤٥
- كان رسول الله ﷺ إذا غزا قوماً لم يُغِرْ عليهم حتىٰ يصبح.....١٩
- كان رسول الله ﷺ إذا قدم عليه الوفد لبس لهم أحسن ثيابه.....٣٢٩
- كان رسول الله ﷺ إذا لم يَغْزُ أعطىٰ سلاحه علياً أو أسامة بن زيد.....١٤٧
- كان رسول الله ﷺ لا يحقر أحداً أن يدعوه إلىٰ الإسلام ويعرضه عليه ٤١

- كان رسول الله ﷺ يصلي بالناس جالساً وأبو بكر قائماً يقتدي بصلاة النبي ﷺ ٥١١/ ٥١٣
- كان سيما الملائكة يوم حنين عمائم حمراً قد أرخوها بين أكتافهم..... ٩٤
- كان صفي رسول الله ﷺ عبداً أو أَمَة أو سيفاً أو درعاً..... ٢٧٩
- كان عامة وصية الرسول ﷺ حين حضره الموت: الصلاة وما ملكت أيمانكم..... ٥١٨
- كان مما استُدل به علىٰ اقتراب أَجَل رسول الله ﷺ نزول سورة النصر..... ٥٠٩
- كان مما صنع الله به لرسوله أن هذين الحيين من الأنصار كانا يتصاولان مع رسول الله ﷺ تصاول الفحلين..... ١٨٤
- كان من خبري أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر حين تخلّفتُ عنه في تلك الغزاة..... ١٣٦
- كان من نعمة الله عليَّ وبلائه الحسن عندي أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي وفي يومي، وقُبِضَ بين سحري ونحري، وجُمعَ بين ريقي وريقه عند الموت..... ٥٢١
- كُفِّنَ النبي ﷺ في ثلاثة أثواب: ثوبين صحاريين وثوب حبرة..... ٥٢٩
- كُفِّنَ النبي ﷺ في قطيفة وحلة حبرة..... ٥٢٩
- كُفِّنَ رسول الله ﷺ في بردين أبيضين وبرد أحمر..... ٥٢٩
- كُفِّنَ رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب أحدها حبرة..... ٥٢٩
- كُفِّنَ رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب برود يمانية غلاظ: إزار ورداء ولفافة..... ٥٢٩
- كُفِّنَ رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة..... ٥٢٩
- كُفِّنَ رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب: ثوبين أبيضين وبردة حبرة..... ٥٢٩
- كل المزدلفة موقف إلاّ بطن محسر..... ٥٠٣
- كل قوم أحق بجنازتهم من غيرهم..... ٥٢٨
- كل مسكر حرام..... ٢٨٥/ ٣٧٠
- كل معروف صنعتَه إلىٰ غني أو فقير فهو صدقة..... ٣٤٣
- كل مَنْ مات علىٰ غير الإسلام فهو في النار..... ٣٤٣
- كنا إذا دخل رجب قلنا: جاء منصل الأسنة..... ٣٨١
- كنا نجتمع ولا نفترق، ولا نبدأ أحد بظلم..... ٣٧٢
- كنت يتيماً في حجر عبدالله بن رواحة فلم أرَ ولي يتيم كان خيراً منه..... ٢٣٠
- كيف أنت ولا إله إلا الله؟..... ٢٦١
- كيف لك بلا إله إلا الله غداً؟..... ٢٩٠

- لا أُحِلّ إلاّ ما أَحَلّ الله في كتابه ولا أُحَرِّم إلاّ ما حَرَّم الله في كتابه ٥١٧
- لا أدع نفقة كنت أنفقها في صد عن سبيل الله إلاّ أنفقت ضعفها في سبيل الله ٧٣-٧٤
- لا إسلام لمن لا هجرة له ٤٢٨
- لا أعلم شيئاً أُبيح ثم حُرِّم ثم أُبيح ثم حُرِّم غير نكاح المتعة ٣١
- لا إله إلا الله وحده لا شريك له صَدَقَ وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب ٧٩
- لا تتمنوا لقاء العدو فإنكم لا تدرون لعلكم تُبْتَلون به..... ٣٠١
- لا تجني أُمٌّ علىٰ ولد..... ٤١٠
- لا تُخفر ذمة الله في جيرانه فيتبعك الله تعالىٰ في خفرته..... ٢٤٩
- لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلاّ وأنتم باكون ١٢٨
- لا تزال عصابة من أمتي يجاهدون علىٰ الحق حتىٰ يخرج الدجال ١٣١
- لا تَسُبّوا أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مِثْل أُحد ذهباً ما بلغ مُدّ أحدهم ولا نصيفه..... ٢٦٧
- لا تستنجوا بهما فإنهما زاد إخوانكم من الجن..... ٤٨٤
- لا تصيحوا عند رسول الله ﷺ حياً ولا ميتاً..... ٥٣٢
- لا تغسلوه فإنه طاهر مطهر..... ٥٢٦
- لا تغفلوا عن آل جعفر أن تصنعوا لهم طعاماً فإنهم قد شُغِلوا بأمر صاحبهم ٢٤٢
- لا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع ١٤٦
- لا تقع في عليٍّ فإنه مني وأنا منه، وهو وَلِيُّكم بعدي..... ٢٩٢
- لا جرم إني علىٰ ذلك من النادمين، وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين..... ٤٨٥
- لا حاجة لي بهما، أما ابن عمي فهتك عرضي، وأما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال لي بمكة ما قال..... ٦٤
- لا خير في الإمارة لرجل مؤمن..... ٤٠٥
- لا خير في دين لا صلاة فيه ٣٥٨
- لا ذبيحة لغير الله، ولا ذبيحة عليكم في سنتكم إلاّ واحدة..... ٤٣٤
- لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كُتِبَت عليك فقد متها..... ٥٢٤
- لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان..... ٤٨
- لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقي ماؤه زرع غيره ٣١
- لا يحل للضيف أن يقيم عندك فيحرجك..... ٣٤٣

- لا يرى أحد عورتي إلاّ طُمِست عيناه..... ٥٢٧
- لا يُغَيِّر أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته ولا كاهن من كهانته..... ٤٦٨
- لا يفضض الله فاك ، فأتت عليه تسعون سنة وما تحرّك له سن..... ٢٨٢
- لا يموتن أحدكم إلاّ وهو يحسن الظن بالله..... ٥١٧
- لا ينتطح فيها اثنان عنزان..... ١٥٧
- لأبعثنّ عليكم رجلاً ليس بخيركم أصبركم علىٰ الجوع والعطش..... ١٥٣
- لأبعثنّ معكم رجلاً أميناً حق أمين..... ٤٦٩
- لإسلامك يوم أسلمتَ كان أحبّ إليّ من إسلام الخطاب لو أسلم..... ٦٧
- لأُعطينّ الراية غداً رجلاً يحب اللهَ ورسولَه ويحبه اللهُ ورسولُه..... ٢٢
- لأن يَرُبّني رجل من قريش أحب إليّ من أن يربني رجل من هوازن..... ٩٢
- لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس أو غربت..... ٢٩٣
- لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم..... ٢٢
- لئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج بملء كفه من ذهب أو فضة يطلب مَنْ يقبله منه فلا يجد أحداً..... ٤٣٣
- لئن طعنتم في إمارتي أسامة لقد طعنتم في إمارتي أباه مِن قبله..... ٣٠٢
- لئن كان نبياً فلاعنته لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا..... ٤٦٩
- لئن كان هذا الرجل نبياً فلاعناه لا يبقىٰ علىٰ وجه الأرض منا شعر ولا ظفر..... ٤٦٦
- لئن لم يُنْجِ في البحر إلاّ الإخلاص فإنه لا ينجي في البر غيره..... ٧٤
- لتركبن سنن من كان قبلكم..... ٩٠
- لتفتحن عليهم كنوز كسرى بن هرمز..... ٤٣٣
- لحق المسلمون رجلاً في غنيمة له فقال السلام عليكم ، فقتلوه وأخذوا غنيمته..... ٢٩٠
- لحقنا بمسيلمة الكذاب فلحقنا بالنار وكا نعبد الحجر في الجاهلية..... ٣٨١
- لعل الله قد اطلع إلىٰ أصحاب بدر يوم بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم..... ٦٢
- لعن الله رِعْلاً وذكوان وعُصَيّة ولحيان..... ٣٦٨
- لَغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها..... ٢٣٠
- لقد أتاني البشير بهلكة أهل نجران حتىٰ الطير علىٰ الشجر لو تَمُّوا علىٰ الملاعنة..... ٤٦٧
- لقد أَجَرْنا مَنْ أَجَرْتِ يا أم هانئ..... ٧٩

- لقد استلب أبو طلحة يوم حنين وحده عشرين رجلاً ٩٧
- لقد أَمِرَ أَمْر ابن أبي كبشة، إنه يخافه ملك بني الأصفر ٣١٥
- لقد اندقت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف وما ثبت في يدي إلاّ صحيفة يمانية ٢٣٧/٢٤٣
- لقد تركتُ ابن أخيك عروساً علىٰ بنت ملكهم ولقد افتتح خيبر ٤٣
- لقد قرّت عين أم إبراهيم ٢٨٦
- لكم كل عظم ذُكِرَ اسم الله عليه يقع في أيديكم أَوْفر ما كان لحماً، وكل بعرة أو روثة علف لدوابكم ٤٨٤
- لم يؤم الناسَ علىٰ رسول الله ﷺ أحد ٥٣٠
- لم يوصِ رسول الله ﷺ عند موته إلا بثلاث: أوصىٰ للرهاويين وللداريين ٤٦
- لَمّا أُتِيَ بسبايا طيئ وقفتْ جارية جمّاء حمراء لَعْساء ذَلْفاء ٤٣٠
- لَمّا أجمع رسول الله ﷺ السير إلىٰ هوازن ذُكِرَ له أن عند صفوان بن أمية أدراعاً ٨٩
- لَمّا أخذنا في جهاز رسول الله ﷺ أغلقنا الباب دون الناس جميعاً ٥٢٨
- لَمّا أخذوا في غُسْل رسول الله ﷺ ناداهم مناد: لا تنزعوا عن النبي قميصه ٥٢٧
- لَمّا أرادوا أن يحفروا لرسول الله ﷺ بعثوا إلىٰ أبي عبيدة وكان يضرح كضريح أهل مكة، وبعثوا إلىٰ أبي طلحة وكان هو الذي يحفر لأهل المدينة ويلحد ٥٣١
- لَمّا اشتكىٰ رسول الله ﷺ فقال نساؤه انظر حيث تحب أن تكون فيه نحن نأتيك ٥١٠
- لَمّا افتتح أبو بكر الصلاة وجد رسول الله ﷺ خفة فخرج ٥١٣
- لَمّا التقينا نحن وأصحاب رسول الله ﷺ لم يقفوا لنا حلبة شاة، فلما كشفناهم جعلنا نسوقهم فتلقّانا رجال بيض الثياب حِسان الوجوه ٩٤
- لَمّا بقي من أجله ﷺ ثلاث ليال نزل عليه جبريل فقال: يا أحمد إن الله أرسلني إليك إكراماً لك وتفضيلاً لك وخاصة لك ٥٢١
- لَمّا بعث رسول الله ﷺ معاذ بن جبل إلىٰ اليمن خرج معه يوصيه ومعاذ راكب، ورسول الله ﷺ يمشي تحت ظل راحلته ١٤٥
- لَمّا بنىٰ رسول الله ﷺ مسجد المدينة وضع في البناء حجراً فقال لأبي بكر: ضع حجرك إلىٰ جنب حجري ٥٣٨
- لَمّا توفي رسول الله ﷺ ارتدت العرب واشْرَأَبَّت اليهودية والنصرانية ٥٣٩
- لَمّا توفي رسول الله ﷺ جاء أبو بكر فكشف الثوب عن وجهه فقال مات رسول الله ٥٢٤

- لَمّا ثقل رسول الله ﷺ قال: أَصَلّىٰ الناس؟ قلت لا هم ينتظرونك..... ٥١٢
- لَمّا شُكَّ في موت النبي ﷺ وضعت أسماء بنت عميس يدها بين كتفيه..... ٥٢٣
- لَمّا فتح رسول الله ﷺ الحصن ذُكِرَ له جمال صفية وقد قُتِلَ زوجها وكانت عروساً، فاصطفاها النبي ﷺ لنفسه..... ٢٩
- لَمّا فُتِحت خيبر أُهْدِيَت إلىٰ النبي ﷺ شاة فيها سم..... ٣٢
- لَمّا كُفِّنَ رسول الله ﷺ ووُضِعَ علىٰ سريره وبعد الملائكة دخل أبو بكر وعمر ٥٣٠
- لَمّا ودّع رسول الله ﷺ عبدالله بن رواحة قال: مُرْني بشيء أحفظه عنك ٢٢٩
- لَمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا..... ٢٧٩
- لن تزال الحبشة بخير ما كان هذان الكتابان بين أظهرها ٣١٢
- لن نعدمك مِن رب يضحك خيراً..... ٤٤٤
- لن نُغلب اليوم من قلة..... ٨٩
- لَنصيب عليٍّ في الخُمس أفضل من وصيفة، وإن كنتَ تحبه فازدد له حباً..... ٢٩٢
- لو استقبلتُ من أمري ما استدبرت ما غسّل رسول الله إلاّ نساؤه..... ٥٢٧
- لو أنفقتَ ما في الأرض جميعاً ما أدركتَ غدوتهم..... ٢٣٠
- لو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشّمت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه..... ٣١٤
- لو باهل أهل نجران رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون أهلاً ولا مالاً ٤٦٧
- لو تكلّمتُ لأخبرت عني هذه الحصىٰ ٨١
- لو رجعتِ إليه فوجدتِه تنثعب منخراه قيحاً ودماً فمصصتِ ذلك ما أَدَّيْتِ حقه ٣٧٨
- لو سألتَني هذا العَسِيب الذي في يدي ما أعطيتُكه ٣٧٩
- لو سألتَني هذه القطعة ما أعطيتُكها ولن تعدو أمر الله فيك..... ٣٨١
- لو سألني سيابة من الأرض ما فعلتُ، باد وباد ما في يديه ٣٢٠
- لو كان لك أُحد ذهباً تنفقه قيراطاً قيراطاً في سبيل الله لم تدرك غدوة أو روحة من غدوات أو روحات عبد الرحمن ٢٦٧
- لو كنتَ أعز من أم قرفة ما زدت..... ٢٠٢
- لو كنتُ قاتلاً رسولاً لقتلتكما، فمضت السنة بأنّ الرسل لا تقتل..... ٣٨٠
- لو لم أقتل قاتل أبي أكنتَ تقتل قوماً مسلمين بأبي في الجاهلية؟ ٢٦٦
- لو نعلم أنّا ندركه لم يُرْوِحْ لأَجَبْنا لو كان عندنا منه..... ٢٥٣

- لوددت أني أغزو في سبيل الله وأُقتل ثم أَحيىٰ ثم أُقتل ثم أَحيىٰ ١٤٧
- لولا الهجرة لكنتُ امرأ من الأنصار، ولو سلكت الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكتُ شعب الأنصار ١١٤
- لولا أن أشق علىٰ المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله ١٤٧
- لولا أن الرسل لا تُقتل لضربت أعناقكما ٣٨٠
- لولا أنهم مِن أشد الناس قتالاً للأعور الدجال لدعوتُ الله عليهم أن يهلكهم ٣٥٤
- ليأتين ركب من هذا المشرق لم يُكْرَهوا علىٰ الإسلام، بصاحبهم علامة ٤٢١
- ليأتينّ علىٰ الناس زمان ليس لهذا الدين ناصر غير قيس ٤٤٧
- ليس بأحق بي منكم وله ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان ٣٥
- ليس مِن عبد تاب إلىٰ الله بالغاً ذنبه ما بلغ إلاّ تاب الله عليه ٤٨٦
- ليسوا بالفرار ولكنهم الكُرّار إن شاء الله تعالىٰ ٢٤٤
- لِيُصَلِّ بكم أكثركم جمعاً أو أخذاً للقرآن ٣٦٤
- ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتىٰ لا يوجد مَنْ يأخذه ٤٣٢
- ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فُتِحَت عليهم ٤٣٣
- ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية علىٰ بعيرها حتىٰ تزور هذا البيت لا تخاف ٤٣٢
- ما أدري بأيهما أنا أَسَرُّ، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر؟ ٣٥
- ما أطيب حياتك وأطيب ميتتك ! ٥٢٤
- ما بلغ بُنَيّ ذاك أن يجير بين الناس، وما يجير أحد علىٰ رسول الله ﷺ ٥٩
- ما ترى في رجل يحب اللهَ ورسولَه ويحبه اللهُ ورسولُه؟ ٢٩١
- ما تناولت عضواً إلا كأنما يقلبه معي ثلاثون رجلاً حتىٰ فرغت من غُسْله ٥٢٧
- ما حق زوج أحد منا عليه؟ قال: يُطعمها إذا طعم، ويكسوها إذا اكتسىٰ ٤٦٠
- ما حَمَلْتُكَ وأنا أريد أن آخذ منك شيئاً ٢٧٩
- ما ذُكِرَ لي رجل من العرب إلاّ رأيته دون ما ذُكِرَ لي إلاّ ما كان من زيد الخيل ٤١١
- ما رُئِيَ من رسول الله ﷺ شيء مما يرى من الميت ٥٢٧
- ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب، لقد رأيته يأكل من قطف عنب وما بمكة يومئذ ثمرة وإنه لموثق في الحديد ١٧٥
- ما رأيت رسول الله ﷺ وجد علىٰ شيء وجده عليهم، فلقد رأيته كلما صلىٰ الغداة رفع يديه فدعا عليهم ١٨١

- ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً ١٧٤
- ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتىٰ وجدوا الأسارى مكتفين عند رسول الله..... ٩٣
- ما زلنا نعرف البركة في وجه زياد..... ٤٧٣
- ما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة..... ٤٠٨
- ما ضرّكِ لو متِّ قبلي فغسّلتكِ وكفّنتكِ وصلّيتِ عليك ثم دفنتكِ؟..... ٥١١
- ما ظن نبي الله لو لقي الله وهذه عنده ٥١٤
- ما فَتَحْتُ عن أمري ولا سددت عن أمري..... ٥١٦
- ما قُبِضَ نبي إلاّ دُفِنَ حيث يقبض..... ٥٣١
- ما كان الله ليسلطها علىٰ رسوله إنها همزة من الشيطان..... ٥١٥
- ما كنا لنقبل أيمان يهود، ما هم فيه من الكفر أعظم أن يحلفوا علىٰ إثم..... ٤٧
- ما كنت لأُوثر بثوب رسول الله ﷺ أحداً..... ١١٨
- ما لاعن قوم قط نبياً فبقي كبيرهم ولا نَبَت صغيرهم..... ٤٦٦
- ما وافقت عندنا شيئاً أعينك به، ولكن قد أجمعت أن أبعث أبا قتادة في أربعة عشر رجلاً في سرية فإني أرجو أن يغنمك الله مهر امرأتك..... ٢٥٤
- مات بين حاقنتي وذاقنتي..... ٥٢٠
- مات في اليوم الذي كان يدور عليَّ فيه وإن رأسه لبين نحري وسحري..... ٥٢١
- مَثُلَ جعفر وزيد وابن رواحة في خيمة من در..... ٢٤١
- مرّ رجل من سليم علىٰ نفر من أصحاب رسول الله ﷺ ومعه غنم فسلّم عليهم، فقتلوه وأخذوا غنمه..... ٢٩٠
- مُروا أبا بكر فليُصَلِّ بالناس..... ٥١١
- معاذ الله أن يتحدّث الناس أني أقتل أصحابي..... ١٠٧
- مِعْزى حملت حتفها..... ٣٧١
- مفتاح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له..... ٣٧٨
- مَنْ أحب منكم أن يحضر الليلة أثر الجن فليفعل، فلم يحضر معه أحد غيري..... ٤٨٤
- مَنْ أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصىٰ أميري فقد عصاني..... ٢٢١
- مَنْ أمركم بمعصية منهم فلا تطيعوه..... ٢٧٦
- مَنْ تتبع المشمعة يشمع الله به..... ٣٥٢

- مَنْ دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومَنْ أغلق عليه بابه فهو آمن ٦٨
- مَنْ رجل يطعمنا مِن هذه الغنم؟ قال أبو اليَسَر: أنا يا رسول الله ٢٥
- مَنْ زارني بالمدينة كان في جواري يوم القيامة ٣٨٤
- مَنْ عاش مات ومن مات فات، وكل ما هو آت آت ٣٤٢
- مَنْ قتل عصفوراً فما فوقها بغير حقها سأل اللهُ عنها يوم القيامة ٢٣٣
- مَنْ قتل قتيلاً فله سَلَبه ٩٧
- مَنْ كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ٥٢٥
- مَنْ كنت وليه فعليٌّ وليه ٢٩٢
- مَنْ يُرِد الله به خيراً يهده للإسلام ٣٤٣
- مَنْ يسأل الناس عن غنىً فصداع في الرأس وداء في البطن ٤٠٥
- مَنْ يعدل إذا لم أكن أعدل؟ لقد خبتُ وخسرتُ إن لم أكن أعدل ١٠٧
- مَنْ يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله ١٠٦
- موسىٰ علّمني من التوراة، وعيسىٰ علّمني من الإنجيل، فعَلِّمْني من القرآن ٤٨٦
- نحن بنو آكل المُرار ٤٥٠
- نحن معشر الأنبياء لا نورث، ما تركنا صدقة ٥٣٧
- نستخير ربنا ونبعث إليهما، فأيهما سبق تركناه ٥٣٢
- نَصَحَ لهم في الحياة ونصح لهم في الممات ٤٤٨
- نُصِرْتَ يا عمرو بن سالم ٥٨
- نعىٰ رسول اللهﷺ وهو علىٰ المنبر زيداً وجعفراً وابن رواحة للناس يوم أُصيبوا ٢٤٠
- نعىٰ لنا نبينا وحبيبنا نفسه قبل موته بشهر ٥١٨
- نِعْمَ الحي عَنَزة مبغي عليهم منصورون ٤٣٨
- نِعْمَ الحي همدان، ما أسرعها إلىٰ النصر وأصبرها علىٰ الجَهْد ٤٧٥
- نِعْمَ المال الأربعون والأكثر الستون وويل لأصحاب المئين ٤٤٧
- نِعْمَ المرضعون أهل عُمان ٣٣٣
- نِعْمَ الوفد الأزد، طيبة أفواههم برة أيمانهم تقيّة قلوبهم ٣٣٣
- نهىٰ رسول اللهﷺ يوم خيبر عن أربع: إتيان الحبالىٰ من السبايا وعن ٣١

- نهانا رسول اللهﷺ يوم خيبر عن أن نبيع أو نبتاع تبر الذهب بالذهب العين ٣٢
- ها هنا تحشرون ركباناً ومشاة وعلىٰ وجوهكم، موفون يوم القيامة سبعين أمة..... ٤٦٠
- هؤلاء الخلفاء بعدي..... ٥٣٨
- هجرة الباني أن يثبت مع النبي، وهجرة البادي أن يرجع إلىٰ باديته..... ٤٨٠
- هذا أصدق بيت قالته العرب..... ٤١٨
- هذا البَرْني أمسىٰ من خير ثمراتكم..... ٤٢٠
- هذا أمين هذه الأمة..... ٤٦٩
- هذا أنا أشفع إلىٰ ربي، فمن ذا الذي يشفع ربنا إليه؟ لا إله إلا هو ٤٤٤
- هذا رجل من إياد تحنّف في الجاهلية فوافىٰ عكاظاً والناس مجتمعون..... ٣٤٢
- هذا ملك هذه الأمة قد ظهر..... ٣١٥
- هذا وائل بن حجر قد أتاكم من أرض بعيدة طائعاً غير مكره راغباً في الله..... ٤٧٩
- هذا وافد السباع إليكم فإنْ أحببتم أن تفرضوا له شيئاً لا يعدوه إلىٰ غيره ٤٨٧
- هذه سرية من سراياك تبعثها فيأتيك منها ما تحب ويكون في بعضها اعتراض ٢٦٥
- هكذا يا ابن عوف فاعتمّ فإنه أحسن وأعرف ١٩٩
- هل أنتم تاركون لي أمرائي؟ لكم صفوة أمرهم وعليهم كَدَره..... ٢٣٩
- هلاّ تركتَ الشيخ في بيته حتىٰ أكون أنا آتيه فيه..... ٧٦
- هلك الوالد وغاب الوافد فامنن عليَّ مَنَّ الله عليك..... ٤٣١
- هما من جبال الجنة لا تطؤهما فتنة..... ٣٦٩
- والله لا يذهبون بهذه فضلاً علينا عند رسول اللهﷺ وفي الإسلام..... ١٨٤
- والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأني جالس في أهلي..... ١٧٤
- واللهِ ما أحسنتَ حين أَطْعَمْتَنا هذا، ثم قاما يتقيّآن ما في بطونهما منه..... ٢٥٠
- واللهِ ما هذا بأمر ملك..... ٤٣٢
- وأنت بهذا يا وبر تحدّر من رأس ضأن؟!..... ٢١٢
- وَفَدَ رجل من النخع يقال له زرارة علىٰ رسول اللهﷺ فقال: إني رأيت في سفري هذا رؤيا هالتني..... ٤٧٢
- وما عليكم لو تركتموني فأعرستُ بين أظهركم وصنعنا لكم طعاماً فحضرتموه..... ٥٢
- يا أبتاه أجاب رباً دعاه، يا أبتاه في جنة الفردوس مأواه..... ٥١٩

- يا أنصار الله وأنصار رسوله أنا عبد الله ورسوله..... ٩١
- يا عباس نادِ: يا معشر الأنصار يا أصحاب السمرة..... ٩١/٩٣
- يحفظ الله تبارك وتعالىٰ العبد المؤمن بعد وفاته كما يحفظه في حياته ١٧٣
- يدخل عليكم من هذا الفج رجل كريم الجدين صبيح الخدين.....٣٧٥
- يدنو عشية عرفة فيباهي بأهل الموقف الملائكة.....٤٤٤
- يرحمك ربك، وما خصّ بها رسول الله ﷺ أحداً قط إلاّ استُشهد ١٨
- يقدم عليكم قوم هم أرق منكم قلوباً، فقدم الأشعريون.....٣٣٧
- يمنعكما من الإسلام ثلاث فيكما: عبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير وزعمكما أن لله ولداً ٤٦٤
- ينزل ربنا كل ليلة إلىٰ السماء الدنيا.....٤٤٤

فهرس الخرائط والصور

أولاً : الخرائط :

- غزوة خيبر..... ٨/٧
- عمرة القضاء..... ٤٩
- فتح مكة ٥٣
- سرايا تحطيم الأصنام في جزيرة العرب ٨٢
- أهم أصنام الجزيرة العربية في الجاهلية..... ٨٣
- غزوة حنين..... ٨٦/٨٥
- غزوة الطائف ١٠٠
- غزوة تبوك..... ١١٩
- مجموع سرايا النبيﷺ وبعوثه..... ١٤١
- مراحل اتساع الإسلام في عهد الرسولﷺ ١٤٢
- سرايا السنة الأولىٰ من الهجرة ١٤٨
- سرايا السنة الثانية من الهجرة ١٥٢
- سرايا السنة الثالثة من الهجرة ١٥٩
- من سرايا السنة الرابعة من الهجرة ١٦٦
- سرايا السنة الخامسة من الهجرة ١٨٣
- سرايا السنة السادسة من الهجرة..... ١٨٧
- من سرايا السنة السابعة من الهجرة ٢١١
- من سرايا السنة الثامنة من الهجرة ٢١٧
- سرية مؤتة..... ٢٢٤
- من سرايا السنة التاسعة من الهجرة..... ٢٧١
- من سرايا السنة العاشرة من الهجرة ٢٨٧
- كتب الرسولﷺ ورسله إلىٰ الملوك والأمراء ٣٠٦
- وفود العرب علىٰ رسول اللهﷺ ٣٢٦

- منازل أهم قبائل الجزيرة العربية ٣٢٧
- أمراء النبيﷺ وعماله علىٰ الصدقات ٤٨٩
- حجة الوداع ٤٩٤
- المواقيت المكانية لفريضة الحج ٤٩٥

ثانياً : الصور :

- قصير النبي جنوب خيبر..... ٩
- سوق خيبر القديمة ٩
- قلعة خيبر (قصر مرحب اليهودي) ١٠
- حصون خيبر : ١١-١٥
  - حصن ناعم ١١
  - حصن الصعب بن معاذ..... ١٢
  - حصن النزار..... ١٢
  - حصن أُبَيّ..... ١٣
  - حصن القموص (حصن أبي الحقيق) ١٤
  - حصن الوطيح ١٥
  - حصن سُلالم..... ١٥
- ساحة شهداء خيبر..... ١٥
- مِن مزارع وآبار فدك..... ١٦
- بئر ذي طوى..... ٥٤
- مسجد خالد بن الوليد أسفل مكة ٥٤
- مسجد عبدالله بن عباس الكبير في الطائف ١٠٠
- بردة النبيﷺ التي أهداها لكعب بن زهير..... ١١٨
- مسجد الرسولﷺ بتبوك..... ١٢٠
- حصن كعب بن الأشرف اليهودي ١٦٠
- مكان ماء الرجيع ١٧٠
- وادي المكيمن حيث كانت حادثة العُرَنِّيِّين..... ٢١٠
- ميدان معركة مؤتة بالأردن..... ٢٢٣
- مقام شهداء مؤتة : ٢٢٥-٢٢٦
- جعفر بن أبي طالب..... ٢٢٥

- زيد بن حارثة..... ٢٢٦
- عبدالله بن رواحة..... ٢٢٦
- منطقة الجرف حيث عسكر جيش أسامة..... ٣٠٥
- خَتْم النبيﷺ المحفوظ في متحف استنبول..... ٣٠٩
- رسالة النبيﷺ إلىٰ النجاشي ملك الحبشة..... ٣١٠
- رسالة النبيﷺ إلىٰ قيصر ملك الروم..... ٣١٢
- رسالة النبيﷺ إلىٰ كسرى ملك الفرس..... ٣١٦
- رسالة النبيﷺ إلىٰ المقوقس صاحب الإسكندرية..... ٣١٧
- رسالة النبيﷺ إلىٰ جيفر وعياذ ملكي عُمان..... ٣٢٠
- رسالة النبيﷺ إلىٰ المنذر بن ساوى ملك البحرين..... ٣٢٢
- كتاب النبيﷺ إلىٰ مسيلمة الكذاب..... ٣٨٠
- وادي ذي الحليفة ومسجد الميقات..... ٤٩٧
- عرفة قديماً وحديثاً وجبل الرحمة..... ٥٠١
- مسجد عرفات قديماً..... ٥٠٢
- مسجد نمرة بعرفات..... ٥٠٢
- وادي محسر بين منىٰ والمزدلفة..... ٥٠٣
- مسجد المشعر الحرام بمزدلفة..... ٥٠٤
- مسجد الخيف في منىٰ قديماً وحديثاً..... ٥٠٥
- بئر غرس الذي غُسِّل النبيﷺ من مائه..... ٥٢٨
- المواجهة النبوية الشريفة..... ٥٣٤
- قبر النبيﷺ الشريف..... ٥٣٥
- ستار قبر النبيﷺ المحفوظ في المتاحف الإسلامية..... ٥٣٦
- بعض من تراب وغبار قبر النبيﷺ المحفوظ في المتاحف الإسلامية..... ٥٣٦
- موقع سقيفة بني ساعدة..... ٥٣٩

فهرس المصادر والمراجع

❁ القرآن الكريم وتفسيره :

- الجامع الكبير لأحكام القرآن للقرطبي
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي
- تفسير الإمام فخر الدين الرازي
- معالم التنزيل للبغوي
- تفسير الطبري
- تفسير ابن كثير
- تفسير ابن عباس
- تفسير البحر

❁ المتون :

- صحيح مسلم
- صحيح البخاري
- صحيح ابن حبان
- سنن الترمذي
- السنن الكبرى للنسائي
- سنن أبي داود
- سنن ابن ماجة
- سنن البيهقي الكبرى
- سنن أبي يعلىٰ
- سنن الدارمي
- سنن الدارقطني
- سنن سعيد بن منصور
- مسند أحمد
- مسند الطيالسي
- مصنف ابن أبي شيبة
- مسند الحميدي
- مصنف عبد الرزاق
- صحيح ابن خزيمة
- الأدب المفرد للبخاري
- الجامع الصغير للسيوطي
- الفردوس بمأثور الخطاب للديلمي
- شعب الإيمان للبيهقي
- الاعتقاد للبيهقي
- نوادر الأصول في أحاديث الرسول للترمذي
- الآحاد والمثاني للضحاك
- المعجم الصغير للطبراني
- المعجم الأوسط للطبراني
- المعجم الكبير للطبراني

❁ تابع المتون:

- مسند البزار
- مسند أبي يعلىٰ
- مسند إسحاق بن راهويه
- مسند أبي عوانة
- مسند عبد بن حميد
- مسند ابن الجعد
- مسند الروياني
- المستدرك علىٰ الصحيحين للحاكم
- مسند الشافعي
- مسند عبدالله بن أحمد
- مسند الشاميين للطبراني
- الأحاديث المختارة للمقدسي
- مجمع الزوائد للهيثمي
- جامع العلوم والحكم لأبي الفرج الحنبلي
- البيان والتعريف لإبراهيم الحسيني
- الترغيب والترهيب لأبي محمد المنذري
- الأولياء لابن أبي الدنيا
- الجامع لمعمر بن راشد
- عمل اليوم والليلة للنسائي

❁ الشروح :

- فتح الباري لابن حجر
- شرح النووي علىٰ صحيح مسلم
- شرح سنن ابن ماجة
- شرح البخاري للقسطلاني
- شرح الترمذي للأحوذي
- عون المعبود لأبي الطيب آبادي
- شرح ابن علان علىٰ رياض الصالحين
- تحفة الأحوذي
- فيض القدير لعبد الرؤوف المناوي
- التمهيد لابن عبد البر
- تنوير الحوالك للسيوطي
- شرح المواهب اللدنية للقسطلاني
- شرح متن التوحيد عند أهل السنة والجماعة

❁ التراجم :

- التاريخ الكبير للبخاري
- التاريخ الصغير للبخاري
- لسان الميزان لابن حجر
- تهذيب التهذيب لابن حجر
- الاستيعاب لابن عبد البر
- الثقات لابن حبان
- المجروحين لابن حبان
- ضعفاء العقيلي

❁ تابع التراجم:

- الإصابة لابن حجر
- حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني
- تاريخ بغداد للخطيب
- سير أعلام النبلاء للذهبي
- الطبقات الكبرى لابن سعد
- الكنى للبخاري
- الجرح والتعديل لابن أبي حاتم
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي
- الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي
- تهذيب الكمال لأبي الحجاج المزي
- طبقات المحدثين بأصبهان لابن حيان
- تذكرة الحفاظ للذهبي

❁ العلل والحكم في الحديث :

- كشف الخفاء للعجلوني
- العلل المتناهية لابن الجوزي
- علل ابن أبي حاتم
- المنار المنيف لأبي عبدالله الحنبلي

❁ التخريج :

- تلخيص الحبير لابن حجر
- نصب الراية
- خلاصة البدر المنير
- الدراية في تخريج أحاديث الهداية

❁ مصطلح الحديث :

- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع

❁ السيرة والتاريخ :

- تاريخ الطبري
- الكامل لابن الأثير
- البداية والنهاية لابن كثير
- فضائل بيت المقدس للمقدسي
- السيرة النبوية لابن هشام
- السيرة الحلبية
- تاريخ اليعقوبي
- أخبار مكة لابن إسحاق
- دلائل النبوة للأصبهاني
- نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري
- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد
- المغازي للواقدي
- تاريخ ابن عساكر

❁ الأطلس والمعاجم :

- معجم البلدان لياقوت الحموي
- تفسير البحر المحيط لابن حيان
- لسان العرب
- مختار الصحاح
- القاموس المحيط
- المعجم الوجيز
- المسالك والممالك
- المصباح المنير
- أسد الغابة
- أطلس تاريخ الأنبياء والرسل لابن المغلوث
-الأطلس التاريخي لسيرة الرسولﷺ لابن المغلوث
-أطلس التاريخ العربي الإسلامي لشوقي أبي خليل
- أطلس تاريخ الإسلام لحسين مؤنس
- تاريخ المدينة المنورة المصور لمحمد إلياس
- تاريخ مكة المكرمة قديماً وحديثاً لمحمد إلياس
- ذكرى من المدينة المنورة لخالد محمد حامد
- معجم البكري
- الأصنام للكلبي

❁ مصادر أخرى :

- الروض الأنف
- عيون الأثر
- الأم للشافعي
- الإكليل للحاكم
- التنبيه والإشراف للمسعودي
- المعارف لابن قتيبة
- اللطائف
- زاد الميعاد
- الخراج لأبي يوسف
- التاج للزبيدي
- الأنساب للرشاطي
- المطالع والتقريب
- جمهرة أنساب العرب لابن حزم
- تهذيب الأسماء واللغات للنووي
- الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام
- العقد الفريد
- الإفراد للدارقطني
- إمتاع الأسماع للمقريزي
- ألفية السير لأبي الفضل العراقي
- مروج الذهب
- مجمع الأمثال للميداني
- المغازي لأبي معشر السندي
- الفهرست لابن النديم
- حُلىٰ العَليّ للقيرواني
- وفاء الوفاء للزرقاني
- الاشتقاق لابن دريد
- المورد والإشارة
- الوفود للمستغفري
- فتوح البلدان للبلاذري
- صبح الأعشىٰ للقلقشندي

❁ تابع مصادر أخرى:

- مجموعة الوثائق السياسية لحميد الله
- المغازي الأولىٰ بقلم هوروفتز- ترجمة نصّار
- الزهر الباسم في سيرة أبي القاسم للمغلطاي
- اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة
- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني
- تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان
- تصحيفات المحدثين للعسكري
- النكت البديعات للسيوطي
- ومصادر أخرى

فهرس الموضوعات

تابع غزوات الرسول صلىٰ الله عليه وسلم :

٢٣- فتح خيبر ٧
الخروج إلىٰ خيبر ١٧
ارتجاز عامر بن الأكوع ودعاء الرسول له واستشهاده ١٧
منازل الرسول في طريقه إلىٰ خيبر ومحاولة غطفان معونة خيبر ١٨
دعاء الرسول لَمّا أشرف علىٰ خيبر وفرار أهلها ١٩
ذكر حصون خيبر ومقتل مرحب اليهودي وأخيه ياسر ٢٠
شأن علي يوم خيبر ٢٢
خبر أبي اليَسَر كعب بن عمرو ٢٥
شأن بني سهم الأسلميين ٢٥
افتتاح حصن النَّطاة ٢٥
افتتاح حصن الشِّقّ ٢٦
افتتاح حصن الكَتِيبة ٢٧
مقتل كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ٢٨
زواج النبيﷺ من صفية بنت حيي بن أخطب ٢٩
ما نهىٰ عنه الرسولﷺ يوم خيبر ٣١
قصة الشاة المسمومة ٣٢
مصالحة الرسولﷺ أهل فدك ٣٤
قدوم جعفر بن أبي طالب من الحبشة وحديث المهاجرين ٣٥
رجوع الرسولﷺ إلىٰ المدينة وحصار وادي القرى ومقتل مِدْعَم ٣٧
مصالحة الرسولﷺ أهل تَيْماء ٣٨
تطوع بلال للحراسة وغلبة النوم عليه ٣٩
تسمية مَن استشهد من المسلمين وعِدّة مَن قتل مِن اليهود يوم خيبر ٣٩
خبر الحجاج بن عِلاط السلمي وإسلامه ٤١
ذكر مقاسم خيبر وأموالها ٤٣
خَرْص ابن رواحة ثم جبّار علىٰ أهل خيبر ومقتل ابن سهل ٤٧
إجلاء اليهود عن خيبر أيام عمر بن الخطاب ٤٨
٢٤- عمرة القضاء ٤٩
زواج النبيﷺ من ميمونة بنت الحارث ٥١
٢٥ - فتح مكة ٥٣
سبب الفتح ٥٥
عمرو بن سالم الخزاعي يستنصر الرسولﷺ ٥٧
بديل بن ورقاء موفود بني خزاعة ولقاؤه مع أبي سفيان ٥٨

وصول أبي سفيان إلىٰ المدينة وإخفاقه في تجديد العهد..... ٥٩
تجهز الرسولﷺ والمسلمين لفتح مكة..... ٦٠
كتاب حاطب بن أبي بلتعة إلىٰ قريش..... ٦١
خروج الرسولﷺ وعدة المسلمين..... ٦٣
هجرة العباس بن عبد المطلب..... ٦٤
إسلام أبي سفيان بن الحارث وعبدالله بن أبي أمية..... ٦٤
نزول المسلمين مرّ الظهران وتحسس قريش أخبار الرسولﷺ..... ٦٥
مجيء العباس بأبي سفيان إلىٰ رسول اللهﷺ وإسلام أبي سفيان..... ٦٦
عرض جيوش المسلمين أمام أبي سفيان..... ٦٨
رجوع أبي سفيان إلىٰ قريش يحذرهم..... ٦٨
دخول الرسولﷺ وأصحابه صلحاً ودخول خالد بن الوليد عنوة..... ٦٩
خبر حِماس بن قيس ويوم الخَنْدَمة..... ٧١
خبر هبيرة بن أبي وهب وفراره يوم الفتح..... ٧٢
شعار المسلمين يوم الفتح..... ٧٢
أَمْرُ الرسولﷺ بقتل نفر سماهم..... ٧٣
- عكرمة بن أبي جهل..... ٧٣
- عبدالله بن سعد بن أبي سرح..... ٧٤
- مِقْيَس بن صبابة الليثي..... ٧٥
- الحُوَيْرث بن نُقَيْذ بن وهب..... ٧٥
- عبدالله بن هلال بن خَطَل الأدرمي..... ٧٥
- فَرْتَنىٰ وقريبة جاريتان..... ٧٥
- هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان..... ٧٥
- سارة مولاة عمرو بن هشام..... ٧٦
- هبّار بن الأسود..... ٧٦
إسلام أبي قحافة..... ٧٦
إسلام عبدالله بن الزِّبَعْرى وما قال من شعر..... ٧٧
دخول الرسولﷺ المسجد وطوافه بالبيت وتكسيره الأصنام..... ٧٨
إرسال السرايا بعد الفتح لهدم الأصنام ودعوة الناس إلىٰ الإسلام..... ٨٢
- إرسال خالد بن الوليد إلىٰ العُزّى..... ٨٤
- إرسال عمرو بن العاص إلىٰ سُواع..... ٨٤
- إرسال سعد بن زيد الأشهلي إلىٰ مَناة..... ٨٤
- إرسال خالد بن الوليد إلىٰ بني جَذِيمة بن عامر..... ٨٤
٢٦- غزوة حنين إلىٰ هوازن وثقيف..... ٨٥
اجتماع هوازن وقبائل العرب لقتال المسلمين..... ٨٦
خروج الرسولﷺ بجيشه إلىٰ هوازن..... ٨٩
تعبئة الجيوش للقتال..... ٩٠
هزيمة المسلمين في بداية المعركة وما كان من أمرهم..... ٩١
نزول الملائكة يوم حنين وقتالهم..... ٩٣
هزيمة المشركين ومقتل دريد بن الصِّمّة..... ٩٤
مقتل أبي عامر الأشعري..... ٩٥

وصية مالك بن عوف ولقاء الزبير لهم ونهي الرسول عن قتل الضعفاء ٩٥
خبر أبي قتادة وسَلَبه..... ٩٦
ما نزل من القرآن يوم حنين ٩٧
تسمية مَن استشهد مِن المسلمين يوم حنين..... ٩٧
جمع الغنائم والسبايا وأمْر الرسول بانطلاقها إلىٰ الجعرانة ٩٨
٢٧- حصار الطائف ١٠٠
مسير النبيﷺ إلىٰ الطائف..... ١٠١
وصول النبيﷺ إلىٰ الطائف واستشهاد نفر من المسلمين ١٠١
حصار أهل الطائف وخبر يوم الشَّدْخة ١٠٢
ارتحال المسلمين عن الطائف وسبب ذلك..... ١٠٣
تقسيم أموال هوازن..... ١٠٤
قدوم وفد هوازن وإسلامهم ورد السبايا إليهم..... ١٠٨
مجيء الشيماء أخت النبيﷺ من الرضاعة عليه بالجعرانة ١١١
إسلام مالك بن عوف..... ١١٢
تسمية مَن بايع النبيﷺ من قريش وغيرها عند قسم مغانم حنين..... ١١٣
مقالة الأنصار في أمر قسم الفيء وما أجابهم ورضّاهم به الرسولﷺ ١١٣
عمرة الرسولﷺ من الجعرانة ورجوعه إلىٰ المدينة..... ١١٥
إسلام كعب بن زهير وقصيدته المشهورة..... ١١٥
٢٨- غزوة تبوك..... ١١٩
سبب الغزوة وأمر الرسولﷺ بالتهيؤ لها..... ١٢١
شأن البكّائين ١٢١
شأن الأشعريين..... ١٢٢
شأن المنافقين وتخلفهم..... ١٢٢
شأن المُعَذِّرين من الأعراب..... ١٢٣
خروج الرسولﷺ ومَن تخلف عنه ١٢٤
شأن أبي خيثمة..... ١٢٥
شأن أبي ذر الغفاري..... ١٢٦
نزول المسلمين الحِجْر وما حصل فيه من أمور ١٢٧
خبر ناقة الرسولﷺ التي ضلّت الطريق وحديث ابن اللُّصَيْت..... ١٢٨
تخذيل المنافقين للمسلمين وما نزل فيهم..... ١٢٩
إرسال خالد بن الوليد إلىٰ أكيدر دومة..... ١٢٩
الصلح بين الرسولﷺ ويُحَنّة صاحب أيلة وكتابه إليه..... ١٣٠
الرجوع إلىٰ المدينة..... ١٣٠
خبر مسجد الضرار وهدمه..... ١٣١
أمر الثلاثة الذين خُلِّفوا وأمر المعذّرين..... ١٣٦
❁ سراياه وبعوثه عليه الصلاة والسلام : ١٤١
- معنىٰ السرية..... ١٤٤
- وقت بعوثهﷺ وسراياه..... ١٤٤
- توديعهﷺ لسراياه..... ١٤٤
- كانﷺ يمشي مع بعض أمراء سراياه وذلك البعض راكب..... ١٤٥

- وصيته ﷺ لأمراء السرايا ١٤٥
- اعتذاره ﷺ عن تخلفه عن السرايا وإعطاؤه السلاح لِمَن يقاتل به ١٤٧
١- سرية حمزة بن عبد المطلب إلىٰ سيف البحر ناحية العيص ١٤٩
٢- سرية عبيدة بن الحارث بن المطلب إلىٰ بطن رابغ ١٥٠
٣- سرية سعد بن أبي وقاص إلىٰ الخرّار ١٥١
٤- سرية سعد بن أبي وقاص إلىٰ حي من كنانة ١٥٣
٥- سرية عبدالله بن جحش إلىٰ نخلة ١٥٤
٦- بعث عُمَير بن عدي الخطمي إلىٰ عصماء بنت مروان ١٥٦
٧- سرية سالم بن عمير إلىٰ أبي عَفَك اليهودي ١٥٨
٨- سرية قتل كعب بن الأشرف اليهودي ١٦٠
٩- سرية زيد بن حارثة إلىٰ القردة ١٦٤
١٠- سرية أبي سلمة عبدالله بن عبد الأسد إلىٰ قَطَن ١٦٧
١١- سرية عبدالله بن أُنيس إلىٰ سفيان بن خالد بن نبيح بعُرَنة ١٦٨
١٢- سرية الرجيع ١٧٠
١٣- سرية بئر معونة (سرية القُرّاء) ١٧٦
١٤- بعث عمرو بن أمية الضمري لقتل أبي سفيان بن حرب ١٨١
١٥- سرية عبدالله بن عتيك إلىٰ أبي رافع سلام بن أبي الحقيق ١٨٤
١٦- سرية محمد بن مسلمة إلىٰ القرطاء ١٨٨
١٧- سرية عكاشة بن محصن إلىٰ غمر مرزوق ١٩٠
١٨- سرية محمد بن مسلمة إلىٰ بني ثعلبة وعُوال بذي القصة ١٩١
١٩- سرية أبي عبيدة بن الجراح إلىٰ ذي القصة ١٩٢
٢٠- سرية زيد بن حارثة إلىٰ بني سليم ١٩٢
٢١- سرية زيد بن حارثة إلىٰ العيص ١٩٣
٢٢- سرية زيد بن حارثة إلىٰ الطَّرَف ١٩٣
٢٣- سرية زيد بن حارثة إلىٰ جذام من أرض حِسْمىٰ ١٩٤
٢٤- سرية زيد بن حارثة إلىٰ وادي القرى ١٩٦
٢٥- سرية أبي بكر الصديق ١٩٧
٢٦- سرية عبد الرحمن بن عوف إلىٰ دومة الجندل ١٩٨
٢٧- سرية زيد بن حارثة إلىٰ مدين ٢٠٠
٢٨- سرية علي بن أبي طالب إلىٰ بني سعد بن بكر بفدك ٢٠٠
٢٩- سرية زيد بن حارثة إلىٰ بني فزارة ومصاب أم قرفة ٢٠١
٣٠- سرية عبدالله بن رواحة إلىٰ الأُسَير بن رِزام بخيبر ٢٠٤
٣١- سرية كُرْز بن جابر الفهري إلىٰ العُرَنيّين ٢٠٦
٣٢- سرية أبان بن سعيد بن العاص قِبَل نجد ٢١٢
٣٣- سرية عمر بن الخطاب إلىٰ تربة ٢١٢
٣٤- سرية أبي بكر الصديق إلىٰ بني كلاب بنجد ٢١٣
٣٥- سرية بشير بن سعد إلىٰ بني مُرّة بفدك ٢١٤
٣٦- سرية غالب بن عبدالله الليثي إلىٰ الميفعة ٢١٤
٣٧- سرية بشير بن سعد إلىٰ يَمْن وجبار ناحية الجناب ٢١٥
٣٨- سرية الأقرم بن أبي العوجاء إلىٰ بني سليم ٢١٦

٣٩- سرية غالب بن عبدالله الليثي إلىٰ بني الملوح بالكديد ٢١٨
٤٠- سرية غالب بن عبدالله الليثي إلىٰ مصاب أصحاب بشير بن سعد ٢٢٠
٤١- سرية شجاع بن وهب إلىٰ بني عامر بن المُلَوَّح بالسِّيِّ ٢٢٢
٤٢- سرية كعب بن عمير الغفاري إلىٰ ذات أطلاح ٢٢٢
٤٣- سرية مؤتة ٢٢٣
بعث الرسول ﷺ إلىٰ مؤتة واختياره الأمراء ٢٢٧
وصية الرسول ﷺ لجيش مؤتة ٢٢٩
رجوع عبدالله بن رواحة ليصلي الجمعة ٢٣٠
مسير المسلمين بعد وداع الرسول ﷺ ٢٣٠
تعبئة المشركين للقتال وتخوف المسلمين وتشجيع ابن رواحة لهم ٢٣١
التحام القتال ومقتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب ٢٣٣
مقتل عبدالله بن رواحة ٢٣٤
تأمير المسلمين لخالد بن الوليد بعد مقتل الأمراء وهزيمة المشركين ٢٣٥
ذِكْرُ بعض ما غنمه المسلمون يوم مؤتة ٢٣٨
قصة خالد بن الوليد مع المددي وما أخذ من السَّلَب ٢٣٨
تنبؤ الرسول بما حدث للمسلمين وحزنه علىٰ مصاب أصحابه ٢٤٠
تسمية من استشهد من المسلمين يوم مؤتة ٢٤٢
رجوع أصحاب مؤتة إلىٰ المدينة وكيف تلقّاهم المسلمون ٢٤٤
٤٤- سرية عمرو بن العاص إلىٰ ذات السلاسل ٢٤٥
وصية أبي بكر لرافع بن أبي رافع بن عمير الطائي ٢٤٨
خبر احتلام عمرو بن العاص ٢٤٩
قصة عوف بن مالك الأشجعي في الجزور ٢٥٠
٤٥- سرية أبي عبيدة بن الجراح إلىٰ سيف البحر (سرية الخَبَط) ٢٥١
٤٦- سرية أبي قتادة الأنصاري إلىٰ خَضِرة ووقعة ابن أبي حدرد ٢٥٤
٤٧- سرية أبي قتادة إلىٰ بطن إضم وقتل عامر بن الأضبط الأشجعي ٢٥٧
٤٨- بعث أسامة بن زيد إلىٰ الحرقات ٢٦٠
٤٩- سرية خالد بن الوليد إلىٰ العزى ٢٦٢
٥٠- سرية عمرو بن العاص لهدم سواع ٢٦٣
٥١- سرية سعد بن زيد الأشهلي إلىٰ مناة بالمشلل ٢٦٣
٥٢- سرية خالد بن الوليد إلىٰ بني جذيمة من كنانة (يوم الغُمَيْصاء) ٢٦٤
٥٣- سرية أبي عامر الأشعري إلىٰ أوطاس ٢٦٧
٥٤- سرية الطفيل بن عمرو الدوسي إلىٰ ذي الكفين ٢٦٩
٥٥- سرية قيس بن سعد بن عبادة لصداء ناحية اليمن ٢٦٩
٥٦- سرية عيينة بن حصن الفزاري إلىٰ بني تميم ٢٧٢
٥٧- سرية عبدالله بن عَوْسجة إلىٰ بني حارثة بن عمرو ٢٧٣
٥٨- سرية قطبة بن عامر بن حديدة إلىٰ خثعم بناحية بيشة ٢٧٤
٥٩- سرية الضحاك بن سفيان الكلابي إلىٰ بني كلاب ٢٧٤
٦٠- سرية علقمة بن مجزز المدلجي إلىٰ الحبشة ٢٧٥
٦١- سرية علي بن أبي طالب إلىٰ الفلس ٢٧٦
٦٢- سرية عكاشة بن محصن إلىٰ الجباب أرض عُذرة وبليّ ٢٧٧

٦٣- سرية خالد بن الوليد إلى أُكَيْدر بن عبد الملك صاحب دومة ٢٧٧
٦٤- بعث أبي سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة لهدم الطاغية ٢٨٢
٦٥- بعث أبي موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى اليمن قبل حجة الوداع ٢٨٥
٦٦- بعث خالد بن الوليد إلى بني عبد المدان ٢٨٨
٦٧- سرية المقداد بن الأسود إلى أناس من العرب ٢٨٩
٦٨- سرية خالد بن الوليد إلى همدان ثم بعث علي بن أبي طالب ٢٩١
٦٩- سرية علي بن أبي طالب إلى اليمن للمرة الثانية ٢٩٣
٧٠- سرية بني عبس ٢٩٥
٧١- سرية إلى رِعْية السُّحَيمي قبل إسلامه ٢٩٦
٧٢- بعث أبي أمامة صدي بن عجلان إلى باهلة ٢٩٧
٧٣- سرية جرير بن عبدالله البجلي إلى ذي الخلصة ٢٩٨
٧٤- بعث علي بن أبي طالب وخالد بن سعيد بن العاص إلى اليمن ٢٩٩
٧٥- بعث خالد بن الوليد إلى خثعم ٣٠٠
٧٦- بعث عمرو بن مرة الجهني إلى أبي سفيان بن الحارث قبل إسلامه ٣٠٠
٧٧- سرية أسامة بن زيد إلى أُبنى بناحية البلقاء ٣٠١

۞ خروج رسل رسول الله ﷺ بكتبه إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام : ٣٠٦

- عمرو بن أمية الضمري إلى ملك الحبشة النجاشي ٣١٠
- دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر ملك الروم ٣١٢
- عبدالله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك الفرس ٣١٦
- حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية ٣١٧
- شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ٣١٨
- سليط بن عمرو العامري إلى هوذة بن علي زعيم نجد ٣١٩
- عمرو بن العاص إلى جيفر وعياذ ملكي عُمان ٣٢٠
- العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين ٣٢١
- المهاجر بن أبي أمية المخزومي إلى الحارث بن عبد كلال الحميري ٣٢٢
- أبو موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى اليمن ٣٢٣
- جرير بن عبدالله البجلي إلى ذي الكلاع وذي عمرو ٣٢٤
- كتاب رسول الله ﷺ إلى جَبَلة بن الأَيْهم ملك غسان ٣٢٤

۞ وفود العرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم : ٣٢٦

- معنى الوفد ٣٢٨
- تجمل النبي ﷺ وأصحابه للوفود ٣٢٩
- قدوم وفد أحمس ٣٣٠
- قدوم وفد أزد شنوأة ٣٣١
- قدوم وفد أزد عُمان ٣٣٢
- قدوم وفد بني أسد ٣٣٣
- قدوم وفد أسلم ٣٣٦
- قدم وفد أشجع ٣٣٦
- قدوم وفد الأشعريين ٣٣٧
- قدوم أعشى بني مازن ٣٣٨

- قدوم وفد بارق ٣٣٩
- قدوم وفد باهلة ٣٤٠
- قدوم وفد بني البكائي ٣٤١
- قدوم وفد بني بكر بن وائل ٣٤٢
- قدوم وفد بَلِيّ ٣٤٣
- قدوم وفد بهراء ٣٤٤
- قدوم وفد تُجيب ٣٤٥
- قدوم وفد بني تغلب ٣٤٦
- قدوم وفد بني تميم ٣٤٦
- قدوم وفد بني ثعلبة ٣٥٥
- قدوم وفد ثقيف ٣٥٥
- قدوم وفد ثُمالة والحَدّان ٣٦٢
- قدوم وفد جذام ٣٦٢
- قدوم وفد جرم ٣٦٤
- قدوم وفد جرير بن عبدالله البجلي ٣٦٥
- قدوم وفد جعدة ٣٦٧
- قدوم وفد جعفي ٣٦٧
- قدوم وفد جهينة ٣٦٩
- قدوم وفد جيشان ٣٧٠
- قدوم وفد الحارث بن حسان ٣٧٠
- قدوم وفد بني الحارث بن كعب ٣٧١
- قدوم وفد الحجاج بن علاط السلمي ٣٧٢
- قدوم وفد حضرموت ٣٧٣
- قدوم وفد الحكم بن حزن الكلفي ٣٧٤
- قدوم وفد حمير ٣٧٥
- قدوم وفد بني حنيفة ومعهم مسيلمة الكذاب ٣٧٨
- قدوم وفد خثعم ٣٨١
- قدوم وفد خشين ٣٨٢
- قدوم خفاف بن نضلة ٣٨٣
- قدوم وفد خولان ٣٨٤
- قدوم وفد الداريين ٣٨٥
- قدوم وفد دوس ٣٨٧
- قدوم ذباب بن الحارث ٣٨٩
- قدوم وفد الرهاويين ٣٩٠
- قدوم وفد بني الرؤاس بن كلاب ٣٩١
- قدوم وفد زبيد ٣٩٢
- قدوم وفد بني سحيم ٣٩٣
- قدوم وفد بني سدوس ٣٩٣
- قدوم وفد بني سعد هذيم ٣٩٤
- قدوم وفد سلامان ٣٩٥

- قدوم وفد بني سليم ٣٩٥
- قدوم وفد بني شيبان ٣٩٧
- قدوم وفد صداء ٤٠٤
- قدوم وفد الصدف ٤٠٦
- قدوم وفد أبي صفرة ٤٠٦
- قدوم ضمام بن ثعلبة وافداً عن بني سعد بن بكر ٤٠٧
- قدوم وفد طارق بن عبدالله ٤٠٩
- قدوم وفد طَيِّئ مع زيد الخيل ٤١٠
- قدوم وفد بني عامر بن صعصعة ٤١٢
- قدوم وفد عبد الرحمن بن أبي عقيل ٤١٥
- قدوم وفد بني عبد بن عدي ٤١٦
- قدوم وفد عبد القيس ٤١٩
- قدوم وفد بني عبس ٤٢٧
- قدوم وفد عدي بن حاتم ٤٢٨
- قدوم وفد بني عذرة ٤٣٣
- قدوم وفد بني عقيل بن كعب ٤٣٥
- قدوم وفد عمرو بن معد يكرب الزبيدي ٤٣٦
- قدوم وفد عَنَزة ٤٣٨
- قدوم وفد رجل من عَنْس ٤٣٩
- قدوم وفد غافق ٤٣٩
- قدوم وفد غامد ٤٤٠
- قدوم وفد غسّان ٤٤٠
- قدوم وفد فروة بن عمرو الجذامي ٤٤١
- قدوم فروة بن مسيك المرادي ٤٤٢
- قدوم وفد فزارة ٤٤٣
- قدوم وفد بني قشير ٤٤٦
- قدوم وفد قيس بن عاصم ٤٤٧
- قدوم وفد بني كلاب ٤٤٨
- قدوم وفد بني كلب ٤٤٩
- قدوم الأشعث بن قيس في وفد كندة ٤٥٠
- قدوم وفد أبي رزين لقيط بن عامر العقيلي ٤٥١
- قدوم وفد محارب ٤٥٦
- قدوم وفد مُرّة ٤٥٧
- قدوم وفد مزينة ٤٥٨
- قدوم وفد معاوية بن حيدة ٤٥٩
- قدوم وفد مهرة ٤٦٠
- قدوم وفد نافع بن زيد الحميري ٤٦١
- قدوم وفد علماء نجران ٤٦٢
- قدوم وفد النخع ٤٧١
- قدوم وفد بني هلال بن عامر ٤٧٣

- قدوم وفد همدان ٤٧٥
- قدوم وائل بن حجر ٤٧٩
- قدوم واثلة بن الأسقع ٤٨٠
- اجتماع سيدنا إلياس بهﷺ إنْ صحّ الخبر ٤٨٠
- اجتماع الخضر بهﷺ إنْ صحّ الخبر ٤٨١
- قدوم وفد الجن ٤٨٢
- ما ورد من قدوم هامة بن أَهْيَم بن لاقيس بن إبليس ٤٨٤
- وفود السباع ٤٨٧
۞ تسمية عمالهﷺ وأمرائه علىٰ الصدقات وكُتّابه : ٤٨٩
- ذكر عماله وأمرائهﷺ علىٰ الصدقات ٤٩٠
- ذكر كُتّاب الوحي ٤٩٠
- ذكر الذين كانوا يضربون الرقاب بحضرتهﷺ ٤٩٣
۞ حجة الوداع وذكر عمره صلىٰ الله عليه وسلم : ٤٩٤
- خبر حجة الوداع وما كان فيها ٤٩٦
- الخطبة التي خطبها النبيﷺ في حجة الوداع ٥٠٦
- ذكر عمرهﷺ ٥٠٨
۞ وفاة النبي صلىٰ الله عليه وسلم وانتقاله للرفيق الأعلىٰ : ٥٠٩
- مرض موتهﷺ ٥١٠
- خطبته الأخيرةﷺ ٥١٥
- وصاياهﷺ في مرض موته ٥١٧
- وفاتهﷺ ٥١٩
- غُسلهﷺ ٥٢٦
- تكفينه وحَنوطهﷺ ٥٢٩
- الصلاة عليهﷺ ٥٣٠
- قبره الشريفﷺ ٥٣٠
- الأبيات التي رثته بها عمته ٥٣٣
- ميراثهﷺ ٥٣٧
- خلافتهﷺ ٥٣٧
۞ الخاتمة : ٥٤٣
۞ الفهارس العامة للكتاب : ٥٤٥
- فهرس الآيات القرآنية ٥٤٧
- فهرس الأحاديث الشريفة والأخبار ٥٥٣
- فهرس الخرائط والصور ٥٧٦
- فهرس المصادر والمراجع ٥٧٩
- فهرس الموضوعات ٥٨٤